

آثار الربانيين
لبيان أنوار رياض
الصالحين من كلام سيد
المرسلين

تأليف الأمام

أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي

الجزء الأول

فكرة وجمع وإعداد

أبو محمود محمد محمود بدر

الطبعة الثالثة

طبعة منقحة ومزودة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رقم الايداع بدار الكتب المصريه

2018/5/7 – 9903

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

كُتِبَ

أَبُو مُحَمَّدٍ مُحَمَّدٌ مُحَمَّدٌ مُحَمَّدٌ بَدْرٌ

جُمْهُورِيَّةُ مِصْرَ الْعَرَبِيَّةِ

مُحَافَظَةُ الْقَلْيُوبِيَّةِ - شَبْرَا الْخِيْمَةِ

EMAIL – m.badr75@yahoo.com

01011471502

01149345632

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى : (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ) (آل عمران 110)

وقال تعالى : (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (يوسف 108)

وقال تعالى : (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِلَا تِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (النحل 125)

وقال تعالى : (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) (فصلت 33)

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بلغوا عني ولو آيةً وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرجٍ ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار . (البخاري رقم 3461)

- فَأَمِهُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّهَا دُعَاةٌ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كُلٌّ عَلَى قَدَرٍ جُهْدِهِ وَكُلٌّ عَلَى قَدَرِ عِلْمِهِ وَكُلٌّ عَلَى قَدَرِ إِتْقَانِهِ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْأَوَّلِ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ وَالْآخِرُ بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَشْهَدُ
أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . أَرْسَلَهُ رَبُّهُ بِدِينِ الْحَقِّ
دَاعِيًا وَعَنْ الْبَاطِلِ نَاهِيًا فَقَامَ بِأَمْرِ اللَّهِ وَبَلَّغَهُ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ رَبِّهِ حَتَّى أَتَاهُ الْيَقِينُ .

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ
مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مُجِيدٌ . وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ سَادَتِنَا أَبِي
بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلَى وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الصَّحْبِ الْكِرَامِ أَجْمَعِينَ . وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ نِسَاءِ
النَّبِيِّ الْكَرِيمِ الطَّاهِرَاتِ الشَّرِيفَاتِ الْعَفِيفَاتِ .

إِلَهِي وَرَبِّي مَا سَأَلْتُ سِوَاكَ عَوْنًا فَحَسْبِي الْعَوْنُ مِنْ رَبِّ قَدِيرٍ

إِلَهِي وَرَبِّي مَا سَأَلْتُ سِوَاكَ عَفْوًا فَحَسْبِي الْعَفْوُ مِنْ رَبِّ غَفُورٍ

إِلَهِي وَرَبِّي مَا سَأَلْتُ سِوَاكَ هَدْيًا فَحَسْبِي الْهُدَى مِنْ رَبِّ بَصِيرٍ

إِلَهِي وَرَبِّي مَا سَأَلْتُ سِوَاكَ رِزْقًا فَحَسْبِي الرِّزْقُ مِنْ رَبِّ شَكُورٍ

إِذَا لَمْ اسْتَعِنْ بِكَ يَا إِلَهِي فَمَنْ عَوْنِي سِوَاكَ وَمَنْ يُجِيرُ

يَا مَنْ إِلَيْهِ جَمِيعُ الْخَلْقِ يَبْتَهِلُوا ... وَكُلُّ حَيٍّ عَلَى رُحْمَاهُ يَتَّكِلُ

يَا مَنْ نَأَى فَرَأَى مَا فِي الْقُلُوبِ وَمَا ... تَحْتَ النَّوَى وَحِجَابُ اللَّيْلِ مُنْسَدِلٌ

يَا مَنْ دَنَا فَنَأَى عَنْ أَنْ يُحِيطَ بِهِ الْ... أَفْكَارُ طُرًّا أَوْ الْأَوْهَامُ وَالْعِلَلُ

أَنْتَ الْمُتَنَادِي بِهِ فِي كُلِّ حَادِثَةٍ ... وَأَنْتَ مُلْجَأٌ مَنْ ضَاقَتْ بِهِ الْحَيْلُ

أَنْتَ الْغِيَاثُ لِمَنْ سُدَّتْ مَذَاهِبُهُ ... أَنْتَ الدَّلِيلُ لِمَنْ ضَلَّتْ بِهِ السُّبُلُ

إِنَّا قَصَدْنَاكَ وَالْأَمَالَ وَالْأَقْعَةَ ... عَلَيْكَ وَالْكُلَّ مَلْهُوفٌ وَمُبْتَهِلٌ

فِيَا غَفْرَتِ فَعَنْ طَوْلٍ وَعَنْ كَرَمٍ ... وَإِنْ سَطُوتَ فَأَنْتَ الْحَاكِمُ الْعَدِلُ

أَمَّا بَعْدُ : فَلَقَدْ مَنْ اللَّهُ عَلَى وَوَقَّقَنِي لِلْقِيَامِ بِجَمْعٍ وَتَرْتِيبِ وَإِعْدَادِ شَرْحَ لِكِتَابِ رِيَاضِ

الصَّالِحِينَ بِفِكْرِهِ جَدِيدَةٍ مِنْ نَوْعِهَا تَهْدِيفٌ لِبَيِّنَاتٍ أَنْوَارِ كَلَامِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَكَلَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِفَهْمٍ وَفِكْرِ السَّلَفِ الصَّالِحِ فِي كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْكِتَابِ . فَهْمٌ خَيْرٌ مِنْ فَهْمِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الْمُطَهَّرَةِ فَأَلْصَلُ الرُّجُوعُ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِفَهْمِ سَلَفِ الْأُمَّةِ فَعِنْدَ التَّعَارُضِ أَوْ الْإِخْتِلَافِ فِي فَهْمِ الْأَدِلَّةِ لِأَبَدٍ وَأَنْ يُقَدِّمَ فِيهِمُ السَّلَفُ فَقَدْ زَكَّاهُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ : (فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا) (البقرة : 137) وَرَضِيَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُمْ وَهُمْ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَى نَزُولِ الْوَحْيِ وَأَقْرَبُهُمْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَلَقَدْ سَرَتْ عَلَى خُطَى الْإِمَامِ النُّووي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَلَمْ أَتَطْرُقْ بِالشَّرْحِ وَالتَّحْلِيلِ لَأَيِّ مِنْ أَبْوَابِ الْكِتَابِ وَلَكِنْ تَرَكْتُ ذَلِكَ لِأَقْوَالٍ وَمَوَاقِفٍ وَفَهْمِ السَّلَفِ الصَّالِحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ وَذَلِكَ لِأَنَّ فِي الْغَالِبِ كَلَامِهِمْ لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَرْحٍ أَوْ تَحْلِيلٍ فَهُوَ بَسِيطٌ وَقَلِيلٌ وَسَهْلٌ الْفَهْمُ لِأَنَّهُ خَرَجَ مِنْ قُلُوبِ مَوْصُولَةٍ بِاللَّهِ وَمَجْتَهِدَةٍ لِنَشْرِ دِينِهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهْمٌ (رَبَّانِيَيْنِ) قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : (وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ) : حُكْمَاءُ عُلَمَاءُ . وَقَالَ ابْنُ جُبَيْرٍ : حُكْمَاءُ أَتَقِيَاءُ . وَقَالَ الضَّحَّاكُ : لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَدَعَ حِفْظَ الْقُرْآنِ جَهْدَهُ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ . وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ : الرِّبَانِيُّونَ الْوَالِيَّةُ ، وَالْأَخْبَارُ الْعُلَمَاءُ . وَقَالَ مُجَاهِدٌ : الرِّبَانِيُّونَ فَوْقَ الْأَخْبَارِ . وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : سَمِعْتُ عَامِلًا يَقُولُ : الرَّبَّانِيُّ الْعَالِمُ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ، الْعَارِفُ بِأَنْبَاءِ الْأُمَّةِ وَمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ . وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنَفِيَّةِ يَوْمَ مَاتَ ابْنُ عَبَّاسٍ : الْيَوْمَ مَاتَ رَبَّانِيٌّ هَذِهِ الْأُمَّةُ . وَرَوَى عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ : مَا مِنْ مُؤْمِنٍ ذَكَرَ وَلَا أَنْتَى حَرًّا وَلَا مَمْلُوكًا إِلَّا وَجَلَّ عَلَيْهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ حَقٌّ أَنْ يَتَعَلَّمَ مِنَ الْقُرْآنِ وَيَتَفَقَّهُ فِي دِينِهِ - ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ - وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ الْآيَةَ . رَوَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ . فَالرِّبَانِيُّ الْعَالِمُ بِدِينِ الرَّبِّ الَّذِي يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ ؛ لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَعْمَلْ بِعِلْمِهِ فَلَيْسَ بِعَالِمٍ . وَقَالَ أَبُو رَزِينٍ : الرَّبَّانِيُّ هُوَ الْعَالِمُ الْحَكِيمُ . (تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ 115/4)

قَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : هُوَ الَّذِي يُرَبِّ عِلْمُهُ ، بِعَمَلِهِ . وَقَالَ عَطَاءٌ : عُلَمَاءُ حُكْمَاءُ نُصَحَاءُ لِلَّهِ فِي خَلْقِهِ . (تَفْسِيرُ الْبَغَوِيِّ 60/2)

وَأَسْأَلُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَنْفَعَنِي وَيَنْفَعَ إِخْوَانِي فِي كُلِّ مَكَانٍ وَزَمَانٍ بِهَذَا الْكِتَابِ الْعَظِيمِ . وَلَا يَزْهَدُنْكَ فِيهِ كَوْنٌ مُؤَلَّفُهُ لَيْسَ مِنْ فُرْسَانِ هَذَا الْمَلِيدَانِ وَلَا مِنْ الْمُعْرُوفِينَ فِيهِ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الْمُنْعِمُ عَلَيَّ مَنْ شَاءَ بِمَا شَاءَ وَهُوَ وَحْدَهُ وَلِي التَّوْفِيقَ وَالْفَضْلَ وَالْإِحْسَانَ . (وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) (مِنَ الْآيَةِ 88 هُودِ) .

وَأَسْأَلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَجْعَلَهُ ذُخْرًا لِي يَوْمَ الْمِيْعَادِ يَوْمَ الْوُفُوفِ بَيْنَ يَدَيِ رَبِّ الْعِبَادِ .

وَأَسْأَلُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَرْزُقَنِي بِدَعْوَةِ أَخٍ صَالِحٍ بَظَهْرِ الْعَيْبِ تَكُونُ سَبَبًا لِنَجَاتِي مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَدُخُولِي فِي رَحْمَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

وَأَسْأَلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَتَقَبَّلَ مِنِّي هَذَا الْعَمَلِ وَأَنْ يَكُونَ خَالِصًا لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ لَيْسَ لِأَحَدٍ فِيهِ نَصِيبٌ غَيْرُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى . قَالَ بَنُ حَجْرٍ: مَنْ كَانَ صَادِقَ النَّيَّةِ لَا يَقْعُ إِلَّا فِي خَيْرٍ، وَلَوْ قَصَدَ الشَّرَّ فَإِنَّ اللَّهَ يَصْرِفُهُ عَنْهُ، وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ: مَنْ صَدَقَ مَعَ اللَّهِ وَقَاهُ اللَّهُ، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ كَفَاهُ اللَّهُ. (فَتْحُ الْبَارِيِّ 4/48)

وَأَسْأَلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَعْفُوَ وَيَتَجَاوَزَ عَنِّي وَأَنْ يَسْتُرَ عَلَيَّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَنْ يَغْفِرَ لِي وَاللَّيْلِ وَأَصْحَابِ الْفَضْلِ وَالْحَقُوقِ عَلَيَّ وَالْأَوْلَادِي وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ .

فَمَا كَانَ مِنْ تَوْفِيقٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنْ خَطَأٍ أَوْ نِسْيَانٍ فَمِنِّي وَمِنَ الشَّيْطَانِ وَاللَّهِ وَرَسُولُهُ مِنْهُ بَرَاءٌ . وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَذْكَرْكُمْ بِهِ وَأُنْسَاةَ وَرَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا أَهْدَى إِلَى عِيُوبِي .

- أَهَمِّيَّةُ الْكِتَابِ وَالتَّاعِثُ عَلَى اخْتِيَارِ مَوْضُوعَةٍ :

- فَإِنَّ آثَارَ السَّلَفِ - مَوَاقِفَهُمْ وَأَفْعَالَهُمْ وَأَقْوَالَهُمْ - تُعَدُّ مَصَدَرًا أَسَاسِيًّا لِقَهْمِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الْمُطَهَّرَةِ .

وَالْمُقْصُودُ : أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَأْخُذَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَوْ جُمْلَةً مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَفْهَمَهَا وَيَطْبِقُهَا بِغَيْرِ الْفَهْمِ وَالتَّطْبِيقِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ صَحَابَةُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ إِذْ أَنَّهُ مِنَ الْمَعْرُوفِ أَنَّ (الْعَمَلَ الْمُتَوَارَثَ الْمُسْتَمَرَّ مِنْ عَصْرِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَمَنْ بَعْدَهُمْ حُجَّةٌ شَرْعِيَّةٌ يَجِبُ اتِّبَاعُهَا ، وَتَلَقِّيَهَا بِالْقَبُولِ) .

وَقَالَ سَيِّدُنَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: قِفْ حَيْثُ وَقَفَ الْقَوْمُ ، وَقُلْ كَمَا قَالُوا ، وَاسْكُتْ عَمَّا سَكَنُوا ؛ فَإِنَّهُمْ عَنِ عِلْمٍ وَقَفُوا ، وَبِصَرِّ نَافِذٍ كَفُّوا ، وَهُمْ عَلَى كَشْفِهَا كَانُوا أَقْوَى ، وَبِالْفَضْلِ لَوْ كَانَ فِيهَا أَحْرَى ، فَلَمَّا كَانَ الْهُدَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ فَلَقَدْ سَبَقْتُمُوهُمْ إِلَيْهِ ، وَلَمَّا قُلْتُمْ : حَدَّثْ بَعْدَهُمْ ، فَمَا أَحَدْتُهُ إِلَّا مَنْ سَلَكَ غَيْرَ سَبِيلِهِمْ وَرَغِبَ بِنَفْسِهِ عَنْهُمْ ، وَإِنَّهُمْ لَهُمُ السَّابِقُونَ ، وَلَقَدْ تَكَلَّمُوا مِنْهُ بِمَا يَكْفِي ، وَوَصَفُوا مِنْهُ مَا يَشْفِي ، فَمَا دَوْنَهُمْ مُقْصَرٌ وَلَا فَوْقَهُمْ مُحَسَّرٌ ، لَقَدْ قَصَرَ عَنْهُمْ قَوْمٌ فَجَفُوا ، وَطَمَحَ آخَرُونَ عَنْهُمْ فَعَلُوا ، وَإِنَّهُمْ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ لَعَلَى هُدَى

مستقيم . (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ 4612)

- وَحَتَّى يَتِمَّ التَّمْيِيزُ بَيْنَ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَوْلِ الصَّحَابِيِّ وَالتَّابِعِيِّ لِأَنَّ هُنَاكَ أَقْوَالَ مَشْهُورَةً وَمُنْتَشِرَةً بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّهَا مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَكِنْ هِيَ فِي الْأَصْلِ مِنْ كَلَامِ السَّلَفِ الصَّالِحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ .

- وَحَتَّى يَكُونَ مَرْجِعًا وَمَصْدَرًا لِلدَّعَاةِ وَالْمُبْلَغِينَ وَالْوُعَاظِ وَطَلَبَةِ الْعِلْمِ لِيَتِمَّلُوا مِنْ آثَارِ السَّلَفِ فِي كُلِّ أَبْوَابِ الْعِلْمِ وَالْخَيْرِ .

- وَأَرْجُو مِنْ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْكِتَابُ إِضَافَةً لِلْمَكْتَبَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ .

- وَنُتِنَ مَا هُوَ الْمُقْصُودُ بِالسَّلَفِ الصَّالِحِ :

تَعَدَّدَتْ أَقْوَالُ الْعُلَمَاءِ فِي تَحْدِيدِ ذَلِكَ مِنْ حَيْثُ الْمَدَى الرَّمَى : فَمِنْ الْعُلَمَاءِ مِنْ قَصَرَ ذَلِكَ عَلَى الصَّحَابَةِ رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فَقَطْ . وَمِنْ الْعُلَمَاءِ مَنْ قَالَ بِأَنَّهُمْ هُمْ : الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ . وَقَالَ النَّوَوِيُّ : وَالصَّحِيحُ أَنَّ قَرْنَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ وَالتَّالِثُ تَابِعُوهُمْ . (شَرْحُ النَّوَوِيِّ عَلَى مُسْلِمٍ 85/16)

وَقَالَ السُّيُوطِيُّ : وَالْأَصَحُّ أَنَّهُ لَا يَنْضَبُ بِمُدَّةِ قَرْنِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُمْ الصَّحَابَةُ وَكَانَتْ مُدَّتُهُمْ مِنَ الْمُبْعَثِ إِلَى آخِرِ مَنْ مَاتَ مِنَ الصَّحَابَةِ مِائَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً وَقَرْنَ التَّابِعِينَ مِنْ مِائَةِ سَنَةٍ إِلَى نَحْوِ سَبْعِينَ وَقَرْنَ أَتْبَاعَ التَّابِعِينَ مِنْ ثُمَّ إِلَى نَحْوِ الْعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ وَفِي هَذَا الْوَقْتِ ظَهَرَتْ الْبِدْعُ ظُهُورًا فَاشِيًا وَأُطْلِقَتْ الْمُعْتَزَلَةُ أَسْتَمَهَا وَرَفَعَتْ الْفَلَاسِفَةُ رُؤُوسَهَا وَامْتَحَنَ أَهْلُ الْعِلْمِ لِيَقُولُوا بِخَلْقِ الْقُرْآنِ وَتَغَيَّرَتِ الْأَحْوَالُ تَغْيِيرًا شَدِيدًا وَلَمْ يَزَلِ الْأَمْرُ فِي نَقْصِ إِلَى الْآنَ وَظَهَرَ مِصْدَاقِ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ثُمَّ يَفْشُو الْكُذِبُ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُوتُهُمْ ثَلَاثًا . (مَرْقَاةُ الْمَفَاتِيحِ 9 / 3878)

وَالْقَوْلُ الصَّحِيحُ الْمَشْهُورُ الَّذِي عَلَيْهِ جُمْهُورُ أَهْلِ السُّنَّةِ هُوَ أَنَّ الْمُقْصُودَ بِالسَّلَفِ الصَّالِحِ هُمُ الْقُرُونُ الثَّلَاثَةُ الْمُفْضَلَةُ الَّذِينَ شَهِدَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْخَيْرِيَّةِ حَيْثُ قَالَ : عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُوتُهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُوتُهُمْ ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةَ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتُهُ) . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . (الْبَخَارِيُّ 2652 ، وَمُسْلِمٌ 2533)

فَالسَّلَفُ الصَّالِحُ هُمُ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ وَتَابِعُوا التَّابِعِينَ . وَكُلُّ مَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُمْ وَسَارَ عَلَى نَهَجِهِمْ فَهُوَ سَلَفِي نَسَبِهِ إِلَيْهِمْ .

وَالسَّلَفِيَّةُ : هِيَ الْمُنْهَجُ الَّذِي سَارَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْقُرُونُ الْمَفْضَلَةُ مِنْ بَعْدِهِ وَالَّذِي أَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّهُ بَاقٍ إِلَى أَنْ يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ لِحَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ . (مسلم 1523/3)

فَيَصِحُّ الْإِنْتِسَابُ إِلَى هَذَا الْمُنْهَجِ مَتَى التَّرَمَّ الْإِنْسَانُ بِشُرُوطِهِ وَقَوَاعِيدِهِ فَكُلُّ مَنْ حَافِظٌ عَلَى سَلَامَةِ الْعُقِيدَةِ طَبَقًا لِفَهْمِ الْقُرُونِ الثَّلَاثَةِ الْمَفْضَلَةِ فَهُوَ ذُو نَهَجِ سَلَفِي .

- قَوَاعِدُ الْمُنْهَجِ السَّلَفِيِّ :

أولاً : ضَبْطُ نَحْوِصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَفَهْمُ مَعَانِيهَا .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ . وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) (النساء 59) وَقَالَ تَعَالَى : (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمِئِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا) (الأحزاب 36) وَقَالَ تَعَالَى : (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (النساء 65)

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا : كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ . (رَوَاهُ مَالِكٌ رُقْمَ 3338 وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ)

ثَانِيًا : التَّقْيِيدُ فِي ذَلِكَ بِالْمَأْثُورِ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ وَذَلِكَ يَتِمُّ بِ : الْاجْتِهَادِ فِي تَمْيِيزِ صَحِيحِهِ مِنْ سَقِيمَةٍ . وَالْاجْتِهَادِ فِي الْوُقُوفِ عَلَى مَعَانِيهِ وَتَفَهُّمِهِ .

ثَالِثًا : الْعَمَلُ بِذَلِكَ وَالِاسْتِقَامَةُ عَلَيْهِ اعْتِقَادًا وَتَفَكِيرًا وَسُلُوكًا وَقَوْلًا وَبُعْدٍ عَنِ كُلِّ مَا يُخَالِفُهُ وَيُنَاقِضُهُ .

رَابِعًا : الدَّعْوَةُ إِلَى ذَلِكَ بِاللِّسَانِ وَالْبَنَانِ وَالْحَرَكَةِ لِشُرَيْدِينَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَزَمَانٍ وَعَلَى أَيْ

حَالٍ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ وَالْمُنْشَطِ وَالْمُكْرَهِ وَالتَّضْحِيَةِ فِي سَبِيلِ ذَلِكَ بِكُلِّ الْمَحْبُوبَاتِ مِنْ نَفْسٍ وَأَهْلِ وَمَالٍ وَأَوْطَانٍ فَكَلَّ الْأُمَّةَ نَائِبَةً عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ وَهِيَ الْعِلْمُ بِمَا تَدْعُو إِلَيْهِ كُلُّ عَلَى قَدْرِ فَهْمِهِ وَكُلُّ عَلَى قَدْرِ جُهْدِهِ وَكُلُّ عَلَى قَدْرِ عِلْمِهِ وَكُلُّ عَلَى قَدْرِ انْفَاقِهِ . فَمَنْ التَزَمَ هَذِهِ الْقَوَاعِدَ فِي الْإِعْتِقَادِ وَالْعَمَلِ فَهُوَ عَلَى التَّرَجُّحِ السَّلْفِيِّ بِإِذْنِ اللَّهِ .

وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَمْرُنَا وَأَوْجَبَ عَلَيْنَا بِاتِّبَاعِ السَّلْفِ الصَّالِحِ وَالسَّيْرِ عَلَى طَرِيقَتِهِمْ وَاتِّبَاعِ مَنْهَجِهِمْ . قَالَ تَعَالَى : (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (التَّوْبَةُ 100) وَاللَّهُ تَوَعَّدُ مَنْ اتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِهِمْ بِعَذَابٍ جَهَنَّمَ وَوَعَدَ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ مُتَّبِعِهِمْ بِالرِّضْوَانِ . وَقَالَ تَعَالَى : (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) (النِّسَاءُ 115) وَقَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ : وَالْوَاجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ أَصْلُ قَصْدِهِ تَوْجِيهِدَ اللَّهِ بِعِبَادَتِهِ وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَطَاعَةَ رَسُولِهِ ، يَدُورُ عَلَى ذَلِكَ وَيَتَّبِعُهُ أَيْنَ وَجَدَهُ ، وَيَعْلَمُ أَنَّ أَفْضَلَ الْخَلْقِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ هُمُ الصَّحَابَةُ فَلَا يَنْتَصِرُ لِشَخْصٍ انْتَصَارًا مطلقًا عَامًّا إِلَّا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا لِطَائِفَةٍ انْتَصَارًا مطلقًا عَامًّا إِلَّا لِلصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ . فَإِنَّ الْهُدَى يَدُورُ مَعَ الرَّسُولِ حَيْثُ دَارَ وَيَدُورُ مَعَ أَصْحَابِهِ دُونَ أَصْحَابِ غَيْرِهِ حَيْثُ دَارُوا فَإِذَا أَجْمَعُوا لَمْ يَجْمَعُوا عَلَى خَطِّ قَطٍ بِخِلَافِ أَصْحَابِ عَالِمٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ فَإِنَّهُمْ قَدْ يَجْمَعُونَ عَلَى خَطِّ بَلِّ كُلِّ مَا قَالُوهُ وَلَمْ يَقُلْهُ غَيْرُهُمْ مِنَ الْأُمَّةِ لَا يَكُونُ إِلَّا خَطًّا فَإِنَّ الدِّينَ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ لَيْسَتْ مُسَلَّمًا إِلَى عَالِمٍ وَاحِدٍ وَأَصْحَابِهِ ، وَلَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَكَانَ ذَلِكَ الشَّخْصُ نَظِيرًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ شَبِيهُ بِقَوْلِ الرَّافِضَةِ فِي الْإِمَامِ الْمُعْصُومِ . وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ يَعْرِفُونَ ذَلِكَ الْحَقَّ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ الرَّسُولَ قَبْلَ وُجُودِ الْمُتَّبِعِينَ الَّذِينَ تُنْسَبُ إِلَيْهِمُ الْمَذَاهِبُ فِي الْأَصُولِ وَالْفُرُوعِ وَيَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ هَؤُلَاءِ جَاءُوا بِحَقِّ يُخَالِفُ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ فَإِنَّ كُلَّ مَا خَالَفَ الرَّسُولَ فَهُوَ بَاطِلٌ وَيَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمْ عِلْمٌ مِنْ جِهَةِ الرَّسُولِ مَا يُخَالِفُ الصَّحَابَةَ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ فَإِنَّ أَوْلَيْكَ لَمْ يَجْتَمِعُوا عَلَى ضَلَالَةٍ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ - إِنْ كَانَ حَقًّا - مَا خُوذًا عَمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ موجودًا فِيمَنْ قَبْلَهُ وَكُلُّ قَوْلٍ قِيلَ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ مُخَالِفٌ لِمَا مَضَى عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ لَمْ يَقُلْهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَلَّ قَالُوا خِلَافَهُ فَإِنَّهُ قَوْلٌ بَاطِلٌ . (مَنْهَاجُ السُّنَّةِ 262/5-263)

وَيَشْرُدُ لِذَلِكَ أَقْوَالَ سَلَفِنَا الصَّالِحِ :

فَالسَّلَفُ الصَّالِحُ كَانُوا مَصَابِيحُ الظَّلَامِ وَقَادَهُ هَذَا الْأَنَامِ وَمَلِحَ الْأَرْضِ وَحَلَى الدُّنْيَا وَالتَّجُومِ الَّتِي لَا يَضِلُّ مَعَهَا السَّارِي وَالْمَنَارُ الَّذِي يَرْجِعُ إِلَيْهِ الْبَاغِي وَالْحِزْبُ الَّذِي كَثُرَ بِهِ الْقَلِيلُ وَأَعَزُّ بِهِ الدَّلِيلُ وَزَادَ الْكَثِيرُ فِي عَدْدِهِ وَالْعَزِيزُ فِي إِرْتِفَاعِ قَدْرِهِ وَهُمْ الَّذِينَ جَلَوْا بِكَلَامِهِمُ الْأَبْصَارَ الْكَلِيلَةَ وَشَحَدُوا بِمَنْطِقِهِمُ الْأَذْهَانَ الْعَلِيلَةَ فَنَبَّهُوا الْقُلُوبَ مِنْ رَقَدَتِهَا ، وَنَقَلُوهَا عَنْ سُوءِ عَادَتِهَا ، وَشَفَّوْهَا مِنْ ذَاءِ الْقَسْوَةِ ، وَغَبَاوَةَ الْعَفْلَةِ ، وَدَاوَوْا مِنَ الْعِيِّ الْفَاضِحِ ، وَنَهَجُوا لَنَا الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ . (إِعْلَامُ الْمُوقَعِينَ 172/2)

- فَعَنَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا آتَاهُمْ الْعِلْمُ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ أَكَابِرِهِمْ فَإِذَا آتَاهُمُ الْعِلْمُ مِنْ قَبْلِ أَصَاغِرِهِمْ وَتَفَرَّقَتْ أَهْوَاؤُهُمْ هَلَكُوا . (الزُّهْدُ لِابْنِ الْمُبَارَكِ ص 281 حَدِيثُ 815)

- وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُسْتَنًّا فَلْيَسْتَنَّ بِمَنْ قَدْ مَاتَ فَإِنَّ الْحَيَّ لَا تُؤْمَنُ عَلَيْهِ الْفِتْنَةُ أَوْلَيْكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْرَهَنَ الْأُمَّةِ قُلُوبًا وَأَعَمَّقَهَا عِلْمًا وَأَقْلَبَهَا تَكَلُّفًا قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ لِرِضَايَةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاقَامَةَ دِينِهِ فَاعْرِفُوا لَهُمْ حَقَّهُمْ وَتَمَسَّكُوا بِهِدْيِهِمْ فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ . (جَامِعُ بَيَانِ الْعِلْمِ وَفَضْلِهِ 87/2)

- وَقَالَ مُجَاهِدٌ : الْعُلَمَاءُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . (جَامِعُ بَيَانِ الْعِلْمِ وَفَضْلِهِ لِابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ 92/2)

- وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ : الْعِلْمُ مَا جَاءَ عَنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَيْسَ بِعِلْمٍ وَكَذَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ . (جَامِعُ بَيَانِ الْعِلْمِ وَفَضْلِهِ 29/2)

- وَقَالَ أَيْضًا : اصْبِرْ نَفْسَكَ عَلَى السُّنَّةِ ، وَقِفْ حَيْثُ وَقَفَ الْقَوْمُ ، وَاسْلُكْ سَبِيلَ السَّلَفِ الصَّالِحِ ؛ فَإِنَّهُ يَسْعُكَ مَا وَسِعَهُمْ ، وَقُلْ بِمَا قَالُوا ، وَكُفَّ عَمَّا كَفُّوا ، وَلَوْ كَانَ هَذَا خَيْرًا مِمَّا خُصِّصْتُمْ بِهِ دُونَ أَسْلَافِكُمْ ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يُدْخَرْ عَنْهُمْ خَيْرٌ خَيْرٌ لَكُمْ دُونَهم ؛ لِفَضْلِ عِنْدِكُمْ . (الشَّرِيعَةُ لِلْأَجْرِيِّ 294)

- وَقَالَ أَيْضًا : عَلَيْكَ بِأَثَارِ السَّلَفِ وَإِنْ رَفِضَكَ النَّاسُ وَإِيَّاكَ وَرَأَى الرَّجَالَ وَأَنْ زَخَرَفُوهُ لَكَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّ الْأَمْرَ يَنْجَلِي وَأَنْتَ مِنْهُ عَلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ . (الْمُدْخَلُ إِلَى السُّنَنِ 233)

- قَالَ شَاذُّ بْنُ يَحْيَى : لَيْسَ طَرِيقُ أَقْصَرُ إِلَى الْجَنَّةِ مِنْ طَرِيقِ مَنْ سَلَكَ الْأَثَارَ . (شَرْحُ أَصُولِ
إِعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ رَقْمُ 112)

- قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ : إِنَّمَا الدِّينُ بِالْأَثَارِ . (جَامِعُ بَيَانِ الْعِلْمِ وَفَضْلِهِ لِابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ 2 / 34)
قَالَ ابْنُ سِيرِينَ : مَا دَامَ عَلَى الْأَثَرِ فَهُوَ عَلَى الطَّرِيقِ . (سُنَنِ الدَّارِمِيِّ 1 / 66)

- قَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ : مَا قَلَّتِ الْأَثَارُ فِي قَوْمٍ إِلَّا كَثُرَتْ فِيهِمُ الْأَهْوَاءُ وَإِذَا قَلَّتِ الْعُلَمَاءُ ظَهَرَ فِي
النَّاسِ الْجَفَاءُ . (الْفَقِيهَةُ وَالْمُتَّفَقَةُ لِلْحَطِيبِ 1 / 383)

- مَعْنَى رِيَاضِ الصَّالِحِينَ :

قال تعالى : (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ) (الرُّومُ 15)

(فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا) بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) يَقُولُ : وَعَمِلُوا بِمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِهِ ،
وَأَنَّهُمْ عَمَّا مَهَّأَهُمْ عَنْهُ (فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ) يَقُولُ : فَهُمْ فِي الرِّيَاحِينَ وَالنَّبَاتَاتِ الْمَلْتَمَةِ ،
وَبَيْنَ أَنْوَاعِ الزَّهْرِ فِي الْجَنَانِ يُسْرُونَ ، وَيَلْدُذُونَ بِالسَّمَاعِ وَطَيْبُ الْعَيْشِ الرَّبِّي ، وَإِنَّمَا خَصَّ جُلُ
تَنَاوُهُ ذَكَرَ الرُّوضَةَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَ الطَّرْفَيْنِ أَحْسَنَ مَنظَرًا ، وَلَا أَطْيَبَ نُشْرًا
مِنَ الرِّيَاضِ . (تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمَنْتَرِي رَوْضَةٌ
مِنَ رِيَاضِ الْجَنَّةِ . (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (1196) وَمُسْلِمٌ (1391))

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ قَوْلُهُ : (رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ) أَيُّ : كَرَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ فِي نَزُولِ
الرَّحْمَةِ ، وَحُصُولِ السَّعَادَةِ بِمَا يُحْصَلُ مِنْ مُلَازِمَةِ حَلْقِ الدِّكْرِ ، لَا سِيمَا فِي عَهْدِهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيَكُونُ تَشْبِيهًا بِغَيْرِ أَدَاةٍ . وَ الْمُعْتَى أَنَّ الْعِبَادَةَ فِيهَا تُؤَدِّي إِلَى الْجَنَّةِ ، فَيَكُونُ
مَجَازًا . أَوْ هُوَ عَلَى ظَاهِرِهِ ، وَأَنَّ الْمُرَادَ أَنَّهُ رَوْضَةٌ حَقِيقَةٌ ، بِأَنَّهُ يَنْتَقِلُ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ بَعَيْنَهُ فِي الْأَخْرَةِ
إِلَى الْجَنَّةِ . (فَتْحُ الْبَارِي 4 / 100)

وَقَالَ ابْنُ عَاشُورٍ : الرُّوضَةُ : كُلُّ أَرْضٍ ذَاتُ أَشْجَارٍ وَمَاءٍ وَأَزْهَارٍ فِي الْبَادِيَةِ أَوْ فِي الْجَنَانِ .

وَرِيَاضُ جَمْعُ رَوْضَةٍ ، وَهِيَ الْأَرْضُ الَّتِي الْخَضْرَاءُ الْمُخْصِبَةُ . أَيُّ حَدَائِقِ وَبَسَاتِينِ وَجَنَاتِ .

وَالصَّالِحُ : الْمُسْتَقِيمُ الْمُؤَدِّي لِوَاجِبَاتِهِ . وَالْقَائِمُ بِحَقِّ اللَّهِ وَحَقِّ عِبَادِهِ .

ورِياضِ الصَّالِحِينَ . أَي إِنَّكَ سَتَدْخُلُ هَذِهِ الْحَدَائِقَ وَالْبَسَاتِينِ الْكَثِيرَةَ وَسَتَجِدُ الثَّمَارَ الطَّيِّبَةَ فِي هَذِهِ الْحَدَائِقِ وَكُلُّ ثَمَرَةٍ لَهَا رَائِحَةٌ مَعِينَةٌ فَضْلاً عَنْ طَعْمِهَا وَلَوْنِهَا وَهِيَ تَخْتَلِفُ عَنِ الْأُخْرَى ، وَكَذَلِكَ الْأَحَادِيثُ النَّبَوِيَّةُ كُلُّ حَدِيثٍ يَخْتَلِفُ عَنِ الْأُخْرَى وَلَهُ طَعْمٌ وَلَوْنٌ مَعِينٌ فَضْلاً عَنْ فَائِدَتِهِ كَالثَّمَارِ الطَّيِّبَةِ الْيَانِعَةِ ، فَهُوَ شَبُهُ الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ بِالثَّمَارِ الْمَوْجُودَةِ بِالْحَدَائِقِ وَالْبَسَاتِينِ وَالْجَنَاتِ وَالرَّوَضَاتِ .

أَقْوَالُ الْعُلَمَاءِ عَنِ كِتَابِ رِيَاضِ الصَّالِحِينَ :

قَالَ تَقِيُّ الدِّينِ اللَّخْمِيُّ (الْمُتَوَفَّى 738 هـ) : وَكِتَابُ رِيَاضِ الصَّالِحِينَ مُجَلِّدٌ ضَخْمٌ ، وَكِتَابُ الْأَذْكَارِ ، وَهُمَا جَلِيلَانِ ، لَا يَسْتَعْنِي مَسْلَمٌ عَنْهُمَا . (تَرْجَمَةُ الشَّيْخِ مُحَمَّدِي الدِّينِ يَحْيَى الْحَزَامِي النَّوَوِيِّ الدِّمَشْقِيِّ الشَّافِعِيِّ ص 49) .

وَقَالَ شَمْسُ الدِّينِ السَّخَاوِيُّ (الْمُتَوَفَّى 902 هـ) : رِيَاضِ الصَّالِحِينَ ، وَالْأَذْكَارُ ، قُلْتُ : وَهُمَا جَلِيلَانِ لَا يَسْتَعْنِي عَنْهُمَا . (الْمَثَلِ الْعَدَبِ الرَّوِّي 73) .

قَالَ شَمْسُ الدِّينِ الدَّهَبِيُّ (الْمُتَوَفَّى 748 هـ) : فَعَلَيْكَ يَا أُخِي بِتَدَبُّرِ كِتَابِ اللَّهِ ، وَبَادِمَانِ النَّظَرِي الصَّحِيحَيْنِ ، وَسُنَنِ النَّسَائِيِّ ، وَرِيَاضِ النَّوَاوِيِّ ، وَإِذْكَارِهِ ، تَفْلِحُ ، وَتَنْجَحُ . (سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ 19/34) وَقَالَ شَمْسُ الدِّينِ الْعُثْمَانِيُّ (الْمُتَوَفَّى 800 هـ) : وَالْأَذْكَارُ ، وَرِيَاضِ الصَّالِحِينَ ، وَهُمَا كِتَابَانِ عَظِيمَانِ مِهْمَانِ . (طَبَقَاتِ الْفُقَهَاءِ الْكُبْرَى 2/711) .

وَقَالَ ابْنُ الْوَزِيرِ الْيَمَانِيُّ (الْمُتَوَفَّى 840 هـ) : فَإِذَا حَصَلَتْ لَكَ الْخُلُوعَةُ بِلُطْفِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَشَمِّرْ فِي الْعَمَلِ عَلَى مُوَافَقَةِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، وَطَالَعَ كِتَابِ الصَّالِحِينَ بَعْدَهُمَا ، وَقَدَّمَ الْكُتُبِ الصَّحِيحَةَ عَلَى غَيْرِهَا ، وَأَحْسَنُ مَا يُطَالَعُ : كِتَابُ (رِيَاضِ الصَّالِحِينَ) لِلنَّوَوِيِّ ، فَإِنَّهُ اقْتَصَرَ فِيهِ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ الصَّحِيحَةَ ، وَلَمْ يَمْرُجْهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْبِدَعِ وَالْمَذَاهِبِ . (كِتَابِ الْعُرْزَةِ ص 99) .

قَالَ الْمُرِّي رَحِمَهُ اللَّهُ : اعْتَمَدَ عَلَى الْكُتُبِ السُّنَّةِ اعْتِمَادًا كَلْبًا ، وَهَذِهِ الْكُتُبُ عَلِمْنَا مَدَارُ الدِّينِ . وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ الْعُثَيْمِينَ : رِيَاضِ الصَّالِحِينَ : الْكِتَابُ الْمُوَافِقُ لِأَسْمِهِ ، فَإِنَّهُ رِيَاضِ ، رِيَاضُ لِأَهْلِ الصَّلَاحِ ، فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْأَدَابِ الْمُرْعِيَّةِ مَا يَزِيدُ بِهِ إِيمَانَ الْعَبْدِ ، وَيَسْتَقْبِمُ بِهِ سِيرِهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَمُعَامَلَتِهِ مَعَ عِبَادِ اللَّهِ ، وَلِهَذَا كَانَ بَعْضُ النَّاسِ يَحْفَظُهُ

عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ ؛ لِمَا فِيهِ مِنَ الْمُنْفَعَةِ الْعَظِيمَةِ . (شَرْحُ رِيَاضِ الصَّالِحِينَ 3/454) .

وَقَالَ : وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ هَذَا الْكِتَابَ (رِيَاضِ الصَّالِحِينَ) كِتَابُ جَامِعِ نَافِعٍ ، وَيُصَدَّقُ عَلَيْهِ أَنَّهُ رِيَاضِ الصَّالِحِينَ ، فَفِيهِ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيحٍ ، فِيهِ أَشْيَاءٌ كَثِيرَةٌ مِنْ مَسَائِلِ الْعِلْمِ ، وَمَسَائِلِ الْأَدَابِ ، لَا تَكَادُ تَجِدُهَا فِي غَيْرِهِ . (شَرْحُ رِيَاضِ الصَّالِحِينَ 4/233) .

وَقَالَ : رِيَاضِ الصَّالِحِينَ كِتَابٌ شَامِلٌ عَامٌ ، يَنْبَغِي لِكُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَفْتَنِيهِ ، وَأَنْ يَفْرَأَهُ ، وَأَنْ يَفْهَمَ مَا فِيهِ . (شَرْحُ رِيَاضِ الصَّالِحِينَ 4/333) .

مَنْحِجُ النَّحْتِ :

لَقَدْ اِتْرَمَتْ فِي هَذَا الْكِتَابِ مِنْهَجًا عِلْمِيًّا مُحَدَّدًا يُمَكِّنُ تَلْخِيصُهُ فِي النِّقَاطِ النَّتَائِيَةِ :

أَوَّلًا : تَوْثِيقُ الْمَادَّةِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْعَزْوُ إِلَى الْمَصَادِرِ الْأَصْلِيَّةِ :

وَالْعَزْوُ لَا يَدَّ أَنْ يَكُونَ إِلَى الْمَصَادِرِ الْأَصْلِيَّةِ (لِإِرَادَةِ نُصْحِ الْأُمَّةِ) فَمَنْ أَحَالَكَ نَصْحَكَ وَمِنْ ذَكَرَ لَكَ فَائِدَةً دُونَ عَزْوٍ إِلَى صَاحِبِهَا قَصَرَ فِي هَذَا الْبَابِ وَلِذَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مِنْ بَرَكَةِ الْعِلْمِ إِضَافَةُ الْقَوْلِ إِلَى قَائِلِهِ . (شَرْحُ بُلُوغِ الْمُرَامِ عَبْدَ الْكَرِيمِ الْخَضِيرِ)

- بِالنِّسْبَةِ لِلآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ : قُمْتُ بِعَزْوِهَا إِلَى مَوْضِعِهَا مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَنْ طَرِيقِ ذِكْرِ اسْمِ السُّورَةِ وَرَقْمِ الْآيَةِ .

- بِالنِّسْبَةِ لِلْأَثَارِ : قُمْتُ بِعَزْوِهَا إِلَى مَصَادِرِهَا مِنْ كُتُبِ السَّنَةِ الْمُعْتَمَدَةِ عَنْ طَرِيقِ ذِكْرِ اسْمِ الْمَرْجِعِ الْمُحْتَوِي عَلَى الْأَثَرِ وَرَقْمِ الْجُزْءِ وَرَقْمِ الصَّفْحَةِ . مَعَ مُلَاحَظَةِ اخْتِلَافِ الطَّبَعَاتِ مِمَّا يُؤَدِّي إِخْتِلَافَ رَقْمِ الصَّفْحَةِ وَالْجُزْءِ .

وَإِخْتَصَرْتُ بَعْضَ أَسْمَاءِ الْمُرَاجِعِ مِثْلَ سَيْرِ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ (بِالسَّيْرِ) وَإِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ (بِالْإِحْيَاءِ) وَحَلِيَّةُ الْأَوْلِيَاءِ (بِالْحَلِيَّةِ) وَتَفْسِيرُ الْمَدْرِ الْمُنْتَوِرِ (بِالْمَدْرِ الْمُنْتَوِرِ) وَهَكَذَا .

- ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ بَدَأْتُ بِذِكْرِ آثَارِ السَّلَفِ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ الَّتِي وَضَعَهَا الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ فِي كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْكِتَابِ .

- ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ ذَكَرْتُ آثَارَ السَّلَفِ فِي عُنْوَانِ كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْكِتَابِ .

- ثُمَّ ذَكَرْتُ بَعْضَ آيَاتِ مِنَ الشَّعْرِ فِي كُلِّ بَابٍ إِنَّ وَجَدَ .

- ثُمَّ ذَكَرْتُ الْجَانِبَ الْعَمَلِيَّ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ فِي كُلِّ بَابٍ .

- ثُمَّ قُمْتُ بَعْدَ ذَلِكَ بِتَصْنِيفِ الْأَثَارِ بِوَضْعِ آثَارِ الصَّحَابَةِ أَوْلًا ثُمَّ تَابِعِيهِمْ ثُمَّ تَابِعِي تَابِعِيهِمْ وَهَكَذَا وَإِذَا كَانَ هُنَاكَ أَكْثَرُ مِنْ أَثَرٍ لِوَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ قُمْتُ بِوَضْعِ هَذِهِ الْأَثَارِ مُرْتَبَةً بِبَعْضِهَا تَحْتَ بَعْضٍ حَتَّى لَا يَتَشَبَّهَ ذَهْنُ الْقَارِي .

- بَيَانُ مَعَانِي الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ : اعْتَمَدْتُ عَلَى الْمَعْجِمِ اللَّغَوِيِّ لِبَيَانِ مَعَانِي مَا وَجَدْتُهُ مِنْ كَلِمَاتٍ غَرِيبَةٍ فِي الْأَثَارِ وَرَأَيْتُ أَنَّهَا تَحْتَاجُ إِلَى بَيَانٍ مَعْنَاهَا .

- بِالنِّسْبَةِ لِلْأَحْكَامِ الْفِقْهِيَّةِ : لَمْ أَذْكَرْ حُكْمًا فِقْهِيًّا إِلَّا وَعَزَوْتُهُ إِلَى مَصْدَرِهِ مِنَ الْمَرَاجِعِ الْفِقْهِيَّةِ مَعَ ذِكْرِ الرَّأْيِ الرَّاجِحِ وَرَقَمَ الْجُزْءَ وَرَقَمَ الصَّفْحَةَ .

- اِلْتَزَمْتُ فِي الْكِتَابِ عَدَمَ الشَّرْحِ أَوْ التَّعْلِيقِ وَكَتَفَيْتُ بِذِكْرِ آثَارِ وَمَوَاقِفِ السَّلَفِ .

- قُمْتُ بِتَحْدِيدِ نَوْعِ الْخَطِّ فِي كُلِّ الْكِتَابِ . عَدَا الْعَنَاوِينَ الرَّئِيسِيَّةَ .

ثَانِيًا : التَّمْحِصُ وَالْتَّرْجِيحُ :

- لَمْ اَلْتَزِمُ فِيهِ مَذْهَبًا مُعَيَّنًا وَلَمْ اَنْتَصِرْ لِرَأْيِ دُونَ رَأْيٍ وَلَكِنْ عَرَضْتُ أَقْوَالَ وَأَرَءِ السَّلَفِ فِي كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْكِتَابِ وَتَرَكْتُ لِلْقَارِي أَنْ يَخْتَارَ مَا يُنَاسِبُهُ وَتَبَّتْ صِحَّتُهُ .

ثَالِثًا : الْأَبْحَازُ فِي مَوْضِعِهِ وَالتَّفْصِيلُ فِي مَوْضِعِهِ :

فَلَقَدْ حَاوَلْتُ جَاهِدًا أَنْ اُخْتَصِرَ مِنْ آثَارِ السَّلَفِ حَتَّى أَقِلَّ مِنْ عَدَدِ صَفَحَاتِ الْكِتَابِ وَلَكِنْ لَمْ اَسْتَطِعْ أَنْ اُخْتَصِرَ أَوْ اُحْدَفَ شَيْئًا مِنْ كَلَامِهِمْ نَظْرًا لِمَا يَحْتَوِيهِ كَلَامُ السَّلَفِ مِنْ أَنْوَارٍ وَأَسْرَارٍ وَفِيهِمْ عَمِيقٌ وَلَكِنْ تَرَكْتُ مَا جَمَعْتُهُ مِنْ آثَارِ وَمَوَاقِفَ حَتَّى يَسْتَفِيدَ مِنْهُ الْقَارِي . وَحَتَّى عَلَى الرَّغْمِ مِنْ تَشَابُهِهِ بَعْضِ الْأَثَارِ لَمْ اَسْتَطِعْ حَذْفُ أَيِّ مِنْهَا فَهَذَا التَّشَابُهُ وَالتَّكَرُّرُ يَدُلُّ عَلَى تَأْكِيدِ الْمَعْنَى . وَلِأَنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّعْبِ عَلَى بَعْدَمَا عِشْتُ طِيلَةَ الثَّلَاثِ سَنَوَاتٍ وَسَطِ هَؤُلَاءِ الْأَكَابِرِ أَنْ يَقُومَ مِثْلِي بِحَذْفِ أَوْ اِخْتِصَارِ شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأَثَارِ .

رَابِعًا: الْأَنْوَابُ وَالْفَتَاوَى:

- قُمْتُ بِعَمَلِ فَيْهْرِسِي لِلْكِتَابِ مُبَيَّنًا فِيهِ الْكُتُبُ وَالْأَنْوَابُ وَالْمَصَادِرُ وَالْمُرَاجِعُ .
وَكَتَفَيْتُ بِذِكْرِهِمُ الْمَصَادِرَ وَالْمُرَاجِعَ .

كُتِبَهُ

أَبُو مُحَمَّدٍ مُحَمَّدٌ مُحَمَّدٌ مُحَمَّدٌ بَدْرٌ

جُمْهُورِيَّةِ مِصْرِ الْعَرَبِيَّةِ

مُحَافَظَةُ الْقَلِيُوبِيَّةِ - شَبْرَا الْخِيْمَةُ

EMAIL - m.badr75@yahoo.com

01011471502

01149345632

مُقَدِّمَةُ الْمُؤَلَّفِ (الإمام النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى)

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، الْعَزِيزِ الْعَفَّارِ، مُكَوِّرِ اللَّيْلِ عَلَى النَّهَارِ، تَذَكِّرَةُ لِأُولِي الْقُلُوبِ وَالْأَبْصَارِ، وَتَبْصِرَةُ لِدَوَى الْأَلْبَابِ وَالْإِعْتِبَارِ، الَّذِي أَبْقَى مِنْ خَلْقِهِ مِنْ إِصْطَفَائِهِ فَرَاهِمَهُمْ فِي هَذِهِ الدَّارِ، وَشَغَلَهُمْ بِمُرَاقَبَتِهِ وَإِدَامَةِ الْأَفْكَارِ، وَمَلَازِمَةَ الْإِتْعَاطِ وَالِادِّكَارِ. وَوَفَّقَهُمْ لِلدَّابِّ فِي طَاعَتِهِ، وَالتَّاهُبِ لِدَارِ الْقَرَارِ، وَالْحَذَرِ مِمَّا يُسْخِطُهُ وَيُوجِبُ دَارَ الْبَوَارِ، وَالْمَحَافَظَةَ عَلَى ذَلِكَ مَعَ تَغَايُرِ الْأَحْوَالِ وَالْأَطْوَارِ. أَحْمَدُهُ أَبْلَغَ حَمْدٍ وَأَرْكَأَهُ وَأَشْمَلِهِ وَأَنْمَاهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْبَرُّ الْكَرِيمُ، الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَحَبِيبُهُ وَخَلِيلُهُ، الْهَادِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَالِدَاعِي إِلَى دِينٍ قَوِيمٍ. صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى سَائِرِ النَّبِيِّينَ، وَالْأَنْبِيَاءِ، وَالرُّسُلِ، وَالصَّالِحِينَ.

أَمَّا بَعْدُ: فَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونِ [الدَّارِيَاتُ: 56، 75] وَهَذَا تَصْرِيحٌ بِأَنَّهُمْ خَلَفُوا لِلْعِبَادَةِ، فَحَقُّ عَلَيْهِمُ الْإِعْتِنَاءُ بِمَا خَلَقُوا لَهُ وَالْإِعْرَاضُ عَنْ حُطُوطِ الدُّنْيَا بِالزُّهَادَةِ، فَإِنَّهَا دَارُ نَفَادٍ لَا مَحَلَّ لِإِخْلَادِ، وَمُرْكَبٌ عُبُورٌ لَا مَنَزَلَ حُبُورٍ، وَمَشْرُوعٌ إِنْصِمَامٍ لَا مَوْطِنَ دَوَامٍ. فَلِهَذَا كَانَ الْأَيْقَاطُ مِنْ أَهْلِهَا هُمُ الْعِبَادُ، وَأَعْقَلُ النَّاسِ فِيهَا هُمُ الزُّهَادُ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْن بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [يُونُسُ: 24] وَالْآيَاتُ فِي هَذَا الْمَعْنَى كَثِيرَةٌ. وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْقَائِلُ:

إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا فَطِنًا طَلَفُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الْفِتْنَا

نَظَرُوا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا أَنَّهَا لَيْسَتْ لِجِيٍّ وَطِنًا

جَعَلُوهَا لُجَّةً وَاتَّخَذُوا صَالِحَ الْأَعْمَالِ فِيهَا سَفِنًا

فَإِذَا كَانَ حَالُهَا مَا وَصَفْتُهُ، وَحَالُنَا وَمَا خَلَقْنَا لَهُ مَا قَدَّمْتُهُ، فَحَقُّ عَلَى الْمَكْلَفِ أَنْ يَذْهَبَ بِنَفْسِهِ مَذْهَبَ الْأَخْيَارِ، وَيَسْلُكَ مَسْلُكَ أَوْلَى النَّهْيِ وَالْأَبْصَارِ، وَيَتَأَهَّبُ لِمَا أَشْرَتْ إِلَيْهِ، وَهَيِّئَ بِمَا نَهَتْ عَلَيْهِ. أَصَوَّبَ طَرِيقَ لَهُ فِي ذَلِكَ، وَأَشَدُّ مَا يَسْلُكُهُ مِنَ الْمَسَالِكِ: التَّأَدُّبُ بِمَا صَحَّ عَنْ نَبِيِّنَا سَيِّدِ الْأَوْلِيَيْنِ وَالْآخِرِينَ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: { وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى } [الْمَائِدَةِ: 2] وَقَدْ صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: " وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ " وَأَنَّهُ قَالَ: " مِنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْئًا " وَأَنَّهُ قَالَ لِعَلِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

: " فُوَاللَّهِ لَأَنَّ يَهْدِي اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ " .

فَرَأَيْتُ أَنَّ أَجْمَعَ مُحْتَصِرًا مِنَ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ ، مُشْتَمَلًا عَلَى مَا يَكُونُ طَرِيقًا لِصَاحِبِهِ إِلَى الْآخِرَةِ ، وَمُحْصَلًا لِأَذَابِهِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ ، جَامِعًا لِلتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ وَسَائِرِ أَنْوَاعِ آدَابِ السَّالِكِينَ : مِنْ أَحَادِيثِ الزُّهْدِ ، وَرِيَاضَاتِ النُّفُوسِ ، وَتَهْدِيْبِ الْأَخْلَاقِ ، وَطَهَارَاتِ الْقُلُوبِ وَعِلَاجِهَا ، وَصِيَانَةِ الْجَوَارِحِ وَإِزَالَةِ اعْوَجَاجِهَا ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ مَقَاصِدِ الْعَارِفِينَ .

وَالْتَزِمُ فِيهِ أَنْ لَا أَدْكُرُ إِلَّا حَدِيثًا صَحِيحًا مِنْ الْوَاضِحَاتِ ، مُضَافًا إِلَى الْكُتُبِ الصَّحِيحَةِ الْمَشْهُورَاتِ ، وَأَصْدَرَ الْأَبْوَابِ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ بِآيَاتِ كَرِيمَاتِ ، وَأَوْشَحَ مَا يَحْتَاجُ إِلَى ضَبْطٍ أَوْ شَرْحٍ مَعْنَى خَفِيٍّ بِنَفَائِسَ مِنَ التَّنْبِيْهَاتِ . وَإِذَا قُلْتُ فِي آخِرِ حَدِيثٍ : مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ، فَمَعْنَاهُ : رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ . وَأَرْجُو أَنْ تَمَّ هَذَا الْكِتَابُ أَنْ يَكُونَ سَائِقًا لِلْمُعْتَبِرِ بِهِ إِلَى الْخَيْرَاتِ ، حَاجِرًا لَهُ عَنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ وَالْمُهْلِكَاتِ . وَأَنَا سَائِلٌ أَخَا إِنْتَفَعَ بِشَيْءٍ مِنْهُ أَنْ يَدْعُو لِي ، وَلِوَالِدِي ، وَمَشَائِخِي ، وَسَائِرِ أَحْبَابِنَا ، وَالْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ ، وَعَلَى اللَّهِ الْكَرِيمِ اعْتِمَادِي ، وَإِلَيْهِ تَفْوِيْضِي وَاسْتِنَادِي ، وَحَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1- باب الإخلاص وإحضار النبوة

في جميع الأعمال والأقوال والأحوال البارزة والخفية

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ [البينة : 5] وَقَالَ تَعَالَى : لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤَهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ [الحج : 37] وَقَالَ تَعَالَى : قُلْ إِنْ تُحِبُّوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَرُوهُ يُعَلِّمُهُ اللَّهُ [آل عمران : 29]

1- وَعَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي حَفْصِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ بْنِ نُفَيْلِ بْنِ عَبْدِ الْعَزْزِيِّ بْنِ رِيَّاحِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُرْطُظٍ بْنِ رِزَّاحِ بْنِ عَبْدِ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ الْقُرَشِيِّ الْعَدَوِيِّ . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هَجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا ، أَوْ امْرَأَةٍ يَتَكْحَمُهَا فَهَجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ » مُتَّفَقٌ عَلَى صِحَّتِهِ . رَوَاهُ إِمَامَا الْمُحَدِّثِينَ : أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُغِيرَةَ بْنِ بَرْدِزْبَةَ الْجُعْفِيُّ الْبُخَارِيُّ ، وَأَبُو الْحُسَيْنِ مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسْلِمِ الْقَشِيرِيُّ النَّيْسَابُورِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي صَحِيحَيْهِمَا اللَّذَيْنِ هُمَا أَصْحُ الْكُتُبِ الْمُصَنَّفَةِ .

2- وَعَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «يَغْزَوُ جَيْشُ الْكَعْبَةِ فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءٍ مِنَ الْأَرْضِ يُخَسَفُ بِأَوْلِيهِمْ وَأَخْرِهِمْ» . قَالَتْ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَيْفَ يُخَسَفُ بِأَوْلِيهِمْ وَأَخْرِهِمْ وَفِيهِمْ أَسْوَأُهُمْ وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ ؟ قَالَ : «يُخَسَفُ بِأَوْلِيهِمْ وَأَخْرِهِمْ ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ : هَذَا لَفْظُ الْبُخَارِيِّ .

3- وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ وَإِذَا اسْتَنْفَرْتُمْ فَاَنْفِرُوا» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . وَمَعْنَاهُ : لَا هِجْرَةَ مِنْ مَكَّةَ لِأَنَّهَا صَارَتْ دَارَ إِسْلَامٍ .

4- وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزَاةٍ فَقَالَ : «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لِرَجَالًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَاِدْيَا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ حَبَسَهُمُ الْمَرْضُ» وَفِي رِوَايَةٍ : «إِلَّا شَرَكُوكُمْ فِي الْأَجْرِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ

ورواه البخاري عن أنس رضي الله عنه قال : رجعنا من غزوة تبوك مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال : «إن أقواماً خلفنا بالمدينة ما سلكنا شعباً ولا وادياً إلا وهم معنا ، حبسهم العذر» .

5- وَعَنْ أَبِي يَزِيدَ مَعْنَى بْنِ يَزِيدَ بْنِ الْأَخْنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وَهُوَ وَأَبُوهُ وَجَدَهُ صَحَابِيُونَ ، قَالَ : كَانَ

أبي يزيد أخرجه دناير يتصدق بها فوضعتها عند رجل في المسجد فجنبت فأخذتها فأثبنتها بها . فقال :
والله ما إياك أردت ، فخاصمته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «لك ما نويت يا يزيد ،
ولك ما أخذت يا معن» رواه البخاري

6- وَعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ مَالِكِ بْنِ أَهْيَبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ زُهْرَةَ بْنِ كِلَابِ بْنِ مَرَّةَ بْنِ
كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ الْقُرَشِيِّ الرَّهْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَحَدِ الْعَشْرَةِ الْمَشْهُودِ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
قال: «جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذني عام حجة الوداع من وجع اشتد بي فقلت: يا
رسول الله إني قد بلغ بي من الوجع ما ترى ، وأنا ذومالٍ ولا يرثني إلا ابنة لي ، أفأتصدق بثلثي مالي؟
قال: لا ، قلت: فالشطر يارسول الله؟ فقال: لا ، قلت فالثلث يا رسول الله؟ قال: الثلث والثلث
كثيرٌ أو كبيرٌ إنك إن تذر ورثتك أغنياء خيرٌ من أن تدرهم عائلة يتكفنون الناس ، وإنك لن تنفق
نفقةً تبغني بها وجه الله إلا أجرت علمها حتى ما تجعل في امرأتك قال: فقلت: يا رسول الله أخلف
بعد أصحابي؟ قال: إنك لن تخلف فتعمل عملاً تبغني به وجه الله إلا ازددت به درجةً ورفعةً ولعلك
أن تخلف حتى ينتفع بك أقوامٌ ويضرَّ بك آخرون . اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ، ولا تردهم على
أعقابهم ، لكن البائس سعد بن خولة « يرثي له رسول الله صلى الله عليه وسلم» أن مات بمكة»
متفق عليه

7- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ صَخْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
«إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» رواه مسلم .

8- وَعَنْ أَبِي مُوسَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسِ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سئل رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن الرجل يُقاتل شجاعاً ، ويُقاتل حميماً ويقاتل رياءً ، أي ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» متفق عليه

9- وعن أبي بكره نفيج بن الحارث التقي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا
التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار» قلت: يا رسول الله ، هذا القاتل فما بال
المقتول؟ قال: «إنه كان حريصاً على قتل صاحبه» متفق عليه .

10- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «صلاة الرجل في
جماعة تزيد على صلاته في سوقه وبيته بضعا وعشرين درجةً ، وذلك أن أحدهم إذا توضأ فأحسن
الوضوء ، ثم أتى المسجد لا يريد إلا الصلاة ، لا ينهزه إلا الصلاة ، لم يخط خطوة إلا رفع له بها
درجةً ، وخط عنه بها خطيئة حتى يدخل المسجد ، فإذا دخل المسجد كان في الصلاة ما كانت
الصلاة هي التي تحبسه ، والملائكة يصلون على أحدكم ما دام في مجلسه الذي صلى فيه ، يقولون :

اللَّهُمَّ اِرْحَمَهُ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ ، اللَّهُمَّ تُبْ عَلَيْهِ ، مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ ، مَا لَمْ يُخْدِثْ فِيهِ « متفقٌ عليه . وَهَذَا لَفْظُ مُسْلِمٍ . وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «بَهْرُهُ» هُوَ بَفَتْحِ الْيَاءِ وَالْهَاءِ وَبِالزَّيِّ : أَي يُخْرِجُهُ وَيُنْهَضُهُ .

11- وَعَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِيمَا يَرَوَى عَنْ رَبِّهِ ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ : «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَّ ذَلِكَ : فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ إِلَى أضعافٍ كَثِيرَةٍ ، وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً ، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً» متفقٌ عليه

12- وعن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا يُنجيكم من الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم . قال رجلٌ منهم : اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران ، وكنت لأغيبُ قبلهما أهلاً ولا مالاً فنأى بي طلبُ الشجر يوماً فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين ، فكرهت أن أوقظهما وأن أغيب قبلهما أهلاً أو مالاً، فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر والصبية يتضاغون عند قدمي فاستيقظا فسرّبا غبوقهما . اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عني ما نحن فيه من هذه الصخرة ، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج منه . قال الآخر: اللهم إنه كانت لي ابنة عم كانت أحب الناس إليّ» وفي رواية : «كنت أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء ، فأردتها على نفسها فامتنعت مني حتى أملت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسي ففعلت ، حتى إذا قدرت عليها « وفي رواية : « فلما فعدت بين رجليها ، قالت : اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه ، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إليّ وتركت الذهب الذي أعطيتها ، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عني ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها . وقال الثالث : اللهم إني استأجرت أجراً وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فتمرت أجره حتى كثرت منه الأموال فجائني بعد حين فقال يا عبد الله أد إليّ أجري ، فقلت : كل ما ترى من أجرك : من الإبل والبقر والغنم والرقيق فقال: يا عبد الله لا تستنزني بي ، فقلت : لا أستنزني بك ، فأخذته كله فاستاقه فلم يترك منه شيئاً ، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عني ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون « متفقٌ عليه .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية :

قال ابن عباس : حنفاء على دين إبراهيم عليه السلام . قال سعيد بن جبير : الحنيف : من اختن وحج . قال أهل اللغة : وأصله أنه تحنف إلى الإسلام . أي مال إليه . (تفسير القرطبي 20 / 181)

عن قتادة قوله : (وذلك دين القيمة) هو الدين الذي بعث الله به رسوله وشرع لنفسه ورضي به . قال ابن زيد في قوله : (كتب قيمة) (وذلك دين القيمة) قال : هو واحد ; قيمة : مستقيمة معتدلة . (تفسير الطبري 24 / 541)

قال النضر بن شميل : سألت الخليل بن أحمد عن قوله : وذلك دين القيمة ؟ فقال : القيمة : جمع القيم والقيم والقائم واحد ومجاز الآية : وذلك دين القائمين لله بالتوحيد . (البغوي 8 / 496)

عن ابن جريج قال : كان أهل الجاهلية ينضحون البيت بلحوم الإبل ودماؤها ، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : فنحن أحق أن ننضح ، فأنزل الله : (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) أي : يتقبل ذلك ويجزي عليه . (تفسير ابن كثير 5 / 431)

قال ابن عباس : كان أهل الجاهلية يضرجون البيت بدماء البدن ، فأراد المسلمون أن يفعلوا ذلك فنزلت الآية . والنيل لا يتعلق بالبراء تعالى ، ولكنه عبر عنه تعبيراً مجازياً عن القبول المعنى : لن يصل إليه . وقال ابن عباس : لن يصعد إليه . ابن عيسى : لن يقبل لحومها ولا دماؤها ، ولكن يصل إليه التقوى منكم ؛ أي ما أريد به وجهه فذلك الذي يقبله ويرفع إليه ويسمعه ويثيب عليه . (تفسير القرطبي 12 / 62)

عن إبراهيم في قول الله : (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) قال : ما أريد به وجه الله . (تفسير الطبري 18 / 641)

عن السدي قال : أخبرهم أنه يعلم ما أسروا من ذلك وما أعلنوا ، فقال : إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه . (تفسير الطبري 6 / 318)

قال الحسن البصري : من رآفته بهم حذرهم نفسه . وقال غيره : أي رحيم بخلقه يحب لهم أن يستقيموا على صراطه المستقيم ودينه القويم وأن يتبعوا رسوله الكريم . (تفسير ابن كثير 2 / 31)

عن قتادة : يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً . يقول : موفراً . (الدر المنثور 3 / 507)

الآثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

كتب عمر بن الخطاب : إلى أبي موسى الأشعري فمن خلصت نيته في الحق ، ولو على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تزين بما ليس في نفسه شأنه الله عزوجل فإن الله عزوجل لا يقبل من العبد إلا ما كان له خالصا . (منهاج السنة / 6 / 71)

قال عمر بن الخطاب : أفضل الأعمال أداء ما افترض الله تعالى والورع عما حرم الله تعالى وصدق النية فيما عند الله تعالى . (إحياء علوم الدين / 4 / 364)

قال عمر بن الخطاب : لا عمل لمن لا نية له ولا أجر لمن لا حسبة له . (جامع العلوم والحكم / 70)

قال ابن مسعود رضي الله عنه : لا ينفع قول إلا بعمل ولا ينفع قول وعمل إلا بنية ولا ينفع قول وعمل ونية إلا بما افقه السنة . (الإبانة لابن بطة / 2 / 803)

قال ابن مسعود : لا تعلموا العلم لثلاث لتماموا به السفهاء أو لتجادلوا به الفقهاء أو لتصرفوا به وجوه الناس إليكم وابتغوا بقولكم وفعلكم ما عند الله فإنه يبقى ويذهب ما سواه . (جامع العلوم والحكم / 78)

قال ابن مسعود : إن الله لا يقبل من مسمع ولا مرء ولا لاعب ولا داع إلا داعيا دعاء ثبتا من قلبه . (الزهد لنعيم بن حماد / 88)

وقال أبو هريرة : مكتوب في التوراة ما أريد به وجبي فقليله كثير وما أريد به غيري فكثيره قليل . (إحياء علوم الدين / 4 / 364)

وقال أبو هريرة : يبعثون يوم القيامة على قدر نياتهم . (إحياء علوم الدين / 4 / 364)

قال ابن عباس : إنما يحفظ الرجل على قدر نيته . (الجامع للخطيب / 2 / 257 رقم 1780)

قال أبي موسى الأشعري : نية المؤمن خير من عمله وإن الله ليعطي العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله وذلك أن النية لا رياء فيها والعمل يخالطه . (الفردوس بمأثور الخطاب / 4 / 286)

وقال رجل لتميم الداري : ما صلاتك بالليل ؟ فغضب غضبا شديدا ثم قال : والله لركعة أصلها في جوف الليل في سر أحب إلي من أن أصلي الليل كله ثم أقصه على الناس . (صفه الصفوة / 1 / 290)

قال الزبير بن العوام : من استطاع أن تكون له خبيثة من عمل صالح فليفعل . (الزهد لأبي داود

قال معاذ بن جبل : أما أنا فأناام و أقوم فأحتسب نومتي كما احتسب قومتي . (البخاري 4088)

وكتب سالم بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز : اعلم أن عون الله تعالى للعبد على قدر النية فمن تمت نيته تم عون الله له وإن نقصت نقص بقدره . (إحياء علوم الدين 4 / 364)

قال الحسن البصري : إن كان الرجل جمع القرآن وما يشعر به الناس وإن كان الرجل قد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزوار وما يشعرون به ولقد أدركت أقواما ما كانوا على عمل يقدرون أن يعملوه في السر فيكون علانية أبدا . (الزهد لابن المبارك 45)

قال الحسن البصري : إن كان الرجل ليجلس المجلس فتجيئه عبرته فيردها فإذا خشي أن تسبقه قام وذهب وبكى في الخارج . (الزهد لأحمد رقم 1496)

قال الحسن : لا يزال العبد بخير إذا قال قال الله وإذا عمل يعمل لله . (مصنف بن أبي شيبة 391/19)

وقال الحسن : إنما خلد أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار بالنيات . (الإحياء 4 / 364)

وقال سفيان الثوري : البكاء عشرة أجزاء تسعة لغير الله وواحد لله فإذا جاء الذي لله في السنة مرة فهو كثير . (حلية الأولياء 7 / 11)

قال سفيان الثوري : ما ضعف بدن قط عن مبلغ نيته فقدموا النية ثم اتبعوها . (الحلية 7 / 54)

وقال أيضا : ما عالجت شيئا أشد على من نيتي لأنها تنقلب علي . (جامع العلوم والحكم 12)

وقال الثوري : كانوا يتعلمون النية للعمل كما تتعلمون العمل . (إحياء علوم الدين 4 / 364)

وقال الثوري لعلي بن الحسن : اعمل بنيه وكل بنيه واشرب بنيه . (حلية الأولياء 7 / 48)

عن ابن المبارك قال سألت سفيان الثوري عن الرجل يصلي أي شيء ينوي بصلاته قال ينوي أن ينجي ربه . (حلية الأولياء 7 / 60)

وقال عبد الله بن المبارك : رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره النية .

(جامع العلوم والحكم 71)

وقال أيضا : أنو في كل شيء تريده الخير حتى خروجك إلى الكناسة (موضع إلقاء القمامة) .

(جامع العلوم والحكم 70)

قال ابن المبارك : سمعت جعفر بن حيان يقول : ملاك هذه الأعمال النيات فإذا الرجل يبلغ بنيته ما لا يبلغ بعمله . (الزهد لابن المبارك 1 / 199)

وقال الفضيل بن عياض : إنما يريد الله منك نيتك وإرادتك . (جامع العلوم والحكم 71)

قال الفضيل بن عياض : أدركنا أناس يراءون بما يعملون فصاروا الآن يراءون بما لا يعملون . (إحياء علوم الدين 3 / 296 - 297)

قال محمد بن واسع : أن كان الرجل ليبيكي عشرين سنة وامرأته لا تعلم . (حلية الأولياء 2 / 47)

وقال أيضا : لقد أدركت رجالا كان الرجل يكون رأسه مع رأس امرأته في وسادة واحدة قد بل ما تحت خده من دموعه لا تشعر به امرأته ولقد أدركت رجالا يقوم أحدهم في الصف فتسيل دموعه على خده ولا يشعر به الذي إلى جنبه . (حلية الأولياء 2 / 347)

وقال الإمام مالك : من أحب أن يفتح له فرجة في قلبه وينجو من غمرات الموت وأهوال يوم القيامة فليكن عمله في السر أكثر منه في العلانية . (ترتيب المدارك وتقريب المسالك 2 / 51)

وروى أنه لما ألف مالك موطنه قيل له : ما الفائدة في تصنيفك ؟ فقال : ما كان لله بقي . (الرسالة المستطرفة 9)

يقول أبو سليمان الداراني رحمه الله : لما سئل عن أقرب أحوال العبد من الله ؟ فقال : أن يطلع على قلبك وأنت لا تريد من الدنيا والآخرة إلا هو . (روضة المحبين ونزهة المشتاقين 439)

وقال أيضا : من عمل شيئا من أنواع الخير بلا نية ، أجزأته النية الأولى حين اختار الإسلام على الأديان كلها لأن هذا العمل من سنن الإسلام ومن شعائر الإسلام . (حلية الأولياء 9 / 271)

وقال : ما أوتي من أوتي إبليس ، وقارون ، وبلعام ؛ إلا لأن أصل نياتهم على غش فرجعوا إلى الغش الذي قام في قلوبهم ، والله أكرم من أن يمن على عبد بصدق ثم يسلبه . (حلية الأولياء 9 / 284)

قال أحمد بن أبي الحواري : قلت لأبي سليمان الداراني : إني قد غبطت بني إسرائيل قال : بأي شيء ويحك ؟ قلت : بثمان مائة سنة وبأربعمائة سنة حتى يصيروا كالشنان البالية (القربة الخلق) والحنايا (كل ما فيه اعوجاج من البدن كالضلع) وكالأوتار قال : ما ظننت إلا أنك قد جئت بشيء ! لا والله ما يريد الله منا أن تيبس جلودنا على عظامنا ولا يريد منا إلا صدق النية فيما عنده هذا

إذا صدق في عشرة أيام نال ما نال ذاك في عمره . (الحلية تهذيبه 3 / 186)

يقول الربيع بن خثيم موصيا تلاميذه : السرائر السرائر اللاتي يخفين على الناس وهي عند الله بواد التمسوا دواءهن ! قيل : وما دواؤهن ؟ قال : أن تتوب ثم لا تعود . (الزهد لأحمد 271)

قالت سرية الربيع بن خثيم : كانت أعمال الربيع سرا إن كان ليحيى الرجل وقد نشر المصحف فيغطيه بثوبه . (صفة الصفوة 1 / 313)

وقال الربيع بن خثيم : كل ما لا يراد به وجه الله يضمحل . (سير أعلام النبلاء 4 / 259)

وقال مطرف بن عبد الله : صلاح القلب بصلاح العمل وصلاح العمل بصلاح النية .

(الإخلاص والنية لابن أبي الدنيا 733)

وكان مطرف يقول : من صفا صفي له ومن خلط خلط عليه . (إحياء علوم الدين 4 / 378)

عن داود بن محمد : إنه سمع أبا عبد النباحي يقول خمس خصال بها تمام العمل : الإيمان بمعرفة الله ومعرفة الحق وإخلاص العمل لله والعمل على السنة وأكل الحلال فإن فقدت واحدة لم يرتفع العمل وذلك أنك إذا عرفت الله ولم تعرف الحق لم تنتفع وإذا عرفت الحق ولم تعرف الله لم تنتفع وإن عرفت الله وعرفت الحق ولم تخلص العمل لم تنتفع وإن عرفت الله وعرفت الحق وأخلصت العمل ولم يكن على السنة لم تنتفع وإن تمت الأربع ولم يكن الأكل من حلال لم تنتفع .

(الإخلاص والنية لابن أبي الدنيا ص 32 رقم 2)

قال يحيى بن أبي كثير : أن الملك ليصعد بعمل العبد مبهتجا إلى الله تعالى فيقول الله تعالى : اجعلوه في سجين أني لم أرد بهذا العمل . (الحلية تهذيبه 1 / 455)

قال عبد الله بن داود : كانوا يستحبون أن يكون للرجل خبيثة من عمل صالح لا تعلم به زوجته ولا غيرها . (تهذيب الكمال في أسماء الرجال 14 / 464)

وقال بلال بن سعد : إن العبد ليقول قول مؤمن فلا يدعه الله عز وجل وقوله حتى ينظر في عمله فإذا عمل لم يدعه الله حتى ينظر في ورعه فإن تورع لم يدعه حتى ينظر ماذا نوى فإن صلحت نيته فبالحرى أن يصلح ما دون ذلك . (إحياء علوم الدين 4 / 364)

قال إبراهيم النخعي : إن الرجل ليتكلم بالكلام على كلامه المقنت ينوي به الخير فيلقي الله له العذر في قلوب الناس حتى يقولوا ما أراد بكلامه إلا الخير وإن الرجل ليتكلم الكلام الحسن لا يريد به

الخير فيلقي الله في قلوب الناس حتى يقولوا ما أراد بكلامه الخير. (حلية الأولياء 4 / 229)

قال عبد الرحمن بن مهدي : كنت أجلس يوم الجمعة فإذا كثرت الناس فرحت وإذا قلوا حزنت فسألت بشر بن منصور فقال : هذا مجلس سوء فلا تعد إليه فما عدت إليه . (السير 9/196)

عن يحيى بن عتيق قال : قلت لمحمد بن سيرين : الرجل يتبع الجنابة ، لا يتبعها حسبة يتبعها حياء من أهلها له في ذلك أجر؟ قال : أجر واحد بل له أجران أجر لصلاته على أخيه وأجر لصلته الحي . (حلية الأولياء 2 / 264)

قال المعافي بن عمران : قال رجل لمحمد بن النضر : أين أعبد الله ؟ قال : أصلح سريرتك واعبده حيث شئت . (الحلية (تهذيبه) 3 / 50)

قال يوسف بن أسباط : تخليص النية من فسادها أشد على العاملين من طول الاجتهاد وقال إيثار الله عزوجل أفضل من القتل في سبيله. (جامع العوم والحكم 70)

قال يوسف بن الحسين : أعز شيء في الدنيا الإخلاص وكم اجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي وكأنه ينبت فيه على لون آخر. وقال سهل بن عبد الله : ليس على النفس شيء أشق من الإخلاص لأنه ليس لها فيه نصيب . (جامع العلوم والحكم 85)

قال السري السقطي : تصفية العمل من الآفات أشد من العمل . (حلية الأولياء 3 / 287)

سئل الإمام أحمد بن حنبل عن الصدق والإخلاص فقال : بهذا ارتفع القوم الإخلاص مسك القلب وماء حياته ومدار الفلاح كله . (الآداب الشرعية لابن مفلح)

وسئل مرة عن الإخلاص فقال : اذهب إلى الزهاد أي شيء نحن تجيء إلينا ؟ وجاء إليه رجل فمسح يده على ثيابه ومسح بهما وجهه فغضب الإمام أحمد وأنكر ذلك أشد الإنكار وقال : عمم أخذتم هذا الأمر؟ . (الحكم الجديدة بالإذاعة لابن رجب 47)

قال شهر بن حوشب : إذا حدث الرجل القوم ، فإن حديثه يقع من قلوبهم موقعه من قلبه . (الحلية (تهذيبه) 2 / 263)

قال زبيد الياحي : إني لأحب أن تكون لي نية في كل شيء حتى في الطعام والشراب . وقال داود الطائي : رأيت الخير كله إنما يجمعه حسن النية وكفاك به وإن لم تنصب . وقال ابن عجلان : لا يصلح العمل إلا بثلاث : التقوى لله والنية الحسنة والإصابة . (جامع العلوم والحكم 70)

قال أبو عبد الله بن عطاء : العلم موقوف على العمل به والعمل موقوف على الإخلاص والإخلاص لله يورث الفهم عن الله . (بستان العارفين 92)

قيل لنافع بن جبير : ألا تشهد الجنائز ؟ قال كما أنت حتى أنوي ففكر هنيئة ثم قال امض . (الإخلاص والنية لابن أبي الدنيا رقم 67)

وقال مكحول : ما أخلص عبد قط أربعين يوما إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه ولسانه . (مدارج السالكين 2 / 92)

وقال يحيى أبي كثير : تعلموا النية فإنها أبلغ من العمل . (حلية الأولياء 3 / 70)

قال عمرو بن ذر : ربما قيل لإبراهيم التيمي تكلم فيقول : ما تحضرني نية . (حلية الأولياء 4 / 211)

كان معروف الكرخي يضرب نفسه ويقول : يا نفس أخلصي تتخلصي . وقال يحيى بن معاذ : الإخلاص يميز العمل من العيوب كتمييز اللبن من الفرث والدم . وقال سليمان : طوبى لمن صححت له خطوة واحدة لا يريد بها إلا الله تعالى . (إحياء علوم الدين 4 / 378)

قال نعيم بن حماد : ضرب الشياطين أهون علينا من النية الصالحة . (الإخلاص والنية)

قال أبو عثمان المغربي : الإخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق . (بستان العارفين 7 / 1)

قال الشافعي : وددت أن الخلق تعلموا هذا يقصد علمه على أن لا ينسب إلى حرف منه . (المجموع شرح المهذب 54)

قال سعيد بن المسيب : من هم بصلاة أو صيام أو عمرة أو حج أو شيء من الخير ثم لم يفعل كان له ما نوى . (حلية الأولياء 8 / 52)

قال إبراهيم بن أدهم : ما صدق الله أحد أحب الشهرة . (سير أعلام النبلاء 13 / 439)

قال الربيع بن أنس : علامة الدين الإخلاص لله وعلامة العلم خشية الله . (الإخلاص والنية 33 - 3)

قال ابن تيمية : والإخلاص لله أن يكون الله هو مقصود المرء ومراده فحينئذ تتفجر ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه . (النبوات 147)

وقال أيضا : بحسب توحيد العبد لربه وإخلاصه دينه لله يستحق كرامة الله بالشفاعة وغيرها . (الصارم المنكي 390)

وقال أيضا : ولا يحصل الإخلاص إلا بعد الزهد ولا زهد إلا بتقوى والتقوى متابعة الأمر والنهي .
(مجموع الفتاوى 1 / 94)

وقال أيضا : فإن قوة إخلاص يوسف عليه السلام كان أقوى من جمال امرأة العزيز وحسنها وحبها لها . (مجموع الفتاوى 10 / 602)

وقال أيضا : وكلما قوي إخلاص العبد كملت عبوديته . (مجموع الفتاوى 10 / 198)

وقال أيضا : فلا يكون العبد متحققا ب : إياك نعبد إلا بأصلين أحدهما متابعة الرسول والثاني الإخلاص للمعبود . (تهذيب المدارج 68)

وقال ابن القيم : فأما النية فهي رأس الأمر وعموده وأساسه وأصله الذي عليه يبني فإنها روح العمل وقائده وسائقه والعمل تابع لها يبني عليها يصح بصحتها ويفسد بفسادها ومهما يستجلب التوفيق وبعدهما يحصل الخذلان وبحسبها تتفاوت الدرجات في الدنيا والآخرة . وقد جرت عادة الله التي لا تبدل وسنته التي لا تحول أن يلبس المخلص من المهابة والنور والمحبة في قلوب الخلق وإقبال قلوبهم إليه ما هو بحسب إخلاصه ونيته ومعاملته لربه ، ويلبس المرئي اللابس ثوبي الزور من المقت والمهانة والبغضة ما هو اللائق به . فالمخلص له المهابة والمحبة وللآخر المقت والبغضاء . (إعلام الموقعين عن رب العالمين 4 / 153)

وقال أيضا : والإخلاص والتوحيد شجرة في القلب فروعها الأعمال وثمرها طيب الحياة في الدنيا والنعيم المقيم في الآخرة وكما أن ثمار الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة فثمره التوحيد والإخلاص في الدنيا كذلك . (الفوائد ص 292)

وقال أيضا : فالإخلاص هو سبيل الخلاص والإسلام هو مركب السلامة والإيمان خاتم الأمان .
(مفتاح دار السعادة 1 / 74)

وقال أيضا : لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس إلا كما يجتمع الماء والنار . (الفوائد 267)

وقال : العمل بغير إخلاص ولا اقتداء كالمسافر يملأ جرابه رملا يثقله ولا ينفعه . (الفوائد 49)

وقال أيضا : والمخلصين أطيب الناس عيشا في هذه الدنيا . (الجواب الكافي ص 66)

وقال أيضا : لو نفع العمل بلا إخلاص لما ذم الله المنافقين . (الفوائد 65)

قال ابن رجب : ومضاعفة الأجر بحسب كمال الإسلام وبكمال قوة الإخلاص في ذلك العمل .
(جامع العلوم والحكم 2 / 316)

وقال أيضا : ما ينظر المرابي إلى الخلق في عمله إلا لجهله بعظمة الخالق . (كلمة الإخلاص 31)
قَالَتْ رَابِعَةُ الْعَدَوِيَّةُ : (كِتَابُ الْفَوَائِدِ لِابْنِ الْقَيْمِ)

فَلَيْتَكَ تَحْلُو وَالْحَيَاءُ مَرِيرَةٌ *** وَلَيْتَكَ تَرْضَى وَالْأَنَامُ عَضَابُ
وَلَيْتَ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَامِرٌ *** وَبَيْنِي وَبَيْنَ الْعَالَمِينَ خَرَابُ
إِذَا صَحَّ مِنْكَ الْوَدُ فَالْكُلُّ هِينٌ *** وَكُلُّ الَّذِي فَوْقَ التُّرَابِ تُرَابُ .
فَيَا لَيْتَ شُرْبِي مِنْ وَرَادِكَ صَافِيًا *** وَشُرْبِي مِنْ مَاءِ الْفُرَاتِ سَرَابُ
مَتَى لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ رِبِيَّةٌ *** فَكُلَّ نَعِيمٍ صَدَّ عَنْكَ عَذَابُ

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

هذا علي بن الحسين زين العابدين يحمل الصدقات والطعام ليلا على ظهره ويوصل ذلك إلى بيوت الأراذل والفقراء في المدينة ، ولا يعلمون من وضعها وكان لا يستعين بخادم ولا عبد أو غيره . لئلا يطلع عليه أحد . وبقي كذلك سنوات طويلة وما كان الفقراء والأراذل يعلمون كيف جاءهم هذا الطعام . فلما مات وجدوا على ظهره أثارا من السواد فعملوا أن ذلك بسبب ما كان يحمله على ظهره فما انقطعت صدقة السر في المدينة حتى مات زين العابدين . وعن ابن عائشة قال : سمعت أهل المدينة يقولون : ما فقدنا صدقة السر حتى مات علي بن الحسين !! . (حلية الأولياء 3 / 136 - صفة الصفوة 2 / 96)

قال عبده بن سليمان المروزي : كنا سرية مع ابن المبارك في بلاد الروم ، فصادفنا العدو ، فلما التقى الصفان ، خرج رجل من العدو ، فدعا إلى البراز (أي المبارزة) فخرج إليه رجل فقتله ثم آخر فقتله ثم آخر فقتله ، ثم دعا إلى البراز ، فخرج إليه رجل ، فطارده ساعة فطعنه فقتله فزاد حم إليه الناس فنظرت فإذا هو عبد الله بن المبارك ، وإذا هويكتم وجهه بكمه فأخذت بطرف كفه فمددته فإذا هو هو . فقال : وأنت يا أبا عمرو ممن يشنع علينا !! . (سير أعلام النبلاء 8 / 395)

قال الحسن : وكنت مع ابن المبارك يوما فأتينا على سقاية والناس يشربون منها ، فدنا منها ليشرب ولم يعرفه الناس فزحموه ودفعوه فلما خرج قال لي : ما العيش إلا هكذا . يعني حيث لم نعرف ولم نوقر . (صفة الصفوة 2 / 323)

يروى أن مسلمة بن عبد الملك كان في جملة من الجند يحاصرون إحدى قلاع الروم وكانت محصنة والدخول إليها صعبا إلا من نقب فيها تخرج منه أوساخ المدينة ، فوقف مسلمة ينادي في الجند : من يدخل النقب ويزيح الصخرة التي تحبس الباب ويبكر حتى ندخل فقام رجل قد غطى وجهه بثوبه وقال أنا يا أمير الجند ودخل النقب وفتح الباب ودخل الجند القلعة فاتحين . وبعدها وقف مسلمة بين الجند ينادي عن صاحب النقب حتى يكرمه على ما فعل ، وكان يردد من الذي فتح لنا الباب فما يجيبه أحد ! فقال أقسمت على صاحب النقب أن يأتيني في أي ساعة من ليل أو نهار . فطرق باب مسلمة طارق ليلا ، فيلقاه مسلمة مستبشرا أنت صاحب النقب فقال الطارق هو يشترط ثلاثة شروط حتى تراه . قال مسلمة وما هي ؟ قال : ألا ترفع اسمه لدى الخليفة ولا تأمر له بجائزة ولا تنظر له بعين من التمييز قال مسلمة أفعل له ذلك . فقال الطارق أنا صاحب النقب وانصرف وترك جيش مسلمة ذاهبا إلى سد الثغور في أماكن أخرى . (مختصر تاريخ دمشق 273/7)

وقد اجتمع الفضيل بن عياض وسفيان الثوري يوما ، فجلسوا يتذاكرون شيئا من الرقائق ، فرق كل واحد منهم وبكى ، فقال سفيان الثوري رحمه الله : أرجو أن يكون هذا المجلس علينا رحمة وبركة فقال الفضيل بن عياض : ولكني أخاف - يا أبا عبد الله - ألا يكون أضر علينا . أأنت تخلصت إلى أحسن حديثك وتخلصت أنا إلى أحسن حديثي ، فتزينت لك وتزينت لي ؟ ! فبكى سفيان الثوري وقال : أحبيتني أحياك الله . (سير أعلام النبلاء 439 / 8)

قال عبد الرحمن بن مهدي : حج إبراهيم ابني فلقمي محمد بن يوسف رحمه الله بمكة فقال له : أقرأ أباك السلام وقل له : هن قال : فرجع إبراهيم فأخبرني بقوله قال : فصرت كذا شهرا أشبه رجل مريض من مقالة محمد فقلت : رجل مثله عسى أن يكون بلغه عني شيء أو رأى علي رأيا ، حتى قدم علينا قال : فأخذ بيدي وجعل يمشي حتى ظننت أنا لا ندرك صلاة المغرب ، فجلسنا فقلت له : يا أبا عبد الله أخبرني إبراهيم ابني عنك بكذا فقال محمد : بلغني أنك جلست تحدث الناس فقلت له : إن أحببت حلفت أن لا أحدث بحديث أبدا فقال : حدث الناس وعلمهم ولكن انظر إذا اجتمع الناس حولك كيف يكون قلبك . (الحلية (تهذيبه) 3 / 55)

قال عبد الواحد بن زيد : كنت مع أيوب السخثياني على حراء ، فعطشت عطشا شديدا ، حتى رأى ذلك في وجهي ، وقلت له قد خفت على نفسي . قال : تستر علي ؟ قلت نعم . فاستحلفني فحلفت له إلا أخبر أحدا ما دام حيا . فغمز برجله على حراء فنبع الماء فشربت حتى رويت وحملت معي من الماء . (سير أعلام النبلاء 23 / 6)

اشتهر ابن أدهم ببلد فقيل : هو في البستان الفلاني فدخل الناس يطوفون ويقولون : أين إبراهيم

بن أدهم؟ فجعل يطوف معهم ويقول: أين إبراهيم بن أدهم؟! (المدھش لابن الجوزي 415)

قال الفلاس: سمعت ابن أبي عدي يقول: صام داود بن أبي هند أربعين سنة لا يعلم به أهله كان خزازا (اشتهر بصنع ثياب العرائس) يحمل معه غداءه فيتصدق به في الطريق. (السير 6/378)

الإمام أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي الشافعي صاحب التصانيف كان قد ألف كتب في الفقه والتفسير وقيل: إنه لم يظهر شيئا من تصانيفه في حياته وجمعها في موضع فلما دنت وفاته قال لمن يثق به: الكتب التي في المكان الفلاني كلها تصنيفي وإنما لم أظهرها لأنني لم أجد نية خالصة فإذا عاينت الموت ووقعت في النزح فاجعل يدك في يدي فإن قبضت عليا وعصرتها فاعلم أنه لم يقبل مني شيء منها فأعمد إلى الكتب وألقها في دجلة وإن بسطت يدي فاعلم أنها قبلت. قال الرجل: فلما احتضر وضعت يدي في يده فبسطها فأظهرت كتبه. (سير أعلام النبلاء 18/64)

وعن مكي بن إبراهيم قال: دخلت على سفيان بن سعيد يومًا، وبين يديه رغيف، وكف زبيب - حفنة من زبيب - فقال لي: ادن يا مكي، قلت: يا أبا عبد الله، دخلت إليك غير مرة وأنت تأكل فلم تدعني قبلها، قال: اليوم حضرتني نية؛ أي ما دعاه حتى حضرته نية التقرب إلى الله بإطعامه. (حلية الأولياء 7/48)

2- باب التوبة

قَالَ الْعُلَمَاءُ: التَّوْبَةُ وَاجِبَةٌ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ. فَإِنَّ كَانَتْ الْمَعْصِيَةُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى لَا تَتَعَلَّقُ بِحَقِّ آدَمِيٍّ فَلَهَا ثَلَاثَةٌ شُرُوطٍ: أَحَدُهَا أَنْ يُقْلَعَ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، وَالثَّانِي: أَنْ يَنْدَمَ عَلَى فِعْلِهَا، وَالثَّلَاثُ: أَنْ يَعْزِمَ أَنْ لَا يَعُودَ إِلَيْهَا أَبَدًا؛ فَإِنَّ فَقَدَ أَحَدَ الثَّلَاثَةِ لَمْ تَصِحَّ تَوْبَتُهُ.

وَإِنْ كَانَتْ الْمَعْصِيَةُ تَتَعَلَّقُ بِآدَمِيٍّ فَشُرُوطُهَا أَرْبَعَةٌ: هَذِهِ الثَّلَاثَةُ وَأَنْ يَبْرَأَ مِنْ حَقِّ صَاحِبِهَا. فَإِنَّ كَانَتْ مَالًا أَوْ نَحْوَهُ رَدُّهُ إِلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ حَدًّا قَذْفِ وَنَحْوَهُ مَكَّنَهُ مِنْهُ أَوْ طَلَبَ عَفْوَهُ، وَإِنْ كَانَتْ غَيْبَةً أَسْتَجْلَهُ مِنْهَا. وَيَجِبُ أَنْ يُتُوبَ مِنْ جَمِيعِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّ تَابَ مِنْ بَعْضِهَا صَحَّتْ تَوْبَتُهُ عِنْدَ أَهْلِ الْحَقِّ مِنْ ذَلِكَ الذَّنْبِ وَبَقِيَ عَلَيْهِ الْبَاقِي. وَقَدْ تَظَاهَرَتْ دَلَالِلُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ عَلَى وَجُوبِ التَّوْبَةِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [النور: 31]، وَقَالَ تَعَالَى:

اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ [هود: 3]، وَقَالَ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً

نَصُوحًا [التحریم: 8]

- 13- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ، وَآتُوبُ إِلَيْهِ ، فِي الْيَوْمِ ، أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً » رواه البخاري .
- 14- وعن الأَعْرَبِ بْنِ يَسَارِ الْمُزَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ تَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةً » رواه مسلم .
- 15- وعن أَبِي حَمْرَةَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيِّ حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَلَّهِ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ سَقَطَ عَلَيَّ بِعِيْرِهِ وَقَدْ أَضَلَّهُ فِي أَرْضٍ فَلَاةٍ مَتَّفِقٌ عَلَيْهِ .
- وفي رواية لمسلم : « لَلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَيَّ رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِي فَلَاةٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيْسَرَ مِنْهَا ، فَأَتَى شَجْرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا ، وَقَدْ أَيْسَرَ مِنْ رَاحِلَتِهِ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ هُوِيَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ ، فَأَخَذَ بِخَطَمِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ : اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ » .
- 16- وعن أَبِي مُوسَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسِ الْأَشْعَرِيِّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنْ اللَّهُ تَعَالَى يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا » رواه مسلم .
- 17- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ » رواه مسلم .
- 18- وَعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنْ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغْرَعِرْ » رواه الترمذي وقال: حديث حسن
- 19- وَعَنْ زَيْدِ بْنِ حُبَيْشٍ قَالَ : أَتَيْتُ صَفْوَانَ بْنَ عَسَّالٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَسْأَلُهُ عَنِ الْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ فَقَالَ : مَا جَاءَ بِكَ يَا زُرُّ؟ فَقُلْتُ : ابْتِغَاءُ الْعِلْمِ ، فَقَالَ : إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضَاءً بِمَا يَطْلُبُ ، فَقُلْتُ : إِنَّهُ قَدْ حَكََّ فِي صَدْرِي الْمَسْحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ بَعْدَ الْغَائِطِ وَالْبَوْلِ ، وَكُنْتُ امْرَأً مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجِئْتُ أَسْأَلُكَ : هَلْ سَمِعْتَهُ يَذْكُرُ فِي ذَلِكَ شَيْئًا ؟ قَالَ : نَعَمْ كَانَ يَأْمُرُنَا إِذَا كُنَّا سَفْرًا أَوْ مُسَافِرِينَ أَنْ لَا نَنْزِعَ خُفَّائِنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَلِيَالِمِنَ إِلَّا مِنْ جَنَابَةٍ ، لَكِنْ مِنْ غَائِطٍ وَبَوْلٍ وَنَوْمٍ . فَقُلْتُ : هَلْ سَمِعْتَهُ يَذْكُرُ فِي الْهَوَى شَيْئًا ؟ قَالَ : نَعَمْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ ، فَبَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَهُ إِذْ نَادَاهُ أَعْرَابِي بِصَوْتٍ لَهُ جَهْوَرِيٌّ : يَا مُحَمَّدُ ، فَأَجَابَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوًا مِنْ صَوْتِهِ : « هَاؤُمُ » فَقُلْتُ لَهُ : وَيْحَكَ اغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ فَإِنَّكَ عِنْدَ

النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ نُهِيتَ عَنْ هَذَا ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا أَغْضُضُ : قَالَ الْأَعْرَابِيُّ : الْمَرْءُ يُجِبُّ الْقَوْمَ وَمَا يُلْحَقُ بِهِمْ؟ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » فَمَا زَالَ يُحَدِّثُنَا حَتَّى ذَكَرَ بَابًا مِنَ الْمَغْرِبِ مَسِيرَةَ عَرْضِهِ أَوْ يَسِيرَ الرَّأَكِبِ فِي عَرْضِهِ أَرْبَعِينَ أَوْ سَبْعِينَ عَامًا . قَالَ سُفْيَانُ أَحَدُ الرُّوَاةِ . قَبْلَ الشَّمَامِ خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مَفْتُوحًا لِلتَّوْبَةِ لَا يُغْلَقُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْهُ « رَوَاهُ الْيَزْمَنِيُّ وَغَيْرُهُ وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

20- وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ سَعْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ سِنَانِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا ، فَسَأَلَ عَنْ أَهْلِ الْأَرْضِ فُدْلًا عَلَى رَاهِبٍ ، فَأَتَاهُ فَقَالَ : إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ ؟ فَقَالَ : لَا فَقَتَلَهُ فَكَمَلَ بِهِ مِائَةٌ ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَهْلِ الْأَرْضِ ، فُدْلًا عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ فَقَالَ : إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضٍ كَذَا وَكَذَا ، فَإِنَّ بِهَا أَنْاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ تَعَالَى فَاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضٌ سُوءٌ ، فَاَنْطَلِقْ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ . فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ : جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ : إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِي فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ أَيَّ حَكَمًا فَقَالَ قَيْسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتَهُمَا كَانَ أَذْنَى فَهَوَ لَهُ ، فَجَسُوا فَوَجَدُوهُ أَذْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ « متفقٌ عليه .

وفي رواية في الصحيح : « فكَانَ إِلَى الْفَرَزِيَّةِ الصَّالِحَةِ أَقْرَبَ بِشِيرٍ ، فَجُعِلَ مِنْ أَهْلِهَا » وفي رواية في الصحيح : « فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى هَذِهِ أَنْ تَبَاعِدِي ، وَإِلَى هَذِهِ أَنْ تَقْرَبِي وَقَالَ : قَيْسُوا مَا بَيْنَهُمَا ، فَوَجَدُوهُ إِلَى هَذِهِ أَقْرَبَ بِشِيرٍ فَعَفَّرَ لَهُ » . وفي رواية : « فَنَأَى بِصَدْرِهِ نَحْوَهَا » .

21- وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ، وَكَانَ قَائِدَ كَعْبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ بَنِيهِ حِينَ عَمِيَ ، قَالَ : سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُحَدِّثُ بِحَدِيثِهِ حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ . قَالَ كَعْبُ : لَمْ أَنْخَلَفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِي غَزْوَةِ غَزَاهَا إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ ، غَيْرَ أَنِّي قَدْ تَخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ ، وَلَمْ يُعَاتَبْ أَحَدٌ تَخَلَّفَ عَنْهُ ، إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ يُرِيدُونَ عِزْفَرِيشَ حَتَّى جَمَعَ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ . وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ حِينَ تَوَاقَفْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ ، وَمَا أَحْبَبُّ أَنْ لِي بِهَا مَشْهَدٌ بَدْرٍ ، وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ أَذْكَرُ فِي النَّاسِ مِنْهَا وَكَانَ مِنْ خَبْرِي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرُ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ ، وَاللَّهِ مَا جَمَعْتُ قَبْلَهَا رَاجِلَتَيْنِ قَطُّ حَتَّى جَمَعْتُهُمَا فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ ، وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدُ غَزْوَةَ إِلَّا وَرَى بِغَيْرِهَا حَتَّى كَانَتْ تِلْكَ الْغَزْوَةُ ، فَغَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَرِّ شَدِيدٍ ، وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا وَمَفَازًا . وَاسْتَقْبَلَ عَدَدًا كَثِيرًا ، فَجَلَّى لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا أَهْبَةً غَزْوَهُمْ فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِمُ الَّذِي يُرِيدُ ، وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ كَثِيرٌ وَلَا يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ « يُرِيدُ بِذَلِكَ الدِّيَّانَ » قَالَ كَعْبٌ : فَقَالَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ إِلَّا ظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ سَيَخْفَى بِهِ مَا لَمْ يَزَلْ فِيهِ وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ ، وَغَزَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ الْغَزْوَةَ حِينَ طَابَت النِّمَارُ وَالظَّلَالُ ، فَأَنَا إِلَيْهَا أَصْعُرُ ، فَتَجَهَّرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ ، وَطَفِقَتْ أَغْدُولِي أَتَجَهَّرَ مَعَهُ فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا ، وَأَقُولُ فِي نَفْسِي : أَنَا قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ إِذَا أَرَدْتُ ، فَلَمْ يَزَلْ يَتِمَادَى بِي حَتَّى اسْتَمَرَّ بِالنَّاسِ الْجِدُّ ، فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَادِيًا وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ ، وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جِهَازِي شَيْئًا ، ثُمَّ عَدَوْتُ فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا ، فَلَمْ يَزَلْ يَتِمَادَى بِي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الْغَزْوُ ، فَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَجِلَ فَأَذْرِكُهُمْ ، فَيَا لَيْتَنِي فَعَلْتُ ، ثُمَّ لَمْ يُعَدِّرْ ذَلِكَ لِي ، فَطَفِقْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِزُّنِي أَيُّ لَأُزَى لِي أَسْوَةٌ ، إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا عَلَيْهِ فِي التِّفَاقِ ، أَوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَدَرَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الضُّعَفَاءِ ، وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ ، فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ : مَا فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ حَبَسَهُ بُرْدَاهُ ، وَالنَّظْرُ فِي عِطْفِيهِ . فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ بَنِي جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . بِئْسَ مَا قُلْتُ ، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا ، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ رَأَى رَجُلًا مُبْيَضًا يَزُولُ بِهِ السَّرَابُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كُنْ أَبَا حَيْثَمَةَ ، فَإِذَا هُوَ أَبُو حَيْثَمَةَ الْأَنْصَارِيُّ وَهُوَ الَّذِي تَصَدَّقَ بِصَاعِ التَّمْرِ حِينَ لَمَزَهُ الْمَنَافِقُونَ قَالَ كَعْبٌ : فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ تَوَجَّهَ قَافِلًا مِنْ تَبُوكَ حَضَرَنِي بَنِي ، فَطَفِقْتُ أَنْذَكُرُ الْكَذِبَ وَأَقُولُ : بِمِ أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غَدًا وَأَسْتَعِينُ عَلَى ذَلِكَ بِكُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي ، فَلَمَّا قِيلَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَظَلَّ قَادِمًا زَا حَ عَيِّ الْبَاطِلِ حَتَّى عَرَفْتُ أَنِّي لَمْ أَنْجِ مِنْهُ بِشَيْءٍ أَبَدًا فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ ، وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَادِمًا ، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَرَكَعَ فِيهِ رُكْعَتَيْنِ ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيَخْلِفُونَ لَهُ ، وَكَانُوا بضعاً وثمانين رجلاً فقبل منهم علانيتهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله تعالى . حتى جئت ، فلما سلمت تبسم تبسم الم غضب ثم قال : تعال ، فجننت أمشي حتى جلست بين يديه ، فقال لي : ما خلقتك ؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك ، قال قلت : يا رسول الله إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرايت أني سأخرج من سخطه بعذر ، لقد أعطيت جدلاً ، ولكني والله لقد علمت لئن حدثتتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله يسخطك علي ، وإن حدثتتك حديث صدق تجد علي فيه إني لأرجو فيه عقي الله عز وجل ، والله ما كان لي من عذر ، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك قال : فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَمَا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ ، فَقُمْ حَتَّى يَفْضِيَ اللَّهُ فَيْكَ » وَسَارَ رَجَالٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ

فَاتَّبَعُونِي ، فَقَالُوا لِي : وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَاكَ أَذْنِبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا ، لَقَدْ عَجَزْتَ فِي أَنْ لَا تَكُونَ اعْتَدَرْتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا اعْتَدَرَ إِلَيْهِ الْمُخَلَّفُونَ فَقَدْ كَانَ كَافِيكَ ذَنْبِكَ اسْتِغْفَارُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَكَ . قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا زَالُوا يُؤْتِبُونِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَكْذِبَ نَفْسِي ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ : هَلْ لَقِيَ هَذَا مَعِيَ مِنْ أَحَدٍ ؟ قَالُوا : نَعَمْ لَقِيَهِ مَعَكَ رَجُلَانِ قَالَا مِثْلَ مَا قُلْتَ ، وَقِيلَ لَهُمَا مِثْلُ مَا قِيلَ لَكَ ، قَالَ قُلْتُ : مَنْ هُمَا ؟ قَالُوا : مُرَارَةُ بِنُ الرَّبِيعِ الْعُمَرِيُّ ، وَهَلَالُ ابْنِ أُمَيَّةَ الْوَأَقِيْفِيُّ ؟ قَالَ : فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ قَدْ شَهِدَا بَدْرًا فِيهِمَا أُسُوءٌ . قَالَ : فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي . وَنَبَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ كَلَامِنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ ، قَالَ : فَاجْتَنَبْنَا النَّاسَ أَوْ قَالَ : تَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَنَكَّرْتَ لِي فِي نَفْسِي الْأَرْضُ ، فَمَا هِيَ بِالْأَرْضِ الَّتِي أَعْرِفُ ، فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً . فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكْنَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ ، وَآتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسَلِمُ عَلَيْهِ ، وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي : هَلْ حَرَّكَ شَفْتَيْهِ بَرْدَ السَّلَامِ أَمْ لَا ؟ ثُمَّ أَصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ وَأَسَارِقُهُ النَّظْرَ ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي نَظَرَ إِلَيَّ ، وَإِذَا التَّفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي ، حَتَّى إِذَا طَالَ ذَلِكَ عَلَيَّ مِنْ جَفْوَةِ الْمُسْلِمِينَ مَشَيْتُ حَتَّى تَسُورَتْ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ وَهُوَ ابْنُ عَجِي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا قَتَادَةَ أَنْشُدْكَ بِاللَّهِ هَلْ تَعَلَّمْتَنِي أُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَسَكَتَ ، فَعُدْتُ فَتَأَشَّدْتُهِ فَسَكَتَ ، فَعُدْتُ فَتَأَشَّدْتُهِ فَقَالَ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . فَصَاحَتْ عَيْنَايَ ، وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسُورَتْ الْجِدَارَ فَبَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي فِي سُوقِ الْمَدِينَةِ إِذَا نَبْطِي مِنْ نَبِطِ أَهْلِ الشَّامِ مَمَّنْ قَدِيمٌ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ يَقُولُ : مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بَنِي مَالِكٍ ؟ فَطَفِقَ النَّاسُ يَشِيرُونَ لَهُ إِلَى حَتَّى جَاءَنِي فَدَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ عَسَانَ ، وَكُنْتُ كَاتِبًا . فَفَرَّقْتُهُ فَإِذَا فِيهِ : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغْنَا أَنْ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ ، وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللَّهُ بَدَارَهُوَانٍ وَلَا مَضْبِيعَةٍ ، فَالْحَقُّ بِنَا نُوَاسِكَ ، فَقُلْتُ حِينَ قَرَأْتَهَا : وَهَذِهِ أَيْضًا مِنَ الْبَلَاءِ فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التُّنُورَ فَسَجَرْتُهَا . حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ مِنَ الْخَمْسِينَ وَاسْتَلْبِثْتُ الْوَحْيَ إِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِينِي ، فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزَلَ أَمْرَ أَتِكَ ، فَقُلْتُ : أَطْلُقُهَا ، أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ ؟ قَالَ : لَا بَلَّ اعْتَزَلْهَا فَلَا تَقْرَبْهَا ، وَأَرْسَلْ إِلَى صَاحِبِي بِمِثْلِ ذَلِكَ . فَقُلْتُ لِأَمْرَأَتِي : الْحَقِي بِأَهْلِكَ فَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِي اللَّهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ ، فَجَاءَتِ امْرَأَةُ هَلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ ، فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنْ لَا يَقْرَبَنَّكَ . فَقَالَتْ : إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا بِهِ مِنْ حَرَكَةٍ إِلَى شَيْءٍ ، وَوَاللَّهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا . فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي : لَوْ اسْتَأْذَنْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَمْرٍ أَتِكَ ، فَقَدْ أَدْنُ لَامْرَأَةِ هَلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ ؟ فَقُلْتُ : لَا اسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَا

يُدرِّبني ماذا يَقُولُ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ فَلَبِثْتُ بِذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ ، فَكَمَلْتُ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نُبِيٍّ عَنْ كَلَامِنَا . ثُمَّ صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ صَبَاحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى مِنَّا ، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبْتُ ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفِي عَلَى سَلْعٍ يَقُولُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ أَبَشِرْ . فَخَرَزْتُ سَاجِدًا ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ فَأَذَنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ بِتَوْبَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا ، فَذَهَبَ قَبْلَ صَاحِبِي مُبَشِّرُونَ ، وَرَكَضَ رَجُلٌ إِلَيَّ فَرَسًا وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ قَبْلِي وَأَوْفَى عَلَى الْعَجَلِ ، وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي نَزَعْتُ لَهُ تَوْبِيَّ فَكَسَوْتُهُمَا إِيَّاهُ بِبِشَارَتِهِ وَاللَّهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ ، وَاسْتَعْرْتُ تَوْبِيَّ فَلَبَسْتُهُمَا وَانْطَلَقْتُ أَنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا يُبَشِّرُونَنِي بِالتَّوْبَةِ وَيَقُولُونَ لِي : لَتَبْنِكَ تَوْبَةُ اللهِ عَلَيْكَ ، حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ ، فَقَامَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَهْرُولُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَائِي ، وَاللَّهِ مَا قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ ، فَكَانَ كَعْبٌ لَا يَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ . قَالَ كَعْبٌ : فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : وَهُوَ يَهْرُوقُ وَجْهَهُ مِنَ السُّرُورِ أَبَشِرْ بِخَيْرٍ يَوْمَ مَرَّ عَلَيْكَ ، مُذْ وَلِدْتِكَ أُمَّكَ ، فَقُلْتُ : أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ ؟ قَالَ : لَا بَلْ مِنْ عِنْدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَأَنَّ وَجْهَهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ ، فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللهِ وَإِلَى رَسُولِهِ . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ ، فَقُلْتُ إِنِّي أَمْسِكُ سَهْبِي الَّذِي يَخْبِرُ . وَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ اللهُ تَعَالَى إِنَّمَا أَنْجَانِي بِالصَّدَقِ ، وَإِنْ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيْتُ ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَبْلَاهُ اللهُ تَعَالَى فِي صَدَقِ الْحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلَانِي اللهُ تَعَالَى ، وَاللَّهِ مَا تَعَمَّدْتُ كِذْبَةً مُنْذُ قُلْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى يَوْمِي هَذَا ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللهُ تَعَالَى فِيمَا بَقِيَ ، قَالَ : فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى : { لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ { حَتَّى بَلَغَ : } إِنَّهُ بِهِمْ رَوْفٌ رَحِيمٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ { حَتَّى بَلَغَ : } اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ { [التوبة 117-119] قَالَ كَعْبٌ : وَاللَّهِ مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ إِذْ هَدَانِي اللهُ لِلْإِسْلَامِ أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لَا أَكُونَ كَذَبْتُهُ فَأَهْلَكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا إِنْ اللهُ تَعَالَى قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ شَرًّا مَا قَالَ لِأَحَدٍ فَقَالَ اللهُ تَعَالَى : { سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتُعْرَضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ

فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ. { [التوبة 95 ، 96] . قَالَ كَعْبٌ : كُنَّا خُلِفْنَا أَهْلِهَا الثَّلَاثَةَ عَنْ أَمْرِ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ حَلَفُوا لَهُ ، وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَعْفَرَهُمْ ، وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْرَنَا حَتَّى قَضَى اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ بِذَلِكَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : { وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا } . وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ . مِمَّا خُلِفْنَا تَخَلُّفْنَا عَنِ الْغَزْوِ ، وَإِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَانَا وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ وَاعْتَدَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وفي رواية « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ يَوْمَ الْخَمِيسِ ، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يَخْرُجَ يَوْمَ الْخَمِيسِ . وَفِي رِوَايَةٍ : « وَكَانَ لَا يَقْدُمُ مِنْ سَفَرٍ إِلَّا نَهَارًا فِي الضُّحَى فَإِذَا قَدِمَ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَصَلَّى فِيهِ رُكْعَتَيْنِ ثُمَّ جَلَسَ فِيهِ .

22- وَعَنْ أَبِي نُجَيْدٍ بِضَمِّ النَّوْنِ وَفَتْحِ الْجِيمِ عِمْرَانَ بْنِ الْحُصَيْنِ الْخُزَاعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ حُبْلَى مِنَ الزَّيْنِ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ ، فَدَعَا نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمَّهَا فَقَالَ : أَحْسَنُ إِلَيْهَا ، فَإِذَا وَضَعْتَ فَأْتِي فَفَعَلْ فَأَمَرَ بِهَا نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَشَدَّتْ عَلَيْهَا ثِيَابَهَا ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَرُجِمَتْ ، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهَا . فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : تُصَلِّي عَلَيْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَقَدْ زَنْتَ ، قَالَ : لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَوَسَعَتْهُمْ وَهَلْ وَجَدْتَ أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنَفْسِهَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ ، رواه مسلم .

23- وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَوْ أَنَّ لَابْنَ آدَمَ وَادِيًا مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَادِيَانِ ، وَلَنْ يَمْلَأَ فَاهُ إِلَّا التُّرَابَ ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ

24- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « يَضْحَكُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَى رَجُلَيْنِ يَمُوتُ أَحَدُهُمَا الْأَخْرَيْدُ خَلَانَ الْجَنَّةَ ، يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُ ، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْقَاتِلِ فَيَسْلِمُ فَيَسْتَشْهَدُ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

قوله تعالى : وتوبوا أمر . ولا خلاف بين الأمة في وجوب التوبة ، وأنها فرض متعين والمعنى : وتوبوا إلى الله فإنكم لا تخلون من سهو وتقصير في أداء حقوق الله تعالى فلا تتركوا التوبة في كل حال . (تفسير القرطبي 12 / 220)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ثم فصلت آياته بأن لا تعبدوا إلا الله وبأن استغفروا ربكم . ويعني

بقوله : وأن (استغفروا ربكم) وأن اعملوا أيها الناس من الأعمال ما يرضي ربكم عنكم فيستر عليكم عظيم ذنوبكم التي ركبتوها بعبادتكم الأوثان والأصنام وإشراككم الآلهة والأنداد في عبادته وقوله : (ثم توبوا إليه) يقول : ثم ارجعوا إلى ربكم بإخلاص العبادة له دون ما سواه من سائر ما تعبدون من دونه بعد خلعتكم الأنداد وبراءتكم من عبادتها . (تفسير الطبري 15 / 229)

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا) قال : يذنب الذنب ثم لا يرجع فيه . وعن النعمان بن بشير قال : سألت عمر عن قوله : (توبوا إلى الله توبة نصوحا) قال : هو العبد يتوب من الذنب ثم لا يعود فيه أبدا .

عن ابن عباس قوله : (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا) أن لا يعود صاحبها لذلك الذنب الذي يتوب منه ويقال : توبته أن لا يرجع إلى ذنب تركه .

عن مجاهد قوله : (توبة نصوحا) قال : يستغفرون ثم لا يعودون . (تفسير الطبري 23 / 494)

عن الضحاك في قوله : (توبة نصوحا) قال : النصوح . أن تحول عن الذنب ثم لا تعود له أبدا . قال ابن زيد في قول الله . (توبوا إلى الله توبة نصوحا) قال : التوبة النصوح الصادقة يعلم أنها صدق ندامة على خطيئته وحب الرجوع إلى طاعته فهذا النصوح . (تفسير الطبري 23 / 495)

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

روي عن عمر بن الخطاب أنه سمع رجلا يقول : استغفر الله وأتوب إليه فقال له : يا حميق قل : توبة من لا يملك لنفسه ضرولا نفعلا ولا موتا ولا حياتا ولا نشورا . (جامع العلوم والحكم 412)

قال عمر بن الخطاب وأبي بن كعب : التوبة النصوح أن يتوب من الذنب ثم لا يعود إليه كما لا يعود اللبن في الضرع . (مدارج السالكين 1 / 316)

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : اجلسوا إلى التوابين فإنهم أرق أفئدة . (الإحياء 4 / 155)

قال علي رضي الله عنه : خياركم كل مفتن تواب قيل : فإن عاد ؟ قال : يستغفر الله ويتوب قيل : فإن عاد ؟ قال : يستغفر الله ويتوب قيل : فإن عاد ؟ قال : يستغفر الله ويتوب قيل : حتى متى ؟ قال : حتى يكون الشيطان هو المحسور . (جامع العلوم والحكم 414 - 415)

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : لا يزال العبد في مهل من التوبة ما لم يأتته ملك الموت بقبض روحه فإذا نزل ملك الموت فلا توبة حينئذ . (لطائف المعارف 337)

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : العجب ممن يهلك ومعه النجاة ، قيل : وماهي ؟ قال

الاستغفار. (المجالسة وجواهر العلم 4 / 49)

وقال أيضا : ما ألهم الله سبحانه عبدا الاستغفار وهو يريد أن يعذبه . (البحر الرائق 109)

قال ابن عباس : التوبة النصوح : الندم بالقلب والاستغفار باللسان والإضمار أن لا يعود إليه أبدا .
(تنبيه الغافلين 107)

قال ابن عباس : لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار . (جامع العلوم والحكم 449)

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه فقال به هكذا . (جامع العلوم والحكم 438)

قال ابوهريرة رضي الله عنه : يدني الله العبد يوم القيامة فيضع عليه كنفه فيستره من الخلائق كلها ويدفع إليه كتابه في ذلك الستر فيقول : اقرأ يا ابن آدم كتابك فيقرأ فيمر بالحسنة فيبيض لها وجهه ويسر بها قلبه فيقول الله : أتعرف يا عبدي ؟ فيقول : نعم فيقول : إني قبلتها منك فيسجد فيقول : ارفع رأسك وعد في كتابك فيمر بالسيئة فيسود لها وجهه ويوجل لها قلبه وترتعد منها فرائصه ويأخذه من الحياء من ربه ما لا يعلمه غيره فيقول : أتعرف يا عبدي ؟ فيقول : نعم يا رب فيقول : إني قد غفرتها لك فيسجد فلا يرى منه الخلائق إلا السجود حتى ينادي بعضهم بعضا : طوبى لهذا العبد الذي لم يعص الله قط ولا يدرون ما قد لقي فيما بينه وبين ربه مما قد وقفه عليه . (جامع العلوم والحكم 453)

وكان أبو هريرة يقول لغلمان الكتاب : قولوا : اللهم اغفر لأبي هريرة فيؤمن على دعائهم .
(جامع العلوم والحكم 416)

قال أبو هريرة : إني لأستغفر الله وأتوب إليه كل يوم ألف مرة وذلك على قدر ديتي .
(جامع العلوم والحكم 415)

وقال ابن عمر : التوبة مبسوطة ما لم ينزل سلطان الموت . (لطائف المعارف 1 / 337)

قال حذيفة : بحسب المرء من الكذب أن يقول : أستغفر الله ثم يعود . (جامع العلوم والحكم 411)

وقالت عائشة رضي الله عنها : طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارا كثيرا . (الحلية 10 / 395)

قال الحسن : فالعبد يذنب ثم يتوب ويستغفر : يغفر له ولكن لا يمحاه من كتابه دون أن يقفه عليه ثم يسأله عنه ثم بكى الحسن بكاء شديدا وقال : ولو لم نبك إلا للحياء من ذلك المقام لكان

ينبغي لنا أن نبكي . (جامع العلوم والحكم 452)

قال الحسن البصري : التوبة هي أن يكون العبد نادما على ما مضى مجمعا على أن لا يعود فيه .
(مدارج السالكين 1 / 316)

قال الحسن : إن الرجل يذنب الذنب فلا ينسأه وما يزال متخوفا منه حتى يدخل الجنة .
(الزهد لأحمد 1599)

وقيل للحسن البصري : ألا يستحي أحدنا من ربه يستغفر من ذنوبه ثم يعود ثم يستغفر ثم يعود فقال : ود الشيطان لو ظفر منكم بهذه فلا تملوا من الاستغفار . وروي عنه أنه قال : ما أرى هذا إلا من أخلاق المؤمنين يعني : أن المؤمن كلما أذنب تاب . (جامع العلوم والحكم 414)

سئل الحسن عن رجل لا يتحاشى من معصية إلا أن لسانه لا يفتر من ذكر الله فقال إن ذلك لعون حسن . (جامع العلوم والحكم 424)

قال الفضيل بن عياض : بكاء النهار يمحو ذنوب العلانية وبكاء الليل يمحو ذنوب السر .
(جامع العلوم والحكم 452)

قال الفضيل رحمه الله : الاستغفار بلا إقلاع توبة الكذابين . (الأذكار للنووي 481)

وقال الفضيل بن عياض : كل حزن يبلى إلا حزن التائب . (حلية الأولياء 8 / 101)

قال الربيع بن خيثم : أندرون ما الداء وما الدواء والشفاء قالوا لا قال : الداء الذنوب والدواء الاستغفار والشفاء أن تتوب ثم لا تعود . (حلية الأولياء 108 / 2)

وقال الربيع بن خيثم : تضرعوا إلى ربكم وادعوه في الرخاء فإن الله قال : من دعاني في الرخاء أجبته في الشدة ومن سألتني أعطيتة ومن تواضع لي رفعتة ومن تفرغ لي رحمتة ومن استغفرني غفرت له .
(منهاج الصالحين 951)

قال مالك بن دينار : البكاء على الخطيئة يحط الذنوب كما يحط الريح الورق اليابس .
(جامع العلوم والحكم 38)

قال سعيد بن المسيب : توبة نصوحا تنصحو بها أنفسكم . (مدارج السالكين 1 / 316)

وقال أيضا : أنزل الله تعالى فإنه كان للوايين غفورا في الرجل يذنب ثم يتوب . (الإحياء 4 / 14)

وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته : من أحسن منكم فليحمد الله ومن أساء فليستغفر الله فإنه لا بد لأقوام من أن يعملوا أعمالا وظفها الله في رقابهم وكتبتهم عليهم . وفي رواية أخرى عنه أنه قال : أيها الناس من ألم بذنب فليستغفر الله وليتب فإن عاد ، فليستغفر وليتب فإن عاد فليستغفر الله وليتب فإن عاد ، فليستغفر الله وليتب فإن عاد فليستغفر وليتب وإنما هي خطايا مطوقة في أعناق الرجال وإن الهلاك كل الهلاك في الإصرار عليها . (جامع العلوم والحكم 414)

وقال عبد الله بن شقيق : الرجال ثلاثة : رجل عمل حسنة فهو يرجو ثوابها . ورجل عمل سيئة ثم تاب فهو يرجو المغفرة . والثالث الرجل الكذاب يتمادى في الذنوب ويقول أرجو المغفرة ومن عرف نفسه بالإساءة ينبغي أن يكون الخوف غالبا على رجائه . (شعب الإيمان للبيهقي 3 / 75)

قال بكر المزني : لو كان رجل يطوف على الأبواب كما يطوف المسكين يقول : استغفروا لي ، لكان نوله أن يفعل . ومن كثرت ذنوبه وسيئاته حتى فانت العد والإحصاء ، فليستغفر الله مما علم الله ، فإن الله قد علم كل شيء وأحصاه ، كما قال تعالى : (يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه) (المجادلة 6) . (جامع العلوم والحكم 416)

الْأَثَارُ الْعَمَلِيُّ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

عن الفضل بن موسى قال : كان الفضيل بن عياض شاطرا يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس وكان سبب توبته أنه عشق جارية فبينما هو يرتقي الجدران إليها إذ سمع تاليا يتلو (ألم بأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) (الحديد : 16) فلما سمعها قال : بلى يا رب قد آن فرجع فأواه الليل إلى خربة فإذا فيها سابلة (مشى في طريق سابلة : مألوفة، أي اعتاد الناس أن يسلكوها) فقال بعضهم : نرحل وقال بعضهم : حتى (نصبح) فإن فضيلا على الطريق يقطع علينا . قال : ففكرت وقلت : أنا أسعى بالليل في المعاصي وقوم من المسلمين هاهنا يخافوني وما أرى الله ساقتي إليهم إلا لارتدع اللهم إني قد تبت إليك وجعلت توبتي مجاورة البيت الحرام . (السير 8 / 422)

توبة عبد الله بن مسلمة القعنبي : كان عبد الله بن مسلمة القعنبي شابا كثير المجون كثير الشراب ، وله قوم من الأحداث المردان ، يجلس معهم ، فدعاهم يوما وقعد على الباب ينتظرهم فمر به شعبة بن الحجاج رحمه الله أحد أئمة الحديث فاستوقفه على حماره والناس خلفه يهرعون فقال من هذا ؟ فقيل شعبة فقال وأيش شعبة ؟ قالوا محدث فقام إليه عليه أزار أحمر فقال له حدثني فقال له ما أنت من أصحاب الحديث فأحدثك فأشهر سكينه وقال له حدثني أو أرحك ، فقال له شعبة : حدثني منصور عن ربعي عن أبي مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا لم تستحي فاصنع ما شئت . فرمي القعنبي سكينه ورجع إلى منزله ، فقام إلى جميع ما

كان عنده من الشراب فأراقة ، وقال لأمه : الساعة أصحابي يجيئون فأدخلهم وقدمي الطعام إليهم ، فإذا أكلوا فأخبرهم بما عملت بالشراب حتى ينصرفوا ، ومضى من وقته إلى المدينة . ولازم مالك بن أنس ثلاثين سنة يسمع منه ويتعلم فأكثر السماع عنه حتى صار أثبت رواة الموطأ ، قال ابن أبي حاتم : قلت لأبي : القعني أحب إليك في " الموطأ " أو إسماعيل بن أبي أويس ؟ قال : بل القعني ، لم أر أخشع منه ، ثم رجع إلى البصرة وقد مات شعبة فما سمع من شعبة غير هذا الحديث . (سير أعلام النبلاء - 10 / 259)

توبة أبي العتاهية رحمه الله : قال أبو سلمة الغنوي : قلت لأبي العتاهية : ما الذي صرفك عن قول الغزل إلى قول الزهد قال إذا والله أخبرك أني لما قلت : الله بيني وبين مولاتي أهدت لي الصد والملاوات منحتها مهجتي وخالصتي فكان هجرانها مكافأتي هيمني حمها وصيرني أحدوثه في جميع جاراتي رأيت في المنام في تلك الليلة كان آتيا أتاني فقال : ما أصبت أحدا تدخله بينك وبين عتبه ، يحكم لك عليها بالمعصية إلا الله تعالى ، فانتبهت مذعورا وتبت إلى الله تعالى من ساعتني من قول الغزل . (تاريخ بغداد - 6 / 258)

قال رباح القيسي : لي نيف (عدد من الواحد إلى الثلاثة) وأربعون ذنبا قد استغفرت الله لكل ذنب مائة ألف مرة . وحاسب بعضهم نفسه من وقت بلوغه فإذا زلاته لا تجاوزستا وثلاثين زلة فاستغفر الله لكل زلة مائة ألف مرة وصلى لكل زلة ألف ركعة وختم في كل ركعة منها ختمة . قال : ومع ذلك فإني غير آمن سطوبة ربي أن يأخذني بها وأنا على خطر من قبول التوبة . (جامع العلوم والحكم 415)

وعن يوسف بن الحسين قال : كنت مع ذي النون المصري على شاطئ غدِير فنظرت إلى عقرب أعظم ما يكون على شط الغدير واقفة ، وإذا بضفدع قد خرجت من الغدير فركبتها العقرب فجعلت الضفدع تسبح حتى عبرت الغدير ! فقال ذي النون إن لهذه العقرب شانا ! فامض بنا نتبعها ! فجعلنا نتبع أثرها فإذا رجل نائم سكران ! وإذا حية سامة قد جاءت إليه فصعدت من ناحية سرتة إلى صدره وهي تطلب أذنه ، فاستحكمت العقرب من الحية السامة فضربت بها فانقلبت الحية وهربت ! ورجعت إلى الغدير فجاءت الضفدع فركبتها فعبرت ! فحرك ذي النون الرجل النائم ففتح عينيه ، فقال : يا فتى انظر مما نجاك الله ! هذه العقرب أرسلها الله إليك ، فقتلت هذه الحية التي إرادتك بسوء ! ثم أنشأ ذي النون يقول : يا غافلا والجليل يحرسه من كل سوء يهدب في الظلم كيف تنام العيون عن ملك تأتيه منه فوائد النعم فهض الشاب وقال : إلهي ومولاي : هذا فعلك بمن عصاك ! فكيف رفقتك ورحمتك بمن يطيعك ؟ ! ثم ولى ذاهبا فقلت : إلى أين ؟ فقال : إلى بيوت الله والى طاعة الله . (التوايين لابن قدامة 227)

3- باب الصبر

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَصَابِرُوا [آل عمران : 200] ، وقال تعالى : وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ [البقرة : 155] وقال تعالى : إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ [الزمر : 10] ، وقال تعالى : وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ [الشورى : 43] ، وقال تعالى : اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ [البقرة : 153] ، وقال تعالى : وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ [محمد : 31] ، والآيات في الأمر بالصبر وبيان فضله كثيرة معروفة .

25- وعن أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالصَّلَاةُ نُورٌ ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ . كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو ، فَبَايَعُ نَفْسَهُ فَمُعْتَقُهَا ، أَوْ مُوبِقُهَا » رواه مسلم .

26- وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ بِنِ مَالِكِ بْنِ سِنَانِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ نَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَاهُمْ ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُمْ جِئْنَا أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ بِيَدِهِ : « مَا يَكُنْ مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ . وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

27- وَعَنْ أَبِي يَحْيَى صُهَيْبِ بْنِ سِنَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلُّهُ لَهُ خَيْرٌ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ : إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ » رواه مسلم .

28- وعن أنس رضي الله عنه قال : لما ثقل النبي صلى الله عليه وسلم جعل يتغشاه الكرب فقالت فاطمة رضي الله عنها : واكرب أبتاه ، فقال : « لیس علی ابيک کرب بعد اليوم » فلما مات قالت : يا أبتاه أجاب رباً دعاه ، يا أبتاه جنّة الفردوس ماواه ، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه ، فلما دفن قالت فاطمة رضي الله عنها : أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب ؟ رواه البخاري

29- وعن أبي زيد أسامة بن زيد حارثة مؤلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبته وابن حبه رضي الله عنهما ، قال : أُرْسِلْتُ بِنْتُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ ابْنِي قَدِ احْتَضَرَ فَاشْهَدْنَا ، فَأَرْسَلَ يَفْرِي السَّلَامَ وَيَقُولُ : « إِنْ لِلَّهِ مَا أَخَذَ ، وَلَهُ مَا أُعْطِيَ ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى ، فَلتصبر

ولتحتسب « فأرسلت إليه تُقسمُ عليه لياثيها. فقامَ ومعهُ سعدُ بنُ عبادَةَ، ومُعَاذُ ابْنُ جَبَلٍ، وأُبَيُّ بنُ كَعْبٍ، وَزَيْدُ بنُ ثَابِتٍ، وَرِجَالٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، فَرَفَعَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّبِيَّ، فأفَعَدَهُ فِي حَجْرِهِ وَنَفْسُهُ تَقَعُّعٌ، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ سَعْدُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا هَذَا؟ فَقَالَ: « هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللهُ تَعَلَى فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ » وفي روايةٍ: « فِي قُلُوبِ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مَنْ عِبَادِهِ الرَّحْمَاءَ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَمَعْنَى « تَقَعُّعٌ »: تَتَحَرَّكُ وَتَضْطَرِبُ.

30- وَعَنْ صُهَيْبِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « كَانَ مَلِكٌ فِيْمَنْ كَانَ قَبْلُكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ فَايَعِثْ لِي غُلَامًا أَعْلِمُهُ السَّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يَعْلَمُهُ، وَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ، فَفَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ فَأَعْجَبَهُ، وَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرًّا بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ. فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتْ النَّاسَ فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ السَّاحِرَ أَفْضَلَ أَمْ الرَّاهِبَ أَفْضَلَ؟ فَأَخَذَ حَجْرًا فَقَالَ: لِلَّهِمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَمُضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ. فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيُّ بَيْتِي أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مَيِّ، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنْ ابْتُلِيتَ فَلَا تُدَلِّ عَلَيَّ، وَكَانَ الْغُلَامُ يَبْرَأُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ، وَيَدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ. فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ فَقَالَ: مَا هَهُنَا لَكَ أَجْمَعُ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقَالَ إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ تَعَالَى، فَإِنْ آمَنْتَ بِاللَّهِ تَعَالَى دَعَوْتُ اللهُ فَشَفَاكَ، فَأَمَّنَ بِاللَّهِ تَعَالَى فَشَفَاهُ اللهُ تَعَالَى، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي. قَالَ: وَلَكِ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ فَجِئَ بِالْغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيُّ بَيْتِي قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تَبْرَأُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ تَعَالَى، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَجِئَ بِالرَّاهِبِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى، فَدَعَا بِالْمُنْشَارِ فَوَضَعَ الْمُنْشَارَ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّه حَتَّى وَقَعَ شَقَاهُ، ثُمَّ جِئَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى، فَوَضَعَ الْمُنْشَارَ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّه بِهِ حَتَّى وَقَعَ شَقَاهُ، ثُمَّ جِئَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلٍ كَدَا وَكَذَا فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذِرْوَتَهُ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتُمْ، فَرَجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ فَقَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ تَعَالَى، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْفُورٍ وَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْدِفُوهُ، فَذَهَبُوا

بِهِ فَقَالَ : اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ ، فَاكْفَأَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا ، وَجَاءَ يُمُوشِي إِلَى الْمَلِكِ . فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ ؟ فَقَالَ : كَفَانِيَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى . فَقَالَ لِلْمَلِكِ إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا أَمُرُكَ بِهِ . قَالَ : مَا هُوَ ؟ قَالَ : تَجْمَعُ النَّاسُ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جَذْعٍ ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي ، ثُمَّ ضِعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قُلْ : بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْعُلَامِ ثُمَّ ارمِي ، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي . فَجَمَعَ النَّاسُ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، وَصَلَبَهُ عَلَى جَذْعٍ ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ، ثُمَّ قَالَ : بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْعُلَامِ ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فَمَاتَ . فَقَالَ النَّاسُ : أَمَنَّا بِرَبِّ الْعُلَامِ ، فَأَتَى الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ : أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحَذَرُ قَدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَذْرُكَ . قَدْ آمَنَ النَّاسُ . فَأَمَرَ بِالْأَخْدُودِ بِأَفْوَاهِ السِّكِّ فَخُدَّتْ وَأُضْرِمَ فِيهَا النِّيرَانُ وَقَالَ : مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَقْحَمُوهُ فِيهَا أَوْ قِيلَ لَهُ : افْتَحِم ، فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتْ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا ، فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا ، فَقَالَ لَهَا الْعُلَامُ : يَا أُمَّةَ اصْبِرِي فَإِنَّكَ عَلَيَّ الْحَقِّي « رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

« ذُرُوءُ الْجَبَلِ » : أَغْلَاهُ ، وَهِيَ بَكْسُرُ الدَّالِ الْمُعْجَمَةِ وَضَمُّهَا وَ « الْقُرْقُورُ » بِضَمِّ الْقَافَيْنِ : نَوْعٌ مِنَ السُّفْنِ وَ « الصَّعِيدُ » هُنَا : الْأَرْضُ الْبَارِزَةُ وَ « الْأَخْدُودُ » : الشُّقُوقُ فِي الْأَرْضِ كَالنَّهْرِ الصَّغِيرِ وَ « أُضْرِمَ » أَوْقَدَ وَ « اِنْكَفَأَتْ » أَي : انْقَلَبَتْ وَ « تَقَاعَسَتْ » تَوَقَّفَتْ وَجَبُنَتْ .

31- وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَابِرٍ فَقَالَ : « أَتَقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي » فَقَالَتْ : إِلَيْكَ عَيِّي ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبِّ بِمُصِيبَتِي ، وَلَمْ تَعْرِفْهُ ، فَقِيلَ لَهَا : إِنَّهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ ، فَقَالَتْ : لَمْ أَعْرِفْكَ فَقَالَ : « إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدَمَةِ الْأُولَى » متفقٌ عليه . وفي رواية لمسلم : « تَبْكِي عَلَى صَبِيٍّ لَهَا » .

32- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : مَا لِعِبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبِضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلَّا الْجَنَّةَ » رواه البخاري .

33- وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَهَا سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الطَّاعُونَ ، فَأَخْبَرَهَا أَنَّهُ كَانَ عَذَابًا يَبْعَثُهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَنْ يَشَاءُ ، فَجَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ، فَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَقَعُ فِي الطَّاعُونَ فَيَمُوتُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُصِيبُهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيدِ « رواه البخاري

34- وَعَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ : إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ » يُرِيدُ عَيْنَيْهِ ، رواه البخاري .

35- وَعَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ : قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟

فَقُلْتُ : بَلَى ، قَالَ : هَذِهِ الْمَرْأَةُ السُّودَاءُ أَتَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ : إِنِّي أُصْرَعُ ، وَإِنِّي أَنْكَشَفُ ، فَادْعُ اللَّهَ تَعَالَى لِي قَالَ : « إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُعَافِيكَ » فَقَالَتْ : أَصْبِرُ ، فَقَالَتْ : إِنِّي أَنْكَشَفُ ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ لَا أَنْكَشَفَ ، فَدَعَا لَهَا . مَتَّفِقٌ عَلَيْهِ .

36- وَعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ ، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَذْمَوْهُ وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ ، يَقُولُ : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ » مَتَّفِقٌ عَلَيْهِ .

37- وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حَزَنٍ وَلَا أَدَى وَلَا غَمٍّ ، حَتَّى الشُّوْكَةُ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ » مَتَّفِقٌ عَلَيْهِ وَ « الْوَصَبُ » : الْمَرَضُ .

38- وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُوعَكُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ تُوعَكُ وَعَكَأَ شَدِيداً قَالَ : « أَجَلٌ إِنِّي أُوْعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ » قُلْتُ : ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ ؟ قَالَ : « أَجَلٌ ذَلِكَ كَذَلِكَ مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَدَى ، شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا سَيِّئَاتِهِ ، وَحَطَّتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا » مَتَّفِقٌ عَلَيْهِ . وَ « الْوَعَكُ » : مَغْثُ الْحَمَى ، وَقِيلَ : الْحُمَى .

39- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْراً يُصِيبْ مِنْهُ » : رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ . وَضَبَطُوا « يُصِيبُ » : بِفَتْحِ الصَّادِ وَكَسْرِهَا .

40- وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ لِيُضْرِبَ أَصَابَهُ ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَاعِلًا فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي » مَتَّفِقٌ عَلَيْهِ .

41- وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ خَبَّابِ بْنِ الْأَرْتِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : شَكُونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ ، فَقُلْنَا : أَلَا تَسْتَنْصِرُنَا أَلَا تَدْعُو لَنَا ؟ فَقَالَ : قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فِي جَعَلٍ فِيهَا ، ثُمَّ يُؤْتَى بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نَصْفَيْنِ ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ ، مَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ ، وَاللَّهِ لِيَتَمَنَّيَنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّأكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالذَّبَّ عَلَى غَنَمِهِ ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ . وَفِي رِوَايَةٍ : « وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً وَقَدْ لَقِينَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ شِدَّةً »

42- وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمَ حُنَيْنٍ أَثَرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَاسًا

في الْقِسْمَةِ : فَأَعْطَى الْأَفْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مَانَةً مِنَ الْإِبِلِ وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ بْنَ حِصْبٍ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَأَعْطَى نَاسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ وَأَثَرَهُمْ يَوْمِيذٍ فِي الْقِسْمَةِ . فَقَالَ رَجُلٌ : وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ قِسْمَةٌ مَا عُدِلَ فِيهَا ، وَمَا أُرِيدُ فِيهَا وَجْهَ اللَّهِ ، فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لِأَخْبِرَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتَهُ بِمَا قَالَ ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَ كَالصَّرْفِ . ثُمَّ قَالَ : « فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ؟ ثُمَّ قَالَ : يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُؤْذِيَ بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذَا فَصَبِرَ » فَقُلْتُ : لَا جَرَمَ لَا أَرْفَعُ إِلَيْهِ بَعْدَهَا حَدِيثًا . مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ . وَقَوْلُهُ « كَالصَّرْفِ » هُوَ بِكسْرِ الصَّادِ الْمُهْمَلَةِ : وَهُوَ صِبْغٌ أَحْمَرٌ .

43- وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ خَيْرًا عَجَلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُؤَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ » رواه الترمذي وقال : حديثٌ حسنٌ .

44- وعن أنس رضي الله عنه قال : كَانَ ابْنُ لَأْبِي طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَشْتَكِي ، فَخَرَجَ أَبُو طَلْحَةَ ، فَقُبِضَ الصَّبِيُّ ، فَلَمَّا رَجَعَ أَبُو طَلْحَةَ قَالَ : مَا فَعَلَ ابْنِي ؟ قَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ وَهِيَ أُمُّ الصَّبِيِّ : هُوَ أَسْكَنُ مَا كَانَ ، فَفَرَّيْتُ إِلَيْهِ الْعِشَاءَ فَتَعَبَّنِي ، ثُمَّ أَصَابَ مِنْهَا ، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَتْ : وَارْؤُوا الصَّبِيَّ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَبُو طَلْحَةَ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ : « أَعْرَسْتُمْ اللَّيْلَةَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : « اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمَا » قَوْلِدْتُ غُلَامًا فَقَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ : أَحْمِلْهُ حَتَّى تَأْتِيَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبَعَثَ مَعَهُ بِتَمْرَاتٍ ، فَقَالَ : « أَمَعَهُ شَيْءٌ ؟ » قَالَ : نَعَمْ ، تَمْرَاتٌ فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَضَعَهَا ، ثُمَّ أَخَذَهَا مِنْ فِيهِ فَجَعَلَهَا فِي فِي الصَّبِيِّ ثُمَّ حَنَّكَهُ وَسَمَّاهُ عَبْدَ اللَّهِ . مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ . وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ : قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ : فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ : فَرَأَيْتَ تَسْعَةَ أَوْلَادٍ كُلُّهُمْ قَدْ قَرَأُوا الْقُرْآنَ ، يَعْنِي مِنْ أَوْلَادِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُؤَلُّودِ .

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ : مَاتَ ابْنُ لَأْبِي طَلْحَةَ مِنْ أُمِّ سُلَيْمٍ ، فَقَالَتْ لِأَهْلِهَا : لَا تُحَدِّثُوا أَبَا طَلْحَةَ بِابْنِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا أَحَدَيْتُهُ ، فَجَاءَ فَفَرَّيْتُ إِلَيْهِ عِشَاءً فَأَكَلَ وَشَرِبَ ، ثُمَّ تَصَنَّعَتْ لَهُ أَحْسَنَ مَا كَانَتْ تَصَنِّعُ قَبْلَ ذَلِكَ ، فَوَقَعَ بِهَا ، فَلَمَّا أَنْ رَأَتْ أَنَّهُ قَدْ شَبِعَ وَأَصَابَ مِنْهَا قَالَتْ : يَا أَبَا طَلْحَةَ ، أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ قَوْمًا أَعَارُوا عَارِيَتَهُمْ أَهْلَ بَيْتٍ فَطَلَبُوا عَارِيَتَهُمْ ، أَلَهُمْ أَنْ يَمْنَعُوها؟ قَالَ : لَا ، فَقَالَتْ : فَاحْتَسِبْ ابْنَكَ . قَالَ : فَغَضِبَ ، ثُمَّ قَالَ : تَرَكْتَنِي حَتَّى إِذَا تَلَطَّخْتُ ثُمَّ أَخْبَرْتَنِي بِابْنِي ، فَاَنْطَلَقَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « بَارَكَ اللَّهُ لَكُمْ فِي لَيْلَتِكُما » . قَالَ : فَحَمَلْتُ ، قَالَ : وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ وَهِيَ مَعَهُ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَتَى الْمَدِينَةَ مِنْ سَفَرٍ لَا يَطْرُقُهَا طُرُوقًا فَدَنُوا مِنَ الْمَدِينَةِ ، فَضَرَبَهَا الْمُخَاضُ ، فَاحْتَبَسَ عَلَيْهَا أَبُو طَلْحَةَ ، وَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ : يَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ إِنَّكَ

لتعلم يا ربَّ أَنَّهُ يَعْجُبُنِي أَنْ أُخْرَجَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَرَجَ ، وَأَدْخَلَ مَعَهُ إِذَا دَخَلَ ، وَقَدِ احْتَبَسْتُ بِمَا تَرَى . تَقُولُ أُمُّ سُلَيْمٍ : يَا أَبَا طَلْحَةَ مَا أَجِدُ الَّذِي كُنْتُ أَجِدُ ، انْطَلِقْ ، فَاَنْطَلِقْنَا ، وَضَرْبَهَا الْمَخَاضُ حِينَ قَدِمَا فَوَلَدْتُ غُلَامًا . فَقَالَتْ لِي أُمِّي : يَا أَنَسُ لَا يُرْضِعُهُ أَحَدٌ تَعْدُو بِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ احْتَمَلْتُهُ فَاَنْطَلَقْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَذَكَرْتَمَامَ الْحَدِيثِ .

45- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ » متفقٌ عليه .

« وَالصُّرْعَةُ » بِضَمِّ الصَّادِ وَفَتْحِ الرَّاءِ ، وَأَصْلُهُ عِنْدَ الْعَرَبِ مَنْ يَصْرَعُ النَّاسَ كَثِيرًا .

46- وَعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كُنْتُ جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَرَجُلَانِ يَسْتَبْتَانِ وَأَحَدُهُمَا قَدِ احْمَرَّ وَجْهُهُ . وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنِّي لِأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَنَدَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ ، لَوْ قَالَ : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ . فَقَالُوا لَهُ : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «تَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» . متفقٌ عليه .

47- وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ كَظَمَ غِيظًا ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ ، دَعَاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيَّرَهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ » رواه أَبُو دَاوُدَ ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ .

48- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَوْصِنِي ، قَالَ : « لَا تَغْضَبْ » فَرَدَّدَ مِرَارًا قَالَ ، « لَا تَغْضَبْ » رواه البخاريُّ .

49- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ » رواه التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ

50- وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْبٍ فَتَزَلَّ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْخُرْبِيِّ قَيْسٍ ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَكَانَ الْقُرَاءُ أَصْحَابَ مَجْلِسِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمُشَاوَرَتِهِ كَهَوْلًا كَانُوا أَوْ شَبَّانًا ، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ : يَا ابْنَ أَخِي لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الْأَمِيرِ فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ ، فَاسْتَأْذِنَ فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ . فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ : هِيَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ، فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزَلَ وَلَا تَحْكُمُ فِينَا بِالْعَدْلِ ، فَغَضِبَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : { خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ

الجاهلين } [سورة الأعراف: 198] وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ ، وَاللَّهُ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا ، وَكَانَ وَقَافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى . رواه البخارى .

51- وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا تَأْمُرُنَا ؟ قَالَ : تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ وَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الَّذِي لَكُمْ » متفقٌ عليه . « والأثرَةُ » : الانفرادُ بالشيءِ عَمَّنْ لَهُ فِيهِ حَقٌّ .

52- وَعَنْ أَبِي يَحْيَى أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي كَمَا اسْتَعْمَلْتَ فَلَانًا وَفَلَانًا فَقَالَ : « إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ » متفقٌ عليه

« وَأُسَيْدٌ » بِضَمِّ الْهَمْزَةِ . « وَحُضَيْرٌ » بِحَاءٍ مُهْمَلَةٍ مَضْمُومَةٍ وَضَادٍ مُعْجَمَةٍ مُفْتُوحَةٍ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

53- وَعَنْ أَبِي إِبْرَاهِيمَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ الَّتِي لَقِيَ فِيهَا الْعَدُوَّ ، انْتَهَرَ حَتَّى إِذَا مَالَتِ الشَّمْسُ قَامَ فِيهِمْ فَقَالَ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ ، فَإِذَا لَقَيْتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ » ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ وَمُجْرِيَ السَّحَابِ ، وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ ، اهْزِمْنَهُمْ وَانصُرْنَا عَلَيْهِمْ » . متفقٌ عليه وباللَّهِ التَّوْفِيقُ .

أَثَارُ الْوَارِدَةِ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

عن المبارك بن مؤمل عن الحسن : إنه سمعه يقول في قول الله : يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا . قال : أمرهم أن يصبروا على دينهم ولا يدعوه لشدة ولا رخاء ولا سراء ولا ضراء وأمرهم أن يصابروا الكفار وأن يرابطوا المشركين .

عن قتادة قوله : يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا . أي : اصبروا على طاعة الله وصابروا أهل الضلالة ورابطوا في سبيل الله واتقوا الله لعلكم تفلحون . وعن الضحاك في قوله : اصبروا وصابروا ورابطوا قال : اصبروا على ما أمرتم به وصابروا العدو ورابطوهم . (الطبري 7 / 502)

عن محمد بن كعب القرظي : إنه كان يقول في هذه الآية : اصبروا وصابروا ورابطوا . يقول : اصبروا على دينكم وصابروا الوعد الذي وعدتكم ، ورابطوا عدوي وعدوكم ، حتى يترك دينه لدينكم .

عن زيد بن أسلم قال : كتب أبو عبيدة بن الجراح إلى عمر بن الخطاب ، فذكر له جموعاً من الروم وما يتخوف منهم ، فكتب إليه عمر : أما بعد ، فإنه مهما نزل بعبد مؤمن من منزله شدة ، يجعل الله

بعدها فرجا ، وأنه لن يغلب عسر يسرين ، وإن الله يقول في كتابه : يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون . (تفسير الطبري 7 / 503)

قال داود بن صالح : قال لي أبو سلمة بن عبد الرحمن : يا ابن أخي هل تدري في أي شيء نزلت هذه الآية : " اصبروا وصابروا ورابطوا " ؟ قال قلت : لا ! قال : إنه يا ابن أخي لم يكن في زمان النبي صلى الله عليه وسلم غزو يرابط فيه ، ولكنه انتظار الصلاة خلف الصلاة . (تفسير الطبري 7 / 505)

قال ابن عباس : (الخوف) يعني . خوف العدو (والجوع) يعني : القحط . (ونقص من الأموال) بالخسران والهلاك (والأنفس) يعني . بالقتل والموت وقيل بالمرض والشيب (والثمرات) يعني الجوائح في الثمار . (تفسير البغوي 1 / 169)

والأنفس قال ابن عباس : بالقتل والموت في الجهاد . (تفسير القرطبي 2 / 163)

وحكي عن الشافعي أنه قال الخوف خوف الله تعالى والجوع صيام رمضان ونقص من الأموال أداء الزكاة والصدقات والأنفس الأمراض والثمرات موت الأولاد لأن ولد الرجل ثمرة قلبه . (تفسير البغوي 1 / 169)

عن ابن عباس في قوله : ولنبلونكم الآية قال : أخبر الله المؤمنين أن الدنيا دار بلاء ، وأنه مبتليهم فيها ، وأمرهم بالصبر ، وبشرهم ، فقال : وبشر الصابرين وأخبر أن المؤمن إذا سلم لأمر الله ، ورجع واسترجع عند المصيبة كتب الله له ثلاث خصال من الخير ؛ الصلاة من الله ، والرحمة ، وتحقيق سبيل الهدى . (تفسير الدر المنثور 2 / 72)

قال الأوزاعي: ليس يوزن لهم ولا يكال ، إنما يغرف لهم غرفا ، وقال ابن جريج : بلغني أنه لا يحسب عليهم ثواب عملهم قط ، ولكن يزدون على ذلك ، وقال السدي : يعني في الجنة . (بن كثير 3 / 183)
عن قتادة (إنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب) لا والله ما هناك مكبال ولا ميزان .

(تفسير الطبري 21 / 270)

وقال مالك بن أنس في قوله : إنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب قال : هو الصبر على فجائع الدنيا وأحزانها . (تفسير القرطبي 15 / 215)

وقال سعيد بن جبير: من أمر بالمعاصي فلم يهرب . (إنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب) الذين صبروا على دينهم فلم يتركوه للأذى .

قال علي رضي الله عنه : كل مطيع يكال له كيلا ويوزن له وزنا إلا الصابرون فإنه يحثى لهم حثيا .
(تفسير البغوي)

(ولمن صبر وغفر) فلم ينتصر (إن ذلك) الصبر والتجاوز (لمن عزم الأمور) حقها وجزمها قال مقاتل : من الأمور التي أمر الله بها .

قال الزجاج : الصابريؤتى بصبره الثواب فالرغبة في الثواب أتم عزما . (تفسير البغوي 7 / 198)

قال إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف : غشي على عبد الرحمن بن عوف في وجعه غشيه ظنوا أنه قد فاضت نفسه فيها حتى قاموا من عنده ، وجللوه ثوبا ، وخرجت أم كلثوم بنت عقبة امرأته إلى المسجد تستعين بما أمرت به من الصبر والصلاة ، فلبثوا ساعة وهو في غشيته ، ثم أفاق .
(تفسير الدر المنثور)

وقال علي بن الحسين زين العابدين : إذا جمع الله الأولين والآخرين ينادي مناد : أين الصابرون ليدخلوا الجنة قبل الحساب ؟ قال : فيقوم عنق من الناس ، فتلقاهم الملائكة ، فيقولون : إلى أين يا بني آدم ؟ فيقولون : إلى الجنة . فيقولون : وقبل الحساب ؟ قالوا : نعم ، قالوا : ومن أنتم ؟ قالوا : الصابرون قالوا : وما كان صبركم ؟ قالوا : صبرنا على طاعة الله وصبرنا عن معصية الله حتى توفانا الله . قالوا : أنتم كما قلت ، ادخلوا الجنة ، فنعلم أجر العاملين . (بن كثير 1 / 466)

عن أبي العالية في قوله : " واستعينوا بالصبر والصلاة " يقول : استعينوا بالصبر والصلاة على مرضاة الله واعلموا أنهما من طاعة الله . (تفسير الطبري 3 / 214)

قال ابن زيد في قوله (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) قال : نخبركم البلوى : الاختبار . وقرأ (ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) قال : لا يختبرون (ولقد فتنا الذين من قبلهم) . (تفسير الطبري 22 / 186)

قال ابن عباس : حتى نعلم : حتى نميز . وقال علي رضي الله عنه : حتى نعلم : حتى نرى .
(تفسير القرطبي 16 / 232)

عن مجاهد أنه تلا هذه الآية : ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم الآية فقال : اللهم عافنا واسترنا ، ولا تبلى إخبارنا . (تفسير الدر المنثور 13 / 450)

أَثَارُ الْوَارِدَةِ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : وجدنا خير عيشنا بالصبر . (الزهد لابن المبارك 222)

وقال أيضا : أفضل عيش أدركناه بالصبر ولو أن الصبر كان من الرجال كان كريما .
(الصبر والثواب عليه لابن أبي الدنيا 23)

قال علي بن أبي طالب : ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد فإذا قطع الرأس بار
الجسد ثم رفع صوته فقال : إلا إنه لا إيمان لمن لا صبر له . (الصبر والثواب لابن أبي الدنيا 24)

وقال أيضا : الصبر مطية لا تكبو والقناعة سيف لا ينبو (لا يخطئ) . (أدب الدنيا والدين 294)

عن حذيفة رضي الله عنه قال : تعودوا الصبر فأوشك أن ينزل بكم البلاء أما أنه لا يصيبكم أشد
مما أصابنا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . (حلية الأولياء 8 / 337)

قال أبو الدرداء : ذروة الإيمان : الصبر للحكم والرضى بالقدر والإخلاص في التوكل والاستسلام
للرب عزوجل . (حلية الأولياء 1 / 216)

قال عمر بن عبد العزيز: الرضا قليل والصبر معول المؤمن . (حلية الأولياء 5 / 342)

قال عمر بن عبد العزيز وهو على المنبر: ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه فعاظه مكان ما
انتزع منه الصبر إلا كان ما عوضه خيرا مما انتزع منه ثم قرأ : (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير
حساب) (الزمر - 10) . (الصبر والثواب عليه لابن أبي الدنيا 30)

عن يونس بن يزيد قال : سألت ربيعة بن أبي عبد الرحمن : ما منتهى الصبر؟ قال : أن يكون يوم
تصيبه المصيبة مثله قبل أن تصيبه . (حلية الأولياء 3 / 261 - 262)

عن سفيان بن عيينة قال : قيل لبعض الحكماء : ما الصبر؟ قال : الذي يكون في الحال الذي إذا
نزل به ما يكره : صبر وكان مثل حالة الأول : إذا لم يكن أصابه البلاء . (حلية الأولياء 7 / 280)

قال سفيان بن عيينة: لم يعط العباد أفضل من الصبر به دخلوا الجنة . (حلية الأولياء 7 / 305)

قال سفيان الثوري: أتدرون ما تفسير: لا حول ولا قوة إلا بالله؟ يقول : لا يعطي أحد إلا ما أعطيت
ولا يقي أحد إلا ما وقيت . (حلية الأولياء 7 / 140)

وقال أيضا : ثلاثة من الصبر : لا تحدث بمصيبتك ولا بوجعك ولا تزك نفسك . (الحلية 6 / 389)

عن سفيان الثوري قال : إنما الأجر على قدر الصبر . (حلية الأولياء 7 / 54)

قال ميمون بن مهران : الصبر صبران : الصبر على المصيبة حسن وأفضل من ذلك الصبر عن

(المعاصي . (الصبر والثواب عليه 29)

وقال أيضا : ما نال رجل من جسيم الخير نبي ولا غيره إلا بالصبر . (حلية الأولياء 4 / 90)

وقال أبو حاتم : الصبر على ضروب ثلاثة : فالصبر عن المعاصي والصبر على الطاعات والصبر عند الشدائد المصيبات فأفضلها الصبر عن المعاصي فالعاقل يدبر أحواله بالتثبت عند الأحوال الثلاثة التي ذكرناها بلزوم الصبر على المراتب التي وصفناها قبل حتى يرتقي بها إلى درجة الرضا عن الله جل وعلا في حال العسر واليسر معا . (روضة العقلاء 162)

وقال أبو حاتم : الصبر جماع الأمر ونظام الحزم ودعامة العقل وبذر الخير وحيلة من لا حيلة له وأول درجته الاهتمام ثم التيقظ ثم التثبت ثم التصبر ثم الصبر ثم الرضا وهو النهاية في الحالات . (روضة العقلاء 161)

وقال أيضا : النظر إلى الأحمق سخنة عين (الحر أو الحمى) والنظر إلى البخيل يقسي القلب ومن لم يحتمل الغم والأذى لم يقدر أن يدخل فيما يحب . (حلية الأولياء 8 / 350)

قال بشر الحافي : لا ينبغي أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من يصبر على الأذى . (حلية الأولياء 8 / 337)

عزى ابن السماك رجلا فقال : إن المصيبة واحدة : إن جزع أهلها أو صبروا والمصيبة بالأجر أعظم من المصيبة بالموت . (حلية الأولياء 8 / 208 - 209)

عن ابن ذر - أبو ذر عمر بن ذر - قال : من أجمع على الصبر في الأمور فقد حوى الخير والتمس معاقل البروكمال الأجور . (حلية الأولياء 5 / 111)

قال أبي سلميان الداراني : ثلاثة من أعلام الصبر : التباعد عن الخلطاء في الشدة والسكون إليه مع تجرع غصص البلية وإظهار الغني مع حلول الفقر بساحة المعيشة . (حلية الأولياء 9 / 362)

عن صالح المري قال : لو كان الصبر حلوا ما قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم اصبر . ولكن قال له : اصبر فإن الصبر مر . (حلية الأولياء 6 / 171)

عن علي بن الحسين قال : إذا كان يوم القيامة ، ينادي مناد : أين أهل الصبر؟ فيقوم ناس من الناس فيقال : على ما صبرتم؟ قالوا : صبرنا على طاعة الله ، وصبرنا عن معصية الله عز وجل فيقال : صدقتم أدخلوا الجنة . (حلية الأولياء 3 / 138 - 139)

عن عبد الواحد بن زيد قال : من نوى الصبر على طاعة الله : صبره الله عليه وقواه لها ومن نوى الصبر عن معاصي الله : أعانه الله على ذلك وعصمة منها . (حلية الأولياء 6 / 163)

وعن إبراهيم التيمي قال : ما من عبد وهب الله له صبرا على الأذى وصبرا على البلاء وصبرا على المصائب إلا وقد أوتي أفضل ما أوتيته أحد بعد الإيمان بالله . (الصبر والثواب عليه 28)

قال شريح : إني لأصاب بالمصيبة فأحمد الله عليها أربع مرات . أحمد إذ لم يكن أعظم منها وأحمد إذ رزقني الصبر عليها وأحمد إذ وفقني للاسترجاع لما أرجو من الثواب وأحمد إذ لم يجعلها في ديني . (سير أعلام النبلاء 4 / 105)

وعن أبي ميمون قال : إن للصبر شروطا قلت الراوي : ما هي يا أبا ميمون ؟ قال : إن من شروط الصبر أن تعرف كيف تصبر ؟ ولمن تصبر ؟ وما تريد بصبرك ؟ وتحسب في ذلك وتحسن النية فيه لعلك أن يخلص لك صبرك وإلا فإنما أنت بمنزلة الهيمة نزل بها البلاء فاضطربت لذلك ثم هدأ فهدأت فلا هي عقلت ما نزل بها فاحتسبت وصبرت ولا هي صبرت ولا هي عرفت النعمة حين هدأ ما بها فحمدت الله على ذلك وشكرت . (الصبر والثواب عليه لابن أبي الدنيا 53)

قال زياد بن عمرو : كلنا نكره الموت وألم الجراح ولكننا نتفاضل بالصبر . (الصبر لابن أبي الدنيا 44) قال زهير بن نعيم : إن هذا الأمر لا يتم إلا بشيين : الصبر واليقين فإن كان يقين ولم يكن معه صبر لم يتم وإن كان صبر ولم يكن معه يقين لم يتم وقد ضرب لهما أبو الدرداء مثلا فقال : مثل اليقين والصبر مثل فدادين (ثوران يقرن بينهما للحرث) يحفران الأرض فإذا جلس واحد جلس الآخر . (صفة الصفة 4 / 8)

قال عمرو بن قيس الملائي : (فصبر جميل) : الرضا بالمصيبة والتسليم . (الصبر والثواب عليه 86)

قال يحيى بن معاذ : حفت الجنة بالمكاره وأنت تكرهها وحفت النار بالشهوات وأنت تطلمها فما أنت إلا كالمرضى الشديد الداء أن صبر نفسه على مضض الدواء اكتسب بالصبر عافية وإن جزعت نفسه مما يليق طالبت به علة الضنا . (صفة الصفة 4/94)

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : . (دِيْوَانُ الشَّافِعِيِّ 12)

دَعِ الْأَيَّامَ تَفْعَلْ مَا تَشَاءُ *** وَطِبْ نَفْسًا إِذَا حَكَمَ الْقَضَاءُ

وَلَا تَجَزَّعْ لِحَادِثَةِ اللَّيَالِي *** فَمَا لِحَوَادِثِ الدُّنْيَا بَقَاءُ

وَكُنْ رَجُلًا عَلَى الْأَهْوَالِ جَلَدًا *** وَشِيمَتِكَ السَّمَاخَةُ وَالْوَفَاءُ

- وَأَنَّ كَثُرَتْ عُيُوبُكَ فِي الْبَرَايَا *** وَسَرَّكَ أَنْ يَكُونَ لَهَا غِطَاءٌ
- تَسْتَرُّ بِالسَّخَاءِ فَكُلُّ عَيْبٍ *** يُغَطِّيهِ كَمَا قِيلَ السَّخَاءُ
- وَلَا تُرِلُّ لِأَعَادِي قَطُّ ذُلًّا *** فَإِنَّ شِمَاتَةَ الْأَعْدَاءِ بَلَاءٌ
- وَلَا تَرُجُ السَّمَاحَةَ مِنْ بَحِيلٍ *** فَمَا فِي النَّارِ لِلظَّمَانِ مَاءٌ
- وَرِزْقُكَ لَيْسَ يُنْقِصُهُ التَّأَنِّي *** وَلَيْسَ يَزِيدُ فِي الرِّزْقِ الْعَنَاءُ
- وَلَا حُزْنٌ يَدُومُ وَلَا سُرُورٌ *** وَلَا بُؤْسٌ عَلَيْكَ وَلَا رَحَاءُ
- إِذَا مَا كُنْتَ ذَا قَلْبٍ فَنُوعٍ *** فَأَنْتَ وَمَالُكَ الدُّنْيَا سَوَاءٌ
- وَمَنْ نَزَلَتْ بِسَاحَتِهِ الْمَنَايَا *** فَلَا أَرْضٌ تَقِيهِ وَلَا سَمَاءُ
- وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ وَلَكِنْ *** إِذَا نَزَلَ الْقَضَا ضَاقَ الْفَضَاءُ
- دَعِ الْأَيَّامَ تَغْدِرُ كُلَّ حِينٍ *** فَمَا يُغْنِي عَنِ الْمَوْتِ الدَّوَاءُ

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

عروة بن الزبير ووصبره على الابتلاء : وقعت الأكلة (داء يقع في العضو فيأكل منه) في رجل عروة بن الزبير ، فصعدت في ساقه ، فبعث إليه الوليد ، فحمل إليه ودعا الأطباء فقالوا : ليس له دواء إلا القطع ، وقالوا له : اشرب المرقد فقال عروة للطبيب : امض لشأنك ، ما كنت أظن أن خلقا يشرب ما يزيل عقله حتى يعرف به ، فوضع المنشار على ركبته اليسرى ، فما سمع له حس ، فلما قطعها جعل يقول : لأن أخذت لقد أبقيت ، ولئن ابتليت لقد عافيت وما ترك جزأه من القرآن تلك الليلة ، قال الوليد : ما رأيت شيئا قط أصبر من هذا ، ثم إنه أصيب بابنه محمد في ذلك السفر ، ركضته بغلة في إصطبل ، فلم يسمع من عروة في ذلك كلمة ، فلما كان بوادي القرى (واد بين الشام والمدينة وهو بين تيماء وخيبر) قال : (لقينا من سفرنا هذا نصبا) (الكهف 63) اللهم كان لي بنون سبعة ، فأخذت واحدا وأبقيت لي ستة ، وكان لي أطراف أربعة ، فأخذت واحدا وأبقيت ثلاثة ، ولئن ابتليت لقد عافيت ، ولئن أخذت لقد أبقيت . (سير أعلام النبلاء 4 / 430)

لما هلك عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز وسهل بن عبد العزيز ومزاحم مولى عمر في أيام متتابعة دخل الربيع بن سبرة عليه وقال : أعظم الله أجرك يا أمير المؤمنين فما رأيت أحدا أصيب بأعظم من مصيبتك في أيام متتابعة والله ما رأيت مثل ابنك ابنا ولا مثل أخيك أخا ولا مثل مولاك مولى

قط فطاطماً عمر رأسه فقال لي رجل معي على الوسادة : لقد هيجت عليه قال : ثم رفع رأسه فقال : كيف قلت الآن يا ربيع ؟ فأعدت عليه ما قلت أولاً قال : لا والذي قضى عليه أو قال : عليهم بالموت : ما أحب أن شيئاً من ذلك كان لم يكن . (حلية الأولياء 5 / 330)

قال زهير الباني : مات ابن لمطرف بن عبد الله بن الشخير فخرج على الحي قد رجل جمته ولبس حلته فقيل له : ما نرضى منك بهذا وقد مات ابنك فقال : أتأمروني أن أستكين للمصيبة ؟ فوالله لو أن الدنيا وما فيها لي فأخذها الله مني ووعدني عليها شربة ماء غدا ما رأيتها لتلك الشربة أهلاً فكيف : بالصلوات والهدى والرحمة . (حلية الأولياء 2 / 199)

عن إبراهيم بن سعد : سمع علي بن الحسين ناعية في بيته وعنده جماعة فهض إلى منزله ثم رجع إلى مجلسه فقيل له : أمن حدث كانت الناعية ؟ قال : نعم فعزوه وتعجبوا من صبره فقال : أنا أهل بيت نطيع الله فيما نحب ونحمده فيما نكره . (حلية الأولياء 3 / 183)

نظر إبراهيم بن أدهم إلى رجل : قد أصيب بمال ومتاع ووقع الحريق في دكانه فاشتد جزعه حتى خولط في عقله فقال : يا عبد الله إن المال مال الله متعك به إذ شاء وأخذه منك إذ شاء فاصبر لأمره ولا تجزع فإن من تمام شكر الله على العافية : الصبر له على البلية ومن قدم : وجد ومن آخر : فقد ندم . (حلية الأولياء 8 / 32 - 33)

عن وهب بن منبه قال : أتى رجل من أفضل أهل زمانه إلى ملك كان يفتن الناس على أكل لحوم الخنازير فلما أتى به استعظم الناس مكانه وساءهم أمره فقال له صاحب شرطة الملك : انتني بجدي نذبحه مما يحل لك أكله فاعطنيه فإن الملك إذا دعا بلحم الخنزير أتيتك به فكله فذبح جدياً فأعطاه إياه ثم أتى به الملك فدعا له بلحم الخنزير فأتى صاحب الشرط باللحم الذي كان أعطاه إياه - وهو : لحم الجدي - فأمره الملك أن يأكله فأبى فجعل صاحب الشرطة يغمز إليه ويأمره بأكله ويريه : أنه اللحم الذي دفعه إليه فأبى أن يأكله فأمر الملك صاحب شرطته أن يقتله فلما ذهب به قال : ما منعك أن تأكل وهو اللحم الذي دفعت إلي ؟ أظننت أنني أتيتك بغيره ؟ قال : قد علمت أنه هو ولكن : خفت أن يقتاس بي الناس فكل من أراده على أكل لحم الخنزير قال : قد أكله فلان فيقتاس بي فأكون فتنه لهم فقتل . (حلية الأولياء 4 / 55 - 56)

عن إبراهيم بن مته السمرقندي قال : سألت أبا محمد عبد الله بن عبد الرحمن عن أحمد بن حنبل قلت : هو إمام ؟ قال : إي والله وكما يكون الإمام إن أحمد أخذ بقلوب الناس إن أحمد : صبر على الفقر سبعين سنة . (حلية الأولياء 9 / 176)

قال أحمد بن محمد التستري : ذكروا : أنه مر عليه يعني : أحمد بن حنبل ثلاثة أيام ما كان طعم فيها فبعث إلى صديق له فاستقرض شيئا من الدقيق فعرفوا في البيت شدة حاجته إلى الطعام فخبزوا بالعجلة فلما وضع بين يديه قال : كيف عملتم خبزتم بسرعة هذا فقيل له : كان التنور في دار صالح ابنه مسجرا وخبزنا بالعجلة فقال : ارفعوا ولم يأكل فأمر بسد بابه إلى دار صالح .
(حلية الأولياء 9 / 177)

وجاء رجل إلى يونس بن عبيد فشكا إليه ضيقا من حالة ومعاشه واغتماما بذلك فقال : أيسرك ببصرك مئة ألف ؟ قال : لا قال : فبسمعك ؟ قال : لا قال : فبلسانك ؟ قال : لا قال : فبعقلك ؟ قال : لا في خلال وذكره نعم الله عليه ثم قال يونس : أرى لك مؤين ألوفا وأنت تشكو الحاجة ؟ .
(سير أعلام النبلاء 292 / 6)

قال أبو عبد الرحمن المغازلي : دخلت على رجل مبتلى بالحجاز فقلت : كيف تجدك ؟ قال : أجد عافيته أكثر مما ابتلاني به وأجد نعمه علي أكثر من أن أحصها قلت : أتجد لما أنت فيه ألما شديدا ؟ فبكي ثم قال : سلا بنفسي عن ألم ما بي ما وعد عليه سيدي أهل الصبر من كمال الأجور في شدة يوم عسير قال : ثم غشي عليه فمكث مليا ثم أفاق فقال : إني لأحسب أن لأهل الصبر غدا في القيامة مقاما شريفا لا يتقدمه من ثواب الأعمال شيء إلا ما كان من الرضا عن الله تعالى .
(الصبر والثواب عليه 80)

قال الحسن : سب رجل رجلا من الصدر الأول فقام الرجل وهو يمسح العرق عن وجهه وهو يتلو :
(ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور) (الشورى 43) قال الحسن : عقلها والله وفهمها إذ ضيعها الجاهلون . (الصبر والثواب عليه 87)

4 - باب الصدق

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ [التوبة : 119] ، وَقَالَ تَعَالَى :
وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ [الأحزاب : 35] ، وَقَالَ تَعَالَى : فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ [محمد : 21]

54- فَالْأَوَّلُ : عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لِيَصْدُقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا ، وَإِنَّ الْكُذْبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لِيَكْذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا » متفقٌ عليه .

55- الثَّانِي : عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « دَعُ مَا يَرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيْبُكَ ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ ، وَالْكَذِبُ رِيْبَةٌ »

رواه الترمذي وقال: حديثٌ صحيحٌ .

قَوْلُهُ: « يَرِيْبُكَ » هُوَ بَفَتْحِ الْيَاءِ وَضَمِّهَا ، وَمَعْنَاهُ : اَثْرُكَ مَا تَشْكُ فِي حِلِّهِ ، وَاعْدِلْ إِلَى مَا لَا تَشْكُ فِيهِ .
56- الثَّلَاثُ : عَنْ أَبِي سُفْيَانَ صَخْرُبِنْ حَرْبٍ . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . فِي حَدِيثِهِ الطَّوِيلِ فِي قِصَّةِ هِرْقُلُ ، قَالَ هِرْقُلُ : فَمَاذَا يَأْمُرُكُمْ يَعْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: قُلْتُ : يَقُولُ « اَعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَاتْرَكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقِ ، وَالْعَفَافِ ، وَالصَّيْلَةِ » . مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

57- الرَّابِعُ : عَنْ أَبِي ثَابِتٍ ، وَقِيلَ : أَبِي سَعِيدٍ ، وَقِيلَ : أَبِي الْوَلِيدِ ، سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ ، وَهُوَ بَدْرِيُّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ سَأَلَ اللَّهَ ، تَعَالَى الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

58- الْخَامِسُ : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « غَزَا نَبِيُّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ فَقَالَ لِقَوْمِهِ : لَا يَتَّبِعُنِي رَجُلٌ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ . وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِي بِهَا وَمَا يَبْنِي بِهَا ، وَلَا أَحَدٌ بَنَى بَيْوتًا لَمْ يَرْفَعْ سُقُوفَهَا ، وَلَا أَحَدٌ اشْتَرَى غَنَمًا أَوْ خَلْفَاتٍ وَهُوَ يَنْتَظِرُ أَوْلَادَهَا . فَعَزَا فَدَنَا مِنَ الْقُرْبَةِ صَلَاةَ الْعَصْرِ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ لِلشَّمْسِ : إِنَّكَ مَأْمُورَةٌ وَأَنَا مَأْمُورٌ ، اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيْنَا ، فَحُبِسَتْ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، فَجَمَعَ الْغَنَائِمَ ، فَجَاءَتْ يَعْنِي النَّارَ لِتَأْكُلَهَا فَلَمْ تَطْعَمْهَا ، فَقَالَ: إِنَّ فِيكُمْ غُلُولًا ، فليبايعني من كل قبيلة رجل ، فلزقت يد رجل بيده فقال : فيكم الغلُولُ ، فليبايعني قبيلتكم ، فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده فقال : فيكم الغُلُولُ ، فَجَاءُوا بِرَأْسِ مِثْلِ رَأْسِ بَقْرَةٍ مِنَ الذَّهَبِ ، فَوَضَعَهَا فَجَاءَتْ النَّارُ فَأَكَلَتْهَا ، فَلَمْ تَحُلِ الْغَنَائِمَ لِأَحَدٍ قَبْلَنَا ، ثُمَّ أَحَلَّ اللَّهُ لَنَا الْغَنَائِمَ لَمَّا رَأَى ضَعْفَنَا وَعَجْزَنَا فَأَحَلَّهَا لَنَا » مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ . « الْخَلْفَاتُ » بَفَتْحِ الْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ وَكَسْرِ اللَّامِ : جَمْعُ خَلْفَةٍ ، وَهِيَ النَّاقَةُ الْحَامِلُ .

59- السَّادِسُ : عَنْ أَبِي خَالِدٍ حَكِيمِ بْنِ حَزَامٍ . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْبَيْعَانُ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا ، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيْنَا بُوْرُكٌ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا ، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَّتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا » مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

عن نافع في قوله : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال : نزلت في الثلاثة الذين خلفوا : قيل لهم : كونوا مع محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

قال كعب بن مالك : فينا نزلت أيضا : اتقوا الله وكونوا مع الصادقين .

عن ابن عمر في قوله : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال : مع محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه . عن الضحاک في قوله : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال : أمروا أن يكونوا مع أبي بكر وعمر وأصحابهما . (تفسير الدر المنثور 7 / 582)

قال أنس : أن الرجل ليحرم قيام الليل وصيام النهار بالكذبة يكذبها . (تفسير الدر المنثور 7 / 590)

قال ابن مسعود : إن الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل ولا أن يعد أحدكم شيئا ثم لا ينجزه اقرءوا إن شئتم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين هل ترون في الكذب رخصة ؟ . (تفسير القرطبي 8 / 206)

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : مع الذين صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم وأعمالهم وخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك بإخلاص نية . وقيل : مع الذين صدقوا في الاعتراف بالذنب ولم يعتذروا بالأعذار الكاذبة . (تفسير البغوي 4 / 109)

قال ابن عباس : قالت النساء : يا رسول الله ما باله يذكر المؤمنين ولم يذكر المؤمنات ؟ فنزل : إن المسلمين والمسلمات . عن قتادة قال : لما ذكر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قال النساء : لو كان فينا خير لذكرنا ، فأنزل الله : إن المسلمين والمسلمات الآية . (تفسير الدر المنثور 12 / 46)

قال عكرمة : قال النساء للرجال : أسلمنا كما أسلمتم وفعلنا كما فعلتم ، فتذكرون في القرآن ولا تذكر ! وكان الناس يسمون المسلمين فلما هاجروا سمو المؤمنين فأنزل الله : إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات يعني : المطيعين والمطيعات والصادقين والصادقات والصائمين والصائمات شهر رمضان والحافظين فروجهم والحافظات يعني : من النساء والذاكرين الله كثيرا والذاكرات يعني : ذكر آلاء الله وذكر نعمه أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما . (تفسير الدر المنثور 12 / 47)

عن سعيد بن جبير في قوله : (إن المسلمين والمسلمات) الآية : يعني : المخلصين لله من الرجال ، والمخلصات من النساء ، والمؤمنين والمؤمنات يعني : المصدقين والمصدقات ، والقانتين والقانتات يعني : المطيعين والمطيعات ، والصادقين والصادقات يعني : الصادقين في إيمانهم ، والصابرين والصابرات يعني : على أمر الله ، والخاشعين يعني : المتواضعين لله في الصلاة ، من لا يعرف من عن يمينه ولا من عن يساره ولا يلتفت من الخشوع لله ، والخاشعات يعني : المتواضعات من النساء ، والصائمين والصائمات قال : من صام شهر رمضان : وثلاثة أيام من كل شهر فهو من أهل هذه الآية

، والحافظين فروجهم والحافظات . قال : يعني : فروجهم عن الفواحيش . ثم أخبر بثوابهم فقال : أعد الله لهم يعني : لمن ذكر في هذه الآية ، مغفرة . يعني : لذنوبهم ، وأجر عظيم . يعني : جزاء وافر في الجنة . (تفسير الدر المنثور 12 / 47 - 48)

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : حينما بويع للخلافة : أيها الناس إني قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني الصدق أمانة والكذب خيانة . (الكامل 2/192)
قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : قد يبلغ الصادق بصدقه ما لا يبلغه الكاذب باحتياله . (أدب الدنيا والدين 261 - 262)

وقال عمر بن الخطاب : لا يجد عبد حقيقة الإيمان حتى يدع المرء وهو محق ويدع الكذب في المزاح وهو يرى أنه لو شاء لغلب . (روضة العقلاء لابن حبان السبتي 55)

قال ابن عباس في قوله تعالى : (ولا تلبسوا الحق بالباطل) (البقرة 42) أي لا تخلطوا الصدق بالكذب . (تفسير الطبري 1 / 155)

قال ابن عباس رضي الله عنه : أربع من كن فيه فقد ربح : الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر . (أدب الدنيا والدين 261)

قال عبد الله بن عمرو : ذرما لست منه في شيء ولا تنطق فيما لا يعينك واخزن لسانك كما تخزن دراهمك . (شعب الإيمان للبيهقي 66 / 7)

قال عمر بن عبدالعزيز : ما كذبت منذ علمت أن الكذب يشين صاحبه . (أدب الدنيا والدين 261)
وقال الشعبي رحمه الله : عليك بالصدق حيث ترى أنه يضرك فإنه ينفعك واجتنب الكذب حيث ترى أنه ينفعك فإنه يضرك . (أدب الدنيا والدين 261 - 262)

قال إسماعيل بن عبيد الله : كان عبد الملك بن مروان يأمرني أن أجنب بنيه السمن وكان يأمرني أن لا أطعم طعاما حتى يخرجوا إلى البراز وكان يقول : علم بني الصدق كما تعلمهم القرآن وجنهم الكذب وأن فيه كذا وكذا يعني القتل . (روضة العقلاء 51)

قال ميمون بن ميمون : من عرف بالصدق جاز كذبه ومن عرف بالكذب لم يجز صدقه . (عيون الأخبار 2 / 27)

وقال الأحنف لابنه : يا بني يكفيك من شرف الصدق أن الصادق يقبل قوله في عدوه ومن دناءة الكذب أن الكاذب لا يقبل قوله في صديقه ولا عدوه لكل شيء حلية وحلية المنطق الصدق يدل على اعتدال وزن العقل . (نهاية الارب في فنون الأدب 224 / 3)

قال الفضيل بن عياض : ما من مضغه أحب إلى الله من لسان صدوق وما من مضغه أبغض إلى الله من لسان كذوب . (روضة العقلاء 52)

قال إبراهيم الخواص : الصادق لا تراه إلا في فرض يؤديه أو فضل يعمل فيه . وقال الجنيد : حقيقة الصدق أن تصدق في موطن لا ينجيك منه إلا الكذب . وقيل : ثلاث لا تخطئ الصدق : الحلاوة والملاحة والهيبة . (مدارج السالكين 20 / 3)

وقال القبيبي : أصدق في صغار ما يضرني لأصدق في كبار ما ينفعني . (عيون الأخبار 28 / 2)

قال مالك بن دينار : إن الصدق يبدو في القلب ضعيفا كما يبدو نبات النخلة يبدو غصنا واحدا فإذا نتفها صبي ذهب أصلها وإن أكلتها عز ذهب أصلها فتسقي فتنتشر وتسقى فتنتشر حتى يكون لها أصل أصيل يوطأ وظل يستظل به وثمره يؤكل منها كذلك الصدق يبدو في القلب ضعيفا فيتفقده صاحبه ويزيده الله تعالى ويتفقده صاحبه فيزيده الله حتى يجعله الله بركة على نفسه ويكون كلامه دواء للخاطئين قال : ثم يقول مالك : أما رأيتموهم ؟ ثم يرجع إلى نفسه فيقول : بلى والله لقد رأيناهم : الحسن وسعيد بن جبير وأشباههم الرجل منهم يحي الله بكلامه الفئام من الناس . (حلية الأولياء 2 / 359 - 360)

قال أبو حاتم : الصدق يرفع المرء في الدارين كما أن الكذب يهوي به في الحالين ولو لم يكن الصدق خصلة تحمد إلا أن المرء إذا عرف به قبل كذبه وصار صدقا عند من يسمعه لكان الواجب على العاقل أن يبلغ مجهوده في رياضة لسانه حتى يستقيم له على الصدق ومجانبة الكذب والعي في بعض الأوقات خير من النطق لأن كل كلام أخطأ صاحبه موضعه فالعي خير منه . (روضة العقلاء 54)

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَغْدَادِيُّ : (رَوْضَةُ الْعُقَلَاءِ ص 53)

إِذَا مَا الْمُرءُ أَخْطَأَهُ ثَلَاثٌ *** فَبِعْهُ وَلَوْ يَكْفُ مِنْ رَمَادٍ

سَلَامَةَ صَدْرِهِ وَالصِّدْقُ مِنْهُ *** وَكُتْمَانِ السَّرَائِرِ فِي الْفُؤَادِ

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

وروي أن بلالاً لم يكذب منذ أسلم فبلغ ذلك بعض من يحسده فقال : اليوم أكذبه فسايهه فقال له : يا بلال ما سن فرسك ؟ قال عظم ، قال : فما جريه ؟ قال : يحضر ما استطاع قال : فأين تنزل ؟ قال : حيث أضع قدمي قال : ابن من أنت ؟ قال ابن أبي وأمي قال : فكم أتى عليك ؟ قال : ليال وأيام الله أعلم بعدها قال : هيئات أعيت فيك حيلتي ما أتعب بعد اليوم أبداً . (نهاية الأرب في فنون الأدب 3/225)

قال الشيخ عبد القادر الجيلاني (470 هـ - 573 هـ) : بنيت أمري على الصدق ، وذلك أني خرجت من مكة إلى بغداد أطلب العلم ، فأعطتني أمي أربعين ديناراً ، وعاهدتني على الصدق ، ولما وصلنا أرض (همدان) خرج علينا عرب ، فأخذوا القافلة ، فمر واحد منهم ، وقال : ما معك ؟ قلت : أربعون ديناراً . فظن أني أهزأ به ، فتركني ، فرآني رجل آخر ، فقال ما معك ؟ فأخبرته ، فأخذني إلى أميرهم ، فسألني فأخبرته ، فقال : ما حملك على الصدق ؟ قلت : عاهدتني أمي على الصدق ، فأخاف أن أخون عهداً . فصاح باكياً ، وقال : أنت تخاف أن تخون عهد أمك ، وأنا لا أخاف أن أخون عهد الله !! ثم أمر برد ما أخذوه من القافلة ، وقال : أنا تائب لله على يدك . فقال من معه : أنت كبيرنا في قطع الطريق ، وأنت اليوم كبيرنا في التوبة ، فتابوا جميعاً ببركة الصدق وسببه . (نزهة المجالس ومنتخب النفائس 1 / 131)

5- باب المراقبة

قَالَ اللهُ تَعَالَى : الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ [الشعراء : 219 - 220] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ [الحديد : 4] ، وَقَالَ تَعَالَى : إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ [آل عمران : 6] ، وَقَالَ تَعَالَى : إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ [الفجر : 14] ، وَقَالَ تَعَالَى : يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ [غافر : 19] وَالآيَاتُ فِي الْبَابِ كَثِيرَةٌ مَعْلُومَةٌ .

60- وَأَمَّا الْأَحَادِيثُ ، فَالْأَوَّلُ : عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ : «بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ النَّيَابِ ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ ، وَلَا يَعْرِفُهُ مَنْ أَحَدٌ ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنْ تُحَمَّدَ رَسُولَ اللهِ وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا . قَالَ : صَدَقْتَ .

فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ ، قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ . قَالَ : أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ . قَالَ : صَدَقْتَ قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ . قَالَ : أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ . فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ . قَالَ : مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ . قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا . قَالَ أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا ، وَأَنْ تَرَى الْحَفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ رِعَاءِ الشَّيْءِ يَطَّوُلُونَ فِي الْبُنْيَانِ ثُمَّ انْطَلَقَ ، فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ، ثُمَّ قَالَ : يَا عُمَرُ ، أَتَدْرِي مِنَ السَّائِلِ قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ : فَإِنَّهُ جَبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ « رواه مسلم . ومعنى : « تَلِدُ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا » أَي : سَيِّدَتَهَا ، ومعناه أَنْ تَكْتُمَ السَّرَارِي حَتَّى تَلِدَ الْأُمَّةُ السَّرِيَّةَ بِنْتًا لِسَيِّدِهَا ، وَبِنْتُ السَّيِّدِ فِي مَعْنَى السَّيِّدِ ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ وَ « الْعَالَةُ » : الْفُقَرَاءُ . وَقَوْلُهُ « مَلِيًّا » أَي زَمَنًا طَوِيلًا ، وَكَانَ ذَلِكَ ثَلَاثًا

61- الثَّانِي : عَنْ أَبِي ذَرِّ جُنْدُبِ بْنِ جُنَادَةَ ، وَأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَاتَّبِعِ السَّبِيَّةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّبَهَا ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقِي حَسَنِي » رواه التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ .

62- الثَّلَاثُ : عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : « كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ : « يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ : « أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ أَحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعْنَتْ فَاسْتَعِنِ بِاللَّهِ ، وَاعْلَمْ : أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ ، زُفِعَتِ الْأَقْلَامُ ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ » . رواه التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

وَفِي رِوَايَةِ غَيْرِ التِّرْمِذِيِّ : « أَحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ ، تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفَكَ فِي الشَّدَةِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ ، وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا » .

63- الرَّابِعُ : عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : « إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدْقُ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ ، كُنَّا نَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمُؤَبَقَاتِ « رواه البخاري . وقال : « الْمُؤَبَقَاتُ » الْمُهِلِكَاتُ .

64- الْخَامِسُ : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَغَارُ ، وَغَيْرُهُ اللَّهُ تَعَالَى ، أَنْ يَأْتِيَ الْمَرْءَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ « متفقٌ عليه . و « الْغَيْرَةُ » بفتح الغين وَأَصْلُهَا الْأَنْفَةُ .

65- السَّادِسُ : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِنَّ ثَلَاثَةً

مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ : أَبْرَصَ ، وَ أَفْرَعَ ، وَأَعْمَى ، أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُبْتَلِيَهُمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا ، فَأَتَى الْأَبْرَصَ فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : لَوْنٌ حَسَنٌ ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ ، وَيُذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذَرَنِي النَّاسُ ، فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَدْرُهُ وَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا . قَالَ : فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : الْإِبِلُ أَوْ قَالَ الْبَقْرُ شَكَّ الرَّاوي فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُسْرَاءَ ، فَقَالَ : بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا . فَأَتَى الْأَفْرَعَ فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : شَعْرٌ حَسَنٌ ، وَيُذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذِي قَذَرَنِي النَّاسُ ، فَمَسَحَهُ عَنْهُ . أُعْطِيَ شَعْرًا حَسَنًا . قَالَ فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : الْبَقْرُ ، فَأُعْطِيَ بَقْرَةً حَامِلًا ، وَقَالَ : بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا . فَأَتَى الْأَعْمَى فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : أَنْ يَرُدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصْرِي فَأُبْصِرَ النَّاسَ فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصْرَهُ . قَالَ : فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : الْغَنَمُ فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا فَأَنْتَجَ هَذَا وَوَلَدَ هَذَا ، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الْإِبِلِ ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقْرِ ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ . ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ ، فَقَالَ : رَجُلٌ مِسْكِينٌ قَدْ انْقَطَعَتْ بِي الْجِبَالُ فِي سَفَرِي ، فَلَا بَلَاغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بَكَ ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ ، وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ ، وَالْمَالِ ، بَعِيرًا أَتَبَلَّغَ بِهِ فِي سَفَرِي ، فَقَالَ : الْحَقُوقُ كَثِيرَةٌ . فَقَالَ : كَأَنِّي أَعْرَفُكَ أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذُرُكَ النَّاسُ ، فَقِيرًا ، فَأَعْطَاكَ اللَّهُ ، فَقَالَ : إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالِ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ ، فَقَالَ : إِنْ كُنْتُ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتُ . وَأَتَى الْأَفْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ ، فَقَالَ لَهُ مِثْلُ مَا قَالَ لِهَذَا ، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ هَذَا ، فَقَالَ : إِنْ كُنْتُ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَيَّ مَا كُنْتُ . وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ ، فَقَالَ : رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنٌ سَبِيلٍ انْقَطَعَتْ بِي الْجِبَالُ فِي سَفَرِي ، فَلَا بَلَاغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بَكَ ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغَ بِهَا فِي سَفَرِي ؟ فَقَالَ : قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصْرِي ، فَخُذْ مَا شِئْتَ وَدَعْ مَا شِئْتَ فَوَاللَّهِ مَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَحَدْتَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ . فَقَالَ : أَمْسِكْ مَا لَكَ فَإِنَّمَا ابْتَلَيْتُمْ فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ وَسَخَطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ « متفقٌ عليه

« وَالنَّاقَةُ الْعُسْرَاءُ » بِضَمِّ الْعَيْنِ وَبِالْمَدِّ : هِيَ الْحَامِلُ . قَوْلُهُ : « أَنْتَجَ » وَفِي رِوَايَةٍ : « فَتَنَجَ » مَعْنَاهُ : تَوَلَّى نِتَاجَهَا ، وَالنَّاتِجُ لِلنَّاقَةِ كَالْقَابِلَةِ لِلْمَرْأَةِ . وَقَوْلُهُ : « وَلَدَ هَذَا » هُوَ بِتَشْدِيدِ اللَّامِ : أَيُّ : تَوَلَّى وَوَلَدَتْهَا ، وَهُوَ بِمَعْنَى نَتَجَ فِي النَّاقَةِ . فَالْمَوْلُدُ ، وَالنَّاتِجُ ، وَالْقَابِلَةُ بِمَعْنَى ، لَكِنْ هَذَا لِلْحَيَوَانِ وَذَلِكَ لِغَيْرِهِ . وَقَوْلُهُ : « انْقَطَعَتْ بِي الْجِبَالُ » هُوَ بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ وَالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ : أَيُّ الْأَسْبَابِ . وَقَوْلُهُ : « لَا أَجْهَدُكَ » مَعْنَاهُ : لَا أَشَقُّ عَلَيْكَ فِي رَدِّ شَيْءٍ تَأْخُذُهُ أَوْ تَطْلُبُهُ مِنْ مَالِي . وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ : « لَا أَحْمَدُكَ » بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ وَالْمِيمِ ، وَمَعْنَاهُ : لَا أَحْمَدُكَ بِتَرْكِ شَيْءٍ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، كَمَا قَالُوا : لَيْسَ عَلَيَّ طَوْلُ الْحَيَاةِ نَدَمٌ أَيُّ عَلَى فَوَاتِ طَوْلِهَا .

66- السَّابِعُ : عَنْ أَبِي يَعْلَى شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « الْكَيْسُ مَنْ ذَانَ نَفْسَهُ ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَالْعَاجِزُ مَنْ اتَّبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا ، وَتَمَتَّى عَلَى اللَّهِ

الأمامي « رواه الترمذي وقال حديث حسن . قال الترمذي وغيره من العلماء : معني « دَانَ نَفْسَهُ » : حَاسَبَهَا .

67- الثَّامِنُ : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ « حديث حسن رواه الترمذي وغيره .

68- التَّاسِعُ : عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا يُسْأَلُ الرَّجُلُ فِيمَ ضَرَبَ امْرَأَتَهُ » رواه أبو داود وغيره .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

عن ابن عباس في قوله : (الذي يراك حين تقوم) قال : للصلاة . (تفسير الدر المنثور 17 / 315)

عن مجاهد قوله : (الذي يراك حين تقوم) قال : أينما كنت . (تفسير الطبري 19 / 412)

عن ابن عباس في قوله : وهو معكم أين ما كنتم قال : عالم بكم أينما كنتم .

وعن سفيان الثوري أنه سئل عن قوله : وهو معكم قال : علمه . (تفسير الدر المنثور 14 / 263)

قال أبو جعفر : يعني بذلك - جل ثناؤه - : إن الله لا يخفى عليه شيء هو في الأرض ولا شيء هو في السماء . يقول : فكيف يخفى علي يا محمد - وأنا علام جميع الأشياء - ما يضاهاى به هؤلاء الذين يجادلونك في آيات الله من نصارى نجران في عيسى ابن مريم في مقالتهم التي يقولونها فيه ؟ ! .

عن محمد بن جعفر بن الزبير : إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء . أي : قد علم ما يريدون وما يكيدون وما يضاهون بقولهم في عيسى ، إذ جعلوه ربا والها ، وعندهم من علمه غير ذلك ، غرة بالله وكفرا به . (تفسير الطبري 6 / 166)

قال ابن عباس : إن على جهنم سبع قناطر يسأل الإنسان عند أول قنطرة عن الإيمان فإن جاء به تاما جاز إلى القنطرة الثانية ثم يسأل عن الصلاة فإن جاء بها جاز إلى الثالثة ثم يسأل عن الزكاة فإن جاء بها جاز إلى الرابعة . ثم يسأل عن صيام شهر رمضان فإن جاء به جاز إلى الخامسة . ثم يسأل عن الحج والعمرة فإن جاء بهما جاز إلى السادسة . ثم يسأل عن صلة الرحم فإن جاء بها جاز إلى السابعة . ثم يسأل عن المظالم وينادي مناد : ألا من كانت له مظلمة فليأت فيقتص للناس منه ويقتص له من الناس فذلك قوله عز وجل : إن ربك لبالمرصاد . وقال الثوري : لبالمرصاد يعني جهنم عليها ثلاث قناطر : قنطرة فيها الرحم وقنطرة فيها الأمانة وقنطرة فيها الرب تبارك وتعالى . قال الحسن وعكرمة : أي يرصد عمل كل إنسان حتى يجازيه به . (تفسير القرطبي 20 / 45)

قال الضحاك : إذا كان يوم القيامة يأمر الرب بكرسيه فيوضع على النار فيستوي عليه ثم يقول : أنا الملك الديان وعزتي وجلالي لا يتجاوزني اليوم ذو مظلمة بظلامته ولو ضربة بيد فذلك قوله : إن ربك لبالمرصاد .

وعن ابن مسعود في قوله : والفجر قال : قسم وفي قوله : إن ربك لبالمرصاد من وراء الصراط جسور: جسور عليه الأمانة وجسر عليه الرحم وجسر عليه الرب عزوجل . (الدر المنثور 15/416)

قال ابن عباس في قوله : (يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور) وهو الرجل يدخل على أهل البيت بيتهم ، وفهم المرأة الحسنة ، أو تمر به وبهم المرأة الحسنة ، فإذا غفلوا لحظ إليها ، فإذا فطنوا غض ، فإذا غفلوا لحظ ، فإذا فطنوا غض (بصره عنها) وقد اطلع الله من قلبه أنه ود أن لو اطلع على فرجها . (تفسير ابن كثير 7 / 137)

وقال الضحاك : (خائنة الأعين) هو الغمز وقول الرجل : رأيت ولم ير أو : لم أروقد رأى . وقال ابن عباس : يعلم (الله) تعالى من العين في نظرها هل تريد الخيانة أم لا ؟ وكذا قال مجاهد وقتادة . وقال ابن عباس في قوله : (وما تخفي الصدور) يعلم إذا أنت قدرت عليها هل تزني بها أم لا ؟ . وقال السدي : (وما تخفي الصدور) أي : من الوسوسة . (تفسير ابن كثير 7 / 137)

عن أبي الجوزاء : يعلم خائنة الأعين قال : كان الرجل يدخل على القوم في البيت ، وفي البيت امرأة ، فيرفع رأسه فيلحظ إليها ثم ينكس . (تفسير الدر المنثور 13 / 33)

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

عن ابن السماك قال : أوصاني أخي داود بوصية : أنظر أن لا يراك الله حيث هناك وأن لا يفقدك حيث أمرك واستح في قربه منك وقدرته عليك . (حلية الأولياء 7 / 35)

قال رجل لوهيب بن الورد: عظمي قال: اتق أن يكون الله أهون الناظرين إليك . (الحلية 8 / 142)

قال ذو النون المصري : إذا اطلع الخبير على الضمير فلم يجد في الضمير غير الخير : جعل فيه سراجاً منيراً . (حلية الأولياء 9 / 379)

قال ذو النون المصري : علامة المراقبة إثارة ما أنزل الله وتعظيم ما عظم الله وتصغير ما صغر الله . (مدارج السالكين 66 / 2)

وسئل المحاسبي عن المراقبة فقال : أولها علم القلب بقرب الله تعالى وقال المرتعش : المراقبة مراعاة السر بملاحظة الغيب مع كل لحظة ولطفة . (إحياء علوم الدين 4 / 397)

قال المحاسبي : المراقبة دوام علم القلب بعلم الله عزوجل في السكون والحركة علما لازما مقترنا بصفاء اليقين . (الوصايا للمحاسبي 313)

سئل عبد الله بن فاتك عن المراقبة فقال : إذا كنت فاعلا : فانظر نظر الله إليك وإذا كنت قائلا : فانظر سمع الله إليك وإذا كنت ساكتا : فانظر علم الله فيك قال الله تعالى : (إنني معكما أسمع وأرى) (طه 42) . (حلية الأولياء 10 / 358)

وقال أيضا في قوله تعالى : (يعلم ما في أنفسكم فاحذروه) وكان يقول الرجال ثلاثة رجل شغل بمعاشه عن معادة فهذا هالك ورجل شغل بمعادة عن معاشه فهذا فانز ورجل اشتغل بهما فهذا مخاطر مرة له ومرة عليه . (حلية الأولياء 10 / 359)

جاء رجل إلى أبي يزيد البسطامي فقال : أوصني فقال له : أنظر إلى السماء فنظر صاحبه إلى السماء فقال له أبو يزيد : أتدري من خلق هذا ؟ قال : الله . قال أبو يزيد : إن من خلقها : لمطلع عليك حيث كنت فاحذره . (حلية الأولياء 10 / 35)

عن محمد بن علي الترمذي قال : اجعل مر اقبتك : لمن لا يغيب عن نظرة إليك واجعل شكرك : لمن لا تنقطع نعمه عنك واجعل خضوعك : لمن لا تخرج عن ملكة وسلطانه . (حلية الأولياء 10 / 235)
قال ابن المبارك : لرجل راقب الله تعالى فسأله عن تفسيرها فقال كن أبدا كأنك ترى الله عزوجل . (إحياء علوم الدين 4 / 397)

وقال عبد الواحد بن زيد: إذا كان سيدي رقيبا على فلا أبالي بغيره . (إحياء علوم الدين 4 / 397)

وقال أبو عثمان المغربي : أفضل ما يلزم الإنسان نفسه في هذه الطريقة المحاسبية والمراقبة وسياسة عمله بالعلم . (إحياء علوم الدين 4 / 397)

وقال ابن عطاء : أفضل الطاعات مراقبة الحق على دوام الأوقات . (إحياء علوم الدين 4 / 397)
وقال الجريري : أمرنا هذا مبني على أصلين أن تلزم نفسك المراقبة لله عزوجل ويكون العلم على ظاهرك قائما . وقال أبو عثمان قال لي أبو حفص : إذا جلست للناس فكُن واعظا لنفسك وقلبك ولا يغرنك اجتماعهم عليك فإنهم يراقبون ظاهرك والله رقيب على باطنك . (الإحياء 4 / 397)

قال الجنيد : إنما يتحقق بالمراقبة من يخاف على فوت حظه من ربه عزوجل . (الإحياء 4 / 397)
وقال مالك بن دينار : جنات عدن من جنات الفردوس وفيها حور خلقن من ورد الجنة قيل له ومن

يسكنها قال يقول الله عزوجل وإنما يسكن جنات عدن الذين إذا هموا بالمعاصي ذكروا عظمتي فراقبوني والذين انثنت أصلابهم من خشيتي وعزتي وجلالي إني لأهم بعذاب أهل الأرض فإذا نظرت إلى أهل الجوع والعطش من مخافتني صرفت عنهم العذاب . (إحياء علوم الدين 4 / 397)

قال عمرو بن نجيد : كان شاه بن شجاع حاد الفراسة وقيل : ما أخطأت فراسته وكان يقول : من غض بصره عن المحارم وأمسك نفسه عن الشهوات وعمر باطنه بدوام المراقبة وظاهره باتباع السنة وعود نفسه أكل الحلال لم تخطئ له فراسة . (صفه الصفوة 2 / 274)

قال إبراهيم الخواص : المراقبة خلوص السر والعلانية لله عزوجل . (مدارج السالكين 2 / 66)

قال سفيان الثوري : عليك بالمراقبة ممن لا تخفى عليه خافية و عليك بالرجاء ممن يملك الوفاء و عليك بالحذر ممن يملك العقوبة . (إحياء علوم الدين 4 / 398)

وقال سهل : لم يتزين القلب بشيء أفضل ولا أشرف من علم العبد بأن الله شاهدة حيث كان . (إحياء علوم الدين 4 / 397)

قال حميد الطويل لسليمان بن علي عظمى فقال : لأن كنت إذا عصيت الله خاليا ظننت أنه يراك لقد اجتأت على أمر عظيم ولئن كنت تظن أنه لا يراك فلقد كفرت . (إحياء علوم الدين 4 / 398)

وقال فرقد السنجي : إن المنافق ينظر فإذا لم ير أحدا دخل مدخل السوء وإنما يراقب الناس ولا يراقب الله تعالى . (إحياء علوم الدين 4 / 398)

سئل أبا عبد الله الحارث بن أسد عن المراقبة لله وعن المراقبة لله فقال : إن المراقبة تكون على ثلاث خلال على قدر عقل العاقلين ومعرفتهم وبرهم ويفترقون في ذلك فإحدى الثلاث : الخوف من الله والخلة الثانية : الحياء من الله والخلة الثالثة : الحب لله . فأما الخائف : فمراقبة بشدة حذر من الله تعالى وغلبة فزع . وأما المستحي من الله : فمراقبة بشدة انكسار وغلبة إخبارات . وأما المحب : فمراقبة بشدة سرور وغلبة نشاط وسخاء نفس مع إشفاق لا يفارقه . ولن تكاد أن تخلو قلوب المراقبين من ذكر إطلاع الرقيب بشدة حذر من قلوبهم : أن يراهم غافلين عن مراقبته والمراقبة : ثلاث خلال في ثلاثة أحوال أولها : التثبيت بالحذر قبل العمل بما أوجب الله والترك لما نهى الله عنه مخافة الخطأ فإذا تبين له الصواب : بالمبادرة إلى العمل بما أوجب الله ، والترك لما نهى الله مخافة التفريط فإذا دخل في العمل : فالتكميل للعمل مخافة التقصير فمن لم يثبت قبل العمل مخافة الخطأ ، فغير مراقب لمن يعمل له إذا كان لا يأمن من أن يعمل على غير ما أحب وأمر به ومن لم يبادر ويسارع إلى عمل ما يحب الله بعدما تبين له الصواب : فما راقب إذا بطأ عن

العمل لمحبة من يراقبه إذ يراه مثبطاً عن القيام بما أمر به ومن لم يجتهد في تكميل عمله :
 ضعيف مقصر في مراقبة من يراقبه : إذا قصر عن أحكام العمل لمن يعمل وقد علم أن الله جل
 ثناؤه يحب تكميله وأحكامه . وقال : سيع خلال يكمل لها عمل المرید وحكمته : حضور العقل ونفاذ
 الفطنة وسعة العمل بغير غلط وقهر العقل للهوى وعظم الهمم : كيف يرضي الرب تعالى ؟ والتثبت
 قبل القول والعمل وشدة الحذر للأفات التي تشوب الطاعات . وأقل المریدین غفلة : أدومهم
 مراقبة مع تعظيم الرقيب والدليل على صدق المراقبة بإجلال الرقيب : شدة العناية بالفطنة
 لدواعي العقل من دواعي الهوى والتثبت بالنظر بنور العلم والتمييز بين الطاعة وما شابهها من
 الآفات وقوة العزم على تكميل المراقبة في الحظوة في عين المليك المطلع وشدة الفزع مما يكره
 خوف المقت . والدليل على قوة الخوف : شدة الإشفاق مما مضى من السيئات : أن لا تغفروا
 تقدم من الإحسان : أن لا يقبل ودوام الحذر فيما يستقبل : أن لا يسلم وعظم الهمم من عظيم
 الرغبة وعظيم الرغبة من كبر المعرفة بعظيم قدر المرغوب فيه وإليه . وسمو الهمة : يخفف التعب
 والنصب ويهون الشدائد في طلب الرضوان ويستقل معه بذل المجهود بعظيم ما ارتفع إليه . الهمم
 والنشاط : بالدوب دائم والسرور بالمنجاة : هائج ، والصبر : زمام النفس عن المهالك وإمسك لها
 على النجاة . فاليقين : راحة للقلوب من هموم الدنيا وكاسب لمنافع الدين كلها ؛ وحسن الأدب :
 زين للعالم وستر للجاهل من قصر أمله : حذر الموت ومن حذر الموت : خاف الفوت ومن خاف
 الفوت : قطع الشوق ومن قطع الشوق : يادر قبل زوال إمكان الظفر . فاجعل التيقظ واعظك
 والتثبت وكيلك والحذر منبهك والمعرفة دليلك والعلم قائدك والصبر زمامك والفزع إلى الله عز وجل
 عونك ومن لم توسعه الدنيا غنى ولا رفعة أهلها شرفاً ولا الفقر فيها صفة فقد ارتفعت همته
 وعزفت عن الدنيا نفسه من كانت نعمته : السلامة من الآثام ورجب إلى الله في حوادث فوائد المرید
 نقل عن الدنيا بقلبه . ومن اشتد تفقده ما يضره في دينه وينفعه في آخرته وذكر اطلاع الله إليه
 ومثل عظيم هول المطلع وأشفق مما يأتي به الخير فقد صدق الله في معاملته وحقق استعمال ما
 عرفه ربه . ومن قدم العزم لله على العمل بمحبته ووفاء لله بعزمه وجانب ما يعترض بقلبه من
 خطرات السوء ونوازع الفتن فقد حقق ما علم وراقب الله في أحواله . كهف المرید وحرزه التقوى
 والاستعداد عونته وجنته التي يدفع بها آفات العوارض وسور النوازل والحذر يورثه النجاة والسلامة
 والصبر يورثه : الرغبة والرغبة وذكر كثرة سوائف الذنوب يورثه شدة الغم وطول الحزن وعظم
 معرفته بكثرة آفات العوارض في الطاعات تورثه شدة الإشفاق من رد الإحسان .

(حلية الأولياء / 10 / 93 - 95)

قال الغزالي : اعلم أن حقيقة المراقبة هي ملاحظة الرقيب وانصراف الهمم إليه فمن احترز من

أمر من الأمور بسبب غيره ، يقال إنه ير اقب فلانا ويراعي جانبه ، ويعني بهذه المراقبة حالة للقلب يثمرها نوع من المعرفة وتثمر تلك الحالة أعمالا في الجوارح وفي القلب . أما الحالة فهي مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به والتفاته إليه وملاحظته إياه وانصرافه إليه . وأما المعرفة التي تثمر هذه الحالة فهي العلم بأن الله مطلع على الضمائر ، عالم بالسرائر رقيب على أعمال العباد قائم على كل نفس بما كسبت وأن سر القلب في حقه مكشوف كما أن ظاهر البشرة للخلق مكشوف بل أشد من ذلك . فهذه المعرفة إذا صارت يقينا أعني أنها خلت عن الشك ثم استولت بعد ذلك على القلب قهرته فرب علم لا شك فيه لا يغلب على القلب كالعلم بالموت فإذا استولت على القلب استجرت القلب إلى مراعاة جانب الرقيب وصرفت همه إليه والموقنون بهذه المعرفة هم المقربون وهم ينقسمون إلى الصديقين وإلى أصحاب اليمين . (إحياء علوم الدين 4 / 398)

قال ابن الجوزي : الحق عزوجل أقرب إلى عبده من حبل الوريد . لكنه عامل العبد معاملة الغائب عنه البعيد منه فأمر بقصد نيته ورفع اليدين إليه والسؤال له . فقلوب الجهال تستشعر البعد ولذلك تقع منهم المعاصي إذ لو تحققت مراقبتهم للحاضر الناظر لكفوا الأكف عن الخطايا . والمتيقظون علموا قربه فحضرتهم المراقبة وكفتم عن الانبساط . (صيد الخاطر 236)

قال ابن القيم : المراقبة هي دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الحق سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه فاستدامته لهذا العلم واليقين بذلك هي المراقبة وهي ثمرة علمه بأن الله سبحانه رقيب عليه ناظر إليه سامع لقوله مطلع على عمله ومن راقب الله في خواطره عصمه الله في حركات جوارحه . (مدارج السالكين 2 / 67 - 68)

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ : (عِيُونُ الْأَخْبَارِ 1 / 347)

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلَا تَقُلْ *** خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبٌ

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ يَغْفِلُ مَا مَضَى *** وَلَا أَنْ مَا يَخْفَى عَلَيْهِ يَغِيبُ

لَهُنَا عَنْ الْأَيَّامِ حَتَّى تَتَابَعْتُ *** ذُنُوبٌ عَلَى آثَارِهِنَّ ذُنُوبٌ

فَيَا لَيْتَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ مَا مَضَى *** وَيَأْذُنُ لِي فِي تَوْبَةٍ فَأَتُوبُ

الْآثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

قال عبد الله بن دينار : خرجت مع عمر ابن الخطاب رضي الله عنه إلى مكة فعرسنا في بعض الطريق فانحدر عليه راع من الجبل فقال له يا راعي بعني شاه من هذه الغنم فقال إني مملوك

فقال قل لسيدك أكلها الذنب (أراد عمر أن يختبر الراعي) قال فأين الله قال فبكي عمر رضي الله عنه ثم غدا إلى المملوك فاشتراه من مولاه وأعتقه وقال أعتقتك في الدنيا هذه الكلمة وأرجو أن تعتك في الآخرة . (حلية الأولياء 4 / 398)

قال عروة بن الزبير: خطبت إلى عبد الله بن عمر ابنته ونحن في الطواف فسكت ولم يجبني بكلمة فقلت : لورضي لأجابني والله لا أراجعه فيها بكلمة أبدا فقدر له ان صدر إلى المدينة قبلي ثم قدمت فدخلت مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه وأديت إليه من حقه ما هو أهله فأتيته ورحب بي وقال : متى قدمت ؟ فقلت : هذا حين قدومي فقال : أكنت ذكرت لي سودة بنت عبد الله ونحن في الطواف نتخايل الله عزوجل بين أعيننا ؟ وكنت قادرا أن تلقاني في غير ذلك الموطن فقلت : كان أمرا قدر قال : فما رأيك اليوم ؟ قلت : أحرص ما كنت عليه قط فدعا ابنه : سالما وعبد الله فزوجني . (حلية الأولياء 1 / 309)

كان المبارك بن واضح (والد الإمام عبد الله بن المبارك) يعمل أجيرا في بستان فجاء صاحب البستان يوما وقال له : أريد رمانا حلوا فمضى إلى بعض الشجر وأحضر منها رمانا فكسره فوجده حامضا فغضب عليه وقال : أطلب الحلو فتحضر لي الحامض ؟ هات حلوا فمضى وقطع من شجرة أخرى فلما كسرها وجدة أيضا حامضا فاشتد غضبه عليه وفعل ذلك مرة ثالثة فذاقه فوجده أيضا حامضا فقال له بعد ذلك : أنت ما تعرف الحلو من الحامض ؟ فقال : لا فقال : وكيف ذلك ؟ فقال : لأني ما أكلت منه شيئا حتى أعرفه فقال : ولم لم تأكل ؟ قال : لأنك ما أذنت لي بالأكل منه فعجب من ذلك صاحب البستان وسأل عن ذلك فوجده حقا فعظم المبارك في عينيه وزاد قدره عنده وكانت له بنت خطبت كثيرا فقال له : يا مبارك من ترى تزوج هذه البنت ؟ فقال : أهل الجاهلية كانوا يزوجون للحسب واليهود للمال والنصارى للجمال وهذه الأمة للدين فأعجبه عقله وذهب فأخبر به أمها وقال لها : ما أرى لهذه البنت زوجا غير مبارك فتزوجها فجاءت بعبد الله بن المبارك . (وفيات الأعيان 3 / 33)

قال أبو حامد الخلقاني لأحمد بن حنبل يا أبا عبد الله هذه القصائد الرقاق التي في ذكر الجنة والنار أي شيء تقول فيها ؟ فقال مثل أي شيء ؟ قلت يقولون : إذا ما قال لي ربي أما استحيت تعصيني وتخفي الذنب من خلقي وبالعصيان تأتيني . فقال : أعد علي فأعدت عليه فقام ودخل بيته ورد الباب فسمعت نحيبه من داخل البيت وهو يقول : إذا ما قال لي ربي أما استحيت تعصيني وتخفي الذنب من خلقي وبالعصيان تأتيني . (ذيل طبقات الحنابلة 1 / 299)

6- باب التقوى

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ [آل عمران: 102] ، وَقَالَ تَعَالَى: فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ [التغابن: 16] . وهذه الآية مبينة للمراد مِنَ الْأُولَى . وَقَالَ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا [الأحزاب: 70] ، وَالآيَاتُ فِي الْأَمْرِ بِالتَّقْوَى كَثِيرَةٌ مَعْلُومَةٌ ، وَقَالَ تَعَالَى: وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ [الطلاق: 2-3] ، وَقَالَ تَعَالَى: إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ [الأنفال: 29] وَالآيَاتُ فِي الْبَابِ كَثِيرَةٌ مَعْلُومَةٌ .

69- فَالْأَوَّلُ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: « أَتْقَاهُمْ » فَقَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسَأُكَ ، قَالَ: « فَيُوسُفُ بْنُ اللَّهِ ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ » . قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسَأُكَ ، قَالَ: فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِي؟ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَمُّهُوا « متفقٌ عليه . و « فَمُّهُوا » بِضَمِّ الْقَافِ عَلَى الْمُشْهُورِ ، وَحُكِيَ كَسْرُهَا . أَي: عَلِمُوا أَحْكَامَ الشَّرْعِ .

70- الثَّانِي: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوهٌ خَضِرَةٌ ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا . فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ . فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ . فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ » رواه مسلم .

71- الثَّلَاثُ: عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى وَالعِفَافَ وَالعَمَى » رواه مسلم .

72- الرَّابِعُ: عَنْ أَبِي طَرِيفٍ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمِ الطَّائِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: « مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ ثُمَّ رَأَى اتَّقَى اللَّهُ مِنْهَا فَلْيَأْتِ التَّقْوَى » رواه مسلم .

73- الْخَامِسُ: عَنْ أَبِي أُمَامَةَ صُدَيْ بْنِ عَجَلَانَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ فِي حَجَّةِ الْوُدَاعِ فَقَالَ: « اتَّقُوا اللَّهَ ، وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ ، وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ ، وَأَطِيعُوا أَمْرَاءَكُمْ ، تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ » رواه التِّرْمِذِيُّ ، فِي آخِرِ كِتَابِ الصَّلَاةِ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

أَثَارُ الْوَارِدَةِ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

قال مقاتل بن حيان: كان بين الأوس والخزرج عداوة في الجاهلية وقتال حتى هاجر رسول الله صلى

الله عليه وسلم إلى المدينة فأصلح بينهم فافتخر بعده منهم رجالان : ثعلبة بن غنم من الأوس وأسعد بن زرارة من الخزرج فقال الأوسي : منا خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ومنا حنظلة غسيل الملائكة ومنا عاصم بن ثابت بن أفلح حمي الدبر ومنا سعد بن معاذ الذي اهتز (لموته) عرش الرحمن ورضي الله بحكمه في بني قريظة . وقال الخزرجي : منا أربعة أحكموا القرآن : أبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبوزيد ، ومنا سعد بن عبادة خطيب الأنصار ورئيسهم ، فجرى الحديث بينهما فغضبا وأنشدا الأشعار وتفاخرا ، فجاء الأوس والخزرج ومعهم السلاح فأتاهم النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) .
(تفسير البغوي 2 / 77)

قال سعيد بن جبير : لما نزلت : (اتقوا الله حق تقاته) (آل عمران 102) اشتد على القوم العمل ، فقاموا حتى ورمت عراقيهم ، وتفرحت جباههم : فأنزل الله تخفيفا على المسلمين : فاتقوا الله ما استطعتم فنسخت الآية الأولى .

عن قتادة في قوله تعالى : فاتقوا الله ما استطعتم قال : هي رخصة من الله ، كان قد أنزل في سورة آل عمران : اتقوا الله حق تقاته وحق تقاته أن يطاع فلا يعصى ، ثم خفف عن عبادة فأنزل الرخصة : فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا قال : والسمع والطاعة فيما استطعت يابن آدم ، عليها بايع النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه ؛ على السمع والطاعة فيما استطاعوا .
(تفسير الدر المنثور 14 / 522)

عن مجاهد : (وقلوا قولا سديدا) يقول : سدادا . عن الكلبي : (وقلوا قولا سديدا) قال : صدقا . عن قتادة قوله : (اتقوا الله وقلوا قولا سديدا) أي : عدلا . قال قتادة : يعني به في منطقة وفي عمله كله والسديد الصدق . (تفسير الطبري 20 / 336)

وقال ابن عباس : أي صوابا . وقال عكرمة وابن عباس أيضا : القول السداد لا إله إلا الله .
(تفسير القرطبي 14 / 229)

وعن ابن عباس أيضا : يجعل له مخرجا ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة . وقيل : المخرج هو أن يقنعه الله بما رزقه ; قاله علي بن صالح . وقال الكلبي : ومن يتق الله بالصبر عند المصيبة . يجعل له مخرجا من النار إلى الجنة . وقال الحسن : مخرجا مما نهى الله عنه . وقال أبو العالية : مخرجا من كل شدة . الربيع بن خيثم : يجعل له مخرجا من كل شيء ضاق على الناس . الحسين بن الفضل : ومن يتق الله في أداء الفرائض ، يجعل له مخرجا من العقوبة . (تفسير القرطبي 18 / 149)

نزلت الآية (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) في عوف بن مالك الأشجعي وذلك أن المشركين أسروا ابنا له ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا إليه الفاقة ، وقال : إن العدو أسرابي وجزعت الأم ، فما تأمرني ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اتق الله واصبر ، وأمرك وإياها أن تستكثر من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فعاد إلى بيته وقال لامرأته : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني وإياك أن نستكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله ، فقالت : نعم ما أمرنا به ، فجعلا يقولان ، فغفل العدو عن ابنه ، فساق غنمهم وجاء بها إلى أبيه وهي أربعة آلاف شاة . فنزلت هذه الآية . (تفسير القرطبي 18 / 150)

قال ابن عباس والسدي ومجاهد وعكرمة والضحاك وقتادة ومقاتل بن حيان : (فرقانا) : مخرجا . زاد مجاهد : في الدنيا والآخرة . وقال محمد بن إسحاق : (فرقانا) أي : فصلا بين الحق والباطل . (تفسير ابن كثير 4 / 43)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ، أن تتقوا الله بطاعته وأداء فرائضه واجتناب معاصيه ، وترك خيانتة وخيانة رسوله وخيانة أماناتكم . يجعل لكم فرقانا . يقول : يجعل لكم فصلا وفرقا بين حركم وباطل من يبغىكم السوء من أعدائكم المشركين ، بنصره إياكم عليهم ، وإعطائكم الظفر بهم " ويكفر عنكم سيئاتكم " ، يقول : ويمحو عنكم ما سلف من ذنوبكم بينكم وبينه " ويغفر لكم " ، يقول : ويغطيها فيسترها عليكم ، فلا يؤاخذكم بها " والله ذو الفضل العظيم " ، يقول : والله الذي يفعل ذلك بكم ، له الفضل العظيم عليكم وعلى غيركم من خلقه بفعله ذلك وفعل أمثاله . وإن فعله جزاء منه لعبده على طاعته إياه ، لأنه الموفق عبده لطاعته التي اكتسبها ، حتى استحق من ربه الجزاء الذي وعده عليها . (الطبري 13 / 488)

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول في خطبته : أما بعد فإنني أوصيكم بتقوى الله وأن تتنوا عليه بما هو أهله وأن تخلطوا الرغبة بالرغبة وتجمعوا الإلحاف بالمسألة فإن الله عز وجل أثنى على زكريا وأهل بيته فقال : (إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين) (الأنبياء 90) . ولما حضرته الوفاة وعهد إلى عمر دعاه فوصاه بوصيته وأول ما قال له : اتق الله يا عمر . (جامع العلوم والحكم 406)

وكتب عمر إلى ابنه عبد الله : أما بعد فإنني أوصيك بتقوى الله عز وجل فإنه من اتقاه وقاه ومن أقرضه جزاه ومن شكره زاده واجعل التقوى نصب عينيك وجلاء قلبك . (جامع العلوم والحكم

واستعمل علي بن أبي طالب رجلا على سرية فقال له : أوصيك بتقوى الله الذي لا بد لك من لقائه ولا منتهى لك دونه وهو يملك الدنيا والآخرة . (جامع العلوم والحكم 406)

وقال ابن عباس : المتقون الذين يحذرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفون من الهدى ويرجون رحمته في التصديق بما جاء به . (جامع العلوم والحكم 400)

قال أبي الدرداء : تمام التقوى أن يتقي الله العبد حتى يتقيه من مثقال ذرة وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراما يكون حجابا بينه وبين الحرام فإن الله قد بين للعباد الذي يصيرهم إليه فقال : (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) (الزلزلة 7 - 8) فلا تحقرن شيئا من الخير أن تفعله ولا شيئا من الشر أن تتقيه . (جامع العلوم والحكم 401)

وقال أبو الدرداء : ليتق أحدكم أن تلغنه قلوب المؤمنين وهو لا يشعر يخلو بمعاصي الله فيلقي الله له البغض في قلوب المؤمنين . (جامع العلوم والحكم 411)

وقال ابن مسعود في قوله تعالى : (اتقوا الله حق تقاته) (آل عمران 102) قال : إن يطاع فلا يعصى وأن يذكر فلا ينسى وأن يشكر فلا يكفر . (جامع العلوم والحكم 401)

قال ابوهريرة : وسئل عن التقوى فقال : هل أخذت طريقا ذا شوك ؟ قال : نعم قال : فكيف صنعت ؟ قال إذا رأيت الشوك عدلت عنه أو جاوزه أو قصرت عنه قال : ذاك التقوى . (جامع العلوم والحكم 402)

قال معاذ بن جبل : ينادى يوم القيامة أين المتقون ؟ فيقومون في كنف من الرحمن لا يحتجب منهم ولا يستتر قالوا له : من المتقون ؟ قال : قوم اتقوا الشرك وعبادة الأوثان وأخلصوا لله بالعبادة . (جامع العلوم والحكم 400)

وقال عمر بن عبد العزيز : ليس تقوى الله بصيام النهار ولا بقيام الليل والتخليط فيما بين ذلك ولكن تقوى الله ترك ما حرم الله وأداء ما افترض الله فمن رزق بعد ذلك خيرا فهو خير إلى خير . (جامع العلوم والحكم 400)

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى رجل : أوصيك بتقوى الله عز وجل التي لا يقبل غيرها ولا يرحم إلا أهلها ولا يثيب إلا عليها فإن الواعظين بها كثير والعاملين بها قليل جعلنا الله وإياك من المتقين . ولما ولى خطب فحمد الله وأثنى عليه وقال : أوصيكم بتقوى الله عز وجل فإن تقوى الله عز وجل خلف من كل شيء وليس من تقوى الله خلف . (جامع العلوم والحكم 406)

قال طلق بن حبيب - رحمه الله : التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله وأن تترك معصية الله تخاف عقاب الله . (جامع العلوم والحكم 400)

قال رجل ليونس بن عبيد : أوصيني فقال : أوصيك بتقوى الله والإحسان فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون . (جامع العلوم والحكم لابن رجب 406)

عن داود الطائي قال : ما أخرج الله عبدا من ذل المعاصي إلى عز التقوى إلا أغناه بلا مال وأعزه بلا عشيرة و أنسه بلا أنيس . (الزهد الكبير للبيهقي رقم الحديث 907)

وكتب ابن السماك الواعظ إلى أخ له : أما بعد أوصيك بتقوى الله الذي هو نجيك في سريرتك و رقيبك في علانيتك فاجعل الله من بالك على كل حالك في ليلك ونهارك وخف الله بقدر قربه منك وقدرته عليك وأعلم أنك بعينه ليس تخرج من سلطانه إلى سلطان غيره ولا من ملكة إلى ملك غيره فليعظم منه حذرک وليكثر منه وجلک والسلام . (جامع العلوم والحكم 408)

وقال أبو الجلد : أوحى الله تعالى إلى نبي من الأنبياء : قل لقومك : ما بالكم تسترون الذنوب من خلقي وتظهرونها لي إن كنتم ترون أي لا أراكم فأنتم مشركون بي وإن كنتم ترون أي أراكم فلم جعلتموني أهون الناظرين إليكم ؟ . (جامع العلوم والحكم 408)

قال وهيب بن الورد : خف الله على قدر قدرته عليك وأستحي منه على قدر قربه منك وقال له رجل : عظني فقال له اتق الله أن يكون أهون الناظرين إليك . (جامع العلوم والحكم 408)

قال الحسن البصري : يا ابن آدم عملك عملك فإنما هو لحملك ودمك فانظر على أي حال تلقى عملك ؟ إن لأهل التقوى علامات يعرفون بها صدق الحديث والوفاء بالعهد وصلة الرحم ورحمة الضعفاء وقلة الفخر والخيلاء وبذل المعروف وقلة المباهاة للناس وحسن الخلق وسعة الخلق مما يقرب إلى الله عز وجل يا ابن آدم إنك ناظر إلى عملك يوزن خيره وشره فلا تحقرن من الخير شيئا وإن هو صغر فإنك إذا رأيت : سرك مكانه ولا تحقرن من الشر شيئا فإنك إذا رأيت : ساءك مكانه فرحم الله رجلا : كسب طيبا وأنفق قصدا وقدم فضلا ليوم فقره وفاقته هيات هيات ذهبت الدنيا بحالتي مآلها وبقيت الأعمال قلاند في أعناقكم أنتم تسوقون الناس والساعة تسوقكم وقد أسرع بخياركم فما تنتظرون المعاينة فكان قد إنه لا كتاب بعد كتابكم ولا نبي بعد نبيكم يا ابن آدم بع دنياك بأخرتك تربحهما جميعا ولا تبيعن آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا . (الحلية 2 / 143)

وقال الحسن : المتقون اتقوا ما حرم الله عليهم وأدوا ما افترض عليهم . (جامع العلوم والحكم 400)

وقال الحسن : ما زالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيرا من الحلال مخافة الحرام . (جامع العلوم والحكم 401)

وقال الثوري : إنما سموا متقين لأنهم اتقوا ما لا يتقي . (جامع العلوم والحكم 401)

قال موسى بن أعين : المتقون تزهوا عن أشياء من الحلال مخافة أن يقعوا في الحرام فسامهم الله متقين . (جامع العلوم والحكم 401)

وقال ميمون بن مهران : المتقي أشد محاسبة لنفسه من الشريك الشحيح لشريكه . (جامع العلوم والحكم 401)

قال عون بن عبد الله : تمام التقوى أن تبتغي علم ما لم يعلم منها إلى ما علم منها . (جامع العلوم والحكم 402)

قال الشافعي : أعز الأشياء ثلاثة الجود من قلة والورع في خلوة وكلمة الحق عند من يرجى أو يخاف (جامع العلوم والحكم 408)

رأى محمد بن المنكدر رجلا واقفا مع امرأة يكلمها فقال : إن الله يراكما سترنا الله وإياكما . (جامع العلوم والحكم 409)

وقال الحارث المحاسبي : المراقبة علم القلب بقرب الرب . وسئل الجنيد بم يستعان على غض البصر قال بعلمك أن نظر الله إليك أسبق من نظرك إلى ما تنظره . (جامع العلوم 409)

وقال سليمان التيمي : إن الرجل ليصيب الذنب في السر فيصبح وعليه مثلته . (جامع العلوم والحكم 411)

وَكَانَ ابْنُ أَسَمَّاكَ يَنْشُدُ وَيَقُولُ : (جَامِعُ الْعُلُومِ وَالْحِكْمِ 410)

يَا مُدْمِنَ الذَّنْبِ أَمَا تَسْتَحْيِي *** وَاللَّهِ فِي الْخُلُوةِ ثَانِيكََا

عَرَّكَ مِنْ رَبِّكَ إِمْهَالُهُ *** وَسَتْرُهُ طُولُ مَسَاوِيكََا

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

قال ابن كثير : قال بعض السلف : لقد رأينا بعض أولاد عمر بن عبد العزيز يحمل على ثمانين فرسا في سبيل الله وكان بعض أولاد سليمان بن عبد الملك مع كثرة ما ترك لهم من الأموال

يتعاطى ويسأل من أولاد عمر ابن عبد العزيز لأن عمر وكل ولده إلى الله عز وجل وسليمان وغيره إنما يكون أولادهم إلى ما يتركون لهم فيضيعون وتذهب أموالهم في شهوات أولادهم . (البداية والنهاية 218 / 9)

قال أبي جعفر السائح : كان حبيب أبو محمد تاجرا يكرى الدراهم فمر ذات يوم فإذا هو بصبيان يلعبون فقال بعضهم لبعض : قد جاء أكل الربا فنكس رأسه وقال : يا رب أفشيت سري إلى الصبيان فرجع فجمع ماله كله وقال : يا رب إني أسير وإني قد اشتريت نفسي منك بهذا المال فأعتقني فلما أصبح تصدق بالمال كله وأخذ في العبادة ثم مر ذات يوم بأولئك الصبيان فلما رأوه قال بعضهم لبعض : اسكتوا فقد جاء حبيب العابد فبكي وقال : يا رب أنت تدم مرة وتحمد مرة وكله من عندك . (جامع العلوم والحكم 411)

قاضي مكة عبيد بن عمير : كانت امرأة جميلة بمكة وكان لها زوج ، فنظرت يوما إلى وجهها في المرأة فقالت لزوجها : أترى أحدا يرى هذا الوجه ولا يفتن به ؟ قال : نعم . قالت : من ؟ قال : عبيد بن عمير ، قالت : فانذرن لي فيه فلافتننه ، قال : قد أذنت لك . فأنته كالمستفتية ، فخلا معها في ناحية في المسجد الحرام فأسفرت عن وجهه مثل فلقة القمر ، فقال لها : يا أمة الله استتري فقالت : إني قد فتنت بك . قال : إني سائلك عن شيء فإن أنت صدقتني نظرت في أمرك . قالت : لا تسألني عن شيء إلا صدقتك . قال : أخبريني لو أن ملك الموت أتاك ليقبض روحك أكان يسرك أن أقضي لك هذه الحاجة ؟ قالت : اللهم لا . قال : صدقت . قال : فلو أدخلت قبرك وأجلست للمسألة أكان يسرك أني قضيتها لك ؟ قالت : اللهم لا . قال : صدقت . قال : فلو أن الناس أعطوا كتبهم ولا تدرين أتأخذين كتابك بيمينك أم بشمالك أكان يسرك أني قضيتها لك ؟ قالت : اللهم لا . قال : صدقت . قال : فلو أردت الممر على الصراط ، ولا تدرين هل تنجين أو لا تنجين ، أكان يسرك أني قضيتها لك ؟ قالت : اللهم لا . قال : صدقت . قال : فلو جيء بالميزان وجيء بك ، فلا تدرين أيخف ميزانك أم يثقل أكان يسرك أني قضيتها لك ؟ قالت : اللهم لا . قال : صدقت . قال : اتقي الله ، فقد أنعم عليك وأحسن إليك . قال : فرجعت إلى زوجها . فقال : ما صنعت ؟ قالت : أنت بطال ونحن بطالون . فأقبلت على الصلاة والصوم والعبادة فكان زوجها يقول : مالي ولعبيد بن عمير أفسد علي امرأتي كانت في كل ليلة عروسا فصيرها راهبة . (روضة المحبين 340)

7- بَابُ الْيَقِينِ وَالتَّوَكُّلِ

قَالَ اللهُ تَعَالَى : وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا [الأحزاب : 22] ، وَقَالَ تَعَالَى : الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدِ

جَمَعُوا لَكُمْ فَأَخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ [آل عمران : 173- 174] ،
 وَقَالَ تَعَالَى : وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ [الفرقان : 58] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ [إبراهيم : 11] ، وَقَالَ تَعَالَى : فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ [آل عمران : 159] ، والآيات في الأمر بالتوكل كثيرة معلومة . وَقَالَ تَعَالَى : وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ [الطلاق : 3] : أَي كَافِيهِ . وَقَالَ تَعَالَى : إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ [الأنفال : 2] ، والآيات في فضل التوكل كثيرة معروفة .

وأما الأحاديث:

74- فَأَلَّوْا : عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « عَرْضَتْ عَلَيَّ الْأُمَّمُ ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهِيْطُ وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ ، وَالنَّبِيَّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ إِذْ رَفِعَ لِي سِوَادٌ عَظِيمٌ فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي ، فَقِيلَ لِي : هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْأَفْقِ فَإِذَا سِوَادٌ عَظِيمٌ فَقِيلَ لِي انظُرْ إِلَى الْأَفْقِ الْآخِرِ فَإِذَا سِوَادٌ عَظِيمٌ فَقِيلَ لِي : هَذِهِ أُمَّتُكَ ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ » ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ ، فَخَاضَ النَّاسُ فِي أَوْلِيكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ ، فَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « مَا الَّذِي تَخَوْضُونَ فِيهِ ؟ » فَأَخْبَرُوهُ فَقَالَ : « هُمُ الَّذِينَ لَا يَرْقُونَ ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ » فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مُخَصِّنٍ فَقَالَ : ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ ، فَقَالَ : « أَنْتَ مِنْهُمْ » ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرَ فَقَالَ : ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ فَقَالَ : « سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ » متفقٌ عليه . « الرَّهِيْطُ بِضَمِّ الرَّاءِ : تَصْغِيرُ رَهْطٍ ، وَهُمُ دُونَ عَشْرَةِ أَنْفُسٍ . « وَالْأَفْقُ » : النَّاحِيَةُ وَالْجَانِبُ . « وَعُكَّاشَةُ » بِضَمِّ الْعَيْنِ وَتَشْدِيدِ الْكَافِ وَتَخْفِيفِهَا ، وَالتَّشْدِيدُ أَفْصَحُ .

75- الثَّانِي : عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَيْضًا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ : «اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ وَبِكَ أَمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أَنْبَتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ . اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا تَمُوتُ وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ » متفقٌ عليه . وَهَذَا لَفْظُ مُسْلِمٍ وَاخْتَصَرَهُ الْبُخَارِيُّ .

76- الثَّلَاثُ : عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَيْضًا قَالَ : « حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَالُوا: «إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» رواه البخاري.

وفي رواية له عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كَانَ آخِرَ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ «حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ».

77- الرَّابِعُ : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَقْوَامٌ أَفْنِدْتُهُمْ مِثْلُ أَفْنِدَةِ الطَّيْرِ» رواه مسلم . قيل معناه مُتَوَكِّلُونَ ، وقيل قُلُوبُهُمْ رَقِيقَةٌ .

78- الْخَامِسُ : عَنْ جَابِرِ رضي الله عنه أَنَّهُ غَزَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ تَجْدِ فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَفَلَ مَعَهُمْ ، فَأَذْرَكْتُهُمُ الْقَائِلَةَ فِي وادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ ، وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ سَمُرَةٍ ، فَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ ، وَنِمْنَا نَوْمَةً ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُونَا ، وَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ : « إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ ، فَاسْتَيْقِظْتُ وَهُوَ فِي يَدِي صَلْتًا ، قَالَ : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قُلْتُ : اللَّهُ ثَلَاثًا » وَلَمْ يُعَاقِبْهُ وَجَلَسَ . متفق عليه . وفي رواية : قَالَ جَابِرٌ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَاتِ الرَّقَاعِ ، فَإِذَا أَتَيْنَا عَلَى شَجَرَةٍ ظَلِيلَةٍ تَرَكْنَاهَا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَسِيفُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعَلَّقٌ بِالشَّجَرَةِ ، فَاخْتَرَطَهُ فَقَالَ : تَخَافُنِي ؟ قَالَ : « لا » قَالَ : فَمَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قَالَ : «اللَّهُ».

وفي رواية أبي بكر الإسماعيلي في صحيحه : قَالَ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قَالَ : « اللَّهُ » قَالَ : فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السَّيْفَ فَقَالَ : « مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ » فَقَالَ : كُنْ خَيْرَ آخِذٍ ، فَقَالَ : « تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ ؟ » قَالَ : لا ، وَلَكِنِّي أَعَاهِدُكَ أَنْ لَا أَقَاتِلَكَ ، وَلَا أَكُونُ مَعَ قَوْمٍ يَقَاتِلُونَكَ ، فَخَلَّى سَبِيلَهُ ، فَأَتَى أَصْحَابَهُ فَقَالَ : جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ . قَوْلُهُ : « قَفَلَ » أَي : رَجَعَ . وَ « الْعِضَاهُ » الشَّجَرُ الَّذِي لَهُ شَوْكٌ . وَ « السَّمُرَةُ » بِفَتْحِ السِّينِ وَضَمِّ الْمِيمِ : الشَّجَرَةُ مِنَ الطَّلْحِ ، وَهِيَ الْعِظَامُ مِنْ شَجَرِ الْعِضَاهِ . وَ « اخْتَرَطَ السَّيْفُ » أَي : سَلَّهُ وَهُوَ فِي يَدِهِ . « صَلْتًا » أَي : مُسْلُوعًا ، وَهُوَ بِفَتْحِ الصَّادِ وَضَمِّهَا .

79- السَّادِسُ : عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « لَوْ أَنْتُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا » رواه الترمذي ، وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ . مَعْنَاهُ تَذْهَبُ أَوَّلَ النَّهَارِ خِمَاصًا : أَي ضَامِرَةَ الْبُطُونِ مِنَ الْجُوعِ ، وَتَرْجِعُ آخِرَ النَّهَارِ بِطَانًا : أَي مُمْتَلِئَةً الْبُطُونِ .

80- السَّايِعُ : عن أبي عَمَارَةَ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا فُلَانُ إِذَا أُوْبِتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَقُلْ : اللَّهُمَّ أَسَلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ . رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ ، أَمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ ، فَإِنَّكَ إِنْ مِتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ مِتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ ، وَإِنْ أَصْبَحْتَ أَصْبَحْتَ خَيْرًا » متفقٌ عليه . وفي رواية في الصَّحِيحِينَ عن الْبَرَاءِ قَالَ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا أَتَيْتَ مَضْجِعَكَ فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ وَقُلْ : وَذَكَرْنَحْوَهُ ثُمَّ قَالَ وَاجْعَلْنِي آخِرَ مَا تَقُولُ » .

81- الثَّامِنُ : عن أبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ عَامِرِ بْنِ عُمَرَ بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ تَيْمِ بْنِ مَرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ الْقُرَشِيِّ النَّبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ وَأَبُوهُ وَأُمَّهُ صَحَابَةٌ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَالَ : نَظَرْتُ إِلَى أَقْدَامِ الْمُشْرِكِينَ وَنَحْنُ فِي الْعَارِ وَهُمْ عَلَى رُؤُوسِنَا فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لِأَبْصَرَنَا فَقَالَ : « مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِأَنَّ اللَّهَ ثَالِثُهُمَا » متفقٌ عليه

82 - الثَّاسِعُ : عَنِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ سَلَمَةَ ، وَاسْمُهَا هِنْدُ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ حُدَيْفَةَ الْمُخَزُومِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ قَالَ : « بِسْمِ اللَّهِ ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزِلَّ ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ » حديثٌ صحيحٌ رواه أبو داود والترمذي وغيرهما بإسنادٍ صحيحةٍ . قال الترمذي : حديثٌ حسنٌ صحيحٌ ، وهذا لفظُ أبي داود .

83 - العَاشِرُ : عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ : رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ قَالَ يَعْني إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ : بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ يَقَالَ لَهُ هُدَيْتَ وَكُفَيْتَ وَوُقِيَتْ ، وَتَنَجَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ » رواه أبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم : وقال الترمذي : حديثٌ حسنٌ زاد أبو داود : « فيقول : يَعْني الشَّيْطَانُ لِشَّيْطَانٍ آخَرَ : كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ ؟ » .

84 - وَعَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ أَخْوَانٌ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ أَحَدُهُمَا يَأْتِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالْآخَرَ يَحْتَرِفُ ، فَشَكَاَ الْمُحْتَرِفُ أَخَاهُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « لَعَلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ » رواه الترمذي بإسنادٍ صحيحٍ على شرط مسلمٍ . « يَحْتَرِفُ » : يَكْتَسِبُ وَيَتَسَبَّبُ .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

عن كثير بن عبد الله بن عمرو المزني عن أبيه عن جدة قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم عام ذكرت الأحزاب فقال : أخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها يعني قصور الحيرة ومدائن كسرى فأبشروا بالنصر فاستبشر المسلمون وقالوا : الحمد لله موعد صادق إذ وعدنا بالنصر بعد الحصر فطلعت الأحزاب فقال المؤمنون هذا ما وعدنا الله ورسوله الآية . (تفسير الماوردي 4 / 389)

عن ابن عباس : ولما رأى المؤمنون الأحزاب إلى آخر الآية . قال : إن الله قال لهم : أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء (البقرة 214) . فلما مسهم البلاء حيث رابطوا الأحزاب في الخندق قالوا : هذا ما وعدنا الله ورسوله . فتوول المؤمنون ذلك فلم يزداهم إلا إيماناً وتسليماً عن الحسن في قوله : وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً قال : ما زادهم البلاء إلا إيماناً بالرب وتسليماً للقضاء . (تفسير الدر المنثور 11 / 763)

قال السدي : لما تجهز النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه للمسير إلى بدر الصغرى لميعاد أبي سفيان أتاهم المنافقون وقالوا : نحن أصحابكم الذين تهيناكم عن الخروج إليهم وعصيتونا ، وقد قاتلوكم في دياركم وظفروا ؛ فإن أتيتموهم في ديارهم فلا يرجع منكم أحد . فقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل . وقال أبو معشر : دخل ناس من هذيل من أهل تهامة المدينة ، فسألهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبي سفيان فقالوا : قد جمعوا لكم جموعاً كثيرة فآخشوهم أي فخافوهم واحذروهم ؛ فإنه لا طاقة لكم بهم . فالناس على هذه الأقوال على بابه من الجمع ، والله أعلم . (تفسير القرطبي 4 / 263)

قال السدي : لما ندم أبو سفيان وأصحابه على الرجوع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقالوا : ارجعوا فاستأصلوهم ، فقدف الله في قلوبهم الرعب فهزموا ، فلقوا أعرابياً فجعلوا له جعلاً ، فقالوا له : أن لقيت محمداً وأصحابه فأخبرهم أنا قد جمعنا لهم ، فأخبر الله رسوله صلى الله عليه وسلم فطلبهم حتى بلغ حمراء الأسد ، فلقوا الأعرابي في الطريق فأخبرهم الخبر ، فقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ثم رجعوا من حمراء الأسد ، فأنزل الله فيهم وفي الأعرابي الذي لقيهم : الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فخاشوهم الآية . (تفسير الدر المنثور 4 / 143)

عن ابن عباس في قوله : فانقلبوا بنعمة من الله وفضل . قال : النعمة أنهم سلموا ، والفضل أن عيرا مرت وكان في أيام الموسم فاشتراها رسول الله صلى الله عليه وسلم فريح مالا فقسمه بين أصحابه . قال السدي : أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه يعني : حين خرج إلى غزوة

بدر الصغرى ببدر دراهم ابتاعوا بها من موسم بدر فأصابوا تجارة ، فذلك قول الله : فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء قال : أما النعمة فهي العافية وأما الفضل فالتجارة ، والسوء القتل . (تفسير الدر المنثور 4 / 148)

عن ابن عباس في قوله : لم يمسسهم سوء قال : لم يؤذهم أحد . واتبعوا رضوان الله قال : أطاعوا الله ورسوله . (تفسير الدر المنثور 4 / 149)

عن عقبة بن أبي زينب قال : مكتوب في التوراة : لا تتوكل على ابن آدم ، فإن ابن آدم ليس له قوام ، ولكن توكل على الحي الذي لا يموت . (تفسير الدر المنثور)

وقال الكلبي : هو أولى بنا من أنفسنا في الموت والحياة (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) . (تفسير البغوي 4 / 57)

عن ابن إسحاق : فإذا عزمتم فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين . فإذا عزمتم . أي : على أمر جاءكم متي أو أمر من دينك في جهاد عدوك لا يصلحك ولا يصلحهم إلا ذلك ، فامض على ما أمرت به ، على خلاف من خالفك وموافقة من وافقك وتوكل على الله ، أي : أرض به من العباد إن الله يحب المتوكلين . عن قتادة قوله : فإذا عزمتم فتوكل على الله ، أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم إذا عزم على أمر أن يمضي فيه ، ويستقيم على أمر الله ، ويتوكل على الله . (تفسير الطبري 7 / 346)

وقال عبد الله بن رافع : لما نزل قوله تعالى : ومن يتوكل على الله فهو حسبه قال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : فنحن إذا توكلنا عليه نرسل ما كان لنا ولا نحفظه ؛ فنزلت : إن الله بالغ أمره فيكم وعليكم . وقال الربيع بن خيثم : إن الله تعالى قضى على نفسه أن من توكل عليه كفاه ومن آمن به هداه ، ومن أقرضه جازاه ، ومن وثق به نجاه ، ومن دعاة أجاب له . وتصديق ذلك في كتاب الله : ومن يؤمن بالله يهد قلبه . ومن يتوكل على الله فهو حسبه . إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم . ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم . وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان . (تفسير القرطبي 12 / 151)

عن ابن مسعود في قوله : ومن يتوكل على الله فهو حسبه قال : ليس المتوكل الذي يقول : يقضي حاجتي ، وليس كل من توكل على الله كفاه ما أهمه ، ودفع عنه ما يكره ، وقضى حاجته ، ولكن الله جعل فضل من توكل على من لم يتوكل أن يكفر عنه سيئاته ، ويعظم له أجرا .

عن وهب قال : يقول الرب تبارك وتعالى : وإذا توكل علي عبدي لو كادته السماوات والأرض جعلت له من بين ذلك المخرج . (تفسير الدر المنثور 14 / 548)

عن ابن عباس قال : أوحى الله إلى عيسى : اجعلني من نفسك لهمك ، واجعلني ذخرا لمعادك ، وتوكل علي أكفك ولا تولي غيري فأخذلك . (تفسير الدر المنثور 14 / 549)

عن ابن عباس قوله : (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) قال : المنافقون لا يدخل قلوبهم شيء من ذكر الله عند أداء فرائضه ، ولا يؤمنون بشيء من آيات الله ، ولا يتوكلون ، ولا يصلون إذا غابوا ، ولا يؤدون زكاة أموالهم ، فأخبر الله تعالى أنهم ليسوا بمؤمنين ، ثم وصف المؤمنين فقال : (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) فأدوا فرائضه . (وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا) يقول : تصديقا (وعلى ربهم يتوكلون) يقول : لا يرجون غيره . وقال مجاهد : (وجلت قلوبهم) فرقت أي : فزعت وخافت . (تفسير ابن كثير 4 / 12)

قالت أم الدرداء : إنما الوجل في القلب كاحتراق السعفة . يا شهر أما تجد قشعريرة ؟ قلت : بلى قالت : فادع عندها فإن الدعاء يستجاب عند ذلك . عن ابن عباس في قوله : زادتهم إيمانا قال : تصديقا . عن الربيع بن أنس في قوله : زادتهم إيمانا قال : زادتهم خشية . (تفسير الدر المنثور 7 / 20)

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

كان من دعاء أبي بكر : اللهم هب لي إيمانا و يقينا ومعافاة ونية . (اليقين لابن أبي الدنيا 1 / 7)

عن معاوية بن قرة : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقي ناسا من أهل اليمن فقال : من أنتم ؟ قالوا : نحن المتوكلون . فقال : بل أنتم المتكلمون إنما المتوكل الذي يلقي الحبة في الأرض ويتوكل على الله . (موسوعة ابن أبي الدنيا 1 / 140)

قال علي بن أبي طالب : يا أيها الناس توكلوا على الله وثقوا به فإنه يكفي ممن سواه . (التوكل لابن أبي الدنيا 1 / 49)

وقال أيضا : اليقين على أربع شعب : على غائص الفهم وغمرة العلم وزهرة الحكم وروضة الحلم فمن فهم فسر جميل العلم ومن فسر جميل العلم عرف شرائع الحكم ومن عرف شرائع الحكم حلم ولم يفرط في أمره وعاش في الناس . (اليقين لابن أبي الدنيا 5)

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه للحسن بن علي رضي الله عنه . كم بين الإيمان واليقين ؟ قال : أربع أصابع قال : اليقين ما رآته عينك والإيمان ما سمعته أذنك وصدقت به فقال : أشهد أنك ممن أنت منه ذرية بعضها من بعض . (اليقين لابن أبي الدنيا 52)

قال ابن مسعود رضي الله عنه : اليقين أن لا ترضى الناس بسخط الله ولا تحسد أحدا على رزق

الله ولا تلم أحدا على ما لم يؤتكَ الله فإن رزق الله لا يسوقه حرص حريص ولا يردده كراهية كاره فإن الله بقسطه وعلمه وحكمته جعل الروح والفرح في اليقين والرضى وجعل الهم والحزن في السخط والشك . (اليقين لابن أبي الدنيا 47)

كان عبد الله بن مسعود يقول في دعائه : اللهم زدني إيمانا وبقينا وفهما أو قال : وعلما . (المعجم الكبير 9 / 105)

قال عمار بن ياسر: كفى بالموت واعظا وكفى باليقين غنى وكفى بالعبادة شغلا . (الزهد لأحمد 176)

قال الحسن : من علامات المسلم : قوة في دين وحزم في لين وإيمان في يقين وحلم في علم وكيس في رفق وإعطاء في حق وقصد في غنى وتجميل في فاقة وإحسان في قدرة وطاعة معها نصيحة وتورع في رغبة وتعفف في جهد وصبر في شدة لا ترده رغبته ولا يبدره لسانه ولا يسبقه بصره ولا يغلبه فرجه ولا يمليه هواه ولا يفضحه بطنه ولا يستخفه حرصه ولا تقصر به نيته . (اليقين رقم 34)

قال الحسن : يا ابن آدم إن من ضعف يقينك أن تكون بما في يدك أوثق منك بما في يد الله تعالى . (حلية الأولياء 3 / 165)

سئل الحسن رحمه الله عن التوكل فقال : الرضا عن الله . (موسوعة ابن أبي الدنيا 1 / 144)

قال الحسن البصري : باليقين طلبت الجنة واليقين هرب من النار واليقين أوتيت الفرائض وباليقين صبر على الحق وفي معافاة الله خير كثير قد والله رأيناهم يتقاربون في العافية فلما نزل البلاء تفارقوا . (اليقين لابن أبي الدنيا 1 / 14)

يقول الحسن : للمؤمن أربع علامات : كلامه ذكر ووصمته تفكر ونظرته عبرة وعلمه برو قال : العبد لا يستحق اليقين حتى يقطع كل سبب بينه وبين العرش إلى الثرى حتى يكون الله عز وجل مراده ويؤثر الله على كل ما سواه . (حلية الأولياء 10 / 217)

قال الحسن : العز والغنى يجولان في طلب التوكل فإذا ظفرا أوطنا . (التوكل على الله 1 / 52)

وقال أيضا : ما أيقن عبد بالجنة حق يقينهما إلا خشع ووجل وذل واستقام واقتصر حتى يأتيه الموت . (اليقين لابن أبي الدنيا 38)

قال سفيان الثوري : لو أن اليقين استقر في القلب كما ينبغي لطار فرحا وحزنا شوقا إلى الجنة أو خوفا من النار . (حلية الأولياء 7 / 17)

قال سفيان الثوري: اليقين أن لا تهم مولاك في كل ما أصابك . (حلية الأولياء 9 / 7)

قال أبو حازم رحمه الله : كيف أخاف الفقر ولمولاي ما في السموات وما في الأرض وما فيهما وما تحت الثرى . (موسوعة ابن أبي الدنيا 2 / 269)

عن سعيد بن جبير قال : التوكل على الله جماع الإيمان وكان يدعو: اللهم إني أسألك صدق التوكل عليك وحسن الظن بك . (السير (تهذيبه) 2 / 505)

قال عبيد الله بن محمد بن يزيد بن حبيش : سمعت أبي يذكر: أنه بلغه عن أبي حازم أنهم أتوه فقالوا له : يا أبا حازم أما ترى قد غلا السعر؟ فقال : وما يغمكم من ذلك ؟ إن الذي يرزقنا في الرخص هو الذي يرزقنا في الغلاء. (حلية الأولياء 3 / 239)

قال ميمون بن مهران : يقول أحدهم : أجلس في بيتك وأغلق عليك بابك وانظر: هل يأتيك رزقك ؟ نعم والله لو كان له مثل يقين مريم وإبراهيم عليهما السلام وأغلق بابه وأرخى عليه سترة . (حلية الأولياء 4 / 87)

كان داود الطائي يقول : كفى باليقين زهدا وكفى بالعلم عبادة وكفى بالعبادة شغلا . (حلية الأولياء 7 / 343)

قال أحمد بن أبي الحواري : سمعت أبا سليمان الداراني يقول : العيال يضعفون يقين الرجل إنه إذا كان وحده فجاع : قنع وإذا كان له عيال : طلب لهم وإذا جاع الطالب : فقد ضعف اليقين . (حلية الأولياء 9 / 260)

قال : سهل بن عبد الله أركان الدين أربعة : الصدق واليقين والرضا والحب فعلامة الصدق : الصبر وعلامة اليقين : النصيحة وعلامة الرضا : ترك الخلاف وعلامة الإيثار والصبر يشهد للصدق . (حلية الأولياء 10 / 191 - 192)

جاء رجل إلى وهب بن منبه فقال : علمني شيئا ينفعني الله به قال : أكثر من ذكر الموت و أقصر أملك وخصلة الثالثة إن أنت أصبتها بلغت الغاية القصوى وظفرت بالعبادة قال : ما هي ؟ قال : التوكل . (التوكل لابن أبي الدنيا حديث 57)

قال أبو سعيد الخراز: العلم ما استعملك واليقين ما حملك سماه مركبا يركبه السائر إلى الله فإنه لولا اليقين ما سارركب إلى الله ولا ثبت لأحد قدم في السلوك إلا به . (مدارج السالكين 2 / 401)

قال أبو السري الباهلي : كان يقال : الاهتمام بالعمل يورث الفكرة والفكرة تورث العبرة والعبرة

تورث الحزم والحزم يورث العزم والعزم يورث اليقين واليقين يورث الغنى والغنى يورث الحب والحب يورث اللقاء. (اليقين لابن أبي الدنيا حديث 12)

قال المغيرة بن حبيب : رأى رجل عبد الله بن غالب فيما يرى النائم قال : يا أبا فراس ما صنعت ؟ قال : خير الصنع قال : إلام صرت ؟ قال : إلى الجنة قال : ثم قال : بحسن اليقين وطول التهجيد . (اليقين لابن أبي الدنيا 1 / 18)

كان عطاء الخراساني لا يقوم من مجلسه حتى يقول : اللهم هب لنا يقينا بك حتى تهون علينا مصيبات الدنيا وحتى نعلم أنه لا يصيبنا إلا ما كتب لنا علينا ولا يأتينا من هذا الرزق إلا قسمت به (جامع العلوم والحكم 290)

محمد بن أبي عمران قال : سمعت حاتما الأصم وسأله رجل على ما بنيت أمرك هذا في التوكل على الله ؟ قال : على خصال أربع : علمت أن رزقي لا يأكله غيري فاطمأنت به نفسي وعلمت أن عملي لا يعمله غيري فأنا مشغول به وعلمت أن الموت يأتيني بغتة فأنا أبادره وعلمت أني لا أخلو من عين الله حيث كنت فأنا مستحي منه . (صفة الصفوة 4 / 391)

قال مكحول رحمه الله : الجنين في بطن أمه لا يطلب ولا يحزن ولا يغتم فيأتيه الله برزقه من قبل سرتة وغذاؤه في بطن أمه من دم حيضها فمن ثم لا تحيض الحامل ، فإذا سقط استهل استهلالة إنكارا لمكانه وقطعت سرتة وحول الله رزقه إلى ثدي أمه ثم حوله إلى الشيء يصنع له ويتناوله بكفه حتى إذا اشتد وعقل قال : أين لي بالرزق ! يا ويحك ! أنت في بطن أمك وفي حجرها ترزق حتى إذا عقلت وشببت قلت : هو الموت أو القتل وأين لي بالرزق ! ثم قرأ : (يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد) (الرعد 8) . (عيون الأخبار لابن قتيبة 2 / 370)

قال الشعبي: تجالس شتير ومسروق رحمهما الله فقال شتير: عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول : إن أشد آية في القرآن تفويضا (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) (الطلاق : 3) فقال مسروق : صدقت. (موسوعة ابن أبي الدنيا 1 / 162)

قال المروزي : قيل لأبي عبد الله رحمه الله : أي شيء صدق التوكل على الله ؟ قال : أن يتوكل على الله ولا يكون في قلبه أحد من الأدميين يطمع أن يجيبه بشيء ، فإذا كان كذلك كان الله يرزقه وكان متوكلا . (جامع العلوم والحكم 570)

عن المغيرة بن عباد قال : قيل لبعض الرهبان : من المتوكل ؟ قال : من لم يسخط حكم الله عز وجل على كرة أو محبة . (التوكل على الله لابن أبي الدنيا 55)

قال شقيق بن إبراهيم : من أراد أن يعرف معرفته بالله فلينظر إلى ما وعده الله ووعدته الناس بأيهما قلبه أوثق . (حلية الأولياء 8 / 64)

قال أبي عبد الله الساجي : من وثق بالله ، فقد أحرز قوته ومن حي قلبه فقد لقي الله ولا يشك في نظره . (حلية الأولياء 9 / 310)

عن أبي سليمان الداراني قال : من وثق بالله في رزقه : زاد في حسن خلقه وأعقبه الحلم ، وسخت نفسه في نفقته ، وقلت وساوسه في صلواته . (حلية الأولياء 9 / 257)

قيل لأبي حازم سلمه بن دينار: يا أبا حازم ، ما مالك ؟ قال : ثقني بالله تعالى وإياسي مما في أيدي الناس . (حلية الأولياء 3 / 232)

قال أبي أسامة : وصل إلى عون بن عبد الله أكثر من عشرين ألف درهم ، فتصدق بها فقال له أصحابه : لو اعتقدت عقدة لولئك فقال : اعتقدتها لنفسي واعتقدت الله لولدي قال أبو أسامة : فلم يكن في المسعوديين أحسن حالا من ولد عون بن عبد الله . (حلية الأولياء 4 / 242)

قال أبو بكر الوراق : اليقين ملاك القلب وبه كمال الإيمان واليقين عرف الله وبالعقل عقل عن الله . (مدارج السالكين 2 / 399)

قال السري : اليقين سكونك عند جولان الموارد في صدرك لتيقنك أن حركتك فيها لا تنفك ولا ترد عنك مقضيا . (مدارج السالكين 2 / 399)

قال شقيق البلخي : من عمل بثلاث خصال أعطاه الله الجنة أولها : معرفة الله عز وجل بقلبه ولسانه وجوارحه والثاني : أن يكون بما في يد الله أوثق مما في يديه والثالث : يرضى بما قسم الله له وهو مستيقن أن الله تعالى مطلع عليه ولا يحرك شيئا من جوارحه إلا بإقامة الحجة عند الله فذلك حق المعرفة وتفسير الثقة بالله : أن لا تسعى في طمع ولا تحرك شيئا من جوارحه دون الله سواء ولا تخاف دون الله سواء ولا تخشى من شيء سواء ولا يحرك من جوارحه شيئا دون الله يعني : في طاعته واجتناب معصيته قال : وتفسير الرضى على أربع خصال أولها : أمن من الفقر والثاني : حب القلة والثالث : خوف الضمان قال : وتفسير الضمان : أن لا يخاف إذا وقع في يده شيء من أمر الدنيا : أن يقيم حجته بين يدي الله في أخذه وإعطائه على أي الوجوه كان . (حلية الأولياء 8 / 61)

قال خالد بن معدان : تعلموا اليقين كما تعلمون القرآن حتى تعرفوه فإني أتعلمه . (اليقين لابن أبي الدنيا 34)

سئل عبد الله بن داود عن التوكل ؟ فقال : أرى التوكل حسن الظن . (موسوعة ابن أبي الدنيا 1 / 151)

قال مسلم بن يسار : اعمل عمل رجل لا ينجيه إلا عمله وتوكل توكل رجل لا يصيبه إلا ما كتبه الله عزوجل له . (الحلية (تهذيبه) 1 / 394)

عن زبيد قال عبد الله : إن الروح والفرح في اليقين والرضا وإن الغم والحزن من الشك والسخط وقال يعلى : الروح والفرح . (اليقين لابن أبي الدنيا 23)

قال ابن القيم : متى وصل اليقين إلى القلب امتلأ نورا وإشراقا وانتفى عنه كل ريب وشك وسخط وهم وغم فامتلاً محبة لله وخوفاً منه ورضي به وشكراً له وتوكلاً عليه . (مدارج السالكين 2 / 375)

قال ابن القيم : ولو توكل العبد على الله حق توكله في إزالة جبل عن مكانه وكان مأموراً بإزالته لأزاله . (مدارج السالكين 1 / 81)

وقال أيضاً : التوكل نصف الدين والنصف الثاني الإنابة فإن الدين استعانة وعبادة . (مدارج السالكين 35 - 3)

قال الشافعي :

تَوَكَّلْتُ فِي رِزْقِي عَلَى اللَّهِ خَالِقِي *** وَأَيَّقَنْتُ أَنَّ اللَّهَ لَا شَكَّ رَازِقِي
وَمَا يَكُ مِنْ رِزْقٍ فَلَيْسَ يَفُوتُنِي *** وَلَوْ كَانَ فِي قَاعِ الْبِحَارِ الْعَوَامِقِ
سَيَأْتِي بِهِ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِفَضْلِهِ *** وَلَوْلَمْ يَكُنْ مَيِّ اللِّسَانِ بِنَاطِقِ
فَفِي أَيِّ شَيْءٍ تَذَهَبُ حَسْرَةٌ *** وَقَدْ قَسَمَ الرَّحْمَنُ رِزْقَ الْخَلَائِقِ

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

قال بكر بن عبد الله المزني : فقد الحواريون نبيهم عيسى عليه السلام فقبل لهم توجه نحو البحر فانطلقوا يطلبونه فلما انتهوا إلى البحر إذا هو أقبل يمشي على الماء يرجعه الموج مرة ويضعه أخرى وعليه كساء مرتد بنصفه ومترز بنصفه حتى انتهى إليهم فقال له بعضهم : قال أبو هلال ظننت من أفاضلهم ألا أحيء إليك يا نبي الله ؟ قال : بلى فوضع إحدى رجليه في الماء ثم ذهب ليضع

الأخرى فقال : غرقت يا نبي الله قال : أرني يدك يا قصير الإيمان لو أن لابن آدم من اليقين قد شعيرة مشى على الماء . (اليقين لابن أبي الدنيا 1 / 12)

قال سعيد بن المسيب: التقى عبد الله بن سلام وسلمان فقال أحدهما لصاحبه : إن مت قبلي فالقني فأخبرني ما لقيت من ربك وإن مت قبلك لقيتك فأخبرتك فقال أحدهما للآخر : أو تلقى الأموات الأحياء ؟ قال : نعم أرواحهم تذهب في الجنة حيث شاءت قال : فمات فلان فلقيه في المنام فقال : توكل وأبشر فلم أر مثل التوكل قط وأبشر فلم أر مثل التوكل قط . (التوكل على الله لابن أبي الدنيا 1 / 51)

عبدالرحمن بن عمرو بن يحمى الأوزاعي ، عالم وإمام أهل الشام (88 هـ – 157 هـ) لما دخل عبد الله بن علي العباسي (عم الخليفة أبي العباس السفاح) دمشق ، وسلب الملك من بني أمية ، طلب الأوزاعي ، فتغيب عنه ثلاثة أيام ، ثم أحضر بين يديه ، قال : دخلت عليه وهو على سرير ، وفي يده خيزرانة ، والمسودة عن يمينه وشماله ، معهم السيوف مصلثة ، والعمد الحديد ، فسلمت فلم يرد ، ونكت بتلك الخيزرانة التي في يده ، ثم قال : يا أوزاعي ، ما ترى فيما صنعنا من إزالة أيدي أولئك الظلمة ، أرباط هو ؟ قال : فقلت : أيها الأمير ، سمعت يحيى بن سعيد الأنصاري يقول : سمعت محمد بن إبراهيم التيمي يقول : سمعت علقمة بن وقاص يقول : سمعت عمر بن الخطاب يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ؛ فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه) ، قال : فنكت بالخيزرانة أشد مما كان ينكت ، وجعل من حوله يعضون أيديهم ، ثم قال : يا أوزاعي ، ما تقول في دماء بني أمية ؟ فقلت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : النفس بالنفس ، والثيب الزاني ، والتارك لدينه المفارق للجماعة) ، فنكت أشد من ذلك ، ثم قال : ما تقول في أموالهم ؟ فقلت : إن كانت في أيديهم حراما ، فهي حرام عليك أيضا ، وإن كانت لهم حلالا ، فلا تحل لك إلا بطريق شرعي ، فنكت أشد مما كان ينكت قبل ذلك ، ثم قال : ألا نوليك القضاء ؟ فقلت : إن أسلافك لم يكونوا يشقون علي في ذلك ، وإني أحب أن يتم ما ابتدؤوني به من الإحسان ، فقال : كأنك تحب الانصراف ؟ فقلت : إن ورائي حرما (أي نساء) ، وهم محتاجون إلى القيام عليهم وسترهم ، قال : وانتظرت رأسي أن يسقط بين يدي ، فأمرني بالانصراف ، فلما خرجت إذا رسوله من ورائي ، وإذا معه مائتا دينار ، فقال : يقول لك الأمير : أنفق هذه ، قال : فتصدق بها ، وكان في تلك الأيام الثلاثة صائما طاويا ، فيقال : إن الأمير لما بلغه ذلك ، عرض عليه الإفطار عنده ، فأبى أن يفطر عنده رحمه الله . (البداية والنهاية 10 / 121 - 120)

قال الأصمعي : أقبلت ذات يوم من المسجد الجامع بالبصرة ، فبينما أنا في بعض سككها إذ طلع أعرابي جلف جاف على قعود له متقلد سيفه ، وبيده قوس . فدنا وسلم ، وقال لي : ممن الرجل ؟ قلت : من بني الأصمع . قال : أنت الأصمعي ؟ قلت : نعم . قال : ومن أين أقبلت ؟ قلت : من موضع يتلى فيه كلام الرحمن . . قال : وللرحمن كلام يتلوه الأدميون ؟ ! قلت : نعم . قال : اتل علي شيئا منه . فقلت له : أنزل عن قعودك . فنزل ، وابتدأت بسورة الذاريات ، فلما انتهيت إلى قوله تعالى : (وفي السماء رزقكم وما توعدون) (الذاريات 22) . قال : يا أصمعي ، هذا كلام الرحمن ؟ قلت : أي . والذي بعث محمدا بالحق إنه لكلامه ، أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فقال لي : حسبك . ثم قام إلى ناقته فنحراها ، وقطعها بجلدها ، وقال : أعني على تفريقها ، ففارقناها على من أقبل وأدبر ، ثم عمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما ، وجعلهما تحت الرجل ، وولى مدبرا نحو البادية ، وهو يقول : (وفي السماء رزقكم وما توعدون) فأقبلت على نفسي باللوم ، وقلت : لم تنتبه لما انتبه له الأعرابي ؟ فلما حججت مع الرشيد دخلت مكة ، فبينما أنا أطوف بالكعبة إذ هتف بي هاتف بصوت دقيق ، فالتفت فإذا أنا بالأعرابي نحيلًا مصفارا ، فسلم علي وأخذ بيدي ، وأجلسني من وراء المقام ، وقال لي : اتل كلام الرحمن ، فأخذت في سورة الذاريات ، فلما انتهيت إلى قوله تعالى : (وفي السماء رزقكم وما توعدون) (صحاح الأعرابي : وجدنا ما وعدنا ربنا حقا . . . ثم قال : وهل غير هذا ؟ قلت : نعم . يقول الله عزوجل (فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون) فصاح الأعرابي ، وقال : يا سبحان الله من الذي أغضب الجليل حتى حلف ؟ ! ألم يصدقوه حتى ألجؤوه إلى اليمين ؟ ! ألم يصدقوه حتى ألجؤوه إلى اليمين ؟ ! وخرجت فيها روحه ! . (التوايين لابن قدامة المقدسي 274 / 275 – البداية والنهاية 10 / 307)

عن أبي قدامة الرملي قال : قرأ رجل هذه الآية : (وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا) (الفرقان 58) فأقبل علي سليمان الخواص ، فقال : يا أبا قدامة ! ما ينبغي لعبد بعد هذه الآية أن يلجأ إلى أحد بعد الله في أمره ، انظر كيف قال الله تبارك وتعالى : (وتوكل على الحي الذي لا يموت) ، فأخبرك أنه لا يموت ، وأن جميع خلقه يموتون ، ثم أمرك بعبادته ، فقال : (وسبح بحمده) ، ثم أتبعها بقوله : (وكفى به بذنوب عباده خبيرا) ، فأخبرك بأنه خبير بصير . ثم قال سليمان : والله يا أبا قدامة ! لو عامل عبد ربه بحسن التوكل وصدق النية له بطاعته ، لاحتاجت إليه الأمراء فمن دونهم ، فكيف يكون هذا محتاجا ، وملجأه إلى الغني الحميد ؟ ! . (التوكل على الله لابن أبي الدنيا حديث 36)

قال موسى بن عيسى : اجتمع حذيفة المرعشي وسليمان الخواص ويوسف أسباط فتذاكروا الفقر والغنى وسليمان ساكت فقال بعضهم : الغني من كان له بيت يكنه وثوب يستره وسداد من

عيش يكفه عن فضول الدنيا وقال بعضهم : الغني من لم يحتج إلى الناس فقيل لسليمان : ما تقول وأنت يا أبا أيوب فبكي ثم قال : رأيت جوامع الغني في التوكل ورأيت جوامع الشر من القنوط والغنى حق الغني من أسكن الله قلبه من غناه يقينا ومن معرفته توكلوا ومن عطاياه وقسمه رضى فذاك الغنى حق الغنى وإن أمس طاويا وأصبح معوزا فبكي القوم جميعا من كلامه .
(اليقين لابن أبي الدنيا حديث 19)

جاء رجل إلى الربيع بن عبد الرحمن رحمه الله يسأله أن يكلم الأمير في حاجة فبكي الربيع ثم قال : أي أخي أقصد الله في أمرك تجده سريعا قريبا فإني ما ظهرت أحدا في أمر أريده إلا الله عز وجل فأجده كريما قريبا لمن قصده وأراده وتوكل عليه . (موسوعة ابن أبي الدنيا 1 / 165)

قَالَ عُرْوَةُ بْنُ أَدِيْنَةَ فِي ذَمِّ الطَّمَعِ :

لَقَدْ عَلِمْتُ وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ *** بِأَنَّ رِزْقِي وَإِنْ لَمْ آتِ يَأْتِيَنِي

أَسْعَى لَهُ فَيُعَيِّنِي تَطَلُّبُهُ *** وَإِنْ قَعَدْتُ أَتَانِي لَا يُعَيِّنِي

لَا خَيْرَ فِي طَمَعٍ يُدْنِي إِلَى طَبَعٍ *** وَعَقَّةٌ مِنْ قِوَامِ الْعَيْشِ تَكْفِيَنِي

وللبيت الأول حكاية تحث على استشعار اليقين ، وإعلاق الأمل بالخالق دون المخلوقين ، وهي أن عروة هذا وفد على هشام بن عبد الملك في جماعة من الشعراء ، فلما دخل عليه عروة قال له : « ألسنت القائل : « لقد علمت - وخير القول أصدقه . . . » الأبيات وأراك قد جئت تضرب من الحجاز إلى الشام في طلب الرزق ! فقال له : « لقد وعظت يا أمير المؤمنين فبالغت في الوعظ ، وأذكرت ما إنسانية الدهر » ، وخرج من فوره إلى راحلته فركبها ، ثم نصها نحو الحجاز . فمكث هشام يومه غافلا عنه ، فلما كان من الليل تعار على فراشه ، فذكره فقال : « رجل من قريش قال حكمة ، ووفد إلى اليوم ، فجيته ورددته عن حاجته ! وهو مع هذا شاعر ، لا أمن ما يقول » ، فلما أصبح سأل عنه ، فأخبر بانصرافه ، قال : « لا جرم ، ليعلم أن الرزق سيأتيه » ، ثم دعا بمولى له ، فأعطاه ألفي دينار ، وقال : « الحق بهذا أين أدركته فأعطه إياها » . قال فلم يدركه إلا وقد دخل بيته ، فقال : « أبلغ أمير المؤمنين السلام وقل له : كيف رأيت ؟ » . (شرح مقامات الحريري للشريشي 463)

عن عون بن عبد الله قال : بينا رجل في بستان بمصر في فتنة ابن الزبير مكتئبا ، معه شيء ينكت به في الأرض ، إذ رفع رأسه ، فسنح له صاحب مسحاة ، فقال له : يا هذا ، ما لي أراك مكتئبا حزينا ؟ قال : فكأنه ازدراه . فقال : لا شيء . فقال صاحب المسحاة : ألدنيا ؟ فإن « الدنيا عرض حاضر ،

يأكل منها البر والفاجر والأخرة أجل صادق ، يحكم فيها ملك قادر ، يفصل بين الحق والباطل ، حتى ذكر أن لها مفاصل كمفاصل اللحم ، من أخطأ شيئاً أخطأ الحق . فلما سمع ذلك منه كأنه أعجبه . قال : فقال لما فيه المسلمون . قال : فإن الله سينجيك بشفتك على المسلمين ، وسل ، فمن ذا الذي سأل الله فلم يعطه ، ودعاه فلم يجبه ، وتوكل عليه فلم يكفه أو وثق به فلم ينجه . قال : فعلفت الدعاء : اللهم سلمني وسلم مني فتجلت ولم تصب منه أحدا . (التوكل على الله رقم 16)

كتب عامل أفريقية إلى عمر بن عبد العزيز يشكو إليه الهوام والعقارب ، فكتب إليه : « وما على أحدكم إذا أمسى وأصبح أن يقول : (وما لنا إلا نتوكل على الله) (سورة إبراهيم من الآية 12) قال زرعه : وهي تنفع من البراغيث . (التوكل على الله حديث رقم 28)

8- باب الاستقامة

قَالَ اللهُ تَعَالَى : فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ [هود : 112] ، وَقَالَ تَعَالَى : إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نُزُلًا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ [فصلت : 30-32] ، وَقَالَ تَعَالَى : إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [الأحقاف : 13-14] .

85- وَعَنْ أَبِي عَمْرٍو ، وَقِيلَ أَبِي عَمْرٍو سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ . قَالَ : « قُلْ : آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمَّ » رواه مسلم

86- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « قَارِبُوا وَسَدِّدُوا ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُو أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ » قَالُوا : وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ : « وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَّعَمِدَنِي اللهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ » رواه مسلم . و « الْمُقَارَبَةُ » : الْقَصْدُ الَّذِي لَا غُلُوفَ فِيهِ وَلَا تَقْصِيرَ وَ « السَّدَادُ » : الْاسْتِقَامَةُ وَالْإِصَابَةُ ، وَ « يَتَّعَمِدُنِي » يُلْبَسُنِي وَيَسْتُرُنِي .

قَالَ الْعُلَمَاءُ : مَعْنَى الْاسْتِقَامَةِ : لُزُومُ طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى ، قَالُوا : وَهِيَ مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ ، وَهِيَ نِظَامُ الْأُمُورِ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ .

أَثَارُ الْوَارِدَةِ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

قال ابن عباس رضي الله عنهما : ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية هي أشد عليه من هذه الآية ، ولذلك قال : شيبتي هود وأخواتها . (تفسير البغوي 4 / 204)

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: فاستقم أنت، يا محمد، على أمر ربك والدين الذي ابتعثك به، والدعاء إليه، كما أمرك ربك. عن سفیان في قوله: (فاستقم كما أمرت) قال: استقم على القرآن. (تفسير الطبري 15 / 500)

عن الحسن قال: لما نزلت هذه الآية (فاستقم كما أمرت ومن تاب معك) قال: شمروا شمروا فما رأي ضاحكا. (تفسير الدر المنثور 8 / 147)

قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق رضي الله عنه وذلك أن المشركين قالوا ربنا الله، والملائكة بناته، وهؤلاء شفعاءنا عند الله فلم يستقيموا. وقال أبو بكر: ربنا الله وحده لا شريك له، ومحمد صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله فاستقام. (تفسير القرطبي 18 / 319)

قوله تعالى: نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة أي تقول لهم الملائكة الذين تنزل عليهم بالبشارة " نحن أولياؤكم " قال مجاهد: أي: نحن قرناءكم الذين كنا معكم في الدنيا، فإذا كان يوم القيامة قالوا لا نفارقكم حتى ندخلكم الجنة. وقال السدي: أي: نحن الحفظة لأعمالكم في الدنيا وأولياءكم في الآخرة. (تفسير القرطبي 18 / 320)

قال أبو بكر الصديق في تفسير قوله تعالى: (ثم استقاموا) قال: لم يشركوا بالله شيئا. وعنه قال: لم يلتفتوا إلى إله غيره. وعنه قال: ثم استقاموا على أن الله ربهم. (جامع العلوم والحكم 508)
عن عمر بن الخطاب أنه قرأ هذه الآية على المنبر (أن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) فقال: لم يروغوا وروغان الثعلب.

وقال عثمان رضي الله عنه: إخلاص العمل لله. وقال علي رضي الله عنه: ثم أدوا الفرائض.

(الجامع لأحكام القرآن 15 / 233)

عن ابن عباس في قوله تعالى: (ثم استقاموا) قال: استقاموا على أداء فرائضه. (جامع العلوم والحكم 508)

سئل ابن عباس رضي الله عنهما: أي آية في كتاب الله أرخص؟ قال قوله: (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) على شهادة أن لا إله إلا الله. (تفسير بن كثير 7 / 176)

عن مجاهد في تفسير قوله تعالى: (أن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) (فصلت 30) قال: فلم يشركوا حتى ماتوا. (حلية الأولياء 3 / 300)

وقال مجاهد الذي قال عنه بعض الأئمة : إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به . استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله حتى لحقوا بالله . (مدارج السالكين 104)

قال قتادة : استقاموا على طاعة الله وكان الحسن إذا قرأ هذه الآية قال : اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة . (جامع العلوم والحكم 509)

قال الحسن البصري : استقاموا على أمر الله فعملوا بطاعته واجتنبوا معصيته . وقال سفيان الثوري رحمه الله : العمل على وفاق القول .

وقال الربيع بن خيثم رحمه الله : الإعراض عما سوى الله .

وقال الفضيل بن عياض: الزهد في الفانية والرغبة في الباقية . (الجامع لأحكام القرآن 15 / 233)

قال الله عز وجل : (أفرأيت من اتخذ إليه هواه) (الجاثية 23) قال الحسن وغيره : هو الذي لا يهوى شيئا إلا ركبه فهذا ينافي الاستقامة على التوحيد . (جامع العلوم والحكم 509)

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قال شقيق البلخي : أربعة أشياء من طريق الاستقامة : لا يترك أمر الله لشدة تنزل به ولا يتركه لشيء يقع في يده من الدنيا فلا يعمل بهوى أحد ولا يعمل بهوى نفسه لأن الهوى مذموم ليعمل بالكتاب والسنة . (حلية الأولياء 8 / 17)

قال وهب بن منبه : مر رجل عابد على رجل عابد فقال : مالك ؟ قال : عجبت من فلان أنه كان قد بلغ من عبادته ومالت به الدنيا فقال : بعجل لا تعجب ممن تميل به الدنيا ولكن أعجب ممن استقام . (حلية الأولياء 4 / 51)

قيل لابن المبارك : ابن عون بما ارتفع ؟ قال : بالاستقامة . (حلية الأولياء 3 / 40)

قال الإمام الهروي : الاستقامة هي الاجتهاد في اقتصاد . (شرح منازل السائرين 89)

وقال ابن تيمية : استقاموا على محبته وعبوديته فلم يلتفتوا عنه يمينا ولا يسرة . (مدارج السالكين 2 / 104)

وقال أيضا : أعظم الكرامة لزوم الاستقامة . (مدارج السالكين 2 / 106)

قال ابن القيم : فالاستقامة كلمة جامعة آخذة بمجامع الدين وهي القيام بين يدي الله على

حقيقة الصدق والوفاء . والاستقامة تتعلق بالأقوال والأفعال والأحوال والنيات فالاستقامة فيها وقوعها لله وبالله وعلى أمر الله . (مدارج السالكين 105/2)

وقال الواسطي : الاستقامة هي الخصلة التي بها كملت المحاسن وبفقدتها قبحت المحاسن .
(شرح صحيح مسلم للنووي 2 / 9)

قال القرطبي : هذه الأقوال وإن تداخلت فتلخيصها : اعتدلوا على طاعة الله عقدا وقولا وفعلا وداوموا على ذلك . (الجامع لأحكام القرآن 5 / 358)

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

استقامة الهموم : قال مطر الوراق : بات هرم بن حيان العبدي عند حممه فبات حممه باكيا حتى أصبح فلما أصبح قال له : ما الذي أبالك الليلة ؟ قال : ذكرت ليلة صبيحتها تناثر الكواكب وبات حممه عند هرم فبات هرم بن حيان باكيا حتى أصبح فلما أصبح قال له حممه : ما أبالك ؟ قال : ذكرت ليلة صبيحتها تبعثر القبور للحشر إلى الله . (الأهوال لابن أبي الدنيا حديث 11)

استقامة اللسان : قال محمد بن المنكدر : كابدت نفسي أربعين سنة حتى استقامت .
(حلية الأولياء 3 / 146)

9- باب في التفكر في عظيم مخلوقات الله تعالى وفناء الدنيا وأهوال

الأخرة وسائر أمورهما وتقصير النفس وتهذيبها وحملها على الاستقامة

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ نَفْسٍ ذَاتِ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ [سبأ : 46] ،
وَقَالَ تَعَالَى : إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ [الأَنْبِيَاءُ : 17-21] ،
يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ [الأيَاتِ] آل عمران : 190-191 ، وَقَالَ تَعَالَى : أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ
وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ فَذَكِّرْ [مَدَّكُرُ]
[الغاشية : 17-21] ، وَقَالَ تَعَالَى : أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا آيَاتِنَا [محمد : 10] . والآيات في
الباب كثيرة .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

عن مجاهد : قل إنما أعظكم بواحدة . قال : بطاعة الله أن تقوموا لله مثنى وفرادى . قال : واحدا واثنين . عن مجاهد والسدى : إنما أعظكم بواحدة قال : بلا إله إلا الله . (الدر المنثور 12 / 230)

عن أبي أمامة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول : أعطيت ثلاثا لم يعطهن من قبلي ولا فخر ، أحلت لي الغنائم ولم تحل لمن كان قبلي ، كانوا يجمعون غنائمهم فيحرقونها ، وبعثت إلى كل أحمر وأسود ، وكان كل نبي يبعث إلى قومه ، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، أتيتم بالصعيد وأصلي فيها حيث أدركتني الصلاة قال الله تعالى : أن تقوموا لله مثنى وفرادى وأعنت بالرعب مسيرة شهر بين يدي . (تفسير الدر المنثور 12 / 231)

عن ابن عباس قال : أتت قريش اليهود فقالوا : ما جاءكم موسى من الآيات ؟ قالوا : عصاه ويده بيضاء للنظرين ، وأتوا النصرارى فقالوا : كيف كان عيسى فيكم ؟ قالوا : كان يبرئ الأكمه والأبرص ، ويحيي الموتى ، فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهبا ، فدعا ربه فنزلت : إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب فليتفكروا فيها . عن صفوان بن المعطل السلمي قال : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فرهقت صلاته ليلة فصلى العشاء الآخرة ثم نام ، فلما كان نصف الليل استيقظ فتلا الآيات العشر ، آخر سورة " آل عمران " . ثم تسوك ، ثم توضعاً فصلى إحدى عشرة ركعة . (تفسير الدر المنثور 4 / 178)

قال أبو جعفر : وهذا احتجاج من الله تعالى ذكره على قائل ذلك ، وعلى سائر خلقه ، بأنه المدبر المصرف الأشياء والمسخر ما أحب ، وأن الإغناء والإفكار إليه وبيده ، فقال جل ثناؤه : تدبروا أيها الناس واعتبروا ، ففيما أنشأته فخلقته من السماوات والأرض لمعاشكم وأقواتكم وأرزاقكم ، وفيما عقت بينه من الليل والنهار فجعلتهما يختلفان ويعتقبان عليكم ، تتصرفون في هذا لمعاشكم ، وتسكنون في هذا راحة لأجسادكم معتبر ومدكر ، وآيات وعظات . فمن كان منكم ذا لب وعقل ، يعلم أن من نسبي إلى أي فقير وهو غني كاذب مفتر ، فإن ذلك كله بيدي أقلبه وأصرفه ، ولو أبطلت ذلك لهلكتم ، فكيف ينسب إلى فقر من كان كل ما به عيش ما في السماوات والأرض بيده وإليه ؟ أم كيف يكون غنيا من كان رزقه بيد غيره ، إذا شاء رزقه ، وإذا شاء حرمه ؟ فاعتبروا يا أولي الألباب . (تفسير الطبري 7 / 494)

(الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) قال علي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهم والنخعي وقتادة : هذا في الصلاة يصلي قائما فإن لم يستطع فقعدا فإن لم يستطع فعلى

جنب . (تفسير البغوي)

قال جابر: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله ثم قرأ فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمصيطر . (تفسير الدر المنثور 15 / 390)

قال عطاء عن ابن عباس : هل يقدر أحد أن يخلق مثل الإبل ، أو يرفع مثل السماء ، أو ينصب مثل الجبال ، أو يسطح مثل الأرض غيري ؟ . (تفسير البغوي)

عن قتادة قال : لما نعت الله ما في الجنة ، عجب من ذلك أهل الضلالة ، فأنزل الله (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت) فكانت الإبل من عيش العرب ومن حولهم قال شريح لأصحابه : أخرجوا بنا إلى السوق فننظر إلى الإبل كيف خلقت . (تفسير الطبري 24 / 389)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

وعن ابن عباس : ركعتان مقتصدتان في تفكير خير من قيام ليلة بلا قلب . (الإحياء 4 / 425)

وقال أيضا : التفكير في الخير يدعو إلى العمل به والندم على الشر يدعو إلى تركه . (الإحياء 4 / 425)

قيل لأبي الدرداء : افترى الفكر عملا من الأعمال ؟ قال : نعم هو اليقين فالتفكير طريق العبد إلى اليقين . (حلية الأولياء 6 / 303)

وعن محمد بن واسع أن رجلا من أهل البصرة ركب إلى أم ذربعد موت أبي ذر فسألها عن عبادة أبي ذر فقالت : كان نهاره أجمع في ناحية البيت يتفكر . (الزهد لأحمد 1 / 198)

عن عطاء قال : انطلقت أنا وابن عمر وعبيد بن عمير إلى عائشة رضي الله عنها فدخلنا عليها وبيننا وبينها حجاب . فقالت : يا عبيد ما يمنحك من زيارتنا ؟ قال : قول الشاعر: زرغباء تزدد حبا فقال ابن عمر: ذرينا أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت : كل أمره كان عجبا . أتاني في ليلتي حتى مس جلده جلدي . ثم قال : ذريني أتعبد لربي . قالت : فقلت : والله إنني لأحب قربك وإنني أحب أن تتعبد لربك . فقام وتوضأ ولم يكثر صب الماء ثم قام يصلي فبكي حتى بل لحيته ، ثم سجد فبكي حتى بل الأرض ثم اضطجع على جنبه فبكي حتى إذا أتى بلال يؤذنه لصلاة الصبح . قالت : فقال : يا رسول الله ، ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : أفلا أكون عبدا شكورا . وفي رواية فقال : ويحك يا بلال وما يمنعي أن أبكي وقد أنزل الله علي في هذه الليلة (إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبواب)

(آل عمران 190) ثم قال : ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها . (صحيح بن حبان في موارد الظمان 139)

فقييل للأوزاعي ما غاية التفكير فيهن ؟ قال : يقرؤهن ويعقلهن . (إحياء علوم الدين 4 / 424)

وقال عمر بن عبد العزيز : الفكرة في نعم الله عزوجل من أفضل العبادة . قال عبد الله بن المبارك يوما لسهل بن علي ورآه ساكتا متفكرا : أين بلغت ؟ قال : الصراط . (إحياء علوم الدين 4 / 425)

وقال أيضا : الكلام بذكر الله عزوجل حسن والفكرة في نعم الله أفضل العبادة . وبكى عمر بن عبد العزيز يوما فسئل عن ذلك فقال : فكرت في الدنيا ولذاتها وشهواتها فاعتبرت منها بما تكاد شهواتها تنقضني حتى تكدرها مرارتها ولئن لم يكن فيها عبرة لمن اعتبر أن فيها مواعظ لمن ادكر . (تفسير ابن كثير 4 / 439)

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله مرة لرجل من جلسائه : لقد أرققت الليلة مفكرا قال : وفيما يا أمير المؤمنين ؟ قال : في القبر وساكنه إنك لو رأيت الميت بعد ثلاثة في قبره لاستوحشت من قريبه بعد طول الأنس منك بناحيته ولرأيت بيتا تجول فيه الهوام ويجري فيه الصديد وتخرقه الديدان مع تغير الريح وبلى الأكفان بعد حسن الهيئة وطيب الريح ونقاء الثوب قال : ثم شق شقة خر مغشيا عليه . (البداية والنهاية 705)

وقال الحسن : من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو ومن لم يكن سكوته تفكرا فهو سهو ومن لم يكن نظره اعتبارا فهو لهو وفي قوله تعالى (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض يغير الحق) قال : أمنع قلوبهم التفكير في أمري . (إحياء علوم الدين 4 / 424)

قال الحسن : إن أهل العقل لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر وبالفكر على الذكر حتى استنطقوا قلوبهم فنطقت بالحكمة . (إحياء علوم الدين 4 / 425)

قول الحسن رحمه الله : فإن ساعة تفكر خير من قيام ليلة بلا تفكر أما إذا كان قيام الليل مع التفكير فإنه أفضل بلا شك . (الزهد للإمام أحمد 202)

قال الحسن : يا ابن آدم كل في ثلث بطنك واشرب في ثلثه ودع ثلثه الآخر تنفس للفكرة . (تفسير القرآن العظيم لابن كثير . آل عمران 190 - 194 - 185 / 2)

وقال الحسن البصري رحمه الله : التفكير يدعو إلى الخير والعمل به . (حلية الأولياء 76/10)

وقال الحسن : إن من أفضل العمل الورع والتفكير . (روضة العقلاء ونزهة الفضلاء 30)

قال الفضيل قال الحسن : الفكرة مرآة تريك حسناتك وسيئاتك . (إحياء علوم الدين 4 / 424)

قال يوسف بن أسباط : كان سفيان إذا أخذ في ذكر الآخرة يبول الدم من طول حزنه وفكرته .
(سير أعلام النبلاء 13 / 317)

قال شقيق البلخي : ولو أن رجلا كتب جميع العلم لم ينتفع به حتى يكون فيه خصلتان : حتى يكون فعله التفكير والعبر وقلبه فارغا للتفكر وعينه فارغة للعبر كلما نظر إلى شيء من الدنيا كان له عبرة . المؤمن مشغول بخصلتين والمنافق مشغول بخصلتين المؤمن بالعبر والتفكر والمنافق مشغول بالحرص والأمل . (حلية الأولياء 71 / 8)

قال شقيق البلخي : متى أغفل العبد قلبه عن الله والتفكر في صنعه ومنته عليه ثم مات مات عاصيا لأن العبد ينبغي له أن يكون قلبه أبدا مع الله يقول : يا رب أعطني الإيمان وعافني من البلاء واستر لي من عيوب ووارزقني واجعل نعمك متوالية علي فهو أبدا متفكر في نعم الله عليه فالتفكر في منة الله شكر والغفلة عنه سهو . (حلية الأولياء 71 / 8)

قال الشافعي : الفضائل أربع إحداها الحكمة وقوامها الفكرة والثانية العفة وقوامها التغلب على الشهوة والثالث القوة وقوامها التغلب على الغضب والرابعة العدل وقوامه في اعتدال قوى النفس . (إحياء علوم الدين 4 / 425)

وقال أيضا : صحة النظر في الأمور نجاة من الغرور والعزم في الرأي سلامة من التفريط والندم والروية والفكر يكشفان عن العزم والفتنة ومشاورة الحكماء ثبات في النفس وقوة في البصيرة ففكر قبل أن تعزم وتدبر قبل أن تهجم وشاور قبل أنتقدم . (إحياء علوم الدين 4 / 425)

وقال الشافعي : استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكر . (الإحياء 4 / 425)

وقال أبو سليمان : عودوا أعينكم البكاء وقلوبكم التفكير . وقال : الفكري الدنيا حجاب عن الآخرة وعقوبة لأهل الولاية والفكري الآخرة يورث الحكمة ويحيي القلوب

وقال حاتم : من العبرة يزيد العلم ومن الذكر يزيد الحب ومن التفكير يزيد الخوف . (الإحياء 4 / 425)

قال أبو سليمان الداراني : إني لأخرج من منزلي فما يقع بصري على شيء إلا رأيت لله علي فيه نعمة ولي فيه عبرة . (حلية الأولياء 8 / 109)

قال سفيان بن عيينة : التفكير مفتاح الرحمة ألا ترى أن المرء يتفكر فيتوب فأثر التفكير يظهر على المرء في عمله . (حلية الأولياء 7 / 306)

وقال أيضا : الفكرة نور يدخل قلبك وربما تمثل في هذا البيت : إذا المرء كانت له فكرة ففي كل شيء له عبرة . (حلية الأولياء 4 / 68)

قال وهب بن منبه : ما طالبت فكرة امرئ قط إلا فهم ولا فهم امرؤ قط إلا علم ولا علم امرؤ قط إلا عمل . (إحياء علوم الدين 4 / 254)

قال وهب بن منبه رحمه الله : المؤمن إذا تفكر علة السكينة . (حلية الأولياء 4 / 68)

قال ابن العربي رحمه الله : وأما طريقة من يبقى يوما وليلة أو شهرا متفكرا لا يفتر فطريقة بعيدة عن الصواب غير لائقة بالشرع . (أحكام القرآن 2 / 353)

قال ابن العربي : أمر الله تعالى بالنظر في آياته والاعتبار بمخلوقاته في أعداد كثيرة من أي القرآن أراد بذلك زيادة في اليقين وقوة في الإيمان وتثبيتا للقلوب على التوحيد . (أحكام القرآن 2 / 353)

قال شريح القاضي لأصحابه : اخرجوا بنا إلى السوق فننظر إلى الإبل كيف خلقت والتفكر إن لم يثمر عملا لم يحصل منه المرء شيئا كما أن التفكر لا يعني الصمت والعزلة عن الناس فكم صامت لا يفكر بل تتقلب به الوسوس والخيالات . (حلية الأولياء 4 / 133)

قال الإمام أحمد : في رجل أكل فشبع وأكثر الصلاة والصيام ورجل أقل الأكل فقلت نو افله وكان أكثر فكرة أيهما أفضل ؟ فذكر ما جاء في الفكر : تفكر ساعة خير من قيام ليلة قال : فرأيت هذا عنده أكثر يعني الفكر . (العظمة للأصبهاني 1 / 229)

قال أحمد بن أبي الحواري : قلت لأبي صفوان أيما أحب إليك أن يجوع الرجل فيجلس فيتفكر أو يأكل فيقوم فيصلي ؟ قال : يأكل ويقوم فيصلي ويتفكر في صلواته هو أحب إلي فحدثت به أبا سليمان يعني : الداراني فقال : صدق الفكرة في الصلاة أفضل من الفكرة في غير الصلاة الفكرة في الصلاة عملا وعملا أفضل من عمل . (حلية الأولياء 8 / 300)

عن صالح بن محمد بن زائدة : أن فتية من بني ليث كانوا عبادا وكانوا يروحون بالهجرة إلى المسجد ولا يزالون يصلون حتى يصل العصر ؛ فقال صالح لسعيد : هذه هي العبادة لونها نقوى على ما يقوى عليه هؤلاء الفتيان فقال سعيد : ما هذه العبادة ولكن العبادة : التفقه في الدين والتفكر في أمر الله تعالى . (حلية الأولياء 2 / 162)

قال بكر بن خنيس : قلت لسعيد بن المسيب رحمه الله وقد رأيت قوما يصلون ويتعبدون : يا أبا محمد ألا تتعبد مع هؤلاء القوم ؟ فقال لي : يا ابن أخي إنها ليست بعبادة قلت له : فما التعبد يا أبا

محمد ؟ قال : التفكير في أمر الله والورع عن محارم الله وأداء فرائض الله تعالى . (الحلية 1 / 162)

قول هذا التابعي الجليل ليس تقليدا من شأن الصلاة ، فهو الذي يقول عن نفسه : ما فاتتني الصلاة في جماعة أربعين سنة ويقول : ما أذن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد وحج أربعين حجة . (حلية الأولياء 1 / 162 - 164)

قال عبد الله بن المبارك : مر رجل براهب عند مقبرة ومزيلة فناده فقال : يا راهب أن عندك كثرين من كنوز الدنيا لك فيهما معتبر كنز الرجال وكنز الأموال . (تفسير القرآن العظيم لابن كثير 4 / 439)

قال مغيث الأسود : زوروا القبور كل يوم تفكركم وشاهدوا الموقف بقلوبكم وانظروا إلى المنصرف بالفريقين إلى الجنة أو النار وأشعروا قلوبكم وأبدانكم . ذكر النار ومقامها وأطباقها وكان يبكي عند ذلك حتى يرفع صريعا من بين أصحابه . (تفسير ابن كثير (ال عمران 190 - 194) 2 / 185)

قال الجنيد : أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد والتنسم بنسيم المعرفة والشرب بكأس المحبة من بحر الوداد والنظر بحسن الظن لله عز وجل ثم قال : يا لها من مجالس ما أجلها ! ومن شراب ما أذه ! طوبى لمن رزقه . (إحياء علوم الدين 4 / 425)

قال ابن عون : الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النبات وما جلبت القلوب بمثل الأحزان ولا استنارت بمثل الفكرة . (معالم التنزيل للبغوي 4 / 152)

وقيل لإبراهيم : إنك تطيل الفكرة . فقال : الفكرة مخ العقل . (إحياء علوم الدين 4 / 514)

وقال بشر : لو تفكر الناس في عظمة الله ما عصوا الله عز وجل . (إحياء علوم الدين 4 / 425)

قال حاتم الأصم : من العبرة يزيد العلم ومن الذكر يزيد الحب ومن التفكير يزيد الخوف . (إحياء علوم الدين 4 / 424)

قال ابن القيم : فلا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكير فإنه جامع لجميع منازل السائرين وأحوال العاملين ومقامات العارفين وهو الذي يورث المحبة والشوق والخوف والرجاء والإنابة والتوكل والرضا والتفويض والشكر والصبر وسائر الأحوال التي بها حياة القلب وكماله وكذلك يزجر عن جميع الصفات والأفعال المذمومة التي بها فساد القلب وهلاكه فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها فإذا قرأه بتفكير ومر بأية وهو محتاج إليها في شفاء قلبه كررها ولو مائة مرة ولو ليلة فقراءة آية بتفكير وتفهم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم . (مفتاح دار السعادة 1 / 187)

قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةَ : (دِيْوَانُ أَبُو الْعَتَاهِيَةَ 122)

فَيَا عَجَبًا كَيْفَ يُعْصَى الْإِلَهُ *** أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الْجَا حِدُ

وَلِلَّهِ فِي كُلِّ تَحْرِيكَةٍ *** وَتَسْكِينَةٍ أَبْدًا شَاهِدُ

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ *** تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّافِّ :

عن يوسف بن أسباط : قال لي سفيان الثوري وقد صلينا العشاء الآخرة : ناولني المطهرة فناولته فأخذها بيمينه ووضع يساره على نحره ونمت فاستيقظت وقد طلع الفجر فنظرت فإذا المطهرة بيمينه كما هي قلت هذا الفجر قد طلع فقال : لم أزل منذ ناولتني المطهرة أتفكر في الآخرة .
(تهذيب الكمال للمزى 11 / 167)

قال محمد بن كعب : لأن أقرأ في ليلتي حتى أصبح ب (إذا زلزلت) والقارعة لا أزيد عليهما وأتردد فيهما وأتفكر أحب إلي من أن أهد القرآن ليلتي هذا - أوقال : أنثره نثرا . (الزهد لابن المبارك ح 287)
وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير : إني لأستلقي من الليل على فراشي فأتدبر القرآن وأعرض عملي على عمل أهل الجنة فإذا أعمالهم شديدة (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) (يبیتون لربهم سجدا وقياما) (أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما) فلا أراني فيهم فأعرض نفسي على هذه الآية (ما سلككم في سقر) (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا) فأرجو أن أكون أنا وأنتم يا إخوتاه منهم . (حلية الأولياء 2 / 198)

قال عبد الأعلى بن زياد الأسلمي : رأيت داود الطائي يوما قائما على شاطئ الفرات مهوتا فقلت : ما يوقفك ههنا يا أبا سليمان ؟ قال : أنظر إلى الفلك كيف تجري في البحر مسخرات بأمر الله تعالى .
(الحلية تهذيبية 2 / 466)

بينما أبو شريح يمشي إذ جلس فتقنع بكسائه ، فجعل يبكي فقليل له : ما يبكيك ؟ قال : تفكرت في ذهاب عمري وقلة عملي و اقتراب أجلي . (العمر والشيب لابن أبي الدنيا 1/56)

قال ابن عقيل : إني لا يحل لي أن أضيع ساعة من عمري ، حتى إذا تعطل لساني عن مذاكرة ومناظرة ، وبصري عن مطالعة ، أعملت فكري في حال راحتي وأنا مستطرح فلا أنهض إلا وقد خطر لي ما أسطره وإني لأجد من حرصي على العلم وأنا في عشر الثمانين أشد مما كنت أجده وأنا ابن عشرين سنة . (المنتظم 9 / 213)

وقال إسحاق بن خلف : كان داود الطائي : على سطح في ليلة قمراء فتفكر في ملكوت السموات والأرض وهو ينظر إلى السماء ويبكي حتى وقع في دار جاره ، قال : فوثب صاحب الدار من فراشه عريانا وبيده سيف وظن أنه لص فلما نظر إلى داود رجع ووضع السيف وقال : من ذا الذي طرحك من السطح قال : ما شعرت بذلك . (إحياء علوم الدين 4 / 425)

10 - باب في المبادرة إلى الخيرات

وَحَثٌّ مِنْ تَوَجُّهِ لَخَيْرٍ عَلَى الْإِقْبَالِ عَلَيْهِ بِالْجِدِّ مِنْ غَيْرِ تَرَدُّدٍ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ [البقرة : 148] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ [آل عمران : 133]
وأما الأحاديث:

87- فالأوَّل : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ ، فَسَتَكُونُ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلَمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُؤْمِسِي كَافِرًا ، وَيُؤْمِسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا ، يَبِيعُ دِينَهُ بَعْرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا » رواه مسلم .

88- الثَّانِي : عَنْ أَبِي سُرُوعَةَ بِكسرِ السِّينِ المِهْمَلَةِ وفتحها عُقْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : صَلَّيْتُ وَرَاءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ الْعَصْرَ ، فَسَلَّمْتُ ثُمَّ قَامَ مُسْرِعًا فَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ إِلَى بَعْضِ حُجْرٍ نِسَائِهِ ، فَفَرَعَ النَّاسُ مِنْ سُرْعَتِهِ ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ ، فَرَأَى أَنَّهُمْ قَدْ عَجِبُوا مِنْ سُرْعَتِهِ قَالَ : « ذَكَرْتُ شَيْئًا مِنْ تَبَرُّعِنَا ، فَكِرِهْتُ أَنْ يَحْبِسَنِي ، فَأَمْرْتُ بِقِسْمَتِهِ » رواه البخاري . وفي رواية له : كُنْتُ خَلَفْتُ فِي الْبَيْتِ تَبْرًا مِنَ الصَّدَقَةِ ، فَكِرِهْتُ أَنْ أُبَيِّتَهُ . « التَّبْرُ » قِطْعُ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ .

89- الثَّلَاثُ : عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ : أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فَأَيْنَ أَنَا ؟ قَالَ : « فِي الْجَنَّةِ » فَأَلْفَى تَمْرَاتٍ كَنَّ فِي يَدِهِ ، ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ . متفقٌ عليه

90- الرَّابِعُ : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَكْبَرُ أَجْرًا ؟ قَالَ : « أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَاحِبٌ شَحِيحٌ تَخْشَى الْفَقْرَ ، وَتَأْمُلُ الْغَنَى ، وَلَا تُنْمِلُ حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ الْحُلُقُومَ . قُلْتُ : لِفُلَانٍ كَذَا وَلِفُلَانٍ كَذَا ، وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ » متفقٌ عليه « الْحُلُقُومُ » : مَجْرَى النَّفْسِ . و« الْمُرْيُءُ » : مَجْرَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ .

91- الْخَامِسُ : عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ سَيْفًا يَوْمَ أُحُدٍ

فَقَالَ: « مَنْ يَأْخُذُ مِنِّي هَذَا ؟ فَبَسْطُوا أَيْدِيَهُمْ ، كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ يَقُولُ : أَنَا أَنَا . قَالَ : « فَمَنْ يَأْخُذُهُ بِحَقِّهِ ؟ فَأَحْجِمِ الْقَوْمَ ، فَقَالَ أَبُو دَجَانَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَا أَخْذُهُ بِحَقِّهِ ، فَأَخْذُهُ فَفَلَقَ بِهِ هَامَ الْمُشْرِكِينَ » . رواه مسلم . اسم أبي دجانة : سماكُ بنُ خرسة . قوله : « أَحْجِمِ الْقَوْمَ » : أي توقّفوا . و« فَلَقَ بِهِ » : أي شَقَّ « هَامَ الْمُشْرِكِينَ » : أي رؤوسهم .

92- السَّادِسُ: عن الزُّبَيْرِ بْنِ عَدِيِّ قَالَ: أَتَيْنَا أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَشَكَّوْنَا إِلَيْهِ مَا نَلَقَى مِنَ الْحَجَّاجِ . فَقَالَ: « اصْبِرُوا فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي زَمَانٌ إِلَّا وَالَّذِي بَعْدَهُ شَرُّ مِنْهُ حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ » سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . رواه البخاري .

93- السَّابِعُ: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « بادروا بالأعمال سبعا، هل تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْرًا مُنْسِيًّا، أَوْ غِنًى مُطْغِيًّا، أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا، أَوْ هَرَمًا مُفْنِدًا أَوْ مَوْتًا مُجْهَرًا أَوِ الدَّجَالَ فَشَرُّ غَائِبٍ يَنْتَظَرُ، أَوِ السَّاعَةِ فَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ، » رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسن .

94- الثَّامِنُ: عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرٍ: «لَأَعْطِينَ هَذِهِ الرَايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ» قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا أَحْبَبْتُ الْإِمَارَةَ إِلَّا يَوْمَئِذٍ فَتَسَاوَزْتُ لَهَا رَجَاءً أَنْ أُدْعَى لَهَا، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا، وَقَالَ: «امش ولا تَلْتَفْتُ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ» فَسَارَ عَلِيٌّ شَيْئًا، ثُمَّ وَقَفَ وَلَمْ يَلْتَفْتُ، فَصَرَخَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلَى مَاذَا أَقَاتِلُ النَّاسَ؟ قَالَ: «قَاتِلُهُمْ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَدْ مَنَعُوا مِنْكَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَجَسَائِهِمْ عَلَى اللَّهِ» رواه مسلم «فَتَسَاوَزْتُ» هُوَ بِالسِّينِ الْمَهْمَلَةِ: أَيُّ أَيُّ وَثَبَتْ مَتَطَلَعًا.

في هذا الحديث: الحث على المبادرة إلى ما أمر به، والأخذ بظاهر الأمر وترك الوجوه المحتملات إذا خالفت الظاهر لأنَّ عليًّا وقف ولم يلتفت.

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

قال عمر بن الخطاب : في الآية (ومنهم سابق بالخيرات) قال : سابقنا سابق .

قال ابن عباس : في الآية (ومنهم سابق بالخيرات) قال . السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب . قال ابن مسعود : في الآية (ومنهم سابق بالخيرات) (فاطر 32) قال : يدخلون الجنة بغير حساب . (تفسير الدر المنثور 4 / 473)

عن ابن عباس : في قوله (أولئك يسارعون في الخيرات) (المؤمنون 61) : قال سبقت لهم السعادة

من الله . (تفسير الدر المنثور 5 / 22)

عن أبي زيد : في قوله تعالى (فاستبقوا الخيرات) (البقرة 148) قال : فسارعوا في الخيرات .
(تفسير الدر المنثور 1 / 272)

وعن أنس بن مالك : في الآية قال : هي التكبيرة الأولى . (تفسير الدر المنثور 2 / 182)

وعن الكلبي : أي إلى التوبة من الربا وقيل : إلى الثبات في القتال . (تفسير القرطبي 4 / 113)

قال أبو حيان الأندلسي في قوله تعالى (فاستبقوا الخيرات) (البقرة 148) هذا أمر بالتبكير إلى فعل الخير والعمل الصالح وناسب هذا أن من جعل الله له شريعة أو قبله أو صلاة فينبغي الاهتمام بالمسارعة إليها . (البحر المحيط 1 / 612)

قال عطاء بن أبي رباح : قال المسلمون : يا رسول الله بنو إسرائيل كانوا أكرم على الله منا كانوا إذا أذنب أحدهم ذنباً أصبح كفارة ذنبه مكتوبة في عتبة بابه أجدع أنفك أجدع أذنك أفلع كذا وكذا ، فسكت فنزلت هؤلاء الآيات : وسارعوا إلى مغفرة من ربكم إلى قوله : والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ألا أخبركم بخير من ذلكم ؟ ثم تلا هؤلاء الآيات عليهم .

عن أنس بن مالك في قوله : وسارعوا إلى مغفرة من ربكم قال : التكبيرة الأولى .

عن سعيد بن جبيرة في قوله : وسارعوا يقول : سارعوا بالأعمال الصالحة إلى مغفرة من ربكم قال : لذنوبكم وجنة عرضها السماوات والأرض يعني : عرض سبع سموات وسبع أرضين لو لصق بعضهن إلى بعض فالجنة في عرضهن . (تفسير الدر المنثور 7 / 4)

عن طارق بن شهاب أن ناساً من اليهود سألوا عمر بن الخطاب عن جنة عرضها السماوات والأرض فأين النار؟ فقال عمر رضي الله عنه أرايتم إذا جاء الليل أين النهار؟ وإذا جاء النهار أين الليل؟ فقالوا: لقد نزعنا مثلها من التوراة . يزيد بن الأصم : أن رجلاً من أهل الكتاب قال : يقولون : جنة عرضها السماوات والأرض . فأين النار؟ فقال ابن عباس : أين يكون الليل إذا جاء النهار ، وأين يكون النهار إذا جاء الليل ؟ . (تفسير ابن كثير 2 / 118)

أَثَارُ الْوَارِدَةِ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

عن علي رضي الله عنه قال : تقوى الله مفتاح سداد وذخيرة معاد وعتق من كل ملكة ونجاة من كل هلكة فبادروا بالأعمال عمرا ناكسا أو مرضا حابسا أو موتا خالسا فإنه هادم لذاتكم ومباعد

طياتكم زائر غير محبوب وواثر غير مطلوب قد أعلقتكم حباله وتكفنتكم غوائله و أقصدتكم معابله فيوشك أن تغشاكم دواحي ظلاله واحتدام عله وحنادس غمراته وغواشي سكراته وأليم إرهاقه ودجو أطباقه وجشوبة مذاقه فأسكت نجيكم وفرق نديكم فلا تغرنكم الدنيا كما غرت من كان قبلكم من الأمم الماضية والقرون الخالية الذين احتلبوا درتها وأصابوا عزتها وأفنوا عدتها وأخلقوا جدتها أصبحت مساكنهم أجداناً وأموالهم ميراثاً فإنها غراره خدوع معطية ممنوع لا يدوم رخائها ولا ينقضي عناؤها ولا يركد بلاؤها . (منال الطالب لابن الأثير 364)

عن أنس قال : كنا نبكر بالجمعة ونقبل بعد الجمعة . (البخاري 2 / 905)

قال أبي سليمان الداراني : من كان يومه مثل أمسه فهو في نقصان قال : وفسره قال : كان أمس في شيء ينوي الزيادة فلما أصبح اليوم إلى تلك الزيادة فلم ينوي الزيادة فترت نيته فليس يثبت على هذه الحال . (حلية الأولياء 9 / 266)

قال أبي سليمان الداراني : إذا فاتك شيء من التطوع فاقض فهو أحرى أن لا تعود إلى تركه . (حلية الأولياء 9 / 261)

وقال أيضا : ليس العجب ممن لم يجد لذة الطاعة إنما العجب ممن وجد لذتها ثم تركها كيف صبر عنها ؟ . (حلية الأولياء 9 / 262)

قال أحمد بن حنبل : كل شيء من الخير يبادر به . (الآداب الشرعية 2 / 239)

قال محمد بن نصر العابد : وشاورته (أي الإمام أحمد) في الخروج إلى الثغر فقال : بادر بادر . (الآداب الشرعية لابن مفلح 2 / 239)

قال وهب بن منبه : أعمل في نواحي الدين الثلاث فإن للدين نواحي ثلاثا هن جماع الأعمال الصالحة لمن أراد جمع الصالحات أولهن : تعمل شكرا لله بالأنعم الكثيرة الغاديات الرائحات الظاهرات الباطنات الحديثات القديمات فيعمل المؤمن شكرا لهن ورجاء لتمامهن . والناحية الثانية من الدين : رغبة في الجنة التي ليس لها ثمن وليس لها مثل ولا يزهد فيها إلا سفيه . والناحية الثالثة : تعمل فرارا من النار التي ليس عليها صبر ولا لأحد بها طاقة ولا يدان وليست مصيبتها كالمصيبات ولا حزنها كالحزن نبأها عظيم وشأنها شديد وخزيمها فضيلع ولا يغفل عن الفرار والتعود بالله منها : إلا سفيه أحرق خاسر قد خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين . (حلية الأولياء 4 / 65 - 66)

قال وهب ابن منبه : إذا أردت أن تعمل بطاعة الله عزوجل : فاجتهد في نصحك وعلمك لله فإن العمل لا يقبل ممن ليس بناصح وإن النصح لله عزوجل لا يكمل إلا بطاعة الله كمثل الثمرة الطيبة : ريحها طيب وطعمها طيب كذلك مثل طاعة الله : النصح ريحها والعمل الطيب ثم زين طاعة الله بالعلم والحلم ، والفقه ثم أكرم نفسك عن أخلاق السفهاء وعيبتها على أخلاق العلماء وعودها على فعل الحلماء وأمنعها عمل الأشقياء وألزمها سيرة الفقهاء واعزلها عن سبل الخبثاء وما كان لك من فضل : فاعن به من دونك وما كان فيمن دونك من نقص : فأعنه عليه حتى تبلغه معك فإن الحكيم : يجمع فضوله ثم يعود بها على من دونه ثم ينظر في نقائص من دونه ثم يقومها ويزجها حتى يبلغه . إن كان فقيها : حمل من لا فقه له إذا رأى أنه يريد صحبته ومعونته وإذا كان له مال : أعطى منه من لا مال له وإن كان مصلحا : استغفر الله للمذنب إذا رجا توبته وإن كان محسنا : أحسن إلى من أساء إليه واستوجب بذلك أجره ولا يغتر بالقول حتى يجيء معه الفعل ولا يتمنى طاعة الله إذا لم يعمل بها . فإذا بلغ من طاعة الله شيئا : حمد الله ثم طلب ما لم يبلغ منها ؛ وإذا علم من الحكمة لم تشبعه ، حتى يتعلم ما لم يبلغ منها وإذا ذكر خطيئته سترها عن الناس واستغفر الله الذي هو القادر على أن يغفرها ثم لا يستعين على شيء من قوله بالكذب فإن الكذب في الحديث : مثل الأكلة في الخشبة يرى ظاهرها صحيحا وجوفها نخرا لا يزال من يغتر بها يظن أنها حاملة ما عليها حتى تنكسر على ما فيها ويهلك من اغتربها وكذلك الكذب في الحديث لا يزال صاحبه يغتر به ويظن أنه معينة على حاجته وزائد له في رغبته حتى يعرف ذلك منه ويتبين لذوي العقول غروره ويستنبط العلماء ما كان يستخفي به عنهم فإذا اطلعوا على ذلك من أمره وتبين لهم : كذبوا خبره وأبادوا شهادته واتهموا صدقه واحتقروا شأنه وأبغضوا مجلسه واستخفوا منه بسر أثارهم وكتموا حديثهم وصرفوا عنه أمانتهم وغيبوا عنه أمرهم وحزروه على دينهم ومعيشتهم ولم يحضروه شيئا من محاضرتهم ولم يأمنوا على شيء من سرهم ولم يحكموه في شيء مما شجر بينهم .

(حلية الأولياء 4 / 36 - 37)

قال أبي عوانة : لو قيل لمنصور بن زاذان : إنك ميت اليوم أو غدا : ما كان عنده من مزيد .

(حلية الأولياء 3 / 58)

قال الأوزاعي : رأيت عبدة يطوف بالبيت وهو ضعيف ، فقلت : لو رفقت بنفسك فقال : إنما المؤمن بالتحامل . (حلية الأولياء 6 / 115)

قال الفضيل بن عياض : لن يتقرب العباد إلى الله بشيء أفضل من الفرائض الفرائض رؤوس الأموال والنوافل الأرباح . (حلية الأولياء 8 / 100)

كان الجنيد يقرأ وقت خروج روحه فيقال له : في هذا الوقت ؟ ! فيقول : أبادر طي صحيفتي .
(صيد الخاطر لابن الجوزي 372)

قال ابن الجوزي : من علم قرب الرحيل عن مكة استكثر من الطواف خصوصا إن كان لا يؤمل العود لكبر سنه وضعف قوته فكذلك ينبغي لمن قاربه ساحل الأجل بعلو سنة أن يبادر اللحظات وينتظر الهاجم بما يصلح له فقد كان في قوس الأجل منزع زمان الشباب . (صيد الخاطر 354)

وقال أيضا : كم يضيع الأدمي من ساعات يفوته فيها الثواب الجزيل وهذه الأيام مثل المزرعة فكأنه قيل للإنسان : كلما بذرت حبة أخرجنا لك ألف كرفهل يجوز للعاقل أن يتوقف في البذرويتوانى ؟
(صيد الخاطر لابن الجوزي 603) !

وقال أيضا : من عجائب ما أرى من نفسي ومن الخلق كلهم الميل إلى الغفلة عما في أيدينا مع العلم بقصر العمر وأن زيادة الثواب هناك بقدر العمل ههنا . فيا قصير العمر اغتنم يومي مني وانتظر ساعة النفر وإياك أن تشغل قلبك بغير ما خلق له واحمل نفسك على المر وأقمعها إذا أبت ولا تسرح لها في الطول فما أنت إلا في مرعى وقبيح بمن كان بين الصفيين أن يتشاغل بغير ما هو فيه .
(صيد الخاطر 492) .

قَالَ زَيْنُ الْعَابِدِينَ عَلَى بَنِّ الْحَسَنِ:

يَا زَارِعَ الْخَيْرِ تَحْصُدُ بَعْدَهُ تَمْرًا *** يَا زَارِعَ الشَّرِّ مَوْقُوفٌ عَلَى الْوَهَنِ

يَا نَفْسُ كَفِّي عَنِ الْعِصْيَانِ وَاكْتَسِبِي *** فِعْلًا جَمِيلًا لَعَلَّ اللَّهَ يَرْحَمَنِي

يَا نَفْسُ وَيْحَكَ تُوْبِي وَاعْمَلِي حَسَنًا *** عَسَى تُجَارِئِينَ بَعْدَ الْمَوْتِ بِالْحَسَنِ

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّالِفِ :

وهذا أبو الدحداح الأنصاري ، لما نزل قول الله تعالى : (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة) (البقرة 245) قال للرسول صلى الله عليه وسلم وإن الله ليريد منا القرض ؟ قال عليه الصلاة والسلام : نعم يا أبا الدحداح ، قال : أرني يدك يا رسول الله ، فناوله النبي صلى الله عليه وسلم يده ، فقال أبو الدحداح : إني قد أقرضت ربي عز وجل حائطي (أي بستاني وكان فيه 600 نخلة) وأم الدحداح فيه وعيالها ، فنادها : يا أم الدحداح ، قالت : لبيك ، قال : اخرجي من الحائط : يعني : (اخرجي من البستان) فقد أقرضته ربي عز وجل . وفي رواية : أن امرأته لما سمعته يناديها عمدت إلى صبيانها تخرج التمر من أفواههم ، وتنفض ما في

أَكْمَامِهِمْ . تريد بفعلها هذا الأجر كاملاً غير منقوص من الله . لذلك كانت النتيجة لهذه المسارعة أن قال النبي صلى الله عليه وسلم كم من عق رداح (أي : مثمر وممتلئ) في الجنة لأبي الدحداح . (مسند الإمام أحمد 3 / 179 رقم 12490)

11 - بابُ الجاهدة

قَالَ اللهُ تَعَالَى : وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهُ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ [العنكبوت : 69] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ [الحجر : 99] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً [المزمل : 8] : أَي انْقَطِعْ إِلَيْهِ ، وَقَالَ تَعَالَى : فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ [الزلزلة : 7] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا [المزمل : 20] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهُ بِهِ عَلِيمٌ [البقرة : 273] والآيات في الباب كثيرة معلومة .

95- فالأول: عن أبي هريرة رضي الله عنه. قال قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهُ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا. فَقَدْ أَدْنَتْهُ بِالْحَرْبِ. وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا أَفْتَرَضْتُ عَلَيْهِ: وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوْافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِيذَنَّهُ» رواه البخاري. «أَدْنَتْهُ» أَعْلَمْتُهُ بِأَنِّي مُحَارِبٌ لَهُ «اسْتَعَاذَنِي» رَوَى بِالنُّونِ وَبِالْبَاءِ.

96- الثاني: عن أنس رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يرويه عن ربه عزَّ وجلَّ قال: «إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلَيَّ شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِذَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِذَا أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً» رواه البخاري.

97- الثالث: عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفِرَاقُ» رواه مسلم.

98- الرابع: عن عائشة رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَنْفَطِرَ قَدَمَاهُ، فَقُلْتُ لَهُ، لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «أَفَلَا أَحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا؟» متفقٌ عليه. هذا لفظ البخاري، ونحوه في الصحيحين من رواية المغيرة بن شعبَةَ.

99- الخامس: عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ

العشرُ أحياءُ اللَّيْلِ، و أيقظُ أهله، و جدَّ وشدَّ المئزرَ» متفقٌ عليه.

والمراد: العَشرُ الأواخِرُ من شهرِ رمضان: «والمئزرُ»: الإزارُ وهو كنايةٌ عن اعتزالِ النساءِ ، وقيل: المرادُ تشميرُهُ للعبادة. يُقال: شددتُ لهذا الأمرِ مئزري ، أي: تشمرتُ وتفرغتُ لهُ.

100- السادس: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلِّ خَيْرٍ أَحْرَصُ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ. وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَتْ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللهُ، وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ». رواه مسلم.

101- السابع: عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ» متفقٌ عليه. وفي رواية لمسلم: «حُفَّتْ» بدلَ «حُجِبَتِ» وهو بمعناه: أي: بينه وبينها هذا الحجابُ، فإذا فعلَهُ دخلها.

102- الثامن: عن أبي عبد الله حذيفة بن اليمان، رضي الله عنهما، قال: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبُقْرَةَ، فَقُلْتُ يَرْكُعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ يُصَلِّي بِهَا فِي رُكْعَةٍ، فَمَضَى. فَقُلْتُ يَرْكُعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النَّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتْرَسِلًا إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعْوِذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ فَجَعَلَ يَقُولُ: «سُبْحَانَ رَبِّي الْعَظِيمِ» فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ ثُمَّ قَالَ: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ» ثُمَّ قَامَ قِيَامًا طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ فَقَالَ: «سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى» فَكَانَ سُجُودَهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ». رواه مسلم.

103- التاسع: عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً، فَأَطَالَ الْقِيَامَ حَتَّى هَمَمْتُ أَنْ أَجْلِسَ وَأَدْعَهُ. متفقٌ عليه.

104- العاشر: عن أنس رضي الله عنه عن رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يَتْبَعُ الْمَيْتَ ثَلَاثَةٌ: أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى وَاحِدٌ: يَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ» متفقٌ عليه.

105- الحادي عشر: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الجنةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ وَالتَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ» رواه البخاري.

106- الثاني عشر: عن أبي فراس ربيعة بن كعبِ الأسلميِّ خادِمِ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ رضي الله عنه قال: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَيْهِ

بِوَضُوءِهِ، وَحَاجَتِهِ فَقَالَ: «سَلْنِي» فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. فَقَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟» قُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. فَقَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟» قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: «فَاعَيَّنِي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

107- الثالث عشر: عن أبي عبد الله ويُقَالُ: أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ، فَإِنَّكَ لَنْ تَسْجُدَ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةٌ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

108- الرابع عشر: عن أبي صَفْوَانَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ الْأَسْلَمِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُ النَّاسِ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسَنَ عَمَلُهُ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ. «بُسْرٌ»: بَضْمُ الْبَاءِ وَالسَّيْنِ الْمَهْمَلَةِ.

109- الخامس عشر: عن أنسٍ رضي الله عنه، قَالَ: غَابَ عَنِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ رضي الله عنه، عَنِ الْقِتَالِ بِدَرْ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ غَبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتِ الْمُشْرِكِينَ، لَئِنْ اللَّهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ لَيُرِينَ اللَّهُ مَا أَصْنَعُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ أَحَدٍ انْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْتَدِرْ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ يَعْني أَصْحَابَهُ وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ يَعني الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ تَقَدَّمَ فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ: يَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الْجَنَّةُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أَحَدٍ. قَالَ سَعْدُ: فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا صَنَعْتُ، قَالَ أَنَسُ: فَوَجَدْنَا بِهِ بَضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ، أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ، أَوْ رُمِيَةً بِسَهْمٍ، وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَمَثَلَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أُخْتَهُ بِنَانَةَ. قَالَ أَنَسُ: كُنَّا نَرَى أَوْ نَطُنُّ أَنْ هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ: [مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ] [الأحزاب: 23] إِلَى آخِرِهَا. مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ. قَوْلُهُ: «لَيُرِينَ اللَّهُ» رُوي بَضْمِ الْيَاءِ وَكَسْرِ الرَّاءِ، أَي لَيُظْهِرَنَّ اللَّهُ ذَلِكَ لِلنَّاسِ، وَرُوي بِفَتْحِهِمَا، وَمَعْنَاهُ ظَاهِرٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

110- السادس عشر: عن أبي مسعود عُقْبَةَ بْنِ عَمْرِو الْأَنْصَارِيِّ الْبَدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الصَّدَقَةِ كُنَّا نَحَامِلُ عَلَى ظَهْرِنَا. فَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِشَيْءٍ كَثِيرٍ فَقَالُوا: مُرَاءٍ، وَجَاءَ رَجُلٌ آخَرُ فَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ فَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ لَغَيٌّ عَنِّ صَاعٍ هَذَا، فَتَزَلْتُ الَّذِينَ يَلْمَزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ} [التوبة 79] الْآيَةَ. مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

«وَنُحَامِلُ» بَضْمُ النُّونِ، وَبِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ: أَي يَحْمِلُ أَحَدُنَا عَلَى ظَهْرِهِ بِالْأَجْرَةِ، وَيَتَصَدَّقُ بِهَا.

111- السابع عشر: عن سعيدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنِ رَبِيعَةَ بْنِ يَزِيدَ، عَنِ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ، عَنِ أَبِي ذَرِّجَنْدَبِ بْنِ جُنَادَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَزُوي عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ

وتعالى أنه قال: «يا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالُمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعَمُونِي أَطْعَمَكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضْرِبُونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّتُمْ كَانُوا عَلَى اتَّقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّتُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصَاهَا لَكُمْ، ثُمَّ أَوْفَيْكُمْ بِهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمِدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ». قَالَ سَعِيدٌ: كَانَ أَبُو إِدْرِيسَ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ جَثًّا عَلَى رُكْبَتَيْهِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَرَوَيْنَا عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: لَيْسَ لِأَهْلِ الشَّامِ حَدِيثٌ أَشْرَفَ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ.

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

قوله تعالى : والذين جاهدوا فينا أي جاهدوا الكفار فينا . أي في طلب مرضاتنا .

وقال السدي وغيره : أن هذه الآية نزلت قبل فرض القتال .

وقال أبو سليمان الداراني : ليس الجهاد في الآية قتال الكفار فقط بل هو نصر الدين والرد على المبتلين وقمع الظالمين ، وأعظمه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومنه مجاهدة النفوس في طاعة الله وهو الجهاد الأكبر .

وقال الجنيد : والذين جاهدوا أهواءهم فينا بالتوبة لهديتهم سبل الإخلاص . ولا يتمكن من جهاد عدوه في الظاهر إلا من جاهد هذه الأعداء باطنا ، فمن نصر عليها نصره على عدوه ومن نصرت عليه نصر عليه عدوه . (تفسير القرطبي)

وقال ابن القيم : (والذين جاهدوا فينا لهديتهم سبلنا) (العنكبوت 69) علق سبحانه الهداية بالجهاد فأكمل الناس هداية أعظمهم جهادا وأفرض الجهاد . جهاد النفس وجهاد الهوى وجهاد الشيطان وجهاد الدنيا . فمن جاهد هذه الأربعة في الله هداه الله سبل رضاه الموصلة إلى جنته ومن ترك الجهاد فاتته من الهدى بحسب ما عطل من الجهاد . (الفوائد لابن القيم 59)

وقال سفيان بن عيينة لابن المبارك : إذا رأيت الناس قد اختلفوا فعليك بالمجاهدين وأهل الثغور

فإن الله تعالى يقول : لهديهم . وقال الضحاک : معنى الآية ; والذين جاهدوا في الهجرة لهديهم سبل الثبات على الإيمان . ثم قال : مثل السنة في الدنيا كمثل الجنة في العقبى من دخل الجنة في العقبى سلم كذلك من لزم السنة في الدنيا سلم . وقال عبد الله بن عباس : والذين جاهدوا في طاعتنا لهديهم سبل ثوابنا . وقال يوسف بن أسباط : المعنى : لنخلصن نياتهم وصدقاتهم وصلواتهم وصيامهم . (تفسير القرطبي 13 / 365)

قال الحسن : أفضل الجهاد مخالفة الهوى . وقال الفضيل بن عياض : والذين جاهدوا في طلب العلم لهديهم سبل العمل به . وقال سهل بن عبد الله : والذين جاهدوا في إقامة السنة لهديهم سبل الجنة . (تفسير البغوي الجزء رقم 6)

قال أبي مسلم الخولاني : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أوحى إلى أن أجمع المال وأكون من التاجرين ولكن أوحى إلى أن (فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) . عن مجاهد في قوله : (حتى يأتيك اليقين) قال : الموت . (تفسير الدر المنثور 8 / 667)

عن ابن عباس قوله : (وتبتل إليه تبتيلاً) قال : أخلص له إخلاصاً . عن مجاهد في قوله : (وتبتل إليه تبتيلاً) قال : أخلص إليه المسألة والدعاء . عن الحسن في قوله : (وتبتل إليه تبتيلاً) قال : بتل نفسك واجتهد . عن قتادة قوله : (وتبتل إليه تبتيلاً) يقول : أخلص له العبادة والدعوة . قال ابن زيد في قوله : (وتبتل إليه تبتيلاً) قال : أي تفرغ لعبادته قال : تبتل ، فحبذا التبتل إلى الله وقرأ قول الله : (فإذا فرغت فانصب) قال : إذا فرغت من الجهاد فانصب في عبادة الله وإلى ربك فارغب . (تفسير الطبري 23 / 688)

قال أبي إدريس الخولاني : كان أبو بكر الصديق يأكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ نزلت هذه الآية فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره فأمسك أبو بكر يده وقال : يا رسول الله أننا لراءون ما عملنا من خير أو شرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا بكر أرايت ما رأيت مما تكره فهو من مثاقيل الشر ويدخلك مثاقيل الخير حتى توفاه يوم القيامة وتصديق ذلك في كتاب الله وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير . (تفسير الدر المنثور 15 / 587)

قوله تعالى : فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره كان ابن عباس يقول : من يعمل من الكفار مثقال ذرة خيراً يره في الدنيا ، ولا يثاب عليه في الآخرة . ومن يعمل مثقال ذرة من شره في الآخرة مع عقاب الشرك ، ومن يعمل مثقال ذرة من شره من المؤمنين يره في الدنيا ، ولا يعاقب عليه في الآخرة إذا مات ، ويتجاوز عنه ، وإن عمل مثقال ذرة من خير يقبل منه ، ويضاعف له في الآخرة . وفي بعض

الحديث : " الذرة لا زنة لها " وهذا مثل ضربة الله تعالى : أنه لا يغفل من عمل ابن آدم صغيرة ولا كبيرة وهو مثل قوله تعالى : إن الله لا يظلم مثقال ذرة . قال ابن مسعود : هذه أحكم آية في القرآن . (تفسير القرطبي 20 / 135)

قال قتادة : ذكر لنا أن رجلا ذهب مرة يستقري فلما سمع هذه الآية فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره إلى آخرها قال : حسبي حسبي أن عملت مثقال ذرة من خير رأيتته وإن عملت مثقال ذرة من شر رأيتته قال : وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : هي الجامعة الفاذة . (تفسير الدر المنثور 15 / 590)

عن الحسن قال : لما نزلت فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره الآية قال رجل من المسلمين : حسبي أن عملت مثقال ذرة من خير أو شر رأيتته انتهت الموعظة . عن الحارث بن سويد أنه قرأ إذا زلزلت حتى بلغ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره قال : إن هذا الإحصاء شديد . (تفسير الدر المنثور 15 / 590)

وروى كعب الأحبار أنه قال : لقد أنزل الله على محمد آيتين أحصتا ما في التوراة والإنجيل والزبور والصحف : فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره . (القرطبي 20 / 135)

عن عمر بن الخطاب أنه اتخذ حيسا - يعني تمرا بلبن - فجاءه مسكين فأخذه ودفعه إليه . فقال بعضهم : ما يدري هذا المسكين ما هذا ؟ فقال عمر : لكن رب المسكين يدري ما هو وكأنه تأول : وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا أي مما تركتم وخلفتم ، ومن الشح والتقصير . وأعظم أجرا قال أبو هريرة : الجنة . (تفسير القرطبي 19 / 55)

قال قتادة في الآية : لن تنالوا بر ربكم حتى تنفقوا مما يعجبكم ، ومما تهوون من أموالكم (وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم) يقول : محفوظ ذلك لكم ، الله به عليم شاكر له . (تفسير الدر المنثور 3 / 666)

أَثَارُ الْوَارِدَةِ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قال أبو بكر الصديق في وصيته لعمر حين استخلفه : إن أول ما أحذرك : نفسك التي بين جنبيك . (جامع العلوم والحكم 172)

قال عمر بن الخطاب : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا وتزينوا للعرض الأكبر على من لا تخفى عليه أعمالكم (يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية) (الحاقة 18) . (مدارج السالكين 1 / 189 - 190)

وقال أيضا : إن لهذه القلوب إقبالا وإدبارا فإذا أقبلت فخذوها بالنواقل وإن أدبرت فألزموها
الفرائض . (مدارج السالكين 3 / 126)

قال أنس بن مالك : سمعت عمر بن الخطاب وخرجت معه حتى إذا دخل حائطا فسمعته يقول
وبيني وبينه جدار وهو في جوف الحائط عمر بن الخطاب أمير المؤمنين يخ يخ . والله يا ابن الخطاب
لنتقين الله أو ليعذبنك . (الموطأ 2 / 992)

قال علي بن أبي طالب : أول ما تنكرون من جهادكم جهادكم أنفسكم . (جامع العلوم والحكم 171)
قال علي بن أبي طالب : إن أخوف ما أخاف اتباع الهوى وطول الأمل فأما اتباع الهوى فيصد عن
الحق وأما طول الأمل فينسى الآخرة ألا وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة الأمل وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة
ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن اليوم عمل ولا
حساب وغدا حساب ولا عمل . (حلية الأولياء 1 / 117)

قال ابن مسعود رضي الله عنه : أنتم في زمان يقود الحق الهوى وسيأتي زمان يقود الهوى الحق
فنعوذ بالله من ذلك الزمان . (الجامع لأحكام القرآن 19 / 208)

قال ابن مسعود رضي الله عنه : إن لهذه القلوب شهوة وإقبالا وأن لها فترة وإدبارا فخذوها عند
شهوتها وإقبالها ودعوها عند فترتها وإدبارها . (الزهد لابن المبارك 1331)

قال معاوية : المروءة ترك الشهوات وعصيان الهوى . (غذاء الألباب 457 / 2)

قال أبو الدرداء رضي الله عنه : إذا أصبح الرجل اجتمع هواه وعمله وعلمه فإن كان عمله تبعا
لهواه فيومه يوم سوء وإن كان عمله تبعا لعلمه فيومه يوم صالح . (تفسير القرطبي 16 / 157)

قال عكرمة : أفرأيت من جعل إلهه الذي يعبد ما يهواه ويستحسنه فإذا استحسن شيئا وهوية
اتخذها إلهًا !! . (الجامع لأحكام القرآن 16 / 156)

سئل عبد الله بن عمر عن الجهاد فقال : ابدأ بنفسك فجاهدها وابدأ بنفسك فاغزها . (جامع
العلوم والحكم 171)

قال عمار بن ياسر : ثلاث من جمعهن جمع الإيمان الإنصاف من نفسه والإنفاق من الإقتار وبذل
السلام للعالم . (الزهد لوكيع 2 / 504)

قال بشر الحافي : من أحب الدنيا فليتهيأ للذل . (البداية والنهاية 10 / 298)

وقال أيضا : البلاء كله في هواك والشفاء كله في مخالفتك إياه . (روضة المحبين 1 / 478)

قال رجل للحسن البصري : يا أبا سعيد أي الجهاد أفضل قال جهادك هواك وسمعت شيخنا يقول جهاد النفس والهوى أصل جهاد الكفار والمنافقين فإنه لا يقدر على جهادهم حتى يجاهد نفسه وهواه أولا حتى يخرج إليهم . (روضة المحبين 1 / 478)

قال الحسن : ما الدابة الجموح بأحوج إلى اللجام الشديد من نفسك . (إحياء علوم الدين 3 / 71)
كتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن البصري رحمهما الله تعالى : أما بعد : فإذا أتاك كتابي فعظني وأوجز فكتب إليه الحسن : أما بعد : فاعص هواك والسلام !! . (نواذر الرسائل 21)

قال يحيى بن معاذ الرازي : أعداء الإنسان ثلاثة : دنياه وشيطانة ونفسه فاحترس من الدنيا بالزهد فيها ومن الشيطان بمخالفته ومن النفس بترك الشهوات . (إحياء علوم الدين 3 / 71)

وقال أيضا : جاهد نفسك بأسياف الرياضة . والرياضة على أربعة أوجه : القوت من الطعام والغمض من المنام والحاجة من الكلام وحمل الأذى من جميع الأنام فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات ومن قلة المنام صفو الإيرادات ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتمال الأذى البلوغ إلى الغايات . وليس على العبد شيء أشد من الحلم عند الجفاء والصبر على الأذى وإذا تحركت من النفس إرادة الشهوات والآثام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت سيوف قلة الطعام من غمد التهجد وقلة المنام وضربت بها بأيدي الخمول وقلة الكلام حتى تنقطع عن الظلم والانتقام فتؤمن من بوائقها من بين سائر الأنام وتصفىها من ظلمة شهواتها فتتجو من غوائل آفات فتصير عند ذلك نظيفة ونورية خفيفة روحانية فتجول في ميدان الخيرات وتسير في مسالك الطاعات كالفرس الفاره في الميدان وكالمملك المنتزه في البستان . (إحياء علوم الدين 3 / 66)

قال وهب بن منبه : إذا شككت في أمرين ولم تدر خيرهما فانظر أبعدهما من هواك فاته .
(الجامع لأحكام القرآن 16 / 144)

قال ابن المبارك : فقولته صلى الله عليه وسلم : إن النصر مع الصبر يشمل النصر في الجهادين : جهاد العدو الظاهر وجهاد العدو الباطن فمن صبر فيهما نصر وظفر بعدوة ومن لم يصبر فيهما وجزع قهر وصار أسيرا لعدوه أو قتيلا له . (جامع العلوم والحكم 172)

كان مالك بن دينار يطوف في السوق فإذا رأى الشيء يشتهيهِ قال لنفسه : اصبري فوالله ما أمنعك إلا من كرامتك علي . (إحياء علوم الدين 3 / 67)

قال إبراهيم بن علقمة لقوم جاءوا من الغزو: قد جنتم من الجهاد الأصغر فما فعلتم في الجهاد الأكبر؟ قالوا: وما الجهاد الأكبر؟ ، قال: جهاد القلب . (جامع العلوم والحكم 171)

قال سعيد بن جبير: كان أحدهم يعبد الحجر فإذا رأى ما هو أحسن منه رمى به وعبد الآخر!! . (تفسير القرطبي 16 / 167)

قال قتادة: إن الرجل إذا كان كلما هوى شيئا ركبه وكلما اشتى شيئا أتاه ، لا يحجزه عن ذلك ورع ولا تقوى فقد اتخذ إليه هواه . (جامع العلوم والحكم 210)

قال سفيان الثوري: ما عالجت شيئا أشد على من نفسي مرة لي ومرة علي . (الإحياء 71 / 3)

كان أبو العباس الموصلي يقول لنفسه: يا نفس لا في الدنيا مع أبناء الملوك تنعمين ولا في طلب الآخرة مع العباد تجتهدين كأني بك بين الجنة والنار تحبسين يا نفس إلا تستحين . (الإحياء 71 / 3)

قال ميمون بن مهران: لا يكون الرجل تقيا حتى يحاسب نفسه محاسبة شريكه وحتى يعلم من أين ملبسه ومطعمه ومشربه . (الزهد لوكيع 2 / 501 - 502)

قال أبو علي الدقاق: من زين ظاهره بالمجاهدة حسن الله سرائره بالمشاهدة قال الله تعالى: (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) . (الرسالة القشيرية 1 / 47)

قال يحيى بن معاذ: من أرضي الجوارح في اللذات فقد غرس لنفسه شجر الندامات. (ذم الهوى 27)
قيل للمهلب: بم نلت ما نلت قال: بطاعة الحزم وعصيان الهوى . (غذاء الألباب 2 / 459)

قال الفضيل: من استحوذ عليه الهوى واتباع الشهوات انقطعت عنه مواد التوفيق . (غذاء الألباب 2 / 458)

قال الغزالي رحمه الله: إن النفس عدو منازع يجب علينا مجاهدتها . (إحياء علوم الدين 3 / 65)

قال الشعبي: إنما سمي الهوى هوى لأنه يهوى بصاحبه في النار. وقال سهل بن عبد الله التستري: هواك داؤك فإن خالفته فدواؤك . (الجامع لأحكام القرآن 16 / 144)

ويقول يونس بن عبيد: ما عالجت شيئا أشد على من الورع . (حلية الأولياء 3 / 116)

نقل ابن رجب في مجاهدة النفس عن أبي بكر قوله: وهذا الجهاد يحتاج أيضا إلى صبر فمن صبر على مجاهدة نفسه وهواه وشيطانه غلبهم ، وحصل له النصر والظفر وملك نفسه فصار ملكا

عزيزا ومن جزع ولم يصبر على مجاهدة ذلك غلب وقهر وأسر و صار عبدا ذليلا أسيرا في يد شيطانه وهواه كما قيل: إذا المرء لم يغلِبْ هَوَاهُ أَقَامَهُ . بمثثلة فيها العزيز ذليل . (جامع العلوم والحكم 172)
قال ابن رجب : وكذلك جهاد العدو الباطن وهو جهاد النفس والهوى فإن جهادهما من أعظم الجهاد . (جامع العلوم والحكم 171)

يقول ابن الجوزي : النفس مجبولة على حب الهوى فافتقرت لذلك إلى المجاهدة والمخالفة ومتى لم تزجر عن الهوى هجم عليها الفكر في طلب ما شغفت به فاستأنست بالآراء الفاسدة والأطماع الكاذبة والأمانى العجيبة خصوصا أن ساعد الشباب الذي هو شعبة من الجنون وامتد ساعد القدرة إلى نيل المطلوب . (ذم الهوى لابن الجوزي 36)

قال ابن عبد البر : مجاهدة النفس في صرفها عن هواها أشد محاولة وأصعب مراما وأفضل من مجاهدة العدو . (الاستذكار لابن عبد البر 8 / 287)

قال تعالى : (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى) (النازعات 40)

قال ابن بطال : جهاد المرء نفسه هو الجهاد الأكمل . (فتح الباري حديث 6135)

قال الفيروز آبادي : والحق أن يقال : المجاهدة ثلاثة ثلاثة أضرب : مجاهدة العدو الظاهر ومجاهدة الشيطان ومجاهدة النفس والمجاهدة تكون باليد واللسان . (بصائر ذوي التمييز 2 / 403)

قال ابن القيم : المصالح والخيرات واللذات والكمالات كلها لا تنال إلا بحظ من المشقة ولا يعبر إليها إلا على جس من التعب وقد أجمع عقلاء كل أمة على أن النعيم لا يدرك بالنعيم وأن من أثار الراحة فاتته الراحة وأنه بحسب ركوب الأهوال واحتمال المشاق تكون الفرحة واللذة ، فلا فرحة لمن لا هم له ولا لذة لمن لا صبر له ولا نعيم لمن لا شقاء له ولا راحة لمن لا تعب له بل إذا تعب العبد قليلا استراح طويلا وإذا تحمل مشقة الصبر ساعة قاده لحياة الأبد وكل ما فيه أهل النعيم المقيم فهو صبر ساعة والله المستعان ولا قوة إلا بالله وكلما كانت النفوس أشرف والهمة أعلى كان تعب البدن أوفر وحظه من الراحة أقل . (مفتاح دار السعادة لابن القيم 15 / 2)

وقال ابن القيم : لكل عيب بداية ونهاية فمن كانت بدايته اتباع الهوى كانت نهايته الذل والصغار والحرمان والبلاء . (غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب 2 / 459)

وقال أيضا : لا يسيء الظن بنفسه إلا من عرفها ومن أحسن الظن بنفسه فهو من أجهل الناس بنفسه . (مدارج السالكين 1 / 191)

وقال ابن القيم : مخالفة الهوى تورث العبد قوة في بدنه وقلبه ولسانه . (غذاء الألباب 457)

قَالَ الشَّاعِرُ : (بَصَائِرِ ذَوِي التَّمْيِيزِ 2 / 402)

يَا مَنْ يُجَاهِدُ غَازِيًا أَعْدَاءَ دِينِ اللَّهِ *** يَرْجُو أَنْ يُعَانَ وَيَنْصُرَا

هَلَّا عَشِيَتْ النَّفْسُ غَزَاؤًا إِتْمَا أَعْدَى *** عَدُوَّكَ كَيْ تَفُوزَ وَتَنْظُرَا

مَهْمَا عَنَيْتَ جِهَادَهَا وَعِنَادَهَا *** فَلَقَدْ تَعَاطَيْتَ الْجِهَادَ الْأَكْبَرَا

الآثار العملية في حياة السلف :

عن سعيد بن أبي هلال : أنه بلغه أن ابن رواحه ذكر شعرا له قال : فلما التقوا أخذ الراية زيد ابن حارثة فقاتل حتى قتل ثم أخذها جعفر فقاتل حتى قتل ثم أخذها ابن رواحه فحاد حيدة فقال :

أَقْسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلَنَّهُ *** طَائِعَةً أَوْ لَا لَتُكْرِهَنَّهُ

إِنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدَّوْا الرِّتَّةَ *** مَا لِي أَرَاكَ تَكْرِهِينَ الْجَنَّةَ

قَدْ طَالَمَا قَدْ كُنْتَ مُطْمَئِنَّةً *** هَلْ أَنْتِ إِلَّا نُطْفَةٌ فِي شَنِّهِ

جَعْفَرُ مَا أَطْيَبَ رِيحَ الْجَنَّةِ *** ثُمَّ نَزَلَ فِقَاتِلَ حَتَّى قَتَلَ . (فتح الباري 7 / 584)

عن عبد الله بن عبدان أبو محمد البغلاني روى أن رجلا كان يتبع سفيان الثوري فيجده أبدا يخرج من لبنة رقعة ينظر فيها ، فأحب أن يعلم ما فيها ، فوقع في يده الرقعة ، فإذا فيها مكتوب : سفيان اذكر وقوفك بين يدي الله عز وجل . (الحلية تهذيبية 2 / 374)

وقال المروذي : قلت لأحمد : كيف أصبحت ؟ قال : كيف أصبح من ربه يطالبه بأداء الفرائض ، ونبهه يطالبه بأداء السنة ، والمملكان يطلبانه بتصحيح العمل ، ونفسه تطالبه بهواها ، وإبليس يطالبه بالفحشاء ، وملك الموت يراقب قبض روحه ، وعياله يطالبونه بالنفقة . (الحلية تهذيبية 2 / 930)

قال عبد الله بن أبي زكريا : عالجت الصمت عما لا يعنيني عشرين سنة قل أن أقدر منه على ما أريد . (الصمت لابن أبي الدنيا 260)

ويقول أبو يزيد : عالجت كل شيء فما عالجت أصعب من معالجة نفسي وما شيء أهون علي منها . (حلية الأولياء 10 / 36)

ومرة قال : عملت في المجاهدة ثلاثين سنة فما وجدت شيئا أشد على من العلم ومتابعته .
(حلية الأولياء 10 / 36)

قال ثابت البناني : كابدت القرآن عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة . (حلية الأولياء 1 / 288)

12- بابُ الحثِّ على الازدياد من الخير في أواخر العمر

قَالَ اللهُ تَعَالَى : أَوْلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ [فاطر: 37] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْمُحَقِّقُونَ : معناه أَوْ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ سِتِّينَ سَنَةً ؟ وَيُؤَيِّدُهُ الْحَدِيثُ الَّذِي سَنَدَكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى ، وَقِيلَ : معناه ثمانِي عَشْرَةَ سَنَةً ، وَقِيلَ : أَرْبَعِينَ سَنَةً ، قَالَهُ الْحَسَنُ وَالْكَلْبِيُّ وَمَسْرُوقٌ وَنُقِلَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا . وَنَقَلُوا أَنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ كَانُوا إِذَا بَلَغَ أَحَدُهُمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً تَفَرَّغَ لِلْعِبَادَةِ ، وَقِيلَ : هُوَ الْبُلُوغُ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْجَمْهُورُ : هُوَ النَّبِيُّ ، وَقِيلَ : الشَّيْبُ ، قَالَهُ عِكْرِمَةُ وَابْنُ عُيَيْنَةَ وَغَيْرُهُمَا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

112- وَأَمَّا الْأَحَادِيثُ فَالْأَوَّلُ : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «أَعْدَرَ اللهُ إِلَى أَمْرِيَّ أَحْرًا جَلَّهُ حَتَّى بَلَغَ سِتِّينَ سَنَةً» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

قَالَ الْعُلَمَاءُ معناه : لَمْ يَتْرِكْ لَهُ عُدْرًا إِذْ أَمَّهَلَهُ هَذِهِ الْمُدَّةَ . يُقَالُ : أَعْدَرَ الرَّجُلُ إِذَا بَلَغَ الْغَايَةَ فِي الْعُدْرِ 113- الثَّانِي : عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : كَانَ عَمْرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَدْخُلُنِي مَعَ أَشْيَاحٍ بَدْرٍ ، فَكَانَ بَعْضُهُمْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ فَقَالَ : لِمَ يَدْخُلُ هَذَا مَعَنَا وَلِنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ ، ؟ فَقَالَ عَمْرٌ : إِنَّهُ مِنْ حَيْثُ عَلِمْتُمْ ، فَدَعَانِي ذَاتَ يَوْمٍ فَأَدْخَلَنِي مَعَهُمْ فَمَا رَأَيْتُ أَنَّهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ قَالَ : مَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى : { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ } [الفتح : 1] فَقَالَ بَعْضُهُمْ : أَمْرُنَا نَحْمَدُ اللهَ وَنَسْتَغْفِرُهُ إِذَا نَصَرْنَا وَفَتَحَ عَلَيْنَا . وَسَكَتَ بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا فَقَالَ لِي : أَكُنْذَلِك تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ؟ فَقُلْتُ : لَا . قَالَ فَمَا تَقُولُ ؟ قُلْتُ : هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَعْلَمَهُ لَهُ قَالَ : { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ } وَذَلِكَ عِلَامَةٌ أَجْلِكَ { فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا } [الفتح : 3] فَقَالَ عَمْرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَقُولُ . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

114- الثَّالِثُ : عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ : مَا صَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةً بَعْدَ أَنْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ } إِلَّا يَقُولُ فِيهَا : « سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي » متفقٌ عليه .

وفي رواية الصحيحين عنها : كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْتَبُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ :

« سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي » يتأول القرآن . معنى : « يتأول القرآن » أي : يعمل ما أمر به في القرآن في قوله تعالى : { فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ } .

وفي رواية لمسلم : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُكثِرُ أَنْ يَقُولَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ : «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ» . قالت عائشة : قلت : يا رسول الله ما هذه الكلمات التي أراك أحدثتها تقولها ؟ قال : « جُعِلَتْ لِي علامة في أمِّي إذا رَأَيْتُهَا قُلْتُهَا {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} إلى آخر السورة» . وفي رواية له : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُكثِرُ مِنْ قَوْلِ : « سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ . أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ » . قالت : قلت : يا رسول الله أَرَأَيْتَ تَكثُرُ مِنْ قَوْلِ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ؟ فقال : « أَخْبَرَنِي رَبِّي أَنِّي سَأَرَى عِلْمَةً فِي أُمَّتِي فَإِذَا رَأَيْتُهَا أَكْثَرْتُ مِنْ قَوْلِ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ : فَقَدَرْتُ رَأَيْتُهَا : {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} فَتَحُّ مَكَّةَ { وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا }

115- الرابع : عن أنس رضي الله عنه قال : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ تَابِعَ الْوَحْيِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ وَفَاتِهِ ، حَتَّى تُؤْفَى أَكْثَرُ مَا كَانَ الْوَحْيُ . متفق عليه .

116- الخامس : عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ » رواه مسلم .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

عن علي رضي الله عنه قال : (أو لم نعلمكم ما يتذكر فيه من تذكر وجاهكم النذير) العمر الذي عمركم به ستون سنة . عن مجاهد عن ابن عباس قال : العمر الذي أعذر الله فيه لابن آدم ستون سنة . وعن مجاهد قال : سمعت ابن عباس يقول : العمر الذي أعذر الله إلى ابن آدم (أو لم نعلمكم ما يتذكر فيه من تذكر) أربعون سنة . عن مسروق أنه كان يقول : إذا بلغ أحدكم أربعين سنة فليأخذ حذره من الله . قال ابن زيد في قوله : (وجاهكم النذير) قال : النذير : النبي وقرأ (هذا نذير من النذر الأولى) . (تفسير الطبري 20 / 477)

عن عكرمة في قوله (وجاهكم النذير) قال : الشيب . عن ابن عباس (وجاهكم النذير) قال : الشيب . عن قتادة في الآية قال : اعلموا أن طول العمر حجة ، فنعوذ بالله أن نغير بطول العمر ، قال : نزلت وأن فهم لابن ثمان عشرة سنة ، وفي قوله : وجاهكم النذير قال : احتج عليهم بالعمر والرسول . (تفسير الدر المنثور 12 / 302)

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ما استبقنا إلى شيء من الخير إلا سبقنا أبو بكر وكان سباقا بالخيرات ثم كان السابق بعده إلى الخيرات عمرو في آخر حجة حجها عمر جاء رجل لا يعرف كانوا يرونه من الجن فرثاه بأبيات منها :

فمن يسع أو يركب جناحي نعامة . . . ليدرك ما قدمت بالأمس يسبق . (لطائف المعارف / 1 / 244)

قال عبد الله بن مسعود : إني لأمقت الرجل أن أراه فارغا ليس في شيء من عمل الدنيا ولا عمل الآخرة . (الزهد لوكيع / 1 / 418)

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسُه نقص فيه أجلي ولم يزد فيه عملي . (قيمة الزمن عند العلماء / 1 / 27)

وعنه أيضا أنه كان يقول : إذا قعد يذكر إنكم في ممر من الليل والنهار في آجال منقوصة وأعمال محفوظة والموت يأتي بغتة فمن زرع خيرا فيوشك أن يحصد رغبة ومن زرع شرا فيوشك أن يحصد ندامة ولكل زارع مثل ما زرع لا يسبق بطيء بحظه ولا يدرك حريص ما لم يقدر له فإن أعطى خيرا فالله أعطاه ومن وقى شرا فالله وقاه المتقون سادة والفقهاء قادة ومجالسهم زيادة . (صفة الصفوة / 1 / 154)

قال معاذ بن جبل : ليس تحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله عز وجل فيها . وقال أيضا : إن كل مجلس لا يذكر العبد فيه ربه تعالى كان عليه حسرة وتره يوم القيامة . (الوابل الصيب / 59)

قال الحسن البصري : يا ابن آدم إنما أنت أيام كلما ذهب يوم ذهب بعضك . (الحلية / 2 / 148)

وقال أيضا في موعظة لأصحابه : ولا يلهينك المتاع القليل الفاني ولا تربص بنفسك فهي سريعة الانتقاص من عمرك فبادر أجلك ولا تقل غدا غدا فإنك لا تدري متى إلى الله تصير . (حلية الأولياء / 2 / 140)

وقال أيضا : ما يوم ينشق فجره إلا وينادي : يا ابن آدم أنا خلق جديد ، وعلى عملك شهيد ، فتزود مني فإني إذا مضيت لا أعود إلى يوم القيامة . (حلية الأولياء / 2 / 147)

وقال ذات يوم رحمه الله لجلسائه : يا معشر الشيوخ : ما ينتظر بالزرع إذا بلغ ؟ قالوا : الحصاد قال : يا معشر الشباب : أن الزرع قد تدركه العاهة قبل أن يبلغ . (الزهد الكبير للبيهقي / 500)

ويقول رحمه الله في موعظة له : المبادرة المبادرة ! فإنما هي الأنفاس لو حبست انقطعت عنكم أعمالكم التي تقتربون بها إلى الله عز وجل رحم الله امرأً نظر إلى نفسه وبكى على عدد ذنوبه ثم قرأ (إنما نعد لهم عدا) (مريم 84) ثم يبكي ويقول : آخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق أهلك آخر العدد دخولك في قبرك . (قصر الأمل لابن أبي الدنيا 107)

وكان يقول : يا ابن آدم إياك والتسوية فإنك بيومك ولست بغد فإن يكن غد لك فكن في غد كما كنت في اليوم وإلا يكن لك لم تندم على ما فرطت في اليوم .

وقال : أدركت أقواما كان أحدهم أشح على عمره منه على درهمه وديناره . (الزهد لابن المبارك 4)

وقال رحمه الله : يا ابن آدم نهارك ضيفك فلا يرحلن عنك إلا وهو راض وكذا ليلك . (المجالسة وجواهر العلم 1/ 222)

قيل للحسن البصري : لم لا تغسل قميصك ؟ قال : الأمر أسرع من ذلك . ! (المجالسة وجواهر العلم 2/ 310)

قال عمر بن عبد العزيز إن لي نفسا تواقا ما نالت شيئا إلا تاققت إلى ما هو أفضل منه وإنما لما نالت هذه المنزلة يعني الخلافة وليس في الدنيا منزلة أعلى منها تاققت إلى ما هو أعلى من الدنيا يعني الآخرة . (لطائف المعارف 1/ 244)

قال عمر بن عبد العزيز: في حجة حجها عند دفع الناس من عرفة ليس السابق اليوم من سبق به بغيره إنما السابق من غفر له . (لطائف المعارف 1/ 244)

قال بشر بن الحارث : مررت برجل من العباد بالبصرة وهو يبكي فقلت ما يبكيك فقال أبكي على ما فرطت من عمري وعلى يوم مضى من أجلي لم يتبين فيه عملي . (المجالسة وجواهر العلم 1/ 46 رقم 182)

قال ابن الجوزي : ولقد شاهدت خلقا كثيرا لا يعرفون معنى الحياة : فمنهم من أغناه الله عن التكسب بكثرة ماله فهو يقعد في السوق أكثر النهار ينظر إلى الناس وكم تمر به من آفة ومنكر ! ومنهم من يخلو بلعب الشطرنج ! ومنهم من يقطع الزمان بكثرة الحديث عن السلاطين والغلاء والرخص إلى غير ذلك فعلمت أن الله تعالى لم يطلع على شرف العمر ومعرفة قدر أوقات العافية إلا من وفقه والهمة اغتنام ذلك . (وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) (فصلت : 35) . (صبيد الخاطر 241)

قال ابن الجوزي : يا من أنفاسه محفوظة وأعماله ملحوظة أينفق العمر النفيس في نيل الهوى

الخسيس . (المدهش 553)

وقال بلال بن سعد لأصحابه : عباد الرحمن يقال لأحدنا : تحب أن تموت ؟ فيقول : لا فيقال : لم ؟ فيقول : حتى أعمل فيقال له اعمل فيقول سوف فلا يحب أن يموت ولا يحب أن يعمل وأحب شيء إليه أن يؤخر عمل الله عزوجل ولا يحب أن يؤخر عنه عرض دنياه ! . (الزهد الكبير للبيهقي 503)

قال أبو عبيد : دخلنا على محمد بن سوقه قال : ألا أحدثكم بحديث لعله ينفعكم ؟ فإنه نفعني قال لنا عطاء بن أبي رباح يا ابن أخي إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله تعالى أن يقرأ أو أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر أو تنطق في حاجتك في معيشتك التي لا بد لك منها أتتكرون (وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين) (الإنفطار 11) (عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) (ق 17) أما يستحي أحدكم لو نشرت عليه صحيفته التي أملاها صدر نهاره أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه . (حلية الأولياء 3 / 314)

قال أبو جعفر بن نفييل رحمه الله : قدم علينا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين فسألني يحيى وهو يعانقني ! فقال : يا أبا جعفر قرأت على معقل بن عبيد الله عن عطاء : أدنى وقت الحائض يوم ؟ فقال له : أبا عبد الله يعني أحمد بن حنبل : لو جلست ! قال : أكره أن أموت أو أفارق الدنيا قبل أن أسمع . (تاريخ دمشق 32 / 353) (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع 2 / 182)

قال رجل لمالك بن دينار : رأيت في المنام مناديا ينادي أيها الناس الرحيل الرحيل فما رأيت أحدا يرتحل إلا محمد بن واسع فصاح مالك وغشي عليه : (والسابقون السابقون ، أولئك المقربون في جنات النعيم) (الواقعة 10 - 12) . (لطائف المعارف 1 / 244)

قال سيار بن جعفر لمالك بن دينار حين ماتت أم يحيى يا أبا يحيى لو تزوجت قال لو استطعت لطلقت نفسي . (حلية الأولياء 2 / 365)

قال عاصم بن سليمان الأحول : قال فضيل الرقاشي وأنا أسأله : يا هذا لا يشغلنك كثرة الناس عن نفسك فإن الأمر يخلص إليك دونهم ولا تقل : أذهب ها هنا وها هنا ليذهب علي النهار فإنه محفوظ عليك ولم نر شيئا قط أحسن طلبا ولا أسرع إدراكا من حسنة حديثة لذنب قديم . (حلية الأولياء 3 / 102)

عن موسى بن إسماعيل قال : لو قلت لكم : إنني ما رأيت حماد بن سلمه ضاحكا قط صدقتكم كان مشغولا بنفسه إما أن يحدث وإما أن يقرأ وإما أن يسبح وإما أن يصلي كان قد قسم النهار على هذه

(الأعمال . (حلية الأولياء 6 / 250)

قيل للربيع بن خيثم : لو جالستنا فقال : لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة فسد علي .
(حلية الأولياء 2 / 116)

قالت امرأة شميظ بن عجلان : يا أبا همام إنما نعمل الشيء ونصنعه فنشتهي أن تأكل منه معنا فلا تجيء حتى يفسد ويبرد فقال : والله إن أبغض ساعاتي إلى الساعة التي أكل فيها .
(حلية الأولياء 3 / 128)

قال معاوية بن قره : أكثر الناس حسابا يوم القيامة الصحيح الفارغ . (اقتضاء العلم العمل 103)
قال المناوي رحمه الله : من أمضى يومه في غير حق قضاة أو فرض أداها ومجد أثله أو حمد حصله أو خير أسسه أو علم اقتبسه فقد عق يومه وظلم نفسه . (فيض القدير 6 / 288)

قال سيف اليماني : إن من علامة إعراض الله عن العبد أن يشغله بما لا ينفعه .
(طبقات المحدثين بأصبهان 3 / 292)

قال أبو بكر بن عياش : أحدهم لو سقط منه درهم لظل يقول إنا لله ذهب درهبي وهو ذهب يومه ولا يقول ذهب يومي ما عملت فيه . (حلية الأولياء 8 / 302)

وقال أبو حازم سلمه بن دينار: إن بضاعة الآخرة كاسدة ، فاستكثروا منها في أوان كسادها فإنه لو قد جاء يوم نفاقها لم تصل منها لا إلى قليل ولا إلى كثير . (حلية الأولياء 3 / 242)

عن الضحاک : في قول الله تبارك وتعالى : (إنما نعد لهم عدا) (مريم 84) قال : الأنفاس .
(المجالسة وجواهر العلم 3 / 445)

قال عثمان الباقلاني : أبغض الأشياء إلى وقت إفطاري لأني أشتغل بالأكل عن الذكر .
(تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر لابن الجوزي)

كان الخليل بن أحمد الفراهيدي يقول : أثقل الساعات على ساعة أكل فيها .
(الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه 87)

قال الفخر الرازي رحمه الله : والله إنني أتأسف في الفوات عن الاشتغال بالعلم في وقت الأكل فإن الوقت والزمان عزيز . (عيون الأنبياء في طبقات الأطباء 1 / 462)

قال سليمان الداراني رحمه الله : لو لم يبك العاقل فيما بقي من عمره إلا على لذة ما فاتته من

الطاعة فما مضى كان ينبغي له أن يبكيه حتى يموت . (حلية الأولياء 9 / 275)

قال أبو مسلم الخولاني : لو قيل لي إن جهنم تسعر ما استطعت أن أزيد في عملي .
(حلية الأولياء 2 / 124)

قال ابن حجر : إنني لأتعجب ممن يجلس خاليا عن الاشتغال . (الجواهر والدرر 1 / 170)

قال أبو العباس الدينوري : ليس في الدنيا والآخرة أعز وألطف من (الوقت) و (القلب) وأنت مضيع للوقت والقلب . (الزهد الكبير للبيهقي 294)

وقال ابن القيم رحمه الله : إضاعة الوقت أشد من الموت لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها . (الفوائد 44)

وقال أيضا : السنة شجرة والشهور فروعها والأيام أغصانها والساعات أوراقها والأنفاس ثمرها فمن كانت أنفاسه في طاعة : فثمرة شجرته طيبة ومن كانت في معصية فثمرته حنظل وإنما يكون الجداد (يعني : جني الثمار) يوم المعاد فعند الجداد يتبين حلو الثمار من مرها . (الفوائد 164)

قَالَ الْوَزِيرُ بْنُ هُبَيْرَةَ : (دَبِيلُ طَبَقَاتِ الْحَنَابِلَةِ 1 / 281)

وَالْوَقْتُ أَنْفُسُ مَا عُنِيَتْ بِحِفْظِهِ *** وَأَرَاهُ أَسْهَلَ مَا عَلَيْكَ يَضِيعُ .

وَقَالَ ابْنُ هَانِيٍّ الْأَنْدَلُسِيُّ : (مُجَمَّعُ الْحُكْمِ وَالْأَمْثَالِ 217)

وَلَمْ أَجِدْ الْإِنْسَانَ إِلَّا ابْنَ سَعِيهِ *** فَمَنْ كَانَ أَسْعَى كَانَ بِالْمَجْدِ أَجْدَرًا

وَبِالْهَمَّةِ الْعُلَيَاءِ يَرْقَى إِلَى الْعَلَا *** فَمَنْ كَانَ أَرْقَى هَمَّهُ كَانَ أَظْهَرًا

وَلَمْ يَتَأَخَّرْ مَنْ يُرِيدُ تَقَدُّمًا *** وَلَمْ يَتَقَدَّمْ مَنْ يُرِيدُ تَأَخُّرًا .

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

قال الفضيل بن عياض : لرجل كم أتت عليك ؟ قال : ستون سنة قال : فأنت منذ ستين سنة تسير إلى ربك توشك أن تبلغ فقال الرجل : يا أبا علي إنا لله وإنا إليه راجعون فقال له الفضيل : تعلم ما تقول ؟ قال الرجل : قلت إنا لله وإنا إليه راجعون فقال الفضيل : تعلم ما تفسرها ؟ قال الرجل : فسرها لنا يا أبا علي قال : قولك إنا لله قول : أنا لله عبد وأنا إلى الله راجع فمن علم أنه عبد الله وأنه إليه راجع فليعلم بأنه موقوف ومن علم بأنه موقوف فليعلم بأنه مسؤول ومن علم أنه

مسؤول فليعد للسؤال جوابا ، فقال الرجل : فما الحيلة ؟ قال يسيرة ، قال : ما هي ؟ قال : تحسن فيما بقي يغفر لك ما مضى وما بقي فإنك إن أسأت فيما بقي أخذت بما مضى وما بقي .
(حلية الأولياء 8 / 113)

ونقل عن عامر بن قيس من التابعين : أن رجلا قال له : تعال أكلمك قال : أمسك الشمس يعني أوقفها لي واحبسها عن المسير لأكلمك ، فإن الزمن سريع المضي لا يعود بعد مروره ، فخسارته لا يمكن تعويضها واستدراكها . وقد كان جماعة قد قعدوا عند معروف وأطالوا فقال : إن ملك الشمس لا يفترعن سوقها فمتى تريدون القيام ؟ . (الآداب الشرعية 170 / 4)

قال علي بن أحمد الخوارزمي : سمعت عبد الرحمن بن أبي حاتم يقول : كنا بمصر سبعة أشهر لم نأكل فيها مرقه كل نهارنا مقسم لمجالس الشيوخ وبالليل النسخ والمقابلة ، قال : فأتينا يوما وأنا ورفيقي لي شيخا فقالوا : هو عليل فرأينا في طريقنا سمكة أعجبتنا فاشتريناها فلما صرنا إلى البيت حضر وقت مجلس ، فلم يمكننا إصلاحه ومضينا إلى المجلس فلم نزل حتى أتى عليه ثلاثة أيام وكان أن تغير فأكلناه نيئا ، لم يكن لنا فراغ أن نعطيه من يشويه ثم قال : لا يستطاع العلم براحة الجسد . (تذكرة الحفاظ 3 / 830)

وقال ابن الجهم : إذا غشي النعاس في غير وقت نوم وبئس الشيء النوم الفاضل عن الحاجة قال : فإذا عتراني ذلك تناولت كتابا من كتب الحكم ، فأجد اهتزازي للفوائد والأريحية التي تعتريني عند الظفر ببعض الحاجة والذي يغشى قلبي من سرور الاستبانة وعز التبيين أشد إيقاظا من نهيق الحمير وهدة الهدم . (الجاحظ كتاب الحيوان 1 / 53)

قال عمار بن رضاء : أقيمت ثلاثين سنة ما أكلت بيدي بالليل كانت أختي تلقمني وأنا أكتب الحديث .
(سير أعلام النبلاء 11 / 459)

قال محمد بن ثابت البناني : ذهب ألقن أبي وهو في الموت لا إله إلا الله فقال : يا بني دعني فإنني في وردي السادس أو السابع . (صيد الخاطر 34)

كان داوود الطائي : يشرب الفتيت ولا يأكل الخبز فليل له في ذلك فقال بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين إيه . (المجالسة وجواهر العلم 1 / 346)

كان العلامة النحوي محمد بن أحمد أبو بكر الخياط البغدادي : يدرس جميع أوقاته حتى في الطريق كان ربما سقط في جرف أو خبطته دأبه . (المشوق إلى القراءة وطلب العلم 62)

قال الوليد بن عقبة الشيباني : سمعت رجلا يقول لداود الطائي إلا تسرح لحيتك ؟ ! قال إني عنها لمشغول . (المجالسة وجواهر العلم 7 / 232)

قال عبد الله بن داود رحمه الله : كان أحدهم إذا بلغ أربعين سنة طوى فراشه .

وكان بعضهم يحيي الليل فإذا نظر إلى الفجر قال : عند الصباح يحمد القوم السري (فالذي يقوم الليل سوف يسر به إذا كان يوم القيامة) . (عيون الأخبار 2 / 677)

13 - باب في بيان كثرة طرق الخير

قَالَ اللهُ تَعَالَى : وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ [البقرة : 215] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللهُ [البقرة : 197] ، وَقَالَ تَعَالَى : فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ [الزلزلة : 7] ، وَقَالَ تَعَالَى : مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ [الجاثية : 15] والآيات في الباب كثيرة .

وأما الأحاديث فكثيرة جداً وهي غير منحصرة فنذكر طرفاً منها :

117- الأَوَّل : عن أَبِي ذَرِّجَنْدَبِ بْنِ جُنَادَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ ، أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : « الْإِيمَانُ بِاللَّهِ ، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ » . قُلْتُ : أَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : « أَنْفُسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا ، وَأَكْثَرُهَا ثَمَنًا » . قُلْتُ : فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ ؟ قَالَ : « تُعِينُ صَانِعًا أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقٍ » قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ إِنْ ضَعُفْتُ عَنْ بَعْضِ الْعَمَلِ ؟ قَالَ : « تَكْفُفُ شَرَكُ عَنِ النَّاسِ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ » . متفقٌ عليه

« الصانع » بالصاد المهملة هذا هو المشهور ، ورؤي « ضائعاً » بالمعجمة : أي ذأ ضياع من فقر أو عيال ، ونحو ذلك « والأخرق » : الذي لا يتقن ما يحاول فعله .

118- الثاني : عن أَبِي ذَرِّرَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَيْضاً أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ . وَيُجْزَى مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى « رواه مسلم . « السُّلَامَى » بضم السين المهملة وتخفيف اللام وفتح الميم : المفصل .

119- التَّالِثُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنًا وَسَيِّئًا فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الْأَدَى يُمَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ ، وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِيءِ أَعْمَالِهَا النَّخَاعَةَ تَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ لَا تُدْفَنُ » رواه مسلم .

120- الرابع عنه : أَنْ نَاساً قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأَجُورِ ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي ، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ قَالَ : «أَوْ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ بِهِ : إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ ، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ ، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ ، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ » قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتُهُ ، وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ ، قَالَ : «أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ» رواه مسلم . «الدُّثُورُ» : بالثاء المثلثة : الأموال ، واحِدُهَا : دَثْرٌ .

121- الخامس : عنه قال : قال لي النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئاً وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلِيقٍ » رواه مسلم .

122- السادس : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ : تَعْدِلُ بَيْنَ الْاِثْنَيْنِ صَدَقَةٌ ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ ، فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا ، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ ، وَبِكُلِّ خَطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ ، وَتَمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ » متفق عليه .

ورواه مسلم أيضاً من رواية عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّهُ خُلِقَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَى سِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةِ مَفْصِلٍ ، فَمَنْ كَبَّرَ اللَّهَ ، وَحَمِدَ اللَّهَ ، وَهَلَّلَ اللَّهَ ، وَسَبَّحَ اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ ، وَعَزَلَ حَجْراً عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ شَوْكَةً أَوْ عَظْماً عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ ، أَوْ أَمَرَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهَى عَنْ مُنْكَرٍ ، عَدَدَ السِّتِّينَ وَالثَّلَاثِمِائَةِ ، فَإِنَّهُ يُمْسِي يَوْمئِذٍ وَقَدْ زَحَحَ نَفْسَهُ عَنِ النَّارِ »

123- السابع : عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ نَزْلاً كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ » متفقٌ عليه . «النُّزْلُ» : القُوتُ والرِّزْقُ وَمَا يُهَيَّأُ لِلضَّيْفِ

124- الثامن : عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةً لِعِجَارَتِهَا وَلَوْ فَرَسَنَ شَاةٍ » متفقٌ عليه .

قال الجوهرى : الفِرْسَنُ مِنَ الْبَعِيرِ : كَالْحَافِرِ مِنَ الدَّابَّةِ ، قَالَ : وَرَبَّمَا اسْتُعِيرَ فِي الشَّاةِ

125- التاسع : عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ ، أَوْ بَضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً : فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ » متفقٌ عليه . «البضْعُ» من ثلاثة إلى تسعة ، بكسر الباء وقد تَفَتَّحَ . «والشُّعْبَةُ» : القطعة

126- العاشر : عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اسْتَدَّ عَلَيْهِ

الْعَطَشُ ، فَوَجَدَ بَرَأً فَزَلَّ فِيهَا فَشَرِبَ ، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ النَّرَى مِنَ الْعَطَشِ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلَ الَّذِي كَانَ قَدْ بَلَغَ مِنِّي ، فَزَلَّ الْبَيْرُ فَمَلَأَ حُفَّهُ مَاءً ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِيَدِهِ ، حَتَّى رَفِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَعَفَّرَ لَهُ . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا ؟ فَقَالَ : « فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ » متفقٌ عليه . وفي رواية للبخاري : « فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَعَفَّرَ لَهُ ، فَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ » . وفي رواية لهما : « بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ قَدْ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَزَعَتْ مُوقَهَا فَاسْتَقَتْ لَهُ بِهِ ، فَسَقَتْهُ فَعَفَّرَ لَهَا بِهِ » . « الْمَوْقُ » : الْخُفُّ . « وَيُطِيفُ » : يَدُورُ حَوْلَ « رَكِيَّةٍ » وَهِيَ الْبَيْرُ

127- الْحَادِي عَشَرَ : عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَّقَلَبُ فِي الْجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ كَأَنَّهُ تُؤْذِي الْمُسْلِمِينَ » . رواه مسلم

وفي رواية : « مَرَّ رَجُلٌ بِغُصْنِ شَجَرَةٍ عَلَى ظَهْرِ طَرِيقٍ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَأُنَجِّنَ هَذَا عَنِ الْمُسْلِمِينَ لَا يُؤْذِيهِمْ ، فَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ » . وفي رواية لهما : « بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ ، فَأَخْرَهُ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ ، فَعَفَّرَ لَهُ »

128- الثَّانِي عَشَرَ : عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ، ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ ، فَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ وَزِيَادَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَمَنْ مَسَّ الْحَصَا فَقَدْ لَعَا » رواه مسلم .

129- الثَّلَاثَ عَشَرَ : عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ ، أَوْ الْمُؤْمِنُ فَعَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بَعِينَهُ مَعَ الْمَاءِ ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ ، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ ، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ » رواه مسلم .

130- الرَّابِعَ عَشَرَ : عَنْهُ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « الصَّلَاةُ الْخَمْسُ ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ . وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكْفِرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبْتَ الْكِبَائِرَ » رواه مسلم

131- الْخَامِسَ عَشَرَ : عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا ، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ ؟ » قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : « إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ ، فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ » رواه مسلم .

132- السَّادِسَ عَشَرَ : عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ : « مِنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ » متفقٌ عليه . « الْبَرْدَانِ » : الصُّبْحُ وَالْعَصْرُ .

133- السَّابِعَ عَشَرَ : عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ كَتَبَ لَهُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا » رواه البخاري .

134- الثَّامَنَ عَشَرَ : عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ » رواه البخاري ، ورواه مسلم من رواية حذيفة رضي الله عنه .

135- الثَّلَاثَةَ عَشَرَ : عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا إِلَّا كَانَ مَا أَكَلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ ، وَمَا سَرِقَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ ، وَلَا يَزْرُوهَ أَحَدٌ إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ » رواه مسلم . وفي رواية له : « فَلَا يَغْرِسُ الْمُسْلِمُ غَرْسًا ، فَيَأْكُلَ مِنْهُ إِنْسَانٌ وَلَا دَابَّةٌ وَلَا طَيْرٌ إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » . وفي رواية له : « لَا يَغْرِسُ مُسْلِمٌ غَرْسًا ، وَلَا يَزْرَعُ زَرْعًا ، فَيَأْكُلَ مِنْهُ إِنْسَانٌ وَلَا دَابَّةٌ وَلَا شَيْءٌ إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ ، وَرَوِيَاهُ جَمِيعًا مِنْ رِوَايَةِ أَنَسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ . قَوْلُهُ : « يَزْرُوهُ » أَي : يَنْقُصُهُ .

136- الْعِشْرُونَ : عنه قال : أراد بنو سلمة أن ينتقلوا قُربَ المسجد فبلغ ذلك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُمْ : « إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَنْتَقِلُوا قُربَ الْمَسْجِدِ ؟ » فَقَالُوا : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ أَرَدْنَا ذَلِكَ ، فَقَالَ : « بَنِي سَلِمَةَ دِيَارِكُمْ ، تَكْتَبُ آثَارَكُمْ ، دِيَارِكُمْ ، تَكْتَبُ آثَارَكُمْ » رواه مسلم . وفي رواية : « إِنَّ بِكُلِّ خَطْوَةٍ دَرَجَةٌ » رواه مسلم . ورواه البخاري أيضاً بمعناه من رواية أنس رضي الله عنه . و« بَنُو سَلِمَةَ » بكسر اللام : قبيلة معروفة من الأنصار رضي الله عنهم ، و« آثَارُهُمْ » خُطَاهُمْ .

137- الْحَادِي وَالْعِشْرُونَ : عن أبي المنذر أبي بن كعب رضي الله عنه قال : كان رجلاً لا أعلم رجلاً أبعدَ مِنَ الْمَسْجِدِ مِنْهُ ، وَكَانَ لَا تُحْطِئُهُ صَلَاةٌ فَقِيلَ لَهُ ، أَوْ فَقُلْتُ لَهُ : لَوْ اشْتَرَيْتَ حِمَارًا تَرْكَبُهُ فِي الظُّلْمَاءِ ، وَفِي الرَّمْضَاءِ فَقَالَ : مَا يَسُرُّنِي أَنْ مَنَزَلِي إِلَى جَنْبِ الْمَسْجِدِ ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ يُكْتَبَ لِي مُمْشَايَ إِلَى الْمَسْجِدِ ، وَرُجُوعِي إِذَا رَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « قَدْ جَمَعَ اللهُ لَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ » رواه مسلم .

وفي رواية : « إِنَّ لَكَ مَا اخْتَسَبْتَ » . « الرَّمْضَاءُ » الْأَرْضُ الَّتِي أَصَابَهَا الْحَرُّ الشَّدِيدُ .

138- الثَّانِي وَالْعِشْرُونَ : عن أبي محمد عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَرْبَعُونَ خَصْلَةً أَعْلَاهَا مَنِيحَةُ الْعَنْزِ ، مَا مِنْ عَامِلٍ يَعْمَلُ بِخَصْلَةٍ مِنْهَا رَجَاءً ثَوَابَهَا وَتَصْدِيقَ مَوْعُودِهَا إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ بِهَا الْجَنَّةَ » رواه البخاري . « الْمَنِيحَةُ » : أَنْ يُعْطِيَهُ

إِيَّاهَا لِيَأْكُلَ لَبِيَّاهَا ثُمَّ يَرُدَّهَا إِلَيْهِ .

139- التَّالِثُ وَالْعَشْرُونَ : عَنْ عَبْدِ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ » متفقٌ عليه .

وفي رواية لهما عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَكْلِمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ فَيَنْظُرُ أَيَمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تَلْقَاءَ وَجْهِهِ ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فِكْلِمَةَ طَيْبَةٍ 140- الرَّابِعُ وَالْعَشْرُونَ : عَنْ أَنَسِ بْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيُحْمَدُهُ عَلَيْهَا ، أَوْ يَشْرِبَ الشَّرْبَةَ فَيُحْمَدُهُ عَلَيْهَا » رواه مسلم . « وَالْأَكْلَةُ » بفتح الهمزة : وهي الغدوة أو العشوة .

141- الْخَامِسُ وَالْعَشْرُونَ : عَنْ أَبِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ » قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَجِدْ ؟ قَالَ : « يَعْمَلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ » قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ ؟ قَالَ : يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ » قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ قَالَ : « يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ أَوْ الْخَيْرِ » قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ ؟ قَالَ : « يُمَسِّكُ عَنِ الشَّرِّ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ » متفقٌ عليه

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

يقول تعالى ذكره : من عمل من عباد الله بطاعته فانتهمى إلى أمره و انزجر لتهيئه فلنفسه عمل ذلك الصالح من العمل وطلب خلاصها من عذاب الله ، أطاع ربه لا لغير ذلك لأنه لا ينفع ذلك غيره والله عن عمل كل عامل غنى (ومن أساء فعلها) يقول : ومن أساء عمله في الدنيا بمعصيته فيها ربه وخلافه فيها أمره ونهيها ، فعلى نفسه جنى ؛ لأنه أوبقها بذلك ، وأكسبها به سخطه ولم يضر أحدا سوى نفسه (ثم إلى ربكم ترجعون) يقول : ثم أنتم أيها الناس أجمعون إلى ربكم تصيرون من بعد مماتكم فيجازي المحسن منكم بإحسانه والمسيء بإساءته فمن ورد عليه منكم بعمل صالح جوزي من الثواب صالحا ومن ورد عليه منكم بعمل سيئ جوزي من الثواب سيئا . (الطبري 22 / 69)

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قال الحسن البصري : من نافسك في دينك فنافسه ومن نافسك في دنياك فالفها في نجره .
(لطائف المعارف 1 / 244)

قال وهيب بن الورد : إن استطعت الايسبقك إلى الله أحد فافعل . (لطائف المعارف 1 / 244)

قال الشبلي: من ركن إلى الدنيا أحرقتة بنارها فصار ماداً تذروه الرياح ومن ركن إلى الآخرة أحرقتة بنورها فصار سبيكة ذهب ينتفع به ومن ركن إلى الله أحرقه بنور التوحيد فصار جوهراً لا قيمة له . العالی الهمة یجتهد فی نیل مطلوبه وینذل وسعه فی الوصول إلى رضی محبوبه فأما خسیس الهمة فاجتهاده فی متابعة هواه ویتكل على مجرد العفو فیفوته إن حصل له العفو منازل السابقین المقربین . (لطائف المعارف / 1 / 245)

قال خالد بن معدان : إذا فتح لأحدكم باب خير فليسرع إليه فإنه لا يدري متى يغلق عنه . (سير أعلام النبلاء / 4 / 540)

قال عبد الرحمن بن مهدي : لو قيل لحمد بن سلمه : إنك تموت غدا ما قدر أن يزيد في العمل شيئا . علق الذهبي فقال : كانت أوقاته معمورة بالتعب والأوراد . (سير أعلام النبلاء / 7 / 447)

قال ابن القيم : إذا حضرت للرجل فرصة القرية والطاعة فالحزم كل الحزم في انتهائها والمبادرة إليها والعجز في تأخيرها والتسويف بها ولا سيما إذا لم يثق بقدرته وتمكنه من أسباب تحصيلها فإن العزائم والهمم سريعة الانتقاض قلما ثبت والله سبحانه يعاقب من فتح له بابا من الخير فلم ينتهزه بأن يحول بين قلبه وإرادته فلا يمكنه بعد من إرادته عقوبة له . (زاد المعاد / 501 / 3)

14 - باب في الاقتصاد في العبادة

قَالَ اللهُ تَعَالَى : طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى [طه : 1] ، وَقَالَ تَعَالَى : يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ [البقرة : 185] .

142- عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا امْرَأَةٌ قَالَ : مَنْ هَذِهِ ؟ قَالَتْ : هَذِهِ فُلَانَةٌ تَذْكُرُ مِنْ صَلَاتِهَا قَالَ : « مَهْ عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ ، فَوَاللَّهِ لَا يَمَلُّ اللهُ حَتَّى تَمَلُّوا وَكَانَ أَحَبُّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَاوَمَ صَاحِبُهُ عَلَيْهِ » متفقٌ عليه .

« ومه » كلمة نهي وزجر . ومعنى « لا يملُّ اللهُ » أي : لا يقطعُ ثوابه عنكم وجزاء أعمالكم ، ويُعاملكم مُعاملةَ المَالِ حَتَّى تَمَلُّوا فَتَتْرَكُوا ، فَيَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مَا تُطِيقُونَ الدَّوَامَ عَلَيْهِ لِيَدُومَ ثَوَابُهُ لَكُمْ وَقَضَّاهُ عَلَيْكُمْ .

143- وعن أنس رضي الله عنه قال : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسألون عن عبادة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها وقالوا : أين نحن من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . قال أحدُهم : أما أنا فأصلي الليل

أبداءً ، وقال الآخرُ : وَأَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ أَبَدًا وَلَا أَفْطِرُ ، وقال الآخرُ : وَأَنَا اعْتَزَلْتُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ : « أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا ؟ ، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لِأَخْشَاكُمُ لِلَّهِ وَاتَّقَاكُمْ لَهُ لِكِنِّي أَصُومُ وَأَفْطِرُ ، وَأَصْلِي وَأَرْقُدُ ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ ، فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي » متفقٌ عليه .

144- وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه أن النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ » قَالَهَا ثَلَاثًا ، رواه مسلم . « الْمُتَنَطِّعُونَ » : الْمُتَعَمِّقُونَ الْمُشَدِّدُونَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِ التَّشَدِيدِ .

145- عن أبي هريرة رضي الله عنه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِنَّ الدِّينَ يُسْرَوْنَ يُشَادُّ الدِّينَ إِلَّا غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْعَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ « رواه البخاري . وفي رواية له « سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَاعْدُوا وَرَوْحُوا وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ الْقَصْدُ الْقَصْدُ تَبَلَّغُوا »

قوله : « الدِّينُ » هُوَ مَرْفُوعٌ عَلَى مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ . وَرَوِيَ مَنْصُوبًا ، وَرَوِيَ : « لَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ » .. وَقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِلَّا غَلَبَهُ » : أَيُّ : غَلَبَهُ الدِّينُ وَعَجَزَ ذَلِكَ الْمُشَادُّ عَنِ مَقَاوِمَةِ الدِّينِ لِكَثْرَةِ طَرِيقِهِ . « وَالْعَدْوَةُ » سَيْرٌ أَوَّلُ النَّهَارِ . « وَالرَّوْحَةُ » : آخِرُ النَّهَارِ « وَالدُّلْجَةُ » : آخِرُ اللَّيْلِ . وَهَذَا اسْتِعَارَةٌ ، وَتَمَثِيلٌ ، وَمَعْنَاهُ : اسْتَعِينُوا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْأَعْمَالِ فِي وَقْتِ نَشَاطِكُمْ ، وَفِرَاحِ قُلُوبِكُمْ بَحَيْثُ تَسْتَلِدُونَ الْعِبَادَةَ وَلَا تَسْأَمُونَ مَقْصُودَكُمْ ، كَمَا أَنَّ الْمُسَافِرَ الْحَاقِقَ يَسِيرُ فِي هَذِهِ الْأَوْقَاتِ وَيَسْتَرِيحُ هُوَ وَدَابَّتُهُ فِي غَيْرِهَا ، فَيَصِلُ الْمَقْصُودَ بِغَيْرِ تَعَبٍ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

146- وعن أنسٍ رضي الله عنه قَالَ : دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَسْجِدَ فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ فَقَالَ : « مَا هَذَا الْحَبْلُ ؟ قَالُوا ، هَذَا حَبْلٌ لِيَزَيِّنَبَ فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ بِهِ . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « خُلُوهُ ، لِيُصَلَّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ ، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَرْقُدْ » متفقٌ عليه

147- وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ يُصَلِّي ، فَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ ، فَإِنْ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعَسَ لَا يَدْرِي لَعَلَّهُ يَذْهَبُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسْبُ نَفْسَهُ » . متفقٌ عليه .

148- وعن أبي عبد الله جابر بن سمرة رضي الله عنهما قَالَ : كُنْتُ أُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاةَ ، فَكَانَتْ صَلَاتُهُ قَصْدًا وَخُطْبَتُهُ قَصْدًا « رواه مسلم . قوله : قَصْدًا : أَي بَيْنَ الطُّولِ وَالْقِصْرِ .

149- وعن أبي جحيفة وَهَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ : أَخَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ ، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَدِّلَةً فَقَالَ : مَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ :

أَخَوِكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا . فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا ، فَقَالَ لَهُ : كُلْ فَإِنِّي صَائِمٌ ، قَالَ : مَا أَنَا بِكُلِّ حَتَّى تَأْكُلَ ، فَأَكَلَ ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ فَقَالَ لَهُ : نَمْ فَنَامَ ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ فَقَالَ لَهُ : نَمْ ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ سَلْمَانُ : قُمْ الْآنَ ، فَصَلِّ يَا جَمِيعًا ، فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ : إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، فَأَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « صَدَقَ سَلْمَانُ » رواه البخاري .

150- وعن أبي محمد عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : أَخْبَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنِّي أَقُولُ : وَاللَّهِ لِأَصُومَنَّ النَّهَارَ ، وَلَأَقُومَنَّ اللَّيْلَ مَا عَشْتُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ ذَلِكَ ؟ فَقُلْتُ لَهُ : قَدْ قُلْتُهُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : « فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ ، فَصُمْ وَأَفْطِرْ ، وَنَمْ وَقُمْ ، وَصُمْ مِنَ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَإِنَّ الْحَسَنَةَ بَعَشْرٍ أَمْثَالِهَا ، وَذَلِكَ مِثْلُ صِيَامِ الدَّهْرِ قُلْتُ : فَإِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ : فَصُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمَيْنِ ، قُلْتُ : فَإِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ، قَالَ : « فَصُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا ، فَذَلِكَ صِيَامُ دَاوُدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ أَعْدَلُ الصِّيَامِ » . وَفِي رِوَايَةٍ : « هُوَ أَفْضَلُ الصِّيَامِ » فَقُلْتُ فَإِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ » وَلَأَنْ أَكُونَ قَبْلَتَ الثَّلَاثَةِ أَيَّامٍ الَّتِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَهْلِي وَمَالِي .

وَفِي رِوَايَةٍ : « أَلَمْ أَخْبَرَ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ ؟ » قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : « فَلَا تَفْعَلْ : صُمْ وَأَفْطِرْ ، وَنَمْ وَقُمْ فَإِنَّ لِحَسَبِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَإِنَّ لِعَيْنَيْكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنَّ لِرِزْقِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَإِنَّ لِرِزْقِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَإِنَّ بِحَسَبِكَ أَنْ تَصُومَ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا ، فَإِذَا ذَكَرْتَ صِيَامَ الدَّهْرِ » فَشَدَّدْتُ فَشَدَّدَ عَلَيَّ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً ، قَالَ : « صُمْ صِيَامَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ وَلَا تَزِدْ عَلَيْهِ » قُلْتُ : وَمَا كَانَ صِيَامَ دَاوُدَ ؟ قَالَ : « نِصْفُ الدَّهْرِ » فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَقُولُ بَعْدَ مَا كَبُرَ : يَا لَيْتَنِي قَبِلْتُ رُحْصَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَفِي رِوَايَةٍ : « أَلَمْ أَخْبَرَ أَنَّكَ تَصُومُ الدَّهْرَ ، وَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ كُلَّ لَيْلَةٍ ؟ » فَقُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَلَمْ أُرِدْ بِذَلِكَ إِلَّا الْخَيْرَ قَالَ : « فَصُمْ صَوْمَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ ، فَإِنَّهُ كَانَ أَعْبَدَ النَّاسِ ، وَاقْرَأُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ » قُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ؟ قَالَ : « فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عَشْرِينَ » قُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ؟ قَالَ : « فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ سَبْعٍ وَلَا تَزِدْ عَلَيَّ ذَلِكَ » فَشَدَّدْتُ فَشَدَّدَ عَلَيَّ ، وَقَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّكَ لَا تَدْرِي لَعَلَّكَ يَطُولُ بِكَ عُمْرٌ قَالَ : فَصَبْرَتْ إِلَى الَّذِي قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا كَبُرْتُ وَوَدِدْتُ أَنِّي قَبِلْتُ رُحْصَةَ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وفي رواية : « وَإِنَّ لَوْلَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا » وفي رواية : لا صَامَ من صَامِ الْأَبَدِ « ثلاثاً . وفي رواية : « أَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى صِيَامُ دَاوُدَ ، وَأَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى صَلَاةُ دَاوُدَ : كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ ، وَيَقُومُ ثُلُثَهُ ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ ، وَكَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا ، وَلَا يَفِرُّ إِذَا لَاقَى » .

وفي رواية قَالَ : أَنْكَحَنِي أَبِي امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ ، وَكَانَ يَتَعَاهَدُ كَنَّتَهُ أَي : امْرَأَةً وَلِيَدِهِ فَيَسْأَلُهَا عَنْ بَعْثِهَا ، فَتَقُولُ لَهُ : نِعَمَ الرَّجُلُ مِنْ رَجُلٍ لَمْ يَطَأْ لَنَا فِرَاشًا وَلَمْ يُفْتِشْ لَنَا كَنَفًا مُنْذُ أَتَيْنَاهُ فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَالَ : « الْقَيْنِي بِهِ » فَلَقِيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَقَالَ :

« كَيْفَ تَصُومُ ؟ » قُلْتُ كُلَّ يَوْمٍ ، قَالَ : « وَكَيْفَ تَخْتِمُ ؟ » قُلْتُ : كُلَّ لَيْلَةٍ ، وَذَكَرَ نَحْوَ مَا سَبَقَ وَكَانَ يَفِرُّ عَلَى بَعْضِ أَهْلِهِ السُّبُعِ الَّذِي يَفْرُوهُ ، يَعْزِضُهُ مِنَ النَّهَارِ لِيَكُونَ أَخْفَّ عَلَيْهِ بِاللَّيْلِ ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَقَوَّى أَفْطَرَ أَيَّامًا وَأَحْصَى وَصَامَ مِثْلَهُنَّ كَرَاهِيَةً أَنْ يَثْرَكَ شَيْئًا فَارَقَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . كُلُّ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ صَحِيحَةٌ مُعْظَمُهَا فِي الصَّحِيحَيْنِ وَقَلِيلٌ مِنْهَا فِي أَحَدِهِمَا .

151- وعن أَبِي رَبِيعٍ حَنْظَلَةَ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَسَدِيِّ الْكَاتِبِ أَحَدِ كُتَّابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَقِيْتِي أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ : كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ ؟ قُلْتُ : نَافِقٌ حَنْظَلَةُ ، قَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ مَا تَقُولُ ؟ ، قُلْتُ : نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُذَكِّرُنَا بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ كَأَنَّ رَأْيَ عَيْنٍ ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا فَاِنْتَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقُلْتُ نَافِقٌ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَمَا ذَاكَ ؟ » قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ كَأَنَّ رَأْيَ الْعَيْنِ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ أَنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحْتُكُمْ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرْشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةٌ وَسَاعَةٌ » ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، رَوَاهُ مُسْلِمٌ

152- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : بينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب إذا هو برجل قائم ، فسأل عنه فقالوا : أبو إسرائيل نذر أن يقوم في الشمس ولا يقعد ، ولا يستظل ولا يتكلم ، ويصوم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « مَرُوه فَلْيَتَكَلَّمْ وَلْيَسْتَظِلَّ وَلْيَتِمَّ صَوْمُهُ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

قال ابن عباس : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يربط نفسه بجبل كي لا ينام ، فأنزل الله : طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى . عن علي قال : لما نزل على النبي صلى الله عليه

وسلم : يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا . (المزمل 1 - 2) قام الليل كله حتى تورمت قدماه ، فجعل يرفع رجلا ويضع رجلا فهبط عليه جبريل فقال : طه : يعني : طاء الأرض بقدميك يا محمد : ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى وأنزل : (فافروا ما تيسر من القرآن) (المزمل 20) (الدر المنثور 10 / 153)

كان عليه السلام يراوح بين قدميه يقوم على رجل فنزلت قاله علي . وقال الضحاك : صلى عليه السلام هو وأصحابه فأطال القيام لما أنزل عليه القرآن ، فقالت قريش : ما أنزل عليه إلا ليشقى . وقال مقاتل : قال أبو جهل والنضر والمطعم : إنك لتشقى بترك ديننا فنزلت . وعن ابن عباس والحسن وابن جبير ومجاهد وعطاء وعكرمة : معنى (طه) يا رجل . فقيل بالنبطية . وقيل بالحبشية . وقيل بالعبرانية . وقيل لغة يمنية في عك . وقيل في عكل . وقال الكلبي : لوقلت في عك : يا رجل لم يجب حتى تقول (طه) . وقال السدي معنى (طه) يا فلان . (تفسير البحر المحيط لابوحيان 6 / 224)

عن ابن عباس في قوله : (طه) قال : هو كقولك : يا محمد بلسان الحبش . (الدر المنثور 10 / 156)
عن عائشة قالت : أول سورة تعلمتها من القرآن : طه وكنت إذا قلت : طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى قال النبي صلى الله عليه وسلم : لا شقيت يا عائش . عن قتادة : ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى قال : لا والله ، ما جعله الله شقيا ، ولكن جعله رحمة ونورا ودليلا إلى الجنة . (تفسير الدر المنثور 10 / 158)

عن ابن عباس : يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، قال : اليسر : الإفطار في السفر ، والعسر : الصيام في السفر . عن مجاهد في قول الله : (يريد الله بكم اليسر) قال : هو الإفطار في السفر ، وجعل عدة من أيام آخر - ولا يريد بكم العسر . عن قتادة قوله : يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، فأريدوا لأنفسكم الذي أراد الله لكم . (تفسير الطبري 3 / 476)

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قال القرطبي : وخطب عمر فقال : ألا لا تغالوا في صدقات النساء فإنها لو كانت مكرومة في الدنيا أو تقوى عند الله لكان أولاكم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصدق قط امرأة من نسائه ولا بناته فوق اثنتي عشرة أوقية فقامت إليه امرأة فقالت يا عمر : يعطينا الله وتحرمنا أليس الله سبحانه وتعالى يقول : (وأتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا) قال عمر : أصابت امرأة وأخطأ عمر . وفي رواية فأطرق عمر ثم قال : كل الناس أفقه منك يا عمر . وفي أخرى : امرأة أصابت ورجل أخطأ والله المستعان . (الجامع لأحكام القرآن 5 / 99 - سنن الدارمي حديث رقم 2103)

ترك عثمان رضي الله عنه القصر في السفر في خلافته وقال : إني أمام الناس فنظر إلي الأعراب وأهل البادية أصلي ركعتين ، فيقولون : هكذا فرضت . (المواقفات 3 / 248)

قال ابن مسعود : لما بكى في مرض موته رضي الله عنه إنما قيل له : ما يبكيك ؟ قال : إنما أبكي لأنه أصابني في حال فترة ولم يصبني في حال اجتهاد . (مجمع الزوائد 2 / 260)

قال ابن مسعود : الاقتصاد في السنة أحسن من الاجتهاد في البدع . (الزهد لأحمد 232 - السنة للمروزي 117)

قال ابن مسعود : إني إذا صمت (النافلة) ضعفت عن قراءة القرآن وقراءة القرآن أحب إلي . (تهذيب الأثر رقم 815)

قال ابن مسعود رضي الله عنه : لا تغالبوا هذا الليل فإنكم لن تطيقوه فإذا نعس أحدكم فلينصرف إلى فراشه فإنه أسلم له . (مصنف بن أبي شيبة 13 / 301)

قال عبد الله بن مسعود لإنسان : أنك في زمان كثير فقهاؤه قليل قراؤه تحفظ فيه حدود القرآن وتضيع حروفه قليل من يسأل كثير من يعطي يطيلون فيه الصلاة ويقصرون الخطبة يبدون أعمالهم قبل أهوائهم وسيأتي على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير قراؤه يحفظ فيه حروف القرآن وتضيع حدوده كثير من يسأل قليل من يعطي يطيلون فيه الخطبة ويقصرون الصلاة يبدون فيه أهواءهم قبل أعمالهم . (الأدب المفرد الجملة الأخيرة أوردها الحافظ في فتح الباري 10 / 510)

قال ابن عباس رضي الله عنه : عليك بالفرائض وما وصف الله تعالى عليك من حقه فأده واستعن الله على ذلك فإنه لا يعلم من عبد : صدق نية وحرصا فيما عنده من حسن ثوابه: إلا أخره عما يكره وهو الملك يصنع ما يشاء . (حلية الأولياء 3 / 326)

قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى : (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) (يعني) في غير إسراف ولا تقتير . (الأدب المفرد 158 - 159)

وعنه أيضا رضي الله عنهما أنه قال : ما عال مقتصد قط . (تفسير ابن كثير 3 / 325)

عن سلمان الفارسي قال : إذا كان الليل كان الناس منه على ثلاث منازل : فمنهم من له ولا عليه ومنهم من عليه ولا له ، ومنهم من لا عليه ولا له ! فقلت : وكيف ذلك ؟ قال : أما من له ولا عليه فرجل اغتنم غفلة الناس وظلمة الليل فتوضأ وصلى فذاك له ولا عليه ورجل اغتنم غفلة الناس وظلمة الليل ، فمشى في معاصي الله فذاك عليه ولا له ورجل نام حتى أصبح ، فذاك لاله ولا عليه .

(سير أعلام النبلاء 1/550)

عن أبي بن كعب : عليكم بالسبيل والسنة فإنه ما على الأرض عبد على السبيل والسنة ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله فيعذبه وما على الأرض عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله إلا كان مثله كمثل شجرة يبس ورقها فهي كذلك إذ أصابها ريح شديد فتحات عنها ورقها إلا حط الله عنه خطاياها كما تحات عن تلك الشجرة ورقها وإن اقتصادا في سبيل الله وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل الله وسنة فانظروا أن يكون عملكم إن كان جهادا أو اقتصادا أن يكون ذلك على منهاج الأنبياء وسنتهم . (مصنف بن أبي شيبة 12 / 91 - 92)
وعن عمر بن إسحاق قال : أدركت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر ممن سبقني منهم فما رأيت قوما أيسر سيرة ولا أقل تشديدا منهم . (الاعتصام 395)

عن الحسن قال : إن هذا الدين دين وأصب (أي دائم ثابت) ، وأنه من لا يصبر عليه يدعه ، وأن الحق ثقيل ، وأن الإنسان ضعيف ، وكان يقال : ليأخذ أحدكم من العمل ما يطيق ، فإنه لا يدري ما قدر أجله ، وإن العبد إذا ركب بنفسه العنف ، وكلف نفسه ما لا يطيق ، أو شك أن يسبب (سببه : تركه وخلاه) ذلك كله ، حتى لعله لا يقيم الفريضة ، وإذا ركب بنفسه التيسير والتخفيف ، وكلف نفسه ما تطيق كان أكيس أو قال : كان أكثر العاملين ، وأمتعها من هذا العدو وكان يقال : شر السير الحقة . (سير الليل في أوله وهو منتهى عنه وهو السير بسرعة زائدة وشدة السير وإتباع الدابة .) (الزهد لابن المبارك 1330)

وقال الحسن البصري رحمه الله : خير الأمور أوساطها . (لسان العرب 8 / 4833)

وقال الحسن البصري : وضع دين الله دون الغلو وفوق التقصير . (الزهد لأحمد 1648)

قال عمر بن عبد العزيز : ألا إن أفضل العبادة : أداء الفرائض واجتناب المحارم . (الحلية 5 / 265)
كتب عمر بن عبد العزيز : إلى أحد عماله فقال بعد أن أوصاه بلزوم طريق من سلف من الصحابة الكرام ما دونهم من مقصر وما فوقهم من محسر ، لقد قصر دونهم أقوام فجفوا ، وطمح عنهم أقوام فغلو إنهم بين ذلك لعلني هدى مستقيم . (رواه أبو داود : باب لزوم الجماعة رقم 4612)

قال مغلد بن الحسين : ما ندب الله العباد إلى شيء إلا اعترض فيه إبليس بأمرين : ما يبالي بأيهما ظفر : إما غلوا فيه ، وإما تقصيرا عنه . (سير أعلام النبلاء 9 / 236)

قال الأوزاعي : ما من أمر أمر الله به إلا عارض الشيطان فيه بخصلتين ولا يبالي أيهما أصابه الغلو أو

التقصير. (المقاصد الحسنة للسخاوى 332)

عن سليمان بن المغيرة قال : سمعت ثابتا البناني يقول : لا يسمى عابد أبدا عابدا وإن كان فيه كل خصلة خير حتى تكون فيه هاتان الخصلتان : الصوم ، والصلاة ؛ لأنهما من لحمه ودمه .
(حلية الأولياء 2 / 318 - 319)

قال أبي سليمان الداراني : إذا لذت لك القراءة : فلا تركع ولا تسجد وإذا لذت لك السجود : فلا تركع ولا تقرأ الأمر الذي يفتح لك فيه فالزمه . (حلية الأولياء 9 / 265)

قال عمرو بن مسعدة : قليل دائم خير من كثير منقطع . (وفيات الأعيان 3 / 476)

وقال وهب بن منبه رحمه الله : إن لكل شيء طرفين وسطا فإذا أمسك بأحد الطرفين مال الآخر فإذا أمسك بالوسط اعتدل الطرفان فعليكم بالأوسط من الأشياء . (المقاصد الحسنة 332)

قال محمد بن الحنفية : الكمال في ثلاثة : العفة في الدين والصبر على النوائب والاقتصاد وحسن التدبير في المعيشة . (انساب الإشراف للبلاذري 2 / 463)

قال عبد الله بن مرزوق : قلت لعبد العزيز بن أبي رواد : ما أفضل العبادة ؟ قال : طول الحزن في الليل والنهار . (حلية الأولياء 8 / 194)

عن ذي النون قال : ثلاثة من أعلام العبادة : حب الليل للسهر بالتهجد والخلو وكراهية الصبح لرؤية الناس والغفلة والبيدار بالصالحات : مخافة الفتنة . (حلية الأولياء 9 / 362)

عن عطاء الخراساني قال : ما من عبد يسجد لله سجدة في بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له يوم القيامة ، وبكت عليه يوم يموت . (حلية الأولياء 5 / 197)

قال أبي إدريس الخولاني : ما تقلد امرؤ قلادة أفضل من سكينه وما زاد الله عبدا قط فقها إلا زاده الله قصدا . (الحلية (تهذيبية) 2 / 163)

قال ابن تيمية : فإن المشروع للمأمر به الذي يحبه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم هو الاقتصاد في العبادة إلى أن قال : فمتى كانت العبادة توجب له ضررا يمنعه عن فعل واجب أنفع له منها كانت محرمة مثل أن يصوم صوما يضعفه عن الكسب الواجب أو يمنعه عن العمل أو الفهم الواجب أو يمنعه عن الجهاد الواجب . وكذلك إذا كانت توقعه في محل محرم لا يقاوم مفسدته مصلحتها مثل أن يخرج ماله كله ثم يستشرف إلى أموال الناس يسألهم وأما إن أضعفته عما هو أصلح منها وأوقعته في مكروهات فإنها مكروهة . (مجموع الفتاوى 25 / 272)

وقال أيضا : ومما ينبغي أن يعرف أن الله ليس رضاه أو محبته في مجرد عذاب النفس وحملها على المشاق حتى يكون العمل كلما كان أشق كان أفضل كما يحسب كثير من الجهال أن الأجر على قدر المشقة في كل شيء لا ! ولكن الأجر على قدر منفعة العمل ومصالحته ، وفائدته وعلى قدر طاعة أمر الله ورسوله فأَي العملين كان أحسن وصاحبه أطوع وأتبع كان أفضل فإن الأعمال لا تتفاضل بالكثرة وإنما تتفاضل بما يحصل في القلوب حال العمل . (مجموع الفتاوى 281 / 25)

وقال أيضا : وقد يكون ذلك أيسر العملين وقد يكون أشدهما فليس كل شديد فاضلا ولا كل يسير مفضولا . (مجموع الفتاوى 313 / 22)

قال ابن القيم : إن الصراط المستقيم الذي وصانا الله به وباتباعه هو الصراط الذي كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه ، وهو قصد السبيل وما خرج عنه فهو من السبيل الجائرة والجائر عنه إما مفراط ظالم أو مجتهد متأول أو مقلد جاهل وكل ذلك قد نهى الله عنه ، فلم يبق إلا الاقتصاد والاعتصام بالسنة وعليهما مدار الدين . (إغاثة اللهفان 1 / 113)

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

جاء رجل إلى أبي إمامة رضي الله عنه فقال : إنه أتاني آت فقال : اعمل مثل عمل أبي أمامة ، فقال أبو أمامة : وما عسى أن يبلغ عمل أبي أمامة ، أصلي الخمس ، وأصوم رمضان ، وثلاثة أيام من كل شهر ، وإذا صوتت الطير صوت معها ، يعني من السحر . (موسوعة ابن أبي الدنيا 308 / 1)

عن أيوب قال : مر ابن عمر برجل يكيل كيلا كأنه يعتدي فيه فقال له : ويحك ما هذا ؟ فقال له : أمر الله بالوفاء قال ابن عمر : ونهى عن العدوان . (مصنف عبد الرزاق 67 / 8 رقم 14338)

عن أبو هريرة : أنه كان له خيط فيه ألفا عقدة فلا ينام : حتى يسبح به . (حلية الأولياء 1 / 383)

قال جابر بن عبد الله لأبي جعفر محمد الباقر لما دخل عليه وعنده قوم فسألوه عن الغسل فقال : يكفيك صاع . (أربع حفنات بكف الرجل الذي ليس بعظيم الكفين ولا صغيرها - فالصاع أربع إمداد) فقال رجل : ما يكفيني . فقال جابر : كان يكفي من هو أوفى منك شعرا وخير منك ، ثم أمتنا في ثوب . (فتح الباري 1 / 252)

عن أبي مجلز قال : صلى بنا عمار صلاة فأوجز فيها فأنكروا ذلك ، فقال : ألم أتم الركوع والسجود ؟ قالوا : بلى ، قال : أما إني دعوت فيهما بدعاء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو به : اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحبيبي ما علمت الحياة خيرا لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي

أَسْأَلُكَ خَشِيَّتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةَ وَكَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا وَالْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى وَلَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ وَالشُّوقَ إِلَى لِقَائِكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ ضِرَاءِ مُضِرَّةٍ وَمِنْ فِتْنَةِ مُضِلَّةٍ اللَّهُمَّ زِينَا بَزِينَةِ الْإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هِدَاةَ مَهْدِيَيْنِ . (مسند الإمام أحمد 14 / 138)

وروى مصعب بن سعد قال : كان أبي إذا صلى في المسجد تجوزو أتم الركوع والسجود وإذا صلى في البيت أطال الركوع والسجود والصلاة ، قلت : يا أبتاه إذا صليت في المسجد جوزت وإذا صليت في البيت أطلت ؟ قال : يا بني إنا أئمة يقتدى بنا . (مجمع الزوائد 1 / 182)

15 - باب المحافظة على الأعمال

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ [الحديد : 16] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا [الحديد : 27] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا [النحل : 92] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَعَبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ [الحجر : 99] .

وأما الأحاديث فمنها حديث عائشة : وكان أحب الدين إليه ما داوم صاحبه عليه .

وقد سبق في الباب قبله (حديث رقم 142) .

153- وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ نَامَ عَنْ جِزِيَةِ مَنْ اللَّيْلِ ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَقَرَأَهُ مَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الظُّهْرِ ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ » رواه مسلم .

154- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال لي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا عَبْدَ اللَّهِ لَا تَكُنْ مِثْلَ فُلَانٍ ، كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ » متفقٌ عليه

155- وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَاتَتْهُ الصَّلَاةُ مِنَ اللَّيْلِ مِنْ وَجَعٍ أَوْ غَيْرِهِ ، صَلَّى مِنَ النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً « رواه مسلم .

أَثَارُ الْوَارِدَةِ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

عن عائشة قالت : خرج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على نفر من أصحابه في المسجد وهم

يضحكون ، فسحب رداءه ، محمرا وجهه ، فقال : أتضحكون ولم يأتكم أمان من ربكم بأنه قد غفر لكم ؟ ! ولقد أنزل علي في ضحككم آية : ألم يئن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله . قالوا : يا رسول الله : فما كفارة ذلك ؟ قال : تبكون قدر ما ضحكتم . عن ابن عباس قال : إن الله استبطناً قلوب المهاجرين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن فقال : ألم يئن للذين آمنوا الآية . وقال أيضا : لما نزلت : ألم يئن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله الآية ، أقبل بعضنا على بعض : أي شيء أحدثنا ؟ ! أي شيء صنعنا ؟ ! . قال ابن مسعود : ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية : ألم يئن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله إلا أربع سنين .

عن عبد الله بن مسعود قال : إن بني إسرائيل لما طال عليهم الأمد فقست قلوبهم ، اخترعوا كتابا من عند أنفسهم ، استهوته قلوبهم ، واستحلته ألسنتهم ، وكان الحق يحول بينهم وبين كثير من شهوراتهم ، حتى نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، كآتهم لا يعلمون ، فقالوا : اعرضوا هذا الكتاب على بني إسرائيل ، فإن تابعوكم فاتركوهم ، وإن خالفوكم فاقتلوهم ، قالوا : لا ، بل أرسلوا إلى فلان - رجل من علمائهم - فأعرضوا عليه هذا الكتاب ، فإن تابعكم فلن يخالفكم أحد بعده ، وإن خالفكم فاقتلوه ، فلن يختلف عليكم أحد بعده ، فأرسلوا إليه ، فأخذ ورقة وكتب فيها كتاب الله ، فوضعها في قرن ، ثم علقها في عنقه ، ثم لبس عليه الثياب ، فعرضوا عليه الكتاب ، فقالوا : أتؤمن بهذا ؟ فأومأ إلى صدره فقال : آمنت بهذا ، وما لي لا أؤمن بهذا ؟ ! يعني الكتاب الذي في القرن ، فخلوا سبيله ، وكان له أصحاب يغشونه ، فلما مات وجدوا القرن الذي فيه الكتاب معلقا عليه ، فقالوا : ألا ترون إلى قوله : آمنت بهذا ومالي لا أؤمن بهذا ؟ ! إنما عني هذا الكتاب ، فاختلف بنو إسرائيل على بضع وسبعين ملة ، وخير مللهم أصحاب ذي القرن . (الدر المنثور 14 / 276 - 279)

وقال قتادة : (ألم يئن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) ذكر لنا أن شداد بن أوس كان يروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن أول ما يرفع من الناس الخشوع . (بن كثير 8 / 20)

قال الكلبي ومقاتل : نزلت في المنافقين بعد الهجرة بسنة وذلك أنهم سألوا سلمان الفارسي ذات يوم فقالوا : حدثنا عن التوراة فإن فيها العجائب فنزلت (نحن نقص عليك أحسن القصص) (يوسف 3) فأخبرهم أن القرآن أحسن قصصا من غيره ، فكفوا عن سؤال سلمان ما شاء الله ثم عادوا فسألوا سلمان عن مثل ذلك فنزل قوله تعالى (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها) (الزمر 23) فكفوا عن سؤاله ما شاء الله ثم عادوا فقالوا : حدثنا عن التوراة فإن فيها العجائب فنزلت هذه الآية . فعلى هذا التأويل ، قوله : (ألم يئن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) يعني في السرو والعلانية . (تفسير البغوي 8 / 37)

قوله تعالى : ثم قفينا أي : أتبعنا على آثارهم أي : على آثار الذرية . وقيل : على آثار نوح وإبراهيم برسلا موسى وإلياس وداود وسليمان ويونس وغيرهم وقفينا بعيسى ابن مريم فهو من ذرية إبراهيم من جهة أمه وأتينا الإنجيل وهو الكتاب المنزل عليه . قوله تعالى : وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه . على دينه يعني الحواريين و أتباعهم ر أفة ورحمة أي : مودة فكان يوءد بعضهم بعضا .

عن ابن عباس في قوله تعالى : ورهبانية ابتدعوها قال : كانت ملوك بعد عيسى بدلوا التوراة والإنجيل ، وكان فيهم مؤمنون يقرءون التوراة والإنجيل ويدعون إلى دين الله تعالى ، فقال أناس لملكهم : لو قتلت هذه الطائفة . فقال المؤمنون : نحن نكفيكم أنفسنا . فطائفة قالت : ابنوا لنا أسطوانة ارفعونا فيها ، وأعطونا شيئا نرفع به طعامنا وشرابنا ولا نرد عليكم .

وقالت طائفة : دعونا نهم في الأرض ونسيح ، ونشرب كما تشرب الوحوش في البرية ، فإذا قدرتم علينا فاقتلونا . وطائفة قالت : ابنوا لنا دورا في الفيافي ونحفر الآبار ونحترث البقول فلا ترونا . وليس أحد من هؤلاء إلا وله حميم منهم ففعلوا ، فمضى أولئك على منهاج عيسى ، وخلف قوم من بعدهم ممن قد غير الكتاب فقالوا : نسيح ونتعبد كما تعبد أولئك ، وهم على شركهم لا علم لهم بإيمان من تقدم من الذين اقتدوا بهم ، فذلك قوله تعالى : ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله الآية . (تفسير القرطبي 17 / 237)

عن قتادة : (وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه ر أفة ورحمة) فهاتان من الله ، والرهبانية ابتدعها قوم من أنفسهم ، ولم تكتب عليهم ولكن ابتغوا بذلك وأرادوا رضوان الله ، فما رعوها حق رعايتها ، ذكر لنا أنهم رفضوا النساء ، واتخذوا الصوامع . (تفسير الطبري 23 / 204)

عن قتادة في قوله : (ورهبانية ابتدعوها) قال : ذكر لنا أنهم رفضوا النساء ، واتخذوا الصوامع . (تفسير الدر المنثور 14 / 293)

عن عطاء بن أبي رباح قال : قال لي ابن عباس : يا عطاء ، ألا أريك امرأة من أهل الجنة ؟ فأراني حبشية صفراء ، فقال : هذه أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : إن بي هذه الموتة - يعني الجنون - فادع الله أن يعافيني ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن شئت دعوت فعافاك الله ، وإن شئت صبرت واحتسبت ولك الجنة . فاخترت الصبر والجنة قال : وهذه المجنونة سعيره الأسدية ، وكانت تجمع الشعر والليف ، فنزلت هذه الآية ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها . (تفسير الدر المنثور 9 / 106)

عن قتادة قوله (ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة إنكاثا) فلو سمعتم بامرأة نقضت

غزلهما من بعد إبرامه لقلتم : ما أحقق هذه ! وهذا مثل ضربة الله لمن نكث عهده .
(تفسير الطبري 17 / 284)

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قال علي رضي الله عنه : كونوا لقبول العمل أشد اهتماما منكم بالعمل ألم تسمعوا الله عز وجل يقول : (إنما يتقبل الله من المتقين) (المائدة 27) . (لطائف المعارف 223)

قال أبو الدرداء رضي الله عنه : لأن استيقن أن الله قد تقبل مني صلاة واحدة أحب إلي من الدنيا وما فيها إن الله يقول : (إنما يتقبل الله من المتقين) . (تفسير ابن كثير 3 / 85)

قال معاذ رضي الله عنه عند موته : اللهم إني لم أحب البقاء في الدنيا لا لغرس الأشجار ولا لجري الأنهار إنما أبكي لظماً الهواجر وقيام الليالي المظلمة ومزاحمة العلماء بالركب ومجالسة أناس ينتقون أطايب الكلام كما ينتقى أطايب الثمر . (لطائف المعارف 519)

قال مسروق : سألت عائشة : أي العمل كان أحب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : الدائم . (متفق عليه برقم 1132)

وكان مالك بن دينار رحمه الله : يقوم طول ليله قابضاً على لحيته ويقول : يا رب قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار ففي أي الدارين منزل مالك ؟ . (جامع العلوم والحكم 174)

وقال ابن دينار : الخوف على العمل ألا يتقبل أشد من العمل . (لطائف المعارف 223)

الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز يوم أن ذهب إليه ولده وقال له : يا أبت ! ما لي أراك لا تحمل الناس على الحق جملة واحدة حماس الشباب مع صدق وإخلاص فو الله لا أبالي إن غلت بي وبك القدور في سبيل الله . أي : لا أبالي بأن أبتلى أنا وأنت في سبيل الله جل وعلا فقال الوالد الفقيه عمر بن عبد العزيز : يا بني ! إن الله ذم الخمر في القرآن مرتين وحرمها في الثالثة يا بني إني أخشى أن أحمل الناس على الحق جملة واحدة فيدعوا الحق جملة واحدة فتكون فتنة . (مناقب عمر بن عبد العزيز لابن الحكم 57)

يقول الحسن البصري : لا يكون لعمل المؤمن أجل دون الموت وقرأ قوله تعالى : (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) . (مجموع الفتاوى 11 / 418 - 539)

قال عامر بن عبد قيس : والله لأجتهدن ثم والله لأجتهدن فإن نجوت فبرحمة الله وإلا لم ألم نفسي . (جامع العلوم والحكم 249)

كان زياد رحمه الله يقول لابن المنكدر ولصفوان بن سليم : الجد الجد والحدز الحدز فإن يكن الأمر على ما نرجو كان ما عملتما فضلا ، وإلا لم تلوما أنفسكما . (جامع العلوم والحكم 249)

كان مطرف بن عبد الله يقول : اجتهدوا في العمل فإن يكن الأمر ما وإن يكن الأمر شديدا كما نخاف نرجو من رحمة الله وعفوه كانت لنا درجات في الجنة غير الذي كنا نعمل نقول : قد عملنا فلم ونحاذر لم نقل : ربنا أخرجنا نعمل صالحا ينفعنا ذلك . (جامع العلوم والحكم 249 - 250)

الآثار العملية في حياة السلف :

علم النبي صلى الله عليه وسلم على ابن أبي طالب رضي الله عنه أذكار قبل النوم تقوي البدن وتقوي القلب سبحانه الله ثلاثا وثلاثين والحمد لله ثلاثا وثلاثين والله أكبر أربعاً وثلاثين تمام المائة قبل النوم قيل لعلي لما قال : ما تركته منذ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يوم صفين ؟ قال : ولا يوم صفين . (البخاري 6318 - مسلم 2727)

وكانت عائشة رضي الله عنها تصلي الضحى ثماني ركعات ثم تقول : لو نشر لي أبواي ما تركتها . (رواة مالك برقم 358)

عن أم حبيبة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من صلى اثنتي عشرة ركعة في يوم وليلة بني له بيت في الجنة . قالت أم حبيبة : ما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عنبسة : فما تركتهن منذ سمعتهن من أم حبيبة ، وقال عمرو بن أوس : ما تركتهن منذ سمعتهن من عنبسة وقال النعمان بن سالم : ما تركتهن منذ سمعتهن من عمرو بن أوس . (أخرجه مسلم برقم 1204)

سليمان التيمي وهو من كبار أئمة التابعين ومن عبادهم يصفه حماد بن سلمه فيقول : ما أتينا سليمان التيمي في ساعة يطاع الله عزوجل فيها إلا وجدناه مطيعا ، إن كان في ساعة صلاة وجدناه مصليا وإن لم تكن ساعة صلاة وجدناه إما متوضئا أو عائدا أو مشيعا لجنائز أو قاعدا في المسجد قال : فكنا نرى أنه لا يحسن يعصي الله عزوجل . (الحلية تهذيبية 1 / 440)

وقال ابوبكر بن عياش لولده : يا بني لا تعص الله في هذه الحجرة ، فإني ختمت القرآن فيها ثمانية عشرة ألف ختمة . (سير أعلام النبلاء 504 / 8)

إبراهيم بن أبي بكر بن عياش قال : بكيت عند أبي حين حضرته الوفاة فقال : ما يبكيك ؟ أتري الله يضيع لأبيك أربعين سنة يختم القرآن كل ليلة ؟ . (صفه الصفوة 2 / 96)

قيل لمسروق رحمه الله : لو قصرت عن بعض ما تصنع من الاجتهاد فقال والله تعذرني نفسي أن دخلت النار أن لا ألومها أما بلغك في قول الله تعالى : (ولا أقسم بالنفس اللوامة) إنما لاموا أنفسهم حين صاروا إلى جهنم فاعتنقتهم الزبانية وحيل بينهم وبين ما يشتهون وانقطعت عنهم الأمانى ورفعت عنهم الرحمة و أقبل كل امرئ منهم يلوم نفسه . (جامع العلوم والحكم 249)

قال عاصم بن عصام البيهقي:بت ليلة عند أحمد بن حنبل فجاء بماء فوضعه فلما أصبح نظر إلى الماء بحاله فقال: سبحان الله! رجل يطلب العلم لا يكون له ورد بالليل.(سير أعلام النبلاء 298/11)

عن أبي حمزة الثمالي أن علي بن الحسين كان يحمل الخبز بالليل على ظهره يتبع به المساكين في الظلمة ويقول : إن الصدقة في سواد الليل تطفئ غضب الرب . (سير أعلام النبلاء 4 / 393)

لما حضر خيثة الموت : جاءت امرأته جلست بين يديه فبكت . قال : ما يبكيك الموت ؟ لا بد منه قالت المرأة : الرجال بعدك علي حرام كأنها تريد أن تطمئننه أنها لا تتزوج بأحد بعده ولا بأخيه قال خيثة : ما كل هذا أردت منك إنما كنت أخاف رجلا واحدا أخي فلان كان فاسقا يتناول الشراب فكرهت أن يشرب في بيتي الشراب بعد إذ القرآن كان يتلى فيه كل ثلاث . (صفه الصفوة 94 / 3)

قال وكيع : كان الحسن بن صالح يقتسم الليل هو وأمه وأخوه يقوم الثلث الأول يوقظ أمه تقوم الثلث الثاني توقظ ابنتها الآخر يقوم الثالث يوقظهم لصلاة الفجر لما ماتت الأم اقتسما الليل قسمين . (سير أعلام النبلاء 7 / 369)

حدثنا زائدة أن منصورا صام أربعين سنة وقام ليلها وكان يبكي فتقول له أمه يا بني : قتلت قتيلًا؟ فيقول : أنا أعلم بما صنعت بنفسي فإذا كان الصبح كحل عينيه ودهن رأسه وبرق شفتيه وخرج إلى الناس . (سير أعلام النبلاء 5 / 406)

جيران منصور بن المعتمر : قال الولد لأمه يا أمي أين الجذع الذي كان على سطح دار جارنا منصور ؟ قالت:ليس بجذع إنه منصوروقد مات لكن من طول القيام كان الولد في الليل يظنه جذع شجرة بل كانت بعض الطيور تحط على بعضهم وهو ساجد تظنه جمادا . (سير أعلام النبلاء 5 / 406)

سفيان بن عيينة قال : رأيت منصور بن المعتمر (يعني في الرؤية) فقلت : ما فعل الله بك ؟ قال : كدت أن ألقى الله تعالى بعمل نبي . ثم قال سفيان : صام منصور ستين سنة يقوم ليلها ويصوم نهارها رحمه الله . (سير أعلام النبلاء 5 / 408)

عبد الرحمن بن أبي أنعم البجلي لو قيل له : إن ملك الموت قد توجه إليك ما كان عنده زيادة في

العمل . (سير أعلام النبلاء 63 / 57)

قال الو اقدمي تلميذ ابن أبي ذئب قرين الإمام مالك رحمه الله من علماء المدينة : كان ابن أبي ذئب يصلي الليل أجمع ويجتهد في العبادة ولو قيل له : أن القيامة تقوم غدا ما كان فيه مزيد من الاجتهاد . (سير أعلام النبلاء 141 / 7)

قال عبد الرحمن بن مهدي : لو قيل لحمد بن سلمه : إنك تموت غدا ما قدر أن يزيد في العمل شيئا . قلت : كانت أوقاته معمورة بالتعبد والأوراد . (سير أعلام النبلاء 447 / 7)

16 - باب الأمر بالمحافظة على السنة وآدابها

قَالَ اللهُ تَعَالَى : وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا [الحشر: 7] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى [النجم : 3-4] ، وَقَالَ تَعَالَى : قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ [آل عمران : 31] ، وَقَالَ تَعَالَى : لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ [الأحزاب : 21] ، وَقَالَ تَعَالَى : فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا [النساء : 65] وَقَالَ تَعَالَى : فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ [النساء : 59] قَالَ الْعُلَمَاءُ : معناه إلى الكتاب والسنة ، وَقَالَ تَعَالَى : مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ [النساء : 80] وَقَالَ تَعَالَى : وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ [الشورى : 52-53] وَقَالَ تَعَالَى : فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [النور : 63] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَادْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ [الأحزاب : 34] والآيات في الباب كثيرة ..

وأما الأحاديث:

156- فالأول : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ : إِنَّمَا أَهْلَكَ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَثْرَةُ سُؤَالِهِمْ ، وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ » متفق عليه .

157- الثاني : عَنْ أَبِي نَجِيحٍ الْعَرَبِيَّ بِنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : وَعَظَّنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً بليغةً وَجَلَّتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونَ ، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّمَا مَوْعِظَةٌ مُودَعٍ فَأَوْصِنَا . قَالَ : « أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ ، وَأَنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَبْرِي اخْتِلافاً كَثِيراً . فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ ،

عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ » رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح . « النَّوَاجِدُ » بالذال المعجمة : الأنيابُ ، وقيل : الأضراسُ .

158- الثَّلَاثُ : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبِي . « قِيلَ وَمَنْ يَا أَبِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبِي » رواه البخاري .

159- الرَّابِعُ : عَنْ أَبِي مُسْلِمٍ ، وَقِيلَ : أَبِي إِيَّاسِ سَلَمَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْأَكْوَعِ رضي الله عنه ، أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسْمَالِهِ فَقَالَ : « كُلُّ بِيَمِينِكَ » قَالَ : لَا أَسْتَطِيعُ . قَالَ : « لَا اسْتَطَعْتَ » مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبْرُ فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ ، رواه مسلم .

160- الْخَامِسُ : عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ النَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنهما ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « لَتَسُوْنَ صُفُوفَكُمْ أَوْ لِيُخَالِقَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وُجُوْهِكُمْ » متفقٌ عليه

وفي رواية لمسلمٍ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسَوِّي صُفُوفَنَا حَتَّى كَانَتْمَا يُسَوِّي بَيْنَ الْقِدَاحِ حَتَّى إِذَا رَأَى أَنَا قَدْ عَقَلْنَا عَنْهُ ثُمَّ خَرَجَ يَوْمًا ، فَقَامَ حَتَّى كَادَ أَنْ يَكْتَبِرَ ، فَرَأَى رَجُلًا بَادِيًا صَدْرُهُ فَقَالَ : « عِبَادَ اللَّهِ لَتَسُوْنَ صُفُوفَكُمْ أَوْ لِيُخَالِقَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وُجُوْهِكُمْ » .

161- السَّادِسُ : عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ : اخْتَرَقَ بَيْتُ الْمَدْيَنَةِ عَلَى أَهْلِهِ مِنَ اللَّيْلِ فَلَمَّا حَدَّثَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَأْنِهِمْ قَالَ : « إِنَّ هَذِهِ النَّارُ عَدُوٌّ لَكُمْ ، فَإِذَا نِمْتُمْ فَأَطْفِئُوهَا عَنْكُمْ » متفقٌ عليه

162- السَّابِعُ : عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ مَثَلِ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَتْ طَائِفَةٌ طَيِّبَةً ، قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكُلَّ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ ، فَتَنَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا . وَأَصَابَ طَائِفَةٌ أُخْرَى ، إِنَّهَا هِيَ قَبِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلًّا فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقَهُ فِي دِينِ اللَّهِ ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ » متفقٌ عليه . « فَقَهُ » بِضَمِّ الْقَافِ عَلَى الْمُشْهُورِ ، وَقِيلَ : بَكْسَرِهَا ، أَيُّ : صَارَ قَمِيهَاً .

163- الثَّامِنُ : عَنْ جَابِرِ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا وَهُوَ يَدْبُهِنَّ عَنْهَا وَأَنَا آخِذٌ بِحُجْرَتِكُمْ عَنِ النَّارِ ، وَأَنْتُمْ تَفَلْتُونَ مِنْ يَدِي » رواه مسلم . « الْجَنَادِبُ » : نَحْوُ الْجَرَادِ وَالْفَرَاشِ ، هَذَا هُوَ الْمَعْرُوفُ الَّذِي يَقَعُ فِي النَّارِ . « وَالْحُجْرَةُ » : جَمْعُ حُجْرَةٍ ، وَهِيَ مَعْقِدُ الْإِزَارِ وَالسَّرَاوِيلِ .

164- التَّاسِعُ : عَنْهُ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِلَعْقِ الْأَصَابِعِ وَالصَّحْفَةِ وَقَالَ : « إِنَّكُمْ لَا تَذُرُونَ فِي أَيِّهَا الْبَرَكَةَ » رواه مسلم . وفي رواية له : « إِذَا وَقَعَتْ لُقْمَةٌ أَحَدِكُمْ . فَلْيَأْخُذْهَا فَلْيُمِطْ مَا كَانَ فِيهَا مِنْ أَدَى ، وَلْيَأْكُلْهَا ، وَلَا يَدْعُهَا لِلشَّيْطَانِ ، وَلَا يَمْسَحَ يَدَهُ بِالْمُنْدِيلِ حَتَّى يَلْعَقَ أَصَابِعَهُ ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ الْبَرَكَةُ » وفي رواية له : « إِنَّ الشَّيْطَانَ يَحْضُرُ أَحَدَكُمْ عِنْدَ كُلِّ سَيِّءٍ مِنْ شَأْنِهِ حَتَّى يَحْضُرَهُ عِنْدَ طَعَامِهِ ، فَإِذَا سَقَطَتْ مِنْ أَحَدِكُمْ اللَّقْمَةُ فَلْيُمِطْ مَا كَانَ فِيهَا مِنْ أَدَى ، فَلْيَأْكُلْهَا ، وَلَا يَدْعُهَا لِلشَّيْطَانِ .

165- الْعَاشِرُ : عن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، قال : قَامَ فِيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَوْعِظَةٍ فَقَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ مُحْشَرُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى حُفَاةَ عُرَاءَ غُرْلًا { كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدْنَا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ } [الأنبياء : 103] أَلَا وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَلَا وَإِنَّهُ سَيَجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي ، فَيُؤَخِّدُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ فَأَقُولُ : يَارَبِّ أَصْحَابِي فَيُقَالُ : إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدْتُوا بَعْدَكَ ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ : { وَكُنْتُ عَلِمْتُمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ } إِلَى قَوْلِهِ : { الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } [المائدة : 117 ، 118] فَيُقَالُ لِي : إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مَرْتَدِينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ » متفقٌ عليه . « غُرْلًا » أَي : غَيْرَ مَخْتُونِينَ .

166- الْحَادِي عَشَرَ : عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْقِلٍ ، رضي الله عنه ، قال : نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَنِ الْخَذْفِ وَقَالَ : « إِنَّهُ لَا يَقْتُلُ الصَّيِّدَ ، وَلَا يَنْكَأُ الْعَدُوَّ ، وَإِنَّهُ يَفْقَأُ الْعَيْنَ ، وَيَكْسِرُ السِّنَّ » متفقٌ عليه

وفي رواية : أَنَّ قَرِيباً لَابْنِ مَعْقِلٍ خَذَفَ ، فَتَهَاهُ وَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنِ الْخَذْفِ وَقَالَ : « إِنَّهَا لَا تَصِيدُ صَيْدًا » ثُمَّ عَادَ فَقَالَ : أَحَدَيْتُكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، نَهَى عَنْهُ ، ثُمَّ عُدْتَ تَخْذِفُ ، ؟ لَا أَكَلِمَكَ أَبَدًا .

167- وعن عابسي بن ربيعة قال : رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، رضي الله عنه ، يَقْبَلُ الْحَجَرَ . يَعْنِي الْأَسْوَدَ وَيَقُولُ : إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ مَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقْبَلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ .. متفقٌ عليه .

أَثَارُ الْوَارِدَةِ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

قال عبد الرحمن بن زيد : لقي ابن مسعود رجلا محرما وعليه ثيابه فقال له : انزع عنك هذا . فقال الرجل : أتقرأ علي بهذا آية من كتاب الله تعالى ؟ قال : نعم ، وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا . (تفسير القرطبي 18 / 19)

عن الحسن : وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا قال : كان يأتهم الغنائم ، وبنهاهم عن الغلول عن ابن جريج : وما آتاكم الرسول من طاعتي وأمري ، فخذوه ، وما نهاكم عنه من معصيتي فانتهوا . (تفسير الدر المنثور 14 / 366)

عن قتادة قوله : (وما ينطق عن الهوى) أي ما ينطق عن هواه (إن هو إلا وحي يوحى) قال : يوحى الله تبارك وتعالى إلى جبرائيل ، ويوحى جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم . (الطبري 22 / 498)

قال حسان : كان جبريل ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن . (تفسير الدر المنثور 14 / 12)

قال الحسن : قال قوم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم : يا محمد أنا نحب ربنا . فأنزل الله : قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم . (تفسير الدر المنثور 3 / 509)

عن ابن جريج قال : كان أقوام يزعمون أنهم يحبون الله ، يقولون : أنا نحب ربنا . فأمرهم الله أن يتبعوا محمدا صلى الله عليه وسلم وجعل اتباع محمد صلى الله عليه وسلم علما لحيبه . قال أبو الدرداء في قوله : إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله . قال : على البر والتقوى والتواضع وذلة النفس . (تفسير الدر المنثور 3 / 510)

عن سفيان بن عيينة ، أنه سئل عن قوله : المرء مع من أحب . فقال : ألم تسمع قول الله : قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله . يقول : يقربكم . والحب هو القرب ، والله لا يحب الكافرين لا يقرب الكافرين . (تفسير الدر المنثور 3 / 511)

عن السدي في قوله : لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة قال : مواساة عند القتال . عن ابن عمر في قوله : لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة قال : في جوع رسول الله صلى الله عليه وسلم . (تفسير الدر المنثور 11 / 760)

عن قتادة قال : هم عمر بن الخطاب أن ينهى عن الحبرة من صباغ البول ، فقال له رجل : أليس قد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها ؟ قال عمر : بلى . قال الرجل : ألم يقل الله : لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ؟ فتركها عمر . (تفسير الدر المنثور 11 / 761)

قال أبو جعفر : يعني - جل ثناؤه - بقوله : " فلا " فليس الأمر كما يزعمون أنهم يؤمنون بما أنزل إليك وهم يتحاكمون إلى الطاغوت ، ويصدون عنك إذا دعوا إليك يا محمد واستأنف القسم - جل ذكره - فقال : وربك يا محمد " لا يؤمنون " أي : لا يصدقون بي وبك وبما أنزل إليك " حتى يحكموك فيما شجر بينهم . يقول : حتى يجعلوك حكما بينهم فيما اختلفت بينهم من أمورهم ،

فالتبس عليهم حكمه . يقال : شجر يشجر شجورا وشجرا ، وتشاجر القوم : إذا اختلفوا في الكلام والأمر مشاجرة وشجارا . ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت . يقول : لا يجدوا في أنفسهم ضيقا مما قضيت . وإنما معناه : ثم لا تخرج أنفسهم مما قضيت أي : لا تأثم بإنكارها ما قضيت ، وشكها في طاعتك ، وأن الذي قضيت به بينهم حق لا يجوز لهم خلافه . (تفسير الطبري 8 / 518)

عن أم سلمه قالت : خاصم الزبير رجلا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى للزبير فقال الرجل : إنما قضى له لأنه ابن عمته ، فأنزل الله : فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك الآية . وعن مجاهد في قوله : حرجا قال : شكا . (تفسير الدر المنثور 4 / 525)

عن مجاهد في قوله : فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول قال : فإن تنازع العلماء ردوه إلى الله والرسول . قال يقول : فردوه إلى كتاب الله وسنة رسوله . عن مجاهد في قوله : فردوه إلى الله والرسول قال : إلى الله : إلى كتابة وإلى الرسول : إلى سنة نبيه . عن ميمون بن مهران : فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول قال : الرد إلى الله الرد إلى كتابة ، والرد إلى رسوله إن كان حيا ، فإن قبضه الله إليه فالرد إلى السنة . (تفسير الطبري 8 / 505)

قال ربيع بن خثيم : حرف وأيما حرف : من يطع الرسول فقد أطاع الله فوض إليه فلا يأمر إلا بخير (تفسير الدر المنثور)

عن قتادة قوله : (وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم) قال تبارك وتعالى (ولكل قوم هاد) داع يدعوهم إلى الله عز وجل عن السدي (وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم) يقول : تدعو إلى دين مستقيم . (تفسير الطبري 21 / 561)

والفتنة هنا القتل ؛ قاله ابن عباس . عطاء : الزلازل والأهوال . جعفر بن محمد : سلطان جائر يسלט عليهم . وقيل : الطبع على القلوب بشؤم مخالفة الرسول . والضمير في (أمره) قيل هو عائذ إلى أمر الله تعالى ؛ قاله يحيى بن سلام . وقيل : إلى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله قتادة . ومعنى يخالفون عن أمره أي يعرضون عن أمره . (تفسير القرطبي 12 / 299)

عن قتادة في قوله : (واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة) أي : السنة ، قال : يمتن عليهم بذلك . (تفسير الدر المنثور 12 / 45)

عن أبي إمامة بن سهل في قوله : واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة . قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في بيوت أزواجه النوافل بالليل والنهار . (تفسير الدر المنثور 12 / 45)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : لست تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به إلا عملت به وإني لأخشى إن تركت شيئا من أمره أن أزيغ . (سنن أبي داود حديث 2969)

كان عبد الله بن عمر : يتحفظ ما يسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا لم يحضر يسأل من يحضر عما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وفعل وكان يتتبع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل مسجد صلى فيه وكان يعترض براحلته في كل طريق مر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقال له في ذلك فيقول : أتحرى أن تقع أخفاف راحلتي على أخفاف راحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم . (تاريخ بغداد 1 / 172)

ذكر عبادة بن الصامت أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن درهمين بدرهم فقال فلان : ما أرى بهذا بأسا يدا بيد فقال عبادة : أقول قال النبي صلى الله عليه وسلم وتقول : لا أرى به بأسا ؟ والله لا يظلني وإياك سقف أبدا . (أخرجه ابن ماجه حديث 18)

قال عمر بن عبد العزيز : لا رأي لأحد مع سنة سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم . (سنن الدارمي حديث 446)

قال ابن وهب : سمعت مالك بن أنس يقول : ألزم ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع : أمران تركتهما لن تضلوا ما تمسكنم بهما كتاب الله وسنة نبيه . (إعلام الموقعين 1 / 256)
قال ابن وهب كنا عند مالك فذكرت السنة فقال مالك : السنة سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق . (تاريخ بغداد 7 / 336)

قال يحيى بن سليمان بن نضلة : سمعت مالك بن أنس يقول : من مات على السنة فليبشر . (ذم الكلام وأهله 4 / 121 - 880)

قال مالك بن أنس : لو لقي الله رجل بملء الأرض ذنوبا ثم لقي الله بالسنة لكان في الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . (ذم الكلام وأهله 4 / 121 - 122 رقم 881)
عن أبي عبيد القاسم بن سلام قال : المتبع للسنة كالقابض على الجمر وهو اليوم عندي أفضل من ضرب السيف في سبيل الله عز وجل . (تاريخ بغداد 12 / 410)

قال الجنيد : علمنا مضبوط بالكتاب والسنة منلم يحفظ الكتاب ويكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به . (تاريخ بغداد 7 / 243)

عن أبي سليمان الداراني قال : ليس لمن ألهم شيئا من الخير أن يعمل به حتى يسمعه من الأثر فإذا سمعه من الأثر عمل به وحمد الله حيث و افق ما في قلبه . (تاريخ بغداد 10 / 249)

قال الحسين بن أبي زيد : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت : يا رسول الله ادع الله أن يحييني على الإسلام فقال لي : والسنة وجمع إبهامه وسبأته وحلق حلقة وقال ثلاث مرات : والسنة والسنة والسنة . (تاريخ بغداد 8 / 110)

قال أبو قلابة : إذا حدثت الرجل بالسنة فقال : دعنا من هذا وهات كتاب الله فاعلم أنه ضال . (طبقات ابن سعد 7 / 184)

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

- الأتباع في صلاة النبي صلى الله عليه وسلم :

عن جابر بن سمرة قال : شكا أهل الكوفة سعد بن مالك إلى عمر , فقالوا : لا يحسن أن يصلي فقال سعد : أما أنا فكانت أصلي بهم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاتي العشي أركد في الأولتين وأحذف في الآخرتين فقال عمر : ذاك الظن بك يا أبا إسحاق وبعث رجالا يسألون عنه في مساجد الكوفة فلا يأتون مسجدا من مساجد الكوفة إلا أثنوا عليه خيرا وقالوا : معروفا حتى أتوا مسجدا من مساجد بني عبس فقال رجل يقال له أبو سعدة اللهم فإنه كان لا يعدل في القضية ولا يقسم بالسوية فقال : اللهم إن كان كاذبا فأعم بصره واطل فقره وعرضه للفتن . قال عبد الملك : فأنا رأيته يتعرض للإماء في السكك فإذا قيل له : أبا سعدة ؟ يقول : مفتون أصابتنى دعوة سعد . (تاريخ بغداد 1 / 145)

عن عدي بن ثابت الأنصاري قال : حدثني رجل أنه كان مع عمار بن ياسر بالمدائن فأقيمت الصلاة فتقدم عمار وقام على دكان يصلى والناس أسفل ، فتقدم حذيفة فأخذ على يديه فاتبعه عمار حتى أنزله حذيفة , فلما فرغ عمار من صلاته قال له حذيفة : ألم تسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا أم الرجل القوم فلا يقيم في مقام أرفع من مقامهم أو نحو ذلك . قال عمار : لذلك اتبعتك حين أخذت على يدي . (تاريخ بغداد 1 / 151)

عن عبد الرزاق أن أهل مكة يقولون : أخذ ابن جريج الصلاة عن عطاء وأخذها عطاء عن ابن الزبير وأخذها ابن الزبير عن أبي بكر وأخذها أبو بكر عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال عبد الرزاق : وكان ابن جريج حسن الصلاة . (تاريخ بغداد 10 / 404)

عن علي أنه قال لعمر: يا أمير المؤمنين إن شرك أن تلحق بصاحبك فأقصر الأمل وكل دون الشيع
وأنكس الإزار وأرقع القميص وأخصف النعل تلحق بهما. (تاريخ بغداد 5/ 216)

- الأتباع في غسل الجمعة :

عن ابن عباس قال : قال لي عمر: ما حبسك عن الصلاة ؟ قلت : لما أن سمعت الأذان توضأت ثم
أقبلت قال عمر : الوضوء أيضا ! ما بهذا أمرنا . قال فما تركت الغسل يوم الجمعة بعد .
(تاريخ بغداد 1 / 249)

عن كعب قال : لاغتسلن يوم الجمعة ولو كأسا بدينار. (تاريخ بغداد 1 / 262)

- الأتباع في الاستخلاف :

عن سالم بن عبد الله عن أبيه أنه كلم أباه في الاستخلاف فقال : إن الله حافظ دينه وأي ذلك
أفعل فقد بين لي أن لا استخلف فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يستخلف وإن استخلف فقد
استخلف أبو بكر رضي الله عنه . (تاريخ بغداد 1/258)

- صور من اتباع السلف لهدى النبي صلى الله عليه وسلم :

بلغ ابن أبي ذئب أن مالكا لم يأخذ بحديث البيعين بالخيار قال : يستتاب وإلا ضربت عنقه ومالك
لم يرد الحديث ولكن تأوله على غير ذلك فقال شامي : من أعلم مالك أو ابن أبي ذئب ؟ فقال : ابن
أبي ذئب في هذا أكبر من مالك و ابن أبي ذئب أصلح في دينه وأورع ورعا و أقوم بالحق من مالك عند
السلطين وقد دخل ابن أبي ذئب على أبي جعفر فلم يهبه أن قال له الحق ، قال : الظلم فاش
ببابك و أبو جعفر أبو جعفر . (تاريخ بغداد 2 / 302)

جاء معاذ وعند أبي موسى رجل فقال : هذا كان كافرا فأسلم ثم ارتد فقال معاذ : لا أنزل ولا أجلس
حتى يقتل قال : فقتل . (تاريخ بغداد 2 / 375)

قال زيد بن حباب : رأيت سفيان الثوري يقص أظفاره يوم الخميس فقلت يا أبا عبد الله : غدا
الجمعة فقال : السنة لا تؤخر . (تاريخ بغداد 6 / 389)

عن أبي عطاء أيوب بن طهمان الثقفي : أنه رأى علي بن أبي طالب حين دخل الإيوان بالمدائن أمر
بالتماثيل التي في القبلة فقطع رؤوسها ثم صلى . (تاريخ بغداد 7 / 3)

عن أبي إسحاق المروزي : إنه سئل يوما أبا سعيد عن المتوفى عنها زوجها إذا كانت حاملا هل يجب

لها النفقة ؟ فقال : نعم فقليل له : ليس هذا مذهب الشافعي فلم يصدق فأروه كتابه فلم يرجع وقال إن لم يكن مذهبه فهو مذهب علي وابن عباس . (تاريخ بغداد 7 / 269)

عن حميد بن الصباح مولى المنصور عن أبيه قال : أراد المنصور أن يذرع الكرخ فقال لي : أحمل الذراع معك فخرج وخرجت معه ونسيت أن أحمل الذراع فلما صرنا بباب الشرقية قال لي : أين الذراع ؟ فدهشت وقلت : أنسيته يا أمير المؤمنين . فضربني بالقرعة ، فشجني وسال الدم على وجهي فلما رأني قال : أنت حر لوجه الله حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من ضرب عبده في غير حد حتى يسيل دمه فكفارته عتقه . (تاريخ بغداد 8 / 166)

قال مصعب بن عبد الله رحمه الله تعالى : كان مالك إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه فقليل له يوما في ذلك فقال لورأيتم ما رأيت لما أنكرتم علي ما ترون لقد كنت أرى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا تكاد نسأله عن حديث أبدا إلا يبكي حتى نرحمه ولقد كنت أرى جعفر بن محمد وكان كثير الدعابة والتبسم فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم أصفر لونه وما رأيت يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا على طهارة . (خلاصة الشفا في تعريف حقوق المصطفى 1 / 96 - 97)

ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم فينظر إلى لونه كأنه نزع منه الدم وقد جف لسانه في فمه هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنت آتي عامر بن عبد الله بن الزبير فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع ، ولقد رأيت الزهري وكان لمن أهنأ الناس وأقربهم فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فكأنه ما عرفك ولا عرفته ولقد كنت آتي صفوان بن سليم وكان من المتعبدين المجتهدين فإذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس ويتركوه . (خلاصة الشفا 2 / 43)

وهذا الحسن البصري : كان يبكي إذا حدث بحديث الجذع الذي بكى لما فارقه النبي صلى الله عليه وسلم ويقول : يا عباد الله ، الخشبة تحن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ شوقا إليه لمكانه من الله ، فأنتم أحق أن تشتاقوا إليه . (مسند بن الجعد 1 / 466)

قال حماد بن زيد : كنا عند أيوب السختياني فسمع لغطا فقال : ما هذا اللغط ؟ أما بلغهم أن رفع الصوت عند الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كرفع الصوت عليه في حياته . (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع 1 / 195 رقم 332)

قال أبو سلمة الخزازي رحمه الله : كان مالك بن أنس إذا أراد أن يخرج ليحدث توضأ وضوءه للصلاة ، وليس أحسن ثيابه ولبس قلنسوة ، ومشط لحيته فليل له في ذلك فقال : أوقربه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . (الموطأ لمالك 28/1)

ويحدث أحمد بن سنان عن مجلس وكيع بن الجراح في التحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول : لا يتحدث في مجلسه ولا يبزي قلم ولا يتبسم ولا يقوم أحد قائما كانوا في مجلسه كأنهم في صلاة فإن أنكر منهم شيئا انتعل ودخل . (سير أعلام النبلاء 9 / 154)

قال بشر بن الحارث : سألت رجل ابن المبارك عن حديث وهو يمشي قال : ليس هذا من توقير العلم قال بشر : فاستحسنته جدا . (صفة الصفوة 4 / 113)

وجاء عن سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى : أنه سئل عن حديث وهو مضطجع في مرضه فجلس وحدث به فليل له : وددت أنك لم تتعن فقال : كرهت أن أحدث عن رسول الله وأنا مضطجع . وسئل ابن المبارك رحمه الله تعالى عن حديث وهو يمشي فقال : ليس هذا من توقير العلم . (خلاصة الشفا في تعريف حقوق المصطفى 2 / 44)

سئل الإمام مالك متى سمعت من أيوب السخيتاني ؟ فقال حج حجتين فكنت أرمقه ولا أسمع منه غير أنه كان إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى أرحمه فلما رأيت منه ما رأيت وإجلاله للنبى صلى الله عليه وسلم كتبت عنه . (سير أعلام النبلاء 6 / 17)

ومر الإمام مالك على أبي حازم وهو يحدث فجاهه . فليل له فقال : لم أجد موضعا فكرهت أن أخذ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا قائم . (حلية الأولياء 6 / 318)

قال الشافعي : كل حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو قولي وإن لم تسمعه مني . وقال أيضا : إذا وجدتم سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف قولي فخذوا بالسنة ودعوا قولي فإني أقول به . (تاريخ دمشق 51 / 389)

وروى الربيع بن سليمان رحمه الله تعالى فقال : سمعت الشافعي وسأله رجل عن مسألة فقال له : روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه المسألة كذا وكذا فقال له السائل : يا أبا عبد الله تقول به ؟ قال الربيع : فرأيت الشافعي أرعد وانتفض وقال : يا هذا ، أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إذا رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا فلم أقل به نعم على الرأس والعينين على الرأس والعينين . (تاريخ دمشق 51 / 389)

عن أبي الفضل الزجاج قال : لما قدم الشافعي إلى بغداد وكان في الجامع إما نيف وأربعون حلقة أو خمسون حلقة فلما دخل بغداد مازال يقعد في حلقة حلقة ويقول لهم : قال الله وقال الرسول وهم يقولون : قال أصحابنا حتى ما بقي في المسجد حلقة غيرة . (تاريخ بغداد 2 / 68)

وقال الشافعي : أجمع المسلمون على أن من استبان له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحل له أن يدعها لقول أحد . (الفلاني ص 68 - ابن القيم 2 / 361)

ما جاء عن الإمام أحمد : لما امتحن في فتنة خلق القرآن وتعاقب ثلاثة من خلفاء بني العباس المأمون والمعتمد والواثق على امتحانه وسجنه في ذلك وهو ثابت على الحق لم يغير ولم يبدل وحمل رحمه الله تعالى إلى مجلس الواثق مقيداً في أغلاله وناظرهم وهو على تلك الحال فخصمهم وقطع حجبتهم وأبطل مكيدتهم وفتح الله تعالى على قلب الخليفة الواثق فعلم صدق الإمام أحمد وكونه على الحق فأمر أن يفك قيده ففك وأخذ الإمام أحمد فنازعه إياه السجن فأمر الواثق أن يدفع القيد إلى الأمام فدفع إليه فسأله الواثق عن سبب أخذه فأخبره أنه ينوي به أن يخاصم به من ظلموه عند الله تعالى يوم القيامة وقال أقول : يا رب سل عبدك هذا لم قيدي وروع أهلي وولدي وإخواني بلا حق أوجب ذلك علي وبكى الإمام أحمد فبكى الواثق وبكى من في المجلس ثم سأله الواثق أن يجعله في حل وسعة مما ناله على يديه فقال له الإمام أحمد : والله يا أمير المؤمنين لقد جعلتك في حل وسعة من أول يوم إكراماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذ كنت رجلاً من أهله . (الجوهرة في نسب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه العشرة 178)

قال أحمد بن حنبل : من رد حديث النبي صلى الله عليه وسلم فهو على شفا هلكة . (طبقات الحنابلة 2 / 15)

17 - باب في وجوب الانقياد لحكم الله تعالى

وما يقوله من دعي إلى ذلك ، وأمر بمعروف أو نهي عن منكر

قَالَ اللهُ تَعَالَى : فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا [النساء : 65] ، وَقَالَ تَعَالَى : إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [النور : 51] .

وفيه من الأحاديث حديث أبي هريرة المذكور في أول الباب قبله (انظر الحديث رقم 156) وغيره من الأحاديث فيه .

168- عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : { لِيهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفَوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ } [البقرة 283] اشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكْبِ فَقَالُوا : أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ كَلَّفَنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ : الصَّلَاةَ وَالْجِهَادَ وَالصِّيَامَ وَالصَّدَقَةَ ، وَقَدْ أَنْزَلْتَ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةَ وَلَا نُطِيقُهَا . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ : سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ؟ بَلْ قُولُوا : سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ» فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ ، وَذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ ، أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي إِثْرِهَا : { آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ } فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللَّهُ تَعَالَى ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : { لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ، رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا } قَالَ : نَعَمْ { رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا } قَالَ : نَعَمْ { رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ } قَالَ : نَعَمْ { وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } قَالَ : نَعَمْ . رواه مسلم

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

قال ابن عباس: أخبر بطاعة المهاجرين والأنصار وإن كان ذلك فيما يكرهون أي هذا قولهم وهؤلاء لو كانوا مؤمنين لكانوا يقولون سمعنا وأطعنا . (تفسير القرطبي 206/19)

عن قتادة : قال الله جل وعز : إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون وقد ذكرنا أن عبادة بن الصامت كان عقيبا ، بدريا أحد نقيب الأنصار ، وذكرنا أنه بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا يخاف في الله لومة لائم وأنه لما حضره الموت دعا ابن أخته جنادة بن أبي أمية فقال : ألا أنبأك ماذا عليك وماذا لك ؟ . قال : بلى قال : فإن عليك السمع والطاعة في عسرك ، ويسرك ، ومنشطك ، ومكرهك ، وأثره عليك ، وعليك أن تقيم لسانك بالعدل ، وأن لا تنازع الأمر أهله إلا أن يأمرك بمعصية الله بواحا ، فما أمرت به من شيء يخالف كتاب الله فاتبع كتاب الله . وذكرنا أن أبا الدرداء قال : لا إسلام إلا بطاعة الله ولا خير إلا في جماعة ، والنصيحة لله ولرسوله وللخليفة وللمؤمنين عامة . قال : وقد ذكرنا أن عمر بن الخطاب كان يقول : عروة الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والطاعة لمن ولاة الله أمر المسلمين . عن مقاتل بن حيان ، قول الله : سمعنا وأطعنا قال : سمعنا للقرآن الذي ، جاء من عند الله وأطعنا أقرؤا لله أن يطيعوه في أمره وتهيئه .

(تفسير ابن أبي حاتم 8 / 2624)

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قال ابن عباس : أراهم سهيلكون أقول : قال النبي صلى الله عليه وسلم ويقول : نهى أبو بكر وعمر .
(مسند الإمام أحمد 1 / 337)

قال ميمون بن مهران : الرد إلى الله هو الرجوع إلى كتابة والرد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم هو الرجوع إليه في حياته وإلى سنته بعد مماته . وقال تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله) وقال تعالى : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) . (دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين 1 / 14)

قال الإمام أحمد : عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأى سفيان الثوري والله تعالى يقول : (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) أتدري ما الفتنة ؟ الفتنة : الشرك . (الإبانة الكبرى لابن بطة 97)

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

قالت عائشة رضي الله عنها : يرحم الله نساء المهاجرات الأول لما أنزل الله عز وجل : (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) (النور 31) شققن مروطين فاختمرن بها . (البخاري 4758)

وعن أم سلمه رضي الله عنها قالت : لما نزلت (يدنين عليهن من جلابيبهن) (الأحزاب 59) خرج نساء الأنصار كان على رؤوسهن الغربان من الأكسية . (ابوداود 4101 - جامع الأصول 10 / 645)

عن ابن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تمنعوا إماء الله أن يصلبن في المسجد فقال ابن له : أنا لنمنعن فغضب غضبا شديدا وقال : أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول : أنا لنمنعن ؟ ! . (رواه ابن ماجه حديث 16)

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كنت أسقي أبا عبيدة وأبا طلحة وأبي بن كعب من فضيخ (البسر إذا نبذ) زهو (البسر الذي يحمر أو يصفر قبل أن يترطب) وتمر فجاءهم أت فقال إن الخمر قد حرمت فقال أبو طلحة قم يا أنس فأهرقها فأهرقتها . (البخاري 5260)

وقال أيضا : لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خير أصبنا حمرا خارجا من القرية فطبخننا منها فننادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا إن الله ورسوله ينهيانكم عنها فإنها رجس

من عمل الشيطان فأكفنت القدور بما فيها وأنها لتفور بما فيها . (رواه مسلم 1940 - ج 4)

قال عبد الله بن عمر: بينما الناس في قباء في صلاة الصبح إذ جاءهم أت فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام قبل المقدس (وهذه القبلة عباد الله هي عكس القبلة الحالية) قال: فاستداروا إلى الكعبة أثناء صلاتهم . (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد 17 / 45)

عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى خاتما من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه وقال: يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده فقيل للرجل بعدما ذهب النبي عليه السلام: خذ خاتمك فانتفع به فقال: لا والله لا أخذه أبدا وقد طرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم . (مسلم 2090)

عن أسماء بنت أبي بكر الصديق قالت قدمت على أمي وهي مشركة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت قدمت على أمي وهي راغبة أفأصل أمي قال نعم صلي أمك . (مسلم 1003 / البخاري 2477)

عن جابر بن عبد الله قال: لما استوى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة قال: اجلسوا فسمع ذلك ابن مسعود فجلس على باب المسجد فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: تعال يا عبد الله بن مسعود . (رواه أبو داود 1091)

بلغ مصعب بن الزبير عن عريف الأنصار شيء: فهم به ، فدخل عليه أنس رضي الله عنه فقال له: سمعت رسول الله يقول: استوصوا بالأنصار خيرا أو قال: معروفا قبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن سيئهم فألقى مصعب نفسه عن سريره وألرزق خده بالبساط وقال: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرأس والعين فتركه . (رواه أحمد 13116)

قال بن إسحاق وحدثني نبيه بن وهب أخو بن عبد الدار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أقبل بالأسارى فرقمهم بين أصحابه وقال استوصوا بالأسارى خيرا قال وكان أبو عزيز بن عمير بن هاشم أخو مصعب بن عمر لأبيه وأمه في الأسارى قال فقال أبو عزيز مر بي أخي مصعب بن عمير ورجل من الأنصار يأسرني فقال شد يدك به فإن أمة ذات متاع لعلها تفديه منك قال وكنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر فكانوا إذا قدموا غداهم وعشاءهم خصوني بالخبر وأكلوا التمر لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم بنا ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحني بها قال فاستحي فأردها على أحدهما فيردها علي ما يمسه . (تهذيب سيرة ابن هشام 203 / 1)

لقد كان لمرثد بن أبي مرثد : سجل حافل في علاقة مع امرأة زمن النبي صلى الله عليه وسلم وفي نفسه منها ما في نفسه وكانت هذه المرأة بغي يقال لها عناق وكانت صديقتها قبل الإسلام فلما أسلم مرثد قطع علاقته بهذه المرأة وهاجر إلى المدينة وكان يقوم بهرب أناس من المسلمين المستضعفين من مكة إلى المدينة فكان ذات ليلة أن وعد رجلا من أساري المسلمين ليحمله قال : فجئته فحملته حتى انتهيت إلى ظل حائط من حوائط مكة في ليلة مقمرة فجاءت عناق فأبصرت سواد ظلي بجانب الحائط فلما انتهت إلى عرفتي فقالت : مرثد فقال : مرثد فقالت : مرحبا وأهلا هلم فبت عندنا الليلة قلت : يا عناق إن الله حرم الزنا فما كان منها إلا أن صاحت وقالت : يا أهل الخيام وجعلت تنادي الكفار الذين في داخل الخيام يا أهل الخيام : هذا مرثد يحمل أسراكم قال : فتبعني ثمانية وسلكت الطريق وحملت صاحبي ونجاني الله منهم حتى قدمت المدينة النبوية فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله : أنكح عناقا فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد علي شيئا فأنزل الله (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زاني أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين) فقال صلى الله عليه وسلم يا مرثد : الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة فلا تنكحها . (السنن الكبرى للبيهقي 153 / 7)

ففي قصة زواج جليبيب عن أبي برزة الأسلمي وفيه : أن الصحابة كانوا إذا كان لأحدهم أيم لم يزوجها حتى يعلم هل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيها حاجة أم لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم لرجل من الأنصار: يا فلان زوجني ابنتك ، قال : نعم . . ونعمة عين قال : إني لست لنفسى أريدها قال : فلمن ؟ قال : لجليبيب قال : يا رسول الله حتى أستأمر أمها ، فأتاها فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب ابنتك قالت : نعم ونعمة عين فزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : إنه ليس لنفسه يريدها قالت : فلمن ؟ قال : لجليبيب قالت : أجليبيب أنية لا لعمر الله لا تزوج جليبيبا فلما قام أبوها ليأتي النبي صلى الله عليه وسلم قالت الفتاة من خدرها : من خطبني إليكما ؟ قالوا : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : أتردون على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره ادفعوني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لن يضيعني فذهب أبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : شأنك بها فزوجها جليبيبا قال إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة لثابت : هل تدري ما دعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم به ؟ قال : وما دعا لها به ؟ قال : اللهم صب عليها الخير صبا صبا ولا تجعل عيشها كدا كدا قال ثابت : فزوجها إياه قال : فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة له فأفاء الله عليه فقال : هل تفقدون من أحد ؟ قالوا : نفقد فلانا وفلانا ونفقد فلانا ثم قال هل تفقدون من أحد ؟ قالوا : لا . قال : لكني أفقد جليبيبا فاطلبوه في القتلى فنظروا في القتلى فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتله فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : قتل سبعة ثم قتلوه هذا مني وأنا منه يقولها مرارا فوضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ساعده ما له سرير إلا ساعدي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وضعه في قبره قال ثابت فما كان من الأنصار أيم أنفق منها . (مسند الإمام أحمد 28 / 33 - شعب الإيمان للبيهقي 3 / 114)

قال أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه : كان الناس إذا نزلوا منزلا تفرقوا في الشعاب والأودية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن تفرقكم في هذه الشعاب والأودية إنما ذلكم من الشيطان فلم يتزلوا بعد ذلك منزلا إلا انضم بعضهم إلى بعض حتى يقال : لو بسط عليهم ثوب لعمهم . (رواه أبو داود 3914)

قال قتادة : قال بعض المهاجرين : لقد طلبت عمري كله هذه الآية فما أدركتها : أن أستأذن على بعض إخوتي فيقول لي : ارجع فأرجع وأنا مغتبط (وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أذى لكم والله بما تعملون عليم) (النور 28) . (تفسير ابن كثير 3 / 450)

يقول أبو إسحاق الحبال : كنا يوما نقرأ على شيخ فقرأنا حديث النبي عليه الصلاة والسلام : (لا يدخل الجنة قتات) . (رواه البخاري برقم (5596) ومسلم برقم (152))

وكان في الجماعة رجل عامي يبيع ألفت - وهو علف الدواب - ، فقام وبكى وقال : أتوب إلى الله من بيع ألفت ، فقال له الشيخ : ليس هذا القصد ، لكن القتات النمام : الذي ينقل الحديث من قوم إلى قوم ، فسكن الرجل ، وطابت نفسه . (تاريخ الإسلام للذهبي 33 / 79)

ذكر الحميدي أنه كان عند الشافعي قال : فأتاه رجل فسأله عن مسألة فقال الشافعي : قضى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وكذا ، فقال رجل للشافعي : وما تقول أنت ؟ فقال الشافعي : سبحان الله ! ، تراني في كنيسة تراني في بيعة (أي دار عبادة اليهود) ترى على وسطي زنارا (وهو شعار أهل الذمة) أقول لك قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت تقول : ما تقول أنت (ذم الكلام وأهله 3 / 13)

18 - باب النهي عن البدع ومحدثات الأمور

قَالَ اللهُ تَعَالَى : فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ [يونس : 32] ، وَقَالَ تَعَالَى : مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ [الأنعام : 38] ، وَقَالَ تَعَالَى : فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ [النساء : 59] أَيِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ . وَقَالَ تَعَالَى : وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ

عَنْ سَبِيلِهِ [الأنعام : 153] ، وَقَالَ تَعَالَى : قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ [آل عمران : 31] وَالآيَاتُ فِي الْبَابِ كَثِيرَةٌ مَعْلُومَةٌ .

وأما الأحاديث فكثيرة جداً وهي مشهورة فنقتصر على طرف منها:

169- عن عائشة ، رضي الله عنها ، قالت قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ » متفقٌ عليه . وفي رواية لمسلم : « مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ » .
170- وعن جابر ، رضي الله عنه ، قال : كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِذَا حَظَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ ، وَعَلَا صَوْتُهُ ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ ، حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْدِرُ جَيْشٍ يَقُولُ : « صَبَحَكُمُ وَمَسَاكُمُ » وَيَقُولُ : « بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ » وَيَقْرُنُ بَيْنَ أَصْبُعَيْهِ ، السَّبَابَةَ ، وَالْوُسْطَى ، وَيَقُولُ : « أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيِي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ » ثُمَّ يَقُولُ : « أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ . مَنْ تَرَكَ مَا لَنَا فَلَهُلِهِ ، وَمَنْ تَرَكَ دِينًا أَوْ ضِيَاعًا ، فَإِلَيَّ وَعَلَيَّ » رواه مسلم

وعن العرياض بن سارية ، رضي الله عنه ، حَدِيثُهُ السَّابِقُ فِي بَابِ الْمُحَافَظَةِ عَلَى السُّنَّةِ .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

قال أشهب : سئل مالك عن شهادة اللعاب بالشطرنج والنرد ، فقال : أما من أدمنها فما أرى شهادتهم طائفة ، يقول الله : فماذا بعد الحق إلا الضلال فهذا كله من الضلال . (تفسير الدر المنثور 7 / 663)

عن ابن عباس : ما فرطنا في الكتاب من شيء . ما تركنا شيئاً إلا قد كتبناه في أم الكتاب . قال ابن زيد في قوله : ما فرطنا في الكتاب من شيء . قال : لم نغفل الكتاب ما من شيء إلا وهو في الكتاب . (تفسير الطبري 11 / 344)

عن ابن عباس قوله : (فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) ، وقوله : أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه [الشورى : 13] ، ونحو هذا في القرآن . قال : أمر الله المؤمنين بالجماعة ، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة ، وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمرء والخصومات في دين الله عن مجاهد في قول الله (ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) قال : البدع والشبهات . (تفسير الطبري 12 / 230)

عن أبان : أن رجلاً قال لابن مسعود : ما الصراط المستقيم ؟ قال : تركنا محمد صلى الله عليه

وسلم في أدناه ، وطره في الجنة وعن يمينه جواد ، وعن يساره جواد ، وثم رجال يدعون من مرهم . فمن أخذ في تلك الجواد انتهت به إلى النار ومن أخذ على الصراط انتهى به إلى الجنة . ثم قرأ ابن مسعود (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا) . (تفسير الطبري 12 / 231)

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

عن ابن عباس قال : (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ) فأهل البدع ، والأهواء ، (وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ) فأهل السنة ، والجماعة . (تاريخ بغداد 2469)

قال عمر بن الخطاب : أيها الناس إن هذا القرآن كلام الله فلا أعرفن ما عطفتموه على أهوائكم فإن الإسلام قد خضعت له رقاب الناس ، فدخلوه طوعا وكرها وقد وضعت لكم السنن ولم يترك لأحد مقالا إلا أن يكفر عبد عمدا عينا فاتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم . (الشريعة للاجري 155)

قال عمر بن الخطاب : اتقوا الرأي في دينكم قال سحنون : يعني البدع . (جامع بيان العلم 2002)

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إياكم والرأي فإن أصحاب الرأي أعداء السنن أعييتهم الأحاديث أن يعوها وتفلتت منهم أن يحفظوها فقالوا في الدين برأيهم . (إعلام الموقعين 1 / 44)

قال عثمان بن حاضر : قلت لابن عباس أوصني فقال عليك بالاستقامة واتباع الأثر وإيالك والتبدع . (سنن الدارمي 141)

قال عبد الله بن عباس : إن أبغض الأمور إلى الله البدع . (السنة للمروزي 84)

وقال : لا تجالس أهل الأهواء ، فإن مجالستهم ممرضة للقلوب . (الشريعة للاجري 133)

وقال : ما يأتي على الناس من عام إلا أحدثوا فيه بدعة وأماتوا فيه سنة حتى تحيا البدع وتموت السنن . (البدع والنهي عنها 95)

قال عبد الله بن عمر : كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة . (ذم الكلام 276)

وقال أيضا : ما فرحت بشيء من الإسلام أشد فرحا من أن قلبي لم يدخله شيء من هذه الأهواء . (شرح أصول الاعتقاد 227)

قال عبد الله بن مسعود : إياكم وما يحدث الناس من البدع فإن الدين لا يذهب من القلوب بمرّة ولكن الشيطان يحدث له بدعا حتى يخرج الإيمان من قلبه ويوشك أن يدع الناس ما ألزمهم الله من فرضه في الصلاة والصيام والحلال والحرام ويتكلمون في ربهم عزوجل فمن أدرك ذلك الزمان

فلم يهرب . قيل : يا أبا عبد الرحمن فإلى أين ؟ قال : إلى لا أين يهرب بقلبه ودينه لا يجالس أحدا من أهل البدع . (شرح أصول الاعتقاد 196)

وقال أيضا : يا أيها الناس إن الله بعث محمد بالحق وأنزل عليه الفرقان وفرض عليه الفرائض وأمره أن يعلم أمته فبلغ رسالته ونصح لأمته وعلمهم ما لم يكونوا يعلمون وبين لهم ما يجهلون فاتبعوه ولا تبتدعوا فقد كفيتم كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة . (ذم الكلام 239)

وقال أيضا : من أحب أن يكرم دينه فليعتزل مخالطة السلطان ومجالسة أصحاب الأهواء فإن مجالستهم ألصق من الجرب . (البدع والنهي عنها 127)

وقال أيضا : عليكم بالعلم قبل أن يقبض وقبضه بذهاب أهله عليكم بالعلم فإن أحدكم لا يدري متى يفتقر إلى ما عنده وستجدون أقواما يزعمون أنهم يدعون إلى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورهم فعليكم بالعلم وإياكم والتبدع والتنطع والتعمق وعليكم بالعتيق . (الإعتصام 107 / 1 - 108)

قال عبد الله بن مسعود : يجيء قوم يتركون من السنة مثل هذا يعني الإصبع فإن تركتموهم جاؤوا بالطامة الكبرى وإنه لم يكن أهل كتاب قط إلا كان أول ما يتركون السنة وأن آخر ما يتركون الصلاة ولولا أنهم يستحيون لتركوا الصلاة . (شرح أصول اعتقاد أهل السنة 90 / 1)

قال حذيفة بن اليمان : اتقوا الله معشر القراء ، وخذوا طريق من كان قبلكم فوالله لأن استقمتم لقد سبقتم سبقا بعيدا ولئن تركتموه شمالا ويمينا ضللتهم ضلالا بعيدا . (السنة للمروزي 86)

قال حذيفة بن اليمان العبسي : فاعلم أن الضلالة حق الضلالة أن تعرف ما كنت تنكروا وأن تنكر ما كنت تعرف وإياك والتلون في دين الله تعالى فإن دين الله واحد . (اعتقاد أهل السنة 120)

قال ابو موسى الأشعري : لئن يجاورني أهل بيت من يهود ونصارى ، وقردة ، وخنازير أحب إلي من أن يجاورني صاحب هوى يمرض قلبي . (الإبانة لابن بطة 471)

قال عبد الله بن عمرو بن العاص : ما ابتدعت بدعة إلا ازدادت مضيا ولا نزعت سنة إلا ازدادت هربا . (الإبانة لابن بطة 351 / 1)

قال معاذ بن جبل : فياكم وما ابتدع فإنما ابتدع ضلالة . (شرح أصول اعتقاد أهل السنة 89 / 1)

قال مصعب بن سعد بن أبي وقاص : قال لي أبي : أي بني لا تجالس مفتونا فإنه لا يخطئك منه إحدى خصلتين : إما أن يستزلك وإما أن يمرض قلبك . (أصول السنة 235)

قال عمر بن عبد العزيز: سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولادة الأمر بعده سننا الأخذ بها تصديق لكتاب الله عز وجل واستكمال لطاعته وقوة على دين الله ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في رأي من خالفها فمن اقتدى بما سنوا فقد اهتدى ومن استبصر بها بصرو ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله عز وجل ما تولاه وأصلاه جهنم وساءت مصيرا .
(شرح أصول اعتقاد أهل السنة 1 / 93)

قال عمر بن عبد العزيز: أوصيك بتقوى الله والاقتصاد في أمره واتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وترك ما أحدث المحدثون بعدما جرت به سنته وكفوا مونتة فعليك بلزوم السنة فإنها لك بإذن الله عصمة . (سنن أبي داود 4612)

قال الحسن البصري: تجالس صاحب هوى فيقذف في قلبك ما تتبعه فتهلك أو تخالفه فيمرض قلبك . (البدع والنهي عنها 126)

وقال الحسن البصري: ثلاثة ليست لهم حرمة في الغيبة أحدهم: صاحب بدعة الغالي ببدعته .
(شرح أصول الاعتقاد 224)

وقال أيضا: لا تمكن أذنك من صاحب هوى فيمرض قلبك ولا تجيبن أميرا وإن دعاك لتقرأ عنده سورة من القرآن فإنك لا تخرج من عنده إلا بشرما دخلت . (الإبانة لابن بطنة 396)

وقال أيضا: إنه والله لا يقبل الله من مبتدع عبادة: صلاة ولا صوما . وما ازداد المرء في بدعة اجتهدا إلا ازداد من الله تعالى بعدا . (ذم الكلام 595)

وقال: صاحب البدعة لا تقبل له صلاة ولا حج ولا عمره ولا جهاد ولا صرف ولا عدل .
(الشريعة للأجرى 2054)

وقال: لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم . (طبقات ابن سعد 7 / 172)

وقال: لا يقبل الله من صاحب البدعة شيئا . (شرح أصول الاعتقاد 271)

وقال: شرداء خالط قلبا يعني الهوى . (السنة لأبي بكر الخلال 2 / 138)

وقال: لو أن رجلا أدرك السلف الأول ثم بعث اليوم ما عرف من الإسلام شيئا إلا هذه الصلاة .
(البدع والنهي عنها 176)

قال محمد بن سيرين: لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم .

فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم .
(صحيح مسلم 1 / 15 رقم 5)

وعن أسماء بن خارجة قال : دخل رجلان على محمد بن سيرين من أهل الأهواء فقالا : يا أبا بكر نحدثك بحديث ؟ قال : لا . قالوا : فنقرأ عليك آية من كتاب الله عزوجل ؟ قال : لا لتقومن عني أو لأقومن . (الشريعة للإجري 121)

وعنه قال : كان محمد بن سيرين يرى أن أسرع الناس ردة أهل الأهواء . (الشريعة للإجري 474)

وعن حبيب بن أبي الزبرقان ، قال : كان محمد بن سيرين إذا سمع كلمة من صاحب بدعة وضع إصبعيه في أذنيه ثم قال : لا يحل لي أن أكلمه حتى يقوم من مجلسه . (الإبانة لابن بطه 484)

عن عبد الملك بن عوف أن محمد بن سيرين كان يرى أن هذه الآية نزلت في أصحاب الأهواء (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره) .
(أصول السنة لابن أبي زمنين 237)

وقال محمد بن سيرين: كانوا يقولون : ما دام على الأثر فهو على الطريق . (اعتقاد أهل السنة 109)
قال إبراهيم النخعي : لا تجالسوا أصحاب البدع ولا تكلموهم فإني أخاف أن ترتد قلوبكم .
(البدع والنهي عنها لابن وضاح 124)

عن إبراهيم النخعي في قوله : (فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء) . قال : ما أرى الإغراء في هذه الأمة ، إلا الأهواء المتفرقة والبغضاء . (ذم الكلام 820)

قال سفيان بن عيينه : من شهد جنازة مبتدع لم يزل في سخط الله حتى يرجع . (ذم الكلام 911)

قال بشر بن يحيى : سمعت ابن عيينة يقول في قوله : (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها)
قال : أنزل من السماء قرأنا فاحتمله الرجال بعقولها (كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما
الزبد فيذهب جفاء) وهو قول أهل البدع والأهواء (وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) وهو
الحلال والحرام . (حلية الأولياء 7 / 277)

عن إسحاق بن أبي إسرائيل قال : سمعت سفيان بن عيينة يقول : لا تجد مبتدعا إلا وجدته ذليلا
ألم تسمع إلى قول الله عزوجل : (أن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة
الدنيا) . (شعب الإيمان 7 / 72 - 9522)

وقال في قوله : (وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ) قال: كل صاحب بدعة ذليلٌ . (الطبري - ابن ابي حاتم)
وقال سفيان بن عيينة: ليس في الأرض صاحب بدعة إلا وهو يجد ذلة تغشاه وهو في كتاب الله.
قالوا : أين هي ؟ قال : أما سمعتم إلى قوله (إن الذين اتخذوا العجل ... الآية ؟ قال : يا أبا محمد
هذه لأصحاب العجل خاصة! قال : كلا اقرأ ما بعدها: وكذلك نجزي المفتريين ، فهي لكل مفتر
ومبتدع إلى يوم القيامة . (تفسير الدر المنثور: 3/565-566)

قال الفضيل بن عياض : إذا رأيت رجلا من أهل السنة فكأنما أرى رجلا من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وإذا رأيت رجلا من أهل البدع فكأنما أرى رجلا من المنافقين .
(شرح السنة 157)

وقال : من جالس صاحب بدعة لم يعط الحكمة . (شرح السنة 163)

وقال : لا تجلس مع صاحب بدعة فإني أخاف أن تنزل عليك اللعنة . (شرح السنة 164)

وقال : من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله وأخرج نور الإسلام من قلبه . (شرح السنة 165)

وقال : أدركت خيار الناس كلهم أصحاب سنة وهم يهون عن أصحاب البدعة . (الحلية 8 / 1044)

وقال : إذا رأيت مبتدعا في طريق فخذ في طريق آخر . (الإبانة لابن بطة 493)

وعن النضر قال : سمعت أبا قلابة يقول لأيوب : يا أيوب احفظ مني ثلاثا : لا تقاعد أهل الأهواء ولا
تسمع منهم ولا تفسر القرآن برأيك فإنك لست من ذلك في شيء وانظر هؤلاء الرهط من أصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم فلا تذكرهم إلا بخير . (أصول السنة لابن أبي زمنين 186)

عن أيوب عن أبي قلابة أنه كان يقول : إن أهل الأهواء أهل الضلالة ولا أرى مصيرهم إلا إلى النار .
(الشريعة للإجري 135)

قال عبد الله بن المبارك : الموت اليوم كرامة لكل مسلم لقي الله على السنة فإننا لله وإنا إليه
راجعون فإلى الله نشكو وحشتنا وذهاب الإخوان وقلة الأعوان وظهور البدع وإلى الله نشكو عظيم
ما حل بهذه الأمة من ذهاب العلماء وأهل السنة وظهور البدع . (البدع والنهي عنها 97)

وقال أيضا : صاحب البدعة على وجهه الظلمة وإن ادهن كل يوم ثلاثين مرة . (شرح أصول
الاعتقاد 2/84)

قال أبو إدريس الخولاني : لأن أرى في المسجد نارا تضطرم أحب إلي من أن أرى فيه بدعة لا تغير .

(ذم الكلام 799)

وقال : ما أحدثت أمة في دينها بدعة إلا رفع الله بها عنهم سنة . (البدع والنهي عنها 87)

قال عبد الرحمن بن مهدي : رأيت سفيان الثوري في النوم فقلت : ما فعل الله بك ؟ فقال : لم يكن إلا أن وضعت في اللحد ووقفت بين يدي الله عز وجل فحاسبني حسابا يسيرا ثم أمرني إلى الجنة فبينما أنا بين رباحينها وأشجارها لا أسمع حسا ولا حركة فإذا بصوت يقول : يا سفيان بن سعيد هل تعلم أنك أثرت الله على نفسك ؟ فقلت : أي والله فأخذتني صواني النثار من كل جانب . (تاريخ بغداد 438 / 8)

قال سفيان الثوري : البدعة أحب إلى إبليس من المعصية لأن المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها . (ذم الكلام 914)

قال مالك بن أنس : ما آية في كتاب الله عز وجل أشد على أهل الأهواء من هذه الآية : (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) (فأي كلام أبين من هذا ؟ . (الرسالة الوافية 203)

وقال : لا تجوز شهادة أهل البدع وأهل الأهواء وأهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام فكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع أشعريا كان أو غير أشعري ولا تقبل له شهادة في الإسلام ويهجر ويؤدب على بدعته . (جامع بيان العلم 1800)

وقال مالك بن أنس : السنة سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق . (تاريخ دمشق 14 / 99)

عن يونس بن عبد الأعلى قال : قلت للشافعي : صاحبنا الليث يقول : لورأيت صاحب هوى يمشي على الماء ما قبلته قال : قصر لورأيته يمشي في الهواء لما قبلته . (آداب الشافعي 184)

كان الشافعي إذا سئل عما جرى بين الصحابة قال : تلك فتنة قد طهر الله منها أيدينا أفلا نظهر منها ألسنتنا . (مناقب الشافعي للرازي 1 / 449)

عن عيسى بن أحمد بن عثمان الهمداني قال : كان عبد العزيز بن عبد الله الداركي إذا جاءته مسألة يستفتي فيها تفكر طويلا ثم أفتى فيها وربما كانت فتواه خلاف مذهب الشافعي وأبي حنيفة رضي الله وتعالى عنهما فيقال له في ذلك فيقول : ويحكم حدث فلان عن فلان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا وكذا والأخذ بالحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى من الأخذ بقول الشافعي وأبي حنيفة إذا خالفاه . (تاريخ بغداد 464 / 10)

قال أحمد بن حنبل : أصول السنة عندنا : التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والافتداء بهم وترك البدع وكل بدعة فهي ضلالة وترك الخصومات والجلوس مع أصحاب الأهواء . (شرح أصول الاعتقاد 317)

عن عبد الله بن أحمد قال : لم يسمع أبي من شعيب بن حرب ببغداد إنما سمع منه بمكة قال أبي : جئنا إليه وأنا وأبو خيثمة وكان ينزل مدينة أبي جعفر على قرابة له قال فقلت : لأبي خيثمة سله قال : فدنا إليه فسأله فرأى كمه طويلا فقال : من يكتب الحديث يكون كمه طويلا ! يا غلام هات الشفرة قال فقمنا ولم يحدثنا بشيء . (تاريخ بغداد 9 / 241)

قال الفضل بن زياد : سألت أبا عبد الله يعني : أحمد بن حنبل عن الكرايبسي وما أظهر؟ فكبح وجهه ثم قال : إنما جاء بلائهم من هذه الكتب التي وضعوها تركوا آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأقبلوا على هذه الكتب . (تاريخ بغداد 66 / 8)

وقال : أهل البدع ما ينبغي لأحد أن يجالسهم ولا يخالطهم ولا يأنس بهم . (الإبانة 495)

وقال أيضا : لا غيبة لأصحاب البدع . (طبقات الحنابلة 2 / 274)

وعن الحسين بن منصور قال : سئل أحمد بن حنبل عن نكتب العلم؟ فقال : عن الناس كلهم إلا عن ثلاثة صاحب هوى يدعو إليه أو كذاب فإنه لا يكتب عنه قليل ولا كثير أو عن رجل يغلط فيرد عليه فلا يقبل . (العلل لابوبكر المروزي 287)

سأل جعفر بن نصير بكران الدينوري : وكان يخدم الشبلي ما الذي رأيت منه يعني عند وفاته؟ فقال : قال لي : على درهم مظلمة وتصدقت عن صاحبه بألوف فما على قلبي شغل أعظم منه ثم قال : وضيئي للصلاة ففعلت فنسيت تخليل لحيته وقد أمسك على لسانه فقبض على يدي وأدخلها في لحيته ثم مات فبكي جعفر وقال : ما تقولون: في رجل لم يفته في آخر عمره أدب من آداب الشريعة . (تاريخ بغداد 14 / 396)

قال غالب القطان : رأيت مالك بن دينار في النوم وهو قاعد في مقعده الذي كان يقعد فيه وهو يشير بإصبعه ويقول : صنفان من الناس لا تجالسوهما فإن مجالستهما فاسدة لقلب كل مسلم : صاحب بدعة قد غلا فيها وصاحب دنيا مسرف فيها . (شرح أصول الاعتقاد 292)

قال الأوزاعي : اتقوا الله معشر المسلمين و اقبلوا نصح الناصحين وعظة الواعظين واعلموا أن هذا العلم دين فانظروا ما تصنعون وعمن تأخذون وبمن تقتدون ومن على دينكم تأمنون فإن أهل

البدع كلهم مبطلون أفاكون آثمون لا يرعوون ولا ينظرون ولا يتقون فكونوا لهم حذرين متهمين رافضين مجانيين فإن علماؤكم الأولين ومن صلح من المتأخرين كذلك كانوا يفعلون ويأمرون . (تاريخ دمشق 6 / 362)

عن عبد الله بن الديلمي قال : إن أول ذهاب الدين ترك السنة يذهب الدين سنة سنة كما يذهب الحبل قوة قوة . (شرح أصول اعتقاد أهل السنة 1 / 93)

عن حسان بن عطية قال : ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها ثم لا يعيدها إليهم إلى يوم القيامة . (شرح أصول اعتقاد أهل السنة 1 / 93)

قال مصعب بن سعد : لا تجالسوا مفتونا فإنه لن يخطئك منه إحدى خصلتين : إما أن يفتنك فتتبعه أو يؤذيك قبل أن تفارقه . (الاعتقاد للبيهقي 239)

قال يونس بن عبيد : أوصيكم بثلاث فخذوها عني حبيبت أومت : لا تمكن سمعك من صاحب هوى ولا تخل بامرأة ليست لك بمحرم ولو أن تقرأ عليها القرآن ولا تدخلن على أمير ولو أن تعظه . (الإبانة لابن بطة 387)

قال يوسف بن أسباط : أصل البدع أربعة : الروا فض والخوارج والقدرية والمرجئة ثم تتشعب كل فرقة ثماني عشرة طائفة فتلك اثنتان وسبعون فرقة والثالث والسبعون : الجماعة التي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنها الناجية . (الإبانة لابن بطة 2 / 567)

قال سلام بن أبي مطيع : رأى أيوب رجلا من أهل الأهواء ، فقال : إني أعرف الذلة في وجهه . ثم قرأ : (أن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين) ثم قال : هذه لكل مفتر . (شرح أصول الاعتقاد 289)

قال عبد الرحمن بن عمر : ذكر عند عبد الرحمن بن مهدي قوم من أهل البدع واجتهادهم في العبادة فقال : لا يقبل الله إلا ما كان على الأمر والسنة . ثم قرأ : (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم) فلم يقبل ذلك منهم ووبخهم عليه ثم قال : الزم الطريق والسنة . (حلية الأولياء 8 / 9)

عن سعيد بن عامر ، قال : مرض سليمان التيمي فيكي في مرضه بكاء شديدا ف قيل له : ما يبكيك أتجزع من الموت ؟ قال : لا ولكن مررت على قدرتي فسلمت عليه فأخاف أن يحاسبني ربي عز وجل عليه . (حلية الأولياء 3 / 32)

قال الربيع بن خثيم : جاء رجل من أهل الأهواء إلى طاووس فقال : أتأذن لي أن أجلس فقال له

طاووس : إن جلست قمنا فقال : يغفر الله لك أبا عبد الرحمن فقال : هو ذاك أن جلست والله قمنا . فانصرف الرجل . (الإبانة لابن بطة 403)

قال ابوالعالیه : عليكم بسنة نبيكم والذي كان عليه أصحابه وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين الناس العداوة والبغضاء . (الشريعة للاجری 19)

قال قتادة : ولعمري لو كان أمر الخوارج هدى لاجتمع ولكنه كان ضلالا فتفرق وكذلك الأمر إذا كان من عند غير الله وجدت فيه اختلافا كثيرا . (الطبری 3 / 178)

قال ميمون بن مهران: ثلاثة ارفضوهن: مجادلة أصحاب الأهواء وشم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والنظر في النجوم . (أصول السنة لابن أبي زمنين 187)

قال مجاهد بن جبر : ما أدري أي النعمتين أعظم على : أن هداني إلى الإسلام أو أن جنبني الأهواء . (أصول السنة 239)

عن ابن أبي نجیح عن مجاهد في قول الله : (ولا تتبعوا السبل) . قال : البدع والشبهات . (السنة للمروزي 19)

وعن هشام قال : كان الحسن ومحمد يقولان : لا تجالسوا أصحاب الأهواء , ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم . (الإبانة لابن بطة 395)

قال أيوب السختياني: ما ازداد صاحب بدعة اجتهادا إلا ازداد من الله بعدا . (البدع والنبي عنها 67)

قال يحيى بن كثير: إذا لقيت صاحب بدعة في طريق فخذ في غيره . (الشريعة للاجری 144)

وكان عبد الله بن عون يقول عند الموت : السنة السنة وإياكم والبدع . حتى مات . (شرح السنة 158)

قال سليمان الأحول : ما ذكر الله هوى في القرآن إلا ذمه . (ذم الكلام 462)

قال أبو بكر بن أبي دواد : أهل الرأي هم أهل البدع . (الجامع لابن عبد البر 2 / 1042)

قال ابن رجب : فكل من أحدث شيئا ونسبه إلى الدين ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه فهو ضلالة والدين منه بريء . (جامع العلوم والحكم 2 / 128)

وقال أيضا : والمراد بالبدعة : ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه فأما ما كان له أصل

من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعا وإن كان بدعة لغة . (جامع العلوم والحكم 2 / 127)

قال الشاطبي : والرأي إذا عارض السنة فهو بدعة وضلالة . (الاعتصام 2 / 335)

الآثار العمليَّة في حياة السلف :

عن عبد الله بن عكيم قال : كنا عند حذيفة بالمدائن فاستسقى دهقاننا (تاجر أو زعيم المدينة) فجاءه بماء في إناء من فضة فحذفه به حذيفة وكان رجلا فيه حدة فكرهوا أن يكلموه ثم التفت إلى القوم فقال اعتذر إليكم من هذا أنى كنت تقدمت إليه أن لا يسقيني في هذا ثم قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فينا فقال لا تشربوا في أنية الفضة والذهب ولا تلبسوا الديباج والحريز فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة . (تاريخ بغداد 3 / 10)

عن أبي حنيفة قال : لقيت عطاء بمكة ، فسألته عن شيء فقال : من أين أنت ؟ قلت : من أهل الكوفة قال : أنت من أهل القرية الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ؟ قلت : نعم قال : فمن أي الأصناف أنت ؟ قلت : ممن لا يسب السلف ويؤمن بالقدر ولا يكفر أحدا بذنب قال : فقال لي عطاء : عرفت فالزم . (تاريخ بغداد 331 / 12)

قال يحيى بن يعمر : كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا : لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر فوقف لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخل المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلى فقلت : أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن ويتقفرون العلم وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف قال : فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برآء مني . (صحيح مسلم 8)

وعن يسار أبي الحكم أن عبد الله بن مسعود حدث أن أناسا بالكوفة يسبحون بالحصى في المسجد فأتاهم وقد كوم كل رجل منهم بين يديه كومة حصى فلم يزل يحصيهم بالحصى حتى أخرجهم من المسجد وهو يقول : لقد أحدثتم بدعة ظلما أو قد فضلتهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم علما . (البدع والنهي عنها 16)

عن مبارك بن فضالة قال : وفدا بن سوار في وفد من أهل البصرة إلى أبي جعفر فإننا لعنده ذات يوم إذ أتى برجل فأمر بقتله فقلت في نفسي : يقتل رجل من المسلمين وأنا حاضر فقلت : يا أمير المؤمنين إلا أحدثك حديثا سمعته من الحسن ؟ قال : وما هو ؟ قلت : حدثنا الحسن قال : قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا كان يوم القيامة جمع الناس في صعيد واحد حيث يسمعونهم الداعي وينفذهم البصر فيقوم مناد من عند الله فيقول : ليقومن من له على الله يد فلا يقومن إلا من عفا . فأقبل علي فقال : الله لسمعته من الحسن ؟ قال قلت الله لسمعته من الحسن قال : خليا عنه . (تاريخ بغداد 2)

عن محمد بن سماعه قال : كان عيسى بن أبان حسن الوجه وكان يصلي معنا وكنت أدعوه أن يأتي محمد بن الحسن فيقول : هؤلاء قوم يخالفون الحديث وكان عيسى حسن الحفظ للحديث فصلى معنا يوما الصبح وكان يوم مجلس محمد فلم أفارقه حتى جلس في المجلس فلما فرغ محمد أدنيته إليه وقلت : هذا ابن أخيك أبان بن صدقة الكاتب ومعه ذكاء ومعرفة بالحديث وأنا أدعوه إليك فيأبى ويقول : أنا نخالف الحديث فأقبل عليه وقال له : يا بني ما الذي رأيتنا نخالفه من الحديث لا تشهد علينا حتى تسمع منا فسأله يومئذ عن خمسة وعشرين بابا من الحديث فجعل محمد بن الحسن يجيبه عنها ويخبره بما فيها من المنسوخ ويأتي بالشواهد والدلائل فالتفت إلى بعدما خرجنا فقال : كان بيني وبين النور ستر فارتفع عني ما ظننت أن في ملك الله مثل هذا الرجل يظهره للناس ولزم محمد بن الحسن لزوما شديدا حتى تفقه به . (تاريخ بغداد 11 / 158)

عن ابن عبد الله بن مغفل قال : سمعني أبي وأنا أقول : اللهم إني أعوذ بك من النار وحميمها وغساقها وسلاسله وأغلالها وأنكاليها وأسالك الجنة ونعيمها وأزواجها وأسالك القصر الأبيض الذي عن يمين الجنة فقال : يا بني إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : سيأتي قوم يعتدون في الدعاء وإني أعيدك بالله أن تكون منهم إذا أعطيت الجنة أعطيت كل ما عدت فيها وإذا أجرت من النار أجرت مما عدت فيها ومما لم تعد . (تاريخ بغداد 11 / 176)

عن عبد الرزاق بن سليمان بن علي بن الجعد عن أبيه قال : لما أحضر المأمون أصحاب الجوهري فناظرهم على متاع كان معهم ، ثم نهض المأمون لبعض حاجته ثم خرج فقام كل من كان في المجلس إلا ابن الجعد فإنه لم يقم قال : فنظر إليه المأمون كهيئة المغضب ثم استخلاه فقال له : يا شيخ ما منعك أن تقوم لي كما قام أصحابك ؟ قال اجللت أمير المؤمنين للحديث الذي نأثره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : وما هو ؟ قال علي بن الجعد : سمعت المبارك بن فضالة يقول : سمعت الحسن يقول : قال النبي صلى الله عليه وسلم . من أحب أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار قال : فأطرق المأمون متفكرا في الحديث ثم رفع رأسه فقال : لا يشتري إلا من هذا الشيخ قال : فاشترى منه ذلك اليوم بقيمة ثلاثين ألف دينار . (تاريخ بغداد 11 / 361)

عن عبد الملك بن قريب الأصمعي أنه قال : كنت عند الرشيد يوما فرجع إليه في قاض كان قد

استقضاه يقال له : عافية فكبر عليه فأمر بإحضاره وكان في المجلس جمع كثير فجعل أمير المؤمنين يخاطبه ويوقفه على ما رفع إليه وطال المجلس ثم إن أمير المؤمنين عطس فشمته من كان بالحضرة ممن قرب منه سواه فإنه لم يشمته فقال له الرشيد : ما بالك لم تشمتني كما فعل القوم ؟ فقال له عافية : لأنك يا أمير المؤمنين لم تحمد الله فلذلك لم اشمتك هذا النبي صلى الله عليه وسلم عطس عنده رجلان فشمت أحدهما ولم يشمت الآخر فقال يا رسول الله : مالك شمت ذلك ولم تشمتني ؟ قال : لأن هذا حمد الله فشمتناه وأنت فلم تحمده فلم أشمتك فقال له الرشيد : ارجع إلى عملك أنت لم تسامح في عطسة تسامح في غيرها وصرفه منصرفا جميلا وزير القوم الذين كانوا رفعوا عليه . (تاريخ بغداد 12 / 309)

قال خرزاذ القائد : كنت عند الرشيد فدخل أبو معاوية الضرير وعنده رجل من وجوه قريش فجرى الحديث إلى أن خرج أبو معاوية إلى حديث الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة : أن موسى لقي آدم فقال : أنت آدم الذي أخرجتنا من الجنة وذكر الحديث فقال القرشي : أين لقي آدم موسى ؟ قال : فغضب الرشيد وقال : النطع والسيف زنديق والله يطعن في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فما زال أبو معاوية يسكنه ويقول : كانت منه بادرة ولم يفهم يا أمير المؤمنين حتى سكنه . (تاريخ بغداد 14 / 7)

عن المدائني قال : مر المنصور بفرج بن فضالة فلم يقم له فقيل له في ذلك فقال : خشيت أن يسألني لم قمت ؟ ويسأله لم رضيت ؟ . (تاريخ بغداد 12 / 394)

وفي رواية أنه : أقبل المنصور يوما راكبا والفرج بن فضالة جالس عند باب الذهب فقام الناس فدخل من الباب ولم يقم له الفرج , واستشاط غضبا ودعا به فقال له : ما منعك من القيام حين رأيتني ؟ قال : خفت أن يسألني الله عنه لم فعلت ؟ ويسألك لم رضيت ؟ وقد كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم . (تاريخ بغداد 12 / 394)

عن أبي بكر الخراساني قال : تبعت أحمد بن حنبل يوم الجمعة إلى مسجد الجامع فقام عند قبة الشعراء يركع والأبواب مفتحة وكان يتطوع ركعتين ركعتين فمر بين يديه سائل فمنعه منعا شديدا وأراد السائل أن يمر بين يديه فقمنا إلى السائل فنحيناها . (تاريخ بغداد 14 / 387)

عن عبد الرحمن الطيب وهو طبيب أحمد بن حنبل وبشر الحافي قال : اعتلا جميعا في مكان واحد فكنت أدخل إلى بشر فأقول له : كيف تجدك يا أبا نصر ؟ قال : فيحمد الله ثم يخبرني فيقول : أحمد الله إليك أجد كذا وكذا وأدخل إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل فأقول : كيف تجدك يا أبا عبد الله ؟ فيقول : بخير فقلت له يوما : إن أخاك بشرا لعليل واسأله عن خبرة فيبدأ بحمد الله ثم

يخبرني ، فقال : سله عن أخذ هذا ؟ فقلت له : إني أهاب أن أسأله فقال : قل له : يقول لك أخوك أبو عبد الله : عن أخذت هذا ؟ قال : فدخلت عليه فعرفته ما قال فقال لي : أبو عبد الله لا يريد الشيء إلا بالإسناد: أزهري عن ابن عون عن ابن سيرين : إذا حمد الله العبد قبل الشكوى لم تكن شكوى وإنما أقول لك أجد كذا أعرف قدرة الله في قال : فخرجت من عنده فمضيت إلى أبي عبد الله فعرفته ما قال قال : وكنت بعد ذلك إذا دخلت إليه يقول : أحمد الله إليك ثم يذكر ما يجده . (تاريخ بغداد 10 / 277)

عن محمد بن مغلص قال : حدثنا شعيب بن محرز ودخلت عليه بالبصرة وأنا أجرإزاري فقال لي : ارفع يا شاب إزارك فإن شعبة أبا بسطام أخبرني عن سعيد بن أبي سعيد المقبري قال : سمعت أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما أسفل من الكعبين من الإزار في النار . (تاريخ بغداد 9 / 385)

عن الحكم بن عمرو الغفاري قال : دخلت أنا وأخي رافع بن عمرو وأنا مخضوب بالحناء وأخي رافع مخضوب بالصفرة فقال لي : عمر هذا خضاب الإسلام وقال لأخي رافع : هذا خضاب الإيمان . (تاريخ بغداد 11 / 36)

19 - باب في من سنَّ سنةً حسنةً أو سيئةً

قَالَ اللهُ تَعَالَى : وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا [الفرقان : 74] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا [الأنبياء : 73] .

171- عَنْ أَبِي عَمْرٍو جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ : كُنَّا فِي صَدْرِ النَّهَارِ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَهُ قَوْمٌ عُرَاءٌ مُجْتَابِي النَّيْمَارِ أَوْ الْعَبَاءِ . مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ عَامَّتُهُمْ ، بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ ، فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ ، فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ ، فَأَمَرَ بِأَقَامٍ ، فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ ، فَقَالَ : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ } إِلَى آخِرِ الْآيَةِ : { إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } ، وَالآيَةُ الْآخِرَى الَّتِي فِي آخِرِ الْحَشْرِ : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتَنْتَظِرْ نَفْسُ مَا قَدَمْتُ لِغَدٍ { تَصَدَّقْ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ مِنْ دِرْهَمِهِ مِنْ تُوْبِهِ مِنْ صَاعِ بُرِّهِ مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ حَتَّى قَالَ : وَلَوْ بِشَقِّ تَمْرَةٍ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِبَصْرَةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعَجَّرَ عَنْهَا ، بَلْ قَدْ عَجَزْتُ ، ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمِينَ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَهْتَلِكُ كَأَنَّهُ مِنْ مَذْهَبَةٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا ، وَأَجْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْوَرِهِمْ شَيْءٌ ، وَمَنْ سَنَّ فِي

الإسلام سُنَّةٌ سَيِّئَةٌ كَانَ عَلَيْهِ وَزُرْهَا وَوَزُرْ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ» رواه مسلم . قَوْلُهُ : « مُجْتَابِي النَّمَارِ » هُوَ بِالْجِيمِ وَبَعْدَ الْأَلِفِ بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ . وَالنِّمَارُ : جَمْعُ نَمْرَةٍ ، وَهِيَ كِسَاءٌ مِنْ صُوفٍ مُخَطَّطٌ . وَمَعْنَى « مُجْتَابِيهَا » أَي : لَا بِسْمِهَا قَدْ حَرَقُوهَا فِي رُؤُوسِهِمْ . « وَالْجَوْبُ » : الْقَطْعُ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : { وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ } أَي : نَحْتُوهُ وَقَطَعُوهُ . وَقَوْلُهُ « تَمَعَّرَ » هُوَ بِالْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ ، أَي : تَغَيَّرَ . وَقَوْلُهُ : « رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ » بَفَتْحِ الْكَافِ وَضَمِّهَا ، أَي : صَبْرَتَيْنِ . وَقَوْلُهُ : « كَانَتْهُ مَذْهَبَةٌ » هُوَ بِالذَّالِ الْمَعْجَمَةِ ، وَفَتْحِ الْهَاءِ وَالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ ، قَالَهُ الْقَاضِي عِيَّاضٌ وَغَيْرُهُ . وَصَحَّفَهُ بَعْضُهُمْ فَقَالَ : « مُدْهَنَةٌ » بِدَالِ مَهْمَلَةٍ وَضَمِّ الْهَاءِ وَالنُّونِ ، وَكَذَا ضَبَطَهُ الْحَمِيدِيُّ ، وَالصَّحِيحُ الْمَشْهُورُ هُوَ الْأَوَّلُ . وَالْمُرَادُ بِهِ عَلَى الْوَجْهَيْنِ : الصَّفَاءُ وَالِاسْتِنَارَةُ .

172- وعن ابن مسعود رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَيْسَ مِنْ نَفْسِي تُقْتَلُ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا لِأَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ » متفقٌ عليه .

أَثَارُ الْوَارِدَةِ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

عن ابن عباس : والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين قال : يعنون من يعمل بالطاعة ، فتقر به أعيننا في الدنيا والآخرة ، واجعلنا للمتقين إماما قال : أئمة هدى يهتدى بنا ، ولا تجعلنا أئمة ضلالة ؛ لأنه قال لأهل السعادة : وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا (الأنبياء 73) ولأهل الشقاوة : وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار (القصص 41) . (تفسير الدر المنثور 11 / 229)

عن عكرمة : والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين قال : لم يريدوا بذلك صباحه ولا جمالا ، ولكن أرادوا أن يكونوا مطيعين . عن الحسن ، أنه سئل : عن هذه الآية : هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين أهذه القرة أعين في الدنيا أم في الآخرة ؟ قال : لا والله ، بل في الدنيا . قيل : وما هي ؟ قال : هي أن يرى الرجل المسلم من زوجته ، من ذريته ، من أخيه ، من حميمة ، طاعة الله ، ولا والله ، ما شيء أحب إلى المرء المسلم من أن يرى ولدا ، أو والدا ، أو حميما ، أو أختا مطيعا لله . (تفسير الدر المنثور 11 / 230)

عن قتادة : واجعلنا للمتقين إماما يقول : قادة في الخير ودعاة وهداة يأتهم في الخير لله . (تفسير الدر المنثور 11 / 231)

عن مالك ، أنه تلا : وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا فقال : حدثني الزهري ، أن عطاء بن يزيد حدثه ، عن أبي هريرة ، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : ما رزق عبد خيرا له أوسع من الصبر لله عن قتادة في قوله : وجعلنا منهم أئمة قال : رؤساء في الخير سوى الأنبياء ، يهدون

بأمرنا لما صبروا قال : على ترك الدنيا لله . (تفسير الدر المنثور 11 / 711)

أَثَارُ الْوَارِدَةِ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

1- المذهب الحنفي :

- قال الشيخ ابن عابدين الحنفي في حاشيته (1 / 376) : فقد تكون البدعة واجبة كنصب الأدلة للرد على أهل الفرق الضالة ، وتعلم النحو المفهم للكتاب والسنة ومندوبة لإحداث نحو رباط ومدرسة وكل إحسان لم يكن في الصدر الأول ومكروهة كزخرفة المساجد ومباحة كالتوسع بلذيد المأكّل والمشارب والثياب .

2 - قال بدر الدين العيني في شرحه لصحيح البخاري (11 / 126) عند شرحه لقول عمر ابن الخطاب رضي الله عنه : نعمت البدعة وذلك عندما جمع الناس في التراويح خلف قارئ وكانوا قبل ذلك يصلون أوزاعا متفرقين : والبدعة في الأصل إحداث أمر لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم البدعة على نوعين إن كانت مما تندرج تحت مستحسن في الشرع فهي بدعة حسنة وإن كانت مما يندرج تحت مستقبح في الشرع فهي بدعة مستقبحة .

المذهب المالكي :

1 - قال محمد الزرقاني المالكي في شرحه للموطأ (1 / 238) عند شرحه لقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : نعمت البدعة هذه فسامها بدعة لأنه صلى الله عليه وسلم لم يسن الاجتماع لها ولا كانت في زمان الصديق وهي لغة ما أحدث على غير مثال سبق وتطلق شرعا على مقابل السنة وهي ما لم يكن في عهده صلى الله عليه وسلم ثم تنقسم إلى الأحكام الخمسة .

2 - قال الشيخ أحمد بن يحيى الونشريسي المالكي في كتاب المعيار المعرب (1 / 357 - 358) ما نصه : وأصحابنا وإن اتفقوا على إنكار البدع في الجملة فالتحقيق الحق عندهم أنها خمسة أقسام ، ثم ذكر الأقسام الخمسة وأمثلة على كل قسم ثم قال : فالحق في البدعة إذا عرضت أن تعرض على قواعد الشرع فأى القواعد اقتضتها ألحقت بها وبعد وقوفك على هذا التحصيل والتأصيل لا تشك أن قوله صلى الله عليه وسلم : كل بدعة ضلالة من العام المخصوص كما صرح به الأئمة .

المذهب الشافعي :

أ - قال الشافعي رضي الله عنه : المحدثات من الأمور ضربان أحدهما ما أحدث يخالف كتابا أو سنة أو أثرا أو إجماعا فهذه البدعة الضلالة ، والثاني ما أحدث من الخير لا خلاف فيه لواحد من

هذا فهذه محدثة غير مذمومة . (رواه البيهقي في مناقب الشافعي 1 / 469) (وذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري 13 / 267)

ب - روى الحافظ أبو نعيم في كتابه (حلية الأولياء 9 / 76)

عن إبراهيم بن الجنيد قال : حدثنا حرملة بن يحيى قال : سمعت محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه يقول : البدعة بدعتان بدعة محمودة وبدعة مذمومة . فما وافق السنة فهو محمود وما خالف السنة فهو مذموم واحتج بقول عمر بن الخطاب في قيام رمضان : نعمت البدعة هي .

2 - قال أبو حامد الغزالي في كتابه (إحياء علوم الدين ، كتاب آداب الأكل ج 2 / 3) ما نصه : وما يقال إنه أبدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس كل ما أبدع منهيا بل المنهي بدعة تضاد سنة ثابتة وترفع أمرا من الشرع مع بقاء علته بل الإبداع قد يجب في بعض الأحوال إذا تغيرت الأسباب .

3 - قال العزبن عبد السلام في كتابه (قواعد الأحكام 2 / 172 - 174) :

البدعة منقسمة إلى واجبه ومحرمه ومندوبة ومكروهة ومباحة ثم قال : والطريق في ذلك أن تعرض البدعة على قواعد الشريعة ، فإن دخلت في قواعد الإيجاب فهي واجبة أو في قواعد التحريم فهي محرمة أو الندب فمندوبه أو المكروه فمكروهة أو المباح فمباحة .

4 - قال النووي في شرحه على صحيح مسلم (6 / 154 - 155) : قوله صلى الله عليه وسلم : (وكل بدعة ضلالة) هذا عام مخصوص والمراد : غالب البدع . قال أهل اللغة : هي كل شيء عمل على غير مثال سابق . قال العلماء : البدعة خمسة أقسام : واجبة ، ومندوبة ومحرمه ، ومكروهة ، ومباحة . فمن الواجبة : نظم أدلة المتكلمين للرد على الملاحدة والمبتدعين وشبه ذلك . ومن المندوبة : تصنيف كتب العلم وبناء المدارس والربط وغير ذلك . ومن المباح : التبسط في ألوان الأطعمة وغير ذلك . والحرام والمكروه ظاهران وقد أوضحت المسألة بأدلتها المبسوطة في (تهذيب الأسماء واللغات) فإذا عرف ما ذكرته علم أن الحديث من العام المخصوص وكذا ما أشبهه من الأحاديث الواردة ويؤيد ما قلناه قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في التراويح : نعمت البدعة ، ولا يمنع من كون الحديث عاما مخصوصا قوله : (كل بدعة) مؤكدا ب كل ، بل يدخله التخصيص مع ذلك كقوله تعالى : (تدمر كل شيء) (الأحقاف - 25) .

وقال النووي أيضا في شرحه على صحيح مسلم (16 / 226 - 227) : قوله صلى الله عليه وسلم : (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها ...) إلى آخره . فيه : الحث على الابتداء بالخيرات ،

وسن السنن الحسنات والتحذير من اختراع الأباطيل والمستقبحات وسبب هذا الكلام في هذا الحديث أنه قال في أوله : فجاء رجل بصره كادت كفه تعجز عنها فتتابع الناس . وكان الفضل العظيم للبادي بهذا الخير والفتاح لباب هذا الإحسان . وفي هذا الحديث : تخصيص قوله صلى الله عليه وسلم : كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وأن المراد به المحدثات الباطلة والبدع المذمومة .

5 - قال الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني في الفتح (4 / 298) :

قوله قال عمر : نعم البدعة في بعض الروايات نعمت البدعة بزيادة التاء والبدعة أصلها ما أحدث على غير مثال سابق وتطلق في الشرع في مقابل السنة فتكون مذمومة والتحقيق أن كانت مما تندرج تحت مستحسن في الشرع فهي حسنة وإن كانت مما تندرج تحت مستقبح في الشرع فهي مستقبحة وإلا فهي من قسم المباح وقد تنقسم إلى الأحكام الخمسة . انتهى وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري المجلد الثاني ، كتاب الجمعة ، باب الأذان يوم الجمعة : وكل ما لم يكن في زمنه صلى الله عليه وسلم يسمى بدعة لكن منها ما يكون حسنا ومنها ما يكون بخلاف ذلك .

المذهب الحنبلي :

قال الشيخ شمس الدين محمد بن أبي الفتح البعلي الحنبلي في كتابه (المطلع على أبواب المقنعص 334) من كتاب الطلاق : والبدعة مما عمل على غير مثال سابق والبدعة بدعتان : بدعة هدى وبدعة ضلالة والبدعة منقسمة بانقسام أحكام التكليف الخمسة . وقال الحافظ ابن الأثير : البدعة بدعتان بدعة هدى وبدعة ضلال فما كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم فهو من حيز الذم والإنكار وما كان واقعا تحت عموم مما ندب الله إليه وحض عليه الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم فهو في حيز المدح وما لم يكن له مثال موجود كنوع من الجود والسخاء وفعل المعروف فهو في الأفعال المحمودة ولا يجوز أن يكون ذلك في خلاف ما ورد الشرع به لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد جعل له في ذلك ثوابا فقال : من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها . وقال في ضده : ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها . وذلك إذا كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم . ومن هذا النوع قول عمر رضي الله عنه : نعمت البدعة هذه . لما كانت من أفعال الخير وداخلت في حيز المدح سماها بدعة ومدحها لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يسنها لهم وإنما صلاها ليالي ثم تركها ولم يحافظ عليها ولا جمع الناس لها ولا كانت في زمن أبي بكر وإنما عمر رضي الله عنه جمع الناس عليها وندبهم إليها فهذا سماها بدعة وهي على الحقيقة سنة ، لقوله صلى الله عليه وسلم : عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من

بعديوقوله : اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر وعلى هذا التأويل يحمل الحديث الآخر : كل محدثة بدعة إنما يريد ما خالف أصول الشريعة ولم يوافق السنة . (النهاية في غريب الحديث / 1) (106 - 107)

وقال الحافظ ابن حجر : هذا الحديث معدود من أصول الإسلام وقاعدة من قواعده فإن معناه : من اخترع في الدين ما لا يشهد له أصل من أصوله فلا يلتفت إليه . (فتح الباري 5 / 372)

20- باب في الدلالة على خير والدعاء إلى هدى أو ضلالة

قَالَ تَعَالَى : وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ [القصص : 87] ، وَقَالَ تَعَالَى : ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ [النحل : 125] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى [المائدة : 2] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ [آل عمران : 104] .

173- وعن أبي مسعود عَقَبَةَ بْنِ عَمْرِو الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ » رواه مسلم .

174- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً ، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئاً » رواه مسلم .

175- وعن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال يَوْمَ خَيْبَرَ : « لَأَعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ ، يُحِبُّ اللهُ وَرَسُولَهُ ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولَهُ » فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَهْمُهُمْ يُعْطَاهَا . فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا ، فَقَالَ : « أَيُّنَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ؟ » فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللهِ هُوَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ قَالَ : « فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ » فَأَتِي بِهِ ، فَبَصِقَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَيْنَيْهِ ، وَدَعَا لَهُ ، فَبَرَأَ حَتَّى كَانَتْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ . فَقَالَ عَلِيُّ رضي الله عنه : يَا رَسُولَ اللهِ أَقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا ؟ فَقَالَ : « انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ مِنْ حَقِّ اللهِ تَعَالَى فِيهِ ، فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ » متفق عليه .

قوله : « يَدُوكُونَ » : أي يَخُوضُونَ ويتحدَثُونَ ، قَوْلُهُ : « رِسْلِكَ » بكسر الراء وبفتحها لُغْتَانِ ، وَالْكَسْرُ أَفْصَحُ

176- وعن أنس رضي الله عنه أن فتى من أسلم قال : يا رسول الله إني أريد العزوة وليس معي ما أتجهز به ؟ قال : « انتب فلاناً فإنه قد كان تجهز فمرض » فأتاه فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يُقرئك السلام ويقول : أعطني الذي تجهزت به فقال : يا فلانة أعطيه الذي تجهزت به ولا تحسبي منه شيئاً فوالله لا تحسبين منه شيئاً فيبارك لك فيه . رواه مسلم .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية :

والأمر في قوله : وادع إلى ربك مستعمل في الأمر بالدوام على الدعوة إلى الله لا إلى إيجاد الدعوة ؛ لأن ذلك حاصل ، أي لا يصرفك إعراض المشركين عن إعادة دعوتهم أعدارا لهم .
(تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور 21 / 196)

قال ابن جرير : وهو ما أنزله عليه من الكتاب والسنة (وَالْمُوعِظَةُ الْحَسَنَةُ) أي : بما فيه من الزواجر والوقائع بالناس ذكرهم بها ؛ ليحذروا بأس الله تعالى . (تفسير ابن كثير 4 / 613)

(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ) بالقرآن (وَالْمُوعِظَةُ الْحَسَنَةُ) يعني مواعظ القرآن .
(تفسير البغوي 5 / 53)

عن أبي جعفر الباقر قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير . ثم قال : الخير اتباع القرآن وسنتي . (تفسير الدر المنثور 3 / 177)

عن ابن عباس قوله (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) " البر " ما أمرت به و " التقوى " ما نهيت عنه . (تفسير الطبري 9 / 491)

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : ولتكن منكم . أيها المؤمنون " أمة " يقول : جماعة " يدعون " الناس إلى الخير يعني إلى الإسلام وشرائعها التي شرعها الله لعباده " ويأمرون بالمعروف . يقول : يأمرون الناس باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ودينه الذي جاء به من عند الله " وينهون عن المنكر " : يعني وينهون عن الكفر بالله والتكذيب بمحمد وبما جاء به من عند الله ، بجهادهم بالأيدي والجوارح ، حتى ينقادوا لكم بالطاعة . وقوله : وأولئك هم المفلحون يعني : المنجحون عند الله الباقون في جناته ونعيمه . (تفسير الطبري 7 / 91)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال طلحة بن عبيد الله : إن أقل العيب على المرء أن يجلس في داره . (تاريخ دمشق 25 / 105)

عن معمر قال تلا الحسن : (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) قال : هذا حبيب الله هذا ولي الله هذا صفوة الله هذا خيرة الله هذا أحب الخلق إلى الله أجاب الله في دعوته ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته وعمل صالحا في إجابته وقال : إنني من المسلمين فهذا خليفة الله . (تفسير بن كثير 7 / 180 - 181)

وقال أيضا : فمقام الدعوة إلى الله أفضل مقامات العبد . (مفتاح دارالسعادة)

قال عمر بن عبد العزيز : ما طواعني الناس على ما أردت من الحق حتى بسطت لهم من الدنيا شيئا . (حلية الأولياء 5 / 290)

وجاء عن عبد القادر الجيلاني أنه قال : أتمنى أن أكون في الصحاري والبراري كما كنت في الأول لا أرى الخلق ولا يروني ثم قال : أراد الله مني منفعة الخلق فقد أسلم على يدي أكثر من خمسمائة وتاب على يدي أكثر من مائة ألف . قد يكون في هذا مبالغة . وهذا خير كثير وترد على الأثقال يعني المصائب والهموم التي لو وضعت على الجبال تفسخت فأضع جنبي على الأرض و أقول : (فإن مع العسر يسرا * إن مع العسر يسرا) (الشرح 5 - 6) ثم أرفع رأسي وقد انفرجت عني . (سير أعلام النبلاء 15 / 184)

وقال : إذا ولد لي ولد أخذته على يدي ، و أقول : هذا ميت فأخرجه من قلبي فإذا مات لم يؤثر عندي موته شيئا . (سير أعلام النبلاء 15 / 184)

قال الشيخ عبد القادر الجيلاني : سبحان من ألقى في قلبي نصح الخلق وجعله أكبر همي . ثم يقول : إذا رأيت وجه مريد صادق قد أفلح على يدي : شبعت وارتويت واكتسيت وفرحت كيف خرج مثله من تحت يدي . (الفتح الرباني والفيض الرحماني ص 41)

قال ابن الجوزي : الزهاد - يعني المعتزلين - في مقام الخفافيش قد دفنوا أنفسهم بالعزلة عن نفع الناس وهي حالة حسنة إذا لم تمنع من خير من جماعة واتباع جنازة وعبادة مريض إلا أنها حالة الجبناء . فأما الشجعان فهم يتعلمون ويعلمون وهذه مقامات الأنبياء عليهم السلام . (صيد الخاطر 74 / 1)

قال ابن الجوزي : ألسنت تبغي القرب منه أي : من الله سبحانه وتعالى ؟ ! فاشتغل بدلالة عبادته عليه فهي حالات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، أما علمت أنهم أثروا تعليم الخلق على خلوات التعبد لعلمهم أن ذلك إثر عند حبيهم سبحانه وتعالى ؟ ! ثم قال : وهل كان شغل الأنبياء إلا معاناة الخلق وحثهم على الخير ونهيمهم عن الشر ؟ !! (صيد الخاطر 10 / 1)

عن عبد الله بن يوسف : أن أبا عبد رب كان يشتري الرقاب فيعتقهم ، فاشترى يوما عجوزا رومية فاعتقها فقالت : ما أدري أين أوي فبعث بها إلى منزله فلما انصرف من المسجد أتى بالعشاء فدعاها فأكلت ثم راطها فإذا هي أمة فسألها الإسلام فأبت فكان يبلغ من برها ما يبلغ فأتى يوما بعد صلاة العصر يوم الجمعة فأخبر أنها أسلمت فخر ساجدا حتى غابت الشمس .
(حلية الأولياء 5 / 160)

قال بشر بن الحارث الحافي رحمه الله : يعدد ثلاث خصال امتازها الإمام أحمد بن حنبل وفضل بها عليه وقصر هو عنها أحدها : أنه نصب إماما للعامة . (إحياء علوم الدين)

عن سفيان الثوري أنه قال : إذا أمرت بالمعروف شددت ظهر المؤمن وإذا نهيت عن المنكر أرغمت أنف المنافق . (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال 36)

ووصفوا الأوزاعي بأنه : كان رجل عامة ومثله المحدث الثقة الفقيه أبو إسحاق الفزاري وكذلك خالد بن عبد الله الواسطي أحد المحدثين الثقات من شيوخ البخاري ، كلهم وصفوا بأنهم كانوا : رجال عامه . (تهذيب التهذيب لابن حجر)

الإمام الغزالي رحمه الله يقول : اعلم أن كل قاعد في بيته أينما كان فليس خاليا في هذا الزمان عن منكر من حيث التقاعد عن إرشاد الناس وتعليمهم وحملهم على المعروف . (الإحياء 2 / 342)

عن أبي البخري قال : وددت أن الله تعالى يطاع وأنني عبد مملوك . (حلية الأولياء 4 / 380)

قال سفيان بن عيينه : ارفع الناس منزله عند الله من كان بين الله وبين عباده وهم الأنبياء والعلماء . (مفتاح دارالسعادة 1 / 119)

قال ابن القيم : وتبليغ سنته صلى الله عليه وسلم إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو لأن تبليغ السهام يفعله كثير من الناس وأما تبليغ السنن فلا يقوم به إلا ورثة الأنبياء وخلفائهم في أممهم جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه . (التفسير القيم 431)

وقال أيضا : مفتاح حصول الرحمة الإحسان في عبادة الخالق والسعي في نفع عبده .
(حادي الأرواح 66)

قَالَ الشَّافِعِيُّ : (جَوَاهِرُ الْأَدَبِ لِلْمُهَاشِمِيِّ 2 / 490 - بَنَصْرَفٍ)

مَا فِي الْمَقَامِ لِذِي عَقْلٍ وَذِي أَدَبٍ *** مِنْ رَاحَةِ فِدَعِ الْأَوْطَانِ وَإِعْتَرَبِ

وَأَنْصَبَ فَإِنَّ لَدَيْدَ الْعَيْشِ فِي النَّصَبِ	***	أُخْرِجَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَجِدَ عَوْضًا عَمَّنْ تُفَارِقُهُ
إِنْ سَاخَ طَابَ وَإِنْ لَمْ يَجْرِلَمْ يَطْبِ	***	إِنِّي رَأَيْتُ وَقُوفَ الْمَاءِ يُفْسِدُهُ
وَالسَّهْمُ لَوْلَا فِرَاقُ الْقَوْسِ لَمْ يُصِبْ	***	وَالْأَسَدُ لَوْلَا فِرَاقُ الْأَرْضِ مَا افْتَرَسَتْ
مَلَّهَا النَّاسُ مِنْ عُجْمٍ وَمِنْ عَرَبٍ	***	وَالشَّمْسُ لَوْ وَقَفَتْ فِي الْفُلْكِ دَائِمَةً
وَالْعَوْدُ فِي أَرْضِهِ نَوْعٌ مِنَ الْحَطَبِ	***	وَالْتِبْرُكَ الْتُرَابِ مُلْقَى فِي أَمَاكِنِهِ
وَإِنْ تَغَرَّبَ ذَاكَ عَزَّ كَالذَّهَبِ.	***	فَإِنْ تَغَرَّبَ هَذَا عَزَّ مَطْلَبُهُ

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

وفي غزوة أحد لما خرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى أحد وعرض أصحابه فرد من استصغر فرد سمرة بن جندب وأجاز رافع بن خديج لما قيل أنه رام (أي يجيد الرمي) وفي رواية أنه وقف على رؤوس أصابع رجله يتناول ، فقال سمرة بن جندب لربيبة مري بن سنان : يا أبت أجاز رسول الله (صلى الله عليه وسلم) رافع بن خديج وردني وأنا أصرع رافع بن خديج فقال مري بن سنان : يا رسول الله رددت ابني وأجزت رافع بن خديج و ابني يصرعه فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) لرافع وسمرة : تصارعا فصرع سمرة رافعا فأجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم فشاهدها مع المسلمين . (تاريخ الطبري 2 / 61)

في غزوة بدر يقول سعد بن أبي وقاص : رأيت أخي عمير قبل أن يعرضنا رسول الله يوم بدر يتوارى - أي : يختبئ في الجيش - ، فقلت : ما لك يا أخي ؟ ! قال : إني أخاف أن يراني رسول الله فيردني ، وأنا أحب الخروج لعل الله يرزقني الشهادة . يريد الشهادة ! ماذا يفعل بعض الأبناء اليوم في هذه السن ؟ قال سعد : فعرض عمير على رسول الله فرده لصغره ، فلما رده بكى فأجازه ، فكان سعد يقول : فكنت أعقد حمائل سيفه من صغره . (مستدرک الحاكم 3 / 150 ح رقم 4864 - طبقات بن سعد 3 / 150)

عن يزيد بن الأصم : أن رجلا كان ذا بأس وكان يوفد إلى عمر لباسه وكان من أهل الشام وأن عمر فقده فسأل عنه فقيل له : تتابع في هذا الشراب فدعا كاتبه فقال : أكتب من عمر بن الخطاب إلى فلان سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير - ثم دعا وأمن من عنده ودعوا له أن يقبل الله بقلبه وأن يتوب عليه - فلما أتت الصحيفة الرجل جعل يقرأها ويقول : غافر الذنب قد وعدني الله أن يغفر لي

وقابل التوب شديد العقاب قد حذرني الله عقابه ذي الطول والطول : الخير الكثير لا إله إلا هو إليه المصير فلم يزل يرددها على نفسه ثم بكى ثم نزع فأحسن النزع فلما بلغ عمر أمره قال : هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أخوا لكم زل زلة فسددوه ووفقوه وادعوا الله أن يتوب عليه ولا تكونوا أعوانا للشيطان عليه . (حلية الأولياء 4 / 97 - 98)

عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : وقع في قلب أم شريك الإسلام فأسلمت وهي بمكة وهي إحدى نساء قريش ثم إحدى بني عامر بن لؤي وكانت تحت أبي العسكر الدوسي فأسلمت ثم جعلت تدخل على نساء قريش سرا فتدعوهن وترغبهن في الإسلام حتى ظهر أمرها لأهل مكة فأخذوها وقالوا : لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا ولكننا سنردك إليهم قالت : فحملوني على بعير ليس تحتي شيء موطأ ولا غيره ثم تركوني ثلاثا لا يطعمونني ولا يسقوني قالت : فما أتت على ثلاث حتى ما في الأرض شيء أسمعها قالت : فنزلوا منزلا وكانوا إذا نزلوا منزلا أوثقوني في الشمس واستظلوا هم منها وحبسوا عني الطعام والشراب فلا تزال تلك حالي حتى يرتحلوا قالت : فبينما هم قد نزلوا منزلا وأوثقوني في الشمس واستظلوا منها إذا أنا بأبرد شيء على صدري فتناولته فإذا هو دلو من ماء فشربت منه قليلا ثم نزع فرفع ثم عاد فتناولته فشربت منه ثم رفع ثم عاد أيضا فتناولته فشربت منه قليلا ثم رفع قالت فصنع به مرارا ثم تركت فشربت حتى رويت ثم أفضت سائرة على جسدي وثيابي فلما استيقظوا إذا هم بأثر الماء ورأوني حسنة الهيئة قالوا لي : أتحللت فأخذت سقاءنا ، فشربت منه ؟ قلت : لا والله ما فعلت ولكنه كان من الأمر كذا وكذا قالوا : لئن كنت صادقة لدينك خير من ديننا فلما نظروا إلى أسقيتهم وجدوها كما تركوها فأسلموا عند ذلك وأقبلت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فوهبت نفسها له بغير مهر فقبلها ودخل عليها . (حلية الأولياء 2 / 66 - 67)

عن عروة بن الزبير : أن الأنصار لما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله وأيقنوا واطمأنت أنفسهم إلى دعوته فصدقوه وآمنوا به كانوا من أسباب الخير وواعدوه الموسم من العام القابل فرجعوا إلى قومهم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أبعث إلينا رجلا من قبلك فيدعو الناس إلى كتاب الله فإنه أدنى أن يتبع فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير - أخوا بني عبد الدار - فنزل بني غنم على أسعد بن زرارة يحدثهم ويقص عليهم القرآن فلم يزل مصعب عند سعد بن معاذ يدعو ويهدي الله على يديه حتى قل دار من دور الأنصار إلا أسلم فيها ناس لا محالة وأسلم أشرفهم وأسلم عمرو بن الجموح وكسرت أصنامهم ورجع مصعب بن عمير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يدعى : المقرئ . (حلية الأولياء 1 / 107)

عن عامر الشعبي : أن رجلا خرجوا من الكوفة نزلوا قريبا يتعبدون فبلغ ذلك عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فأتاهم ففرحوا بمجيئه إليهم . فقال لهم : ما حملكم على ما صنعتم ؟ قالوا : أحببنا

أن نخرج من غمار الناس نتعبد . فقال عبد الله بن مسعود : لو أن الناس فعلوا مثل ما فعلتم فمن كان يقاتل العدو؟ وما أنا ببارح حتى ترجعوا . (الزهد لابن المبارك 390)

قال ابن شهاب : كان هشام بن حكيم في نفر من أهل الشام يأمرون بالمعروف ويمنون عن المنكر ليس لأحد عليهم إمارة . قال مالك : كانوا يمشون في الأرض بالإصلاح والنصيحة يحتسبون قال : وسمعت مالكا يقول : كان هشام بن حكيم كالسائح لم يتخذ أهلا ولا ولدا . (الاستيعاب في معرفة الأصحاب 4 / 99)

الفضيل بن عياض بعث له ابن المبارك من طرسوس (مقره في جنوب تركيا) وبعد معركة من معاركه وقبل أن ينفذ عنه غبار المعركة أبياتا شعرية رائعة جدا تظل حجة لكل داعية من بعده يصفه فيها بأنه عابد لاعب بعبادته .

يَا عَابِدَ الْحَرَمَيْنِ لَوْ أَبْصَرْتَنَا	***	لَعَلِمْتَ أَنَّكَ فِي الْعِبَادَةِ تَلْعَبُ
مَنْ كَانَ يَخْضِبُ خَدَّهُ بِدُمُوعِهِ	***	فَنَحْوَرْنَا بِدِمَائِنَا تَتَخَضَّبُ
أَوْ كَانَ يُتَعَبُ خَيْلَهُ فِي بَاطِلٍ	***	فَخُيُولِنَا يَوْمَ الْكَرْهَةِ تُتْعَبُ
رِيحُ الْعَيْبِ لَكُمْ وَنَحْنُ عَيْبِرُنَا	***	رَهْجُ السَّنَابِكِ وَالْغُبَارِ الْأَطْيَبِ
وَلَقَدْ أَتَانَا عَنْ مَقَالِ نَبِينَا	***	قَوْلُ صَحِيحِ صَادِقٍ لَا يَكْذِبُ
لَا يَسْتَوِي غُبَارُ خَيْلِ اللَّهِ	***	فِي أَنْفِ امْرِئٍ وَدُخَانِ نَارٍ تُلْهَبُ
هَذَا كِتَابُ اللَّهِ يَنْطِقُ بَيْنَنَا	***	لَيْسَ الشَّهِيدُ بِمَيِّتٍ لَا يَكْذِبُ .

(الرَّهْجُ الْغُبَارُ . السَّنْبُكُ . طَرْفُ حَافِرِ الْفَرَسِ) (طَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ الْكُبْرَى 1 / 201)

عن السري بن مغلس السقطي أن لصا دخل بيت مالك بن دينار ، فما وجد شيئا ، فجاء ليخرج ، فناده مالك : سلام عليكم ، فقال : وعليكم السلام ، قال : ما حصل لكم شيء من الدنيا ، فترغب في شيء من الآخرة ، قال : نعم ، قال : توضأ من هذا المرنك وصل ركعتين ، واستغفر الله ، ففعل ، ثم قال : يا سيدي اجلس إلى الصبح ؟ قال : فلما خرج مالك إلى المسجد ، قال أصحابه : من هذا معك ؟ قال : جاء يسرقنا فسرقناه . (تاريخ الإسلام للذهبي 2 / 144)

21- باب التعاون على البر والتقوى

قَالَ اللهُ تَعَالَى : وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى [المائدة : 2] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ [العصر : 1-2] قَالَ الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ : كَلَاماً مَعْنَاهُ : إِنَّ النَّاسَ أَوْ أَكْثَرَهُمْ فِي غَفْلَةٍ عَنِ تَدْبِيرِ هَذِهِ السُّورَةِ .

177- عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ زَيْدِ بْنِ خَالِدِ الْجُبَيْيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ جَهَرَ غَازِيَاً فِي سَبِيلِ اللهِ فَقَدْ غَزَا وَمَنْ خَلَفَ غَازِيَاً فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا « متفقٌ عليه .

178- وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَعَثَ بَعْثًا إِلَى بَنِي لِحْيَانَ مِنْ هُدَيْلٍ فَقَالَ : « لِيَتَّبِعْتُ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا وَالْأَجْرُ بَيْنَهُمَا » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

179- وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقِيَ رُكْبًا بِالرُّوحَاءِ فَقَالَ : « مَنِ الْقَوْمُ ؟ » قَالُوا : الْمُسْلِمُونَ ، فَقَالُوا : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : «رَسُولُ اللهِ» فَرَفَعَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ صَبِيًّا فَقَالَتْ : أَلْهَذَا حَجٌّ ؟ قَالَ : « نَعَمْ وَلَكِ أَجْرٌ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ

180- وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « الْخَازِنُ الْمُسْلِمُ الْأَمِينُ الَّذِي يُنْفِقُ مَا أَمْرِي بِهِ ، فَيُعْطِيهِ كَامِلًا مَوْفَرًا ، طَيِّبَةً بِهِ نَفْسُهُ فَيَدْفَعُهُ إِلَى الَّذِي أَمْرُهُ بِهِ أَحَدُ الْمُتَصَدِّقِينَ » متفقٌ عليه

وَفِي رِوَايَةٍ : « الَّذِي يُعْطِي مَا أَمْرِي بِهِ » وَضَبَطُوا « الْمُتَصَدِّقِينَ » بِفَتْحِ الْقَافِ مَعَ كَسْرِ النُّونِ عَلَى التَّثْنِيَةِ ، وَعَكَّسَهُ عَلَى الْجَمْعِ وَكِلَاهُمَا صَحِيحٌ .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

عَنْ ثَابِتٍ عَنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَصْنِ (أَبِي مَدِينَةَ) ، قَالَ : كَانَ الرَّجُلَانِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا التَّقِيَا ، لَمْ يَتَفَرَّقَا إِلَّا عَلَى أَنْ يَقْرَأَ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ " سُورَةَ الْعَصْرِ " إِلَى آخِرِهَا ، ثُمَّ يَسْلَمُ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ . وَقَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : لَوْ تَدَبَّرَ النَّاسُ هَذِهِ السُّورَةَ ، لَوَسَعَتْهُمْ . (تَفْسِيرُ بِنِ كَثِيرٍ 8 / 480)

ذَكَرُوا أَنَّ عَمْرَوَ بْنَ الْعَاصِ وَفَدَّ عَلَى مَسِيلِمَةَ الْكُذَّابِ لَعْنَةُ اللهِ وَذَلِكَ بَعْدَ مَا بَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَبْلَ أَنْ يَسْلَمَ عَمْرُو فَقَالَ لَهُ مَسِيلِمَةُ : مَاذَا أَنْزَلَ عَلَى صَاحِبِكُمْ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ ؟ قَالَ لَقَدْ أَنْزَلَ عَلَيْهِ سُورَةٌ وَجِزَةٌ بَلِيغَةٌ . فَقَالَ : وَمَا هِيَ ؟ فَقَالَ (وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ

آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) ففكر مسيلمة هنيهة ثم قال : وقد أنزل على مثلها . فقال له عمرو : وما هو ؟ فقال : يا وبريا وبر ، إنما أنت أذنان وصدر ، وسائرَكَ حفز نقز . ثم قال : كيف ترى يا عمرو ؟ فقال له عمرو : والله إنك لتعلم أي أعلم أنك تكذب . (تفسير بن كثير 8 / 479)

عن قتادة في قوله : ! والعصر قال : ساعة من ساعات النهار وفي قوله : وتواصوا بالحق قال : كتاب الله وتواصوا بالصبر قال : طاعة الله . عن محمد بن كعب القرظي والعصر قال : قسم أقسم به ربنا وتبارك وتعالى أن الإنسان لفي خسر قال : الناس كلهم ثم استثنى فقال : إلا الذين آمنوا ثم لم يدعهم وذلك حتى قال : وعملوا الصالحات ثم لم يدعهم وذلك حتى قال : وتواصوا بالحق ثم لم يدعهم وذلك حتى قال : وتواصوا بالصبر يشترط عليهم . (تفسير الدر المنثور 15 / 643)

قال ابن كثير : يأمر تعالى عباده المؤمنين بالمعونة على فعل الخيرات ، وهو البر ، وترك المنكرات وهو التقوى ، وينهاهم عن التناصر على الباطل ، والتعاون على المآثم والمحارم . (تفسير بن كثير 2 / 12) يقول القرظي في تفسيره : (وتعاونوا على البر والتقوى) هو أمر لجميع الخلق بالتعاون على البر والتقوى ؛ أي ليعن بعضهم بعضا ، وتحاثوا على أمر الله تعالى واعملوا به ، وانتهوا عما نهى الله عنه وامتنعوا منه وهذا موافق لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : الدال على الخير كفاعله . (مجمع الزوائد 3 / 140)

وقال الماوردي : ندب الله سبحانه إلى التعاون بالبر وقرنه بالتقوى له لأن في التقوى رضا الله تعالى ، وفي البر رضا الناس ، ومن جمع بين رضا الله تعالى ورضا الناس فقد تمت سعاداته وعمت نعمته . (الجامع لأحكام القرآن 6 / 46 - 47)

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قال سفيان بن عيينه : (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) قال : هو أن تعمل به وتدعوا إليه وتعيين فيه وتدل عليه . (حلية الأولياء 7 / 284)

قال ابن القيم في قوله تعالى : (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى) اشتملت هذه الآية على جميع مصالح العباد في معاشهم ومعادهم فيما بينهم بعضهم بعضا وفيما بينهم وبين ربهم فإن كل عبد لا ينفك عن هاتين الحالتين وهذين الواجبين : واجب بينه وبين الله وواجب بينه وبين الخلق فأما ما بينه وبين الخلق من المعاشرة والمعاونة والصحبة فالواجب عليه فيما أن يكون اجتماعه بهم وصحبته لهم تعاوناً على مرضاة الله وطاعته التي هي غاية سعادة العبد وفلاحه ولاسعادة له إلا بها وهي البر

والتقوى اللذان هما جماع الدين كله . (زاد المهاجر 1 / 6 - 7)

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : عليك بإخوان الصدق فعش في أكنافهم ؛ فإنهم زين في الرخاء وعدة في البلاء . (الإخوان لابن أبي الدنيا ص 84 رقم 35)

قال عمر بن الخطاب : أخ الإخوان على قدر التقوى ولا تجعل بذله إلا عند من يشتهيهِ ولا تضع حاجتك إلا عند من يحب قضاؤها ولا تغبط الأحياء إلا بما تغبط الأموات وشاوري في أمر دينك الذين يخشون الله عزوجل . (كتاب الإخوان لابن أبي الدنيا رقم 47)

وقال أيضا : لقاء الإخوان جلاء الأحران . (أدب الدنيا والدين 161)

قال المغيرة بن شعبة : التارك للإخوان متروك . (أدب الدنيا والدين 186)

جاء عن أبي موسى الأشعري في خطبة خطبها في قوم : فانظروا رحمكم الله واعقلوا وأحكموا الصلاة واتقوا الله فيها وتعاونوا عليها وتناصحوا فيها بالتعليم من بعضكم لبعض والتذكير من بعضكم لبعض من الغفلة والنسيان فإن الله عزوجل قد أمركم أن تعاونوا على البر والتقوى والصلاة أفضل البر . (طبقات الحنابلة 1 / 3544)

قال ابن عمر : الجلاوة (أعوان الظلمة) والشرط كلاب النار يوم القيامة . (الكبائر للذهبي 112)

قال ابن المعتز : من اتخذ إخوانا ، كانوا له أعوانا . (أدب الدنيا والدين للماوردي 161)

قال يزيد بن الأسود : لقد أدركت أقواما من سلف هذه الأمة قد كان الرجل إذا وقع في هوي أو دجلة نادي يا لعباد الله فيتواثبون إليه فيستخرجونه ودابته مما هو فيه ولقد وقع رجل ذات يوم في دجلة فنادى يا لعباد الله فتواثب الناس إليه فما أدركت إلا مقاصدة في الطين فلأن أكون أدركت من متاعه شيئا فأخرجه من تلك الوحلة أحب إلي من دنياكم التي ترغبون فيها . (شعب الإيمان 6 / 107)

قال أبو حمزة الشيباني : لمن سأله عن الإخوان في الله من هم ؟ قال : هم العاملون بطاعة الله عز وجل المتعاونون على أمر الله عزوجل ، وإن تفرقت دورهم وأبدانهم . (الإخوان ص 99 رقم 49)

قال هياج بن عبيد : كان لرافع قدم في الزهد وإنما تفقه الشيخ أبو إسحاق وأبويعلی بن الفراء بمعاونة رافع لهما لأنه كان يحمل وينفق عليهما . (سير أعلام النبلاء 18 / 52)

عن سعيد بن عبد الرحمن الزبيدي ، قال : يعجبني من القراء كل سهل طلق مضحاك : فأما من

تلقاه ببشر ويلقاك بضرس ، يمن عليك بعمله فلا كثر الله في الناس أمثال هؤلاء .
(الإخوان لابن أبي الدنيا 196)

قال عطاء بن أبي رباح : تفقدوا إخوانكم بعد ثلاث فإن كانوا مرضى فعودوهم أو مشاغيل فأعينوهم ، أو كانوا نسوا فذكروهم . (إحياء علوم الدين 2 / 176)

قال رجل لداود الطائي : أوصني قال : أصحب أهل التقوى فإنهم أيسر أهل الدنيا عليك مؤنة ، وأكثرهم لك معونة . (الإخوان لابن أبي الدنيا ص 95 رقم 43)

قال أبو الحسن العامري : التعاون على البرداعية لاتفاق الآراء ، واتفاق الآراء مجلبة لإيجاد المراد ، مكسبة للوداد . (البصائر والذخائر لابن حيان التوحيدي 148 / 9)

قال أبو جعفر بن صهبان : أول المودة طلاقه الوجه والثانية التودد والثالثة قضاء حوائج الناس .
(الإخوان لابن أبي الدنيا 194)

قال الماوردي : تنقسم أحوال من دخل في عداد الإخوان أربعة أقسام : منهم من يعين ويستعين ، ومنهم من لا يعين ولا يستعين ، ومنهم من يستعين ولا يعين ، ومنهم من يعين ولا يستعين . فأما المعين والمستعين فهو معاوض منصف يؤدي ما عليه ويستوفي ماله ، فهو كالمقرض يسعف عند الحاجة ويسترد عند الاستغناء ، وهو مشكور في معونته ، ومعدور في استعانته ، فهذا أعدل الإخوان . وأما من لا يعين ولا يستعين فهو متروك قد منع خيره وقمع شره فهو لا صديق يرجى ، ولا عدو يخشى . وأما من يعين ولا يستعين فهو كريم الطبع ، مشكور الصنع وقد حاز فضيلتي الابتداء والاكتفاء فلا يرى ثقيلًا في نائبه ولا يقعد عن نهضة في معونة . فهذا أشرف الإخوان نفسا وأكرمهم طبعا فينبغي لمن أوجد له الزمان مثله وقل أن يكون له مثل لأنه البر الكريم والدر اليتيم . وأما من يستعين ولا يعين فهو لئيم ومهين مستذل قد قطع عنه الرغبة وبسط فيه الرهبة .
(أدب الدنيا والدين 171 - 173)

قال مالك بن دينار يوصي ختنه : يا مغيرة انظر كل أخ لك وصاحب لك وصديق لك لا تستفيد منه في دينك خيرا فانبذ عنك صحبتته ، فإنما ذلك لك عدو يا مغيرة : الناس أشكال : الحمام مع الحمام والغراب مع الغراب والصعو مع الصعو (طائرا فيه خير) وكل مع شكله . (مساويء الأخلاق 243)

روي أن أكثم بن صيفي دعا أولاده عند موته ، فاستدعى بضمامة من السهام ، وتقدم إلى كل واحد أن يكسرها ، فلم يقدر أحد على كسرها ، ثم بددها وتقدم إليهم أن يكسروها ، فاستهلوا كسرها ، فقال : كونوا مجتمعين ؛ ليعجز من ناوأكم عن كسركم كعجزكم . (صيد

(الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم 2 / 135)

ودعا يزيد بن المهلب ولده حبيبا ومن حضر من ولده ، ودعا بسهام ، فحزمت ، وقال : أفترونكم كاسرهما مجتمعة ؟ فقالوا : لا . قال : أفترونكم كاسرهما مفترقة ؟ قالوا : نعم ، قال : هكذا الجماعة . (صفحات مشرقة من حياة السابقين لنذير محمد كتيبي 362)

قال الإمام أحمد : إذا اشترى الرجل من رجل شيئا وهو يعلم أنه سرقه فقد شاركه . (مسائل الإمام أحمد - رواية البغوي 681)

قَالَ عُدِيُّ بْنُ زَيْدٍ : (أَدَبُ الْدُّنْيَا وَالِدَيْنِ 166)

عَنْ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلُ وَسَلَّ عَنْ قَرِينِهِ **** فَكَلَّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يَقْتَدِي

إِذَا كُنْتُ فِي قَوْمٍ فَصَاحِبِ خِيَارِهِمْ **** وَلَا تَصْحَبُ الْأَزْدَ فَتَرْدَى مَعَ الرَّدَى .

قَالَ الشَّاعِرُ : (صَبِيْدُ الْأَفْكَارِ فِي الْأَدَبِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْحُكْمِ 303)

لَوْلَا التَّعَاوُنُ بَيْنَ النَّاسِ مَا شَرَفَتْ **** نَفْسٌ وَلَا إِزْدَهَرَتْ أَرْضٌ بِعُمْرَانَ

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

وكان الحسن بن صالح وأخوه علي وأمهما يتعاونون على العبادة بالليل وبالنهار قياما وصياما فلما ماتت أمهما تعاونوا على القيام والصيام عنهما وعن أمهما فلما مات علي قام الحسن عن نفسه وعنهما وكان يقال للحسن حية الوادي يعني لا ينام بالليل . (حلية الأولياء 7 / 328)

في قصة سلمان رضي الله عنه عندما كاتب سيده وكان فقيرا لا يملك ما كاتب عليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم للصحابه : أعيونا أحاكم فأعانوه حتى تحرر من رقة وأصبح حرا . (مسند أحمد 5 / 441)

يقول أنس بن مالك في حفر الخندق : جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة وينقلون التراب على متونهم ويقولون : نحن الذين بايعوا محمدا . . على الإسلام ما بقينا أبدا . والنبي صلى الله عليه وسلم يجيهم ويقول : اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة . . فبارك في الأنصار والمهاجرة . (رواه البخاري 2835)

22- باب النصيحة

قَالَ تَعَالَى : إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ [الحجرات : 10] ، وَقَالَ تَعَالَى : إِخْبَارًا عَنْ نوحٍ : وَأَنْصَحْ لَكُمْ [الأعراف : 62] ، وَعَنْ هود : وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ [الأعراف : 68]

وأما الأحاديث:

181- فَأَلَوَّلُ : عَنْ أَبِي رُقَيْةَ تَمِيمِ بْنِ أَوْسِ الدَّارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « الدِّينُ النَّصِيحَةُ » قُلْنَا : لِمَنْ ؟ قَالَ « لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَنْتُمْ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ » رواه مُسْلِم .

182- الثَّانِي : عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى : إِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَالنَّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ . متفقٌ عليه .

183- الثَّلَاثُ : عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » متفقٌ عليه .

أَثَارُ الْوَارِدَةِ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

يقول - تعالى ذكره - لأهل الإيمان به (إنما المؤمنون إخوة) في الدين (فأصلحوا بين أحوالكم) إذا اقتتلا بأن تحملوهما على حكم الله وحكم رسوله . (تفسير الطبري 22 / 297)

عن الحارث الأعور أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه سئل وهو القدوة في قتال أهل البغي ، عن أهل الجمل وصفين : أمشركون هم ؟ فقال : لا من الشرك فروا ، فقليل : أمنافقون هم ؟ فقال : لا إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا قليل : فما حالهم ؟ قال : إخواننا بغوا علينا . (تفسير البغوي 7 / 342)

وأنصح لكم النصيح : إخلاص النية من شوائب الفساد في المعاملة ، بخلاف الغش . قال الأصمعي : الناصح الخالص من العسل وغيره . مثل الناصع . وكل شيء خلص فقد نصح . وانتصح فلان أقبل على النصيحة . يقال : انتصحني إنني لك ناصح . (تفسير القرطبي 7 / 211)

(أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين) ناصح أذعوكم إلى التوبة أمين على الرسالة . قال الكلبي : كنت فيكم قبل اليوم أمينا . (تفسير البغوي 3 / 243)

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قال عمر بن الخطاب : لأخير في قوم ليسوا بناصحين ولا خير في قوم لا يحبون الناصحين .
(رسالة المسترشدين للحارث المحاسبي 71)

قال علي لأبي سفيان : المؤمنون قوم نصحه بعضهم لبعض متوادون وإن بعدت ديارهم والمنافقون غششة بعضهم لبعض وإن قربت ديارهم . (الرياض النضرة في مناقب العشرة 1 / 190 رقم 501)

عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه ، قال : أتاه رجل ، فقال : يا أبا عبد الرحمن علمني كلمات ، جوامع ، نوافع ؛ فقال : أعبد الله ، ولا تشرك به شيئا ؛ وزل مع القرآن حيث زال ؛ ومن جاءك بالحق ؛ فاقبل منه ، وإن كان بعيدا بغيبضا ؛ ومن جاءك بالباطل ؛ فأردد عليه ، وإن كان حبيبا قريبا . (حلية الأولياء 1 / 134)

قال عمر بن عبد العزيز: من وصل أخاه بنصيحة له في دينه ونظر له في صلاح دنياه فقد أحسن صلته وأدى واجب حقه . (القناعة والعفاف لابن أبي الدنيا ص 64)

قال عمر بن عبد العزيز: لو أن المرء لا يعظ أخاه حتى يحكم أمر نفسه ويكمل الذي خلق له من عبادة ربه إذن لتواكل الناس الخير وإذن يرفع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقل الواعظون والساعون لله عز وجل بالنصيحة في الأرض . (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بن أبي الدنيا 107)

قال سفيان الثوري : قلت لمسعر بن كدام : تحب أن يهدي إليك عيوبك ؟ قال : أما من ناصح : فنعم وأما من موبخ فلا . (حلية الأولياء 7 / 217)

قال أحمد بن حنبل : ليس على المسلم نصح الذمي وعليه نصح المسلم .
(جامع العلوم والحكم 1 / 224)

قال الشافعي : من وعظ أخاه سرا : فقد نصحه وزانة ومن وعظه علانية فقد فضحه وخانه .
(حلية الأولياء 9 / 140)

قال الشافعي: ما ناظرت أحدا قط ، إلا على النصيحة . (حلية الأولياء 9 / 118)

قال الفضيل بن عياض : ما أدرك عندنا من أدرك بكثرة الصيام والصلاة وإنما أدرك عندنا فيحاء الأنفس وسلامة الصدور والنصح للأمة . (جامع العلوم والحكم 1 / 224)

قال الفضيل بن عياض : المؤمن يستروينصح والفاجر يهتك ويعير . (جامع العلوم والحكم 1 / 224)

قال الحسن البصري : ما زال ناس ينصحون لله في عبادة وينصحون العباد في حق الله عليهم ويعملون له في الأرض بالنصحية أولئك خلفاء الله الأرض . (بصائر ذوي التمييز 5 / 67 - 68)

قال الحسن : أنك لن تبلغ حق نصيحتك لأخيك حتى تأمره بما تعجز عنه .
(جامع العلوم والحكم 1 / 224)

قال الحسن البصري : المؤمن شعبة من المؤمن وهو مرآة أخيه ؛ إن رأى منه ما لا يعجبه سدده وقومه ونصحه بالسرو والعلانية . (الزهد لابن المبارك 662)

وسئل ابن المبارك أي الأعمال أفضل ؟ قال : النصح لله ، قيل : فالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ؟ ، قال : جهده إذا نصح أن لا يأمر ولا ينهى . (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بن أبي الدنيا 107)

قال ابن مهدي : ما رأيت عينا أفضل من أربعة : ما رأيت أحفظ للحديث من الثوري ، ولا أشد تقشفا من شعبة ، ولا أعقل من مالك ، ولا أنصح للأمة من ابن المبارك . (السير 6 / 214)

عن وهب بن منبه : قال رجل لراهب : فأوصني ، فإني أراك حكيما ، قال : ازهد في الدنيا ، ولا تنازع أهلها فيها ، وكن فيها كالنحلة ، إذا اختلفا ، اختلفا طيبا ، وإن وضعت ، وضعت طيبا ، وإن رفعت على عود ، لم تكسره ؛ وانصح لله نصح الكلب لأهله : يجيعونه ، ويطرده ، ويضربونه ، ويأبى إلا أن ينصح لهم ؛ قال : فكان وهب بن منبه إذا ذكر هذا الحديث ، قال : سوأتاه ، إذا كان الكلب أنصح لأهله منك لله . (حلية الأولياء 4 / 28)

عن زهير بن عبد الرحمن عن يزيد بن ميسرة وكان قد قرأ الكتب - قال : إن الله تعالى أوحى فيما أوحى إلى موسى بن عمران عليه السلام : إن أحب عبادي إلى : الذين يمشون في الأرض بالنصيحة ، والذين يمشون على أقدامهم إلى الجمعات ، والمستغفرون بالأسحار ؛ أولئك الذين إذا أردت أن أصيب أهل الأرض بعذاب ورأيهم : كففت عنهم عذابي ؛ وإن أبغض عبادي إلى : الذي يقتدي بسينة المؤمن ، ولا يقتدي بحسنته . (حلية الأولياء 5 / 237)

قال مرة بن شرحبيل : سئل سلمان بن ربيعة عن فريضة فخالفه عمرو بن شرحبيل فغضب سلمان بن ربيعة ، ورفع صوته ؛ فقال عمرو بن شرحبيل : والله لكذلك أنزلها الله تعالى فأتيا أبا موسى الأشعري فقال : القول ما قال أبو ميسرة وقال لسلمان : ما كان ينبغي لك أن تغضب إن أرشدك رجل وقال لعمرو : قد كان ينبغي لك أن تساوره . يعني : تساره . ولا ترد عليه والناس يسمعون . (حلية الأولياء 4 / 142 - 143)

عن جعفر بن برقان قال : قال لي ميمون بن مهران : يا جعفر ، قل لي في وجهي ما أكره : فإن الرجل لا ينصح أخاه ، حتى يقول له في وجهه ما يكره . (حلية الأولياء 4 / 86)

قال أبي عبد الله الرازي : قال لي سفيان بن عيينة : يا أبا عبد الله عليك بالنصح لله في خلقه فلن تلقاه بعمل أفضل منه ألا ، لا تأنس بمراد هؤلاء فلو نادى مناد من السماء : إن الناس كلهم يدخلون الجنة وأنا وحدي أدخل النار ؛ لكنك بذلك راضيا . (حلية الأولياء 7 / 178)

قال سهل بن عبد الله : أركان الدين أربعة : الصدق واليقين والرضا والحب فعلامة الصدق : الصبر وعلامة اليقين : النصيحة وعلامة الرضا : ترك الخلاف ؛ وعلامة الإيثار والصبر يشهد للصدق . (حلية الأولياء 10 / 191 - 192)

قال فرقد السبخي : أحب الناس إلى الله من يحببون الخلق إلى الخالق ، ويمشون بين عباده بالنصائح ويخافون عليهم أعمالهم ويوم تبذو الفضائح ، أولئك أولياء الله وأحباؤه وأهل صفوته ، أولئك الذين لا راحة لهم دون لقائه . (جامع العلوم والحكم) قال معمر : كان يقال أنصح الناس لك من خاف الله فيك . وكان السلف إذا اسدو نصيحة أحد وعظوه سرا حتى يقال بعضهم من وعظ أخاه فيما بينه وبينه فهي نصيحة ومن وعظه على رأس الناس فهي فضيحة . (جامع العلوم والحكم 1/224)

وقال عبد العزيز بن أبي رواد : كان من كان قبلكم إذا رأى الرجل من أخيه شيئا ، يأمره في رفق ، فيؤجر في أمره ونهيه ، وإن أحد هؤلاء يخرق بصاحبه ، فيستغضب أخاه ويمتد ستره . (جامع العلوم والحكم 1 / 224)

قال يحيى بن معين : ما رأيت رجلا على خطأ إلا سترته وأحببت أن ازين أمره وما أستقبلت رجلا في وجهه بأمر يكرهه ولكن أئين له خطاه فيما بيني وبينه فإن مثل ذلك وإلا تركته . (السير 11 / 83)

قال ميمون بن مهران : قل لي في وجهي ما أكره فإن الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له في وجهه ما يكره . (صفة الصفوة 2 / 360)

قال ابن حزم : ولا تنصح على شرط القبول منك فإن تعديت هذه الوجوه فأنت ظالم لا ناصح وطالب طاعة وملك لا مؤدي حق أمانة وأخوة وليس هذا حكم العقل ولا حكم الصداقة ، لكن حكم الأمير مع رعيته والسيد مع عبده . (الأخلاق والسير 44)

ويقول : فإن خشنت كلامك في النصيحة فذلك إغراء وتنفير وقد قال الله تعالى (فقولوا له قولا لينا)

(طه 44) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا) .
(متفق عليه) . (الأخلاق والسير 44)

قال بلال بن سعد : بلغني أن المسلم مرآة أخيه ، فهل تستريب من أمري شيئا . (الحلية 5 / 225)

قال ابن عبد البر : محض أخاك النصيحة وإن كانت عنده فضيحة . (بصائر ذوي التمييز 3 / 605)

قال أبو حاتم ألبستي : الواجب على العاقل لزوم النصيحة للمسلمين كافة ، وترك الخيانة لهم بالإضمار والقول والفعل معا ؛ إذ إن المصطفى صلى الله عليه وسلم كان يشترط على من بايعه من أصحابه . (روضة العقلاء 1 / 194)

وقال أيضا : النصيحة تجب على الناس كافة ولكن إبداءها لا يجب إلا سرا لأن من وعظ أخاه علانية فقد شأنه ومن وعظه سرا فقد زانه وأخيرا طوبى لعبد نصح أخاه بحكمة ودعا إلى سبيل ربه بالموعظة الحسنة وتخلق بالأخلاق والآداب الجميلة الذي إذا رأى من أخيه خيرا نشره ، وإن أطلع على عيب كتمه وستره . (روضة العقلاء 1 / 196)

وقال أيضا : خير الإخوان أشدهم مبالغة في النصيحة ، كما أن خير الأعمال أحمدها عاقبة وأحسنها إخلاصا ، وضرب الناصح خير من تحية الشاني . (روضة العقلاء 194)

قال الأصمعي : (مجمع الحكم والأمثال لأحمد قبش ص 510)

النُّصْحُ أَرْخَصُ مَا بَاعَ الرَّجَالُ *** فَلَا تَرُدُّدُ عَلَى نَاصِحٍ نَصْحًا وَلَا تَلْمُ

إِنَّ النَّصَائِحَ لَا تَخْفَى مَنَاهِجُهَا *** عَلَى الرَّجَالِ ذَوِي الْأَلْبَابِ وَالْفَهْمِ

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ السَّابُورِيُّ : (مُجَمَّعُ الْحُكْمِ وَالْأَمْثَالِ لِأَحْمَدَ قَبَشَ 514)

مَنْ كَانَ ذَا نَصِيحَةٍ نَهَاكَ *** وَمَنْ يَكُنْ ذَا بُغْضِهِ أَغْرَاكَ

وقال أبو الأسود الدؤلي : (ديوان أبي الأسود الدؤلي ص 45)

فَمَا كُلُّ ذِي نَصْحٍ بِمُؤْتِكِ نَصْحَهُ *** وَلَا كُلُّ مُؤْتٍ نَصْحَهُ بَلْبِيبِ

وَلَكِنْ إِذَا مَا اسْتَجْمَعَا عِنْدَ وَاحِدٍ *** فَحَقُّ لَهُ مِنْ طَاعَةٍ بِنَصِيبِ

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

عن ابن حرملة مولى أسامة بن زيد أن الحجاج بن أيمن ابن أم أيمن - وكان أيمن أبا أسامة لأمه

وهو رجل من الأنصار- فدخل الحجاج فصلى صلاة لا يتم ركوعه ولا سجوده فرآه ابن عمر فدعاه حين فرغ فقال : يا ابن أخي أتحسب أنك صليت ؟ إنك لم تصل فعد لصلاتك .
(المعجم الكبير للطبراني 25 / 90)

دخل أبو مسلم الخولاني على معاوية بن أبي سفيان وقال : السلام عليك أيها الأجير فقال الناس : الأمير يا أبا مسلم ثم قال : السلام عليك أيها الأجير ؛ فقال الناس : الأمير ؛ فقال معاوية : دعوا أبا مسلم ، هو أعلم بما يقول ؛ قال أبو مسلم : إنما مثلك : مثل رجل استأجر أجيرا ، فولاه ماشيته ، وجعل له الأجر على أن يحسن الرعية ، ويوف جزاها وألبانها ؛ فإن هو أحسن رعيته ، ووفر جزاها ، حتى تلحق الصغيرة ، وتسمن العجفاء : أعطاه أجره ، وزاد من قبله زيادة ؛ وإن هو لم يحسن رعيته ، وأضاعها ، حتى تهلك العجفاء ، وتعجف السمينة ولم يوفر جزاها وألبانها : غضب عليه صاحب الأجر ، فعاقبه ، ولم يعطه الأجر . (حلية الأولياء 2 / 125)

عن حمدون ابن أبي الطوسي قال : سمعت عبد الله بن المبارك يقول : قدمت الشام على الأوزاعي ، فرأيت به بيروت ، فقال لي : يا خراساني ؛ من هذا المبتدع الذي خرج بالكوفة يكنى أبا حنيفة ؟ قال : فرجعت إلى بيتي ، فأقبلت على كتب أبي حنيفة ، فأخرجت منها مسائل من جياذ المسائل ، وبقيت في ذلك ثلاثة أيام ، فجئت يوم الثالث وهو مؤذن مسجدهم وإمامهم - يعني الأوزاعي - والكتاب في يدي ، فقال : أي شيء هذا الكتاب ؟ فتناولته ، فنظر في مسألة منها وقعت عليها : قال النعمان . فما زال قائما بعدما إذن حتى قرأ صدرا من الكتاب ، ثم وضع الكتاب في كفه ، ثم أقام وصلى ، ثم أخرج الكتاب حتى أتى عليها ، فقال لي : يا خراساني ؛ من النعمان بن ثابت هذا ؟ قلت : شيخ لقيته بالعراق . فقال : هذا نبيل من المشايخ . اذهب فاستكثر منه . قلت : هذا أبو حنيفة الذي نهيت عنه . (تاريخ بغداد 13 / 338)

عن علي بن زيد بن جدعان قال : قيل لسعيد بن المسيب : ما شأن الحجاج لا يبعث إليك ولا يهيجك ولا يؤذيك ؟ قال : والله ما أدري غير أنه صلى ذات يوم مع أبيه صلاة فجعل لا يتم ركوعها ولا سجودها فأخذت كفا من حصباء فحصبته بها قال الحجاج : فما زلت أحسن الصلاة .
(حلية الأولياء 2 / 165)

عن هارون بن عبد الله الحمال قال : جاءني أحمد بن حنبل بالليل فدق علي الباب ، فقلت : من هذا ؟ فقال : أنا أحمد ، فبادرت أن خرجت إليه ، فمساني ومسيته ، قلت : حاجة يا أبا عبد الله ؟ قال : نعم ، شغلت اليوم قلبي ، قلت : بماذا يا أبا عبد الله ؟ قال : جزت عليك اليوم وأنت قاعد تحدث الناس في الفياء ، والناس في الشمس بأيديهم الأقلام والدفاتر ، لا تفعل مرة أخرى ، إذا

قعدت فاقعد مع الناس . (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع 1 / 411)

عن علقمة بن مرثد قال : لما ولي عمر بن هبيرة العراق : أرسل إلى الحسن وإلى الشعبي فأمر لهما ببيت وكانا فيه شهرا ، أو نحوه ثم إن الخصى غدا عليهما ذات يوم ، فقال : إن الأمير داخل عليكما فجاء عمر يتوكأ على عصا له فسلم ، ثم جلس معظما لها فقال : إن أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك ينفذ كتباً أعرف أن في إنفاذها الهلكة فإن أطعته : عصيت الله ، وإن عصيته : أطعت الله عز وجل ؛ فهل تريد لي في متابعتي إياه فرجا ؟ قال الحسن : يا أبا عمرو ، أجب الأمير ؛ فتكلم الشعبي ، فانحط في حبل ابن هبيرة ؛ فقال : ما تقول أنت يا أبا سعيد ؟ فقال : أيها الأمير ، قد قال الشعبي ما قد سمعت ؛ قال : ما تقول أنت يا أبا سعيد ؟ فقال : أقول : يا عمر بن هبيرة ، يوشك أن ينزل بك ملك من ملائكة الله تعالى ، فظ غليظ ، لا يعصي الله ما أمره ؛ فيخرجك من سعة قصرك ، إلى ضيق قبرك ؛ يا عمر بن هبيرة : إن تتق الله : يعصمك من يزيد بن عبد الملك ، ولا يعصمك يزيد بن عبد الملك من الله عز وجل ؛ يا عمر بن هبيرة : لا تؤمن أن ينظر الله إليك على أقبح ما تعمل في طاعة يزيد بن عبد الملك نظرة مقت ، فيغلق بها باب المغفرة دونك ؛ يا عمر بن هبيرة : لقد أدركت ناسا من صدر هذه الأمة ، كانوا والله ، على الدنيا وهي مقبلة أشد إديارا ، من إقبالكم عليها وهي مدبرة ؛ يا عمر بن هبيرة : إني أخوفك مقاما خوفك الله تعالى ، فقال : (ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد) (إبراهيم 14) يا عمر بن هبيرة : إن تك مع الله تعالى في طاعته ، كفاك بائقة يزيد بن عبد الملك ؛ وأن تك مع يزيد بن عبد الملك على معاصي الله ، وكلك الله إليه ؛ قال : فبكى عمر ، وقام بعبرته ؛ فلما كان من الغد : أرسل إليهما بإذنهما وجوازهما ، وكثر منه ما للحسن ، وكان في جائزته للشعبي بعض الإقتار ؛ فخرج الشعبي إلى المسجد ، فقال : يا أيها الناس ، من استطاع منكم أن يؤثر الله تعالى على خلقه فليفعل ؛ فوالذي نفسي بيده : ما علم الحسن منه شيئا فجبهته ، ولكن أردت وجه ابن هبيرة ، فأقصاني الله منه . (حلية الأولياء 149 - 150 / 2)

23- باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قَالَ اللهُ تَعَالَى : وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [آل عمران : 104] ، وَقَالَ تَعَالَى : كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ [آل عمران : 110] ، وَقَالَ تَعَالَى : خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ [الأعراف : 199] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ [التوبة : 71] وَقَالَ تَعَالَى : لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ

مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ [المائدة : 78] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ [الكهف : 29] ، وَقَالَ تَعَالَى : فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ [الحجر : 94] ، وَقَالَ تَعَالَى : فَانْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ بَيْسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ [الأعراف : 165] وَالآيَاتُ فِي الْبَابِ كَثِيرَةٌ مَعْلُومَةٌ وَأَمَّا الْأَحَادِيثُ

184- فالأولُ : عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ رضي الله عنه قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ » رواه مسلم

185- الثاني : عن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ ، ثُمَّ إِتْمَا تَخَلَّفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ الْإِيمَانِ حَبَّةٌ خَرْدَلٍ » رواه مسلم .

186- الثالثُ : عن أبي الوليدِ عُبادةَ بنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه قال : « بايعنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ وَالْمُنْشَطِ وَالْمَكْرِهِ ، وَعَلَى أَثَرَةِ عَلَيْنَا ، وَعَلَى أَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ بُرْهَانٌ ، وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ أَيُّمَا كُنَّا لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً » متفقٌ عليه .

« الْمُنْشَطِ وَالْمَكْرِهِ » يَفْتَحُ مِيمَهُمَا : أَيُّ : فِي السَّهْلِ وَالصَّعْبِ . « وَالْأَثَرَةُ : الْاِخْتِصَاصُ بِالْمُشْتَرَكِ ، وَقَدْ سَبَقَ بَيَانُهَا . « بَوَاحًا » يَفْتَحُ الْبَاءُ الْمُوَحَّدَةَ بَعْدَهَا وَأَوْثَمُ أَلْفٌ ثُمَّ حَاءٌ مُهْمَلَةٌ أَيُّ ظَاهِرًا لَا يَحْتَمِلُ تَأْوِيلًا .

187- الرَّابِعُ : عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَثَلُ الْقَائِمِ فِي حُدُودِ اللَّهِ ، وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَصَارَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا وَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقْفُوا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا : لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا ، فَإِنْ تَرَكَوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا ، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا » . رواه البخاري .

الْقَائِمُ فِي حُدُودِ اللَّهِ تَعَالَى « مَعْنَاهُ : الْمُتَكِرُّ لَهَا الْقَائِمُ فِي دَفْعِهَا وَإِزَالَتِهَا وَالْمُرَادُ بِالْحُدُودِ : مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ : « اسْتَهَمُوا » : اقْتَرَعُوا .

188- الخَامِسُ : عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ سَلَمَةَ هِنْدِ بِنْتِ أَبِي أُمَيَّةَ حُدَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّهُ يُسْتَعْمَلُ عَلَيْكُمْ أُمْرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ فَمِنْ كَرِهٍ فَقَدْ بَرِيءٌ وَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ سَلِمَ ، وَلَكِنْ مِنْ رَضِيٍّ وَتَابِعٍ » قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا نُقَاتِلُهُمْ ؟ قَالَ : « لَا ، مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ » رواه مسلم .

مَعْنَاهُ : مَنْ كَرِهَ بِقَلْبِهِ وَلَمْ يَسْتَطِعْ إنْكَاراً بِيَدِهِ وَلَا لِسَانٍ فَقَدْ بَرِيءٌ مِنَ الْإِثْمِ وَأَدَّى وَظَلَمْتَهُ ، وَمَنْ أَنْكَرَ بَحَسَبِ طَاقَتِهِ فَقَدْ سَلِمَ مِنْ هَذِهِ الْمَعْصِيَةِ ، وَمَنْ رَضِيَ بِفِعْلِهِمْ وَتَابِعَهُمْ ، فَهُوَ الْعَاصِي .

189- السَّادِسُ : عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ الْحَكَمِ زَيْنَبِ بِنْتِ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَيْهَا فَرَعَاً يَقُولُ : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَيَلُّ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدِ اقْتَرَبَ ، فَتَحَّ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمٍ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجٍ مِثْلُ هَذِهِ » وَحَلَّقَ بِأَصْبُعِهِ الْإِهْجَامَ وَالَّتِي تَلِيهَا . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْهَلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ ؟ قَالَ : « نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ » متفقٌ عليه .

190- السَّابِعُ : عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطَّرِيقَاتِ » فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا بُدُّ ، نَتَحَدَّثُ فِيهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ » قَالُوا : وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « غَضُّ الْبَصَرِ ، وَكَفُّ الْأَذَى ، وَرَدُّ السَّلَامِ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ » متفقٌ عليه

191- الثَّامِنُ : عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى خَاتِماً مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِ رَجُلٍ ، فَتَزَعَهُ فَطَرَحَهُ وَقَالَ : « يَعْمَدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ ، « فَقِيلَ لِلرَّجُلِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : خُذْ خَاتِمَكَ ، انْتَفِعْ بِهِ . قَالَ : لَا وَاللَّهِ لَا أَخْذُهُ أَبَداً وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . رواه مسلم .

192- التَّاسِعُ : عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْحُسَيْنِيِّ الْبَصْرِيِّ أَنَّ عَائِدَةَ بِنَ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَخَلَ عَلَى عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ فَقَالَ : أَيُّ بَنِيٍّ ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِنَّ شَرَّ الرِّعَاءِ الْحَطْمَةُ » فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ . فَقَالَ لَهُ : اجْلِسْ فَإِنَّمَا أَنْتَ مِنْ نَخَالَةِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : وَهَلْ كَانَتْ لَهُمْ نَخَالَةٌ إِنَّمَا كَانَتْ النُّخَالَةُ بَعْدَهُمْ وَفِي غَيْرِهِمْ ، رواه مسلم

193- الْعَاشِرُ : عَنْ حُدَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَاباً مِنْهُ ، ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا

يُسْتَجَابُ لَكُمْ» رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

194- الحادي عشر: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةٌ عَدْلٌ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ» رواه أبو داود، والترمذي وقال: حديث حسن.

195- الثاني عشر: عن أبي عبد الله طارق بن شهاب البجلي الأحمسي رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم، وقد وضع رجله في العرزة: أي الجهاد أفضل؟ قال: «كَلِمَةٌ حَقٌّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ» رواه النسائي بإسناد صحيح. «العرزة» بعين مَعْجَمَةٍ مَفْتُوحَةٍ ثُمَّ رَاءٍ سَاكِنَةٍ ثُمَّ زَايٍ، وَهُوَ رَكَابٌ كَوْرٍ الْجَمَلِ إِذَا كَانَ مِنْ جِلْدٍ أَوْ خَشَبٍ، وَقِيلَ: لَا يَخْتَصُّ بِجِلْدٍ وَخَشَبٍ.

196- الثالث عشر: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ: يَا هَذَا اتَّقِ اللَّهَ وَدَعْ مَا تَصَنَعُ فَإِنَّهُ لَا يَجِلُّ لَكَ، ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْعَدُوِّ وَهُوَ عَلَى حَالِهِ، فَلَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكْبَلَهُ وَشَرِيْبَهُ وَقَعِيدَهُ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ» ثُمَّ قَالَ: { لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ، كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ } إِلَى قَوْلِهِ: { فَاسْأَلُوهُ } [المائدة: 78، 81] ثُمَّ قَالَ: « كَلًّا، وَاللَّهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَتَأْخُذَنَّ عَلَى يَدِ الظَّالِمِ، وَلَتَأْطِرَّنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا، وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا، أَوْ لَيَضْرِبَنَّ اللَّهُ بِقُلُوبِ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ، ثُمَّ لَيَلْعَنَنَّ كَمَا لَعَنَهُمْ » رواه أبو داود، والترمذي وقال: حديث حسن.

197- الرابع عشر: عن أبي بكر الصديق، رضي الله عنه. قال: يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَقْرءُونَ هَذِهِ الْآيَةَ: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ } [المائدة: 105] وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: « إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ » رواه أبو داود، والترمذي والنسائي بأسانيد صحيحة.

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

عن ابن عباس في قوله: كنتم خير أمة أخرجت للناس. قال: هم الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة. قال عمر بن الخطاب: لو شاء الله لقال: أنتم. فكنا كلنا ولكن قال: " كنتم " في خاصة أصحاب محمد ومن صنع مثل صنيعهم كانوا خير أمة أخرجت للناس. (تفسير الدر المنثور 3/ 725)

عن قتادة قال : ذكر لنا أن عمر بن الخطاب قرأ هذه الآية : كنتم خير أمة أخرجت للناس الآية . ثم قال : يا أيها الناس ، من سره أن يكون من تلكم الأمة فليؤد شرط الله منها . (الدر المنثور 3 / 726)

عن مجاهد في قوله : كنتم خير أمة أخرجت للناس يقول : على هذا الشرط : أن تأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر ، وتؤمنوا بالله . يقول : لمن أنتم بين ظهرانيه ، كقوله : ولقد اخترناهم على علم على العالمين . عن أبي هريرة في قوله : كنتم خير أمة أخرجت للناس . قال : خير الناس للناس ، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم ، حتى يدخلوا في الإسلام . عن ابن عباس : كنتم خير أمة أخرجت للناس قال : خير الناس للناس عن ابن عباس في قوله : كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف . يقول : تأمروهم أن يشهدوا أن لا إله إلا الله ، والإقرار بما أنزل الله ، ويقاثلونهم عليه ، ولا إله إلا الله هو أعظم المعروف ، وتتهونهم عن المنكر والمنكر هو التكذيب ، وهو أنكر المنكر عن أبي بن كعب قال : لم تكن أمة أكثر استجابة في الإسلام من هذه الأمة ، فمن ثم قال : كنتم خير أمة أخرجت للناس . (تفسير الدر المنثور 3 / 727)

عن عطية في الآية قال : خير الناس للناس ، شهدتم للنبيين الذين كفر بهم قومهم بالبلاغ . عن ابن عباس في قوله : كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف . يقول : تأمروهم أن يشهدوا أن لا إله إلا الله ، والإقرار بما أنزل الله ، ويقاثلونهم عليه ، ولا إله إلا الله هو أعظم المعروف ، وتتهونهم عن المنكر ، والمنكر هو التكذيب ، وهو أنكر المنكر . (تفسير الدر المنثور 3 / 728)

قال عبد الله بن الزبير : ما نزلت هذه الآية إلا في أخلاق الناس . خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وفي لفظ : أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأخذ العفو من أخلاق الناس . عن ابن عمر في قوله تعالى خذ العفو والأمر الله نبيه أن يأخذ العفو من أخلاق الناس . (الدر المنثور 6 / 709)

قال جابر : لما نزلت هذه الآية : خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين . قال النبي صلى الله عليه وسلم : يا جبريل ما تأويل هذه الآية ؟ قال : حتى أسأل ، فصعد ثم نزل فقال : يا محمد ، إن الله يأمرك أن تصفح عمن ظلمك وتعطي من حرمك ، وتصل من قطعك . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إلا أدلكم على أشرف أخلاق الدنيا والآخرة . قالوا : وما ذلك يا رسول الله ؟ قال : تعفو عمن ظلمك ، وتعطي من حرمك ، وتصل من قطعك . (تفسير الدر المنثور 6 / 708)

عن مجاهد في قوله : خذ العفو من أخلاق الناس وأعمالهم بغير تجسس وأمر بالعرف قال : بالمعروف . (تفسير الدر المنثور 6 / 709)

عن قتادة في قوله : خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين قال : خلق أمر الله به نبيه ودله

عليه . (تفسير الدر المنثور 6 / 710)

عن ابن عباس في قوله : خذ العفو قال : خذ الفضل أنفق الفضل وأمر بالعرف يقول : بالمعروف .
عن السدي قال : نزلت هذه الآية : خذ العفو فكان الرجل يمسك من ماله ما يكفيه ويتصدق
بالفضل فنسخها الله بالزكاة وأمر بالعرف قال : بالمعروف وأعرض عن الجاهلين قال : نزلت هذه
الآية قبل أن تفرض الصلاة والزكاة والقتال أمره الله بالكف ثم نسخها القتال وأنزل :
(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) الآية (الحج : 39) . (تفسير الدر المنثور 6 / 714)

قال ابن شوذب : كنا عند مكحول ومعنا سليمان بن موسى فجاء رجل واستطال على سليمان
وسليمان ساكت ، فجاء أخ لسليمان فرد عليه فقال مكحول : لقد ذل من لا سفيه له .
(تفسير الدر المنثور 6 / 712)

عن ابن عباس : والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض قال : إخوانهم في الله يتحابون بجلال الله
والولاية له . عن الضحاك في قوله : والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرهم بالمعروف
وينهون عن المنكر : يدعون إلى الإيمان بالله ورسوله والنفقات في سبيل الله وما كان من طاعة الله ،
وينهون عن المنكر ينهون عن الشرك والكفر ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة من فرائض
الله ، كتبها الله على المؤمنين . (تفسير الدر المنثور 7 / 433)

عن ابن عمر قال : إن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة ، وأهل المنكر في الدنيا أهل
المنكر في الآخرة ؛ إن الله ليبعث المعروف يوم القيامة في صورة الرجل المسافر ، فيأتي صاحبه إذا
انشق قبره فيمسح عن وجهه التراب ويقول : أبطريا ولي الله بأمان الله وكرامته ، لا يهولنك ما ترى
من أهوال يوم القيامة . فلا يزال يقول له احذر هذا ، واتق هذا . يسكن بذلك روعة حتى يجاوز به
الصراط ، فإذا جاوز به الصراط عدل ولي الله إلى منزلة في الجنة ، ثم يثني عنه المعروف فيتعلق به
فيقول : يا عبد الله ، من أنت ؟ خذلي الخلائق في أهوال القيامة غيرك ، فمن أنت ؟ فيقول له : أما
تعرفني ؟ فيقول : لا ، فيقول : أنا المعروف الذي عملته في الدنيا ، بعثني الله خلقا لأجازيك به يوم
القيامة . (تفسير الدر المنثور 7 / 435)

عن ابن عباس قوله : " لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم " قال :
لعنوا بكل لسان : لعنوا على عهد موسى في التوراة ، ولعنوا على عهد داود في الزبور ، ولعنوا على
عهد عيسى في الإنجيل ولعنوا على عهد محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن . (الطبري 10 / 489)
عن مجاهد : لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم . قال : لعنوا على

لسان داود فصاروا قرده ولعنوا على لسان عيسى فصاروا خنازير. (تفسير الطبري 10 / 490)

عن ابن عباس ، قوله : فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر يقول : من شاء الله له الإيمان آمن ، ومن شاء الله له الكفر كفر ، وهو قوله : وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين وليس هذا بإطلاق من الله الكفر لمن شاء ، والإيمان لمن أراد ، وإنما هو تهديد ووعيد . قال ابن زيد في قوله : فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وقولها عملوا ما شئتم . قال : هذا كله وعيد ليس مصانعة ولا مراشاة ولا تفويضا . (تفسير الطبري 18 / 10)

عن قتادة في قوله : وقل الحق من ربكم . قال : الحق هو القرآن . (تفسير الدر المنثور 9 / 529)

قال ابن عباس : فاصدع بما تؤمرأي : أمضه . وفي رواية : افعل ما تأمر . عن عبد الله بن مسعود : ما زال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا ، حتى نزلت : فاصدع بما تؤمر فخرج هو وأصحابه . (تفسير ابن كثير 4 / 522)

عن ابن زيد في قوله : فاصدع بما تؤمر قال : بالقرآن الذي أوحى إليه أن يبلغهم إياه . (تفسير الدر المنثور 8 / 657)

عن عكرمة قال : جئت ابن عباس يوما وهو يبكي ، وإذا المصحف في حجره فقلت : ما يبكيك يا ابن عباس ؟ فقال : هؤلاء الورقات ، وإذا هو في سورة الأعراف . قال : تعرف آيلة ؟ قلت : نعم ، قال : فإنه كان بها حي من يهود سيقت الحيتان إليهم يوم السبت ، ثم غاصت ، لا يقدرون عليها حتى يغوصوا عليها بعد كد ومؤنة شديدة ، وكانت تأتهم يوم السبت شرعا بيضا سمانا كأنها الماخض ، فكانوا كذلك برهة من الدهر ، ثم إن الشيطان أوحى إليهم فقال : إنما نهيتم عن أكلها يوم السبت فخذوها فيه ، وكلوها في غيره من الأيام ، فقالت ذلك طائفة منهم ، وقالت طائفة : بل نهيتم عن أكلها وأخذها وصيدها في يوم السبت . فعدت طائفة بأنفسها وأبنائها ونساءها ، واعتزلت طائفة ذات اليمين وتنحت ، واعتزلت طائفة ذات اليسار وسكتت ، فقال الأيمنون : ويلكم ، لا تتعرضوا لعقوبة الله . وقال الأيسرون : لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قال الأيمنون : معذرة إلى ربكم ولعلمهم يتقون إن ينتهوا فهو أحب إلينا ألا يصابوا ولا يهلكوا ، وإن لم ينتهوا فمعذرة إلى ربكم فمضوا على الخطيئة ، وقال الأيمنون : قد فعلتم يا أعداء الله ، والله لنبايننكم الليلة في مدينتكم ، والله ما أراكم تصبحون حتى يصبحكم الله بخسف أو قذف أو بعض ما عنده من العذاب . فلما أصبحوا ضربوا عليهم الباب ، ونادوا فلم يجابوا ، فوضعوا سلما وأعلوا سور المدينة رجلا فالتفت إليهم فقال : أي عباد الله ، قرده - والله - تعاوى ، لها أذنان ، ففتحوا فدخلوا عليهم ، فعرفت القردة أنسابها من الإنس ، ولا تعرف الإنس أنسابها من القردة ، فجعلت القردة

تأتي نسيبها من الإنس فتشم ثيابه وتبكي ، فيقول : ألم نهكم ؟ فتقول برأسها : أي نعم ، ثم قرأ ابن عباس : فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس قال : أليم وجيع ، قال : فأرى الذين نهوا قد نجوا ، ولا أرى الآخرين ذكروا ، ونحن نرى أشياء ننكرها ولا نقول فيها ، قلت : أي ، جعلني الله فداك ، ألا ترى أنهم قد كرهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا : لم تعظون قوما الله مهلكهم قال : فأمر بي فكسيت ثوبين غليظين . (تفسير الدر المنثور 6 / 634)

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قال على بن أبي طالب : أول ما تغلبون عليه في الجهاد . الجهاد بأيديكم ثم الجهاد بألسنتكم ثم الجهاد بقلوبكم فإذا لم يعرف القلب المعروف وينكر المنكر نكس فجعل أعلاه أسفله . (جامع العلوم والحكم 2 / 245)

قال ابن عباس : إذا أتيت سلطانا مهيبا تخاف أن يسطو عليك ، فقل : الله أكبر ، الله أعز من خلقه جميعا ، الله أعز مما أخاف وأحذر ، أعوذ بالله الذي لا إله إلا هو الممسك للسموات السبع أن تقع على الأرض إلا بإذنه ، من شر عبده فلان ، وجنده وأتباعه وأشياعه من الجن والإنس اللهم كن لي جارا من شرهم ، جل ثناؤك ، وعز جارك ، وتبارك اسمك ، ولا إله غيرك ؛ ثلاث مرات . (حلية الأولياء 1 / 322)

قال ابن عباس رضي الله عنهما : (أنجينا الذين ينهون عن السوء) (الأعراف 165) وليت شعري ما صنع الله بالذين لم ينهوا ؟ ! . (جامع البيان عن تأويل أي القرآن ، الطبري ص 110)

قال ابن عباس : سئل عن أمر السلطان بالمعروف ونهيه عن المنكر . فقال إن كنت فاعلا لابد فيما بينك وبينه . (شعب الإيمان للبيهقي 73 / 10)

قال ابن مسعود : تكلموا بالحق تعرفوا به ، واعملوا به تكونوا من أهله . (الأداب الشرعية 1 / 72)
 قيل لابن عمر رضي الله عنهما في بعض أوقات الفتن : لو تركت القول في هذه الأيام فلم تأمر ولم تنه ؟ فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا : (ليبلغ الشاهد الغائب) (ونحن شهدنا فيلزمنا أن نبلغكم ، وسيأتي زمان إذا قيل فيه الحق لم يقبل . (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية 2 / 357)

قال ابن مسعود : يذهب الصالحون ويبقى أهل الرب قالوا يا أبا عبد الرحمن ومن أهل الرب ؟ قال قوم لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر . (الزهد لابن المبارك حديث رقم 1489)

وسمع ابن مسعود رجلا يقول: هلك من لم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، فقال ابن مسعود : هلك من لم يعرف بقلبه المعروف والمنكر. (جامع العلوم والحكم 2 / 245)

عن خالد بن عبد الرحمن : أن أبا الطفيل حدثه : أنه سمع حذيفة يقول : يا أيها الناس ، ألا تسألوني ؟ فإن الناس كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر ، أفلا تسألون عن ميت الأحياء ؟ فقال : إن الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم فدعا الناس من الضلالة إلى الهدى ومن الكفر إلى الإيمان فاستجاب له من استجاب فحيا بالحق من كان ميتا ، ومات بالباطل من كان حيا : ثم ذهبت النبوة ، فكانت الخلافة على منهاج النبوة ، ثم يكون ملكا عضوضا فمن الناس من ينكر بقلبه ويده ولسانه والحق استكمل ومنهم من ينكر بقلبه ولسانه كافا يده وشعبه من الحق ترك ومنهم من ينكر بقلبه كافا يده ولسانه ، وشعبتين من الحق ترك ومنهم من لا ينكر بقلبه ولسانه فذلك ميت الأحياء . (حلية الأولياء 1 / 74 - 275)

عن حذيفة : أنه قيل له : في يوم واحد تركت بنو إسرائيل دينهم قال : لا ولكنهم كانوا إذا أمروا بشيء تركوه وإذا نهوا عن شيء ركبوه حتى انسلخوا من دينهم كما ينسلخ الرجل من قميصه . (حلية الأولياء 1 / 279)

قال حذيفة : ليأتين عليكم زمان خيركم فيه من لم يأمر بمعروف وينهى عن منكر . (الحلية 1 / 280) وقال حذيفة : لعن الله من ليس منا والله لتأمرن بالمعروف ولتتهنوا عن المنكر أو لتقتلن بينكم فليظهن شراركم على خياركم ، فليقتلنهم حتى لا يبقى أحد يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر ثم تدعون الله عز وجل فلا يجيبكم بمقتكم . (حلية الأولياء 1 / 279)

وقال : إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فيصير منافقا . وإني لأسمعها من أحدكم في المقعد الواحد أربع مرات . لتأمرن بالمعروف ، ولتتهنوا عن المنكر ، ولتتحاسن على الخير : أو ليسحتنكم الله بعذاب جميعا أو ليؤمرن عليكم شراركم ، ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم . (حلية الأولياء 1 / 279)

وقال حذيفة يأتي على الناس زمان لأن تكون فيهم جيفة حمار أحب إليهم من مؤمن يأمرهم وينهاهم وأوحى الله تعالى إلى يوشع بن نون عليه السلام إني مهلك من قومك أربعين ألفا من خيارهم وستين ألفا من شرارهم فقال يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار قال إنهم لم يغضبوا لغضبي وواكلوهم وشاربوهم . (إحياء علوم الدين 2 / 311)

وقال حذيفة : الإسلام ثمانية أسهم ، الصلاة سهم والزكاة سهم والجهاد سهم وصوم رمضان سهم

والأمر بالمعروف سهم والنهي عن المنكر سهم والإسلام سهمو قد خاب من لا سهم له .
(فتح الباري 1/24)

قال أبو الدرداء : لتأمرون بالمعروف ولتتهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم سلطان ظالما لا يجلب كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعوا عليه خياركم فلا يستجاب لهم وتستنصرون فلا تنصرون وتستغفرون فلا يغفر لكم . (إحياء علوم الدين 311/2)

قال مكحول : أتاه رجل فقال : يا أبا عبد الله قوله عز وجل : (عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) (المائدة 105) قال : يا ابن أخي لم يأت تأويل هذه بعد إذا هاب الواعظ وأنكر الموعوظ فعليك حينئذ نفسك لا يضرك من ضل إذا اهتديت يا أخي الآن نعظ ويسمع منا .
(حلية الأولياء 5/179)

دخل أعرابي على سليمان بن عبد الملك فقال : أنك قد اكتفيت رجالا ابتاعوا دنياك بدينهم فلا تأمنهم على ما ائتمنتك الله عليه فإنك مسئول عما اجترحوا فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فقال له سليمان : لقد سللت لسانك فقال : لك لا عليك . (الشفاء لابن الجوزي 89)

قال وهيب بن الورد : لقي رجل فقيه رجلا هو أفاقه منه ، فقال له : يرحمك الله ، ما الذي أعلن من عملي ؟ قال : يا عبد الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . (حلية الأولياء 8/155)

قال الحسن البصري : مروا بالمعروف وانها عن المنكر ، وإلا كنتم أنتم الموعظات .
(الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال 49)

وقال الحسن : لقد أدركت أقواما كانوا أؤمر الناس بالمعروف وأخذهم به ، وأنهى الناس عن منكر وأتركهم له ، ولقد بقينا في أقوام أؤمر الناس بالمعروف وأبعدهم منه ، وأنهى الناس عن المنكر وأوقعهم فيه ، فكيف الحياة مع هؤلاء . (حلية الأولياء 2/155)

وقال سفيان الثوري : لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا من كان فيه خصال ثلاث . رفيق بما يأمر ، رفيق بما ينهي ، عدل بما يأمر ، عدل بما ينهي ، عالم بما يأمر ، عالم بما ينهي .
(الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر 46)

وقال سفيان رحمه الله : إذا أمرت بالمعروف شددت ظهر المؤمن ، وإذا نهيت عن المنكر أرغمت أنف المنافق . (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال 46)

سئل أحمد بن حنبل عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كيف ينبغي أن يأمر؟ قال : يأمر بالرفق

والخضوع ثم قال : إن اسمعوه ما يكره لا يغضب ، فيكون يريد ينتصر لنفسه .
(الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر 50)

قال إسحاق بن راهويه : إنه سأل أبا عبد الله أحمد بن حنبل قال : قلت : رجل تكلم بكلام سوء يجب علي فيه أن أغيره في ذلك الوقت فلا أقدر على تغييره وليس لي أعوان يعينونني عليه . قال : إذا علم الله من قلبك أنك منكر لذلك فأرجو ألا يكون عليك شيء . (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر 50)

عن علي بن الحسين قال : التارك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كنا بذا كتاب الله وراء ظهره ، إلا أن يتقي تقاة قيل : وما تقاته ؟ قال يخاف جبارا عنيدا أن يفرض عليه أو أن يطغى . وقال علي بن الحسين : من كتم علما أحدا أو أخذ عليه أجرا رفدا ، فلا ينفعه أبدا . (حلية الأولياء 3 / 140)

عن الوليد بن شجاع بن الوليد قال : قال أبي : كنت أخرج مع سفیان الثوري ، فما يكاد لسانه يفتر عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ذاهبا وراجعا . (حلية الأولياء 7 / 13)

عن إبراهيم الحربي قال : من تعدون الغريب في زمانكم هذا ؟ فقال واحد منهم : الغريب من نأى عن وطنه ، وقال آخر : الغريب من فارق أحبائه ، وقال كل واحد منهم : شيئا ، فقال إبراهيم : الغريب في زماننا رجل صالح عاش بين قوم صالحين : إن أمر بالمعروف أزروه ، وإن نهى عن المنكر أعانوه ، وإن احتاج إلى سبب من الدنيا مانوه ، ثم ماتوا ، وتركوه . (تاريخ بغداد 6 / 36)

قال يحيى بن يمان : لقيني سفیان الثوري عند جبل بني فزاره ، فقال : أتدري من أين جئت ؟ قلت : لا قال : جئت دار الصيادلة نهيتهم عن بيع (الذاذي) (حب يوضع الرطل منه في فرق من الماء فيكون مسكرا) إني لأرى الشيء يجب على أن أمر فيه وأنهى عنه فلا أفعل ، فأبول دما . (حلية الأولياء 7 / 14 - 15)

قال أبو عبد الرحمن العمري الزاهد : إن من غفلتك عن نفسك إعراضك عن الله بأن ترى ما يسخطه فتجاوزه ولا تأمر ولا تنهى خوفا من المخلوق . من ترك الأمر بالمعروف خوف المخلوقين نزعت منه الهيبة فلو أمر ولده لاستخف به . (حلية الأولياء 8 / 284)

قال بشر الحافي : لا ينبغي أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من يصبر على الأذى . (حلية الأولياء 8 / 337)

عن كعب قال : الفردوس فيه الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر . (حلية الأولياء 5 / 380)

قال النووي : قال العلماء : لا يختص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأصحاب الولايات بل ذلك جائز لأحد المسلمين . (مسلم بشرح النووي 2 / 23)

قال القرطبي : قال العلماء . الأمر بالمعروف باليد على الأمراء وباللسان على العلماء وبالقلب على الضعفاء . (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 4 / 49)

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

قال جبير بن نفير : كنت في حلقة فيها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وإني لأصغر القوم فتذاكروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقلت : أليس الله يقول : (عليكم أنفسكم) (المائدة 105) فأقبلوا علي بلسان واحد فقالوا : تنزع آية من القرآن لا تعرفها ولا تدري ما تأويلها ؟ ! حتى تمنيت أني لم أكن تكلمت ، ثم أقبلوا يتحدثون ، فلما حضر قيامهم قالوا : إنك غلام حدث السن ، وإنك نزع آية لا تدري ما هي ، وعسى أن تدرك ذلك الزمان ؛ إذا رأيت شحا مطاعا ، وهوى متبعا وإعجاب كل ذي رأي برأيه ، فعليك بنفسك لا يضرك من ضل إذا اهتديت . (تفسير الطبري 9 / 46)

زين العابدين علي بن الحسين خرج من المسجد يوما ، فاعترضه رجل في طريقه فسبه ، فقام الناس إليه يريدون ضربه ، فقال : دعوه ، ثم أقبل عليه ، وقال : ما ستره الله عنك من عيوبنا أكثر ، ألك حاجة نعينك عليها ؟ فاستحيا الرجل ، فألقى عليه خميصة ، وأمر له بألف درهم ، فكان الرجل إذا رآه قال : " إنك من أولاد الأنبياء " . (البداية والنهاية جزء 9)

ومرة كان يتوضأ فصب عليه جارية له ماء حارا ففزع ، وغضب ، فقال له : والكاذمين الغيظ ، قال زين العابدين : كظمت غيظي ، قال : والعافين عن الناس قال : عفوت عنك ، قال : والله يجب المحسنين ، قال : اذهب فأنت حر لوجه الله . (البداية والنهاية لابن كثير جزء 9)

عن وهيب قال : لقي رجل عالم رجلا عالما هو فوقه في العلم فقال له : يرحمك الله ، أخبرني عن هذا البناء الذي لا إسراف فيه ، ما هو ؟ قال : هو ما سترك من الشمس ، وأكنك من المطر ؛ فقال : يرحمك الله ، فأخبرني عن هذا الطعام الذي نصيبه لا إسراف فيه ؛ قال : ما سد الجوع ، ودون الشبع ؛ قال : فأخبرني يرحمك الله ، عن هذا اللباس الذي لا إسراف فيه ، ما هو ؟ قال : ما ستر عورتك ، وأدفاك ؛ قال : فأخبرني يرحمك الله ، عن هذا الضحك الذي لا إسراف فيه ، ما هو ؟ قال : التبسم ، ولا يسمعن ؛ قال : يرحمك الله ، فأخبرني عن هذا البكاء الذي لا إسراف فيه ، ما هو ؟ قال : لا تملن من البكاء من خشية الله ؛ قال : يرحمك الله ، فما الذي أخفى من عملي ؟ قال : ما يظن بك : أنك لم تعمل حسنة قط ، إلا أداء الفرائض ؛ قال : يرحمك الله ، فما الذي أعلن من

عملي ؟ قال : الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، فإنه دين الله الذي بعث به أنبياءه صلوات الله عليهم إلى عباده ؛ وقد قيل في قول الله عز وجل : (وجعلني مباركا أين ما كنت) (مريم 31) . قيل : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أينما كان . (حلية الأولياء 8 / 153)

قال الأصمعي : دخل عطاء بن أبي رباح على عبد الملك بن مروان وهو جالس على سريرته وحواليه الأشراف من كل بطن وذلك بمكة المكرمة في وقت حجة في خلافته ، فلما نظر إليه قام إليه وأجلسه معه على السرير وقعد بين يديه وقال له : يا أبا محمد ما حاجتك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين اتق الله في حرم الله وحرمة رسوله صلى الله عليه وسلم فتعاهده بالعمارة واتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار فإنك بهم جلست هذا المجلس واتق الله في أهل الثغور فإنهم حصن المسلمين ، وتفقد أمور المسلمين فإنك وحدك المسئول عنهم واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم ولا تغلق بابك دونهم . فقال له أفعلم ثم نهض وقام فقبض عليه عبد الملك فقال : يا أبا محمد إنما سألتنا حاجة لغيرك وقد قضيناها فما حاجتك ؟ فقال مالي إلى مخلوق حاجة ، ثم خرج فقال عبد الملك هذا والله الشرف هذا والله الشرف . (تنبيه الغافلين لابن النحاس 45 - 46)

قال سفيان الثوري : دخلت على أبي جعفر المنصور بمضى ، فقال : ارفع إلينا حاجتك ، فقلت له : اتق الله قد ملأت الأرض ظلما وجورا قال : فطأطأ رأسه ثم رفعه وقال : ارفع إلينا حاجتك . فقلت إنما أنزلت هذه المنزلة بسيوف المهاجرين والأنصار ، وأبناؤهم يموتون جوعا فاتق الله ، وأوصل إليهم حقوقهم ، قال : فطأطأ رأسه ، ثم رفعه وقال : ارفع إلينا حاجتك . فقلت : حج عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال لخازنه : كم أنفقت ؟ قال : بضعة عشر درهما وأرى ههنا أموالا لا تطيقها الجبال . (تنبيه الغافلين 43)

قال محمد بن أبي القاسم : وعظ عابد جبارا فأمر به فقطعت يداه ورجلاه وحمل إلى متعبدة ، فجاء إخوانه يعزونه ، فقال : لا تعزوني ولكن هنتوني بما ساق الله إلي ثم قال : إلهي أصبحت في منزله الرغائب أنظر إلى العجائب إلهي أنت تتودد بنعمك إلي من يؤذيك ، فكيف توددك إلي من يؤذي فيك . (الحلية 10 / 135 - 136)

24- باب تغليظ عقوبة من أمر بمعروف أو نهى عن منكر وخالف قوله فعلاه

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ [البقرة : 44] ، وَقَالَ تَعَالَى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ [الصف : 2-3] ، وَقَالَ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْ شَعِيبٍ : وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ

عَنْهُ [هود: 88].

198- وعن أبي زيد أسامة بن حارثة ، رضي الله عنهما ، قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ ، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْجِمَارُ فِي الرَّحَا ، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ : يَا فُلَانُ مَا لَكَ ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ ؟ فَيَقُولُ : بَلَى ، كُنْتُ أَمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ ، وَآتَيْتُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ » متفق عليه قوله : « تَنْدَلِقُ » هُوَ بِالذَّالِ الْمَهْمَلَةِ وَمَعْنَاهُ تَخْرُجُ . و « الْأَقْتَابُ » : الْأَمْعَاءُ وَاجِدْهَا قِشْبٌ .

الآثَارُ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

عن قتادة في قوله تعالى : أَمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ قَالَ : كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَبِتَقْوَاهُ ، وَبِالْبِرِّ ، وَيُخَالِفُونَ ، فَعِيرَهُمُ اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ . وَكَذَلِكَ قَالَ السَّيِّدِيُّ . عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ أَي : تَتْرَكُونَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ أَي : تَهْتَبُونَ النَّاسَ عَنِ الْكُفْرِ بِمَا عِنْدَكُمْ مِنَ النَّبُوَّةِ وَالْعَهْدِ مِنَ التَّوْرَةِ ، وَتَتْرَكُونَ أَنْفُسَكُمْ ، أَي : وَأَنْتُمْ تَكْفُرُونَ بِمَا فِيهَا مِنْ عَهْدِي إِلَيْكُمْ فِي تَصَدِيقِ رَسُولِي ، وَتَنْقُضُونَ مِيثَاقِي ، وَتَجْحَدُونَ مَا تَعْلَمُونَ مِنْ كِتَابِي . (تفسير ابن كثير 1 / 247)

قال ابن عباس : كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون : لوددنا أن الله دلنا على أحب الأعمال فنعمل به ، فأخبر الله نبيه أن أحب الأعمال إيمان بالله لا شك فيه ، وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان ولم يقروا به ، فلما نزل الجهاد كره ذلك أناس من المؤمنين وشق عليهم أمره ، فقال الله : يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . (تفسير الدر المنثور 23 / 350)

عن قتادة قوله : يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ويعلمهم كما تسمعون كبر مقتا عند الله وكانت رجال تخبر في القتال بشيء لم يفعلوه ولم يبلغوه فوعظهم الله في ذلك موعظة بليغة فقال : يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . إلى قوله : كأنهم بنيان مرصوص . (تفسير الدر المنثور 23 / 355)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قال شعيب لقومه : يا قوم أرأيتم إن كنت على بيان وبرهان من ربي فيما أدعوكم إليه من عبادة الله ، والبراءة من عبادة الأوثان والأصنام ، وفيما أنهاكم عنه من إفساد المالورزقي منه رزقا حسنا يعني حاللا طيبا . وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه يقول : وما أريد أن أنهاكم عن أمرئم أفعل خلافه ، بل لا أفعل إلا ما أمركم به ، ولا أنتهي إلا عما أنهاكم عنه . (تفسير الطبري 15 / 454)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال علي بن أبي طالب : يا حملة العلم اعملوا به فإنما العلم من عمل بما علم وو افق علمه عمله وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم يخالف عملهم علمهم وتخالف سيرتهم علانيتهم حتى أن الرجل ليغضب على جلسه أن يجلس إلى غيره ويدعه يباهي بعضهم بعضا يجلسون حلقا في مجالسهم أولئك لا تصعد أعمالهم تلك إلى الله تعالى . (جامع بيان العلم 7 / 2)

قال ابن مسعود : إن الناس قد أحسنوا القول كلهم فمن وافق قوله فعله فذلك الذي أصاب حظه ومن خالف قوله عمله فإنما يبوخ نفسه . (الصمت وآداب اللسان حديث 360)

قال أبو الدرداء : أن علامات الجهل ثلاث العجب وكثرة النطق فيما لا يعنيه وان ينهى عن شيء ويأتيه . (جامع بيان العلم 7 / 2)

قال أبي الدرداء : من عمل بعشر ما يعلم علمه الله ما يجهل . (الجامع لأخلاق الراوي 1 / 90)

قال أبي الدرداء : إني لأمركم بالأمر وما أفعله ولكني أرجو فيه الأجر . (حلية الأولياء 1 / 213)

قال ابن مسعود : أنه ما عمل أحد بما علمه الله إلا احتاج الناس إلى ما عنده . (الجامع لأخلاق الراوي 34)

قال الحسن البصري : اعتبروا الناس بأعمالهم ودعوا أقوالهم فإن الله عز وجل لم يدع قولاً إلا جعل عليه دليلاً من عمل يصدقه أو يكذبه ، فإذا سمعت قولاً حسناً ، فرويدا بصاحبه ، وإن وافق منه القول العمل فنعم ، ونعمت عين ، وإن خالف القول العمل ، فإياك أن يشتبه عليك شيء من أمره ، فإنها خدع للسالكين . (الزهد لابن المبارك 77)

أن الحسن قال لمطرف بن عبد الله : عظ أصحابك ، فقال : إني أخاف أن أقول ما لا أفعل ، قال : يرحمك الله ، وأينا يفعل ما يقول ؟ يود الشيطان أنه قد ظفريهنا ، فلم يأمر بمعروف ولم ينه عن منكر . (تفسير القرطبي 1 / 368)

قال أبي عبد الله محمد بن خفيف : ما سمعت شيئاً من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا واستعملته . (تاريخ دمشق 52 / 406)

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : لو أن المرء لم يعظ أخاه حتى يحكم نفسه ويكمل في الذي خلق له لعبادة ربه إذا تواكل الناس بالخير ، وإذا يرفع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واستحلحت المحارم وقل الواعظون والساعون لله بالنصيحة في الأرض . (حلية الأولياء 5 / 276 - 277)

قول الإمام أحمد : ما كتبت حديثاً إلا وقد عملت به . (الجامع لأخلاق الراوي 184)

قال سفيان الثوري : العلم يهتف بالعمل فإن أجاب وإلا ارتحل . (جامع بيان العلم وفضله 813)
قال سعيد بن جبير : لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء ما أمر
أحد بمعروف ولا نهى عن منكر . (تفسير القرطبي 1 / 367 - 368)

وقال الإمام مالك تعليقا على قوله : وصدق ومن ذا الذي ليس فيه شيء ؟ . (القرطبي 1 / 368)

قال إبراهيم الحربي : إنه ينبغي للرجل إذا سمع شيئا في آداب النبي أن يتمسك به .
(جامع بيان العلم 814)

وعلى السخاوي ذلك فقال : ولأن ذلك سبب ثبوته وحفظه ونموه والاحتياج فيه إليه .
(قواعد التحديث 359)

قال الشعبي وإسماعيل بن إبراهيم بن مجمع ووكيع بن الجراح : كنا نستعين على حفظ الحديث
بالعمل به . (شعب الإيمان للبيهقي 1798)

قال النووي : ينبغي لمن بلغه شيء من فضائل الأعمال أن يعمل به ولو مرة ليكون من أهله ، ولا
ينبغي أن يتركه مطلقا بل يأتي بما تيسر منه لقوله : وإذا أمرتكم بشيء فافعلوا منه ما استطعتم .
(الأذكار 6)

وَلِهَذَا قَالَ سَابِقُ الْبَزْبَرِيِّ : (جَامِعُ بَيَانِ الْعَلْمِ 7 / 2)

إِذَا الْعَلْمُ لَمْ تَعْمَلْ بِهِ كَانَ حُجَّةً *** عَلَيْكَ وَلَمْ تَعْدُرِي مَا أَنْتَ جَاهِلُهُ

فَإِنْ كُنْتَ قَدْ أُوتَيْتَ عِلْمًا فَإِنَّمَا *** يُصَدِّقُ قَوْلَ الْمُرءِ مَا هُوَ فَاعِلُهُ

25- باب الأمر بأداء الأمانة

قَالَ اللهُ تَعَالَى : إِنَّ اللهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُوَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا [النساء : 58] ، وَقَالَ تَعَالَى : إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا [الأحزاب : 72] .

199- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ حَانَ » متفقٌ عليه . وفي رواية : « وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ

أَنَّهُ مُسَلِّمٌ» .

200- وعن حُدَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَدِيثَيْنِ قَدْ رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا ، وَأَنَا أَنْتَظِرُ الْآخَرَ : حَدَّثَنَا أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ ، ثُمَّ نَزَلَ الْقُرْآنُ فَعَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ ، وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ ، ثُمَّ حَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِ الْأَمَانَةِ فَقَالَ : «يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتَقْبِضُ الْأَمَانَةَ مِنْ قَلْبِهِ ، فَيَظِلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْوَكْتِ ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتَقْبِضُ الْأَمَانَةَ مِنْ قَلْبِهِ ، فَيَظِلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الْمَجْلِ ، كَجَمْرِ دَخَرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ ، فَتَنْفِطُ فَتَرَاهُ مُتَبَرِّأً وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ» ثُمَّ أَخَذَ حَصَاهُ فَدَخَرَجَهَا عَلَى رِجْلِهِ ، فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ ، فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ حَتَّى يُقَالَ : إِنَّ فِي بَنِي فَلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا ، حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ : مَا أَجْلُدُهُ مَا أَظْرَفُهُ ، مَا أَعْقَلُهُ ، وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ . وَلَقَدْ أَتَى عَلِيٌّ زَمَانًا وَمَا أَبَالِي أَيْكُمْ بَايَعْتُ ، لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا لِيرُدَّنِي عَلَى دِينِهِ ، وَلَئِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا أَوْ يَهُودِيًّا لِيرُدَّنِي عَلَيَّ سَاعِيهِ ، وَأَمَّا الْيَوْمَ فَمَا كُنْتُ أَبَايِعُ مِنْكُمْ إِلَّا فُلَانًا وَفُلَانًا « متفقٌ عليه .

201- وعن حُدَيْفَةَ ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَا : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «يَجْمَعُ اللَّهُ ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، النَّاسَ فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تَزَلَّ لَهُمُ الْجَنَّةُ ، فَيَأْتُونَ آدَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، فَيَقُولُونَ : يَا أَبَانَا اسْتَفْتَحْ لَنَا الْجَنَّةَ ، فَيَقُولُ : وَهَلْ أَخْرَجْتُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَتُهُ أَبِيكُمْ ، لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ ، أَذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ ، قَالَ : فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ : لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ ، اعْمَدُوا إِلَى مُوسَى الَّذِي كَلَّمَهُ اللَّهُ تَكْلِيمًا ، فَيَأْتُونَ مُوسَى ، فَيَقُولُ : لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ ، أَذْهَبُوا إِلَى عِيسَى كَلِمَةَ اللَّهِ وَرُوحَهُ فَيَقُولُ عِيسَى : لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ . فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيَقُومُ فَيُؤَدِّنُ لَهُ ، وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ فَيَقُومَانِ جَنبَتِي الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا ، فَيَمُرُّ أَوْلَاكُمْ كَالْبَرْقِ « قُلْتُ : بِأَبِي وَأُمِّي ، أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِ الْبَرْقِ ؟ قَالَ : « أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ ؟ ثُمَّ كَمَرِ الرِّيحِ ثُمَّ كَمَرِ الطَّيْرِ ؟ وَأَشَدُّ الرِّجَالِ تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ ، وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ : رَبِّ سَلِّمْ ، حَتَّى تَعْجَزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ لَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا ، وَفِي حَافَتِي الصِّرَاطِ كَلَالِيْبٌ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أَمَرَتْ بِهِ ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ وَمُكَرَّدَسٌ فِي النَّارِ » وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ إِنْ قَعَرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيْفًا . رَوَاهُ مُسْلِمٌ . قَوْلُهُ : « وَرَاءَ وَرَاءَ » هُوَ بِالْفَتْحِ فِيهِمَا . وَقِيلَ : بِالضَّمِّ بِلا تَنْوِينٍ ، وَمَعْنَاهُ : لَسْتُ بِتِلْكَ الدَّرَجَةِ الرَّفِيعَةِ ، وَهِيَ كَلِمَةٌ تُذَكَّرُ عَلَى سَبِيلِ التَّوَاضُعِ . وَقَدْ بَسَطْتُ مَعْنَاهَا فِي شَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

202- وعن أَبِي حُبَيْبٍ بَضْمِ الْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : لَمَّا وَقَفَ الزُّبَيْرُ يَوْمَ الْجَمَلِ دَعَانِي فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ ، فَقَالَ : يَا بُنَيَّ إِنَّهُ لَا يُقْتَلُ الْيَوْمَ إِلَّا ظَالِمٌ أَوْ مَظْلُومٌ ، وَإِنِّي لَا أَرْنِي

إِلَّا سَأَفْتَلُ الْيَوْمَ مَظْلُوماً، وَإِنَّ مِنْ أَكْبَرِهِمَيَّ لَدَيْي أَفْتَرَى ذَيْنَا يُبْقَى مِنْ مَالِنَا شَيْئاً؟ ثُمَّ قَالَ: بَعِ مَالَنَا وَأَقْضِ دَيْنِي، وَأَوْصِي بِالثُلُثِ، وَثُلُثُهُ لِبَنِيهِ، يَعْنِي لِبَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ثُلُثُ الثُّلُثِ. قَالَ: فَإِنْ فَضَلَ مِنْ مَالِنَا بَعْدَ قَضَاءِ الدَّيْنِ شَيْءٌ فَثُلُثُهُ لِبَنِيكَ، قَالَ هِشَامٌ: وَكَانَ وَلَدُ عَبْدِ اللَّهِ قَدْ وَرَى بَعْضَ بَنِي الزُّبَيْرِ حُبَيْبٍ وَعَبَّادٍ، وَهُوَ يَوْمَنْدٍ تَسْعَةُ بَنِينَ وَتَسْعَ بَنَاتٍ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَجَعَلَ يُوصِيهِ بِدَيْنِهِ وَيَقُولُ: يَا بَنِيَّ إِنْ عَجَزْتَ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَاسْتَعِنْ عَلَيْهِ بِمَوْلَايَ. قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا دَرَيْتُ مَا أَرَادَ حَتَّى قُلْتُ يَا أَبَتَ مَنْ مَوْلَاكَ؟ قَالَ: اللَّهُ. قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا وَقَعْتُ فِي كُرْبَةٍ مِنْ دَيْنِهِ إِلَّا قُلْتُ: يَا مَوْلَى الزُّبَيْرِ اقْضِ عَنْهُ دَيْنَهُ، فَيَفْضِيهِ. قَالَ: فَقُتِلَ الزُّبَيْرُ وَلَمْ يَدَعْ دِينَاراً وَلَا دِرْهَمًا إِلَّا أَرْضَيْنِ، مِنْهَا الْغَابَةُ وَإِحْدَى عَشْرَةَ دَارًا بِالْمَدِينَةِ. وَدَارَيْنِ بِالْبَصْرَةِ، وَدَارًا بِالْكُوفَةِ وَدَارًا بِمِصْرَ. قَالَ: وَإِنَّمَا كَانَ دَيْنُهُ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ أَنَّ الرَّجُلَ يَأْتِيهِ بِالْمَالِ، فَيَسْتَوِدِعُهُ إِيَّاهُ، فَيَقُولُ الزُّبَيْرُ: لَا وَلَكِنْ هُوَ سَلَفٌ إِنِّي أَخْشَى عَلَيْهِ الضَّبَّعَةَ. وَمَا لِي إِمَارَةٌ قَطُّ وَلَا جَبَايَةٌ وَلَا خَرَجًا وَلَا شَيْئاً إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي غَزْوٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ مَعَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَحَسَبْتُ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الدَّيْنِ فَوَجَدْتُهُ أَلْفِي وَمِائَتِي أَلْفٍ، فَلَقِي حَكِيمُ بْنُ حِرَامٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي كَمْ عَلَى أَخِي مِنَ الدَّيْنِ؟ فَكَتَمْتُهُ وَقُلْتُ: مِائَةُ أَلْفٍ. فَقَالَ: حَكِيمُ: وَاللَّهِ مَا أَرَى أَمْوَالَكُمْ تَسَعُ هَذِهِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: أَرَأَيْتَكَ إِنْ كَانَتْ أَلْفِي أَلْفٍ؟ وَمِائَتِي أَلْفٍ؟ قَالَ: مَا أَرَاكُمْ تُطِيقُونَ هَذَا، فَإِنْ عَجَزْتُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَاسْتَعِينُوا بِي. قَالَ: وَكَانَ الزُّبَيْرُ قَدْ اشْتَرَى الْغَابَةَ بِسَبْعِينَ وَمِائَةَ أَلْفٍ، فَبَاعَهَا عَبْدُ اللَّهِ بِالْفِ أَلْفٍ وَسِتِّمِائَةَ أَلْفٍ، ثُمَّ قَامَ فَقَالَ: مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيْرِ شَيْءٌ فَلْيُؤِ افِنَا بِالْغَابَةِ، فَأَتَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ، وَكَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيْرِ أَرْبَعُمِائَةَ أَلْفٍ، فَقَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ: إِنْ شِئْتُمْ تَرَكْتُهَا لَكُمْ؟ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لَا، قَالَ فَإِنْ شِئْتُمْ جَعَلْتُمُوهَا فِيمَا تُؤَخَّرُونَ إِنْ أَخَرْتُمْ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لَا، قَالَ: فَاقْطَعُوا لِي قِطْعَةً، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لَكَ مِنْ هَاهُنَا إِلَى هَاهُنَا. فَبَاعَ عَبْدُ اللَّهِ مِنْهَا فَقَضَى عَنْهُ دَيْنَهُ، وَوَفَّاهُ وَبَقِيَ مِنْهَا أَرْبَعَةُ أَسْهُمٍ وَنِصْفٌ، فَقَدِمَ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَعِنْدَهُ عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ، وَالْمُنْدُرِبْنَ الزُّبَيْرِ، وَابْنَ زَمْعَةَ. فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: كَمْ قَوَّمتِ الْغَابَةُ؟ قَالَ: كُلُّ سَهْمٍ بِمِائَةِ أَلْفٍ قَالَ: كَمْ بَقِيَ مِنْهَا؟ قَالَ: أَرْبَعَةُ أَسْهُمٍ وَنِصْفٌ، فَقَالَ الْمُنْدُرِبْنَ الزُّبَيْرِ: قَدْ أَخَذْتُ مِنْهَا سَهْمًا بِمِائَةِ أَلْفٍ، وَقَالَ عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ: قَدْ أَخَذْتُ مِنْهَا سَهْمًا بِمِائَةِ أَلْفٍ. وَقَالَ ابْنُ زَمْعَةَ: قَدْ أَخَذْتُ مِنْهَا سَهْمًا بِمِائَةِ أَلْفٍ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: كَمْ بَقِيَ مِنْهَا؟ قَالَ: سَهْمٌ وَنِصْفٌ سَهْمٍ، قَالَ: قَدْ أَخَذْتُهُ بِخَمْسِينَ وَمِائَةِ أَلْفٍ. قَالَ: وَبَاعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ نَصِيبَهُ مِنْ مُعَاوِيَةَ بِسِتِّمِائَةِ أَلْفٍ. فَلَمَّا فَرَّغَ ابْنُ الزُّبَيْرِ مِنْ قَضَائِهِ دَيْنَهُ قَالَ بَنُو الزُّبَيْرِ: افْسِمَ بَيْنَنَا مِيرَاتِنَا. قَالَ: وَاللَّهِ لَا أَفْسِمُ بَيْنَكُمْ حَتَّى أَنْادِي بِالْمَوْسِمِ أَرْبَعِ سِنِينَ: أَلَا مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيْرِ دَيْنٌ فَلْيَأْتِنَا فَلْنَقْضِهِ. فَجَعَلَ كُلُّ سَنَةٍ يُنَادِي فِي الْمَوْسِمِ، فَلَمَّا مَضَى أَرْبَعِ سِنِينَ قَسَمَ بَيْنَهُمْ وَدَفَعَ الثُّلُثَ وَكَانَ لِلزُّبَيْرِ أَرْبَعِ نِسْوَةٍ، فَأَصَابَ كُلَّ امْرَأَةٍ أَلْفٌ وَمِائَتَانِ أَلْفٍ، فَجَمِيعُ مَالِهِ خَمْسُونَ أَلْفًا وَمِائَتَانِ أَلْفًا. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

عن ابن جريج قوله : إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها قال : نزلت في عثمان بن طلحة بن أبي طلحة قبض منه النبي صلى الله عليه وسلم مفاتيح الكعبة ، ودخل به البيت يوم الفتح فخرج وهو يتلو هذه الآية ، فدعا عثمان فندفع إليه المفتاح . قال : وقال عمر بن الخطاب لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو هذه الآية : فداه أبي وأمي ما سمعته يتلوها قبل ذلك . قال علي رضي الله عنه كلمات أصاب فهمن : حق على الإمام أن يحكم بما أنزل الله ، وأن يؤدي الأمانة ، وإذا فعل ذلك فحق على الناس أن يسمعوا ، وأن يطيعوا ، وأن يجيبوا إذا دعوا . (تفسير الطبري 8 / 492)

عن زيد بن أسلم قال : نزلت هذه الآية : إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها : في ولاة الأمر وفيمن ولي من أمور الناس شيئا . (تفسير الدر المنثور 4 / 497)

عن ابن عباس في قوله : إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها قال : هي مسجلة للبر والفاجر . (تفسير الدر المنثور 4 / 498)

عن ابن عباس في قوله : إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها قال : إنه لم يرخص لموسر ولا لمعسر . (تفسير الدر المنثور 4 / 499)

قوله عز وجل : إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال . الآية . أراد بالأمانة الطاعة والفرائض التي فرضها الله على عباده ، عرضها على السماوات والأرض والجبال على أنهم إن أدوها أثابهم وإن ضيعوها عذبهم ، وهذا قول ابن عباس . وقال ابن مسعود : الأمانة : أداء الصلوات وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت وصدق الحديث وقضاء الدين ، والعدل في المكيال والميزان ، وأشد من هذا كله الودائع . وقال مجاهد : الأمانة : الفرائض ، وقضاء الدين . وقال أبو العالية : ما أمروا به ونهوا عنه . (تفسير البغوي 6 / 380)

عن ابن عباس فعرض الله هذه الأمانة على أعيان السماوات والأرض والجبال هذا قول ابن عباس وجماعة من التابعين وأكثر السلف ، فقال لمن أتحمّلن هذه الأمانة بما فيها ؟ قلن : وما فيها ؟ قال : إن أحسنن جوزيتن وإن عصيتن عوقبتن ، فقلن : لا يا ربنا ، نحن مسخرات لأمرك لا نريد ثوابا ولا عقابا ، وقلن ذلك خوفا وخشية وتعظيما لدين الله أن لا يقوموا بها لا معصية ولا مخالفة ، وكان العرض عليهن تخييرا لا إلزاما ولو ألزمهن لم يمتنعن من حملها ، والجمادات كلها خاضعة لله عز وجل مطيعة ساجدة له كما قال جل ذكره للسماوات والأرض : ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين . (فصلت 11) وقال للحجارة : وإن منها لما يهبط من خشية الله (البقرة 74) وقال تعالى :

ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب . (الحج - 18) الآية . (تفسير البغوي 6 / 380)

عن ابن مسعود أنه قال : مثلت الأمانة كصخرة ملقاة ، ودعيت السماوات والأرض والجبال إليها فلم يقربوا منها ، وقالوا : لا نطيق حملها ، وجاء آدم من غير أن يدعى ، وحرك الصخرة ، وقال : لو أمرت بحملها لحملتها ، فقلن له : احملها ، فحملها إلى ركبتيه ثم وضعها ، وقال والله لو أردت أن ازداد لزدت ، فقلن له : احملها فحملها إلى حقوه ، ثم وضعها ، وقال : والله لو أردت أن ازداد لزدت ، فقلن له احمل فحملها حتى وضعها على عاتقه ، فأراد أن يضعها فقال الله : مكانك فإنها في عنقك وعنق ذريتك إلى يوم القيامة . إنه كان ظلوما جهولا قال ابن عباس : ظلوما لنفسه جهولا بأمر الله وما احتمل من الأمانة . (تفسير البغوي 6 / 381)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : أصدق الصدق الأمانة واكذب الكذب الخيانة . (السنن الكبرى للبيهقي 13009)

قال عمر بن الخطاب : لما أتى بتاج كسرى وسواريه جعل يقلبه بعود في يده ويقول والله إن الذي أدى إلينا هذا لأمين فقال رجل يا أمير المؤمنين أنت أمين الله يؤدون إليك ما أدبت إلى الله فإذا رتعت رتعو فقال صدقت . (عيون الأخبار 1 / 115)

قال عمر بن الخطاب : لاتغرني صلاة امرئ ولاصومه من شاء صام ومن شاء صلى لأدين لمن لا امانه له . (مكارم الأخلاق للخرائطي 162)

عن عمر بن الخطاب ، أنه قال لأصحابه : تمنوا ، فقال رجل : أتمنى لو أن لي هذه الدار مملوءة ذهباً أنفقه في سبيل الله ؛ ثم قال : تمنوا فقال رجل : أتمنى ، لو أنها مملوءة لؤلؤاً وزبرجداً وجوهراً ، أنفقه في سبيل الله ، وأتصدق ؛ ثم قال : تمنوا ، فقالوا : ما ندري يا أمير المؤمنين ، فقال عمر : أتمنى ، لو أن هذه الدار مملوءة رجالاً ، مثل أبي عبيدة بن الجراح . (حلية الأولياء 1 / 102)

قال أبو هريرة : أول ما يرفع من هذه آلامه الحياء والأمانة فسلوهما الله . (مكارم الأخلاق 178)

قال ابن عباس : لم يرخص الله لمعسروا مدين أن يمسك الأمانة . (البحر المحيط 3 / 684)

عن ابن مسعود قال : القتل في سبيل الله ، يكفر الخطايا كلها يوم القيامة إلا الدين ، يؤتى بالرجل يوم القيامة وإن قتل في سبيل الله ، فيقال له : أد أمانتك ، فيقول : يا رب ، لا أقدر عليها ، قد

ذهبت عني الدنيا ، قال : فيقول : انطلقوا به إلى الهاوية ، فبنست الأم ، وبنست المريية ، فيلقى فيها فهوى حتى يبلغ قعرها ، قال : ويمثل معه أمانته ، فيحتملها ثم يصعد ، حتى إذا رأى أنه ناج زلت منه ، فهوت وهوى معها أبدا ؛ قال : والأمانة في كل شيء ، في الوضوء والصيام ، والغسل من الجنابة ، وأشد من ذلك الودائع ، قال زاذان : فلقيت البراء بن عازب فقلت له : ألا تسمع ما قال أخوك عبد الله بن مسعود فأخبرته بقوله ، فقال : صدق ألم تسمع الله تعالى يقول : { إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها } (النساء : 58) . (حلية الأولياء 4 / 201)

وقال ميمون بن مهران : ثلاثة يؤدين إلى البر والفاجر : الأمانة ، والعهد ، وصلة الرحم . (شعب الإيمان 7 / 219)

قال ميمون بن مهران : ثلاث المؤمن والكافر فيهن سواء : الأمانة تؤديها إلى من اتتمنك عليها من مسلم وكافر ، وبروالدين قال الله تعالى : (وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما) (لقمان 15) والعهد تفي به لمن عاهدت من مسلم أو كافر . (جليبه الأولياء 4 / 87)

قال سفيان بن عيينه : من لم يكن له رأس مال فليخذ الأمانة رأس مال له . (الدر المنثور 500 / 4)
قال الشافعي : آلات الرياسة خمس : صدق اللهجة ، وكتمان السر ، والوفاء بالعهد ، وابتداء النصيحة ، وأداء الأمانة . (سير أعلام النبلاء 30 / 19)

عن مالك أنه بلغه : أن لقمان الحكيم قيل له : ما بلغ بك ما ترى ؟ قال : صدق الحديث وأداء الأمانة وتركي ما لا يعني . (حلية الأولياء 6 / 328)

قال مالك بن دينار : كفى بالمرء خيانة أن يكون أمينا للخونة . (الحلية 2 / 373)

قال ابن أبي الدنيا : الداعي إلى الخيانة شيئان : المهانة وقله الأمانة ، فإذا حسمهما عن نفسه بما وصفت ظهرت مروءته . (أدب الدنيا والدين للماوردى 333)

وعن خالد الربيعي قال كان يقال : إن من أجدر الأعمال أن لا تؤخر عقوبته أو يعجل عقوبته : الأمانة تخان ، والرحم تقطع ، والإحسان يكفر . (مكارم الأخلاق 172 / 1)

قال الأعمش : أعظم الخيانة : أداء الأمانة إلى الخائنين وقال الأعمش نقض العهد وفاء العهد لمن ليس له عهد . (حلية الأولياء 5 / 48)

قال كعب الأحبار : يأتي على الناس زمان ترفع فيه الأمانة ، وتنزع فيه الرحمة وتكثر فيه المسألة فمن سأل عند ذلك الزمان ، لم يبارك له فيه . (حلية الأولياء 5 / 367)

قال يحيى بن أبي كثير: لا يعجبك حلم امرئ حتى يغضب ولا أمانته حتى يطمع ، فإنك لا تدري على أي شقيه يقع . (حلية الأولياء 3 / 69)

قال أبو يزيد البسطامي : اللهم إنك خلقت هذا الخلق بغير علمهم وقلدتهم أمانة من غير إرادتهم فإن لم تعنهم فمن يعينهم . (حلية الأولياء 10 / 34)

عن سعيد بن جبير : في قوله تعالى : (وكان أبوهما صالحا) (الكهف 82) . قال : كان يؤدي الأمانات والودائع إلى أهلها ، فحفظ الله تعالى له كتزه ، حتى أدرك ولداه ، فاستخرجا كتزهما . (حلية الأولياء 4 / 287)

عن محمد بن أبي عبد الرحمن المسعودي عن أبيه قال : ما رأيت أحسن أمانة من أبي حنيفة : مات يوم مات ، وعنده ودائع بخمسين ألفا ما ضاع منها ولا درهم واحد . (تاريخ بغداد 13 / 359)

قال الفضيل بن عياض : ينادي مناد يوم القيامة أين الذين أكلت عيالاتهم أماناتهم ؟ قال أبو علي الحسين بن فهم ورأيت يحيى بن معين يبكي عند هذا . (تاريخ بغداد 2 / 117)

قَالَ كَعْبُ الْمُرْزِي : (دِيْوَانُ كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ 189)

أَرَعَى الْأَمَانَةَ لَا أَخُونُ أَمَانَتِي *** إِنَّ الْخَوُونَ عَلَى الطَّرِيقِ الْأَنْكَبُ

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

عن أبي السباع رضي الله عنه قال : اشتريت ناقة من دارواثلة بن الأسقع ، فلما خرجت بها ، أدركنا وائلة ، وهو يجرداءه ، فقال : يا عبد الله ، اشتريت ؟ قلت : نعم ، قال : هل بين لك ما فيها ؟ قلت : وما فيها ؟ قال : إنها لسمينة ظاهرة الصحة ، قال : فقال : أردت بها سفرا ، أم أردت بها لحما ؟ قلت : بل أردت عليها الحج ، قال : فإن بخفها نقبا ، قال : فقال صاحبها : أصلحك الله ، ما تريد إلى هذا تفسد علي ؟ قال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يحل لأحد يبيع شيئا إلا يبين ما فيه ، ولا يحل لمن يعلم ذلك إلا يبينه . (السنن الكبرى للبيهقي رقم 11049)

وقال نافع مولى ابن عمر : طاف ابن عمر سبعا وصلى ركعتين ، فقال له رجل من قريش : ما أسرع ما طفت وصليت يا أبا عبد الرحمن . فقال ابن عمر : أنتم أكثر منا طوافا وصياما ، ونحن خير منكم بصدق الحديث ، وأداء الأمانة وإنجاز الوعد . (الآداب الشرعية لابن مفلح 4 / 500)

كان لأبي حنيفة شريك في التجارة يقال له بشر فخرج بشر في تجارته بمصر ، فبعث إليه أبو حنيفة سبعين ثوبا من ثياب خز فكتب إليه : إن في الثياب ثوب خز معيبا بعلامة كذا فإذا بعته فبين

للمشترى العيب قال : فباع بشر الثياب كلها ورجع إلى الكوفة فقال أبو حنيفة : هل بينت ذلك العيب الذي في الثوب الخز؟ فقال : بشر نسيت ذلك العيب ، فقال : فتصدق أبو حنيفة بجميع ما أصابه من تلك التجارة الأصل والفرع جميعا ، قال : وكان نصيبه من ذلك ألف درهم ، وقال مال قد دخلت فيه الشبهة ، فلا حاجة لي به . (إرشاد العباد إلى سبيل الرشاد للفنانى 241)

لما حبس ابن سيرين في السجن قال له السجنان : إذا كان الليل فاذهب إلى أهلك ، فإذا أصبحت فتعال ، فقال ابن سيرين : لا والله لا أعينك على خيانة السلطان . (تاريخ بغداد 5 / 334)

قال الحسن بن عرفة : قال لي ابن المبارك : استعرت قلما بأرض الشام ، فذهب علي أن أردّه إلى صاحبه ، فلما قدمت مرو ، ونظرت فإذا هو معي ، فرجعت يا أبا علي - الحسن بن عرفة - إلى أرض الشام حتى رددته على صاحبه . (تاريخ بغداد 10 / 167)

26- باب تحريم الظلم والأمر بردّ المظالم

قَالَ اللهُ تَعَالَى : مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ [غافر : 18] وَقَالَ تَعَالَى : وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ [الحج : 71] . وأما الأحاديث فمنها حديث أبي ذر المتقدم (انظر الحديث رقم 111) في آخر باب المجاهدة .

203- وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظَلَمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحْلَوْا مَحَارِمَهُمْ » رواه مسلم .

204- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « لَتُوذُنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقُرْتَاءِ » رواه مسلم .

205- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كُنَّا نَتَحَدَّثُ عَنْ حَجَّةِ الْوُدَاعِ ، وَالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَظْهَرِنَا ، وَلَا نَدْرِي مَا حَجَّةُ الْوُدَاعِ ، حَتَّى حَمِدَ اللهُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَنْتَى عَلَيْهِ ثُمَّ ذَكَرَ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ فَأَطْنَبَ فِي ذِكْرِهِ ، وَقَالَ : « مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَهُ أُمَّتَهُ : أَنْذَرَهُ نُوحٌ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ بَعْدِهِ ، وَإِنَّهُ إِنْ يَخْرُجُ فِيكُمْ فَمَا خَفِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ شَأْنِهِ فَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْكُمْ ، إِنْ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ ، وَإِنَّهُ أَعْوَرُ عَيْنِ الْيُمْنَى ، كَأَنَّ عَيْنَهُ عَيْنَةُ طَافِيئَةٍ . أَلَا إِنْ اللهُ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ ، كَحَرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا ، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا أَلَا هَلْ بَلَغْتُ ؟ » قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : « اللَّهُمَّ اشْهَدْ ثَلَاثًا وَيْلَكُمْ أَوْ : وَيْحَكُمْ ، انظُرُوا : لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كَفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ » رواه البخاري ، وروى مسلم بعضه .

206- وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((مَنْ ظَلَمَ قَيْدَ شِبْرٍ مِنَ الْأَرْضِ طَوْقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ)) متفقٌ عليه .

207- وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يَفْلِتْهُ ثُمَّ قَرَأَ : { وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ } .

208- وعن معاوية رضي الله عنه قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِدَيْكَ ، فَأَعْلَمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِدَيْكَ ، فَأَعْلَمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَىٰ فُقَرَائِهِمْ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِدَيْكَ ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ . وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمُظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ » متفقٌ عليه

209- وعن أبي حميد عبد الرحمن بن سعيد الساعدي رضي الله عنه قال : استعمل النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجلاً من الأزد يقال له : ابن اللتبية على الصدقة ، فلما قدم قال : هَذَا لَكُمْ ، وَهَذَا أُهْدِي إِلَيَّ فَقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي أَسْتَعْمِلُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ عَلَى الْعَمَلِ مِمَّا وَلَا نِيَّ اللَّهُ ، فَيَأْتِي فَيَقُولُ : هَذَا لَكُمْ ، وَهَذَا هَدِيَّةٌ أُهْدِيَتْ إِلَيَّ ، أَفَلَا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ أَوْ أُمِّهِ حَتَّى تَأْتِيَهُ إِنْ كَانَ صَادِقًا ، وَاللَّهِ لَا يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ إِلَّا لَقِيَ اللَّهَ تَعَالَى ، يَحْمِلُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَلَا أَعْرِفَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَقِيَ اللَّهَ يَحْمِلُ بَعِيرًا لَهُ رِغَاءٌ ، أَوْ بَقْرَةً لَهَا حُوَارٌ ، أَوْ شَاةٌ تَبْعُرْتُمْ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رُؤِيَ بَيَاضُ إِبْطِيهِ فَقَالَ : « اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ » ثلاثاً ، متفقٌ عليه .

210- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ ، مِنْ عَرَضِهِ أَوْ مِنْ شَيْءٍ ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أَخَذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتٍ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ » رواه البخاري .

211- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ » متفقٌ عليه .

212- وعنه رضي الله عنه قال : كَانَ عَلَى ثَقَلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ كِرْكِرَةٌ ، فَمَاتَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « هُوَ فِي النَّارِ » فَذَهَبُوا يُنْظَرُونَ إِلَيْهِ فَوَجَدُوا عَبَاءَةً قَدْ غَلَبَتْهَا . رواه البخاري .

213- وعن أبي بكرَةَ نُفَيْعِ بْنِ الْحَارِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ: السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ: ثَلَاثُ مُتَوَالِيَاتٍ: ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ الَّذِي بَيْنَ جُمَادِي وَشَعْبَانَ، أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟»
 قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: أَلَيْسَ ذَا الْحِجَّةِ؟ قُلْنَا: بَلَى: قَالَ: «فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟» قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ. قَالَ: «أَلَيْسَ الْبَلَدَةُ الْحَرَمُ؟» قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: «فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟» قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ. قَالَ: «أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟» قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، أَلَا فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كَفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلَا لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَلَعَلَّ بَعْضٌ مِنْ يَبْلُغُهُ أَنْ يَكُونَ أَوْحَى لَهُ مِنْ بَعْضٍ مَنْ سَمِعَهُ» ثُمَّ قَالَ: «أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟» قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ» متفقٌ عليه.

214- وعن أبي أُمَامَةَ إِيَّاسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ الْحَارِثِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ فَقَدْ أُوجِبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» فَقَالَ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَكَ» رواه مسلم.

215- وعن عَدِيِّ بْنِ عُمَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: «مَنْ اسْتَعْمَلَنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ، فَكَتَمْنَا مَخِيطًا فَمَا فَوْقَهُ، كَانَ غُلُولًا يَأْتِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ أَسْوَدٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقْبَلْ عَنِي عَمَلِكَ قَالَ: «وَمَا لَكَ؟» قَالَ: سَمِعْتُكَ تَقُولُ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: «وَأَنَا أَقُولُهُ الْآنَ: مَنْ اسْتَعْمَلَنَاهُ عَلَى عَمَلٍ فَلْيَجِيءْ بِقَلْبِلِهِ وَكَثِيرِهِ، فَمَا أُوتِيَ مِنْهُ أَحَدًا وَمَا نُهِى عَنْهُ أَنْتَهَى» رواه مسلم.

216- وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم خيبر أقبل نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: فلان شهيد، وفلان شهيد، حتى مروا على رجل فقالوا: فلان شهيد. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «كلا إني رأيته في النار في بردة غلها أو عباءة» رواه مسلم.

217- وعن أبي قتادة الحارث بن ربعي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قام فيهم، فذكر لهم أن الجهاد في سبيل الله، والإيمان بالله أفضل الأعمال، فقال رجل فقال: يا رسول الله أرايت إن قتلت في سبيل الله، تكفر عني خطاياي؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعم إن قتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب، مقبل غير مدبر» ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كيف قلت؟» قال: أرايت إن قتلت في سبيل الله، أتكفر عني خطاياي؟ فقال

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَعَمْ وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ، إِلَّا الدِّينَ فَإِنَّ جَبْرِيْلَ قَالَ لِي ذَلِكَ» رواه مسلم.

218- وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : «أَتَدْرُونَ مِنَ الْمُفْلِسِ ؟» قَالُوا : الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ . فقال : « إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ ، وَيَأْتِي وَقَدْ شَتَمَ هَذَا ، وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَا لَ هَذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا ، وَضْرَبَ هَذَا ، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنَّ فَنِيَتْ حَسَنَاتِهِ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ» رواه مسلم .

219- وعن أمِّ سلمة رضي الله عنها ، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ ، فَأَقْضِي لَهُ بِنَحْوِ مَا أَسْمَعُ فَمَنْ قَضَيْتَ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ» متفق عليه . «أَلْحَنَ» أَي : أَعْلَمَ

220- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِْبْ دَمًا حَرَامًا» رواه البخاري .

221- وعن خَوْلَةَ بِنْتِ عَامِرِ الْأَنْصَارِيَّةِ ، وَهِيَ امْرَأَةٌ حَمْرَةٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَعَنْهَا ، قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : «إِنَّ رِجَالَ يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللهِ بِغَيْرِ حَقٍّ فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» رواه البخاري .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ :

عن السدي ما للظالمين من حميم ولا شفيع قال : من يعنيه أمرهم ولا شفيع لهم . وقوله : يطاع صلة للشفيع . ومعنى الكلام : ما للظالمين من حميم ولا شفيع إذا شفع أطيع فيما شفع ، فأجيب وقبلت شفاعته له . (تفسير الطبري 21 / 369)

ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع في الحميم قولان : أحدهما : أنه القريب قاله الحسن . الثاني : الشفيق ، قاله مجاهد ، ومعنى الكلام : ما لهم من حميم ينفع ولا شفيع يطاع أي يجاب إلى الشفاعة وسميت الإجابة طاعة لموافقها إرادة المجاب . (تفسير الماوردى 5 / 150)

(وما للظالمين) للمشركين (من نصير) مانع يمنعهم من عذاب الله . (تفسير البغوي 5 / 400)

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : اتق دعوة المظلوم فإن دعوة المظلوم مستجابة .
(شرح الزرقاني على الموطأ / 1 / 761)

عن الحارث بن سويد قال : وشى رجل بعمار إلى عمر بن الخطاب ، فقال عمار لما بلغه : اللهم ، إن كان كاذبا : فاجعله موطأ العقبين ، وابسط له من الدنيا . (حلية الأولياء / 1 / 142)

قال علي بن أبي طالب : يوم المظلوم على الظالم (أي يوم القيامة) أشد من يوم الظالم على المظلوم (أي في الدنيا) . (المستطرف في كل فن مستظرف / 127)

عن ابن عباس رضي الله عنه قال : لو أن جبلا بغى على جبل ، لدك الباغي . (حلية الأولياء / 1 / 32)
وقال أيضا : ما ظهر البغي في قوم قط ، إلا ظهر فيهم الموتان . (حلية الأولياء / 1 / 322)

قال أبي الدرداء : إياك ودمعه اليتيم ودعوة المظلوم فإنها تسري بالليل والناس نيام .
(حلية الأولياء / 1 / 221)

وقال أيضا : أن أبغض الناس إلى أن أظلمه : من لا يستعين علي إلا بالله عز وجل . (الحلية / 1 / 221)

عن عبد الله بن سلمه قال : قال رجل لمعاذ بن جبل : علمني ؛ قال : وهل أنت مطيعي ؟ قال : إني على طاعتك لحريص ؛ قال : صم و أفطر ، وصل ونم واكتسب ولا تأثم ، ولا تموتن إلا وأنت مسلم ، وإياك ودعوة المظلوم . (حلية الأولياء / 1 / 233)

عن جرير قال : قال سلمان رضي الله عنه : يا جرير ، تواضع لله ، فإنه من تواضع لله تعالى في الدنيا ، رفعه يوم القيامة ؛ يا جرير ، هل تدري ما الظلمات يوم القيامة ؟ قلت : لا أدري قال : ظلم الناس بينهم في الدنيا ؛ قال : ثم أخذ عويدا لا أكاد أن أراه بين أصبعيه قال : يا جرير لو طلبت في الجنة مثل هذا العود لم تجده قال : قلت : يا أبا عبد الله ؛ فأين النخل والشجر ؟ قال : أصولها اللؤلؤ والذهب وأعلىها الثمر . (حلية الأولياء / 6 / 107)

قال رجل عند أبي هريرة : أن الظالم لا يظلم الانفسه فقال ابوهريرة كذبت والذي نفس أبوهريرة بيده أن الحبارى لتموت في وكرها من ظلم الظالم . (العقوبات لابن أبي الدنيا / 178)

قال معاوية رضي الله عنه: إني لأستحي أن أظلم من لا يجد علي ناصرا إلا الله . (العقد الفريد / 1/30)

قال عمر بن عبد العزيز: إنما هلك من كان قبلنا: بحبسهم الحق حتى يشتري منهم وبسطهم الظلم ، حتى يفتدي منهم . (حلية الأولياء 5 / 311)

وعنه قال : ادءوا الحدود ما استطعتم في كل شبهة ، فإن الوالي : إن أخطأ في العفو ، خير من أن يتعدى في الظلم والعقوبة . (حلية الأولياء 5 / 311)

وكتب إلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله بعض عمالة يستأذنه في تحصين مدينته . فكتب إليه : حصنها بالعدل ، ونق طرقها من الظلم . (العقد الفريد 1 / 31)

قال رباح بن عبيدة : كنت قاعدا عند عمر ابن عبد العزيز فذكر الحجاج ، فشتمته ، ووقعت فيه ؛ فقال عمر : مهلا يا رباح ، إنه بلغني : أن الرجل ليظلم بالمظلمة ، فلا يزال المظلوم يشتم الظالم وينتقصه ، حتى يستوفي حقه ؛ فيكون للظالم عليه الفضل . (حلية الأولياء 5 / 277)

قال ميمون بن مهران : إن الرجل يقرأ القرآن وهو يلعن نفسه ، قيل له : وكيف يلعن نفسه ؟ ! قال يقول : وهو ظالم (ألا لعنة ؟ لله على ؟ لظالمين) . (تنبيه الغافلين 1 / 407)

وقال ميمون بن مهران : الظالم ، والمعين على الظلم ، والمحب له سواء . (مسائي الأخلاق 220)

وقال أيضا : في قوله تبارك وتعالى : (ولا تحسن الله غافلا عما يعمل الظالمون) قال : تعزية للمظلوم ووعيد للظالم . (مسائي الأخلاق للخرائط 220)

قال يزيد بن ميسرة : كان المسيح عليه السلام يقول : إن أحببتم أن تكونوا أصفياء الله ونور بني آدم : فأعفوا عن من ظلمكم وعودوا من لا يعودكم و أقرضوا من لا يجزيكم وأحسنوا إلى من لا يحسن إليكم . (حلية الأولياء 5 / 239)

قال عبد الرحمن بن نجيح : سمعت يزيد بن ميسرة يقول : إن ظلمت تدعو على رجل ظلمك ، فإن الله تعالى يقول : إن آخريدعو عليك ، إن شئت استجبنا لك واستجبنا عليك ، وإن شئت أخرجنا إلى يوم القيامة ووسعكما عفو الله . (حلية الأولياء 5 / 239)

قال سفيان الثوري : أن لقيت الله بسبعين ذنبا فيما بينك وبين الله تعالى أهون عليك من أن تلقاه بذنب واحد فيما بينك وبين العباد . (تنبيه الغافلين 1 / 409)

قال يحيى الشيباني : مكتوب في التوراة : كما تدين تدان وبالكأس الذي تسقى به تشرب وزيادة لأن البادي لا بد أن يزداد . (حلية الأولياء 6 / 107)

قال شريح القاضي : سيعلم الظالمون حق من انتقصوا إن الظالم لينتظر العقاب وإن المظلوم لينتظر النصر والثواب . (الزواجر عن اقتراف الكبائر الهيثمي 2 / 124)

وقال ابن الجوزي : الظلم يشتمل على معصيتين : أخذ مال الغير ومبارزة الرب بالمخالفة . وإنما ينشأ الظلم عن ظلمة القلب لو استنار بنور الهدى لاعتبر فإذا سعى المتقون بنورهم الذي حصل لهم بسبب التقوى اكتنفت ظلمات الظلم الظالم حيث لا يغني عنه ظلمه شيئاً . (كشف المشكل 2 / 559)

وكان يزيد بن حكيم يقول : ما هبت شيئاً قط هبتي من رجل ظلمته ، وأنا أعلم أن لا ناصر له إلا الله ، فيقول : حسبي الله ، الله بيني وبينك . (الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر 2 / 122)

قال سعيد بن المسيب : لا تملئوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بإنكار من قلوبكم لئلا تحبط أعمالكم الصالحة . (الكبائر للذهبي 112)

قال مجاهد : لو أن الجنة وهي دار البقاء أسست على حجر من الظلم لأوشك أن تخرب . (المستطرف في كل فن مستظرف للابشيهي 127)

بكي علي بن الفضيل يوماً فقليل له : ما يبكيك ؟ قال : أبكي على من ظلمني إذا وقف غدا بين يدي الله تعالى ولم تكن له حجة . (المستطرف في كل فن مستظرف 128)

قال مكحول الدمشقي : ينادي مناد يوم القيامة أين الظلمة وأعوانهم ؟ فما يبقى أحد مد لهم يداً أو حبر لهم دواة أو بري لهم قلماً فما فوق ذلك إلا حضر معهم فيجمعون في تابوت من نار فيلقون في جهنم . (الكبائر للذهبي 112)

قال الشافعي : بنس الزاد إلى الميعاد ظلم العباد . (كتاب مواعظ الشافعي 1 / 16)

قال أبو بكر الوراق : أكثر ما ينزع الإيمان من القلب ظلم العباد . (تنبيه الغافلين 1 / 409)

قال حسان بن عطية : يعذب الله الظالم بالظالم ، ثم يدخلهما النار جميعاً . (حلية الأولياء 6 / 74)

قال يوسف بن أسباط : من دعا لظالم بالبقاء ، فقد أحب أن يعصى الله . (حلية الأولياء 8 / 240)

عن إبراهيم التيمي قال : إن الرجل ليظلمني ، فأرحمه . (حلية الأولياء 4 / 213)

قال ابن القيم : والظلم عند الله عز وجل يوم القيامة له دواوين ثلاثة : ديوان لا يغفر الله منه شيئاً ، وهو الشرك به فإن الله لا يغفر أن يشرك به . وديوان لا يترك الله تعالى منه شيئاً ، وهو ظلم العباد

بعضهم بعضا ، فإن الله تعالى يستوفيه كله وديوان لا يعبأ الله به شيئا ، وهو ظلم العبد نفسه بينه وبين ربه عز وجل ، فإن هذا الديوان أخف الدواوين وأسرعها محوا ، فإنه يمحي بالتوبة والاستغفار ، والحسنات الماحية ، والمصائب المكفرة ، ونحو ذلك . بخلاف ديوان الشرك ؛ فإنه لا يمحي إلا بالتوحيد وديوان المظالم لا يمحي إلا بالخروج منها إلى أربابها واستحلالهم منها . (الوابل الصيب من الكلم الطيب 23)

وقال ابن القيم : الإنسان خلق في الأصل ظلوما جهولا ، ولا ينفك عن الجهل والظلم إلا بأن يعلمه الله ما ينفعه ويلهمه رشده ، فمن أراد به خيرا علمه ما ينفعه فخرج به عن الجهل ونفعه بما علمه فخرج به عن الظلم ومن لم يرد به خيرا أبقاه على أصل الخلقة فأصل كل خير هو العلم والعدل ، وأصل كل شر هو الجهل والظلم . (إغاثة اللفهان 2 / - 137)

قال القرطبي : قال تعالى : (إنما نملي لهم ليزدادوا إثما) (آل عمران 178) يملئ يطيل في مدته ، ويصح بدنه ويكثر ماله وولده ليكثر ظلمه وهذا كما فعل الله بالظلمة من الأمم السالفة والقرون الخالية حتى إذا عم ظلمهم وتكامل جرمهم أخذهم الله آخذة رابية فلا ترى لهم من باقية وذلك سنة الله في كل جبار عنيد . (تفسير القرطبي 1 / 73)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : (دِيْوَانُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ 50)

أَدِ الْأَمَانَةِ وَالْخِيَانَةَ فَاجْتَنِبِ *** وَاعْدِلْ وَلَا تَظَلِّمْ يَطِيبُ الْمُكْسَبِ

وَاحْدَرْنَا مِنَ الْمَظْلُومِ سَهْمًا *** صَابِيًا وَأَعْلَمَ بِأَنَّ دُعَاءَهُ لَا يَحْجُبُ

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّافِ :

عن هشام بن عروة عن أبيه أن أروى بنت أويس ادعت على سعيد بن زيد أنه أخذ شيئا من أرضها فخاصمته إلى مروان بن الحكم فقال سعيد أنا كنت أخذ من أرضها شيئا بعد الذي سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له مروان لا أسألك بينه بعد هذا فقال اللهم إن كانت كاذبة فعم بصرها وأقتلها في أرضها قال فما ماتت حتى ذهب بصرها ثم بينا هي تمشي في أرضها إذ وقعت في حفرة فماتت . (مسلم رقم 1610 - 11 / 53 - البخاري 3 / 137 رقم 2452)

قال حسان بن عطية : شكّا رجل إلى أبي الدرداء أخاه فقال : سينصرك الله عزوجل عليه فوفد إلى معاوية فأجازه معاوية بمائة دينار فقال له أبو الدرداء : هل علمت أن الله قد نصرك على أخيك ؟ وفد على معاوية ، فأجازه بمائة دينار وولد له غلام . (حلية الأولياء 1 / 233)

نادى طاوس اليماني : هشام بن عبد الملك وهو على المنبر يا سليمان اذكر يوم الأذان فنزل سليمان من على المنبر ودعا بالرجل ، فقال له : ما يوم الأذان ؟ فقال : قال الله تعالى : (فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين) فصعق هشام فقال طاوس هذا ذل الصفة فكيف المعاينة . (الزواجر 2 / 124)

عن عبد الله بن عياش مولى بني جشم عن أبيه عن شيخ قد سماه وكان قد أدرك سبب تسيير عامر بن عبد الله قال : مر برجل من أعوان السلطان وهو يجرد ذميا والذمي يستغيث به : قال : فأقبل على الذمي فقال : أدبت جزيتك ؟ قال : نعم فأقبل عليه فقال : ما تريد منه ؟ قال : أذهب به يكسح دار الأمير قال : فأقبل على الذمي فقال : تطيب نفسك له بهذا ؟ قال : يشغلني عن ضيعتي ؛ قال : دعه ، قال : لا أدعه ؛ قال : دعه ، قال : لا أدعه ؛ قال : فوضع كساءه ، ثم قال : لا تخف ذمة محمد صلى الله عليه وسلم وأنا حي ؛ ثم خلصه منه ، قال : فتراقي ذلك ، حتى كان سبب تسييره . (حلية الأولياء 2 / 91)

ومر رجل برجل قد صلبه الحجاج ، فقال يا رب إن حلمك على الظالمين قد أضر بالمظلومين ، فنام تلك الليلة ، فرأى في منامه أن القيامة قد قامت ، وكأنه قد دخل الجنة ، فرأى ذلك المصلوب في أعلى عليين ، وإذا مناد ينادي ، حلمي على الظالمين أحل المظلومين في أعلى عليين من سلب نعمة غيره سلب نعمته . (المستطرف في كل فن مستظرف للابشيهي 127)

كتب يحيى بن خالد البرمكي ، لما حبس إلى الرشيد : إن كل يوم يمضي من يومي يمضي من نعمتك مثله والموعود المحشر ، والحكم الديان ، وقد كتبت إليك بأبيات كتب بها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى معاوية بن أبي سفيان :

أما والله إن الظلم شوؤم	***	وَلَا زَالَ الْمُسِيءُ هُوَ الظَّلْمُ
إلى الديان يوم الدين تمضي	***	وعند الله تجتمع الخصوم
ستعلم في الحساب إذا التقينا	***	غدا عند المليك من العشوم
ستنقطع للذادة عن أناس	***	من الدنيا وتنقطع الهوم
لأمر ما تصرفت الليالي	***	لأمر ما تحركت النجوم (شعب الايمان للبيهقي رقم

27- باب تعظيم حرّات المسلمين وبيان حقوقهم والشفقة عليهم ورحمتهم

قَالَ اللهُ تَعَالَى : وَمَنْ يُعْظِمَ حُرْمَاتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ [الحج : 30] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَمَنْ يُعْظِمَ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ [الحج : 32] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَاحْفَظْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ [الحجر : 88] ، وَقَالَ تَعَالَى : مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا [المائدة : 32] .

222- وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا » وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ . متفق عليه .

223- وعنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ مَرَّ فِي شَيْءٍ مِنْ مَسَاجِدِنَا ، أَوْ أَسْوَأَ مِنْهَا ، وَمَعَهُ نَبَأٌ فَلْيُمْسِكْ ، أَوْ لِيَقْبِضْ عَلَيَّ نِصَالِهَا بِكَفِّهِ أَنْ يُصِيبَ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا بِشَيْءٍ » متفق عليه .

224- وعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ ، مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحَيِّ » متفقٌ عليه .

225- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قَبِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَسَنَ ابْنَ عَلِيٍّ رضي الله عنهما ، وَعِنْدَهُ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ ، فَقَالَ الْأَقْرَعُ : إِنَّ لِي عَشْرَةَ مِنْ الْوَلَدِ مَا قَبِلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا فَتَنْظُرْ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يَرْحَمُ » متفقٌ عليه .

226- وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قَدِمَ نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالُوا : أَتَقْبِلُونَ صَبِيَانَكُمْ ؟ فَقَالَ : « نَعَمْ » قَالُوا : لَكِنَّا وَاللَّهِ مَا نُقْبِلُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَوْ أَمْلِكُ إِنْ كَانَ اللهُ نَزَعَ مِنْ قُلُوبِكُمُ الرَّحْمَةَ » متفقٌ عليه .

227- وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ لَا يَرْحَمُهُ اللهُ » متفقٌ عليه .

228- وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِلنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ ، فَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ وَالسَّقِيمَ وَالْكَبِيرَ . وَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِنَفْسِهِ فَلْيَطْوِلْ مَا شَاءَ » متفقٌ عليه . وفي رواية : « وَذَا الْحَاجَةِ » .

229- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدع العمل، وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليهم « متفق عليه » .

230- وعنها رضي الله عنها قالت: مهأهم النبي صلى الله عليه وسلم عن الوصال رحمة لهم، فقالوا: إنك توصل؟ قال: « إني لست كهينتكم إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني » متفق عليه معناه: يجعل في قوة من أكل وشرب .

231- وعن أبي قتادة الحارث بن ربعي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إني لأقوم إلى الصلاة، وأريد أن أطول فيها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه » رواه البخاري .

232- وعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من صلى صلاة الصبح فهو في ذمة الله فلا يطلبتكم الله من ذمته بشيء، فإنه من يطلبه من ذمته بشيء يدركه، ثم يكبه على وجهه في نار جهنم » رواه مسلم .

233- وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة » متفق عليه .

234- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله، كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه النقوى هاهنا بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم » رواه الترمذي وقال: حديث حسن .

235- وعنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً. المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله. النقوى هاهنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم. كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » رواه مسلم .

« النجش » أن يزيد في ثمن سلعة ينادي علفها في السوق ونحوه، ولا رغبة له في شرائها بل يقصد أن يغرر غيره، وهذا حرام. « والتدابير »: أن يعرض عن الإنسان ويهجره ويجعله كالشيء الذي وراء الظهر والدبر .

236- وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « لا يؤمن أحدكم حتى يحب

لَأَخِيهِ مَا يُجِبُ لِنَفْسِهِ « متفق عليه .

237- وعنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا » فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْصُرَهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ ؟ قَالَ : « تَحْجُزْهُ أَوْ تَمْنَعْهُ مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ » رواه البخاري .

238- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ : رَدُّ السَّلَامِ ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ » متفق عليه .

وفي رواية لمسلمٍ : « حَقُّ الْمُسْلِمِ سِتٌّ : إِذَا لَقِيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَأَنْصَحْ لَهُ ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدِ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ . وَإِذَا مَرِضَ فَعُدُّهُ ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ » .

239- وعن أبي عُمارة البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : أمرنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَبْعٍ : أَمْرًا بِعِيَادَةِ الْمَرِيضِ ، وَاتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ ، وَإِبْرَارِ الْمُقْسِمِ ، وَنَصْرِ الْمَظْلُومِ ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي ، وَإِفْشَاءِ السَّلَامِ . وَهَمَانَا عَنْ خَوَاتِيمَ أَوْ تَخْتُمُ بِالذَّهَبِ ، وَعَنْ شُرْبِ بِالْفَضَّةِ ، وَعَنْ الْمِيَاثِرِ الْحُمْرِ ، وَعَنْ الْقَسِيِّ ، وَعَنْ لُبْسِ الْحَرِيرِ وَالْإِسْتَبْرَقِ وَالذَّبْيَاجِ . متفق عليه . وفي رواية : وَإِنْشَادِ الضَّلَالَةِ فِي السَّبْعِ الْأَوَّلِ . « الْمِيَاثِرُ » بِنَاءِ مُثَنَّاةٍ قَبْلَ الْأَلْفِ ، وَتَاءٍ مِثْلَتَهُ بَعْدَهَا ، وَهِيَ جَمْعُ مَيْثِرَةٍ ، وَهِيَ شَيْءٌ يَتَّخَذُ مِنْ حَرِيرٍ وَيُخْشَى قُطْنًا أَوْ غَيْرَهُ وَيُجْعَلُ فِي السَّرُجِ وَكُورِ الْبُعَيْرِ يَجْلِسُ عَلَيْهِ الرَّكِيبُ « وَالْقَسِيُّ » بَفَتْحِ الْقَافِ وَكَسْرِ السِّينِ الْمَهْمَلَةِ الْمَشْدَدَةِ : وَهِيَ ثِيَابٌ تُنْسَجُ مِنْ حَرِيرٍ وَكَتَانٍ مُخْتَلِطَيْنِ . « وَإِنْشَادُ الضَّلَالَةِ » : تَعْرِيفُهَا .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

قال زيد بن أسلم : الحرمات : المشعر الحرام والبيت الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام هؤلاء الحرمات . قال مجاهد في قوله : ذلك ومن يعظم حرمات الله قال : الحرمه : مكة والحج والعمرة وما نهى الله عنه من معاصيه كلها . (تفسير الطبري 18 / 618)

عن عطاء وعكرمة : ذلك ومن يعظم حرمات الله قال : المعاصي . (تفسير الدر المنثور 10 / 487)

عن ابن عباس في قوله : ذلك ومن يعظم شعائر الله قال : البدن . عن ابن عباس : ذلك ومن يعظم شعائر الله قال : الإستهسان والاستحسان والإستهظام . (تفسير الدر المنثور 10 / 491)

عن ابن جريج قال لما نزلت : وأندر عشيرتك الأقربين بدأ بأهل بيته وفصيلته ، فشق ذلك على

المسلمين ، فأنزل الله : واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين . عن ابن زيد في قوله : واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين يقول : ذلل لهم . وفي قوله : فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون . قال : أمره بهذا ثم نسخه فأمره بجهادهم . (تفسير الدر المنثور 11 / 314)

عن ابن عباس في قوله : من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحيأها فكأنما أحيأ الناس جميعا ، قال : من شد على عضد نبي أو أمام عدل فكأنما أحيأ الناس جميعا ومن قتل نبيا أو أمام عدل فكأنما قتل الناس جميعا . (تفسير الطبري 10 / 233)

عن ابن عباس : من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا قال : هو كما قال ، وقال : ومن أحيأها فكأنما أحيأ الناس جميعا فأحيأوها : لا يقتل نفسا حرمها الله ، فذلك الذي أحيأ الناس جميعا يعني : أنه من حرم قتلها إلا بحق حيي الناس منه جميعا . (تفسير الطبري 10 / 236)

عن سليمان بن علي الربيعي ، قال : قلت للحسن : هذه الآية لنا يا أبا سعيد كما كانت لبني إسرائيل ؟ فقال : إي والذي لا إله غيره ، كما كانت لبني إسرائيل وما جعل دماء بني إسرائيل أكرم على الله من دمائنا ، وقال الحسن البصري : (فكأنما أحيأ الناس جميعا) ، قال : وزرا ، (ومن أحيأها فكأنما أحيأ الناس جميعا) قال : أجرا . (تفسير ابن كثير 3 / 83 - 84)

قال أبي هريرة : دخلت على عثمان يوم الدار فقلت : جئت لأنصرك ، فقال : يا أبا هريرة ، أيسرك أن تقتل الناس جميعا وإياي معهم ؟ قلت : لا ، قال : فإنك إن قتلت رجلا واحدا فكأنما قتلت الناس جميعا ، فانصرف . عن الحسن في قوله : من قتل نفسا بغير نفس فكأنما قتل الناس جميعا . قال : في الوزر ، ومن أحيأها فكأنما أحيأ الناس جميعا قال : في الأجر عن . الحسن في قوله : ومن أحيأها قال : من قتل له حميم فعفا عنه فكأنما أحيأ الناس جميعا . (تفسير الدر المنثور 5 / 279)

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قال عمر بن الخطاب لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما حينما أتاه يكلمه في أن يلين لهم لأنه أخاف الناس حتى خاف الأبيكار في خدورهن فقال : إني لا أجد لهم إلا ذلك والله لو أنهم يعلمون ما لهم عندي من الرأفة والرحمة والشفقة لأخذوا ثوبي عن عاتقي . (المجالسة وجواهر العلم 4 / 43)

قال أبي هريرة : كنا نسمي جعفر بن أبي طالب أبا المساكين قال : وكان يذهب بنا إلى بيته فإذا لم يجد لنا شيئا أخرج إلينا عكة هي إناء من جلد يجعل فيه السمن غالبا والعسل أثرها عسل قال : فشققناها وجعلنا نلعقها . (شعب الإيمان 13 / 312)

قال أبوهريرة : لورأيت الأطباء ترتع بالمدينة ما ذعرتها . (صحيح مسلم حديث 1372)

قال عبد الله بن عمر : من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله . (فتح الباري 12 / 233 / 234 - 6863)

قال عبد الله بن مسعود : لو أن رجلاً أراد بالحداد فيه بظلم وهو بعدن أئين لإذاقة الله من العذاب الأليم . (أضواء البيان 4 / 294 - 295)

عن أبي سليمان الداراني قال : إنما الغضب على أهل المعاصي : عندما حل نظرك إليهم عليها فإذا تفكرت فيما يصيرون إليه من عقوبة الآخرة دخلت الرحمة لهم القلب . (حلية الأولياء 9 / 262)

قال أبي سليمان الداراني : الرضا عن الله عز وجل والرحمة للخلق : درجة المرسلين . (حلية الأولياء 9 / 262)

قال الحسن بن حكيم : حدثني أمي فقالت : كانت لأبي برزة جفنة من ثريد غدوه وجفنة عشية للأرامل واليتامى والمساكين . (الطبقات الكبرى لابن سعد 4 / 224)

كتب عمر بن عبد العزيز إلى حيان بمصر إنه بلغني أن بمصر إبلا نقالات يحمل على البعير منها ألف رطل (الرطل يساوي 449.28 جرام) فإذا أتاك كتابي هذا فلا أعرفن أنه يحمل على البعير أكثر من ستمائة رطل وكتب إلى صاحب السكك أن لا يحملوا أحدا بلجام ثقيل من هذه الرستنية ولا ينخس بمقرعة في أسفلها جديدة . (سيرة عمر بن عبد العزيز لأبي محمد المصري 141)

وعن عبد الملك بن حميد قال : كنا مع عبد الملك بن صالح بدمشق فأصاب كتابا في ديوان دمشق (بسم الله الرحمن الرحيم) من عبد الله بن عباس ، إلى معاوية بن أبي سفيان ، سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله ، الذي لا إله إلا هو ، عصمنا الله وإياك بالتقوى أما بعد ، فإنك من ذوي النهى من قريش ، وأهل الحلم والخلق الجميل منها ، فليصدر رأيك بما فيه النظر لنفسك ، والتقية على دينك ، والشفقة على الإسلام وأهله ، فإنه خير لك ، وأوفر لحظك في دنياك وآخرتك . (تاريخ دمشق 415 / 27)

عن ابن عون قال : كان لابن سيرين منازل لا يكرهها إلا من أهل الذمة فقيل له في ذلك قال : إذا جاء رأس الشهر رعته وأكره أن أروع مسلما . (حلية الأولياء 2 / 268)

عن عبد الرحمن بن جبيات قال : قيل لعمر بن قيس الملائي : ما الذي نرى بك من تغير الحال ؟ قال : رحمة للناس من غفلتهم عن أنفسهم . (حلية الأولياء 5 / 102)

قال أبو الخير: القلوب ظروف ، فقلب مملوء إيمانا ، فعلامته الشفقة على جميع المسلمين ، والاهتمام بما يهمهم ، ومعاونتهم على أن يعود صلاحه إليهم . وقلب مملوء نفاقا ، فعلامته الحقد والغل والغش والحسد . (تاريخ دمشق / 161 / 66)

وقال الجنيد : عندما سئل عن الشفقة على الخلق ما هي ؟ تعطيهم من نفسك ما يطلبون ولا تحمليهم ما لا يطيقون ولا تخاطيهم بما لا يعلمون . (شعب الإيمان للبيهقي 6 / 264)

قال عبد الله بن عثمان رحمه الله (شيخ البخاري) : ما سألتني أحد حاجة إلا قمت له بنفسي ، فإن تم وإلا قمت له بمالي ، فإن تم وإلا استعنا له بالإخوان ، فإن تم وإلا استعنت له بالسلطان (الحاكم) . (الآداب الشرعية 2 / 180)

قال أبو عبد الله الجعفي : المواساة تجديد للمواخاة . (الفتوة - أبو عبد الرحمن السلمي 93)

قال سفيان الثوري : المواساة طريق بدت بين العوسج (شجر ذات شوك) . (المتحايين في الله 76)

قال محمد بن واسع : ما رددت أحدا عن حاجة أقدر على قضائها ولو كان فيها ذهاب مالي . (قضاء الحوائج لابن أبي الدنيا 64)

عن أبي عمران الجوني قال : لم ينظر الله تعالى إلى إنسان قط إلا رحمه ولو نظر إلى أهل النار لرحمهم ؛ ولكنه قضى أنه لا ينظر إليهم . (حلية الأولياء 2 / 314)

قال يحيى بن بكير : احترقت دار عبد الله بن لهيعة فبعث إليه الليث بن سعد بألف دينار . (حلية الأولياء 7 / 322)

قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله : المواساة من أخلاق المؤمنين (حلية الأولياء 7 / 370)

قال ابن قتيبة رحمه الله : لا حصنت النعم بمثل المواساة . (عيون الأخبار لابن قتيبة 1 / 388)

وكان عمرو إذا نظر إلى أهل السوق بكى وقال : ما أغفل هؤلاء عما أعد لهم . (حلية الأولياء 5 / 102)

وَقَالَ مُحَمَّدُ الْإِخْسِيكَائِيُّ : (مُعْجَمُ الْأَدْبَاءِ لِيَأْقُوتِ الْحَمَوِيِّ 6 / 2640)

إِرْحَمِ أَحْيَ عِبَادِ اللَّهِ كُلِّهِمْ *** وَانظُرْ إِلَيْهِمْ بِعَيْنِ اللَّطْفِ وَالشَّفَقَةِ

وَقَرَّ كَبِيرُهُمْ وَإِرْحَمِ صَغِيرَهُمْ *** وَرَاعِ فِي كُلِّ خَلْقٍ وَجْهَ مَنْ خَلَقَهُ

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

عن مالك الداراني : أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أخذ أربعمائة دينار فجعلها في صرة فقال للغلام : اذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجراح ثم انتظر ساعة في البيت حتى تنظر ما يصنع فذهب بها الغلام فقال : يقول لك أمير المؤمنين : اجعل هذه في بعض حاجتك فقال : وصله الله ورحمة ثم قال : تعالى يا جارية اذهبي بهذه السبعة إلى فلان ، وبهذه الخمسة إلى فلان ، وبهذه الخمسة إلى فلان ، حتى أنفذها ، فرجع الغلام إلى عمر رضي الله تعالى عنه وأخبره ، فوجده قد أعد مثلها لمعاذ بن جبل ، فقال : اذهب بها إلى معاذ وانتظر في البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع ، فذهب بها إليه فقال : يقول لك أمير المؤمنين : اجعل هذه في بعض حاجتك ، فقال : رحمه الله ووصله تعالى يا جارية ، اذهبي إلى بيت فلان بكذا ، اذهبي إلى بيت فلان بكذا ، فاطلعت امرأة معاذ فقالت : ونحن والله مساكين فأعطينا ، ولم يبق في الخرق إلا ديناران ، فدحا (ألقى) بهما إليها (أي أعطاهما) ، ورجع الغلام إلى عمر فأخبره ، فسر بذلك وقال : إنهم إخوة بعضهم من بعض . (حلية الأولياء / 1 / 237)

واشتهى عمر بن الخطاب الحوت يوما فقال : لقد خطر على قلبي شهوة الطري من حيتان ، فخرج يرفأ ، في طلب الحوت لعمر رضي الله عنه ، ورحل راحلته فسار ليلتين مدبرا وليلتين مقبلا واشترى مكتلا ، وجاء بالحوت ، ثم غسل يرفأ الدابة ، فنظر إليها عمر فرأى عرقا تحت أذنها فقال : عذبت بهيمة من الجرائم في شهوة عمر لا والله لا يذوقه عمر ، عليك بمكتلك . (تاريخ دمشق / 44 / 301)

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لما طعنه أبو لؤلؤة المجوسي : يا ابن عباس ، انظر من قتلتني ، فجال ساعة ، ثم جاء ، فقال : غلام المغيرة ، قال : الصنع (يشير إلى غلام المغيرة بن شعبة ، أبو لؤلؤة فيروز) ، قال : نعم ، قال : قاتله الله لقد أمرت به معروفا ، الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي الإسلام . (صحيح التوثيق في سيرة وحياة الفاروق 369 - 370)

ورآه عيينة بن حصن يوما يقبل أحد أبنائه ، وقد وضعه في حجرة وهو يحنو عليه ، فقال عيينة : أتقبل وأنت أمير المؤمنين ؟ لو كنت أمير المؤمنين ما قبلت لي ولدا . فقال عمر : الله ، الله حتى استحلفه ثلاثا ، فقال عمر : فما أصنع إن كان الله نزع الرحمة من قلبك ؟ إن الله إنما يرحم من عباده الرحماء . (جامع معمر بن راشد / 11 / 299)

ومر رضي الله عنه براهب فوقف ونودي بالراهب فقيل له : هذا أمير المؤمنين ، فاطلع فإذا إنسان به من الضر والاجتهاد وترك الدنيا ، فلما رآه عمر بكى ، فقيل له : إنه نصراني ، فقال عمر : قد علمت ولكني رحمته ، ذكرت قول الله عز وجل : (عاملة ناصبة تصلى نارا حامية) (الغاشية 3)

رحمت نصبه واجتهاده وهو في النار. (مصنف عبد الرزاق 3 / 240)

عن عائشة رضي الله عنها قالت : جاءني مسكينة تحمل ابنتين لها ، فأطعمتها ثلاث تمرات ، فأعطت كل واحدة منهما ثمرة ورفعت إلي فيها ثمرة لتأكلها فاستطعمتها ابنتاها فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما فأعجبني شأنها ، فذكرت الذي صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن الله قد أوجب لها بها الجنة أو اعتقها بها من النار. (رواه مسلم 2630)

روى أن هشام بن عبد الملك الخليفة الأموي أنه كان لا يدخل في بيت المال شيئاً حتى يشهد أربعون قساماً لقد أخذ من حقه ، ولقد أعطى الناس حقوقهم ، ما يدخل شيئاً في بيت المال حتى يقسم أربعون أنه أخذ من حقه ، وأن الناس أعطوه . يعني ليس من المظالم ما أخذ من أحد بطريق فيه ظلم . (سير أعلام النبلاء 5 / 352)

وهذا عطاء السليبي قيل له : إن فلان بن علي قتل أربعمائة من أهل دمشق على دم واحد فقال متنفساً : هاه ، ثم خر ميتاً . (تاريخ الإسلام 8 / 332)

عن مغيث - بن سمي - قال : تعبد راهب من بني إسرائيل في صومعة ستين سنة ؛ قال : فنظريوما في غب السماء ، فأعجبهته الأرض ، فقال : لو نزلت ، فمشيت في الأرض ، ونظرت فيما ؛ قال : فنزل معه برغيف ؛ فعرضت له امرأة ، فتكشفت له ، فلم يملك نفسه أن وقع عليها ، فأدركه الموت وهو على تلك الحال ؛ قال : وجاء سائل ، فأعطاه الرغيف ، ومات ؛ فجيء بعمل ستين سنة ، فوضع في كفة ؛ قال : وحيء بخطيئته ، فوضعت في كفة ، فرجحت بعمله ؛ حتى جيء بالرغيف ، فوضع مع عمله ؛ قال : فرجح بخطيئته . (حلية الأولياء 6 / 69)

28- باب ستر عورات المسلمين والنهي عن إشاعتها لغير ضرورة

قَالَ اللهُ تَعَالَى : إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ [النور: 19] .

240- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يسترُ عبدٌ عبداً في الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » رواه مسلم .

241- وعنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهِرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ فَيَقُولُ : يَا فَلَانُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا ، وَقَدْ بَاتَ يَسْتَرُهُ رَبُّهُ ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ » متفق عليه

242- وعنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِذَا زَنَتِ الْأُمَّةُ فَتَبِينَ زَنَاها فَلْيَجْلِدْها الْحَدَّ ، وَلَا يُتْرَبْ عَلَيْها ، ثُمَّ إِنْ زَنَتِ الثَّانِيَةَ فَلْيَجْلِدْها الْحَدَّ وَلَا يُتْرَبْ عَلَيْها ، ثُمَّ إِنْ زَنَتِ الثَّلَاثَةَ فَلْيَبْعِها وَلَوْ بِحَبْلِ مِنْ شَعْرِ » متفق عليه . «التَّوْبِيخُ» : التَّوْبِيخُ .

243- وعنه قال : أُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرَجُلٍ قَدْ شَرِبَ خَمْرًا قَالَ : « اضْرِبُوهُ » قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَمِنَّا الضَّارِبُ بِيَدِهِ وَالضَّارِبُ بِتَعْلِهِ ، وَالضَّارِبُ بِتَوْبِهِ . فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ : أَخْزَاكَ اللهُ ، قَالَ : لَا تَقُولُوا هَكَذَا لَا تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ « رواه البخاري .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

عن مجاهد : إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة قال : تظهر ، يحدث عن شأن عائشة . عن قتادة : إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة قال : يحبون أن يظهر الزنى عن خالد بن معدان قال : من حدث بما أبصرته عيناه ، وسمعتة أذناه ، فهو من الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا . عن عطاء قال : من أشاع الفاحشة فعليه النكال وإن كان صادقاً . عن علي بن أبي طالب قال : القائل للفاحشة والذي يشيع بها في الإثم سواء . عن شبيل بن عون قال : كان يقال : من سمع بفاحشة فأفشاها ، فهو فيها كالذي أبداها . (تفسير الدر المنثور 10 / 703)

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : لو أخذت سارقاً لأحببت أن يستره الله عز وجل ، ولو أخذت شارباً ، لأحببت أن يستره الله عز وجل . (الطبقات الكبرى لابن سعد 13 / 5)

قال عبد الله بن مسعود ثلاث أحلف علمن والرابعة لو حلفت لبررت لا يجعل الله من له سهم في الإسلام كمن لا سهم له ولا يتولى الله عبد في الدنيا فولاه غيره يوم القيامة ولا يحب رجل قوماً إلا جاء معهم يوم القيامة ، والرابعة التي لو حلفت عليها لبررت لا يستر الله على عبد في الدنيا إلا ستر عليه في الآخرة . (مصنف عبد الرزاق 199 / 11)

عن أشعث بن أبي الشعثاء عن أبيه قال كان شرحبيل بن السمط على جيش فقال لجيشه إنكم نزلتم أرضاً كثيرة النساء والشراب يعني الخمر فمن أصاب منكم حداً فليأتنا فنظيره فأتاه ناس فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فكتب إليه أنت لا أم لك الذي يأمر الناس أن يهتكوا ستر الله الذي سترهم به . (الزهد لهناد بن السري 646 / 2 - مصنف الصنعاني رقم 9371)

قال أبو عثمان النهدي : إن المؤمن ليعطى كتابه في ستر من الله تعالى فيقرأ سيئاته فيتغير لونه ثم

يقراً حسناته فيرجع إليه لونه ثم ينظروا إذا سيئاته قد بدلت حسنات فعند ذلك يقول) : هاؤم
اقرؤوا كتابيه) (إلحاقه) . (الزهد لابن المبارك 1 / 497)

قال عبد الله بن المبارك ، : كان الرجل إذا رأى من أخيه ما يكره ، أمره في ستر ، ونهاه في ستر ، فيؤجر
في ستره ، ويؤجر في نهيه ، فأما اليوم فإذا رأى أحد من أحد ما يكره ، استغضب أخاه وهتك ستره .
(روضة العقلاء 1 / 196)

وعن إبراهيم بن أدهم قال : بلغني أن عمر بن عبد العزيز قال لخالد ابن صفوان : عظمي وأوجز .
قال : فقال خالد : يا أمير المؤمنين ، إن أقواما غرهم ستر الله عز وجل ، وفتنهم حسن الثناء ، فلا
يغلبن جهل غيرك بك علمك بنفسك ، أعاذنا الله وإياك أن نكون بالستر مغرورين ، وبثناء الناس
مسرورين ، وعمّا افترض الله متخلفين مقصرين وإلى الأهواء مائلين . قال فبكى ثم قال أعاذنا الله
وإياك من اتباع الهوى . (الزهد الكبير للبيهقي 1 / 187)

عن عبيد الله بن عبد الكريم الجيلي قال : من رأيت يطلب العثرات على الناس فاعلم أنه معيوب
ومن ذكر عورات المؤمنين فقد هتك ستر الله المرخي على عباده . وقال : لولا المنافق ما عرف
للمؤمنين عيب ولولا الرياء ما عرف المستورون ولولا أهل المعرفة لكان الناس كلهم في معنى البهائم
، ولولا ستر الله ، لكان الناس كلهم مهتوكين فمن كرمه جعل البر والفاجر في ستره وأن لله عز وجل
عبادا ما نظر إليهم منذ خلقهم بغضا لهم وإن الله يتعاهدهم كما تتعاهد الأم الشفيقة طفلها في
المهد . (التوبيخ والتنبيه لأبي الشيخ الأصبهاني 1 / 101)

وقال أبو البركات الغزي العامري عن آداب العشرة بين المسلمين : ومنها : الاجتهاد في ستر عورات
الإخوان وقبائحهم ، وإظهار مناقبهم ، وكونهم يدا واحدة في جميع الأوقات . (آداب العشرة 1 / 53)
وقال ابن رجب : روي عن بعض السلف أنه قال : أدركت قوما لم يكن لهم عيوب ، فذكروا عيوب
الناس ، فذكر الناس عيوبهم . وأدركت أقواما ، كانت لهم عيوب فكفوا عن عيوب الناس فنسيت
عيوبهم . (جامع العلوم والحكم 2 / 291)

قال سفيان بن عيينة : لولا ستر الله عز وجل ما جالسنا أحد . (شعب الإيمان للبيهقي 6 / 290)

قال شبيل بن عوف الأحمسي : كان يقال : من سمع بفاحشة ، فأفشاها ، كان فيها كالذي بدأها .
(الزهد لوكيع 1 / 768)

قال الحسن البصري : من كان بينه وبين أخيه ستر فلا يكشفه . (مكارم الأخلاق 1 / 149)

وقال العلاء بن بدر: لا يعذب الله عزوجل قوما يسترون الذنوب . (مكارم الأخلاق 153 / 1)

قال ابن القيم : وأما اكتفاؤه في القتل بشاهدين دون الزنا ، ففي غاية الحكمة والمصلحة ؛ فإن الشارع احتاط للقصاص والدماء ، واحتاط لحد الزنا ، فلولم يقبل في القتل إلا أربعة لضاعت الدماء ، وتوائب العادون ، وتجروؤوا على القتل وأما الزنا فإنه بالغ في سترة ، كما قدر الله سترة ، فاجتمع على سترة شرع الله وقدره ، فلم يقبل فيه إلا أربعة يصفون الفعل وصف مشاهدة ، ينتفي معها الاحتمال ؛ وكذلك في الإقرار ، لم يكتف بأقل من أربع مرات ، حرصا على ستر ما قدر الله سترة وكرة إظهاره ، والتكلم به ، وتوعد من يحبب إشاعته في المؤمنين بالعذاب الأليم ، في الدنيا والآخرة . (إعلام الموقعين 50 / 2)

وقال أيضا : ومن الناس من طبعه طبع خنزير : يمر بالطيبات فلا يلوي عليهما ، فإذا قام الإنسان عن رجليه قمة وهكذا كثير من الناس ، يسمع منك ، ويرى من المحاسن أضعاف أضعاف المساوي ، فلا يحفظها ، ولا ينقلها ، ولا تناسبه ، فإذا رأى سقطة ، أو كلمة عوراء ، وجد بغيته ، وما يناسبها ، فجعلها فاكهته ونقله . (مدارج السالكين 406 / 1)

وقال أيضا : للعبد ستر بينه وبين الله وستر بينه وبين الناس فمن هتك الستر الذي بينه وبين الله هتك الله الستر الذي بينه وبين الناس . (الفوائد لابن القيم 31 / 1)

قَصِيدَةُ الْوَاضِحِيَّةِ لِابْنِ بَهِيحِ الْأَنْدَلُسِيِّ فِي الدِّفَاعِ عَنِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ الطَّاهِرَةَ الْمُبْرَأَةَ:

مَا شَأْنُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ وَسَائِي	***	هُدْيِ الْمُجِبُّ لَهَا وَضَلَّ الشَّانِي
إِنِّي أَقُولُ مُبَيِّنًا عَنْ فَضْلِهَا	***	وَمُتْرَجِمًا عَنْ قَوْلِهَا بِلِسَانِي
يَا مُبْغِضِي لَا تَأْتِ قَبْرَ مُحَمَّدٍ	***	فَالْبَيْتُ بَيْتِي وَالْمَكَانُ مَكَانِي
إِنِّي خُصِصْتُ عَلَى نِسَاءِ مُحَمَّدٍ	***	بِصِفَاتٍ بَرِّتَحَنَّنَ مَعَانِي
وَسَبَقْتُهُنَّ إِلَى الْفَضَائِلِ كُلِّهَا	***	فَالسَّبْقُ سَبْقِي وَالْعِنَانُ عِنَانِي
مَرِضَ النَّبِيِّ وَمَاتَ بَيْنَ تَرَائِي	***	فَالْيَوْمُ يَوْمِي وَالزَّمَانُ زَمَانِي
زَوْجِي رَسُولُ اللَّهِ لَمْ أَرَعِيهِ	***	اللَّهُ زَوْجِي بِهِ وَحَبَانِي
وَآتَاهُ جِبْرِيلُ الْأَمِينُ بِصُورَتِي	***	فَأَحَبَّنِي الْمُخْتَارُ حِينَ رَأَانِي
أَنَا بِكَرْهُ الْعَذْرَاءِ عِنْدِي سِرُّهُ	***	وَضَجِيعُهُ فِي مَنزِلِ قَمْرَانِي
وَتَكَلَّمَ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِحُجَّتِي	***	وَبَرَاءَتِي فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ
وَاللَّهُ خَفَّرَنِي وَعَظَّمَ حُرْمَتِي	***	وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ بَرَّانِي
وَاللَّهُ فِي الْقُرْآنِ قَدْ لَعَنَ الَّذِي	***	بَعْدَ الْبَرَاءَةِ بِالْقَبِيحِ زَمَانِي

- والله وَبِحَ مَنْ ارَادَ تَنَقُّصِي ***
 اِيَّيْ لِمُحَصَّنَةُ الْاِزَارِ بَرِيئَةٌ ***
 والله اُحْصَنِي بِخَاتَمِ رُسُلِهِ ***
 وَسَمِعْتُ وَحَيَّ اللهُ عِنْدَ مُحَمَّدٍ ***
 اَوْحَى اِلَيْهِ وَكُنْتُ تَحْتَ ثِيَابِهِ ***
 مَنْ ذَا يُفَاخِرُنِي وَيُنْكِرُ صُحْبَتِي ***
 وَاَخَذْتُ عَن اَبُوَيَّ دِينَ مُحَمَّدٍ ***
 وَاَبِي اَقَامَ الدِّينَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ***
 وَالْفَخْرُ فَخْرِي وَالْخِلَافَةُ فِي اَبِي ***
 وَاَنَا ابْنَةُ الصِّدِّيقِ صَاحِبِ اَحْمَدٍ ***
 نَصَرَ النَّبِيَّ بِمَالِهِ وَفَعَالِهِ ***
 ثَانِيهِ فِي الْغَارِ الَّذِي سَدَّ الْكُوَى ***
 وَجَفَا الْغَيْثَ حَتَّى تَخَلَّلَ بِالْعَبَا ***
 وَتَخَلَّلْتُ مَعَهُ مَلَائِكَةُ السَّمَآ ***
 وَهُوَ الَّذِي لَمْ يَخْسَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ***
 قَتَلَ الْاُلَى مَنَعُوا الرِّكَآةَ بِكُفْرِهِمْ ***
 سَبَقَ الصَّحَابَةَ وَالْقَرَابَةَ لِلْمَدِي ***
 وَاللهِ مَا اسْتَبَقُوا لِنَيْلِ فَضِيلَةٍ ***
 اِلَّا وَطَارَ اَبِي اِلَى عَلَيَّاهَا ***
 وَيَلُّ لِعَبْدِي خَانَ آلِ مُحَمَّدٍ ***
 طُوبَى لِمَنْ وَاى جَمَاعَةٍ صَحْبِهِ ***
 بَيْنَ الصَّحَابَةِ وَالْقَرَابَةِ اَلْفَةٌ ***
 هُمْ كَالْاَصَابِعِ فِي الْيَدَيْنِ تَوَاصِلًا ***
 حَصَرَتْ صُدُورُ الْكَافِرِينَ بِوَالِدِي ***
 حُبُّ الْبَتُولِ وَبَعْلِهَا لَمْ يَخْتَلِفْ ***
 اَكْرَمُ بِارْبَعَةٍ اَنْمَةِ شَرَعْنَا ***
 نُسِجَتْ مَوَدَّتُهُمْ سَدَى فِي لُحْمَةٍ ***
 اللهُ اَلْفَ بَيْنَ وَدِّ قُلُوبِهِمْ ***
 رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ صَفَتْ اَخْلَاقُهُمْ ***
- اِفْكَأ وَسَبَّحَ نَفْسَهُ فِي سَنَانِي
 وَدَلِيلُ حُسْنِ طَهَارَتِي اِحْصَانِي
 وَاذَلَّ اَهْلَ الْاِفْكِ وَالْمِهْتَانِ
 مِنْ جَبْرَتِي لَوْ نُورُهُ يَغْشَانِي
 فَحَنَّا عَلَيَّ بِثَوْبِهِ حَبَانِي
 وَمُحَمَّدٌ فِي حِجْرِهِ رَبَّانِي؟
 وَهُمَا عَلَيَّ الْاِسْلَامُ مُصْطَحَبَانِ
 فَالنَّصْلُ نَصْلِي وَالسِّنَانُ سِنَانِي
 حَسْبِي بِهَذَا مَفْخَرًا وَكَفَانِي
 وَحَبِيْبِي فِي السِّرِّ وَالْاِعْلَانِ
 وَخُرُوجِهِ مَعَهُ مِنَ الْاَوْطَانِ
 بِرِدَائِهِ اَكْرَمُ بِهِ مِنْ ثَانِ
 زُهْدًا وَاذْعَنَ اَيِّمًا اِذْعَانِ
 وَاتْتَهَ بِشَرِي اللهِ بِالرِّضْوَانِ
 فِي قَتْلِ اَهْلِ الْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ
 وَاذَلَّ اَهْلَ الْكُفْرِ وَالطُّغْيَانِ
 هُوَ شَيْخُهُمْ فِي الْفَضْلِ وَالْاِحْسَانِ
 مِثْلَ اسْتِثْبَاقِ الْخَيْلِ يَوْمَ رَهَانَ
 فَمَكَانُهُ مِنْهَا اَجَلُ مَكَانِ
 بَعْدَاوَةِ الْاَزْوَاجِ وَالْاَخْتَانِ
 وَيَكُونُ مِنْ اَحْبَابِهِ الْحَسَنَانِ
 لَا تَسْتَحِيلُ بِزَعَةِ الشَّيْطَانِ
 هَلْ يَسْتَوِي كَفُّ بَغْيِ بَنَانِي؟!
 وَقُلُوبُهُمْ مِلَّتْ مِنَ الْاَضْغَانِ
 مِنْ مِلَّةِ الْاِسْلَامِ فِيهِ اِثْنَانِ
 فَهُمْ لِبَيْتِ الدِّينِ كَالْاَرْكَانِ
 فَبِنَاؤُهَا مِنْ اَثْبَتِ الْبُنْيَانِ
 لِيَغِيظَ كُلَّ مُنَافِقٍ طِعَانِ
 وَخَلَّتْ قُلُوبُهُمْ مِنَ الشَّنَانِ

وَسَبَابُهُمْ سَبَبٌ إِلَى الْجِرْمَانِ	***	فَدَخُولُهُمْ بَيْنَ الْأَحْبَةِ كُلِّفَةٌ
وَاسْتَبْدَلُوا مِنْ خَوْفِهِمْ بِأَمَانٍ	***	جَمَعَ إِلَهُهُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَبِي
مَنْ ذَا يُطِيقُ لَهُ عَلَى خِدْلَانِ؟!	***	وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نُصْرَةَ عَبْدِهِ
إِنْ كَانَ صَانَ مَحَبَّتِي وَرَعَانِي	***	مَنْ حَبَّتِي فَلْيَجْتَنِبْ مَنْ سَبَّتِي
فَكِلَاهُمَا فِي الْبُغْضِ مُسْتَوِيَانِ	***	وَإِذَا مُجِئِي قَدْ أَلْظَّ بِمُبْغِضِي
وَنِسَاءُ أَحْمَدَ أَطِيبُ النَّسْوَانِ	***	إِنِّي لَطَيِّبَةٌ خَلِفْتُ لَطِيبٍ
حُبِّي فَسَوْفَ يَبُوءُ بِالْحُسْرَانِ	***	إِنِّي لَأُمُّ الْمُؤْمِنِينَ فَمَنْ أَبِي
وَإِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ هَدَانِي	***	اللَّهُ حَبَّتِي لِقَلْبِ نَبِيِّهِ
وَيُهَيِّنُ رَبِّي مَنْ أَرَادَ هَوَانِي	***	وَاللَّهُ يُكْرِمُ مَنْ أَرَادَ كِرَامَتِي
وَحَمْدُهُ شُكْرًا لِمَا أَوْلَانِي	***	وَاللَّهُ أَسْأَلُهُ زِيَادَةَ فَضْلِهِ
يَرْجُو بِذَلِكَ رَحْمَةَ الرَّحْمَانِ	***	يَا مَنْ يَلُودُ بِأَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ
عَنَّا فَتَسْلَبْ حِلَّةَ الْإِيمَانِ	***	صِلْ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا تَجِدْ
إِي وَالذِّي ذَلَّتْ لَهُ النَّقْلَانِ	***	إِنِّي لَصَادِقَةُ الْمَقَالِ كَرِيمَةٍ
مَحْفُوفَةٌ بِالرُّوحِ وَالرِّيْحَانِ	***	حُذِّهَا إِلَيْكَ فَإِنَّمَا هِيَ رَوْضَةٌ
فِيهِمْ تُسَمُّ أَزَاهِرُ الْبُسْتَانِ	***	صَلَّى إِلَهُهُ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ

قَالَ الشَّاعِرُ: (مُجَمَّعُ الْحُكْمِ وَالْأَمْثَالِ لِأَحْمَدَ قَبَشَ 371)

عَلَيْكَ وَأَبْدُوا مِنْكَ مَا كَانَ يَسْتُرُ	***	إِذَا أَنْتَ عَبَّتِ النَّاسَ عَابُوا أَوْ أَكْثَرُوا
لَهُ مَنْطِقُ فِيهِ لِسَانُ مُحَبَّرٍ	***	وَقَدْ قَالَ فِي بَعْضِ الْأَقَاوِيلِ قَائِلٌ
فَلَا عَيْبَ إِلَّا دُونَ مَا فِيكَ يَذْكَرُ	***	إِذَا مَا ذَكَرْتَ النَّاسُ فَاتْرُكْ عِيُوبَهُمْ
فَذَاكَ عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ أَكْبَرُ	***	فَإِنَّ عَبَّتْ قَوْمًا بِالَّذِي لَيْسَ فِيهِمْ
فَكَيْفَ يَعْيبُ الْعُورُ مِنْهُ وَأَعُورُ	***	وَأَنَّ عَبَّتْ قَوْمًا بِالَّذِي فِيكَ مَثَلُهُ

الآثار العملية في حياة السلف :

وعن الشعبي : أن رجلاً أتى عمر بن الخطاب قال : إن ابنة لي أصابت حدا فعمدت إلى الشفرة فذبحت نفسها ، فأدركتها وقد قطعت بعض أوداجها فداويتها فبرأت ثم أنها نسكت فأقبلت على القرآن فهي تخطب إلي فأخبر من شأنها بالذي كان فقال له عمر : تعمد إلى ستر ستره الله فتكشفه ؟

لئن بلغني أنك ذكرت شيئا من أمرها لأجعلنك نكالا لأهل الأمصار بل انكحها نكاح العفيفة المسلمة.
(مصنف عبد الرزاق 6 / 246)

وعن المعرور بن سويد قال : أتى عمر بامرأة راعية زنت فقال عمر : ويح المرية ، أفسدت حسيها ، اذهبا بالمريه فاجلداها ، ولا تخرقا عليها جلدها ، إنما جعل الله أربعة شهداء سترا ستركم به دون فواحشكم ، ولو شاء لجعله رجلا صادقا أو كاذبا فلا يطلعن ستر الله منكم أحد .
(التوبيخ والتنبيه للاصبهاني 1 / 65)

عن مريم بنت طارق : أن امرأة قالت لعائشة رضي الله عنها : يا أم المؤمنين إن كرياً (أجير) أخذ بساقي وأنا محرمة فقالت رضي الله عنها : حجرا حجرا وأعرضت بوجهها وقالت بكفها وقالت : يا نساء المؤمنين إذا أذنبت إحداكن ذنبا فلا تخبرن به الناس ولتستغفر الله تعالى ولتتب إليه فإن العباد يعيرون ولا يغيرون والله تعالى يغير ولا يعير . (مكارم الأخلاق 1 / 153)

قال ابن مهدي : سمعت سفيان الثوري يقول : طلبت في أيام المهدي فهربت فأتيت اليمن فكنت أنزل في حي وأوي إلى مسجدهم فسرق في ذلك الحي فاتهموني فأتوا بي معن بن زائدة وكان قد كتب إليه في طلبي - فقيل له : إن هذا قد سرق منا فقال : لم سرقت متاعهم ؟ فقلت : ما سرقت شيئا ، فقال لهم : تنحوا لأسأله ثم أقبل علي فقال : ما اسمك ؟ قلت : عبد الله بن عبد الرحمن قال : يا عبد الله بن عبد الرحمن نشدتك بالله ، لما نسبت لي نسبتك قلت : أنا سفيان بن سعيد بن مسروق ، قال : الثوري ؟ قلت : الثوري قال : أنت بغية أمير المؤمنين ؟ قلت : أجل فأطرق ساعة ، ثم قال : ما شئت فأقم ، وارجل متى شئت فوالله ، لو كنت تحت قدمي ما رفعتها . (حلية الأولياء 4 / 7)

29- باب قضاء حوائج المسلمين

قَالَ اللهُ تَعَالَى : وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [الحج : 77] .

244- وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمُهُ . وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » متفق عليه .

245- وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « من نَقَسَ عن مؤمن كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا ، نَقَسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ . وَمَا

اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتِ مَنْ بُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ ، وَيَتَدَارِسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ ، وَحَقَّتْ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ . وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرَعْ بِهِ نَسَبُهُ « رواه مسلم

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

قال ابن عباس : يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا أي : صلوا ، لأن الصلاة لا تكون إلا بالركوع والسجود ، واعبدوا ربكم وحده ، و افعالوا الخير . قال ابن عباس صلة الرحم ومكارم الأخلاق . لعلكم تفلحون . لكي تسعدوا وتفوزوا بالجنة . (تفسير البغوي 5 / 402)

قال أبو قحافة لابنه أبي بكر رضي الله عنه : يا بني أراك تعتق رقابا ضعافا ، فلو أنك إذا فعلت ما فعلت أعتقت رجالا جلداء يمنعوك ويقومون دونك ؟ قال : يا أبت إنما أريد ما أريد ما أريد قيل فنزلت فيه الآية : (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى) . (أسباب النزول 855)

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قال عبد الملك بن حبيب : كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه : إنه لم يزل للناس وجوه يرفعون حوائج الناس ، فأكرم وجوه الناس ، فحسب المسلم الضعيف من العدل أن ينصف في الحكم والقسمة . (مسند ابن الجعد ص 180 رقم 1163)

عن النزال بن سبره يحدث عن علي رضي الله عنه : أنه صلى الظهر ، ثم قعد في حوائج الناس في رحبة الكوفة ، حتى حضرت صلاة العصر . (البخاري حديث 5616)

قال ابن عباس : لأن أعول أهل بيت من المسلمين شهرا ، أو جمعة ، أو ما شاء الله ، أحب إلي من حجة بعد حجة ولطبق بدائق اهديه إلى أخ لي في الله عزوجل أحب إلى من دينار أنفقه في سبيل الله عزوجل . (حلية الأولياء 1 / 328)

عن ابن عباس : ثلاثة لا أكافئهم : رجل بداني بالسلام ، ورجل وسع لي في المجلس ورجل اغبرت قدماء في المشي إلى إرادة التسليم علي ، فأما الرابع فلا يكافئه عني إلا الله قيل : ومن هو ؟ قال : رجل نزل به أمر فبات ليلته يفكر بمن ينزله ، ثم رأني أهلا لحاجته فأنزلها بي . (البيهقي في الشعب 7 / 436)

وعن ابن عباس : من مشى بحق أخيه ليقضيه فله بكل خطوة صدقة . (البر والصلة 319)

قال ابن مسعود : يحشر الناس يوم القيامة أعرى ما كانوا قط وأجوع ما كانوا قط وأظماً ما كانوا

قط و أنصب ما كانوا قط فمن كسا لله عزوجل كساه الله ومن أطعم لله عزوجل أطعمه الله ومن سقى لله عزوجل سقاه الله ومن عفا لله عزوجل أعفاه الله . (جامع العلوم والحكم 356)

قال حكيم بن حزام : ما أصبحت وليس على بابي صاحب حاجة إلا علمت أنها من المصائب . (سير أعلام النبلاء 3 / 51)

قال الزبير بن بكار: كان للعباس بن عبد المطلب ثوب لعاري بني هاشم ، وجفنة لجائعهم ، وكان يمنع الجار ويبذل المال ويعطي في النوائب . (سير أعلام النبلاء 2 / 78)

قال أبو جعفر الباقر: جاء رجل إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما فاستعان به في حاجة فوجده معتكفا ، فاعتذر إليه فذهب إلى الحسن رضي الله عنه ، فاستعان به فقضى حاجته وقال الحسن : لقضاء حاجة أخ لي في الله أحب إلي من اعتكاف شهر . (البداية والنهاية لابن كثير 8 / 39)

قال محمد ابن الحنفية رحمه الله (ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه) : أيها الناس ، اعلموا أن حوائج الناس إليكم نعم الله عزوجل إليكم ، فلا تملوها فتتحول نقما ، واعلموا أن أفضل المال ما أفاد ذخرا ، وأورث ذكرا ، وأوجب أجرا ، ولو رأيتم المعروف رجلا لرأيتموه حسنا جميلا يسر الناظرين ، ويفوق العالمين . (شعب الإيمان ؛ للبيهقي 10 / 136 رقم 7284)

قال جعفر بن محمد الصادق : إن لله وجوها من خلقه ، خلقهم لقضاء حوائج عباده ، يرون الجود مجدا ، والأفضال مغنما ، والله يحب مكارم الأخلاق . (ربيع الأبرار الزمخشري 4 / 357)

وكان أبو وائل : يطوف على نساء الحي وعجائزهن كل يوم فيشتري لهن جوائجهن وما يصلحهن . (جامع العلوم والحكم 341)

قال أبي عمر الزاهد : ترك قضاء حقوق الإخوان مذلة وفي قضاء حقوقهم رفعة . (تذكرة الحفاظ 3 / 161)

عن النضر بن شميل قال : ما رأيت أرحم لمسكين من شعبة إذا رأى المسكين لا يزال ينظر إليه حتى يغيب عن وجهه . (حلية الأولياء 7 / 146 - 147)

قال يحيى بن بكير: احترقت دار عبد الله بن لهيعة فبعث إليه الليث بن سعد رحمه الله بألف دينار . (حلية الأولياء 7 / 322)

قال ميمون بن مهران : المروءة : طلاقة الوجه والتودد إلى الناس وقضاء الحوائج . (المرأة لابن الرزيان 70)

قال حسان بن أبي سنان : لولا المساكين ما اتجرت . (حلية الأولياء 3 / 116)

يقول ابن القيم رحمه الله : ومن أسباب شرح الصدر : الإحسان إلى الخلق ونفعهم بما يمكنه من المال ، والجاه ، والنفع بالبدن ، وأنواع الإحسان ، فإن الكريم المحسن أشرح الناس صدرا ، وأطيهم نفسا ، وأنعمهم قلبا . (زاد المعاد 2 / 25)

وقال أيضا : وعلى قدر الإيمان تكون هذه المواساة فكلما ضعف الإيمان ضعفت المواساة وكلما قوى قويت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم الناس مواساة لأصحابه بذلك كله . (الفوائد 171)

قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ : (الْأَدَابُ الشَّرْعِيَّةُ 2 / 178)

إِقْضِ الْحَوَائِجَ مَا اسْتَطَعْتَ *** وَكُنْ لَهُمْ أَخِيكَ فَارِحُ

فَلِخَيْرِ أَيَّامِ الْفَتَى يَوْمَ قَضَى فِيهِ الْحَوَائِجُ ***

الْأَثَارَ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

قال الزبير بن العوام : مر أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوما ببلال بن رباح رضي الله عنه وهو يعذب فقال لأمية بن خلف : ألا تتقي الله في هذا المسكين ؟ حتى متى ؟ قال : أنت أفسدته فأنقذه مما ترى فقال أبو بكر : أفعل عندي غلام أسود أجلد منه و أقوى على دينك أعطيكه به قال : قد قبلت قال : هولك فأعطاه أبو بكر غلامه ذلك وأخذ بلالا فأعتقه . (سيرة ابن هشام 1 / 318)

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتعهد عجوزا كبيرة عمياء في بعض نواحي المدينة بالليل ، فيسقي لها ويقوم بأمرها ، فكان إذا جاءها وجد غيره قد سبقه إليها ، فأصلح ما أرادت فجاءها غير مرة ؛ كيلا يسبق إليها ، فرصده عمر ، فإذا هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه الذي يأتيها وهو يومئذ خليفة . (تاريخ الخلفاء للسيوطي 75)

قال الأوزاعي : إن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه خرج في سواد الليل ، فرآه طلحة بن عبيد الله ، فذهب عمر ، فدخل بيتا ، ثم دخل بيتا آخر ، فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت فإذا بعجوز عمياء مقعدة (مشلولة) فقال لها : ما بال هذا الرجل يأتيك ؟ قالت : إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا ، يأتيني بما يصلحني ، ويخرج عني الأذى ، فقال : ثكلتك (أي فقدتك) أملك يا طلحة أعثرت عمر تتبع ؟ . (حلية الأولياء 1 / 47)

قال عبد الله بن أبي حردرد : لما قدمنا مع عمر بن الخطاب الجابية (مكان) إذا هو بشيخ من أهل

الذمة (أي من غير المسلمين) يستطعم (أي يطلب طعاما من الناس) فسأل عنه ، فقلنا : يا أمير المؤمنين ، هذا رجل من أهل الذمة كبير وضعف ، فوضع عنه عمر الجزية التي في رقبته ، وقال : كلفتموه الجزية حتى إذا ضعف تركتموه يستطعم ، فأجرى عليه من بيت المال عشرة آلاف دراهم ، وكان له عيال . (تاريخ دمشق 27 / 334)

قال أسلم (مولى عمر) : إن عمر بن الخطاب طاف ليلة ، فإذا هو بامرأة في جوف دار لها وحولها صبيان يبكون ، وإذا قدر على النار قد ملأتها ماء ، فدنا عمر بن الخطاب من الباب ، فقال : يا أمة الله ، لماذا بكاء هؤلاء الصبيان ؟ فقالت : بكاؤهم من الجوع ، قال : فما هذه القدر التي على النار ؟ فقالت : قد جعلت فيها ماء أعلمهم بها حتى يناموا ، أوهمهم أن فيها شيئا من دقيق وسمن ، فجلس عمر فبكى ، ثم جاء إلى دار الصدقة ، فأخذ غراره - (أي كيسا كبيرا) - وجعل فيها شيئا من دقيق وسمن وشحم ، وتمروثياب ودراهم ، حتى ملأ الغرارة ، ثم قال : يا أسلم ، احمل علي ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، أنا أحمله عنك ! فقال لي : لا أم لك يا أسلم ، أنا أحمله : لأنني أنا المسؤول عنهم في الآخرة ، قال : فحمله على عنقه ، حتى أتى به منزل المرأة ، قال : وأخذ القدر ، فجعل فيها شيئا من دقيق ، وشيئا من شحم وتمر ، وجعل يحركه بيده ، وينفخ تحت القدر ، قال أسلم : وكانت لحيته عظيمة ، فرأيت الدخان يخرج من خلل لحيته ، حتى طبخ لهم ، ثم جعل يغرف بيده ويطعمهم حتى شبعوا ، ثم خرج وربض - (جلس) - بحذائهم كأنه سبع ، وخفت منه أن أكلمه ، فلم يزل كذلك حتى لعبوا وضحكوا ، ثم قال : يا أسلم ، أتدري لم ربضت بحذائهم ؟ قلت : لا ، يا أمير المؤمنين ، قال : رأيتهم يبكون ، فكرهت أن أذهب وأدعهم حتى أراهم يضحكون ، فلما ضحكوا طابت نفسي . (تاريخ دمشق 44 / 352)

قال الحسن البصري : لأن أقضي حاجة لمسلم أحب إلي من أن أعتكف شهرين . (قضاء الحوائج 48)
قال الحسن : والله لقد أدركت أقواما كان أحدهم يخلف أخاه في أهله أربعين عاما بعد موته ينفق عليهم . (حلية الأولياء 4 / 242)

قال شعبة بن الحجاج : لما توفي الزبير بن العوام ، لقي حكيم بن حزام عبد الله بن الزبير فقال : كم ترك أخي من الدين ؟ قال : ألف ألف (أي مليون) قال على خمسمائه ألف . (السير 3 / 50)

قال فيض بن إسحاق : كنت عند الفضيل بن عياض فجاءه رجل فسأله حاجة فألح بالسؤال عليه فقلت له : لا تؤذ الشيخ فقال لي الفضيل : اسكت يا فيض أما علمت أن حوائج الناس إليكم نعمة من الله عليكم ، فاحذروا أن تملوا النعم فتتحول ألا تحمد ربك أن جعلك موضعا تسأل (أي يطلب الناس منك المساعدة) ولم يجعلك موضعا تسأل ؟ ! (أي : تطلب المساعدة من غيرك) .

(لباب الألباب 1 / 317)

قال عبيد الله بن الشميظ رحمه الله : جاءت امرأة إلى الحسن البصري رحمه الله تشكو الحاجة ، فقالت : إني جارتك ، قال كم بيني وبينك ؟ قالت : سبع دور ، أو قالت : عشر ، فنظر تحت الفراش ، فإذا ستة دراهم أو سبعة ، فأعطاها إياها ، وقال : كدنا نهلك . (مكارم الأخلاق 83 رقم 334)

قال كلثوم بن جوشن : استعان رجل بالحسن البصري في حاجة ، فخرج معه ، فقال الرجل : إني استعنت بابن سيرين وفرقد ، فقالا : حتى نشهد الجنابة ، ثم نخرج معك ، قال : أما أنهما لومشيا معك لكان خيرا . (الطبقات لابن سعد 7 / 125)

بعث الحسن البصري قوما من أصحابه في قضاء حاجة لرجل . وقال لهم مروا بثابت البناني فخذوه معكم فأتوا ثابت فقال أنى معتكف فرجعوا إلى الحسن فأخبروه فقال . قولوا له يا أعمش أما تعلم أن مشيك في حاجة أخيك المسلم خير لك من حجه بعد حجه . فرجعوا إلى ثابت فترك اعتكافه وذهب معهم . (البر والصلة 247)

استعان رجل بثابت البناني رحمه الله على القاضي في حاجة ، فجعل لا يمر بمسجد إلا نزل فصلى حتى انتهى إلى القاضي ، فكلمه في حاجة الرجل فقضاها ، فأقبل ثابت على الرجل ، فقال : لعله شق عليك ما رأيت ؟ ، قال : نعم ، قال : ما صليت صلاة إلا طلبت إلى الله تعالى في حاجتك . (حلية الأولياء 2 / 321)

جاء رجل إلى ابن المبارك : فسأله أن يقضي ديناً عليه فكتب إلى وكيل له فلما ورد عليه الكتاب قال الوكيل للرجل : كم الدين الذي سألته قضاءه قال : سبعمائة درهم وإذا ابن المبارك قد كتب له أن يعطيه سبعة آلاف درهم فراجعه الوكيل وقال إن الغلات قد فنيت فكتب إليه عبد الله : إن كانت الغلات قد فنيت فإن العمر أيضاً فني فأجز ما سبق به قلبي . (صفة الصفوة 2 / 328)

خرج عبد الله بن المبارك مرة إلى الحج ، فاجتاز ببعض البلاد فمات طائر معهم فأمر بإلقائه على منزلة وسار أصحابه أمامه وتخلف هو وراءهم ، فلما مر بالمنزلة إذا جارية قد خرجت من دار قريبة منها فأخذت ذلك الطائر الميت فكشفت عن أمرها وفحص ، حتى سألها فقالت : أنا وأختي ها هنا ليس لنا شيء وقد حلت لنا الميتة ، وكان أبونا له مال عظيم ، فظلم وأخذ ماله وقتل فأمر عبد الله بن المبارك برد الأحمال وقال لو كيلاه : كم معك من النفقة ؟ فقال : ألف دينار ، فقال : عد منها عشرين دينارا تكفيينا إلى مرو ، وأعطها الباقي فهذا أفضل من حجنا في هذا العام ثم رجع . (البداية والنهاية 9 / 184)

قال أبو داود الطيالسي : كنا عند شعبة بن الحجاج فجاء سليمان بن المغيرة ببكي ، وقال : مات حماري ، وذهبت مني الجمعة ، وذهبت حوائجي ، قال : بكم أخذته ؟ قال : بثلاثة دنانير ، قال شعبة : فعندي ثلاثة دنانير ، والله ما أملك غيرها ، ثم دفعها إليه . (سير أعلام النبلاء 7 / 211)

قال عبد الله بن رجاء الغداني البصري : كان لأبي حنيفة جار إسكاف (صانع الأحذية) يعمل نهاره أجمع فإذا جنة الليل رجع إلى منزله وقد حمل لحما فطبخه أو سمكة فشواها ثم لا يزال يشرب حتى إذا دب الشراب فيه غزل بصوت يقول : أضاعوني وأي فتى أضاعوا . ليوم كريمة وسداد ثغر . فلا يزال يشرب الخمر ويردد هذا البيت حتى يأخذه النوم ، وكان أبو حنيفة يصلي الليل كله ، ففقد أبو حنيفة ليلة صوته ، فاستخبر عنه ، فقيل : أخذه العسس وهو محبوس ، فلما صلى أبو حنيفة الصبح من غدة ركب بغلته ، وجاء الأمير فاستأذن عليه ، فأذن له وإلا ينزل حتى يطاء البساط ، فلم يزل الأمير يوسع له في مجلسه حتى أنزله مساويا له : فقال : ما حاجتك ؟ فقال : إسكاف أخذه الحرس ليأمر الأمير بتخليته ، قال : نعم ، وكل من أخذ معه تلك الليلة ، فخلى جميعهم ، فركب أبو حنيفة والإسكاف يمشي وراءه ، ولما نزل مضى إليه ، وقال : يا فتى أضعناك ؟ قال : لا ، بل حفظت ورعيت جزاك الله خيرا عن حرمة الجار ورعاية الحق ، وتاب الرجل ، ولم يعد إلى ما كان فيه . (تاريخ بغداد 15 / 487)

روى عن ابن المقفع رحمه الله أن جارا له يبيع داره في دين ركبته ، وكان يجلس في ظل دار هذا الجار ، فقال : ما قمت إذا بحرمة ظل داره إن باعها معدما (محتاجا) فدفع إليه ثمن الدار ، وقال : لا تبعها . (إحياء علوم الدين 2 / 231)

عن ابن شبرمة : إنه قضى حاجة كبيرة لبعض إخوانه فجاء يكافئه بهدية فقال : ما هذا ؟ قال : لما أسديته إلي فقال : خذ مالك عافاك الله إذا سألت أخاك حاجة فلم يجهد نفسه في قضائها فتوضأ للصلاة ، وكبر عليه أربع تكبيرات وعده من الموتى . (تاريخ دمشق 34 / 307)

عن عبد الله بن الحسن بن الحسين رضي الله عنهم قال : أتيت باب عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال : إذا كانت لك حاجة إلى فأرسل إلى رسولا ، أو اكتب لي كتابا ، فإني لأستحي من الله أن يراك بياي . (المستطرف للابشيبي 136)

قال الفضل بن سهل لثمامه بن الأشرس : ما أدري ما أصنع بكثرة الطلاب ؟ فقال : زل عن موضعك وعلى ألا يلقاك منهم أحد فقال : له : صدقت وجلس لهم في قضاء حوائجهم . (حلية الأولياء 4 / 10)

قال عبدان بن عثمان الأزدي : ما سألتني أحد حاجة إلا قمت له بنفسي ، فإن تم وإلا قمت له بمالي ، فإن تم وإلا استعنت بالإخوان ، فإن تم وإلا استعنت بالسلطان . (سير أعلام النبلاء / 10 / 271)

30 - باب الشفاعة

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا [النساء : 85] .

246- وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَتَاهُ طَالِبٌ حَاجَةً أَقْبَلَ عَلَى جُلْسَائِهِ فَقَالَ : « اشْفَعُوا تُوجَرُوا وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا أَحَبَّ » متفق عليه . وفي رواية : « مَا شَاءَ » .

247- وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قصة بريدة وزوجها . قال : قال لَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَوْرَجَعْتِهِ ؟ » قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ تَأْمُرُنِي ؟ قَالَ : « إِنَّمَا أَسْفَعُ » قَالَتْ : لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ . رواه البخاري .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ :

قال ابن عباس رضي الله عنهما : الشفاعة الحسنة هي الإصلاح بين الناس والشفاعة السيئة هي المثني بالنميمة بين الناس . وقال مجاهد : هي شفاعة الناس بعضهم لبعض ويؤجر الشفيع على شفاعته وإن لم يشفع . (تفسير البغوي / 2 / 257)

عن قتادة في قوله : يكن له نصيب منها قال : حظ منها . (تفسير الطبري / 8 / 582)

سئل ابن زيد عن قول الله : من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها . قال : الشفاعة الصالحة التي يشفع فيها وعمل بها هي بينك وبينه ، هما فيها شريكان . ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها قال : هما شريكان فيها ، كما كان أهلها شريكين . (تفسير الطبري / 8 / 502)

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قال عمر رضي الله عنه : سيكون بعدنا قوم يكذبون بالرجم ويكذبون بالحوض ويكذبون بالشفاعة ويكذبون بعذاب القبر ويكذبون بقوم يخرجون من النار . (الشريعة للاجري / 337)

عن ابن عمر قال : لقد بلغت الشفاعة يوم القيامة حتى أن الله عز وجل ليقول للملائكة : أخرجوا برحمتي من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان . قال : ثم يخرجهم حفنات بيده بعد ذلك . (الشريعة للاجري / 346)

قال ابن عمر رضي الله عنهما : يجيء القرآن يشفع لصاحبه ، يقول : يا رب لكل عامل عمالة من عمله ، وإني كنت أمنعه اللذة والنوم فأكرمه ، فيقال : أبسط يمينك فيملاً من رضوان الله ، ثم يقال : أبسط شمالك فيملاً من رضوان الله ، ويكسى كسوة الكرامة ، ويحلى حلية الكرامة ويلبس تاج الكرامة . (سنن الدارمي 2 / 523 رقم 3312)

قال ابن مسعود رضي الله عنه : يجيء القرآن يوم القيامة فيشفع لصاحبه فيكون له قائداً إلى الجنة ، ويشهد عليه ، ويكون سائقاً به إلى النار . (سنن الدارمي 2 / 525 رقم 3325)

عن عبد الله بن مسعود : قال : لا تزال الشفاعة بالناس وهم يخرجون من النار ، حتى إن إبليس الأبالس ليتناول لها رجاء أن تصيبه . (الطبراني في الكبير 10 / 215)

قول ابن مسعود في تفسير قوله تعالى عن اليهود : (أكلون للسحت) : السحت : إن تطلب لأخيك الحاجة فتقضي ؛ فمهدى إليك هدية فتقبلها منه . (تفسير الطبري 8 / 433)

قال ابن عباس : السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلون الجنة بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم . (تفسير ابن كثير 3 / 555)

قال ابن عباس ما يزال الله تبارك وتعالى يدخل الجنة ويشفع ، حتى يقول : ومن كان مسلماً فليدخل الجنة . فذلك قوله : (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) . (الحجر 2) . (الزهد لهناد 190)

قال أنس : من كذب بالشفاعة فليس له فيها نصيب ومن كذب بالحوض فليس له فيه نصيب . (الزهد لهناد 189)

عن جابر رضي الله عنه : الشفاعة بينة في كتاب الله (ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين فما تنفعهم شفاعة الشافعين) . (تاريخ دمشق 65 / 256)

قال الحسن البصري : استكثروا في الأصدقاء المؤمنين فإن لهم شفاعة يوم القيامة . (معارج القبول 2 / 827)

قال عبد الله محمد بن إبراهيم ابن كثير : دخلنا على أبي نواس نعوذه في مرضه الذي مات فيه فقال له عيسى بن موسى الهاشمي : يا أبا علي أنت في آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام

الآخرة وبينك وبين الله هنات فتب إلى الله . قال لهم أبو نواس : أسندوني فلما استوى جالسا . قال : إياي تخوف بالله وقد حدثني حماد بن سلمه عن ثابت البناني عن أنس بن مالك قال : قال نبي الله صلى الله عليه وسلم : لكل نبي شفاعة وإني اختبأت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي يوم القيامة افترى لا أكون منهم ؟ ! . (تاريخ بغداد 1 / 396)

قال ابن تيمية : وأما الهدية في الشفاعة مثل أن يشفع لرجل عند ولي أمر ليرفع عنه مظلمة أو يوصل إليه حقه أو يوليه ولاية يستحقها أو يستخدمه في الجند المقاتلة وهو مستحق لذلك أو يعطيه من المال الموقوف على الفقراء أو الفقهاء أو القراء أو النساك أو غيرهم وهو من أهل الاستحقاق ونحو هذه الشفاعة التي فيها إعانة على فعل واجب أو ترك محرم ؛ فهذه أيضا لا يجوز فيها قبول الهدية ويجوز للمهدي أن يبذل في ذلك ما يتوصل به إلى أخذ حقه أو دفع الظلم عنه . هذا هو المنقول عن السلف والأئمة الأكابر . وقد رخص بعض المتأخرين من الفقهاء في ذلك وجعل هذا من باب " الجعالة " وهذا مخالف للسنة وأقوال الصحابة والأئمة . فهو غلط لأن مثل هذا العمل هو من المصالح العامة التي يكون القيام بها فرضا أما على الأعيان وإما على الكفاية . (مجموع الفتاوى 31 / 286)

قَالَ الْقَحْطَانِي فِي نُوَيْبَتِهِ :

وَدُخُولَ بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ جَهَنَّمَ *** بِكِبَائِرِ الْأَثَامِ وَالطُّغْيَانِ
وَاللَّهِ يَرْحَمُهُمْ بِصِحَّةِ عَقْدِهِمْ *** وَيُبَدِّلُوا مِنْ خَوْفِهِمْ بِأَمَانِ
وَشَفِيعِهِمْ عِنْدَ الْخُرُوجِ مُحَمَّدٌ *** وَطَهُورِهِمْ فِي شَاطِئِ الْحَيَوَانِ
حَتَّى إِذَا طَهَّرُوا هُنَالِكَ أَدْخَلُوا *** جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَهِيَ خَيْرُ جَنَّاتٍ
فَاللَّهُ يَجْمَعُنَا وَإِيَّاهُمْ بِهَا مِنْ *** غَيْرِ تَعْدِيْبٍ وَعَيْرِ هَوَانِ

الْأَنْوَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

قال عروة بن الزبير: لقي الزبير سارقا فشفع فيه ، فقبل له حتى يبلغ الإمام ، فقال : إذا بلغ الإمام فلعن الله الشافع والمشفع . (مصنف ابن أبي شيبة 12 / 87)

قال عكرمة رحمه الله تعالى : أن عباسا وعمارا والزبير أخذوا سارقا فخلوا سبيله فقلت لابن عباس : بنسما صنعتم حين خليتكم سبيله ، فقال : لا أم لك ! أما لو كنت أنت لسرك أن يخلى سبيلك . (مصنف ابن أبي شيبة 12 / 90)

عن الحسن بن سهل : وقد جاءه رجل يستشفع به في حاجة فقضاها فأقبل الرجل يشكره ، فقال له الحسن : تشكرنا ونحن نرى أن للجاه زكاة كما أن للمال زكاة ثم أنشأ الحسن يقول : فرضت على زكاة ما ملكت يدي وزكاة جاهي أن أعين وأشفعا فإذا ملكت فجد وإن لم تستطع فأجهد بوسعك كله أن تنفعا . (تاريخ بغداد 7 / 322)

عن بكر بن شاذان وأبي الفضل التميمي : أنه جرى بينهما كلام ، فبدرت من أبي الفضل كلمة ثقلت على بكر وانصرف ثم ندم التميمي فقصد أبا بكر ابن يوسف وقال له : قد كلمت بكرا بشيء جفا عليه وندمت على ذلك ، وأريد أن تجمع بيبي وبينه ، فقال له ابن يوسف : سوف نخرج لصلاة العصر فخرج بكروا إلى ابن يوسف والتميمي عنده فقال له : التميمي أسألك بالله أن تجعلني في حل ، فقال بكر : سبحان الله والله ما فارقتك حتى أحللتك ، وانصرف فقال التميمي : قال لي والدي : يا عبد الواحد احذر من أن تخاصم من إذا نمت كان منتبها . (تاريخ بغداد 7 / 97)

قال معاوية الضير : دعاني هارون أمير المؤمنين لأحدثه فدخلت عليه أول الليل ، فحدثته إلى أن مضى من الليل هزيع . فقال لي : حاجتك يا أبا معاوية فقلت سلم بن سالم هبة لي . قال : فاستوى جالسا فعرفت الغضب في وجهه وفي كلامه فقال : إن سلما ليس على رأيك ورأى أصحابك على الإرجاء وقد جلس في المسجد الحرام يقول : لو شئت أن أضرب أمير المؤمنين بمائة ألف سيف لفعلت ، وليس هذا رأيك ، ولا رأي أصحابك ، ثم سكن . فقال : حدثنا ، فتحدثنا عامة الليل فقال : حاجتك ، فقلت : يا أمير المؤمنين إنه أرسل إلي أنه لا يقدر على الصلاة من كثرة قيوده ، فقال لحسين الخادم وهو قائم على رأسه : كم عليه من القيود ؟ قال : لا أدري قيده هرثمة ، فصار إلى هرثمة ، فقال : كم على سلم بن سالم من القيود ؟ قال : اثنا عشر قيودا . قال : فك ثمانية عنه ، ودع أربعة ، فأرسل إلى سلم جزاك الله خيرا ، فرجت عني توضأت وصليت . (تاريخ بغداد 9 / 142)

عن أبي مسعود عقبة بن عمرو أنه أتى إلى أهله فإذا هدية فقال ما هذا فقالوا الذي شفعت له فقال أخرجوها أتعجل أجر شفاعتي في الدنيا ؟ . (مصنف ابن أبي شيبة 21261)

عن مسلم بن صبيح قال : شفع مسروق لرجل في حاجة فأهدى له جارية فغضب غضبا شديدا وقال : لو علمت أنك تفعل هذا ما كلمت في حاجتك ولا أكلم فيما بقي من حاجتك سمعت ابن مسعود يقول : من شفع شفاعته ليرد بها حقا أو يرفع بها ظلما فأهدى له فقبل فهو سحت . (تفسير الطبري 8 / 432)

31- باب الإصلاح بين الناس

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ [النساء : 114] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَالصُّلْحُ خَيْرٌ [النساء : 128] ، وَقَالَ تَعَالَى : فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ [الأنفال : 1] وَقَالَ تَعَالَى : إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ [الحجرات : 10]

248- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ : تَعْدِلُ بَيْنَ الْأَثْنَيْنِ صَدَقَةٌ ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا ، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ ، وَبِكُلِّ خَطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ ، وَتَمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ » متفق عليه . « ومعنى تَعْدِلُ بَيْنَهُمَا » تُصْلِحُ بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ .

249- وعن أمِّ كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رضي الله عنها قالت : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « لَيْسَ الْكُذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَنْبِي خَيْرًا ، أَوْ يَقُولُ خَيْرًا » متفق عليه . وفي رواية مسلم زيادة ، قالت : وَلَمْ أَسْمَعُهُ يُرَخِّصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُهُ النَّاسُ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ ، تَعْنِي : الْحَرْبَ ، وَالْإِصْلَاحَ بَيْنَ النَّاسِ ، وَحَدِيثَ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ ، وَحَدِيثَ الْمَرْأَةِ زَوْجَهُ .

250- وعن عائشة رضي الله عنها قالت : سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَوْتَ خُصُومٍ بِالْبَابِ عَالِيَةِ أَصْوَاتِهِمَا ، وَإِذَا أَحَدُهُمَا يَسْتَوْضِعُ الْآخَرَ وَيَسْتَرْفِقُهُ فِي شَيْءٍ ، وَهُوَ يَقُولُ : وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « أَيْنَ الْمُتَأَلِّي عَلَى اللَّهِ لَا يَفْعَلُ الْمَعْرُوفَ ؟ » فقال : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَلَهُ أَيُّ ذَلِكَ أَحَبَّ . متفق عليه .

معنى « يَسْتَوْضِعُهُ » : يَسْأَلُهُ أَنْ يَضَعَ عَنْهُ بَعْضَ دِينِهِ . « وَيَسْتَرْفِقُهُ » : يَسْأَلُهُ الرِّفْقَ « وَالْمُتَأَلِّي » : الْحَالِفُ .

251- وعن أبي العباس سهل بن سعيد السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلَغَهُ أَنَّ بَنِي عَمْرٍو بن عَوْفٍ كَانَ بَيْنَهُمْ شَرٌّ ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصْلِحُ بَيْنَهُمْ فِي أَنْاسٍ مَعَهُ ، فَحَجِسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَانَتِ الصَّلَاةُ ، فَجَاءَ بِلَالٌ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنهما فقال : يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ حَجِسَ ، وَحَانَتِ الصَّلَاةُ ، فَهَلْ لَكَ أَنْ تَوْمَّ النَّاسَ؟ قال : نَعَمْ إِنْ شِئْتَ ، فَأَقَامَ بِلَالٌ الصَّلَاةَ ، وَتَقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَكَبَّرَ وَكَبَّرَ النَّاسُ ، وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ يَمْشِي فِي الصُّفُوفِ حَتَّى قَامَ فِي الصَّفِّ ، فَأَخَذَ النَّاسُ فِي التَّصْفِيقِ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه لَا يَلْتَقِطُ فِي صَلَاتِهِ ، فَلَمَّا أَكْثَرَ النَّاسُ التَّصْفِيقَ التَّمَتَّ ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَسَلَّمَ ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَرَفَعَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَدَهُ فَحَمِدَ اللَّهَ ، وَرَجَعَ الْقَهْقَرَى وَرَاءَهُ حَتَّى قَامَ فِي الصَّفِّ ، فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَصَلَّى لِلنَّاسِ ، فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ مَا لَكُمْ حِينَ نَابَكُمْ شَيْءٌ فِي الصَّلَاةِ أَخَذْتُمْ فِي التَّصْفِيقِ ؟ ، إِنَّمَا التَّصْفِيقُ لِلنِّسَاءِ . مَنْ نَابَهُ شَيْءٌ فِي صَلَاتِهِ فَلْيَقْلُ : سُبْحَانَ اللَّهِ ؟ فَإِنَّهُ لَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ حِينَ يَقُولُ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، إِلَّا التَّتَفَّتْ . يَا أَبَا بَكْرٍ : مَا مَنَعَكَ أَنْ تُصَلِّيَ بِالنَّاسِ حِينَ أَشْرُتُ إِلَيْكَ ؟ » فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : مَا كَانَ يَنْبَغِي لِابْنِ أَبِي قُحَافَةَ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . مَتَّفِقٌ عَلَيْهِ . مَعْنَى « حُبْسٍ » : أَمْسُكُوهُ لِيُضَيِّقُوهُ .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

قال الواحدي رحمه الله : النجوى في اللغة : سرين اثنين . (التفسير الكبير ص 5)

عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله : لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس : من جاءك يناجيك في هذا فاقبل مناجاته ، ومن جاء يناجيك في غير هذا فاقطع أنت عنه ذلك ، لا تناجيه . (تفسير الدر المنثور 5/5)

محمد بن يزيد بن خنيس قال : دخلنا على سفیان الثوري نعوذ به ومعنا سعيد بن حسان المخزومي فقال له سفیان : أعد على الحديث الذي كنت حدثتني عن أم صالح ، قال : حدثتني أم صالح بنت صالح ، عن صفية بنت شيبة ، عن أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلام ابن آدم كله عليه لا له ، إلا أمراً بمعروف ، أو نهياً عن منكر ، أو ذكراً لله عز وجل ، فقال محمد بن يزيد : ما أشد هذا الحديث ! فقال سفیان : وما شدة هذا الحديث ؟ إنما جاءت به امرأة ، عن امرأة ، هذا في كتاب الله الذي أرسل به نبيكم صلى الله عليه وسلم أما سمعت الله يقول : لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ؟ فهو هذا بعينه ، أو ما سمعت الله يقول : يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً (النبأ 38) فهو هذا بعينه أو ما سمعت الله يقول : والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا و عملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر (العصر 1 - 3) ؟ فهو هذا بعينه . (تفسير الدر المنثور 6/5)

عن ابن عباس في الآية قال : تلك المرأة تكون عند الرجل لا يرى منها كثيراً مما يجب ، وله امرأة غيرها أحب إليه منها ، فيؤثرها عليها ، فأمر الله إذا كان ذلك أن يقول لها : يا هذه ، إن شئت أن تقيمي على ما ترين من الأثرة فأواسيك وأنفق عليك فأقيمي ، وإن كرهت خلعت سبيلك ، فإن هي رضيت أن تقيمي بعد أن يخبرها فلا جناح عليه ، وهو قوله : والصالح خير يعني أن تخيير الزوج لها بين

الإقامة والفرار خير من تمادي الزوج على أثره غيرها عليها . عن ابن عباس في الآية قال : هو الرجل تكون تحته المرأة الكبيرة فينكح عليها المرأة الشابة ، ويكره أن يفارق أم ولده ، فيصلحها على عطية من ماله ونفسه ، فيطيب له ذلك الصلح . (تفسير الدر المنثور 5 / 68)

عن ابن عباس : " فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم " قال هذا تحريج من الله على المؤمنين أن يتقوا ويصلحوا ذات بينهم قال عباد قال سفيان : هذا حين اختلفوا في الغنائم يوم بدر . عن ابن جريج قال : بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينفل الرجل على قدر جده وغنائه على ما رأى ، حتى إذا كان يوم بدر ، وملاً الناس أيديهم غنائم ، قال أهل الضعف من الناس : ذهب أهل القوة بالغنائم ! فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فنزلت : " قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم " ليرد أهل القوة على أهل الضعف . (تفسير الطبري 13 / 384)

قوله تعالى : إنما المؤمنون إخوة أي في الدين والحرمة لا في النسب ، ولهذا قيل : أخوة الدين أثبت من أخوة النسب ، فإن أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين ، وأخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب . قوله تعالى : فأصلحوا بين أخويكم أي بين كل مسلمين تخاصما . وقيل : بين الأوس والخزرج . (تفسير القرطبي 16 / 293)

أَثَارُ الْوَارِدَةِ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

عن موسى بن عقبة أن عمر بن الخطاب كتب إلى أبي موسى أو معاوية : أما بعد فالزم خمس خلال يسلم لك دينك ، وتظفر بأفضل حظك : عليك بالبينة العادلة ، والأيمان القاطعة وإدناء الضعيف حتى يبسط لسانه ، ويقوى قلبه ، وتعهد الغريب فإنه إذا طال احتباسه ترك حقه ولحق بأهله ، وإنما أبطل حقه من أرجاء أمره ، ولم يرفع به رأسا ، واحرص على الصلح بين الناس ما لم يتبين لك وجه القضاء ، والسلام . (أنساب الأشراف 3 / 422)

قال عمر بن الخطاب قال : ردوا الخصوم حتى يصلحوا فإن فصل القضاء يورث الضغائن بين الناس . (سنن البيهقي 66 / 6)

عن حسان بن عطية قال : شكا رجل إلى أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه أخاه ؛ فقال : سينصرك الله عزوجل عليه ؛ فوفد إلى معاوية ، فأجازه معاوية بمائة دينار ؛ فقال له أبو الدرداء : هل علمت أن الله قد نصرك على أخيك ، وفد على معاوية ، فأجازه بمائة دينار ، وولد له غلام . (حلية الأولياء 1 / 223)

قال أنس رضي الله عنه : من أصلح بين اثنين أعطاه الله بكل كلمة عتق رقبة . (القرطبي 5 / 385)

قال أبو أمامة : امش ميلا وعد مريضا وامش ميلين وزرأخا في الله وامش ثلاثة أميال وأصلح بين اثنين . (شرح الأربعين النووية 1 / 77)

عن عبد الله بن ثابت قال : كنت عند محمد بن كعب فقال له محمد : أين كنت ؟ قال : كان بين قومي شيء فأصلحت بينهم . قال : أصبحت لك مثل أجر المجاهدين في سبيل الله ثم قرأ : (لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس) . (ابن أبي حاتم 4 / 1065)

قال الفضيل بن عياض : إذا أتاك رجل يشكو إليك رجلا فقل يا أخي اعف عنه فإن العفو أقرب للتقوى فإن قال : لا يحتمل قلبي العفو ولكن أنتصر كما أمرني الله عز وجل قل : فإن كنت تحسن تنتصر مثلا بمثل وإلا فارجع إلى باب العفو فإنه باب أوسع فإنه من عفا وأصلح فأجره على الله وصاحب العفو ينال الليل على فراشه وصاحب الانتصار يقلب الأمور . (حلية الأولياء 5 / 112)

قال سفيان بن عيينة : لو أن رجلا اعتذر إلى رجل فحرف الكلام ليرضيه بذلك ، لم يكن كاذبا ، يتأول الحديث : (ليس بالكاذب الذي يصلح بين الناس) (إصلاحه ما بين وبين صاحبه أفضل من إصلاحه ما بين الناس) . (شرح السنة للبعقوي 13 / 120)

وقال الأوزاعي : ما خطوة أحب إلى الله عز وجل من خطوة من إصلاح ذات البين ومن أصلح بين اثنين كتب الله له براءة من النار . (تفسير القرطبي 385 / 5)

قال ابن شهاب : ولم أسمع يرخص في شيء مما يقول الناس كذب إلا في ثلاث : الحرب والإصلاح بين الناس وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها . (البخاري 2692 - مسلم 2605)

قال ابن المعتز : استصلاح الصديق أهون من اكتساب غيره . (زهر الآداب وثمر الألباب 1 / 495)

قال ابن بابويه : إن الله عز وجل أحب الكذب في الإصلاح وأبغض الصدق في الفساد . (منهاج الصالحين للبليق 420)

قال ابن جرير الطبري : لا تجعلوا الله قوة لأيمانكم في ألا تبروا ، ولا تتقوا ، ولا تصلحوا بين الناس ، ولكن إذا حلف أحدكم ، فرأى الذي هو خير مما حلف عليه ؛ من ترك البر والإصلاح بين الناس فليحنت في يمينه ، وليبر ، وليتق الله ، وليصلح بين الناس وليكفر عن يمينه . (جامع البيان 2 / 402)

قال القرطبي : من شفع شفاعة حسنة لصلح بين اثنين استوجب الأجر . (تفسير القرطبي 5 / 295)

قال ابن كثير : من سعى في أمر فترتب عليه خير كان له نصيب من ذلك . (تفسير ابن كثير 5 / 295)

قال ابن القيم : فالصلح الجائز بين المسلمين هو الذي يعتمد فيه رضا الله سبحانه ورضا الخصمين ، فهذا أعدل الصلح وأحقه ، وهو يعتمد العلم والعدل ، فيكون المصلح عالما بالوقائع ، عارفاً بالواجب ، قاصداً للعدل ، فدرجة هذا أفضل من درجة الصائم القائم .
(إعلام الموقعين 1 / 109 - 110)

قَالَ الْمُقْتَنَعُ الْكِنْدِيُّ: (الْإِيمَانُ لِابْنِ مَنْدَهُ ص 34)

وَإِنَّ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي أَبِي ***
يَبْنَ بَنِي عَمِّي مُخْتَلِفٍ جِدًّا
إِذَا قَدَحُوا إِلَى نَارِ حَرْبٍ بَرَزْنَاهُمْ ***
قَدَحَتْ لَهُمْ فِي كُلِّ مَكْرَمَةٍ زَنْدًا
وَإِنَّ أَكْلُوا الْحَبِي وَفَرَّتْ لِحُومِهِمْ وَإِنْ ***
هَدَمُوا مَجْدِي بُنَيْتَ لَهُمْ مَجْدًا
وَلَا أَحْمِلُ الْحَقْدُ الْقَدِيمَ عَلَيْهِمْ وَلَيْسَ ***
رَبِّسُ الْقَوْمِ مَبِي حَمَلُ الْحَقْدَا

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

روي أن ابن أبي عذرة الدولي وكان في خلافة عمر رضي الله عنه كان يخلع النساء اللاتي يتزوج بهن ، فطارت له في الناس من ذلك أحدىة يكرهها ، فلما علم بذلك أخذ بيد عبد الله بن الأرقم حتى أتى به إلى منزله ، ثم قال لامرأته : أنشدك بالله هل تبغضيني ؟ قالت : لا تنشدني ، قال : فإني أنشدك الله ، قالت : نعم . فقال لابن الأرقم : أسمع ؟ ثم انطلقا حتى أتيا عمر رضي الله عنه فقال : إنكم لتحدثونني أني أظلم النساء وأخلعن فاسأل ابن الأرقم . فسأله فأخبره ، فأرسل إلى امرأة ابن أبي عذرة فجاءت هي وعمتها ، فقال : أنت التي تحدثين لزوجك أنك تبغضينه ؟ فقالت : إني أول من تاب وراجع أمر الله تعالى . إنه ناشدني فتخرجت أن أكذب . أفأكذب يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم . فاكذبي ، فإن كان إحداكن لا تحب أحدا فلا تحدثه بذلك ؛ فإن أقل البيوت الذي بني على الحب ولكن الناس يتعاشرون بالإسلام والأحساب . (البخاري - الفتح 5 (2693))

الحسن بن علي رضي الله عنه ؛ فإن الله أصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ، كما جاء في الصحيح أنه لما تواجه معاوية والحسن رضي الله تعالى عنهما ، فقال عمرو : إني لأرى كتاب لا تولى حتى تقتل أقرانها ، فقال له معاوية - وكان والله خير الرجلين - : أي عمرو ، إن قتل هؤلاء هؤلاء ، وهؤلاء هؤلاء ، فمن لي بأمور الناس ؟ من لي بنسائهم ؟ من لي بضيعتهم ؟ فبعث إليه رجلين من قريش ، فقال : اذهبوا إلى هذا الرجل فاعرضوا عليه ، وقولا له ، واطلبا إليه ، فأتياه ، فقبل رضي الله عنه الصلح ، ورجع عن القتال ، وهذا مصداق ما أخبر به صلى الله عليه وسلم " أنه التفت إلى

الحسن مرة وإلى الناس ، فقال : (إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين) . (البخاري رقم 2704)

32- باب فضل ضعفة المسلمين والفقراء والخاملين

قَالَ اللهُ تَعَالَى : وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ [الكهف : 28] .

252- عن حَارِثَةَ بِنِ وَهْبِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لِأَبْرِهِ ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ ؟ كُلُّ عَتَلٍ جَوَاطِظٍ مُسْتَكْبِرٍ » . متفقٌ عليه . « الْعُتْلُ » : الْغَلِيظُ الْجَافِي . « وَالْجَوَاطِظُ » بفتح الجيم وتشديد الواو وبالضاء المعجمة وَهُوَ الْجَمُوعُ الْمُنَوَّعُ ، وَقِيلَ : الضَّخْمُ الْمُخْتَالُ فِي مِشْيَتِهِ ، وَقِيلَ : الْقَصِيرُ الْبَطِينُ .

253- وعن أَبِي الْعَبَّاسِ سَهْلِ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : مَرَّ رَجُلٌ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالِسٍ : « مَا رَأَيْتُكَ فِي هَذَا ؟ » فَقَالَ : رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ هَذَا وَاللهِ حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَعَ . فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ آخَرُ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا رَأَيْتُكَ فِي هَذَا ؟ » فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ ، هَذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَعَ ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْمَعُ لِقَوْلِهِ . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا » متفقٌ عليه . قوله : « حَرِيٌّ » هو بفتح الحاء وكسر الراء وتشديد الياء : أَي حَقِيقٌ . وقوله : « شَفَعَ » بفتح الفاء

254- وعن أَبِي سَعِيدِ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : « احْتَجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَقَالَتِ النَّارُ : فِي الْجَبَّارُونَ وَالْمُنْتَكِبُونَ ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ : فِي ضِعْفَاءِ النَّاسِ وَمَسَاكِينِهِمْ فَقَضَى اللهُ بَيْنَهُمَا : إِنَّكَ الْجَنَّةُ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مِنْ أَشَاءَ ، وَإِنَّكَ النَّارُ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكَ مِنْ أَشَاءَ ، وَلِكُلَيْكُمَا عَلَيَّ مِلْؤُهَا » رواه مسلم .

255- وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : « إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ السَّمِينُ الْعَظِيمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزُنُّ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بُعُوضَةٍ » متفقٌ عليه

256- وعنه أَنَّ امْرَأَةً سُودَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ الْمَسْجِدَ ، أَوْ شَابًا ، فَفَقَدَهَا ، أَوْ فَقَدَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَسَأَلَ عَنْهَا أَوْعُنَهُ ، فَقَالُوا : مَاتَ . قَالَ : « أَفَلَا كُنْتُمْ أَذْنُتُمُونِي » فَكَأَنَّهُمْ صَغَرُوا أَمْرَهَا

، أَوْ أَمْرُهُ ، فَقَالَ : دُلُونِي عَلَى قَبْرِهِ « فدلّوه فصلّى عليه ، ثُمَّ قَالَ : « إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورُ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ » متفقٌ عليه . قوله : « تَقَمُّ هُوَ بَفَتْحِ النَّاءِ وَضَمِّ الْقَافِ : أَيُ تَكْنُسُ . وَالْقَمَامَةُ » : الْكُنَاسَةُ . «وَأَذَنْتُمُونِي بِمَدِّ الْهَمْزَةِ : أَيُ : أَعَلِمْتُمُونِي .

257- وعنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « رَبُّ أَشْعَثَ أَغْبَرِ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ » رواه مسلم .

258- وعن أسامة رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ ، فَإِذَا عَامَةٌ مِنْ دَخَلَهَا الْمَسَاكِينُ ، وَأَصْحَابُ الْجِدِّ مُحْبُوسُونَ غَيْرَ أَنْ أَصْحَابَ النَّارِ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ . وَقُمْتُ عَلَى بَابِ النَّارِ فَإِذَا عَامَةٌ مِنْ دَخَلَهَا النِّسَاءُ » متفقٌ عليه .

« وَالْجَدُّ » بَفَتْحِ الْجِيمِ : الْحِظُّ وَالْغَيْي . وقوله : « مُحْبُوسُونَ » أَيُ : لَمْ يُؤْذَنَ لَهُمْ بَعْدُ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ .

259- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ : عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ، وَصَاحِبُ جُرْجِجٍ ، وَكَانَ جُرْجِجٌ رَجُلًا عَابِدًا ، فَأَتَخَذَ صَوْمَعَةً فَكَانَ فِيهَا ، فَأَتَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ يُصَلِّي فَقَالَتْ : يَا جُرْجِجُ ، فَقَالَ : يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ فَأَنْصَرَفَتْ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي ، فَقَالَتْ : يَا جُرْجِجُ ، فَقَالَ : أَيُ رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي . فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي فَقَالَتْ : يَا جُرْجِجُ فَقَالَ : أَيُ رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي ، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ ، فَقَالَتْ : اللَّهُمَّ لَا تُمِثَّهُ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى وُجُوهِ الْمَوْمِسَاتِ . فَتَدَاكَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ جُرْجِجًا وَعِبَادَتَهُ ، وَكَانَتْ امْرَأَةٌ بَغِيٌّ يَتَمَثَّلُ بِحُسْنِهَا ، فَقَالَتْ : إِنَّ شَيْئَكُمْ لِأَفْتِنَنَّهُ ، فَتَعَرَّضَتْ لَهُ ، فَلَمْ يَلْتَمِثْ إِلَيْهَا ، فَأَتَتْ رَاعِيًا كَانَ يَأْوِي إِلَى صَوْمَعَتِهِ ، فَأَمَكْنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا فَوَقَعَ عَلَيْهَا . فَحَمَلَتْ ، فَلَمَّا وَلَدَتْ قَالَتْ : هُوَ جُرْجِجُ ، فَأَتَوْهُ فَاسْتَنْزَلُوهُ وَهَدَمُوا صَوْمَعَتَهُ ، وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ ، فَقَالَ : مَا شَأْنُكُمْ ؟ قَالُوا : زَيْنَبُ بِهَذِهِ الْبَغِيِّ فَوَلَدَتْ مِنْكَ . قَالَ : أَيْنَ الصَّبِيِّ ؟ فَجَاءُوا بِهِ فَقَالَ : دَعُونِي حَتَّى أَصَلِّيَ فَصَلَّى ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَى الصَّبِيَّ فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ وَقَالَ : يَا غُلَامُ مَنْ أَبُوكَ ؟ قَالَ : فُلَانُ الرَّاعِي ، فَأَقْبَلُوا عَلَى جُرْجِجٍ يَقْبَلُونَهُ وَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ وَقَالُوا : نَبِيٌّ لَكَ صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ قَالَ : لَا ، أَعْبَدُوهَا مِنْ طِينٍ كَمَا كَانَتْ ، فَفَعَلُوا . وَبَيْنَمَا صَبِيٌّ يَرْضَعُ مِنْ أُمِّهِ ، فَمَرَّ رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَى دَابَّةٍ فَارَاهُ وَشَارَهُ حَسَنَةً فَقَالَتْ أُمُّهُ : اللَّهُمَّ اجْعَلْ ابْنِي مِثْلَ هَذَا ، فَتَرَكَ التَّدْيِيَّ وَأَقْبَلَ إِلَيْهِ فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَقَالَ : اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى تَدْيِيهِ فَجَعَلَ يَرْضَعُ » فَكَاتَبِي أَنْظُرِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَحْكِي ارْتِضَاعَهُ بِأُصْبُعِهِ السَّبَابَةِ فِي فِيهِ ، فَجَعَلَ يَمُصُّهَا ، قَالَ : « وَمَرُّوا بِجَارِيَةٍ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا ، وَيَقُولُونَ : زَيْنَبُ سَرَقَتْ ، وَهِيَ تَقُولُ : حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ . فَقَالَتْ أُمُّهُ : اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهَا ، فَتَرَكَ الرِّضَاعَ وَنَظَرَ إِلَيْهَا

فقال : اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا ، فَهَذَاكَ تَرَجَعَا الْحَدِيثِ فَقَالَتْ : مَرَّ رَجُلٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ فَقُلْتُ : اللَّهُمَّ اجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهُ فَقُلْتُ : اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ ، وَمَرُّوا بِهَذِهِ الْأُمَّةِ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولُونَ : زَنَيْتِ سَرَقْتِ ، فَقُلْتُ : اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهَا فَقُلْتُ : اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا ؟ ، قَالَ : إِنَّ ذَلِكَ الرَّجُلَ كَانَ جَبَّارًا فَقُلْتُ : اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ ، وَإِنَّ هَذِهِ يَقُولُونَ لَهَا زَنَيْتِ ، وَلَمْ تَزْنِ ، وَسَرَقْتِ ، وَلَمْ تَسْرِقْ ، فَقُلْتُ : اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا « متفق عليه . » وَالْمُؤَمِّسَاتُ : بِضَمِّ الْمِيمِ الْأُولَى ، وَإِسْكَانِ الْوَاوِ وَكَسْرِ الْمِيمِ الثَّانِيَةِ وَبِالْسِينِ الْمَهْمَلَةِ وَهَنَّ الرَّوَانِي . وَالْمُؤَمِّسَةُ : الزَّانِيَةُ . وَقَوْلُهُ : « دَائِبَةٌ فَارِهَةٌ » بِالْفَاءِ : أَيِ حَاذِقَةٌ نَفِيْسَةٌ . « الشَّارَةُ » بِالشَّيْنِ الْمُعْجَمَةِ وَتَخْفِيفِ الرَّاءِ : وَهِيَ الْجَمَالُ الظَّاهِرُ فِي الْهَيْئَةِ وَالْمَلْبَسِ . وَمَعْنَى وَصَلِ « تَرَجَعَا الْحَدِيثِ » أَيِ : حَدَّثْتِ الصَّبِيَّ وَحَدَّثْتَهَا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

قال ابن زيد في قوله : واصبر نفسك . الآية قال : قال القوم للنبي صلى الله عليه وسلم : إنا نستحي أن نجالس فلانا وفلانا وفلانا فجانبهم يا محمد وجالس أشرف العرب فنزل القرآن واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عينك عنهم ولا تحقرهم ، قال : قد أمروني بذلك ، قال : ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً . (تفسير الطبري 6 / 18)

عن ابن عباس في قوله : ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا . قال : نزلت في أمية بن خلف ؛ وذلك أنه دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى أمر كرهه الله ؛ من طرد الفقراء عنهم ، وتقريب صنائيد أهل مكة ، فأنزل الله : ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا . يعني : من ختمنا على قلبه يعني التوحيد . واتبع هواه . يعني الشرك وكان أمره فرطاً : يعني فرطاً في أمر الله وجهالة بالله . (الدر المنثور 527/9)

عن ابن عباس في قوله : مع الذين يدعون ربهم . قال : يعبدون ربهم . وقوله : ولا تعد عينك عنهم . يقول : لا تتعدهم إلى غيرهم . (تفسير الدر المنثور 528 / 9)

عن نافع قال : أخبرني عبد الله بن عمر في هذه الآية : واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم . أنهم الذين يشهدون الصلوات المكتوبة . (تفسير الدر المنثور 526 / 9)

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قال عكرمة : قال لقمان لابنه : قد ذقت المرارة ، فليس شيء أمر من الفقر وحملت الحمل الثقيل فليس شيء أثقل من جار السوء ولو أن الكلام من فضة لكان السكوت من ذهب . (الحلية 337/3)

قال عبد الله بن عمرو: تجمعون فيقال: أين فقراء هذه الأمة ومساكينها؟ قال: فتبرزون فيقولون: ما عندكم؟ فتقولون: يا رب ابتلينا فصبرنا وأنت أعلم ووليت الأموال والسلطان غيرنا قال: فيقال: صدقتم قال: فيدخلون الجنة قبل سائر الناس بزمان وتبقى شدة الحساب على ذوي الأموال. (حلية الأولياء 1/ 289)

قال أبو الدرداء: ثلاث أحمن ويكرههن الناس: الفقر والمرض والموت. (حلية الأولياء 1/ 217)

قال أبي هريرة: رأيت سبعين من أهل الصفة يصلون في ثوب، فممنهم من يبلغ ركبتيه، وممنهم من هو أسفل من ذلك؛ فإذا ركع أحدهم: قبض عليه، مخافة أن تبدو عورته. (حلية 1/ 341)

قال واثلة بن الأسقع: كنت من أصحاب الصفة وما منا أحد عليه ثوب تام قد اتخذ العرق في جلودنا طوقا من الوسخ والغبار. (حلية الأولياء 1/ 341)

قال عمرو بن العاص: لأن أكون عاشر عشرة مساكين يوم القيامة أحب إلي من أن أكون عاشر عشرة أغنياء فإن الأكثرين: هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا يقول: يتصدق يميناً وشمالاً. (حلية الأولياء 1/ 288)

عن يزيد بن ميسرة: أنه كان يقول: من رد سائلاً فقد قتله. (حلية الأولياء 5/ 242)

قال الخواص: الفقير يعمل على الإخلاص وجلاء القلب وحضوره للعمل والغني يعمل على كثرة الوسواس وتفرقة القلب في مواضع الأعمال. (حلية الأولياء 10/ 327 - 328)

قال عون بن عبد الله: يدخل فقراء المهاجرين الجنة قبل أغنيائهم بسبعين خريفاً مثله كمثل سفينتين في هذا البحر مرت واحدة وليس فيها شيء فقال صاحب البحر: خلوا سبيلها ومرت الأخرى موقرة فحبست لينظر ما فيها. (حلية الأولياء 4/ 254)

قال رجاء بن أبي سلمه: قلت لحسان بن أبي سنان: أما تحدثك نفسك بالفاقة؟ قال: بلى قلت: فبأي شيء ترددها؟ قال: أقول لها وكان ذاك تأخذين المسحاة فتجلسين مع الفعلة فتكتسين دانقا أو دانقين تعيشين بهما فتسكن. (حلية الأولياء 3/ 117)

عن طاووس: أنه رأى رجلاً مسكيناً في عينيه عمشا وفي ثوبه وسخ فقال له: عد أن الفقر من الله فأين أنت عن الماء؟. (حلية الأولياء 4/ 14)

قال إبراهيم بن أدهم: الفقر مخزون عند الله في السماء بعدل الشهادة لا يعطيه إلا من أحب. (حلية الأولياء 8/ 15)

قَالَ مَحْمُودُ الْوَرَّاقَ : (أَدَبُ الدُّنْيَا وَالِدَيْنِ ؛ لِعَلِيِّ الْمَأْوَزْدِيِّ (159)

يَاعَائِبَ الْفَقِيرِ أَلَا تَزْدَجِرُ *** عَيْبُ الْغِنَى أَكْبَرُ لَوْ تَعْتَبِرُ

من شرفِ الفقيرِ ومن فضله *** على الغنى إن صحَّ منك النظرُ

أَنْكَ تَعْصِي لَتِنَالِ الْغِنَى *** وَلَسْتَ تَعْصِي اللَّهَ كِي تَفْتَقِرَ

قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَخْتَفِ : (الْمُسْتَطَرَفَ فِي كُلِّ فَنٍّ مُسْتَطَرَفٍ لِلْأَبَشِيهِ (291)

يَمِثِي الْفَقِيرُ وَكُلُّ شَيْءٍ ضِدُّهُ *** وَالنَّاسُ تُغْلِقُ دُونَهُ أَبْوَابَهَا

وَتَرَاهُ مَبْغُوضًا وَلَيْسَ بِمُذْنَبٍ *** يَرَى الْعِدَاوَةَ وَلَا يَرَى أَسْبَابَهَا!

حَتَّى الْكِلَابِ إِذَا رَأَتْ ذَا ثَرَوَةٍ *** خَضَعَتْ لَدَيْهِ وَحَرَّكَتْ أذْنَئَهَا

وَإِذَا رَأَتْ فَاقِرًا عَابِرًا *** نَبَحَتْ عَلَيْهِ وَكَثَّرَتْ أَنْيَابَهَا

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

عروة بن الزبير: أن معاوية بعث مرة إلى عائشة بمائة ألف درهم ، فوالله ما أمسيت حتى فرقتها .
فقال لها مولاتها: لو اشتريت لنا منها بدرهم لحما ؟ فقالت : ألا قلت لي ؟ . (السير 2 / 187)

قال عمر بن علي البزار: وحدثني من أثق به أن الشيخ رضي الله عنه كان مارا يوما في بعض الأزقة فدعا له بعض الفقراء وعرف الشيخ حاجته ولم يكن مع الشيخ ما يعطيه ، فنزع ثوبا على جلده ودفعه إليه ، وقال : بعه بما تيسرو أنفقه . واعتذر إليه من كونه لم يحضر عنده شيء من النفقة .
(الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية 65)

عن أبي قلابة : أن أبا الدرداء عنه مر على رجل قد أصاب ذنبا فكانوا يسبونونه فقال : أرأيتم لو وجدتموه في قليب ألم تكونوا مستخرجيه ؟ قالوا : نعم قال : فلا تسبوا أحاكم واحمدوا الله الذي عافاكم قالوا : أفلا تبغضه ؟ قال : إنما أبغض عمله فإذا تركه فهو أخي .

وقال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه : أدع الله تعالى في يوم سرائك لعله أن يستجيب لك في يوم ضرائك . (الحلية 1 / 225)

33- باب ملاطفة اليتيم والبنات وسائر الصَّعْفَةِ والمساكين والمنكسرين

والإحسان إليهم والشفقة عليهم والتواضع معهم وخفض الجناح لهم

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ [الحجر : 88] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا [الكهف : 28] ، وَقَالَ تَعَالَى : فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ [الضحى : 10-9] ، وَقَالَ تَعَالَى : أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ [الماعون : 6] .

260- عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِتَّةَ نَفَرٍ ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اطْرُدْ هَؤُلَاءِ لَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا ، وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ وَرَجُلٌ مِنْ هُدَيْلٍ وَبِلَالٍ وَرَجُلَانِ لَسْتُ أُسَمِّيهِمَا ، فَوَقَعَ فِي نَفْسِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقَعَ فَحَدَّثَ نَفْسَهُ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : { وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ } [الأنعام : 52] رواه مسلم .

261- وعن أبي هُبَيْرَةَ عَائِدِ بْنِ عَمْرِو الْمَزْنِيِّ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ رضي الله عنه ، أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ أَتَى عَلَى سُلْمَانَ وَصُهَيْبٍ وَبِلَالٍ فِي نَفَرٍ فَقَالُوا : مَا أَخَذْتَ سُيُوفَ اللَّهِ مِنْ عَدُوِّ اللَّهِ مَا أَخَذَهَا ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه : أَنْتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ؟ فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ : يَا أَبَا بَكْرٍ لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ ؟ لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبِّكَ ؟ فَأَتَاهُمْ فَقَالَ : يَا إِخْوَتَاهُ أَغْضَبْتُكُمْ ؟ قَالُوا : لَا ، يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أُخَيَّ . رواه مسلم . قوله « مَا أَخَذَهَا » أَي : لَمْ تَسْتَوْفِ حَقَّهَا مِنْهُ . وقوله : « يَا أُخَيَّ » رُوي بفتح الهمزة وكسر الخاء وتخفيف الياء ، وَرُوي بضم الهمزة وفتح الخاء وتشديد الياء .

262- وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا » وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى ، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا . رواه البخاري . و « كَافِلُ الْيَتِيمِ » : الْقَائِمُ بِأُمُورِهِ .

263- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ . أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ » وَأَشَارَ الرَّاوي وَهُوَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ بِالسَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى . رواه مسلم . وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْيَتِيمُ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ » معناه : قَرِيبُهُ ، أَوْ الْأَجْنَبِيُّ مِنْهُ ، فَالْقَرِيبُ مِثْلُ أَنْ تَكْفَلَ أُمَّهُ أَوْ جَدُّهُ أَوْ أَخُوهُ أَوْ غَيْرُهُمْ مِنْ قَرَابَتِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

264- وعنه قال : قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ التَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ ، وَلَا اللَّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ إِنَّمَا الْمِسْكِينُ الَّذِي يَتَعَفَّفُ » متفقٌ عليه .

وفي رواية في « الصحيحين » : « لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ تَرُدُّهُ اللَّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ ، وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ ، وَلَكِنَّ الْمِسْكِينَ الَّذِي لَا يَجِدُ غَنَى يُغْنِيهِ ، وَلَا يُفْطِنُ بِهِ فَيُتَصَدَّقَ عَلَيْهِ ، وَلَا يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ » .

265- وعنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « السَّاعِي عَلَى الْأَرْزَمَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » وَأَحْسَبُهُ قَالَ : « وَكَالْقَائِمِ الَّذِي لَا يَفْتُرُ ، وَكَالصَّائِمِ لَا يُفْطِرُ » متفقٌ عليه .

266- وعنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ ، يُمْنَعُهَا مَنْ يَأْتِيهَا ، وَيُدْعَى إِلَيْهَا مَنْ يَأْبَاهَا ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ » رواه مسلم .

وفي رواية في الصحيحين عن أبي هريرة من قوله : « بئسَ الطَّعَامُ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ يُدْعَى إِلَيْهَا الْأَغْنِيَاءُ وَيُتْرَكُ الْفُقَرَاءُ »

267- وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ » وَضَمَّ أَصَابِعَهُ . رواه مسلم . « جَارِيَتَيْنِ » أَي : بَنَتَيْنِ .

268- وعن عائشة رضي الله عنها قالت : دَخَلَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا تَسْأَلُ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيْئًا غَيْرَ تَمْرَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا فَحَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا ، فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ : « مَنْ ابْتُلِيَ مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ » متفقٌ عليه .

269- وعن عائشة رضي الله عنها قالت : جَاءَتْني مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا ، فَأَطْعَمْتَاهَا ثَلَاثَ تَمْرَاتٍ فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً وَرَفَعَتْ إِلَى فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا ، فَاسْتَطَعَمْتَاهَا ابْنَتَاهَا ، فَشَقَّتْ التَّمْرَةَ الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا ، فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا ، فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « إِنْ اللَّهُ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ ، أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ » رواه مسلم .

270- وعن أبي شريح خويلد بن عمرو الخزاعي رضي الله عنه قال : قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعِيفِينَ الْيَتِيمِ وَالْمَرْأَةِ » حديث حسن صحيح رواه النسائي بإسناد جيد . ومعنى « أُحَرِّجُ » : أُلْحِقُ الْحَرَجَ ، وَهُوَ الْإِثْمُ بِمَنْ ضَيَّعَ حَقَّهُمَا ، وَأُحَدِّثُ مِنْ ذَلِكَ تَحْذِيرًا بَلِيغًا ، وَأَزْجُرُ عَنْهُ زَجْرًا أَكِيدًا .

271- وعن مُصْعَبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : رَأَى سَعْدٌ أَنَّ لَهُ فَضْلاً عَلَى مَنْ دُونَهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضِعْفَائِكُمْ » رواه البخاري هكذا مُرْسَلاً فَإِنَّ مُصْعَبَ ابْنَ سَعْدِ تَابِعِيٌّ وَرَوَاهُ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرِ الْبَرْقَانِيُّ فِي صَحِيحِهِ مُتَّصِلاً عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

272- وعن أَبِي الدَّرْدَاءِ عُوَيْمِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « ابْغُونِي فِي الضُّعَفَاءِ ، فَإِنَّمَا تُنْصَرُونَ ، وَتُرْزَقُونَ بِضِعْفَائِكُمْ » رواه أبو داود بإسناد جيد .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

عن سعيد بن جبير: واخفض جناحك قال: اخضع. (تفسير الدر المنثور 8 / 652)

عن قتادة : فأما اليتيم فلا تقهر . قال : كن لليتيم كأب رحيم وأما السائل فلا تنهر قال : رد المسكين برحمة ولين . عن مجاهد : فأما اليتيم فلا تقهر قال : تغمصه وتحقره . عن مجاهد : فلا تقهر قال : فلا تظلم . عن سفيان وأما السائل فلا تنهر قال : من جاء يسألك عن أمر دينه فلا تنهره . (تفسير الدر المنثور 15 / 490)

عن ابن عباس أ رأيت الذي يكذب بالدين قال : يكذب بحكم الله فذلك الذي يدع اليتيم قال : يدفعه عن حقه . (فتح القدير للشوكاني 1 / 1658)

وقوله : ولا يحض على طعام المسكين يقول تعالى ذكره : ولا يحض غيره على إطعام المحتاج من الطعام . (تفسير الطبري 24 / 630)

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قال داود عليه السلام : كن لليتيم كالأب الرحيم وأعلم أنك كما تزرع كذلك تحصد ما أقيح الفقر بعد الغنى وأكثر من ذلك و أقيح ، الضلالة بعد الهدى وإذا وعدت صاحبك فأنجز له ما وعدته فالأ تفاعل يورث بينك وبينه عداوة وتعود بالله من صاحب إن ذكرت لم يعينك وإن نسيت لم يذكرك . (صحيح الأدب المفرد حديث 103) قال عمر بن الخطاب : ابتغوا (أي اتجروا) في أموال اليتامى لئلا تأكلها الزكاة . (السنن للدر اقطنى 2 / 110)

قال ابن مسعود في الوليمة : اذا خص الغنى وترك الفقير أمرنا أن لا نجيب . (فتح الباري 9 / 245)

وقال رجل لأبي الدرداء : أوصني قال : ارحم اليتيم وأدنه منك ، وأطعمه من طعامك .

(حلية الأولياء 1 / 214)

أبو برزة الأسلمي : روى ابن سعد عن الحسن بن حكيم قال حدثني أمي أنه كانت لأبي برزة جفنة من ثريد غدوه وجفنة عشية للأرامل واليتامى والمساكين . (الطبقات لابن سعد 4 / 224)

وعن عبد الله بن القاسم عن أبيه أنه قال : كانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تليني وأخا لي يتيمين في حجرها ، فكانت تخرج من أموالنا الزكاة . (الموطأ 1 / 251 - 589)

وعن مالك : أنه بلغه أن عائشة كانت تعطي أموال اليتامى الذين في حجرها من يتجر لهم فيما . (الموطأ 1 / 251 - 590)

عن أسماء بن عبيد قال : قلت لابن سيرين : عندي يتيم فقال : اصنع به ما تصنع بولدك اضربه كما تضرب ولدك . (صحيح الأدب المفرد الألباني برقم 104 / 140)

روى مالك عن يحيى بن سعيد أنه اشترى لبني أخيه يتامى في حجرة مالا فبيع ذلك المال بعد بمال كثير . (الموطأ 591)

قال جابر بن زيد : لأن أتصدق بدرهم على يتيم أو مسكين أحب إلي من حجة بعد حجها لإسلام . (حلية الأولياء 3 / 90)

قال السدي : يبعث أكل مال اليتيم يوم القيامة ولهيب النار يخرج من فيه ومن مسامعه وأنفه وعينه يعرفه كل من رآه بأكل مال اليتيم . (الحاوي في تفسير القرآن الكريم 3478)

أم سفيان الثوري : قال وكيع بن الجراح : قالت أم سفيان الثوري لسفيان : يا بني اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلي وقالت : يا بني إذا كتبت عشرة أحرف فانظر هل ترى في نفسك زيادة في مشيك وحلمك ووقارك فإن لم يزدك فاعلم أنه لا يضرك ولا ينفعك . (صفة الصفوة 3 / 189)

أم محمد بن إدريس الشافعي : ولد الإمام الشافعي بغزة ومات أبوه إدريس شابا فندشأ الشافعي يتيما في حجر أمه فحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين وحفظ موطأ مالك وهو ابن عشر سنين وطلب العلم حتى أصبح مذهبه أحد المذاهب الأربعة المشهورة . (سير أعلام النبلاء 12 / 6 - 11)

أم أحمد بن حنبل : كان والد أحمد بن حنبل من أجناد مرو مات شابا وله نحو من ثلاثين سنة فقامت أم أحمد على تربيته وحثته على حفظ القرآن وطلب الحديث ، فطلب العلم وهو ابن خمس عشرة سنة ، وكان عدد شيوخه الذين روى عنهم في المسند أكثر من مائتين وثمانين شيخا روى عنه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي . والإمام أحمد صاحب أحد المذاهب

الأربعة المشهورة . (سير أعلام النبلاء 11 / 177 - 183)

قال ابن عبد البر: روى عن علي بن أبي طالب وعبد الله بن عمر والحسن بن علي وجابر أن الزكاة واجبة في مال اليتيم كما رواه مالك عن عمر وعائشة وقال بقولهم من التابعين: عطاء وجابر بن زيد ومجاهد وابن سيرين وبه قال مالك والشافعي وأصحابهما والحسن بن حي والليث بن سعد وإليه ذهب أبو ثور وأحمد بن حنبل وجماعة . (الاستذكار لابن عبد البر 3 / 155)

قَالَ الشَّاعِرُ اِبْلِيَا أَبُو مَاضِي :

قَالُوا : اَلْيَتِيمُ ، فَقُلْتُ : أَيَّتُمْ مِنْ أَرَى *** مَن كَانَ لِلْخَلْقِ اَلنَّبِيلِ حَصِيمًا

قَالُوا : اَلْيَتِيمُ ، فَقُلْتُ أَيَّتُمْ *** مَن أَرَى مَن عَاشَ يَبِينُ اَلْأَكْرَمِينَ لَيْمًا

كَم رَافِلٍ فِي نِعْمَةِ اَلْأَبْوَيْنِ ، *** لَم يَسْلُكْ طَرِيقًا لِلْهُدَى مَعْلُومًا

يَا كَافِلُ اَلْأَيْتَامِ ، كَفُّكَ وَاحَةً *** لَا تَنْبُتُ اَلْأَشْوَاكُ وَالرَّقُومَا

مَا أَنْبَتَتْ إِلاَّ اَلزُّهُورَ نَيْدِيَةً *** وَالشَّيْخَ وَالرَّيْحَانَ وَالقَيْصُومَا

أَبْشِرْ فَإِنَّ اَلْأَرْضَ تُصْبِحُ وَاحَةً *** لِلْمُحْسِنِينَ ، وَتُعْلِنُ اَلتَّكْرِيمَا

أَبْشِرْ بِصُحْبَةِ خَيْرٍ مِنْ وَطْءِ *** اَلثَّرَى فِي جَنَّةٍ كَمَلَتْ رِضًا وَنَعِيمًا

اَلْأَثَارُ اَلْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ اَلسَّلَفِ :

عن زيد بن أسلم عن أبيه قال خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى السوق فلحقت عمر امرأة شابة فقالت يا أمير المؤمنين هلك زوجي وترك صبية صغاراً والله ما ينضجون كراعاً ولا لهم زرع ولا ضرع وخشيت أن تأكلهم الضبع وأنا بنت خفاف بن إيماء الغفاري وقد شهد أبي الحديدية مع النبي صلى الله عليه وسلم فوقف معها عمر ولم يمض ثم قال مرحباً بنسب قريب ثم انصرف إلى بعير ظهير كان مربوطاً في الدار فحمل عليه غرارتين ملأهما طعاماً وحمل بينهما نفقة وثياباً ثم ناولها بخطامه ثم قال اقتاديه فلن يفنى حتى يأتىكم الله بخير فقال رجل يا أمير المؤمنين أكثرت لها قال عمر ثكلتك أمك والله إني لأرى أبا هذه وأخاها قد حاصراً حصناً زماناً فافتتحاه ثم أصبحنا نستفيء سهماهما فيه . (البخاري 4 / 1528 - رقم 3928)

عن الحسن أن ابن عمر: كان إذا تغدى أو تعشى دعا من حوله من اليتامى فتغدى ذات يوم فأرسل إلى يتيم فلم يجده وكانت له سويقة محلاة يشربها بعد غدائه ، فجاء اليتيم وقد فرغوا من الغداء ،

وبيده السويقة ليشرهما ، فناولها إياه وقال : خذها فما أراك غبنت . (حلية الأولياء 1 / 299)

قال نافع : مرض ابن عمر فاشتبهى عنبا أول ما جاء العنب فأرسلت صفيية امرأته بدرهم فاشتريت عنقودا بدرهم ، فاتبع الرسول سائل فلما أتى الباب ودخل قال السائل : السائل قال ابن عمر : أعطوه إياه فأعطوه إياه ، ثم أرسلت بدرهم آخر فاشتريت به عنقودا فاتبع الرسول السائل ، فلما انتهى إلى الباب ودخل فقال السائل : السائل قال ابن عمر : أعطوه إياه فأعطوه إياه فأرسلت صفيية إلى السائل فقالت : والله لأن عدت لا تصيب مني خيرا ثم أرسلت بدرهم آخر فاشتريت به . (شعب الإيمان للبيهقي 5 / 141)

روى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه : كان لا يأكل طعاما إلا وعلى خوانه (مائدته) يتيم . (صحيح الأدب المفرد 102 / 136)

عن القاسم بن محمد : جاء أعرابي إلى ابن عباس فقال : إن في حجري أيتاما وأن لهم إبلا ولي إبلا وأنا أمنح من إبلي فقراء فماذا يحل من ألبانها ؟ فقال : إن كنت تبغي ضالتها وتهنأ جرباها وتلوط حوضها وتسعى عليها فاشرب غير مضر بنسل ولا تهك في الحلب . (عمدة القارئ 12 / 27)

عن مالك بن أنس : بلغه عن عائشة رضي الله عنها أن مسكينا سألها وهي صائمة وليس في بيتها إلا رغيف ، فقالت لمولاه لها : أعطيه إياه ، فقالت : ليس لك ما تفتقرين عليه ، فقالت : أعطيه إياه ففعلت . قالت : فما أمسينا حتى أهدى لنا أهل بيت أو إنسان ممن كان يهدي لنا شاة وكفنها ، فدعتني عائشة فقالت : كلي من هذا ، هذا خير من قرصك . (الموطأ 2 / 997)

عن شميمسة العنكية قالت : ذكر أدب اليتيم عند عائشة رضي الله عنها فقالت : إني لأضرب اليتيم حتى ينبسط . (صحيح الأدب المفرد للألباني حديث 105)

34- باب الوصية بالنساء

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ [النساء : 19] وَقَالَ تَعَالَى : وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصَلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا [النساء : 129]

273- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «استوصوا بالنساء خيرا ، فإن المرأة خلقت من ضلع ، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمته كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء » متفق عليه

وفي رواية في الصحيحين: «المرأة كالضلع إن أقمته كسرتها، وإن استمتعت بها، استمتعت وفيها عوج». وفي رواية لمسلم: «إن المرأة خلقت من ضلع، لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج، وإن ذهبت تُقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها». قوله: «عوج» هو بفتح العين والواو.

274- وعن عبد الله بن زَمَعَةَ رضي الله عنه، أنه سمع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخطب، وذكر النَّاقَةَ وَالذِّي عَقَرَهَا، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذ أنبعث أشقاها» أنبعث لها رجلاً عزيزاً، عارماً منيعاً في رهطه «ثم ذكر النساء، فوعظ فيهن، فقال: «يعمد أحدكم فيجلد امرأته جلد العبد فلعله يضاجعها من آخر يومه» ثم وعظهم في ضحكهم من الضرطة وقال: «لم يضحك أحدكم مما يفعل؟» متفق عليه. «والعارم» بالعين المهملة والراء: هو الشريتر المفسد، وقوله: «أنبعث»، أي: قام بسرعة.

275- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر» أو قال: «غيره» رواه مسلم.

وقوله: «لا يفرك» هو بفتح الياء وإسكان الفاء معناه: يُبغض، يقال: فركت المرأة زوجها، وفركتها زوجها، بكسر الراء، يفركها بفتحها: أي: أبغضها، والله أعلم.

276- وعن عمرو بن الأحوص الجشعي رضي الله عنه أنه سمع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حجة الوداع يقول بعد أن حمد الله تعالى، وأثنى عليه وذكروا وعظ، ثم قال: «ألا واستوصوا بالنساء خيراً، فإنما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع، واضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً، ألا إن لكم على نسايتكم حقاً، ولنسايتكم عليكم حقاً، فحقوقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذنن في بيوتكم لمن تكرهون، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن». رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «عوان» أي: أسيرات، جمع عانية، بالعين المهملة، وهي الأسيرة، والنعاني: الأسير. شبه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المرأة في دخولها تحت حكم الزوج بالأسير «والضرب المبرح»: هو الشاق الشديد، وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فلا تبغوا عليهن سبيلاً» أي: لا تطلبوا طريقاً تحتجون به عليهن وتؤذونهن به، والله أعلم.

277- وعن معاوية بن حيدة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال

: « أَنْ تُطْعَمَهَا إِذَا طَعِمْتَ ، وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ وَلَا تُضْرِبِ الْوَجْهَ ، وَلَا تُقْبِحِ ، وَلَا تَهْجُرُ إِلَّا فِي الْبَيْتِ » حديثٌ حسنٌ رواه أبو داود وقال : معنى « لَا تُقْبِحِ » أى : لَا تَقُلْ قَبْحَكَ اللَّهُ .

278- وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا ، وَخِيَارِكُمْ خِيَارِكُمْ لِنِسَائِهِمْ » رواه الترمذي وقال : حديثٌ حسنٌ صحيحٌ .

279- وعن إياس بن عبد الله بن أبي ذباب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا تُضْرِبُوا إِمَاءَ اللَّهِ » فَجَاءَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : دَرَبَنَ النِّسَاءَ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ ، فَرَخَّصَ فِي ضَرْبِهِنَّ فَأَطَافَ بِأَلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِسَاءً كَثِيرًا يَشْكُونَ أَزْوَاجِهِنَّ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَقَدْ أَطَافَ بِأَلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ نِسَاءً كَثِيرًا يَشْكُونَ أَزْوَاجِهِنَّ لَيْسَ أَوْلَنُكَ بِخِيَارِكُمْ » رواه أبو داود بإسنادٍ صحيحٍ .

280- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الدُّنْيَا مَتَاعٌ ، وَخَيْرُ مَتَاعِهَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ » رواه مسلم .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

عن السدي في قوله : وعاشروهن قال : خالطوهن . عن عكرمة قال : حقهها عليك الصحبة الحسنة ، والكسوة ، والرزق . عن مقاتل : وعاشروهن بالمعروف يعني صحبتهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً فيطلقها فتتزوج من بعده رجلاً فيجعل الله له منها ولداً ويجعل الله في تزويجها خيراً كثيراً . (تفسير الدر المنثور 4/ 291)

قال ابن كثير : (وعاشروهن بالمعروف) أي : طيبوا أقوالكم لهن ، وحسنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم ، كما تحب ذلك منها ، فافعل أنت مثله . (تفسير ابن كثير 2/ 242)

يقول الحافظ ابن كثير : يمسك المرأة إما لمحبتة لها وإما لرحمته بها . (تفسير ابن كثير 6/ 309)

وفي قوله : ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء قال : في الحب والجماع ، وفي قوله : فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة قال : لا هي أيم ولا هي ذات زوج . (تفسير الدر المنثور 5/ 70)

عن مجاهد قال : كانوا يستحبون أن يسوا بين الضرائر حتى في الطيب ، يتطيب لهذه كما يتطيب لهذه . عن جابر بن زيد قال : كانت لي امرأتان ، فلقد كنت أعدل بينهما حتى أهدى القبل عن محمد بن سيرين في الذي له امرأتان : يكره أن يتوضأ في بيت إحداهما دون الأخرى . عن ابن مسعود في قوله : ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء قال : في الجماع عن عبدة في قوله : ولن تستطيعوا

أن تعدلوا بين النساء قال : في الحب والجماع . (تفسير الدر المنثور 5 / 71)

عن ابن عباس في قوله : فتذروها كالمعلقة قال : لا مطلقة ولا ذات بعل . عن قتادة في قوله : كالمعلقة قال : كالمسجونة . (تفسير الدر المنثور 5 / 72)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال سمرة بن جندب : سمعت عمر بن الخطاب يقول : النساء ثلاثة : امرأة هينة لينة عفيفة مسلمة ودود ولود تعين أهلها على الدهر ولا تعين الدهر على أهلها وقل ما يجدها ثانية : امرأة عفيفة مسلمة إنما هي وعاء للولد ليس عندها غير ذلك الثالثة : غل قمل يجعلها الله في عنق من يشاء ولا ينزعها غيره . الرجال ثلاثة : رجل عفيف مسلم عاقل ياتمر في الأمور إذا أقبلت ويسهب فإذا وقعت يخرج منها برأيه ورجل عفيف مسلم ليس له رأي فإذا وقع الأمر أتى ذا الرأي والمشورة فشاوره واستأمره ثم نزل عند أمره ، ورجل جائر حائر لا ياتمر رشدا ولا يطيع مرشدا . (مصنف بن أبي شيبة 3 / 400)

قال عمر بن الخطاب : ما استفاد رجل أو قال عبد بعد إيمان بالله خيرا من امرأة حسنة الخلق ودود ولود وما استفاد رجل بعد الكفر بالله شرا من امرأة سيئة الخلق حديدة اللسان ثم قال : إن منهن غنما لا يحذى منه وإن منهن غللا لا يفدي منه . (مصنف بن أبي شيبة 3 / 400)

قال عمر بن الخطاب : النساء عورة فاستروها بالبيوت وداووا ضعفهن بالسكوت . (عيون الأخبار 4 / 365)

قال ابن عيينة عن أبيه : جاء جرير بن عبد الله رضي الله عنه إلى عمر رضي الله عنه يشكو إليه ما يلقي من النساء ، فقال عمر : إنا لنجد ذلك حتى إنني لأريد الحاجة ، فيقال لي ما تذهب إلا إلى فتيات بني فلان تنظر إليهن ، فقال له عند ذلك عبد الله بن مسعود : أما بلغك أن إبراهيم شكا إلى الله عز وجل خلق سارة فقيل له : إنما خلقت من ضلع فالبسها على ما كان فيها ما لم ترعليها خزبه في دينها ، فقال له عمر : لقد حثي الله بين أضلاعك علما كثيرا . (الزواجر للبيهقي 2 / 280)

قال عمر بن الخطاب : ينبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي فإذا التمسوا ما عنده وجدوه رجلا . (تاريخ دمشق 19 / 331)

قال ابن عباس : إنني لاتزين لامرأتي كما أحب أن تزين لي لأن الله قال : (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) (البقرة 228) . (تفسير الطبري 4 / 532)

جاءت امرأة إلى معاذ رضي الله عنه وقالت إنك حقا رسول رسول الله ؟ قالت فما حق الزوجة على زوجها : قال : حقها عليه الايضرب وجهها ولا يقبحه . وحقها عليه أن يطعمها مما يأكل ويكسوها مما يلبس . وحقها عليه إلا يهجرها في بيتها . (موسوعة ابن أبي الدنيا 8 / 115)

عن عبد الرحمن بن أبزى قال : مثل المرأة الصالحة عند الرجل كمثل التاج المتخوص بالذهب على رأس الملك ومثل المرأة السوء عند الرجل الصالح مثل الحمل الثقيل على الشيخ الكبير . (مصنف بن أبي شيبة 3 / 400)

وقال يحيى بن عبد الرحمن الحنظلي : أتيت محمد بن الحنفية فخرج إلى في ملحفة حمراء ولحيته تقطر من (الغالية) (هي خليط الأطياب بل خليط من أفضل الأطياب) يقول يحيى فقلت له : ما هذا ؟ قال محمد : إن هذه الملحفة ألقتها على امرأتي ودهنتني بالطيب وإنهن يشتهين منا ما نشتهيه منهن . (تفسير القرطبي 5 / 97)

قال الحافظ ابن حجر : شدة الوطأة على النساء مذموم ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بسيرة الأنصار في نساءهم وترك سيرة قومه . (فتح الباري 9 / 202)

عن الزبير بن بكار : سئل منذ كم زوجتك معك ؟ قال لاتسألني ليست ترد القيامة أكثر كباشا منها . يقول ضحيت عنها سبعين كبشا . من برة ووفائه بها . (سير أعلام النبلاء 12 / 313)

الإمام احمد بن حنبل : ذكر امرأته يوما فترحم عليها وقال مكثنا عشرين سنة ما اختلفنا في كلمة واحدة . (سير أعلام النبلاء 11 / 333)

قال الغزالي : والمعاشرة بالمعروف تكون بحسن الخلق معها ، وكف الأذى عنها بل احتمال الأذى منها والحلم عن طيشها وغضبها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كانت أزواجه تراجعنه الكلام بل إن يزيد على احتمال الأذى منها بالمداعبة والمزاح والملاعبة فهي التي تطيب قلوب النساء وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح معهن . (إحياء علوم الدين 2 / 43)

قَالَ شُرَيْحُ الْقَاضِي : (سَيْرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ 4 / 106)

رَأَيْتُ رِجَالًا يُضْرِبُونَ نِسَاءَهُمْ *** فَشِلْتُ يَمِينِي حَتَّى إِضْرِبَ زَيْنَبُ

أَأْضُرَّهَا مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ أَتَتْ بِهِ *** فَمَا أَلْعَدَلُ مِنِّي ضَرْبَ مَنْ لَيْسَ مُذْنِبٌ

وَزَيْنَبُ شَمْسُ وَالنِّسَاءُ كَوَاكِبُ *** إِذَا طَلَعَتْ لَمْ تَبْقَ مِنْهَا كَوْكَبٌ

وَهَذَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَسْبُوحِيِّ يَرْثِي إِمْرَأَتَهُ يَقُولُ : (إِشَادُ الْأَرَبِ إِلَى مَعْرِفَةِ الْأَدِيبِ 6 / 2568)

إِلَّا فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَلْبٌ تَقَطَّعَا *** وَفَادِحَةٌ لَمْ تَبْقَ لِلْعَيْنِ مُدْمِعًا

أَصْبِرَا وَقَدْ حَلَّ اللَّزَى مِنْ أَوْدُهُ *** فَلِلَّهِ هَمٌّ مَا أَشَدُّ وَأَوْجَعَا

فِيَا لَيْتِي لِلْمَوْتِ قَدَمَتْ قَبْلَهَا *** وَالْأُفْلَيْتِ الْمَوْتُ أَذْهَبَنَا مَعَا .

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ : لِمَا سَافَرَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ قَالَ فِي زَوْجَتِهِ لَيْلَى الْحَلْبِيَّةِ أَبْيَانًا ، يَقُولُ فِيهَا : (الضَّوءُ اللَّامِعُ لِأَهْلِ الْقُرْنِ الْتَاسِعِ 12 / 123)

رَحَلَتْ وَخَلَفَتْ الْحَبِيبَ بِدَارِهِ *** بَرَّغْمِي وَلَمْ أَجْنَحْ إِلَى غَيْرِهِ مِيلاً

أَشَاعِلَ نَفْسِي بِالْحَدِيثِ تَعَلُّلاً *** نَهَارِي وَفِي لَيْلِي أَحْنُ إِلَى لَيْلَى .

هَذَا يَحْيَى الْهِنْدِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ أَوْصَى ابْنَهُ عِنْدَ دَفْنِهِ بِأَبْيَاتٍ يَقُولُ فِيهَا ، يُوصِيهِ أَنْ يَدْفِنَهُ بِجَانِبِ زَوْجَتِهِ الَّتِي مَاتَتْ قَبْلَهُ ، يَقُولُ : (الْإِحَاطَةُ فِي أَخْبَارِ عَرَنَاتِهَا 4 / 344)

إِذَا مِتُّ فَاذْفِنِي حِذَاءَ خَلِيلَتِي *** يُخَالِطُ عَظْمِي فِي التُّرَابِ عِظَامَهَا

وَرَتَّبَ ضَرِيحِي كَيْفَمَا شَاءَ الْهَيْوَى *** تَكُونُ أَمَامِي أَوْ أَكُونُ أَمَامَهَا .

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

يروى أن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما كان قد تزوج عاتكة بنت عمرو بن نفيل وكانت من أجمل نساء قريش وكان عبد الرحمن من أحسن الناس وجها وأبرهم بوالديه فلما دخل بها غلبت على عقله وأحبها حبا شديدا فثقل ذلك على أبيه فمر به أبو بكر يوما وهو في غرفة له فقال : يا بني إني أرى هذه قد أذهلت رأيك وغلبت على عقلك فطلقها قال لست أقدر على ذلك فقال أقسمت عليك إلا طلقته فلم يقدر على مخالفة أبيه فطلقها فجزع عليها جزعا شديدا وامتنع من الطعام والشراب فقيل لأبي بكر أهلك عبد الرحمن فمر به يوما وعبد الرحمن لا يراه وهو مضطجع في الشمس ويقول هذه الأبيات : فوالله لا أنساك ما ذر شارق وما ناح قمري الحمام المطوق فلم أر مثلي طلق اليوم مثلها ولا مثلها في غير شيء يطلق لها خلق عف ودين ومحتد وخلق سوى في الحياء ومنطق فسمعه أبوه فرق له وقال له راجعها يا بني فراجعها وأقامت عنده حتى قتل عنها يوم الطائف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابه سهم فقتله فجزعته عليه جزعا شديدا وقالت تربيته : فأليت لا تنفك نفسي حزينة عليك ولا ينفك جلدي أغبرا فتى طول عمري ما

أرى مثله فتى أكر وأحيى في الهياج واصبرا إذا شرعت فيه الأسنة خاضها إلى القرن حتى يترك الرمح احمرًا . (المستطرف 483)

وعن سلمان بن جبير مولى ابن عباس وقد أدرك أصحاب رسول الله قال : ما زلت أسمع حديث عمر رضي الله عنه هذا فإنه خرج ذات ليلة يطوف بالمدينة ، وكان يفعل ذلك كثيرا ، فمر بامرأة مغلق عليها بابها وهي تقول ، فاستمع لها عمر : تناول هذا الليل تسري كواكبه وأرقني أن لا حبيب لأعبه فو الله لولا الله لا شيء غيره لحرك من هذا السرير جوانبه يلاعبني طورا وطورا كأنما بدا قمر في ظلمة الليل حاجبه ولكنني أخشى رقيبا موكلا بأنفسنا لا يقفر الدهر كاتبه ثم تنفست الصعداء وقالت : أهان على ابن الخطاب وحشتي ببيني ، وغيبة زوجي ، وقلة نفقتي . فقال لها : رحمك الله فلما أصبح بعث لها نفقة وكسوة ، وكتب إلى عاملة يسرح لها زوجها . (موسوعة ابن أبي الدنيا 8 / 112)

وعن الحسن قال : سألت عمر رضي الله عنه ابنته حفصة : كم تصبر المرأة عن الرجل ؟ قالت : ستة أشهر ، فقال : لا جرم لا أجهز رجلا أكثر من ستة أشهر . (موسوعة ابن أبي الدنيا 8 / 112)
وكان لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه امرأتان ، فإذا كان يوم هذه اشترى لحما بنصف درهم ، وإذا كان يوم هذه اشترى لحما بنصف درهم . (موسوعة ابن أبي الدنيا 8 / 115)

قال الأصمعي : امرأة خطبها الخليفة سليمان بن عبد الملك لما خرج مع سليمان بن المهلب في نزهة وجدوا امرأة تبكي عند قبر فهبت الريح فرفعت البرقع عن وجهها فكانما هي شمس من حسنها وجمالها فقال لها المهلب : يا أمة الله هل لك في أمير المؤمنين بعلا ؟ فنظرت إليهما ثم نظرت إلى القبر وقالت : فإن تسألاني عن هواي فإنه بملحود هذا القبر يا فتیان وإني لأستحييه والترب بيننا كما كنت أستحييه وهويراني . (الدر المنثور في طبقات ربات الخدور 466)

سئل أبو عثمان النيسابوري : ما أرجى عملك عندك ؟ قال : كنت في صبوتي يجتهد أهلي في تزويجي فأبى فجاءتني امرأة فقالت : يا أبا عثمان إني قد هويتك وأنا أسألك بالله أن تزوجني فأحضرت أباهما وكان فقيرا يقول : فزوجني وفرح بذلك فلما دخلت عليها رأيته عوراء عرجاء مشوهة وكانت لمحبتها لي تمنعني من الخروج . فاقعد حفظا لقلبي ولا أظهر لها من البغض شيئا وكأني على جمر الغضا من بغضها فبقيت هكذا خمس عشرة سنة حتى ماتت فما من عملي شيء هو أرجى عندي من حفظ قلبي . (صيد الخاطر 405)

تقدمت امرأة إلى مجلس القاضي موسى بن إسحاق بمدينة الري سنة 286 هـ فادعى وكيلها بأن

لموكلته على زوجها خمسمائة دينار (مهرها) فأنكر الزوج فقال القاضي لوكيل الزوجة : شهودك قال : أحضرتهم فطلب بعض الشهود أن ينظر إلى المرأة ليشير إليها في شهادته فقام الشاهد وقال للمرأة : قومي فقال الزوج : تفعلون ماذا ؟ ! قال الوكيل : ينظرون إلى امرأتك وهي سافرة الوجه لتصح عندهم معرفتها (وذلك للحاجة) قال الزوج : إني أشهد القاضي أن لها على هذا المهر الذي تدعيه ولا تسفر عن وجهها فقالت المرأة : فإني أشهد القاضي أنني وهبت له هذا المهر وأبرأت ذمته في الدنيا والآخرة فقال القاضي وقد أعجب بغيرتهما : يكتب هذا في مكارم الأخلاق . (تاريخ بغداد 15 / 53)

35- باب حق الزوج على المرأة

قَالَ اللهُ تَعَالَى : الرَّجَالُ قَوَامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ [النساء : 34] .

وأما الأحاديث فمنها حديث عمرو بن الأحوص السابق (انظر الحديث رقم 276) في الباب قبله .

281- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَلَمْ تَأْتِهِ فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلِمَهَا لَعْنَتُهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ » متفقٌ عليه .

وفي رواية لهما : « إِذَا بَاتَتْ الْمَرْأَةُ هَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا لَعْنَتُهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ » .

وفي روايةٍ قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَتَأْتِيهِ عَلَيْهِ إِلَّا كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاحِطًا عَلَيْهَا حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا » .

282- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « لَا يَحِلُّ لَامْرَأَةٍ أَنْ تَصُومَ وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، وَلَا تَأْذُنُ فِي بَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ » متفقٌ عليه ، وهذا لفظ البخاري .

283- وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « كُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْأَمِيرُ رَاعٍ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » متفقٌ عليه .

284- وعن أبي عليٍّ طَلَّقَ بن عليٍّ رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « إِذَا دَعَا الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ لِحَاجَتِهِ فَلْتَأْتِهِ وَإِنْ كَانَتْ عَلَى التُّنُورِ » . رواه الترمذي والنسائي ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

285- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَوْ كُنْتُ امْرَأً أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لِأَمْرَتِ الْمَرْأَةِ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا » . رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

286- وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَتْ الْجَنَّةَ » رواه الترمذي وقال حديث حسن .

287- وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا تُؤْذِي امْرَأَةً زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ لَا تُؤْذِيهِ قَاتَلِكِ اللهُ ، فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكَ دَخِيلٌ يُؤْشِكُ أَنْ يُفَارِقَكَ إِلَيْنَا » رواه الترمذي وقال حديث حسن .

288- وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً هِيَ أَضْرَعُ عَلَى الرَّجَالِ : مِنَ النِّسَاءِ » متفق عليه .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

قال الكلبي : امرأته حبيبة بنت محمد بن مسلمة ، وذلك أنها نشزت عليه فلطمها ، فانطلق أبوها معها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أفرشته كريمتي فلطمها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " لتقتص من زوجها " ، فانصرفت مع أبيها لتقتص منه فجاء جبريل عليه السلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " أرجعوا هذا جبريل أتاني بشيء " ، فأنزل الله هذه الآية ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أردنا أمرا وأراد الله أمرا ، والذي أراد الله خير ورفع القصاص . (البغوي 2 / 207)

قال ابن كثير وقوله : (وللرجال عليهن درجة) (البقرة 228) أي في الفضيلة في الخلق والخلق والمنزلة وطاعة الأمر والإنفاق والقيام بالمصالح والفضل في الدنيا والآخرة كما قال تعالى : (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم) (النساء 34) . (تفسير ابن كثير 1 / 363)

وقال أيضا : يقول تعالى : (الرجال قوامون على النساء) أي الرجل قيم على المرأة ، أي هو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها ومؤدبها إذا اعوجت بما فضل الله بعضهم على بعض أي لأن الرجال أفضل من النساء والرجل خير من المرأة ولهذا كانت النبوة مختصة بالرجال ، وكذلك الملك الأعظم لقوله صلى الله عليه وسلم : (لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة) رواه البخاري من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر عن أبيه وكذا منصب القضاء وغير ذلك (وبما أنفقوا من أموالهم) أي من المهور والنفقات والكلف التي أوجبها الله عليهم لهن في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فالرجل أفضل من المرأة في نفسه وله الفضل عليها والأفضال ، فناسب أن يكون قيما عليها كما قال الله

تعالى : (وللرجال علمين درجة) الآية وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : (الرجال قوامون على النساء) يعني أمراء عليهما أن تطيعه فيما أمرها به من طاعته وطاعته أن تكون محسنة لأهله حافظة لماله . (تفسيرين كثير 1 / 653)

وقال البغوي في تفسيره (2 / 206) : (بما فضل الله بعضهم على بعض) يعني : الرجال على النساء بزيادة العقل والدين والولاية وقيل : بالشهادة لقوله تعالى : (فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان) وقيل : بالجهد وقيل : بالعبادات من الجمعة والجماعة وقيل : هو أن الرجل ينكح أربعاً ولا يحل للمرأة إلا زوج واحد وقيل : بأن الطلاق بيده وقيل : بالميراث وقيل : بالدية وقيل : بالنبوة .

وقال البيضاوي في تفسيره (2 / 184) : (الرجال قوامون على النساء) يقومون علمين قيام الولاية على الرعية ، وعلل ذلك بأمرين ، وهبي وكسبي فقال : (بما فضل الله بعضهم على بعض) بسبب تفضيله تعالى الرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة في الأعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والإمامة والولاية وإقامة الشعائر والشهادة في مجامع القضايا ، ووجوب الجهاد والجمعة ونحوها وزيادة السهم في الميراث وبأن الطلاق بيده . (وبما أنفقوا من أموالهم) في نكاحهن كالمهر والنفقة . عن مجاهد في قوله : الرجال قوامون على النساء قال : بالتأديب والتعليم وبما أنفقوا من أموالهم قال : بالمهر . عن قتادة : فالصالحات قانتات أي : مطيعات لله ولأزواجهن ، حافظات للغيب قال : حافظات لما استودعهن الله من حقه ، وحافظات لغيب أزواجهن .

وعن السدي : حافظات للغيب بما حفظ الله يقول : تحفظ على زوجها ماله وفرجها حتى يرجع كما أمرها الله . (تفسير الدر المنثور 4 / 386)

عن عمر قال : ما استفاد رجل بعد إيمان بالله خيراً من امرأة حسنة الخلق ودود ولود ، وما استفاد رجل بعد الكفر بالله شراً من امرأة سيئة الخلق ، حديدة اللسان . (تفسير الدر المنثور 4 / 387)

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قال ابن عباس رضي الله عنه : لا تصوم المرأة تطوعاً وهو شاهد إلا بإذنه يعني زوجها . (مصنف بن أبي شيبة 3 / 399)

قال عبد الله بن عمرو : ألا أخبركم بالثلاث الفواق قال : وما هن ؟ قال : إمام جائر إن أحسنت لم يشكروا إن أسأت لم يغفروا جار سوء إن رأى حسنة غطاها وإن رأى سيئة أفسها وامرأة السوء إن شهدت غاضبتك وإن غبت عنها خانتك . (مصنف بن أبي شيبة 3 / 400)

كانت عائشة رضي الله عنها تقول : يا معشر النساء لو تعلمن بحق أزواجكن عليكن لجعلت المرأة منكن تمسح الغبار عن وجه زوجها بنحروجهها . وفي رواية : تمسح الغبار عن قدمي زوجها بنحروجهها . (مصنف ابن أبي شيبة 4 / 205)

ودخلت بكرة بنت عقبة على عائشة فسألتهما عن الحناء فقالت : شجرة طيبة وماء طهور وسألتهما عن الحفاف فقالت لها إن كان لك زوج فاستطعت أن تنتزعي مقلتيك فتضعهما أحسن مما هما فافعلي . (سير أعلام النبلاء 2 / 192)

عن حميد عن أمه قالت : كان نساء أهل المدينة إذا أردن أن يبنين بامرأة على زوجها بدأن بعائشة فأدخلنها عليها فتضع يدها على رأسها تدعو لها وتأمرها بتقوى الله وحق الزوج . (مصنف بن أبي شيبة 3 / 398)

أوصت أسماء بنت خارجه الفزاري ابنتها عند زواجها قائلة : يا بنيتي إن الوصية لو تركت لفضل أدب تركت لذلك منك ، ولكنها تذكرة للعاقل ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها وشدة حاجتهما إليها ، كنت أغنى الناس عن الزوج ولكن النساء للرجال خلقن ولهن خلق الرجال يا بنيتي أنك خرجت من العش الذي فيه عشت إلى فراش لا تعرفينه وقرين لا تألفينه . فكوني له أرضا يكن لك سماء وكوني له مهادا يكن لك عمادا وكوني له أمة يكن لك عبدا لاتلحى عليه فيقلاك ولا تتباعدي عنه فينساك أن دنا منك فاقتربي وان نأى عنك فأبعدي عنه . احلمي عني عشر خصال تكن لك ذخرا وذكرًا .

1 - الصحبة بالقناعة 2 - والمعاشرة بحسن الطاعة . 3 - والحفظ لموضع أنفه وسمعه وعينه فلا يشمن منك إلا طيبا ولا يسمعن إلا حسنا ولا ينظر إلا جميلا . 4 - والتفهم لوقت طعامه . 5 - والهدوء عند منامه فإن حرارة الجوع ملهبة وتنغيص النوم مبغضة 6 - والرعاية على عياله وحشمة فإن الاحتفاظ بالمال من حسن التقدير والرعاية على العيال والحشم من حسن التدبير . 7 - ولا تفشي له سرا ولا تعصي له أمرا فإن أفشيت سره لم تأمني غدره وإن عصيت أمره أوغرت صدره . 8 - وكوني أشد ما تكونين إليه موافقة يكن لك أطول ما يكون مرافقة . 9 - ثم اتقي مع ذلك الفرح أمامه إن كان ترحا والحزن عنده أن كان فرحا فإن الخصلة الأولى من التقصير والثانية من سوء التدبير . 10 - واعلمي أنك لا تصلين إلى ماتحبين حتى تؤثري رضاه على رضاك فيما أحببت وكرهت والله يختار لك الخير وهو الموفق وعليه الاتكال . (أحكام النساء لابن الجوزي 74 - 78)

ابنه سعيد بن المسيب قالت : ما كنا نكلم أزواجنا الاكما تكلمون أمرائكم . (زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي 1 / 201)

عبد الله بن جعفر: قال لابنته يابنيه إياك والغيرة فأنها مفتاح الطلاق وإياك والمعاتبة فأنها تورث الضغينة وعليك بالزينة والطيب ، واعلمي أن أزين الزينة الكحل ، وأطيب الطيب الماء .
(البيان والتبيين 2 / 45)

قال عبد الله بن الحارث: ثلاثة لا تجاوز صلاة أحدهم رأسه : أمام أم قوما وهم له كارهون وامرأة تعصي زوجها وعبد أبق من سيدة . (مصنف لابن أبي شيبة 3 / 398)

قال عمرو بن الحارث بن المصطلق : كان يقال : أشد الناس عذابا اثنان : امرأة تعصي زوجها وإمام قوم وهم له كارهون . (مصنف ابن أبي شيبة 3 / 398)

قال الكلبي : قال بعضهم لولده يا بني لا تتخذها حنانه (التي تحن لزوج كان لها) ولا ائانه (التي تن كسلا وتمارضا) ولا منانة (التي تمن على زوجها بمالها) ولا عشبة الدار (الهجينة) ولا كبة القفا (هي التي يأتي زوجها أو ابنها القوم فإذا انصرف من عندهم قال رجل من جناء القوم قد والله كان بيني وبين امرأة هذا المولى أو أمه أمر) . (الأملالي لأبي على القالي 2 / 56)

سئل مالك بن أنس عن المرأة تبالغ في إكرام زوجها فتتلقاه وتنزع ثيابه وتقف حتى يجلس ؟ فقال : أما التلقي فلا بأس به وأما القيام حتى يجلس فلا فإن هذا فعل الجبابة وقد أنكره عمر بن عبد العزيز . (فتح الباري 11 / 51)

قال ابوعمرو بن العلاء : أنكح ضرار بن عمرو الضبي ابنته معبد بن زرارة فلما أخرجها إليه قال لها : يا بنية أمسكي عليك الفضلين قالت : وما الفضلان ؟ قال فضل الكلام وفضل الغلطة .
(البيان والتبيين للجاحظ 1 / 108)

عن إبراهيم قال : كانوا يقولون : لو أن امرأة مصبت أنف زوجها من الجذام حتى تموت ما أدت حقه . (تفسير الدر المنثور 2 / 154)

قال الإمام أحمد : في امرأة لها زوج وأم مريضة طاعة زوجها أوجب عليها من أمها إلا أن يأذن لها .
(شرح منتهى الإرادات 3 / 47)

قال ابن تيمية : وليس على المرأة بعد حق الله ورسوله أوجب من حق الزوج . (الفتاوى 32 / 260)

قَالَ الشَّاعِرُ فِي تَعَدُّدِ الزَّوْجَاتِ:

- جَلَسَا سَوِيًّا وَاللِّيَالِي مُقَمَّرَهُ *** يَتَغَازِلَانِ وَيَأْكُلَانِ (مُجَدَّرَهُ!)
 قَالَ الْحَبِيبُ - مُمَارِحًا - *** يَا زَوْجَتِي: إِنِّي أَرَاكِ فَقِيمَةً مُتَنَوَّرَهُ
 إِنَّ الْعُنُوسَةَ فِي الْبِلَادِ كَثِيرَةٌ *** وَكَبِيرَةٌ وَخَطِيرَةٌ وَمُدَمَّرَهُ
 وَلَقَدْ وَجَدْتُ الْيَوْمَ حَلَارًا رَائِعًا *** لَوْ تَسْمَحِينَ - حَبِيبَتِي - أَنْ أَذْكَرَهُ
 قَالَتْ: تَفَضَّلْ يَا حَيَاتِي إِنِّي *** مَمْنُونَةٌ لِمَشُورَتِي وَمُقَدَّرَهُ
 فَأَنَا لِلْمُشْكَلَةِ الْعُنُوسَةِ عِنْدَنَا *** مَحْزُونَةٌ وَكَنْبِيَّةٌ وَمُكَدَّرَهُ
 قَالَ الْحَبِيبُ: أَيَا رَبِيعِ الْعُمْرِ مَا *** هَذَا؟! كَلَامٌ حَكِيمَةٌ مَا أَكْبَرَهُ!
 لَوْ أَنَّ كُلَّ رَجَالِنَا قَدْ عَدَدُوا *** لَمْ يَبْقَ مِنْ جِنْسِ النِّسَاءِ مُعَمَّرَهُ
 فَإِذَا قَبِلْتِ بَأْنَ أَكُونَ ضَحِيَّةً *** وَنَكُونَ لِلْأَجْيَالِ شَمْسًا نِيرَهُ
 فَلَنْ رَضِيْتِ فَإِنَّ أَجْرَكَ طَيِّبٌ *** فَجَزَاءٌ مَنْ تَرْضَى بِذَلِكَ الْمَغْفِرَهُ!!
 ضَحِكْتَ وَقَالَتْ: يَا رَفِيقِي إِنَّهُ *** رَأْيٌ جَمِيلٌ، كَيْفَ لِي أَنْ أَنْكَرَهُ؟!
 عِنْدِي عَرُوسٌ (لِقُطَّةً) تَرْجُو لَهَا *** رَجُلًا لَيْسَتْ رَهَا الْحَيَاءُ وَتَسْتُرَهُ
 فَإِذَا قَبِلْتِ بِهَا سَأَخُطِبُهَا عَدَاً *** قَبْلَ الْفَوَاتِ فَإِنِّي مُتَأَخَّرَهُ
 هِيَ لَا تُرِيدُ مِنَ النُّقُودِ مُقَدَّمًا *** لِلْمَهْرِ، أَيْضًا، لَا تُرِيدُ مُؤَخَّرَهُ
 فَتَهْدِ الزَّوْجَ الْمُغْفَلَ قَائِلًا *** هَذِي الصِّفَاتِ الرَّائِعَاتُ الْخَيْرَهُ!
 قَالَتْ: وَلَكِنَّ الْعُرُوسَ قَعِيدَةٌ *** سَوْدَاءُ، عَمَشَاءُ الْعَيُونَ (مُخْتَبِرَهُ)
 وَضَعِيفَةٌ فِي السَّمْعِ ذَرْدَاءٌ لَهَا *** طَقْمٌ مِنَ الْأَسْنَانِ مِثْلُ الْمِسْطَرَهُ
 وَالشَّعْرِيَا زَوْجِي الْعَزِيزُ مُتَشَرُّرٌ *** مِثْلُ (الْخَرِيسِ) فَلَا تَسَلْ مَا أَنْشَرَهُ!!
 وَالْأَنْفُ، قَالَ مُقَاطِعًا: وَيْلِي! كَفَى *** هَذِي عَرُوسٌ - زَوْجَتِي - أُمُّ مَقْبَرَهُ?!
 فَتَخَاصِمَ الزَّوْجَانِ حَتَّى (قَبَعَتْ) *** مَا بَيْنَهُمْ نَارُ الْخُرُوبِ مُسَعَّرَهُ
 وَاسْتَيْقِظَ الْجِيرَانُ لَيْلًا، هَزَّهُمْ *** صَوْتُ الصُّرَاخِ كَأَنَّهُ مُتَفَجَّرَهُ
 وَرَأَوْا أَنَاثًا قَدْ تَطَايَرَ فِي السَّمَاءِ *** صَحْنًا، وَمِثْلًا، كَذَلِكَ طَنْجَرَهُ
 كَأَسًا، وَابْرِيقًا، وَمِكَاسَةً، كَذَا *** سَمِعُوا اسْتِعَاثَةَ صَارِخٍ: مُتَجَبَّرَهُ
 ذَهَبَ الزَّرْعِيمُ إِلَى الدَّوَامِ صَبِيحَةً *** لَكَانَهُ بَطْلُ الْمَعَارِكِ عَنَرَهُ!!
 مَا فِيهِ إِلَّا (فَشْحَةٌ) فِي رَأْسِهِ *** يَدُهُ إِلَى الْكَتِفِ الْيَمِينِ مُجَبَّرَهُ
 وَبِعَيْنِهِ الْيُسْرَى مَلَامِحُ كَدَمَةٍ *** كُحْلِيَّةٍ، وَكَذَا الْخُدُودُ (مَهَبَّرَهُ)
 وَبِهِ رُضُوضٌ فِي مَفَاصِلِ جِسْمِهِ **** لَكَانَمَا مَرَّتْ عَلَيْهِ مُجَبَّرَهُ!!

ومضى يقصُّ على الرفاقِ بأنه *** قد حطَّم الوَحْشَ المُخِيفَ وكسَّرَه
ضَحِكُوا وَقَدْ عَلِمُوا حَقِيقَةَ أَمْرِهِ *** تَبًّا، لقد جعلَ الرَّجُولَةَ (مَسْخَرَةً)!!

الآثار العمليَّة في حياة السلف :

زوج أبو بكر الصديق ابنته أسماء للزبير بن العوام والزبير رجل مشغول بالجهاد ومع النبي صلى الله عليه وسلم وشديد الغيرة فاشتكت أسماء فقال : يا بنية اصبري فإن المرأة إذا كان لها زوج صالح ثم مات عنها فلم تتزوج بعده جمع بينهما في الجنة . (الطبقات لابن سعد 8 / 251)

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : تزوجني الزبير وما له في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير ناضح وغير فرسه فكنت أعلف فرسه وأستقي الماء وأخرز غيره وأعجن ولم أكن أحسن أخبز وكان يخبز جارات لي من الأنصار وكن نسوة صدق وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعها رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأسي وهي مني على ثلثي فرسخ فجئت يوما والنوى على رأسي فلقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر من الأنصار فدعاني ثم قال أخ أخ ليحملي خلفه فاستحييت أن أسير مع الرجال وذكرت الزبير وغيرته وكان أغير الناس فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أنني قد استحييت فمضى فجئت الزبير فقلت : لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رأسي النوى ومعه نفر من أصحابه فأناخ لأركب فاستحييت منه وعرفت غيرتك فقال : والله لحملك النوى كان أشد على من ركوبك معه قالت حتى أرسل إلى أبو بكر بعد ذلك بخادم تكفيني سياسة الفرس فكأنما اعتقني . (البخاري 5224 - مسلم 1041 / 2)

قال عمر بن الخطاب لحفصة ابنته : أتغاضب إحداكن رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم حتى الليل ؟ ! قالت : نعم قال : خابت وخسرت ثم يعط حفصة ويقول : أفتأمن أن يغضب الله لغضب رسوله صلى الله عليه وسلم فتهلكين . (البخاري 2468 مسلم 1479)

جاءت امرأة إلى عمر فقالت : يا أمير المؤمنين زوجي كثر شره وقل خيره قال لها عمر : ما نعلم من زوجك إلا خيرا فأرسل إليه فجاء فقال له عمر : هذه امرأتك تزعم أنه كثر شرك وقل خيرك قال : بنسما قالت يا أمير المؤمنين والله إنها لأكثر نسائي كسوة وأكثرهن رفاهية بيت ولكن بعلمها بكيء أي : تقدم به السن فصار لا يستطيع الجماع فقال عمر للزوجة : ما تقولين قالت : صدق فأخذ الدرّة فقام إليها فتناولها وقال : يا عدوة نفسها أفنت شبابها وأكلت ماله ثم أنشأت تشنين عليه ما ليس فيه قالت : يا أمير المؤمنين أقلني في هذه المرة والله لا تراني في هذا المقعد أبدا فدعا عمر بأثواب ثلاثة وقال لها اتقي الله وأحسني صحبة هذا الشيخ كان شابا ثم تقدمت به السن أو مرض بالسكر أو جاءت الآفات فكما أحسن إليك في هذه السنوات الطويلة فتحمله فيما بقي قال الراوي : كأني

أنظر إليها أخذت الأثواب منطلقاً ثم أقبل عليه عمر فقال : لا يمنحك ما رأيتني صنعت بها أن تحسن صحبتها قال : أفعل يا أمير المؤمنين . (محض الصواب في فضائل عمر بن الخطاب للمبرد 3 / 999 - 1000)

دخل أبو الأسود على معاوية ومعه امرأته يشتكيان فقالت : لقد ألجأني إليك يا أمير المؤمنين طلاق جاءني من بعل غادر لا تأخذه من الله مخافة قال ومن بعلك ؟ قالت هذا فالتفت إليه معاوية وقال أحقا ما تقول هذه المرأة ؟ قال أما ما ذكرت من أمر طلاقها فهو حق ولكني لم أطلقها لريبة ولكنني كرهت شمائلها فقطعت حبالها فهي كثيرة الصخب مهينة للأهل مؤذية للبعل إن ذكر خير دفنته وإن ذكر شر أذاعته ولا يزال زوجها معها في تعب قالت يا أمير المؤمنين : هو والله جهول ملحاح شحيح حين يضاف ضيفه جائع وجاره ضائع لا يحيي ذمارا ولا يرضى جوارا فالمسألة مشتعلة بين الطرفين وقد تنتهي إلى طريق مسدود فتخاصما في الولد أمام معاوية فوثب أبو الأسود فانترعه منها فقال معاوية مهلا يا أبا الأسود قال يا أمير المؤمنين حملته قبل أن تحمله أي : أنه كان في ظهره ووضعته قبل أن تضعه أي : وضعته في رحمها قبل أن تضعها هي بالولادة فلذلك هو عنده بحسب هذا التحليل أنه أحق بالولد فقالت : يا أمير المؤمنين صدق لكن حملة خفا وحملته ثقلا ووضعته شهوة ووضعته كرها وكان حجري له حواء وبطني له وعاء وثدي له سقاء فأمره معاوية أن يدفع إليها الولد . (أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان 1 / 74 - 76)

روى أن أسماء بنت يزيد بن السكن رضي الله عنها : جاءت النبي صلى الله عليه وسلم وهو بين أصحابه فقالت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله أنا و أفدة النساء إليك ، واعلم نفسي لك فداء أنه ما من امرأة كانت في شرق ولا غرب سمعت بمخرجي هذا أو لم تسمع ألا وهي على مثل رأيي إن الله بعثك إلى الرجال والنساء كافة فأمننا بك وبإهلك وإنا معشر النساء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم ومفضي شهواتكم وحاملات أولادكم وإنكم معاشر الرجال فضلتهم علينا : بالجمع والجماعات وعبادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله وإن الرجل منكم إذا خرج حاجا أو معتمرا أو مرابطا حفظنا لكم أموالكم وغزلنا لكم أثوابكم وربينا لكم أولادكم أفما نشارككم في هذا الخير يا رسول الله ؟ فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم بوجهه كله ثم قال : سمعتم مقالة امرأة قط أحسن من مسألتها عن أمر دينها من هذه ؟ قالوا : يا رسول الله ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا ، فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إليها ثم قال : انصرفي أيتها المرأة وأعلمي من ورائك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك كله قال : فأدبرت المرأة وهي تهلل وتكبر استبشارا . (تاريخ دمشق 7 / 363)

36- باب النفقة على العيال

قَالَ اللهُ تَعَالَى : وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ [البقرة : 233] ، وَقَالَ تَعَالَى : لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللهُ لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا [الطلاق : 7] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ [سبأ : 39] .

289- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رِقَبَةٍ ، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ ، أَعْظَمُهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ » رواه مسلم .

290- وعن أبي عبد الله ويُقَالُ لَهُ : أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ ثَوْبَانَ بْنِ بُجْدَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ دِينَارًا يُنْفِقُهُ عَلَى عِيَالِهِ ، وَدِينَارًا يُنْفِقُهُ عَلَى دَابَّتِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَدِينَارًا يُنْفِقُهُ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ » رواه مسلم .

291- وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : قلت يا رسول الله ، هل لي أجر في بني أبي سلمة أن أنفق عليهم ، ولست بتاركهم هكذا وهكذا ، إنما هم بني ؟ فقال : « نَعَمْ لَكَ أَجْرٌ مَا أَنْفَقْتِ عَلَيْهِمْ » متفق عليه .

292- وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في حديثه الطويل الذي قدّمناه في أول الكتاب في باب النية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجَهَ اللهُ إِلَّا أُجِرْتَ بِهَا حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِي أَمْرِكَ » متفق عليه .

293- وعن أبي مسعود البدر رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِذَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً يَحْتَسِبُهَا فِيهِ لَهُ صَدَقَةٌ » متفق عليه .

294- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَفُوتُ » حديثٌ صحيحٌ رواه أبو داود وغيره . ورواه مسلم في صحيحه بمعناه قال : « كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يَحْسِبَ عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوَّتَهُ » .

295- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا : اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا ، وَيَقُولُ الْآخَرُ : اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا » متفق عليه .

296- وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى وَإِنْدَا بَمَنْ تَعُولُ »

وَحَازِزُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِيٍّ ، وَمَنْ يَسْتَعِفِّ ، يُعَفِّهُ اللَّهُ ، وَمَنْ يَسْتَعْنِي يُغْنِيهِ اللَّهُ « رواه البخاري .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

قال أبو جعفر: يعني - تعالى ذكره - بقوله: " وعلى المولود له " وعلى آباء الصبيان للمراضع " رزقهن " يعني: رزق والدتهن . ويعني بـ " الرزق " : ما يقوتهن من طعام ، وما لا بد لهن من غذاء ومطعم . و " كسوتهن " ويعني : بـ " الكسوة " : الملبس . عن الضحاك في قوله : والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف " قال : إذا طلق الرجل امرأته وهي ترضع له ولدا ، فتراضيا على أن ترضع حولين كاملين فعلى الوالد رزق الموضع والكسوة بالمعروف على قدر الميسرة لا تكلف نفسا إلا وسعها . عن الربيع قوله : وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف " قال : على الأب . (تفسير الطبري 5 / 44)

عن مجاهد في قوله : لينفق ذو سعة من سعته قال علي : المطلقة إذا أرضعت له . عن ابن جريج في قوله : ومن قدر عليه رزقه قال : قتر ، فلينفق مما آتاه الله قال : أعطاه ، لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاهما قال : أعطاهما . (تفسير الدر المنثور 14 / 561)

عن أبي سنان قال : سأل عمر بن الخطاب عن أبي عبيدة ، فقيل له : إنه يلبس الغليظ من الثياب ، ويأكل أخشن الطعام ، فبعث إليه بألف دينار ، وقال للرسول : انظر ما يصنع بها إذا هو أخذها ؟ فما لبث أن لبس ألين الثياب وأكل أطيب الطعام ، فجاء الرسول فأخبره ، فقال : رحمه الله ، تؤول هذه الآية : لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله . عن معمر قال : سألت الزهري عن الرجل لا يجد ما ينفق على امرأته ، يفرق بينهما ؟ قال : يستأني له ، ولا يفرق بينهما ، وتلا : لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاهما سيجعل الله بعد عسر يسرا . (الدر المنثور 14 / 562)

عن الضحاك أنه سئل عن قوله : وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه النفقة في سبيل الله ؟ قال : لا ، ولكن نفقة الرجل على نفسه وأهله فالله يخلفه . عن ابن عباس في قوله : وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه قال : في غير إسراف ولا تقثير . عن مجاهد قال : إذا كان لأحدكم شيء فليقتصد ، ولا يتأول هذه الآية : وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ؛ فإن الرزق مقسوم يقول : لعل رزقه قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه . عن مجاهد في قوله : وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه قال : ما كان من خلف فهو منه ، وربما أنفق الإنسان ماله كله في الخير ولم يخلف حتى يموت ، ومثلها : وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها (هود 6) يقول : ما آتاهم من رزق فمنه ، وربما لم يرزقها حتى تموت .

(تفسير الدر المنثور 12 / 224)

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

عن أبوهريرة : كانت له دار تصدق بها على مواليه ، والمقصود بمواليه يعني : أولئك الذين كانوا من جملة الأرقاء الذين كان يملكهم ثم أعتقهم فتصدق بها عليهم . (سير أعلام النبلاء 2 / 626)

قال الحسن : ما يعلم أهل السماء وأهل الأرض ما يثبت الله العبد على الشيء يفرح به عياله وأهله وولده . (موسوعة ابن أبي الدنيا 8 / 91)

وقيل للحسن : الرجل ينفق على أهله النفقة لو شاء اكتفى بدونها ، فقال : أيها الرجل أوسع على نفسك كما وسع الله عليك . (موسوعة ابن أبي الدنيا 8 / 91)

قيل للحسن : يا أبا سعيد أرايت إن اشتريت لامرأتي عطرا بعشرين درهما أسرف هو ؟ قال : لا . (موسوعة ابن أبي الدنيا 8 / 92)

وكان ابن المبارك رحمه الله يقول : لا يقع موقع الكسب على العيال شيء ، يعني يقول : هو أفضل شيء ، أن تكتسب من أجل العيال ، قال : ولا الجهاد في سبيل الله . (سير أعلام النبلاء 8 / 399)

عن عبد الله بن المبارك رحمه الله أنه قال : لا أرى لصاحب عشرة آلاف درهم أن يدع الكسب فإنه إن لم يفعل لم آمن أن لا يعطف على جاره ولا يوسع على عياله . (المنتظم 9 / 61)

ويقول زيد بن أبي الزرقاء : ما سألت أحدا شيئا منذ خمسين سنة ، وقال : إذا كان للرجل عيال وخاف على دينه فليهرب يعني : أن الرجل قد يضعف ولربما تزين له نفسه من أجل هؤلاء العيال أن يطلب من الآخرين أو أن يبيع شيئا من دينه من أجل هذا الاكتساب . قال الذهبي رحمه الله : يهرب لكن بشرط أن لا يضيع من يعول وقد هرب زيد بن أبي الزرقاء ونزل الرملة أشهراً وكان من العابدين . (سير أعلام النبلاء 9 / 317)

ويقول محمد بن محمد بن أبي الورد رحمه الله : قال لي مؤذن بشر بن الحارث - يعني الحافي - : رأيت بشرا في المنام فقلت : ما فعل الله بك ؟ قال : غفري ، قلت : ما فعل بأحمد بن حنبل ؟ قال : غفر له ، فقلت : ما فعل بأبي نصر التمار ؟ قال : هميات ، ذلك في عليين ، فقلت : بماذا نال ما لم تنالاه ؟ قال : بفقره وصبره على بنياته . (سير أعلام النبلاء 10 / 573)

قال أبي قابلة : أي رجل أعظم أجرا من رجل ينفق على عيال له صغار ، يعفهم الله به ويعنهم . (صفة الصفوة 3 / 168)

قال الشعبي : ما ترك عبد مالا هو فيه أعظم أجرا ، من مال يتركه لولده يتعفف به عن الناس .

(حلية الأولياء 2 / 112)

قال الغزالي : إن من حق الولد على أبيه : أن لا يستعمل في حضانتها وإرضاعه إلا امرأة صالحة متدينة تأكل الحلال ، فإن اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه ، فإذا وقع عليه نشو الصبي انعجت طينته من الخبث ، فيميل طبعه إلى ما يناسب الخبائث . (إحياء علوم الدين 3 / 70)

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْيَمَانِي : (رَوْضَةُ الْعُقَلَاءِ 238)

سَأْبَدُلُ مَالِي كُلَّمَا جَاءَ طَالِبٌ *** وَأَجْعَلُهُ وَقْفًا عَلَى الْقَرْضِ وَالْقَرْضِ

فَأِمَّا كَرِيمًا صُنْتُ بِالْجُودِ عَرْضُهُ *** وَإِمَّا لَنِيْمًا صُنْتُ عَنْ لُؤْمِهِ عَرْضِي

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

قال أبو موسى بن يسار : رأيت عكرمة جائيا من سمرقند على حمار تحته جوالقان (كالخرج يجعلان على البعير) فيما حرير أجازته بذلك عامل سمرقند يعني الأمير ومعه غلام فقيل له : ما جاء بك إلى هذه البلاد ؟ قال : الحاجة وهو من كبار أصحاب ابن عباس الذين أخذوا عنه التفسير ومع ذلك يذهب هذه المسافات الشاسعة البعيدة من أجل الاكتساب لبناته . (سير أعلام النبلاء 5/28)

قال عبد العزيز بن أبي رواد أنه : قلت لعكرمة : تركت الحرمين وجئت إلى خرسان ؟ قال : أسعى على بناتي يعني : يطلب الرزق بهذا السفر البعيد من الحرمين إلى خرسان من أجل الاكتساب لهؤلاء البنات . (سير أعلام النبلاء 5 / 27)

قال حماد : رأيت أيوب رحمه الله لا ينصرف من سوقه ؛ إلا معه شيء يحمله لعياله ، حتى رأيت قارورة الدهن بيده يحملها ، فقلت له في ذلك . فقال : إني سمعت الحسن رحمه الله يقول : إن المؤمن أخذ عن الله عز وجل أدبا حسنا ، فإذا أوسع عليه أوسع وإذا أمسك عليه أمسك . (حلية الأولياء 1 / 433)

قال مسلم : لقيني معاوية بن قره : وأنا جاء من الكلا فقال لي : ما صنعت ؟ فقلت : اشتريت لأهلي كذا وكذا . قال : وأصبحت من حلال ؟ قلت : نعم . قال : لأن أغدو فيما غدوت به أحب إلي من أن أقوم الليل وأصوم النهار . (صفة الصفوة 3 / 182)

37- باب الإنفاق مما يجب ومن الجيد

قَالَ اللهُ تَعَالَى : لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ [آل عمران : 92] وَقَالَ تَعَالَى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ [البقرة : 267]

297- عن أنس رضي الله عنه قال : كَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَكْثَرَ الْأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالاً مِنْ نَخْلٍ ، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرَحَاءَ ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبَلَةَ الْمَسْجِدِ وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُهَا وَيَشْرِبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ قَالَ أَنَسٌ : فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : { لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ } قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ اللهَ تَعَالَى أَنْزَلَ عَلَيْكَ { لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ } وَإِنَّ أَحَبَّ مَالِي إِلَيَّ بَيْرَحَاءَ ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللهِ تَعَالَى ، فَضَعَهَا يَا رَسُولَ اللهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « بَيْحٌ ، ذَلِكَ مَالٌ رَايِحٌ ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ » فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ : أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللهِ ، فَحَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ ، وَبَنِي عَمِّهِ ، متفقٌ عليه .

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَالٌ رَايِحٌ » رُوي في الصحيحين « رَايِحٌ » و « رَايِحٌ » بالباءِ الموحدةِ وبالياءِ المثناةِ ، أَي رَايِحٌ عَلَيْكَ نَفْعُهُ ، و « بَيْرَحَاءُ » حَبِيقَةٌ نَخْلٍ ، وروي بكسرِ الباءِ وفتحها .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

قوله تعالى : لن تنالوا البر يعني : الجنة ، قاله ابن عباس وابن مسعود ومجاهد ، وقال مقاتل بن حيان : التقوى ، وقيل : الطاعة وقيل : الخير ، وقال الحسن : أن تكونوا أبرارا . قوله تعالى : حتى تنفقوا مما تحبون أي : من أحب أموالكم إليكم ، روى الضحاك عن ابن عباس : إن المراد منه أداء الزكاة . وقال مجاهد والكلبي : هذه الآية نسختها آية الزكاة ، وقال الحسن : كل إنفاق يبتغي به المسلم وجه الله حتى الثمرة ينال به هذا البر وقال عطاء : لن تنالوا البر أي : شرف الدين والتقوى حتى تصدقوا وأنتم أصحاب أشحاء . (تفسير الدر المنثور 2 / 66)

عن مجاهد قال : كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري أن يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت فدعا بها فأعجبتة فقال : إن الله عز وجل يقول : لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون . فاعتقها عمر . وعن حمزة بن عبد الله بن عمر قال : خطرت على قلب عبد الله بن عمر هذه الآية . لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون . قال ابن عمر : فذكرت ما أعطاني الله عز وجل ، فما كان شيء أعجب إلي من فلانة هي حرة لوجه الله تعالى ، قال : لولا أنني لا أعود في شيء

جعلته لله لنكحتها . (تفسير الدر المنثور / 2 / 67)

عن علي بن أبي طالب في قوله : يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم . قال : من الذهب والفضة ، ومما أخرجنا لكم من الأرض قال : يعني من الحب والتمر وكل شيء عليه . عن مجاهد في قوله : أنفقوا من طيبات ما كسبتم قال : من التجارة ، ومما أخرجنا لكم من الأرض قال : من الثمار . (تفسير الدر المنثور / 3 / 254) .

يأمر تعالى عباده المؤمنين بالإنفاق والمراد به الصدقة هاهنا ; قاله ابن عباس من طيبات ما رزقهم من الأموال التي اكتسبوها . قال مجاهد : يعني التجارة بتيسيره إياها لهم . وقال علي والسدي : من طيبات ما كسبتم . يعني : الذهب والفضة ، ومن الثمار والزروع التي أنبتها لهم من الأرض . قال ابن عباس : أمرهم بالإنفاق من أطيب المال وأجوده وأنفسه ، ونهاهم عن التصدق بردالة المال ودنيه وهو خبيثة فإن الله طيب لا يقبل إلا طيبا ، ولهذا قال : ولا تيمموا أي : تقصدوا الخبيث منه تنفقون ولستم بأخذيه أي : لو أعطيتموه ما أخذتموه ، إلا أن تتفاضوا فيه ، فالله أغنى عنه منكم ، فلا تجعلوا لله ما تكرهون . (تفسير بن كثير / 1 / 697)

عن البراء : ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بأخذيه إلا أن تغمضوا فيه قال : نزلت فينا ، كنا أصحاب نخل وكان الرجل يأتي من نخلة بقدر كثيره وقلته فيأتي الرجل بالقنو فيعلقه في المسجد وكان أهل الصفة ليس لهم طعام ، فكان أحدهم إذا جاع جاء فضربه بعصاه فيسقط منه البسر والتمر فيأكل وكان أناس ممن لا يرغبون في الخير يأتي بالقنو فيه الحشف والشيص ويأتي بالقنو قد انكسر فيعلقه ، فنزلت : ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بأخذيه إلا أن تغمضوا فيه قال : لو أن أحداكم أهدي له مثل ما أعطى ما أخذه إلا على إغماض وحياء فكنا بعد ذلك يعيء الرجل منا بصالح ما عنده . (تفسير بن كثير / 1 / 698)

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

عن أبي هريرة قال : اشترى عثمان بن عفان من رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة مرتين ، بيع الخلق حين حفر بئر رومة ، وحين جهز جيش العسرة . (حلية الأولياء / 1 / 58)

عن صفوان بن عمرو : أن أبا الدرداء كان يقول : يا معشر أهل الأموال ، بردوا على جلودكم من أموالكم ، قبل أن نكون وإياكم فيها سواء ، ليس إلا أن تنظروا فيها وتنظر فيها معكم . (حلية الأولياء / 1 / 218)

قال قبيصة : صحبت طلحة بن عبيد الله فما رأيت رجلا أعطى لجزيل مال من غير مسألة منه .

(حلية الأولياء / 1 / 88)

قال أبو ذر: في المال ثلاثة شركاء القدر لا يستأمرك أن يذهب بخيرها أو شرها من هلاك أو موت والوارث ينتظر أن تضع رأسك ثم يستاقها وأنت ذميم فإن استطعت ألا تكون أعجز الثلاثة فلا تكونن فإن الله عز وجل يقول: (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) (آل عمران 92) ألا وان هذا الجمل مما كنت أحب من مالي ، فأحبيت أن أقدمه لنفسي . (حلية الأولياء / 1 / 163)

قال مجاهد: لو أن رجلا أنفق مثل أحد في طاعة الله تعالى لم يكن من المسرفين . (الحلية / 3 / 392)
قال حاتم الأصم: من ادعى حب الجنة من غير إنفاق ماله ، فهو كذاب . (حلية الأولياء / 8 / 75)

قال حاتم الأصم: إذ تصدقت بالدرهم فإنه ينبغي لك خمسة أشياء: أما واحد فلا ينبغي لك أن تعطى وتطلب الزيادة ، ولا ينبغي لك أن تعطي من ملامة الناس ، ولا ينبغي لك أن تمن على صاحبه ، ولا ينبغي لك إذا كان عندك درهمان فتعطي واحدا تأمن هذا الذي بقي عندك ، ولا ينبغي لك أن تعطى تبتغي الثناء ؛ وقال: مثلهما مثل رجل يكون له دار فيها غنم له ، وللدار خمسة أبواب ، وخارج الدار ذئب يدور حولها ، فإن أخذت أربعة أبواب وبقي واحد ، دخل الذئب وأكل الغنم كلها ، وهكذا إذا تصدقت وأردت من هذه الخمسة الأشياء شيئا واحدا ، فقد أبطلت الصدقة . (حلية الأولياء / 8 / 77)

كان علي بن الحسين: إذا ناول الصدقة السائل ، قبله ثم ناوله . (حلية الأولياء / 3 / 136)

قال شهاب بن عامر: أن الحسن بن علي: قاسم الله عز وجل ماله مرتين حتى تصدق بفرد نعله . (حلية الأولياء / 2 / 37)

كان علي بن الحسين يحمل الخبز على ظهره بالليل فيتصدق به ويقول: إن صدقة السر تطفئ غضب الرب عز وجل . (حلية الأولياء / 3 / 163)

عن أصبغ بن زيد قال: كان أويس القرني إذا أمسى يقول: هذه ليلة الركوع ، فيركع حتى يصبح وكان يقول إذا أمسى: هذه ليلة السجود ، فيسجد حتى يصبح ، وكان إذا أمسى تصدق بما في بيته من الفضل من الطعام والثياب ، ثم يقول: اللهم من مات جوعا فلا تؤاخذني به ، ومن مات عريانا فلا تؤاخذني به . (حلية الأولياء / 2 / 87)

عن هشام بن عروة قال: قال عروة لبنيه: يا بني لا يهدين أحدكم إلى ربه عز وجل ما يستحي أن يهديه إلى كريمة فإن الله عز وجل أكرم الكرماء وأحق من اختيار إليه . (حلية الأولياء / 2 / 177)

قال يونس بن عبيد : ما أعلم شيئا أقل من درهم طيب ينفقه صاحبه في حق أو أخ يسكن إليه في الإسلام وما يزدادان إقالة . (حلية الأولياء 3 / 17)

عن بشر بن الحارث يقول : الصدقة أفضل من الحج والعمرة والجهاد ، ثم قال : ذاك يركب ويرجع ويراه الناس ، وهذا يعطي سرا لا يراه إلا الله عزوجل . (حلية الأولياء 8 / 339)

قال معن بن عيسى : سمعت أن عامر بن عبد الله ربما خرج بالبصرة فيما عشرة آلاف درهم يقسمها ، فما يصلي العتمة ومعه منها درهم . (حلية الأولياء 3 / 166)

قال عون بن عبد الله : إذا أعطيت المسكين شيئا فقال : بارك الله فيك فقل أنت بارك الله فيك حتى تخلص لك صدقتك . (حلية الأولياء 4 / 253)

قال مالك بن دينار : أخذ السبع صبيا لامرأة فتصدقت بلقمة فألقاه السبع فنوديت لقمة بلقمة . (حلية الأولياء 2 / 384)

قال سفيان الثوري : ما أرى كان يدفع عن أهل هذه المدينة إلا بمحمد بن سوقه ورث عن أبيه مائة ألف ، فتصدق به كله . (حلية الأولياء 5 / 5)

قال ميمون بن مهران : لئن أتصدق بدرهم في حياتي أحب إلي من أن يتصدق عني بعد موتي بمائة درهم . (حلية الأولياء 4 / 87)

قال سعيد بن جبير : من إضاعة المال أن يرزقك الله حالا ، فتنفقه في معصية الله . (حلية الأولياء 4 / 281)

قال الأعمش : ورث خيثمة بن عبد الرحمن مائتي ألف درهم ، فأنفقها على الفقراء والفقهاء . (حلية الأولياء 4 / 113)

قال مغيرة : كان أوديس القرني يتصدق بثيابه ، حتى يجلس عربانا لا يجد ما يروح فيه أي إلى الجمعة . (حلية الأولياء 2 / 84)

كان الربيع بن خثيم يقول : إذا جاء سائل أطعموه سكرًا فإن الربيع يحب السكر . (الحلية 2 / 115)

كان جعفر بن محمد : يطعم حتى لا يبقى لعياله شيء . (حلية الأولياء 3 / 194)

قَالَ الْمُتَصَرِّفُ بِلَالِ الْأَنْصَارِيِّ : (رُوِضَةُ الْعُقَلَاءِ 235)

أَلْجُودَ مَكْرَمَةً وَالْبُخْلَ مُبْغِضَةً *** لَا يَسْتَوِي الْبُخْلُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْجُودُ

وَالْفَقْرُ فِيهِ شُخُوصٌ وَالْغَى دَعَا *** وَالنَّاسُ فِي الْمَالِ مَرْزُوقٌ وَمَحْدُودٌ

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

عن ابن عمر رضي الله عنه : أنه كان لا يعجبه شيء من ماله إلا خرج منه لله عز وجل قال : وكان ربما تصدق في المجلس الواحد بثلاثين ألفا قال : وأعطاه ابن عامر مرتين ثلاثين ألفا فقال : يا نافع إني أخاف أن تفتنني دراهم ابن عامر ، اذهب فأنت حر ، وكان لا يدمن اللحم شهرا إلا مسافرا أو في رمضان قال : وكان يمكث الشهر لا يذوق فيه مزعة لحم . (حلية الأولياء / 1 / 295)

قال نافع : ما مات ابن عمر ، حتى أعتق ألف إنسان أوزاد . (حلية الأولياء / 1 / 296)

وقال نافع : بعث معاوية إلى ابن عمر مائة ألف فما حال الحال وعنده منها شيء . (الحلية / 1 / 296)

وقال أيضا : باع ابن عمر أرضا له بمائتي ناقة ، فحمل على مائة منها في سبيل الله عز وجل ، واشترط على أصحابها أن لا يبيعوا حتى يجاوزوا بها وأدى . (حلية الأولياء / 1 / 296)

قال عبد الله بن أبي عثمان : كان عبد الله بن عمر رضي الله عنه أعتق جاريته التي يقال لها رميثة ، فقال : إني سمعت الله عز وجل قال في كتابه : (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) (آل عمران / 92) وإني والله إن كنت لأحبك في الدنيا ، اذهبي ، فأنت حرة لوجه الله . (صفة الصفة / 1 / 269)

عن المسور بن مخرمة : باع عبد الرحمن بن عوف أرضا له من عثمان بأربعين ألف دينار فقسم ذلك المال في بني زهرة وفقراء المسلمين ، وأمهات المؤمنين ، وبعث إلى عائشة معي بمال من ذلك المال ، فقالت عائشة : أما إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لن يحنو عليكم بعدي إلا الصالحون سقى الله ابن عوف من سلسبيل الجنة . (حلية الأولياء / 1 / 98 - 99)

عن مجاهد قال : كان بالمدينة أهل بيت ذو حاجة ، عندهم رأس شاة فأصابوا شيئا ، فقالوا : لو بعثنا بهذا الرأس إلى من هو أحوج إليه منا قال فبعثوا به فلم يزل يدور بالمدينة حتى رجع إلى أصحابه الذين خرج من عندهم . (حلية الأولياء / 3 / 396 - 397)

كان عروة بن الزبير : إذا كان أيام الرطب يثلم (يفتح) حائطه ثم يأذن للناس فيه فيدخلون ويأكلون ويحملون قال : وكان ينزل حوله ناس من أهل البدو ، فيدخلون ويأكلون ويحملون ، وكان إذا دخله ردد هذه الآية) : ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله (الكهف / 39) حتى يخرج من الحائط . (حلية الأولياء / 2 / 180)

وعن سعيد بن عبد العزيز قال : كان للزبير بن العوام رضي الله عنه ألف مملوك يؤدون إليه الخراج ، فكان يقسمه كل ليلة ، ثم يقوم إلى منزله وليس معه منه شيء . (الحلية (تهذيبه) (92 / 1)
قال عوف بن الحسن : باع طلحة أرضا له بسبعمئة ألف فبات ذلك المال عنده ليلة ، فبات أرقا من مخافة المال حتى أصبح ، ففرقة . (حلية الأولياء (89 / 1)

عن سعدي بنت عوف امرأة طلحة بن عبيد الله قالت : لقد تصدق طلحة يوما بمائة ألف درهم ، ثم حبسه عن الرواح إلى المسجد أن جمعت له بين طرفي ثوبه . (حلية الأولياء (88 / 1)
قال عروة : لقد رأيت عائشة رضي الله عنها تقسم سبعين ألفا وإنها لترقع جيب درعها . (حلية الأولياء (47 / 2)

قال أبي عبد الله الحضرمي : مكث أبو جعفر الحداد عشرين سنة يعمل في كل يوم بدينار وينفقه على الفقراء ويصوم ثم يخرج من بين الصلاتين المغرب والعشاء فيتصدق ما يفطر عليه من الأبواب . (حلية الأولياء (340 / 10)

عن سعيد بن عبد العزيز يقول : كان للزبير بن العوام ألف مملوك يؤدون إليه الخراج ، فكان يقسمه كل ليلة ثم يقوم إلى منزله وليس معه منه شيء . (حلية الأولياء (145 / 7)

عن حجاج قال : ركب شعبة حمارا له ، فلقيه سليمان بن المغيرة ، فشكا إليه ، فقال له شعبة : والله ما أملك إلا هذا الحمار ، ثم نزل عنه ودفعه إليه . (حلية الأولياء (145 / 7)

عن الحميدي يقول : قدم الشافعي من صنعاء إلى مكة بعشرة آلاف دينار في منديل ، فضرب خباءه في موضع خارجا من مكة ، فكان الناس يأتونه فيه ، فما برح حتى وهب كلها . (الحلية (130 / 9)

قال مهدي بن سابق : طلب ابن أخ محمد بن سوفة منه شيئا ، فبكي فقال له : والله يا عم ، لو علمت أن مسألتي تبلغ منك هذا ما سألتك ، قال : ما بكيت لسؤالك ، إنما بكيت لأني لم أبتديك قبل سؤالك . (حلية الأولياء (6 / 5 - 7)

38- بيان وجوب أمره وأولاده المميزين وسائر من في رعيته بطاعة

الله تعالى ونهيه عن المخالفة ، وتأديبهم ، ومنعهم من ارتكاب منهي عنه

قَالَ اللهُ تَعَالَى : وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا [طه : 132] ، وَقَالَ تَعَالَى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا [التحريم : 6] .

298- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أخذ الحسن بن علي رضي الله عنهما ثمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كُخْ كُخْ ، إِرْمْ بِهَا ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ ، ؟ » متفق عليه .

وفي رواية : « إنا لا تجل لنا الصدقة » وقوله : « كُخْ كُخْ » يُقَالُ بِاسْكَانِ الْخَاءِ ، وَيُقَالُ بِكَسْرِهَا مَعَ التَّنْوِينِ وَهِيَ كَلِمَةٌ زَجْرٌ لِلصَّبِيِّ عَنِ الْمُسْتَقْدِرَاتِ ، وَكَانَ الْحَسَنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَبِيًّا .

299- وعن أبي حفص عمر بن أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد : ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرٍ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَتْ يَدَيَّ تَطْيِشُ فِي الصَّحْفَةِ ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا غُلَامُ سَمَّ اللَّهُ تَعَالَى وَكُلَّ بِيَمِينِكَ ، وَكُلَّ مِمَّا يَلِيكَ » فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ . متفقٌ عليه . « وَتَطْيِشُ » : تَدُورُ فِي نَوَاحِي الصَّحْفَةِ .

300- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْنُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْأَمَامُ رَاعٍ ، وَمَسْنُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَمَسْنُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْنُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْنُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْنُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » متفقٌ عليه .

301- وعن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جدِّه رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَرُّوا أَوْلَادِكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَمًا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ ، وَفَرَّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ » حديثٌ حسنٌ رواه أبو داود بإسنادٍ حسنٍ .

302- وعن أبي ثرية سبرة بن معبد الجبِّي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عَلِّمُوا الصَّبِيَّ الصَّلَاةَ لِسَبْعِ سِنِينَ ، وَاضْرِبُوهُ عَلَمًا ابْنَ عَشْرِ سِنِينَ » حديثٌ حسنٌ رواه أبو داود ، والترمذي وقال حديثٌ حسنٌ . وَلَفْظُ أَبِي دَاوُدَ : « مَرُّوا الصَّبِيَّ بِالصَّلَاةِ إِذَا بَلَغَ سَبْعَ سِنِينَ »

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

عن هشام بن عروة عن أبيه أنه كان إذا رأى شيئا من الدنيا جاء إلى أهله فقال الصلاة . وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا . عن زيد بن أسلم عن أبيه ، قال : كان يبيت عند عمر بن الخطاب من غلمانه أنا ویرفأ وكانت له من الليل ساعة يصلحها فإذا قلنا لا يقوم من الليل كان قياما وكان إذا صلى من الليل ثم فرغ قرأ هذه الآية وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها . (تفسير الطبري 18 / 406)

عن سعيد بن جبير في قوله : وأمر أهلك قال : قومك . عن أبي سعيد الخدري قال : لما نزلت : وأمر أهلك بالصلاة كان النبي صلى الله عليه وسلم يجيء إلى باب علي صلاة الغداة ثمانية أشهر يقول : الصلاة رحمكم الله : إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا (الأحزاب 33) . (تفسير الدر المنثور 10 / 266) .

عن علي بن أبي طالب في قوله : قوا أنفسكم وأهليكم نارا قال : علموا أنفسكم وأهليكم الخير وأدبوهم عن ابن عباس في قوله : قوا أنفسكم وأهليكم نارا قال : اعلموا بطاعة الله ، واتقوا معاصي الله ، وأمروا أهليكم بالذكر ينجيكم الله من النار . عن زيد بن أسلم قال : تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : قوا أنفسكم وأهليكم نارا فقالوا : يا رسول الله ، كيف نقي أهلنا نارا ؟ قال : تأمروهم بما يحب الله ، وتنهوهم عما يكره الله . عن عبد العزيز بن أبي رواد قال : مر عيسى عليه السلام بجبل معلق بين السماء والأرض ، فدخل فيه وبكى ، وتعجب من حوله ، ثم خرج إلى من حوله ، فسأل : ما قصة هذا الجبل ؟ فقالوا : ما لنا به علم ، كذلك أدركنا آباءنا فقال : يا رب ، ائذن لهذا الجبل يخبرني ما قصته ، فأذن له فقال : لما قال الله : نارا وقودها الناس والحجارة طرت ، خفت أن أكون من وقودها ، فادع الله أن يؤمنني ، فدعا الله ، فأمنه ، فقال : الآن قررت ، فقرر على الأرض . (تفسير الدر المنثور 14 / 590) .

عن محمد بن هاشم قال : لما نزلت هذه الآية : وقودها الناس والحجارة قرأها النبي صلى الله عليه وسلم فسمعها شاب إلى جنبه فصعق ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه في حجرة رحمة له ، فمكث ما شاء الله أن يمكث ، ثم فتح عينيه ، فإذا رأسه في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : بأبي أنت وأمي ، مثل أي شيء الحجر ؟ فقال : أما يكفيك ما أصابك ؟ على أن الحجر منها لو وضع على جبال الدنيا لذابت منه ، وإن مع كل إنسان منهم حجرا وشيطانا . (تفسير الدر المنثور 14 / 592) .

أَثَارُ الْوَارِدَةِ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قال كعب الأحبار : قال لقمان الحكيم فيما يعظ به ابنه : يا بني ، أقم الصلاة ، فإن مثلها في دين الله كمثل عمود فسطاط ، فإن العمود استقام ، نفعت الأوتاد والأطناب والظلال ، فإذا مال العمود أو تغير ، لم ينفع وتد ، ولا طناب ، ولا ظلال ؛ يا بني ، وإنما مثل الأدب الحسن ، كمثل طاق في جدار ، بين كل طبقتين خشب مغروس ، فكلمتا تحت طبقة ، أمسكه خشبه ، بإذن الله ؛ إن الله إذا سجد له شيء ، لم يقلع من نظرائه ، فإذا قال : يا رب يا رب ، سمع نداءه وأجابه ؛ وكن عبدا لمن صاحبك ، يكن لك عبدا ، ولا تصاعر خدك للناس فيبغضوك ، والله أشد منهم مقتا ؛ وتصديق

يا بني من فضل ما أعطاك ربك : يزدك من فضله ، ويطفى عنك غضبه ؛ وارحم الجار ، الفقير والمسكين ، والمملوك والأسير ، والخائف واليتيم ، فأدنه ، وامسح رأسه ؛ فإن الله يرحمك إذا رحمت عباده . (حلية الأولياء 6 / 19)

عن لقمان ، قال لابنه : يا بني ، ليس غناء كصحة ولا نعيم كطيب نفس . وقال مالك : قال لقمان لابنه : يا بني ، إن الناس قد تناول عليهم ما يوعدون ، وهم إلى الآخرة سراع يذهبون ، وأنت قد استدبرت الدنيا منذ كنت واستقبلت الآخرة وإن دارا تسير إليها أقرب إليك من دار تخرج منها . (حلية الأولياء 6 / 320)

عن مكحول عن كعب : أن لقمان قال لابنه : يا بني ، كن أحرص عاقلا ، ولا تكن نطوقا جاهلا ؛ ولأن يسيل لعابك على صدرك وأنت كاف اللسان عما لا يعينك ، أجمل بك وأحسن ، من أن تجلس إلى قوم فتنطق بما لا يعينك ؛ ولكل عمل دليل ، ودليل العقل التفكير ، ودليل التفكير الصمت ؛ ولكل شيء مطية ، ومطية العقل التواضع ، وكفى بك جهلا أن تنهي عما تركب ، وكفى بك عقلا أن يسلم الناس من شرك . (حلية الأولياء 6 / 6)

قال عقبة بن الحارث : رأيت أبا بكر رضي الله عنه يحمل الحسن بن علي ويقول : بأبي شبيه بالنبي ليس شبيها بعلي وعلي معه يتبسم . (العيال لابن أبي الدنيا 1 / 431)

قال الحافظ في الفتح : وكان عمر الحسن إذ ذاك سبع سنين . (فتح الباري 14 / 49)

وقال سنان بن سلمه : كنت في غلمة بالمدينة نلتقط البلح فأبصرنا عمر وسعى الغلمان وقمت ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، إنما هو ما ألقى الريح . قال : أرني أنظر . فلما أريته قال : انطلق . قال : قلت : يا أمير المؤمنين ، وهؤلاء الغلمان ، إنك لو تواريت أنتزعو ما معي قال : فمشى معي حتى بلغت مؤمني . (العيال 1 / 418)

وحيء بسكران في رمضان إلى عمر بن الخطاب فقال له موبخا وزاجرا في رمضان ويلك وصبياننا صيام ؟! فضربه . (البخاري 1690)

قد عزل عمرواليا ؛ لأنه لا يلعب أطفاله . (العيال لابن أبي الدنيا 1 / 413 - البخاري 4 / 227)

ومزق ابن مسعود رضي الله عنه قميصا من حرير على أحد أولاده وقال : قل لأملك تكسوك غير هذا . (مجمع الزوائد 5 / 147)

وقال الموفق : ويتجنب الثياب التي عليها تصاوير أو صلبان . (المغني 1 / 628)

قال ابن مسعود رضي الله عنه : حافظوا على أبنائكم في الصلاة ، ثم تعودوا الخير فإن الخير بالعادة . (العيال 1 / 469)

قال عامر بن عبد الله بن مسعود : كان أبي إذا دخل الدار استأنس أي أشعر أهله بما يؤنسهم وتكلم ورفع صوته حتى يستأنسوا . (أدب الإسلام 14)

قال علي بن أبي طالب لابنه الحسن : يا بني رأس الدين صحبة المتقين ، وتمام الإخلاص اجتناب المحارم ، وخير المقال ما صدقه الفعال . اقبل عذر من اعتذر إليك ، و اقبل العفو من الناس ، وأطع أخاك وإن عصاك ، وصله وإن جفاك . (كنز العمال 16 / - 269 - رقم 44392)

قال معاذ بن جبل لابنه : يا بني إذا صليت فصل صلاة مودع لا تظن أنك تعود إليها أبدا ، واعلم يا بني أن المؤمن يموت بين حسنتين ؛ حسنة قدمها ، وحسنة أخرها . (الزهد لأحمد حديث 638)

وعن الشعبي عن ابن عباس قال : قال لي أبي : أي بني إني أرى أمير المؤمنين يدعوك ويقربك ويستشيرك مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فاحفظ عني ثلاث خصال : اتق الله . . لا يجربن عليك كذبة ، ولا تفشين له سرا ، ولا تغتابن عنده أحدا . قال الشعبي : فقلت لابن عباس : كل واحدة خير من ألف !! قال : كل واحدة خير من عشرة آلاف . (حلية الأولياء 1 / 318)

قال عكرمة : ختن ابن عباس بنيه فأرسلني فجنته بلعابين فلعبوا وأعطاهم أربعة دراهم . (العيال 2 / 788)

قال ابن عباس : من قرأ القرآن قبل أن يحتلم فهو ممن أوتي الحكم صبيا . (الآداب الشرعية 1 / 244)

قال عبادة بن الصامت لابنه : يا بني ، لن تجد حقيقة الإيمان ، حتى تعلم : أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ؛ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن أول ما خلق الله القلم ، فقال : أكتب ؛ قال : يا رب ، ماذا أكتب ؟ قال : أكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة » . يا بني إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من مات على غير هذا ، فليس مني » . غريب من حديث إبراهيم ، تفرد به يحيى عن الوليد . (حلية الأولياء 5 / 248)

قال ابن عمر لرجل : يا هذا أحسن أدب ابنك فإنك مسؤول عنه ، وهو مسؤول عن برك . (العيال لابن أبي الدنيا برقم 329)

وكان ابن عمر يقول : إن الوالد مسؤول عن الولد وإن الولد مسؤول عن الوالد يعني : في الأدب والبر . (الزهد لابن السري 2 / 486)

عن ابن عمر أنه قال : أسماهم الله عز وجل أبرارا لأنهم بروا الآباء والأبناء فكما أن لوالدك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق . قال الوليد بن نمير بن أوس أنه سمع أباه يقول : كانوا يقولون : الصلاح من الله ، والأدب من الآباء . (الأدب المفرد للبخاري)

قال أبي ذر : قال صلى الله عليه وسلم : إن الله ختم سورة البقرة بأيتين أعطانيهما من كتبه الذي تحت العرش فتعلموهن وعلموهن نساءكم وأبنائكم ؛ فإنها صلاة وقرآن ودعاء . (مستدرک الحاكم 1 / 562)

قال سعيد بن العاص : إذا علمت ولدي القرآن وأحججته وزوجته فقد قضيت حقه وبقي حقي عليه . (العيال لابن أبي الدنيا 1 / 225)

أرسل معاوية رضي الله عنه : إلى دغفل فسأله عن العربية وعن أنساب العرب وسأله عن النجوم فإذا رجل عالم قال : يادغفل ! من أين حفظت هذا ؟ قال : بلسان سؤؤل وقلب عقول وإن آفة العلم النسيان قال : انطلق بين يدي - يعني ابنه - يزيد فعلمه العربية وأنساب قريش والنجوم وأنساب الناس . (العيال لابن أبي الدنيا 1 / 528)

قال أنس بن مالك : كانوا يعلمون أولادهم محبة الشيخين كما يعلمونهم السورة من القرآن . (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للطبري 7 / 1313)

قال عبد العزيز بن جعفر اللؤلؤي : قلت للحسن : حب أبي بكر وعمر سنة ؟ قال : لا فريضة . (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للطبري 7 / 1312)

ولما دفع عبد الملك ولده إلى الشعبي يؤدبهم قال : علمهم الشعر يمجدوا وينجدوا ، وحسن شعورهم تشتد رقاہم ، وجالس بهم عليه الرجال يناقضوهم الكلام . (العيال 1 / 512)

عن علي بن الحسين ، أنه قال لابنه : يا بني ، اصبر على النوائب ، ولا تتعرض للحقوق ، ولا تجب أخاك إلى الأمر الذي مضرتك عليك ، أكثر من منفعتك له . (حلية الأولياء 3 / 138)

أوصى عمر بن عبد العزيز مؤدب ولده سهلا قائلا : وليفتح كل غلام فيهم بجزء من القرآن يثبت في قراءته ؛ فإذا فرغ تناول قوسه ونبله وخرج إلى الغرض حافيا فرمى سبعة أرشقة ثم انصرف إلى القائلة . (التربية البدنية والرياضية في التراث 38)

وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يكتب للأمصار: لا يقرن المعلم فوق ثلاث؛ فإنها مخافة للغلام يعني لا يجمع ثلاث ضربات. (ابن أبي الدنيا في العيال 1/ 531)

قال الرشيد لمعلم ولده. قال خلف الأحمر: بعث إلي الرشيد في تأديب ولده محمد الأمين فقال: يا أحمر إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه وثمرة قلبه، فصبر يدك عليه مبسوسة وطاعته لك واجبة، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين. أقرئه القرآن وعلمه الأخبار ورواه الأشعار وعلمه السنن، وبصره بمواقع الكلام وبدئه وامنعه من الضحك إلا في أوقاته وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم، إذا دخلوا عليه، ورفع مجالس القواد إذا حضروا مجلسه. ولا تمرن بك ساعة إلا وأنت مغتتم فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه. ولا تمنع في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة، فإن أباهما فعليك بالشدّة والغلظة. (المحاسن والمسائي للبيهقي 244)

قال محمد بن أبي زيد: لا ينبغي لمؤدب الصبيان أن يزيد في ضربهم إذا احتاجوا إليه على ثلاثة أسواط شيئاً. (حكم المعلمين 1/ 116)

عن كثير بن زياد أنه سأل الحسن البصري عن قوله تعالى: (هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين) (الفرقان 74) فقال: يا أبا سعيد ما هذه قرة الأعين؟ أفي الدنيا أم في الآخرة؟ قال: لا بل والله في الدنيا قال: وما هي؟ قال: هي والله أن يرى الله العبد من زوجته، من أخيه، من حميمة طاعة الله لا والله ما شيء أحب إلى المرء المسلم من أن يرى والدا أو ولداً أو حميماً أو أخاً مطيعاً لله عز وجل. (شعب الإيمان 11/ 138)

عن الحسن أنه دخل منزله وصبيان يلعبون فوق البيت ومعه عبد الله ابنه فنهاهم فقال الحسن: دعهم فإن اللعب ربيعهم. (بن أبي الدنيا في العيال 2/ 791)

وقال رجل للحسن: قد خطب ابنتي جماعة فمن أزوجها؟ قال: ممن يتقي الله فإن أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها. (إحياء علوم الدين 2/ 41)

عن الحسن البصري قال: إذا رأيت الرجل يقتر على عياله، فإن عمله بينه وبين الله أخبث وأخبث. (حلية الأولياء 6/ 178)

وكان علي بن الحسين يعلمهم: قل آمنت بالله وكفرت بالطاغوت وكان بعض السلف يعلم الصبيان قول: لا إله إلا الله. (مصنف بن أبي شيبة 1/ 348)

وقال يونس : حذق ابن لعبد الله بن الحسن فقال عبد الله : إن فلانا قد حذق فقال الحسن : كان الغلام إذا حذق قبل اليوم نحروا جزورا وصنعوا طعاما للناس . (العيال 1 / 489)

وقال الإمام أحمد : اليتيم يؤدب ويضرب ضربا خفيفا . (الآداب الشرعية 1 / 477) وسئل الإمام أحمد عن ضرب المعلم الصبيان فقال : على قدر ذنوبهم ويتوقى بجهده الضرب وإن كان صغيرا لا يعقل فلا يضربه . (الآداب الشرعية 1 / 477)

قال صالح بن الإمام أحمد بن حنبل : كان أبي يبعث خلفي إذا جاءه رجل زاهد أو متقشف لأنظر إليه يحب أن أكون مثله . (سير أعلام النبلاء 12 / 529)

قال سفيان الثوري : من حق الولد على الوالد أن يحسن أدبه . (العيال 232)

قال الثوري : ينبغي للرجل أن يكره ولده على العلم فإنه مسؤول عنه . (سير أعلام النبلاء 7 / 273)
عن سفيان الثوري قال : من سعادة المرء ، أن يشبهه ولده . (حلية الأولياء 7 / 72)

قال محمد بن عمران الضبي : سمعت أبي يحكي قال : مر سفيان الثوري بزياد بن كثير وهو يصف الصبيان للصلاة ، ويقول : استوتوا اعتدلوا سوتوا مناكبكم وأقدامكم اتكأ على رجلك اليسرى ، وانصب اليمنى وضع يديك على ركبتيك ولا تسلم حتى يسلم الإمام من كلا الجانبين ، فقام سفيان ينظر ثم قال : بلغني أن الأدب يطفئ غضب الرب . (حلية الأولياء 7 / 79)

وقال عتبة بن أبي سفيان لمؤدب ولده : ليكون أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك فإن عيونهم معقودة بك فالحسن عندهم ما صنعت والقبيح عندهم ما تركت وعلمهم كتاب الله ولا تكرههم عليه فيملوه ولا تتركهم منه فيهجروه ثم روهم من الشعر أعفه ومن الحديث أشرفه ولا تخرجهم من علم إلى غيره حتى يحكموه فإن ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم . (البيان والتبيين 249)

قال النضر بن شميل : سمعت إبراهيم بن أدهم يقول : قال لي أبي : يا بني ! اطلب الحديث فكلمنا سمعت حديثا وحفظته فلك درهم . (شرف أصحاب الحديث للبغدادي حديث 134)

قال أبو خبيب الكرابيسي : كان معنا ابن لأيوب السختياني في الكتاب فحذق الصبي فأتينا منزلهم فوضع له منبر فخطب عليه ونهبوا علينا الجوز وأيوب قائم على الباب يقول لنا : ادخلوا وهو خاص لنا . (العيال لابن أبي الدنيا 1 / 485)

وكان مسروق لا يعصي ابنته شيئا قال : فنزلت إليه فقالت : يا أبتاه أفطروا وأشرب قال : ما أردت بي يابنيه ؟ قالت : الرفق قال يابنيه إنما طلبت الرفق لنفسي في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة .
(سير أعلام النبلاء 4 / 689)

عن إبراهيم بن شيبان قال : سمعت إسماعيل ابن عبيد يقول : لما حضرت أبي الوفاة ، جمع بنيه ، وقال ، يا بني ، عليكم بتقوى الله ، وعليكم بالقرآن فتعاهدوه ، وعليكم بالصدق ؛ حتى لو قتل أحدكم قتيلا ثم سئل عنه ، أقرب به ؛ والله ، ما كذبت كذبه منذ قرأت القرآن ؛ يا بني ، وعليكم بسلامة الصدور لعامة المسلمين ، فوالله ، لقد رأيتني وأنا لا أخرج من بابي ، وما ألقى مسلما ، إلا والذي في نفسي له ، كالذي في نفسي لنفسي ؛ أفترون أنني لا أحب لنفسي إلا خيرا .
(حلية الأولياء 6 / 85 - 86)

قال عبد الله بن طاووس : قال لي أبي : يا بني صاحب العقلاء تنسب إليهم وإن لم تكن منهم ولا تصاحب الجهال فتنسب إليهم وإن لم تكن منهم واعلم أن لكل شيء غاية وغاية المرء حسن خلقه .
(حلية الأولياء 4 / 13)

عن مالك ابن مغول قال : شكأ أبو معشر ابنه إلى طلحة بن مصرف ، فقال : استعن عليه بهذه الآية : (رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي) (الأحقاف 15) . (حلية الأولياء 5 / 19)

كان ابن الجوزي الواعظ من ثمار الشيخ أبي القاسم البلخي فإنه علمه كلمات ثم أصدعه المنبر فقلها وكان عمره ثلاث عشرة سنة قال ابن الجوزي : وحزر الجمع يومئذ بخمسين ألفا وهو أول مجالسه رحمه الله . (المنتظم 17 / 236)

الأمام السلمي لما أراد الحج قال : استأذنت أمي في الحج فقالت لي : توجهت إلى بيت الله فلا يكتبن عليك حافظاك شيئا تستحي منه غدا . (سير أعلام النبلاء 17 / 249)

كان ابن شهاب الزهري يشجع الصغار ويقول : لا تحتقروا أنفسكم لحدائث أسنانكم فإن عمر بن الخطاب كان إذانزل به الأمر المعضل دعا الفتیان فاستشارهم يتبع حدة عقولهم .
(جامع بيان العلم وفضله 1 / 85)

قال إبراهيم الحربي : جنبوا أولادكم قرناء السوء قبل أن تصبغوه في البلاء كما يصبغ الثوب .
(ذم الهوى 266)

قال عبد الله بن عيسى : لا تزال هذه الأمة بخير ما تعلم ولدائها القرآن . (العيال 309)

كان عبد الله التستري يردد في طفولته قبل أن ينم الله شاهدي الله ناظري الله معي .
(العيال لابن أبي الدنيا 1 / 469)

قال ابن عقيل : والعاقل إن خلا بأطفاله خرج بصورة طفل ويهجر الجد في ذلك الوقت .
(الآداب الشرعية 3 / 228)

عن أم الأسود بن يزيد قعدت من رجلها فجزعت ابنه لها فقالت لا تجزعي اللهم إن كان خيرا فزد!
(الرضا عن الله 94)

قال رجل للأعمش : هؤلاء الأطفال حولك ! قال : اسكت ، هؤلاء يحفظون عليك أمر دينك .
(الكفاية في علم الرواية 2)

قال إبراهيم النخعي : كانوا يرخصون للصبيان في اللعب كله إلا بالكلاب . (العيال 2 / 798)

قال سعيد بن جبير: الحث على التدرج في أخذ الطفل بالجد . (فتح البارئ 19 / 100)

عن سعيد بن جبير قال : إني لأزيد في صلاتي ، من أجل ابني هذا . (حلية الأولياء 4 / 279)

قال ابن تيمية : فإن ما حرم الله على الرجل فعله حرم عليه أن يمكن منه الصغير وقد رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثوبا من حرير على صبي للزبير فمزقه وقال : لا تلبسوهم الحرير .
(مجموع الفتاوى 22 / 143)

قال ابن تيمية : طلب الحلال والنفقة على العيال باب عظيم ؟ يعدله شيء من أعمال البر .
(الإيمان الأوسط 609)

قال ابن القيم رحمه الله : إذا رأى الصبي وهو مستعد للفروسية وأسبابها من الركوب والرمي واللعب بالرمح وأنه لا نفاذ له من العلم ولم يخلق له ومكنه من أسباب الفروسية والتمرن عليها فإنه أنفع له وللمسلمين . (التربية البدنية والرياضية في التراث 77)

قال ابن القيم : وكم ممن أشقى ولده ، وفلذة كبده في الدنيا والآخرة بإهماله ، وترك تأديبه ، وإعانتة على شهواته ، ويزعم أنه يكرمه وقد أهانه ، وأنه يرحمه وقد ظلمه ، ففاته انتفاعه بولده ، وفوت عليه حظه في الدنيا والآخرة ، وإذا اعتبرت الفساد في الأولاد رأيت عامته من قبل الآباء .
(تحفة المودود بأحكام المولود 1 / 242)

قَالَ خَلْفُ الْأَحْمَرِ: (جَامِعُ بَيَانِ الْعِلْمِ 1 / 360)

خَيْرٌ مَا وَرَثَ الرَّجَالُ بَيْنَهُمْ *** أَدَبٌ صَالِحٌ وَحُسْنُ التَّنَاءِ

هُوَ خَيْرٌ مِنَ الدَّنَائِرِ وَالْأَوْ *** رَاقٍ فِي يَوْمِ شِدَّةٍ أَوْ رَخَاءِ

تِلْكَ تَفَى وَالِدَيْنِ وَالْأَدَبُ *** الصَّالِحُ لَا يَفْنَيَانِ حَتَّى اللَّقَاءِ

إِنْ تَادَبْتَ يَا بَيَّ صَغِيرًا *** كُنْتَ يَوْمًا تُعَدُّ فِي الْكِبَرِ

وَإِذَا مَا أَضَعْتَ نَفْسَكَ الْفَيْتِ *** كَبِيرًا فِي زُمْرَةِ الْغَوْغَاءِ

لَيْسَ عَطْفُ الْقَضِيبِ إِنْ كَانَ *** رَطْبًا وَإِذَا كَانَ يَابِسًا بِسَوَاءِ.

قَالَ أَبُو الْعَلَاءِ الْمُعَرِّي: . (دِيْوَانُ لُزُومٍ مَا لَا يُلْزِمُ كَمَالُ الْأَزْجِي 2 / 496)

وَيَنْشَأُ نَاشِئُ الْفِتْيَانِ مِنَّا *** عَلَى مَا كَانَ عُوْدُهُ أَبُوهُ

وَمَا دَانَ الْفَتَى بِحُجَّةٍ *** وَلَكِنْ يَعْلَمُهُ التَّدِينُ أَقْرَبُوهُ

وَقَالَ الشُّبْرَاوِيُّ: (مَجَانِي الْأَدَبِ فِي حَدَائِقِ الْعَرَبِ)

قَدْ يَنْفَعُ الْأَدَبُ الْأَوْلَادَ فِي صَعْرِ *** وَلَيْسَ يَنْفَعُهُمْ مِنْ بَعْدِهِ أَدَبٌ

الْغُصُونِ إِذَا عَدَلَتْهَا إِعْتَدَلَتْ *** وَلَا يَلِينُ وَلَوْ لَيَّنْتَهُ الْخَشَبَ

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

جاء رجل إلى عمر بن الخطاب يشكو إليه عقوق ولده ، فأمر عمر بإحضار الولد ، وأنب عمر الولد لعقوقه لأبيه ، فقال الولد : يا أمير المؤمنين ، أليس للولد حقوق على أبيه ؟ ! قال : بلى ، قال : فما هي يا أمير المؤمنين ؟ قال عمر : أن ينتقي أمه ، ويحسن اسمه ، ويعلمه الكتاب أي : القرآن قال الولد : يا أمير المؤمنين ، أن أبي لم يفعل شيئا من ذلك : أما أمي فإنها زنجية كانت لمجوسي ، وقد سماني جعلاً ، ولم يعلمني من الكتاب حرفاً واحداً ، فالتفت عمر إلى الرجل وقال له : جئت تشكو عقوق ابنك وقد عققته من قبل أن يعقك ، وأسأت إليه من قبل أن يسيء إليك . (تنبيه الغافلين للسمرقندي)

الفرزدق حيث دخل مع أبوه على علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقال له : إن ابني يوشك أن يكون

شاعرا فقال له : أقرئه القرآن فهو خير له فقال : ما زالت كلمته في نفسي حتى قيد نفسه بقيد والي أن لايفكه حتى يحفظ القرآن فما فكه حتى حفظه . (خزانه الأدب 1 / 222)

دخل أبوهريرة عنه مرة المسجد يوم الجمعة فوجد غلاما فقال له : يا غلام ! اذهب العب ! قال : إنما جئت إلى المسجد قال له : يا غلام ! اذهب العب ! قال : إنما جئت إلى المسجد . قال : فتقعد حتى يخرج الإمام ؟ قال : نعم . (مسند أحمد 2 / 483)

وكان عروة يأمر بنبيه بالصيام إذا أطاقوه وبالصلاة إذا عقلوا . (العيال 1 / 470)

فقد روت عائشة رضي الله عنها أنهم كانوا يأخذون الصبيان من الكتاب ليقوموا بهم في رمضان ويرغبوهم في ذلك عن طريق الأطعمة الشهية . (البيهقي في الكبرى 2 / 459)

عن عائشة : إنها كانت تلعب بالأرجوحة مع صاحباتها قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم بها . (البيهقي 10 / 220)

عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يضرب بنية على اللحن . (العيال 1 / 508)

روى سعيد بن جبير أنه كان مع عبد الله بن عمر في الطريق فإذا صبيان يرمون دجاجة فقال ابن عمر : من فعل هذا ؟ فتفرقوا فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن من مثل بالحيوان . (سنن الدارمي 2 / 84)

مر ابن عمر رضي الله عنهما في طريق فرأى صبيانا يلعبون فأعطاهم درهمين . (الأدب المفرد رقم 1303)

عن جابر الخيواني قال : كنت عند عبد الله بن عمرو فقدم عليه قهرمان من الشام ، وقد بقيت ليلتان من رمضان ، فقال له عبد الله : هل تركت عند أهلي ما يكفهم ؟ قال : قد تركت عندهم نفقة فقال عبد الله : عزمت عليك لما رجعت فتركت لهم ما يكفهم ؛ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كفى بالمرء إثما أن يضيع من يعول . (المستدرک على الصحيحين للحاكم رقم 8526)

مر عمرو بن العاص على حلقة من قريش فقال : ما لكم قد طرحتم هذه الأغيلمة ؟ لا تفعلوا ! أوسعوا لهم في المجلس وأسمعوهم الحديث و أفهموهم إياه فإنهم صغار قوم أو شك أن يكونوا كبار قوم وقد كنتم صغار قوم فأنتم اليوم كبار قوم . (شرف أصحاب الحديث للبغدادي 65)

وهو ما صبه عروة بن الزبير في آذان أولاده حين قال لهم : يا بني اطلبوا العلم فإن تكونوا صغار قوم

لا يحتاج إليهم ، فعسى أن تكونوا كبار قوم آخرين لا يستغنى عنكم . (العقد الفريد 2 / 67)

دخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده ابنته عائشة فقال : من هذه يا أمير المؤمنين قال هذه تفاحة القلب قال : انبذها عنك فإنهن يلدن الأعداء ويقربن البعداء ويورثن الضغائن قال لا تقل هذا يا عمرو فوالله ما مرض المرضى ولا ندب الموتى ولا أعان على الأحران إلا هن وإنك لو اجد خالا قد نفعه بنو أخته فقال عمرو ما أراك يا أمير المؤمنين إلا وقد حبيبتهن إلى بعد بغضي لهن . (ثمار القلوب 1 / 341)

قال حسن بن علي بن حسن : دخلت مع أبي علي الحسن بن علي ، فقال : كم لابنك هذا من سنة ؟ قال : سبع سنين ، قال : فمرة بالصلاة . (العيال لابن أبي الدنيا 222)

أيقن صلاح الدين الأيوبي أن التغذية السليمة للطفل تجعله قويا سليم الجسم والأطفال رجال المستقبل فلبعد نظره أوقف صلاح الدين وقفا لإمداد الأمهات بالحليب اللازم لأطفالهن وقد جعل في أحد أبواب قلعة دمشق ميزابا يسيل منه الحليب وميزابا يسيل منه الماء المذاب بالسكر فتأتي الأمهات يومين في كل أسبوع فيأخذن لأطفالهن ما يحتاجون إليه من الحليب والسكر . (من روائع حضارتنا 127)

الأمام السلمي لما أراد الحج قال : استأذنت أمي في الحج ، فقالت لي : توجهت إلى بيت الله فلا يكتبن عليك حافظاك شيئا تستحي منه غدا . (سير أعلام الذهبي 17 / 249)

قال صالح بن الإمام أحمد بن حنبل : كان أبي يبعث خلفي إذا جاءه رجل زاهد أو متقشف لأنظر إليه يحب أن أكون مثله . (سير أعلام النبلاء للذهبي 12 / 529)

وعن ميمون بن مهران أن رجلا من بني عبد الله بن عمر استكساه إزارا وقال قد تخرق إزاري . فقال : أرقع إزارك ، ثم البسه . فكره الفتى ذلك فقال له عبد الله : ويحك اتق الله ولا تكونن من القوم الذين يجعلون ما رزقهم الله عز وجل في بطونهم وعلى ظهورهم . وكأنه أراد أن يربيه على الاخشيشان أو علم منه نوع ميل إلى التوسع في ملاذ الدنيا المباحة فوعظه بهذه الموعظة . (تاريخ دمشق 13 / 166)

ابن عياض رجل صالح حكم شرق الأندلس عندما حضرته الوفاة قالوا له : إلى من تسند أمرنا وكان له ولد ، فأشاروا به عليه ؟ فقال : لا يصلح !! لأنني سمعت أنه يشرب الخمر ، ويغفل عن الصلاة ؟ . (المعجب في تلخيص أخبار المغرب عبد الواحد المراكشي 279)

الملك المسعود صاحب اليمن ، لما مات ابنه سر والده بموته لأنه كان يعسف التجار، ويشرب الخمر بمكة ؟ . (سير أعلام النبلاء للذهبي 22 / 331)

سهل بن عبد الله التستري رحمه الله ، وكان من كبار العباد ، قال : كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل فأنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار . فقال لي يوما : ألا تذكر الله الذي خلقك ! فقلت : كيف أذكره ؟ قال : قل بقلبك عند قلبك في ثيابك ثلاث مرات : الله معي ، الله ناظر إلى ، الله شاهدي . يقول : فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته ، فقال : قل : في كل ليلة سبعة مرات . فقلت ذلك ثم أعلمته ، فقال : قل ذلك كل ليلة إحدى عشر مرة . فقلته ؛ فوقع في قلبي حلاوته . فلما كان بعد سنة قال لي خالي : احفظ ما علمتك ودم عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة . فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لذلك حلاوة في سري . ثم قال لي خالي يوما : يا سهل من كان الله معه وناظرا إليه وشاهده أيعصيه ؟ إياك والمعصية . (طبقات الأولياء لابن الملقن 1 / 39)

وقال يوسف بن أحمد الشيرازي في " أربعين البلدان " له : لما رحلت إلى شيخنا رحلة الدنيا ومسند العصر أبي الوقت ، قدر الله لي الوصول إليه في آخر بلاد كرمان ، فسلمت عليه ، وقبلته ، وجلست بين يديه ، فقال لي : ما أقدمك هذه البلاد ؟ قلت : كان قصدي إليك ، ومعولي بعد الله عليك ، وقد كتبت ما وقع إلى من حديثك بقلبي ، وسعيت إليك بقدمي ، لأدرك بركة أنفاسك ، وأحظى بعلو إسنادك فقال : وفقك الله وإيانا لمرضاته ، وجعل سعينا له ، وقصدنا إليه ، لو كنت عرفتني حق معرفتي ، لما سلمت علي ، ولا جلست بين يدي ، ثم بكى بكاء طويلا ، وأبكى من حضره ، ثم قال : اللهم استرنا بسترك الجميل ، واجعل تحت الستر ما ترضى به عنا . يا ولدي ، تعلم أي رحلت أيضا لسماع " الصحيح " ماشيا مع والدي من هراة إلى الداودي ببوشنج ولي دون عشر سنين . فكان والدي يضع على يدي حجرتين ، ويقول : احملهما . فكنت من خوفه أحفظهما بيدي ، وأمشي وهو يتأملني ، فإذا رأني قد عيبت أمرني أن ألقى حجرا واحدا ، فألقي ، ويخف عني ، فأمشي إلى أن يتبين له تعبي فيقول لي : هل عيبت ؟ فأخافه ، وأقول : لا . فيقول : لم تقصر في المشي ؟ فأسرع بين يديه ساعة ثم أعجز ، فيأخذ الآخر ، فيلقيه ، فأمشي حتى أعطب ، فحينئذ كان يأخذني ويحملني . وكنا نلتقي جماعة الفلاحين وغيرهم ، فيقولون : يا شيخ عيسى ، ادفع إلينا هذا الطفل نركبه وإياك إلى بوشنج فيقول : معاذ الله أن نركب في طلب أحاديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، بل نمشي ، وإذا عجز أركبته على رأسي إجلالا لحديث رسول الله ورجاء ثوابه . فكان ثمرة ذلك من حسن نيته أني انتفعت بسماع هذا الكتاب وغيره ، ولم يبق من أقراني أحد سواي ، حتى صارت الوفود ترحل إلى من الأمصار ثم أشار إلى صاحبنا عبد الباقي بن عبد الجبار الهروي أن يقدم لي حلواء ، فقلت : يا سيدي قراءتي لجزء أبي الجهم أحب إلي من أكل الحلواء . فتبسم ، وقال : إذا

دخل الطعام خرج الكلام . (سير أعلام النبلاء 20 / 308)

عن زياد قال : كان زبيد الأيامي مؤذن مسجده ، فكان يقول للصبيان : يا صبيان ، تعالوا فصلوا ، أهب لكم الجوز : قال : فكانوا يجيئون ويصلون ، ثم يحوطون حوله ؛ فقلنا له : ما تصنع بهذا ؟ قال : وما علي ، أشترى لهم جوزا بخمسة دراهم ، ويتعودون الصلاة . (حلية الأولياء 5 / 31)

قال رجل للأعمش : هؤلاء الأطفال حولك ! قال : اسكت ، هؤلاء يحفظون عليك أمر دينك . (الكفاية في علم الرواية ص 215)

39- باب حق الجار والوصية به

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِالنِّسَابِ وَالْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ [النساء : 36]

303- وعن ابن عمر وعائشة رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا زَالَ جَبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورِثُهُ » متفقٌ عليه .

304- وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً ، فَأَكْثِرْ مَاءَهَا ، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ » رواه مسلم .

وفي رواية له عن أبي ذر قال : إن خليفي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْصَانِي : « إِذَا طَبَخْتَ مَرَقًا فَأَكْثِرْ مَاءَهُ ثُمَّ انظُرْ أَهْلَ بَيْتِ مَنْ جِيرَانِكَ ، فَأَصْبِهِمْ مِنْهَا بِمَعْرُوفٍ » .

305- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ ، مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قال : « الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارَهُ بَوَائِقَهُ ، » متفقٌ عليه .

وفي رواية لمسلم : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارَهُ بَوَائِقَهُ » . « الْبَوَائِقُ » الْعَوَائِلُ وَالشُّرُورُ .

306- وعنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةَ لَجَارَتِهَا وَلَوْ فَرَسَنَ شَاةٍ » متفقٌ عليه .

307- وعنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : لَا يَمْنَعُ جَارَ جَارِهِ أَنْ يَغْرِزَ حَشْبَةً فِي جِدَارِهِ « ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ : مَالِي أَرَاكُمْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ، وَاللَّهِ لِأُرْمِينَ بِهَا بَيْنَ أَكْتافِكُمْ . متفقٌ عليه . روى « حَشْبَهُ » بِالْإِضَافَةِ وَالْجَمْعِ ، وَرَوَى « حَشْبَةً » بِالتَّنْوِينِ عَلَى الْإِفْرَادِ . وقوله : مَالِي أَرَاكُمْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ :

يعني عن هذه السُّنَّةِ .

308- وعنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَلْيُقَلِّدْ خَيْرًا أَوْ لَيْسَ كُنْتُ » متفقٌ عليه .

309- وعن أبي شُرَيْحٍ الْخُزَاعِيِّ رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُقَلِّدْ خَيْرًا أَوْ لَيْسَ كُنْتُ » رواه مسلم بهذا اللفظ، وروى البخاري بعضه .

310- وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت : يا رسول الله إن لي جارَيْنِ ، فإلى أيهما أُهْدِي؟ قال : « إلى أَقْرَبِهِمَا مِنْكَ بَابًا » رواه البخاري .

311- وعن عبدِ اللهِ بنِ عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « خَيْرُ الْأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ ، وَخَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ » رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

قوله تعالى : (واعبدوا الله) أي : وحدوة وأطيعوه . (تفسير البغوي 2 / 210)

واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً معناه واستوصوا بالوالدين إحساناً . وبني القربى هم قرابة النسب من ذوي الأرحام . واليتامى جمع يتيم وهو من مات أبوه لم يبلغ الحلم . والمساكين جمع مسكين وهو الذي قد ركبته ذل الفاقة والحاجة فيتمسكن لذلك . (تفسير الماوردي 1 / 485)

عن ابن عباس في قوله : والجارذي القربى يعني الذي بينك وبينه قرابة ، والجار الجنب يعني الذي ليس بينك وبينه قرابة . عن نوف الشامي في قوله : والجارذي القربى قال : المسلم ، والجار الجنب قال : اليهودي والنصراني . (تفسير الدر المنثور 4 / 415)

قال ثوبان : ما من جار يظلم جاره ويقهره حتى يحمله ذلك على أن يخرج من منزله إلا هلك . (تفسير الدر المنثور 4 / 418)

عن ابن عباس في قوله : والصاحب بالجنب قال : الرفيق في السفر . عن زيد بن أسلم : والصاحب بالجنب قال : هو جلسك في الحضر ورفيقك في السفر وامرأتك التي تضاجعك .

(تفسير الدر المنثور 4/ 421)

عن مقاتل : وما ملكت أيمانكم يعني : من عبديكم وإمائكم . يوصي الله بهم خيرا أن تؤدوا إليهم حقوقهم التي جعل الله لهم . (تفسير الدر المنثور 4/ 424)

عن أبي المتوكل الناجي ، أن أبا الدرداء كانت لهم وليدة فلطمها ابنه يوما لطمة فأقعده لها وقال : اقتصي . فقالت : قد عفوت ، فقال : إن كنت عفوت فاذهي فادعي من هناك من حرام ، فأشهدهم أنك قد عفوت . فذهبت فدعتهم فأشهدتهم أنها قد عفوت ، فقال : اذهبي فأنت لله ، وليت آل أبي الدرداء ينقلبون كفافا . (تفسير الدر المنثور 4/ 431)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

رأى أبو بكر الصديق ولده عبد الرحمن وهو يناصي جارا له فقال : لا تناص جارك فإن هذا يبقى والناس يذهبون . (إحياء علوم الدين 2/ 214)

قال عمر بن الخطاب : إذا حمد الرجل جاره وذو قرابته ورفيقه فلا تشكوا في صلاحه . (شرح السنة 13/ 73)

عن علي أنه قال : من سمع النداء ، فهو جار . (الفتح 10/ 447 - الجامع لأحكام القرآن جزء 5)

عن عبد الله بن عمر : أنه ذبحت له شاه في أهله ، فلما جاء قال : أهديتم لجاننا اليهودي ؟ أهديتم لجاننا اليهودي ؟ قلنا : لأقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه . (السنن والآثار للبيهقي 6/ 214)

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : لقد أتى علينا زمان وما أحد أحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم ، ثم الآن الدينار والدرهم أحب إلى أحدنا من أخيه المسلم ، سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : كم من جار متعلق بجاره يوم القيامة يقول : يا رب ، سل هذا لم أغلق بابه دوني ومنعني فضله . (الأدب المفرد حديث 111)

عن عائشة رضي الله عنها : حد الجوار أربعون دارا من كل جانب . (رواه البيهقي 12987)

قال الشافعي : حد الجوار أربعون دارا من كل جانب ، ويدل له خبر : حد الجوار أربعون دارا هكذا وهكذا وهكذا وأشار قداما وخلفا ويمينا وشمالا . (مغني المحتاج 4/ 95)

عن عائشة رضي الله عنها قالت : خلال المكارم عشر تكون في الرجل ولا تكون في أبيه وتكون في

العبد ولا تكون في سيدة ، يقسمها الله تعالى لمن أحب : صدق الحديث ، وصدق الناس ، وإعطاء السائل ، والمكافأة بالصنائع ، وصله الرحم ، وحفظ الأمانة ، والتذمم للجار ، والتذمم للمصاحب ، وقرى الضيف ، ورأسهن الحياء . (إحياء علوم الدين 2 / 314)

جاء رجلا إلى ابن مسعود رضي الله عنه ، فقال : إن لي جارا يؤذيني ويشتمني ويضيق علي ، قال : اذهب فإن هو عصى الله فيك ، فأطع الله فيه . (إحياء علوم الدين 2 / 314)

عن سلمان الفارسي قال : إن من اقتراب الساعة أن يظهر البناء على وجه الأرض ، وأن تقطع الأرحام ، وأن يؤذي الجار جاره . (مصنف بن أبي شيبة 37547)

عن ابن أبي غنية قال : حدثني هذا الشيخ عن جدته قالت : أرسل إلى طلحة بن مصرف : إني أريد أن أوتد في حائطك وتدا فأرسلت إليه : نعم و افتح فيه كوة . (حلية الأولياء 5 / 14)

قال الحسن البصري : كان لا يرى بأسا أن تطعم جارك اليهودي والنصراني من أضحيتك . (المنتقى من مكارم الأخلاق 56)

قال الحسن البصري : ليس حسن الجوار كف الأذى عن الجار ، ولكن حسن الجوار : الصبر على الأذى من الجار . (الآداب الشرعية 2 / 14)

عن الوليد بن دينار قال : سئل الحسن عن الجار فقال : أربعين دارا أمامه ، وأربعين خلفه ، وأربعين عن يمينه ، وأربعين عن يساره . (البخاري الأدب المفرد حديث 109)

عن سفيان الثوري قال : إذا شربت شيئا لا تريد أن تنيل جارك منه ، فوارة . (حلية الأولياء 7 / 66)
وقال أبو داود السجستاني رحمه الله : إني لأغبط جيران سعيد بن عامر . (السير 9 / 386)

قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة : حفظ الجار من كمال الإيمان . (فتح الباري 10 / 456)

قال عبيد بن عمير : كان يقال : من حق الجار عليك أن تعرفه معروفك ، وتكف عنه أذاك . (شعب الإيمان للبيهقي 8323)

قال الغزالي : وأعلم أنه ليس حق الجوار كف الأذى فقط ، بل احتمال الأذى ، فإن الجار أيضا قد كف أذاه ، فليس في ذلك قضاء حقه ولا يكفي احتمال الأذى بل لا بد من الرفق وإسداء الخير والمعروف . (إحياء علوم الدين 2 / 213)

وقال الغزالي أيضا : وجملة حق الجار : أن يبدها بالسلام ، ولا يطيل معه الكلام ، ولا يكثر عن حالة

السؤال ، ويعوده في المرض ويعزيه في المصيبة ، ويقوم معه في العزاء ، ومهنته في الفرح ، ويظهر الشركة في السرور معه ، ويصفح عن زلاته ، ولا يتطلع من السطح إلى عوراته ، ولا يضايقه في وضع الجذع على جداره ، ولا في مصب الماء في ميزابه ، ولا في مطرح التراب في فنائه ، ولا يضيق طريقه إلى الدار ، ولا يتبعه النظر فيما يحمله إلى داره ، ويستمر ما ينكشف له من عوراته ، وينعشه من صرعه إذا نابته نائبة ، ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته ، ولا يسمع عليه كلاما ، ويغض بصره عن حرمة ، ولا يديم النظر إلى خادمته ، ويتلطف بولده في كلمته ، ويرشده إلى ما يجمله من أمر دينه ودنياه . (إحياء علوم الدين 2 / 213)

ذكر الغزالي : أن بعضهم شكا كثرة الفئران في داره ، ف قيل له : لو اقتنيت هرا أي : قطة ؛ حتى يهرب الفار من دارك فقال : أخشى أن يسمع الفأر صوت الهر ، فيهرب إلى الجيران ، فأكون قد أحببت لهم ما لا أحب لنفسي . (إحياء علوم الدين 2 / 291)

قال الغزالي : يمن المسكن سعته وحسن جوار أهله ، وشؤمه ضيقه وسوء جوار أهله . (إحياء علوم الدين 2 / 312)

أَنْشَدَ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الْحَرَّانِيُّ : (الْمُنْتَقَى مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ 54)

وَأَجَارُ لَا تَذْكُرُ كَرِيمَةَ بَيْتِهِ *** وَأَغْضَبَ لِابْنِ الْجَارِ إِنَّهُ هُوَ أَغْضَبَا

إِحْفَظْ أَمَانَتَهُ وَكُنْ عِزًّا لَهُ *** أَبَدًا وَعَمَّا سَاءَ هُ مُتَجَنِّبَا

كُنْ لِيْنَا لِلْجَارِ وَاحْفَظْ حَقَّهُ *** كَرَمًا وَلَا تَكُ لِلْمُجَاوِرِ عَقْرَبَا

قَالَ حَاتِمُ الطَّائِي : (الْمُنْتَقَى مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ 60)

نَارِي وَنَارِ الْجَارِ وَاحِدَةً *** وَإِلَيْهِ قَبْلِي تَنْزِلُ الْقَدَرُ

مَا ضَرَّ جَارًا لِي أَجَاوِرُهُ أَنْ *** لَا يَكُونُ لِيَابِهِ سِتْرُ

أَغْضِي إِذَا مَا جَارِي بَرَزَتْ ** حَتَّى يُوَارِي جَارِي الْخَدْرُ

آلَانَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

عن عمرو بن النشيد قال : وقفت على سعد بن أبي وقاص فجاء المسور بن مخرمة فوضع يده على

إحدى منكبي إذ جاء أبو رافع مولى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا سعد ابتع مني بيتي في دارك فقال سعد : والله ما أبتاعهما فقال المسور : والله لتبتاعنهما فقال سعد : والله لا أزيدك على أربعة آلاف منجمة أو مقطعة قال أبو رافع لقد أعطيت بها خمسمائة دينار ولولا أنني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : الجار أحق بصقبه (أي بجواره) ما أعطيتها أربعة آلاف وأنا أعطي بها خمسمائة دينار فأعطاهما إياه . (البخاري 2 / 787 رقم 2139)

عن يحيى المازني أن الضحاک بن خليفة ساق خليجا له من العريض ، فأراد أن يمر به في أرض محمد بن مسلمة ، فمنعه ، فقال له : لم تمنعني ، ولك فيه منفعة ، تشرب فيه أولا وأخرا ، ولا يضرك ؟ فأبى (محمد) فكلم الضحاک فيه عمر بن الخطاب . فدعا عمر بن الخطاب محمد بن مسلمة ، فأمره أن يخلي سبيله ، فقال محمد : لا والله ، فقال عمر : لم تمنع أخاك ما ينفعه ولا يضرك ؟ فقال : لا والله ، فقال له عمر : والله ليمرن به ولو على بطنك ، ففعل الضحاک . (الموطأ 2 / 746)

في الأفضية : كان لأبي حنيفة رحمه الله جار إسكاف بالكوفة ، يعمل نهاره أجمع ، فإذا أجنة الليل رجع إلى منزله بالخمير ولحم أو سمك ، فيطبخ اللحم أو يشوي السمك ، حتى إذا دب الشراب فيه رفع عقبرته ينشد : أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريمة وسداد ثغر فلا يزال يشرب ويردد هذا البيت حتى يغلبه النوم . وكان أبو حنيفة رحمه الله يصلي الليل ويسمع جلبته وإنشاده ، ففقد صوته ليالي ، فسأل عنه فقيل له : أخذه العسس منذ ثلاث ليال ، وهو محبوس ، فصلى الفجر وركب بغلته ، ومشى فاستأذن على الأمير ، فقال : « انذنوا له ، و أقبلوا به راكبا ، ولا تدعوه ينزل حتى يطأ البساط » ، ففعل به ذلك ، فوسع له الأمير مجلسه ، وقال له : « ما حاجتك ؟ » فقال : « لي جار إسكاف أخذه العسس منذ ثلاث ليال ، فتأمر بتخليته » ، فقال : « نعم ، وكل من أخذ تلك الليلة إلى يومنا هذا » ، ثم أمر بتخليتهم أجمعين ، فركب أبو حنيفة وتبعه جاره الإسكاف ، فلما أوصله داره ، قال أبو حنيفة : « أترانا يا فتى أضعناك ؟ » قال : « لا ، بل حفظت ورعيت ، جزاك الله خيرا عن صحبة الجوار ورعاية الحق ، والله على ألا أشرب الخمر أبدا » ، ولم يعد إلى ما كان عليه . (شرح مقامات الحريري 3 / 31)

يروى أن مالك بن دينار كان له جار يهودي فحول اليهودي مستحمة إلى جدار البيت الذي فيه مالك وكان الجدار متهدما فكانت تدخل منه النجاسة ومالك ينظف البيت كل يوم ولم يقل شيئا وأقام على ذلك مدة وهو صابر على الأذى فضاق صدر اليهودي من كثرة صبره على هذه المشقة فقال له : يا مالك أذيتك كثيرا وأنت صابر ولم تخبرني فقال مالك : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه . فندم اليهودي وأسلم . (الإحياء 2 / 213)

هذا جار لأبي حمزة السكري أراد أن يبيع داره فقيل له : بكم ؟ قال : بألفين ثمن الدار وبألفين لجوار أبي حمزة لمنزلة هذا الرجل ، وإحسانه إلى جيرانه ، حسب جبرته بمثل قيمة الدار ، فوجه إليه أبو حمزة بعدما سمع ذلك وبلغه ، وجه له بأربعة آلاف ، وقال : لا تبع دارك . (السير 7 / 387)

اشترى عبد الله بن عامر من خالد بن عقبة داره التي في السوق بتسعين ألف درهم فلما كان الليل سمع بكاء أهل خالد فقال لأهله : ما لهؤلاء ؟ قالوا : سيكون على دارهم قال : يا غلام ائتهم فأعلمهم أن الدار والمال لهم جميعاً . (مختصر منهاج القاصدين 203)

قال الحسن بن عيسى النيسابوري : سألت عبد الله بن المبارك فقلت : الرجل المجاور يأتيني فيشكو غلامي أنه أتى إليه أمرا والغلام ينكره فأكره أن أضربه ولعله بريء ، وأكره أن أدعه فيجد علي جاري فكيف أصنع ؟ قال : إن غلامك لعله أن يحدث حدثا يستوجب فيه الأدب فاحفظه عليه ، فإذا شكاه جارك فأدبه على ذلك الحدث فتكون قد أرضيت جارك وأدبته على ذلك الحدث ، وهذا تल्प في الجمع بين الحقين . (إحياء علوم الدين 2 / 214)

روى أن جارا ليعلى بن عبيد سئل عنه يعلى ، وهذا الرجل اسمه الوليد بن القاسم الهمداني ، فقال يعلى بن عبيد عن هذا الرجل : نعم الرجل هو جارنا منذ خمسين سنة ما رأينا إلا خيرا . (سير أعلام النبلاء 9 / 439)

عن أسماء بن خارجة أنه قسم مالا فنسي جارا له ، فاستحى أن يعطيه وقد بدى غيره ، فدخل عليه وصب عليه المال صبا . (سير أعلام النبلاء 3 / 536)

40- باب بر الوالدين وصلة الأرحام

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِالْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ [النساء : 36] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ [النساء : 1] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ [الرعد : 21] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا [العنكبوت : 8] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا تَهْزُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا [الإسراء : 23 - 24] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ [لقمان : 14] .

312- عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : سألتُ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؟ قَالَ: « الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا » قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «بِرُّ الْوَالِدَيْنِ» قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» متفقٌ عليه .

313- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « لا يَجْزِي وُلْدٌ وَالِدًا إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا ، فَيَشْتَرِيَهُ ، فَيَعْتِقَهُ » رواه مسلم .

314- وعنه أيضاً رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَلْيُصِلْ رَحِمَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَلْيُقَلِّ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ » متفقٌ عليه .

315- وعنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّجْمُ ، فَقَالَتْ : هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ ، قَالَ : نَعَمْ أَمَا تَرْضِينَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلِكَ ، وَ أَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ؟ قَالَتْ : بَلَى ، قَالَ فَذَلِكَ ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ : { فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ } [محمد 22 ، 23] متفقٌ عليه . وفي رواية للبخاري : فقال الله تعالى : « مَنْ وَصَلِكَ ، وَصَلْتَهُ ، وَمَنْ قَطَعَكَ قَطَعْتَهُ »

316- وعنه رضي الله عنه قال : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: « أُمَّكَ » قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: « أُمَّكَ » قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: « أُمَّكَ » قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: « أَبُوكَ » متفقٌ عليه .

وفي رواية : يا رسول الله مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ؟ قَالَ: « أُمَّكَ ثُمَّ أُمَّكَ ، ثُمَّ أُمَّكَ ، ثُمَّ أَبَاكَ ، ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ » . « وَالصَّحَابَةُ » بمعنى : الصُّحْبَةِ . وقوله : « ثُمَّ أَبَاكَ » هَكَذَا هُوَ مَنْصُوبٌ بِفِعْلِ مُحذوفٍ ، أَيِ ثُمَّ بَرَّ أَبَاكَ وَفِي رِوَايَةٍ : « ثُمَّ أَبُوكَ » وَهَذَا وَاضِحٌ .

317- وعنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « رَغِمَ أَنْفٌ ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفٌ ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفٌ مَنِ ادْرَكَ أَبْوَيْهَ عِنْدَ الْكِبَرِ ، أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا ، فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ » رواه مسلم .

318- وعنه رضي الله عنه أن رجلاً قال : يا رسول الله إِنْ لِي قَرَابَةٌ أَصْلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي ، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسَيِّئُونَ إِلَيَّ ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ ، فَقَالَ : « لَنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمْ الْمَلَأَ ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ » رواه مسلم .

« وَتَسْفُهُمْ » بضم التاء وكسر السين المهملة وتشديد الفاء . « والمُلُّ » بفتح الميم ، وتشديد اللام وهو الرَّمَادُ الحَارُّ : أَي كَأَنَّهَا تُطْعِمُهُمُ الرَّمَادَ الحَارَّ وَهُوَ تَشْبِيهُهُ بِمَا يُلْحَقُهُمْ مِنَ الإِثْمِ بِمَا يُلْحَقُ أَكْلَ الرَّمَادِ مِنَ الإِثْمِ ، وَلَا شَيْءَ عَلَى الْمُحْسِنِ الإِلْمِ ، لَكِنْ يَنَالُهُمْ إِثْمٌ عَظِيمٌ بِنَقْصِيرِهِمْ فِي حَقِّهِ ، وَإِدْخَالِهِمُ الأَدَى عَلَيْهِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

319- وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ ، فَلْيَصِلْ رَحْمَهُ » متفقٌ عليه . ومعنى « ينسأ له في أثره » : أَي : يُؤخر له في أَجَلِهِ وَعُمُرِهِ .

320- وعنه قال : كان أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الأَنْصَارِ بِالمَدِينَةِ مَالاً مِنْ نَخْلٍ ، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ بِرِزْحَاءَ ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ المَسْجِدِ ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُهَا ، وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ ، فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الأَيَةُ : { لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ } [آل عمران: 92] قام أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال : يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ : { لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ } وَإِنَّ أَحَبَّ مَالِي إِلَيَّ بِرِزْحَاءَ ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى ، أَرْجُو بِرَّهَا وَدُخْرَهَا عِنْدَ اللهِ تَعَالَى ، فَضَعَّهَا يَا رَسُولَ اللهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللهُ . فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « بَخْ ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِعٌ ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِعٌ ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تُجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ » فقال أَبُو طَلْحَةَ : أَفْعَلْ يَا رَسُولَ اللهِ ، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ . متفقٌ عليه . وَسَبَقَ بَيَانُ الأَفْاضِلِ فِي بَابِ الإِنْفَاقِ مِمَّا يُحِبُّ .

321- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : أَقْبَلَ رَجُلٌ إِلَى نَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال : أَبَايَعُكَ عَلَى الهِجْرَةِ وَالجِهَادِ أَبْتِغِي الأَجْرَ مِنَ اللهِ تَعَالَى . قال : « فَهَلْ مِنْ وَالدِيكَ أَحَدٌ حَيٌّ ؟ » قال : نَعَمْ بَلْ كِلَاهُمَا قال : « فَتَبْتَغِي الأَجْرَ مِنَ اللهِ تَعَالَى ؟ » قال : نَعَمْ . قال : « فَارْجِعْ إِلَى وَالدِيكَ ، فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا . متفقٌ عليه . وهذا لَفْظُ مُسْلِمٍ .

وفي روايةٍ لهُمَا : جاء رجلٌ فاستأذنه في الجِهَادِ فقال : « أَحْيِ وَالدَاك ؟ قال : نَعَمْ ، قال : « فجاهدُ » .

322- وعنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : لَيْسَ الوَاصِلُ بِالمُكافِئِ وَلَكِنَّ الوَاصِلَ الَّذِي إِذَا قَطَعْتَ رَحْمَهُ وَصَلَهَا » رواه البخاري . و « قَطَعْتَ » بِفَتْحِ القَافِ وَطَاءً . وَ « رَحْمَهُ » مَرْفُوعٌ

323- وعن عائشة قالت : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الرَّحْمُ مَعْلَقَةٌ بِالعَرْشِ تَقُولُ : مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللهُ ، وَمَنْ قَطَعَنِي ، قَطَعَهُ اللهُ » متفقٌ عليه .

324- وعن أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها أنها أعتقت وليدة ولم تستأذن النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان يومها الذي يدور علمها فيه قالت: يا رسول الله إنني أعتقت وليدتي؟ قال: «أوفعلت؟» قالت: نعم قال: «أما إنك لو أعطيتها أحوالك كان أعظم لأجرك» متفق عليه

325- وعن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قالت: قدمت علي أمي وهي مشركة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: قدمت علي أمي وهي راغبة، أفأصل أمي؟ قال: «نعم صلي أمك» متفق عليه.

وقولها: «راغبة» أي: طامعة عندي تسألني شيئاً، قيل: كانت أمها من النسب، وقيل: من الرضاة والصحيح الأول.

326- وعن زينب الثقفية امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وعنهما قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تصدقن يا معشر النساء ولو من خليككن» قالت: فرجعت إلى عبد الله ابن مسعود فقلت له: إنك رجلٌ خفيف ذات اليد وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرنا بالصدقة، فأتته فأسأله، فإن كان ذلك يجزي عني والأصرفتها إلى غيركم. فقال عبد الله: بل انتبه أنت، فانطلقت، فإذا امرأة من الأنصار بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجتي حاجتها، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ألقيت عليه المهابة. فخرج علينا بلال، فقلنا له: أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبره أن امرأتين بالباب تسألانك: أتجزي الصدقة عنهما على أزواجهما وعلى أيتام في حجوهرهما؟ ولا تخبره من نحن، فدخل بلال على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من هما؟» قال: امرأة من الأنصار وزينب. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أي الزينب هي؟» قال: امرأة عبد الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لهما أجران: أجر القرابة وأجر الصدقة» متفق عليه.

327- وعن أبي سفيان صخر بن حرب رضي الله عنه في حديثه الطويل في قصة هرقل أن هرقل قال لأبي سفيان: فماذا يأمركم به؟ يعني النبي صلى الله عليه وسلم قال: قلت: يقول: «اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول أبائكم، ويأمرنا بالصلاة، والصدق، والعفاف، والصلة» متفق عليه.

328- وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنكم ستفتحون أرضاً يذكر فيها القيراط» وفي رواية: «ستفتحون مصر وهي أرض يسى فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيراً، فإن لهم ذمة ورحماً»

وفي رواية : « فَإِذَا افْتَتَحْتُمُوهَا ، فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا ، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرِحْمًا » أَوْ قَالَ « ذِمَّةً وَصِهْرًا »
رواه مسلم

قال العلماء : الرَّحْمُ التي لَهُمْ كَوْنُ هَاجِرٍ أَوْ إِسْمَاعِيلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ . « وَالصِّهْرُ » : كَوْنُ مَارِيَةٍ أَوْ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ .

329- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية : { وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ [الشعراء : 214] دعا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُرَيْشًا فَاجْتَمَعُوا فَعَمَّ ، وَخَصَّ وَقَالَ : « يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ ، يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ ، أَنْقِدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا بَنِي مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ ، أَنْقِدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ، أَنْقِدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا بَنِي هَاشِمٍ أَنْقِدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا بَنِي الْمُطَّلِبِ أَنْقِدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا فَاطِمَةَ أَنْقِذِي نَفْسَكَ مِنَ النَّارِ ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، غَيْرَ أَنْ لَكُمْ رَحْمًا سَابِلَهَا بِبِلَالِهَا » رواه مسلم . قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « بِبِلَالِهَا » هو بفتح الباء الثَّانِيَةِ وَكسرها « وَالْبِلَالُ » الماء . ومعنى الحديث : سَأَصَلُّهَا ، شَبَّهَ قَطِيعَتَهَا بِالْحَرَارَةِ تَطْفَأُ بِالْمَاءِ وَهَذِهِ تُبْرَدُ بِالصَّلَاةِ .

330- وعن أبي عبد الله عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : سمعتُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِهَارًا غَيْرَ سِرٍّ يَقُولُ : « إِنَّ أَلَ بَنِي فُلَانٍ لَيْسُوا بِأَوْلِيَائِي إِنَّمَا وَلِيَّيَ اللَّهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَكِنْ لَهُمْ رَحْمٌ أَتْلُهَا بِبِلَالِهَا » متفق عليه . وَاللَّفْظُ لِلْبَخَارِيِّ .

331- وعن أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري رضي الله عنه أن رجلاً قال : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ ، وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « تَعْبُدُ اللَّهَ ، وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ » متفقٌ عليه .

332- وعن سلمان بن عامر رضي الله عنه ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِذَا أَفْطَرَ أَحَدُكُمْ فَلْيُفْطِرْ عَلَى تَمْرٍ ، فَإِنَّهُ بَرَكَةٌ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ تَمْرًا ، فَلِأَمَاءٍ ، فَإِنَّهُ طُهُورٌ » وَقَالَ : « الصَّدَقَةُ عَلَى الْمَسْكِينِ صَدَقَةٌ ، وَعَلَى ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ : صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ » . رواه الترمذي . وقال : حديث حسن .

333- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كَانَتْ تَحْتِي امْرَأَةٌ ، وَكُنْتُ أُحِبُّهَا ، وَكَانَ عُمَرُ يُكْرَهُهَا ، فَقَالَ لِي : طَلِّقْهَا فَأَبَيْتُ ، فَأَتَى عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « طَلِّقْهَا » رواه أبو داود . وَالتَّرمِذِيُّ وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

334- وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رجلاً أتاه فقال : إِنَّ لِي امْرَأَةً وَإِنَّ أُمَّي تَأْمُرُنِي بِطَلْقِهَا ؟ فَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ « الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ، فَإِنْ شُنَّتْ

فَأَضِيعُ ذَلِكَ الْبَابَ ، أَوْ أَحْفَظُهُ » رواه الترمذي وقال : حديثٌ حسنٌ صحيح .

335- وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : «الْخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الْأُمِّ» رواه الترمذي : وقال حديثٌ حسنٌ صحيح .

وفي الباب أحاديث كثيرة في الصحيح مشهورة ، منها حديث أصحاب الغار ، وحديث جُرَيْجٍ وَقَدْ سَبَقَا ، وأحاديث مشهورة في الصحيح حَدَفْتُهَا اخْتِصَاراً ، وَمِنْ أَمَمَّهَا حديثُ عمرو بن عَبَسَةَ رضي الله عنه الطَّوِيلُ الْمُشْتَمِلُ على جُمَلٍ كثيرةٍ مِنْ قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ وَأَدَابِهِ وَسَادُّكَرُهُ بِتَمَامِهِ إِنْ شَاءَ اللهُ تعالى فِي بَابِ الرَّجَاءِ ، قال فِيهِ دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ ، يَعْنِي فِي أَوَّلِ النَّبُوءَةِ ، فَقُلْتُ لَهُ : مَا أَنْتَ ؟ قال : «نَبِيٌّ» فَقُلْتُ : وما نبيٌّ ؟ قال : «أرسلني الله تعالى ، فَقُلْتُ : بِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلْتَهُ ؟ قال : «أرسلني بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ ، وَكَسْرِ الْأَوْتَانِ ، وَأَنْ يُوحَدَ اللهُ لَا يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ» وذكر تمام الحديث . والله أعلم .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

عن ابن عباس في قول الله : واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام يقول : اتقوا الله الذي تساءلون به ، واتقوا الله في الأرحام فصلوها . عن قتادة : واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ، ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : اتقوا الله وصلوا الأرحام فإنه أبقى لكم في الدنيا ، وخير لكم في الآخرة . (تفسير الطبري 521 / 7)

عن الضحاک في قوله : واتقوا الله الذي تساءلون به قال يقول : اتقوا الله الذي تعاقدون وتعاهدون به . عن مجاهد : واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام قال يقول : أسألك بالله وبالرحم . (تفسير الطبري 518 / 7)

عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن البر والصبر ليخفان سوء الحساب يوم القيامة ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب . عن ابن جريج في قوله : ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل . قال : بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا لم تمش إلى ذي رحمك برجلك ولم تعطه من مالك فقد قطعته . وكان عبد الله بن عمرو يقول : إن الحلیم ليس من ظلم ثم حلم حتى إذا هيجه قوم احتاج ولكن الحلیم من قدر ثم عفا وإن الوصول ليس من وصل ثم وصل فتلك مجازاة ولكن الوصول من قطع ثم وصل وعطف على من لا يصله . (تفسير الدر المنثور 426 / 8)

عن سعد بن أبي وقاص ، قال : قالت أمي : لا أكل طعاما ولا أشرب شرابا حتى تكفر بمحمد .

فامتنتعت من الطعام والشراب حتى جعلوا يشجرون فاهما بالعصا ، فنزلت هذه الآية : ووصينا الإنسان بوالديه حسنا وإن جاهدك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما الآية .
(تفسير الدر المنثور 11 / 532)

عن ابن عباس في قوله : وقضى ربك قال : أمر . عن مجاهد في قوله : وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه قال : عهد ربك ألا تعبدوا إلا إياه . عن الحسن في قوله : وبوالوالدين إحسانا . يقول : برا . عن مجاهد في قوله : إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف لما تميظ عنهما من الأذى ؛ الخلاء والبول ، كما كانا لا يقولانه ، فيما كانا يميظان عنك من الخلاء والبول . عن الحسين بن علي : لو علم الله شيئا من العقوق أدنى من إف لحرمة . (تفسير الدر المنثور 9 / 289)

عن الحسن ، أنه قيل له : إلام ينتهي العقوق ؟ قال : إن يحرمهما ويهجرهما ويحد النظر إلى وجههما . عن زهير بن محمد في قوله : وقل لهما قولا كريما . قال : إذا دعواك فقل لهما : لبيكما وسعديكما . عن أبي الهذاج التجيبي قال : قلت لسعيد بن المسيب : كل ما ذكر الله في القرآن من ير الوالدين فقد عرفته إلا قوله : وقل لهما قولا كريما ما هذا القول الكريم ؟ قال ابن المسيب : قول العبد المذنب للسيد الفظ . (تفسير الدر المنثور 9 / 290)

عن عروة في قوله : واخفض لهما جناح الذل من الرحمة . قال : يلين لهما حتى لا يمتنع من شيء أحباه . عن عطاء بن أبي رباح في قوله : واخفض لهما جناح الذل من الرحمة . قال : لا ترفع يديك عليهما إذا كلمتهما . عن عروة في قوله : واخفض لهما جناح الذل من الرحمة . قال : إن أغضباك فلا تنظر إليهما شزرا فإنه أول ما يعرف غضب المرء بشدة نظره إلى من غضب عليه .
(تفسير الدر المنثور 9 / 291)

عن زهير بن محمد في قوله : واخفض لهما جناح الذل من الرحمة . قال : إن سباك أولعناك ، فقل رحمكما الله ، غفر الله لكما . (تفسير الدر المنثور 9 / 292)

عن قتادة قال : نسخ من هذه الآية حرف واحد ، لا ينبغي لأحد من المسلمين أن يستغفر لوالديه إذا كانا مشركين ، ولا يقل : رب ارحمهما كما ربياني صغيرا . ولكن ليخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وليقل لهما قولا معروفا قال الله : ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين .
(تفسير الدر المنثور 9 / 293)

عن ابن عباس في قوله : وهنا على وهن قال : شدة بعد شدة ، وخلقاً بعد خلق . قال الضحاک في قوله : وهنا على وهن يقول : ضعفا على ضعف . (تفسير الطبري 137)

وفصاله في عامين يعني بالفصال الفطام من رضاع اللبن . أن أشكر لي ولوالديك أي أشكر لي
النعمة ولوالديك التربية . وشكر الله بالحمد والطاعة وشكر الوالدين بالبر والصلة ، قال قتادة :
إن الله فرق بين حقه وحق الوالدين وقال أشكر لي ولوالديك . (تفسير الماوردي 4 / 335)

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قال لقمان الحكيم لابنه : يا بني من أرضي والديه فقد أرضى الرحمن ومن أسخطهما فقد أسخط
الرحمن . (بر الوالدين لأبي بكر الطرطوشي 37)

قال لقمان لابنه : يا بني إن الوالدين باب من أبواب الجنة إن رضيا عنك مضيت إلى الجنة وإن
سخطا حجبت . (كتاب البر والصلة لابن الجوزي 80)

قال ابن عباس : ما من مسلم له أبوان فيصبح وهو محسن إليهما إلا فتح الله له بايين من الجنة ولا
يمسي وهو مسيء إليهما إلا فتح الله له بايين من النار ولا سخط عليه واحد منهما فيرضى الله عنه
حتى يرضى عنه قال : قلت : وإن كانا ظالمين ؟ قال : وإن كانا ظالمين . (مصنف بن أبي شيبة 6 / 100)

قال طيسلة بن مياس : قال لي ابن عمر : أتفرق (تخاف) النار وتحب أن تدخل الجنة ؟ قلت : إي
والله قال : أحي والدك ؟ قلت : عندي أمي قال : فوالله لو أئنت لها الكلام وأطعمتها الطعام لتدخلن
الجنة ما اجتنبت الكبائر . (الأدب المفرد رقم 4)

عن هشام بن عروة عن أبيه أو غيره : أن أبا هريرة أبصر رجلين فقال لأحدهما : ما هذا منك ؟ فقال
: أبي فقال : لا تسمه باسمه ولا تمش أمامه ولا تجلس قبله . (صحيح الأدب المفرد حديث رقم 32)

قال محمد بن سيرين : كنا عند أبي هريرة ليلة ، فقال : اللهم اغفر لأبي هريرة ولأمي ولمن استغفر
لهما قال لي محمد : فنحن نستغفر لهما حتى ندخل في دعوة أبي هريرة .
(صحيح الأدب المفرد حديث رقم 28)

عن أبي حازم : أن أبا مرة مولى أم هانئ ابنة أبي طالب أخبره : أنه ركب مع أبي هريرة إلى أرضه
بالعقيق ، فإذا دخل أرضه صاح بأعلى صوته : عليك السلام ورحمة الله وبركاته يا أمته ، تقول :
وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ، يقول : رحمك الله ، ربيتي صغيرا ، فتقول : يا بني ، وأنت
فجزاك الله خيرا ، ورضي عنك ، كما بررتني كبيرا . (صحيح الأدب المفرد للألباني حديث 11)

عن ميمون بن أبي شبيب قال : قيل لمعاذ بن جبل ما حق الوالد على الولد ؟ قال : لو خرجت من
أهلك ومالك ما أدبت حقهما . (مصنف بن أبي شيبة 6 / 100)

كان عروة بن الزبير يقول في سجوده : اللهم اغفر للزبير بن العوام ، وأسماء بنت أبي بكر في سجوده يدعو لوالديه . (مصنف عبد الرزاق 2 / 449)

كان زين العابدين من سادات التابعين كان كثير البر بأمه حتى قيل له : إنك من أبر الناس بأملك ، ولسنا نراك تأكل معها في صحفه ، قال : أخاف أن تسبق يدي إلى ما سبقت إليها عينها فأكون قد عققتها . (وفيات الأعيان 3 / 268)

أبو يوسف الفقيه الذي تتلمذ على يد أبي حنيفة ، وانتفع بأبي حنيفة جدا جدا ، كان يقول : اللهم اغفر لأبوي ولأبي حنيفة . (بر الوالدين للطرطوشي ص 78)

مسعر بن كدام له أم عابدة ، لكن يحمل لها اللبد إلى المسجد ، يبسطه ، يصلي عليه ، يتقدمه هو لمقدمة المسجد ، يصلي ثم يقعد ويجتمع الناس فيحدث ، شيخ عالم ، مسعر معروف ، ثم بعد ذلك ينتهي المجلس الحديث يقوم ، فيطوي لبدته أمه ويرافقها إلى البيت . (صفة الصفوة 2 / 110)

قال ميمون بن مهران : ثلاث المؤمن والكافر فمهن سواء : الأمانة تؤديها إلى من ائتمنتك عليها من مسلم أو كافر وبر الوالدين قال تعالى : (وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما) (لقمان 15) الآية ؛ والعهد ، تفي به لمن عاهدت ، من مسلم أو كافر . (الحلية 4 / 87)

عن عمرو بن ميمون بن مهران قال : خرجت بأبي أقوده في بعض سكك البصرة ، فمررت بجدول ، فلم يستطع الشيخ يتخطاه فاضطجعت له فمر على ظهري . (حلية الأولياء 4 / 82)

كان كهمس بن الحسن يعمل في الجص كل يوم بدانقين فإذا أمسى اشترى به فاكهة ، فأتى بها إلى أمه . (حلية الأولياء 6 / 212)

قال أبو عبد الرحمن الحنفي : رأى كهمس بن الحسن عقربا في البيت ، فأراد أن يقتلها أو يأخذها فسبقته إلى جحرها فأدخل يده في الجحر يأخذها وجعلت تضربه ، فقيل : ما أردت إلى هذا ؟ لم أدخلت يدك في جحرها تخرجها ؟ قال : إني أحمد ! خفت أن تخرج من الجحر فتجيء إلى أمي فتلدغها وكان يمينه الذي يحلف به إني أحمد وأحمد . (حلية الأولياء 6 / 211)

قال هشام بن حسان قلت للحسن البصري : أني أتعلم القرآن ، وأن أمي تنتظرني بالعشاء ، فقال الحسن : تعش العشاء مع أمك تقر به عينها أحب إلى من حجة تحجها تطوعا . (البر والصلة 73) عن الحسن البصري أنه سئل : ما بر الوالدين ؟ قال : أن تبذل لهما ما ملكت ، وأن تطيعهما فيما أمراك به ، إلا أن تكون معصية . (مصنف عبد الرزاق 5 / 176 رقم 9288)

عن حفصة بنت سيرين قالت : كانت والددة محمد بن سيرين حجازية ، وكان يعجبها الصبغ ، وكان محمد إذا اشترى لها ثوبا اشترى الين ما يجد ، فإذا كان عيد ، صبغ لها ثيابا ، وما رأيته رافعا صوته عليها ، كان إذا كلمها كالمصغي إليها . (سير أعلام النبلاء 4 / 619)

ودخل رجل على محمد ابن سيرين وهو عند أمه فقال : ما شأن محمد أيشتك شيئا ؟ قالوا : لا ولكن هكذا يكون حالة إذا كان عند أمه . (حلية الأولياء 2 / 273)

قالت حفصة بنت سيرين : كان محمد إذا دخل على أمه لم يكلمها بلسانه كله تحشما لها . (الزهد لأحمد 320)

قال هشام بن حسام : حدثني بعض آل سيرين ، قال : ما رأيت محمد بن سيرين يكلم أمه قط ، إلا وهو يتضرع . (حلية الأولياء 2 / 273)

قال مجاهد بن جبر : لا ينبغي للولد أن يدفع يد والده عنه إذا ضربه قال : ومن شد النظر إلى والديه فلم يبرهما ومن أدخل عليهما حزنا فقد عقهما . (البر والصلة 117)

قال مجاهد : فلا تقل لهما أف : إذا بلغا من الكبر ما كان يليان منه في الصغر فلا تقل لهما أف . (مصنف بن أبي شيبة 6 / 100)

عن هشام بن عروة عن أبيه فلا تقل لهما أف قال : لا تمنعهما شيئا أراداه أو قال : أحباه . (مصنف بن أبي شيبة 6 / 100)

قال سفيان بن عيينة : من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله ومن دعا لوالديه عقها فقد شكر لهما . (فتح الباري 2 / 10)

قال طاوس بن كيسان : من السنة أن يوقر أربعة : العالم ، وذو الشيبة ، والسلطان ، والوالد ، قال : ويقال : إن من الجفاء أن يدعو الرجل والده باسمه . (مصنف عبد الرزاق ج 11 رقم 20133)

سأل رجل الإمام أحمد بن حنبل فقال : إن أبي يأمرني أن أطلق امرأتي ، قال : لا تطلقها قال : أليس عمر أمر ابنه عبد الله أن يطلق امرأته قال : حتى يكون أبوك مثل عمر رضي الله عنه . (الآداب الشرعية 1 / 447)

لما ماتت أم إياس بن معاوية بكى قيل له : ما يبكيك ؟ قال : كان لي بابان مفتوحان إلى الجنة ، وغلق أحدهما . (البر والصلة لابن الجوزي 72)

عن الأشجعي قال : استسقت أم مسعر ماء منه في بعض الليل ، فذهب ، فجاء بقربة ماء ؛ فوجدتها قد غلبها النوم ، فثبت بالشربة على يديه حتى أصبح . (حلية الأولياء 7 / 217)

وكان حجر بن الأدبريلمس فراش أمه بيده ويتقلب بظهره عليه ليتأكد من لينه وراحته ثم يرضعها عليه . (البر والصلة 1 / 89)

قال منذر الثوري : كان ابن الحنيفة يغسل رأس أمه بالخطمي ويمشطها ، ويقبلها ويخضبه . (البر والصلة 1 / 89)

قال سعيد بن سفيان الثوري : ما جفوت أبي قط وأنه ليدعوني وأنا في الصلاة غير المكتوبة فأقطعها له . (مكارم الأخلاق 64)

قال وهب بن منبه : البر بالوالد يثقل الميزان والبر بالوالدة يشد الأصل والذي يشد الأصل أفضل . (البر والصلة 73)

وكان طلق بن حبيب يقبل رأس أمه وكان لا يمشي فوق ظهر بيت هي تحته إجلالا لها . (بر الوالدين 78)

وكان محمد بن المنكدر يضع خده على الأرض ثم يقول لأمه : قومي ضعي قدمك على خدي . (حلية الأولياء 3 / 150)

يقول محمد بن المنكدر : بت أغمز رجل أمي وبت أخي يصلي ليلته فما تسرني ليلته بليتي . (ربيع الأبرار ونصوص الأخيار 4 / 262)

عن عبد الله ابن عون : أنه نادته أمه ، فأجابها ، فعلاصوته فأعتق رقبتين . (حلية الأولياء 3 / 39)

قال مكحول والإمام أحمد بن حنبل : بر الوالدين كفارة للكبائر . (جامع العلوم والحكم 173)

عن منصور بن المعتمر قال : كان يقال : للأُم ثلاث أرباع البر . (حلية الأولياء 5 / 42)

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّافِّ :

عن زرعه بن إبراهيم أن رجلا جاء إلى عمر فقال إن لي أما بلغ بها الكبر وأنا لا تقضي حاجتها إلا وظهري مطية لها وأوضئها وأصرف وجهي عنها فهل أدبت حقها قال لا . قال أليس قد حملتها على ظهري وحبست نفسي عليها . فقال عمر إنها كانت تصنع ذلك بك وهي تتمنى بقاءك وأنت تتمنى فراقها . (بر الوالدين لابن الجوزي 1 / 1)

عن أبي بردة بن أبي موسى أن ابن عمر رضي الله عنه شهد رجلا يمانيا يطوف بالببيت ، يحمل أمه على ظهره يقول : إني لها بعيرها المذلل إن أذعرت ركابها (بعيرها) لم أذعر حملتها أكثر مما حملت فهل ترى جازيتها يا ابن عمر فقال ابن عمر : لا ، ولا بزفرة واحدة ، والزفرة : تردد النفس حتى تختلف الأضلاع ، ويقصد بذلك آلام المرأة عند الحمل والوضع . (الأدب المفرد للبخاري 1 / 18)

الآبيات من كتاب الكبائر للإمام الذهبي :

- لَأَمِّكَ حَقٌّ - لَوْ عَلِمْتَ - كَثِيرٌ *** كَثِيرَكَ يَا هَذَا لَدَيْهِ يَسِيرٌ
- فَكَمْ لَيْلَةٌ بَاتَتْ بِثَمَلِكَ تَشْتَكِي *** لَهَا مِنْ جَوَاهِهَا أَنَّهُ وَزْفِيرٌ
- وَفِي الْوَضْعِ لَوْ تَدْرِي عَلَيْهَا مَشَقَّةٌ *** فَمَنْ غَصَصَ مِنْهَا الْفُؤَادَ يُطِيرُ
- وَكَمْ غُسِلَتْ عَنْكَ الْأَذَى بِبَيْمِينِهَا *** وَمَا حَجَرُهَا إِلَّا لَدَيْكَ سَرِيرٌ
- وَتَفْدِيكَ مِمَّا تَشْتَكِيهِ بِنَفْسِهَا *** وَمِنْ ثَدْمِهَا شُرْبَ لَدَيْكَ نُمَيْرٌ (عَذْبٌ)
- وَكَمْ مَرَّةً جَاعَتْ ، وَأَعْطَتْكَ قُوَّتَهَا *** حَنَانًا وَإِشْفَاقًا وَأَنْتَ صَغِيرٌ
- فَاهَا لِذِي عَقْلٍ وَيَتَّبِعُ الْهَوَى *** وَأَهَا لِأَعْمَى الْقَلْبِ وَهُوَ بَصِيرٌ
- فَدُونِكَ فَارْغَبْ فِي عَمِيمِ دُعَائِهَا *** فَأَنْتَ لِمَا تَدْعُو إِلَيْهِ فَقِيرٌ

كانت النخلة تبلغ بالمدينة ألفا فعمد أسامة بن زيد إلى نخلة فقطعها من أجل جمارها فقبل له في ذلك ، فقال : إن أمي اشتتهه على وليس شيء من الدنيا تطلبه أمي أقدر عليه إلا فعلته . (مكارم الأخلاق 55)

عن سعيد بن عامر عن هشام قال : قالت حفصة بنت سيرين : بلغ من بر الهذيل ابني بي ، أنه كان يكسر القصب في الصيف فيوقد لي في الشتاء ، قال : لئلا يكون له دخان ، وكان يحلب ناقته بالغداة ، فيأتييني به ، فيقول : اشربي يا أم الهذيل ، فإن أطيب اللبن ما بات في الضرع ، قالت : فمات ، فرزق الله علي من الصبر ما شاء أن يرزق ، وكنت أجد مع ذلك حرارة في صدري لا تكاد تسكن ، قالت : فأتيت ليلة من الليالي على هذه الآية : (ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) (النحل 96) . فذهب عني ما كنت أجد . (البر والصلة لابن الجوزي 1 / 89)

المعالي بن أيوب قال : سمعت المأمون يقول : لم أر إبراهيم من الفضل بن يحيى بأبيه ، بلغ من بره بأبيه :

أن يحيى كان لا يتوضأ إلا بالماء الحار، وكان في السجن، فمنعهما السجنان من إدخال الحطب في ليلة باردة، فقام الفضل حين أخذ يحيى مضجعه إلى قمقم يسخن فيه الماء، فملاه، ثم أدناه من نار المصباح، فلم يزل قائما وهو في يده حتى أصبح وحكى غير المأمون: أن السجنان فطن لارتفاقه بالمصباح في تغيير الماء، فمنعه من الاستصباح في الليلة القابلة، فعمد الفضل إلى القمقم مملوء فأخذه معه في فراشه، وألصقه بأحشائه حتى أصبح وقد فتر الماء. (البروالصلة 1/89-90)

قال سفيان بن عيينة: قدم رجل من سفر فصادف أمة قائمة تصلي فكرة أن يقعد وهي قائمة، فعملت ما أراد فطولت ليؤجر. (البروالصلة لابن الجوزي 1/89)

قال موسى بن عقبة: سمعت الزهري يقول: كان أبو الحسن علي بن الحسين زين العابدين كان من سادات التابعين وكان كثير البر بأمه حتى قيل له: إنك من أبر الناس بأمك ولسنا نراك تأكل معها في صحفه فقال: أخاف أن تسبق يدي إلى ما سبقت إليه عينها فأكون قد عققتها. (البروالصلة 1/86)

سأل رجل ابن المبارك فقال: إن أمي لم تزل تقول: تزوج حتى تزوجت. فالآن قالت لي: طلقها فقال: إن كنت عملت عمل البر كله وبقي هذا عليك فطلقها وإن كنت تطلقها وتأخذ إلى مشاغبة أمك فتضربها فلا تطلقها. (حلية الأولياء 8/345)

عن محمد بن بشر الأسلمي أنه قال: لم يكن أحد بالكوفة أبر بأمه من منصور بن المعتمر وأبي حنيفة، وكان منصور بن المعتمر يfli رأس أمه. (البروالصلة لابن الجوزي 1/84)

عن عمر بن ذر: أنه لما مات ابنه، قيل له: كيف كان بره؟ قال: ما مشى معي نهارا قط إلا كان خلفي، ولا ليلا إلا كان أمامي، ولا رقي على سطح أنا تحته. (البروالصلة لابن الجوزي 1/89)

عن مصعب بن عثمان، قال: كان الزبير بن هشام بارا بأبيه، إن كان ليرقى إلى السطح في الحر فيؤتى بالماء البارد، فإذا ذاقه فوجد برده لم يشربه وأرسله إلى أبيه. (البروالصلة 1/89)

قال محمد بن عمر كان محمد بن عبد الرحمن بن أبي الزناد بارا بأبيه وكان أبوه يقول: يا محمد فلا يجيبه حتى يثب فيقوم على رأسه فيلبيه فيأمره بحاجته فلا يستثبته هيبة له حتى يسأل من فهم ذلك عنه. (البروالصلة لابن الجوزي 1/89)

41- باب تحريم العقوق وقطيعة الرحم

قَالَ اللهُ تَعَالَى: فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ [محمد: 22-23]، وَقَالَ تَعَالَى: وَالَّذِينَ يَقْضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ [الرعد: 25]، وَقَالَ تَعَالَى: وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَاحْفَظْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا [الإسراء: 23-24].

336- وعن أبي بكره نُفَيْعِ بْنِ الْحَارِثِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أُتَيْتُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟» «ثَلَاثًا قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ: قَالَ: «الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ» وَكَانَ مُتَكِنًا فَجَلَسَ، فَقَالَ: «أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ» فَمَا زَالَ يَكْرُرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ» متفق عليه.

337- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْكِبَائِرُ: الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ» رواه البخاري.

«الْيَمِينُ الْغَمُوسُ» الَّتِي يَحْلِفُهَا كَاذِبًا عَامِدًا، سُمِّيَتْ غَمُوسًا، لِأَنَّهَا تَغْمِسُ الْحَالِفَ فِي الْإِثْمِ.

338- وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مِنَ الْكِبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ،» قالوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَهَلْ يَشْتُمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟، قَالَ: «نَعَمْ، يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ» متفق عليه.

وفي رواية: «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ،» قيل: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟، قَالَ: «يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ».

339- وعن أبي محمد جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ» قَالَ سَفِيَانٌ فِي رِوَايَتِهِ: يَعْنِي: قَاطِعُ رَحِمٍ. متفق عليه.

340- وعن أبي عيسى الْمُغْبِرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ، وَمَنْعًا وَهَاتِ، وَوَادًّا الْبَنَاتِ، وَكَرَهًا لَكُمْ قَيْلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ» متفق عليه. قَوْلُهُ: «مَنْعًا» مَعْنَاهُ: مَنْعٌ مَا وَجِبَ عَلَيْهِ وَ«هَاتِ»: طَلَبٌ مَا لَيْسَ لَهُ وَ«وَادُّ الْبَنَاتِ» مَعْنَاهُ: دَفْقُهُنَّ فِي الْحَيَاةِ، وَ«قَيْلَ وَقَالَ» مَعْنَاهُ: الْحَدِيثُ بِكُلِّ مَا يَسْمَعُهُ،

فَيَقُولُ: قِيلَ كَذَا ، وَقَالَ فُلَانٌ كَذَا مِمَّا لَا يَعْلَمُ صِحَّتَهُ ، وَلَا يَظُنُّهَا ، وَكَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ . وَ « إِضَاعَةُ الْمَالِ » : تَبْذِيرُهُ وَصَرْفُهُ فِي غَيْرِ الْوَجْهِ الْمَأْدُونِ فِيهَا مِنْ مَقَاصِدِ الْآخِرَةِ وَالدُّنْيَا ، وَتَرْكُ حِفْظِهِ مَعَ إِمْكَانِ الْحِفْظِ . وَ « كَثْرَةُ السُّؤَالِ » الْإِلْحَاحُ فِيمَا لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ . وَفِي الْبَابِ أَحَادِيثُ سَبَقَتْ فِي الْبَابِ قَبْلَهُ كَحَدِيثِ « وَ أَقْطَعُ مَنْ قَطَعَكَ » وَحَدِيثِ « مَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ » .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

عن محمد بن كعب : فهل عسيتم إن توليتم قال : إن توليتم أمر الناس . عن قتادة : فهل عسيتم إن توليتم الآية قال : كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله ؟ ألم يسفكوا الدم الحرام وقطعوا الأرحام وعصوا الرحمن . عن بريدة قال : كنت جالسا عند عمر إذ سمع صائحا فقال : يا يرفأ انظر ما هذا الصوت فنظر ثم جاء فقال : جارية من قريش تباع أمها ، فقال عمر : ادع لي المهاجرين والأنصار فلم يمكث إلا ساعة حتى امتلأت الدار والحجرة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فهل تعلمونه كان فيما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم القطيعة قالوا : لا ، قال : فإنها قد أصبحت فيكم فاشية ، ثم قرأ : فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم ثم قال : وأي قطيعة أقطع من أن تباع أم امرئ فيكم وقد أوسع الله لكم قالوا : فاصنع ما بدا لك فكتب في الأفاق أن لا تباع أم حرفائها قطيعة رحم وأنه لا يحل . (تفسير الدر المنثور 13 / 436)

عن ابن عباس : الرحم معلقة بالعرش فإذا أتاه الواصل بشت به وكلمته وإذا أتاه القاطع احتجبت منه . (تفسير الدر المنثور 13 / 444)

عن قتادة يرويه قال : تجيء الرحم يوم القيامة لها حجنة تحت العرش تتكلم بلسان طلق ذلك : اللهم صل من وصلني و اقطع من قطعني . (تفسير الدر المنثور 13 / 438)

وقوله : أولئك الذين لعنهم الله يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين يفعلون هذا ، يعني الذين يفسدون ويقطعون الأرحام الذين لعنهم الله ، فأبعدهم من رحمته فأصمهم ، يقول : فسليم فهم ما يسمعون بأذانهم من مواعظ الله في تنزيله وأعمى أبصارهم يقول : وسليم عقولهم ، فلا يتبينون حجج الله ، ولا يتذكرون ما يرون من عبرة وأدلته . (تفسير الطبري 22 / 178)

قال ابن عباس : أكبر الكبائر الإشراف بالله لأن الله يقول : ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير . (الحج 31) ونقض العهد ، وقطيعة الرحم : لأن الله تعالى يقول : أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار . يعني : سوء العاقبة . (تفسير الطبري 16 / 428)

قال ميمون بن مهران : قال لي عمر بن عبد العزيز : لا تصاحب قاطع رحم فإن الله تبارك وتعالى

لعنه في آيتين من القرآن : آية في الرد قوله تبارك وتعالى : (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار) (25) وآية في سورة محمد صلى الله عليه وسلم قوله تبارك وتعالى : (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم) (22 - 23) . (مسائي الأخلاق 315)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

عن عمر بن الخطاب قال : ليس الوصل أن تصل من وصلك ، ذلك القصاص ، ولكن الوصل أن تصل من قطعك . (فتح الباري لابن حجر 10 / 423)

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : تعلموا أنسابكم ، ثم صلوا أرحامكم ، والله إنه ليكون بين الرجل وبين أخيه الشيء ولو يعلم الذي بينه وبينه من داخله الرحم ، لأوزعه (كفاه) ذلك عن انتهاكه . (صحيح الأدب المفرد 56 حديث 72) .

قال ابن عباس : احفظوا أنسابكم ، تصلوا أرحامكم ؛ فإنه لا بعد بالرحم إذا قربت ، وإن كانت بعيدة ، ولا قرب بها إذا بعدت ، وإن كانت قريبة ، وكل رحم آتية يوم القيامة أمام صاحبها تشهد له بصلة ، إن كان وصلها ، وعليه بقطيعة ، إن كان قطعها . (صحيح الأدب المفرد 56 حديث 73)

سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن أصحاب الأعراف من هم وما الأعراف ؟ فقال : أما الأعراف فهو جبل بين الجنة والنار وإنما سمي الأعراف لأنه مشرف على الجنة والنار وعليه أشجار وثمار وأنهار وعيون وأما الرجال الذين يكونون عليه فهم رجال خرجوا إلى الجهاد بغير رضا آبائهم وأمهاتهم فقتلوا في الجهاد فمنعهم القتل في سبيل الله من دخول النار ومنعهم عقوق الوالدين عن دخول الجنة فهم على الأعراف حتى يقضي الله فيهم أمره . (الكبائر للذهبي 1 / 39)

قال ابن عباس : كن مع الوالدين كالعبد المذنب الذليل للسيد الفظ الغليظ . (مفاتيح الجنان لزاده الحنفي 597)

قال عبد الله بن مسعود : ثلاثة لا ترد دعوتهم : الوالد والمظلوم والمسافر . (بر الوالدين 1 / 8)

قال ابن عمر : بكاء الوالدين من العقوق والكبائر . (الأدب المفرد الصحيحة 2898 - 1 / 19)

عن ابن عمر قال : من اتقى ربه ، ووصل رحمه ، أنسى له في عمره ، وثرى ماله ، وأحبه أهله . (صحيح الأدب المفرد للألباني 51 حديث 58)

وسئل الحسن عن الوالد والوالدة فقال : حق الوالد أعظم وبر الوالدة أكرم .
(محاضرات الأدباء 148 / 1)

وسئل الحسن : ما دعاء الوالد للولد ؟ قال : نجاة . (برالوالدين لابن الجوزي 1 / 8)

قال الحسن البصري : دعاء الوالدين يثبت المال والولد دعاء الوالدين على الولد يستأصل المال والولد . (البروالصلة 120 - 123)

وقال الحسن البصري : منتهى القطيعة أن يجالس الرجل أباه عند السلطان . (برالوالدين 1 / 8)

قال عمر بن عبد العزيز لابن مهران : لا تأتين أبواب السلاطين وإن أمرتهم بمعروف أو نهيتهم عن منكر ، ولا تخلون بامرأة وإن علمتها سورة من القرآن ، ولا تصحبن عاقا ؛ فإنه لن يقبلك وقد عق والديه . (المستطرف 2 / 20)

عن ميمون بن مهران قال : ثلاثة تؤدي إلى البروالفاجر الأمانة والعهد وصلة الرحم . (السير 5 / 74)

قال الفضل بن عبد الصمد لأحمد بن حنبل : رجل له إخوة وأخوات بأرض غصب ترى أن يزورهم ؟ قال : نعم يزورهم ويرادهم على الخروج منها فإن أجابوا إلى ذلك وإلا لم يبق معهم ولا يدع زيارتهم . (الآداب الشرعية 1 / 452)

عن أبي سليمان الداراني قال : ما وجدنا شيئا أعجل ثوابا من بر القرابة . كنت ربما نويت أن أخرج إلى أخ لي بالعراق فأجد ثواب ذلك قبل أن أكتري ، وقبل أن أتجهز ، وأي شيء صلتني له ليس عندي شيء أعطيته ، ولكن أرجو إذا رأوني وصلوه . (تاريخ بغداد 8 / 366)

عن سفيان قال : قيل لأبي حازم : ما القرابة ؟ قال : المودة . قيل : فما الراحة ؟ قال : دخول الجنة ، وقال المودة لا تحتاج إلى القرابة ، والقرابة تحتاج إلى المودة . (تاريخ بغداد 11 / 91)

قال سعيد بن المسيب : وقد ترك دناتير اللهم إنك تعلم أنني لم أجمعها إلا لأصون بها ديني وحسبي لا خير فيمن لا يجمع المال فيقضي دينه ويصل رحمه ويكف به وجهه . (الآداب الشرعية 3 / 269)

قال سعيد بن المسيب : البار بالديه لا يموت ميتة السوء . (تاريخ بن معين 2 / 328)

قال كعب الأحبار : والذي نفسي بيده إن الله ليجعل حين العبد إذا كان عاقا لوالديه فيعجله العذاب وإن الله ليزيد في عمر العبد إذا كان برا بوالديه ليزداد برا وخيرا . (حلية الأولياء 5 / 378)

سئل كعب الأحبار عن العقوق فقال : إذا أمرك أبواك فلم تعطهما فقد عقتكما وإذا دعوا عليك فقد عقتكما العقوق كله . (حلية الأولياء 6 / 32)

قال عطاء بن أبي رباح : لدرهم أضعه في قرابة ، أحب إلي من ألف أضعها في فاقة ، قال : قلت : يا أبا محمد وإن كان قرابتي مثلي في الغنى ؟ قال : وإن كان أغنى منك . (مكارم الأخلاق 83 رقم 247)

عن عبيد بن جريح أنه سئل : ما العقوق فيما أنزل الله على موسى ؟ قال : إذا أمر الوالد ولده بشيء فلم يطعه فقد عاقه وإذا الوالد اشتكى إلى الله ما يلقي من ولده فقد عاقه العقوق كله . (مسائي الأخلاق 1 / 256)

وعن محمد بن سيرين قال : من مشى بين يدي أبيه فقد عقه إلا أن يمشي يميظ الأذى عن طريقه . ومن دعا أباه باسمه فقد عقه إلا أن يقول : يا أبت . (بر الوالدين لابن الجوزي 8 / 1)

قال عمرو بن دينار : تعلموا أنه ما من خطوة بعد الفريضة أعظم أجرا من خطوة إلى ذي رحم . (مكارم الأخلاق 82 رقم 245)

قال سفيان الثوري : لا تبغض أحدا ممن يطيع الله ، وكن رحيما للعامة والخاصة ، ولا تقطع رحمك وإن قطعك ، وتجاوز عن ظلمك تكن رفيق الأنبياء والشهداء . (حلية الأولياء 8 / 82)

قال ربيعة : إذا فاض العلم فيضا وكان المولود لوالده غيظا والشتاء قيظا والحكم حيفا أتاكم الدجال يزيف زيفا . (مسائي الأخلاق للخرائطى 104)

عن مجاهد : ثلاثة لا تحجب دعوتهم عن الله عزوجل دعوة المظلوم ودعوة الوالد لولده وشهادة ألا إله إلا الله . (بر الوالدين لابن الجوزي 8 / 1)

قال سليمان بن موسى : قيل لابن محيريز : ما حق الرحم ؟ قال تستقبل إذا أقبلت وتتبع إذا أدبرت . (مكارم الأخلاق 85 رقم 256)

وقال يزيد بن أبي حبيب : (إيجاب الحجّة على الوالدين عقوق) . يعني الانتصار عليهما في الكلام . (بر الوالدين لابن الجوزي 8 / 1)

قال أبو بكر بن أبي مريم : قرأت في التوراة أن من يضرب أباه يقتل . (الكبائر للذهبي 39 / 1)

قال وهب : قرأت في التوراة : على من صك والده الرجم . (الكبائر للذهبي 39 / 1)

عن عروة بن الزبير قال : ما بر والده من شد الطرف إليه . (مصنف بن أبي شيبة 6 / 100)

قال الطيبي : إن الله يبقى أثر واصل الرحم في الدنيا طويلا فلا يضمحل سريعا كما يضمحل أثر قاطع الرحم . (فتح الباري 10 / 416)

قال النووي : قال أصحابنا : يستحب أن يقدم الأم في البر ثم الأب ثم الأولاد ثم الأجداد والجدات ثم الإخوة والأخوات ثم سائر المحارم من ذوي الأرحام كالأعمام والعمات والأخوال والخالات ويقدم الأقرب فالأقرب . (صحيح مسلم للنووي 6 / 103)

قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْمُنْذِرُ رَحِمَهُ اللَّهُ :

- أَعْرَى امْرُؤٌ يَوْمًا غَلَامًا جَاهِلًا *** بِنُقُودِهِ كَيْمَا يَنَالُ بِهِ الْوَطْرَ
- قَالَ: اثْنِي بِفُؤَادِ أُمِّكَ يَا فَتَى *** وَلَكَ الدَّرَاهِمُ وَالْجَوَاهِرُ وَالدُّرُّ
- فَمَضَى وَأَعْمَدَ خِنْجَرًا فِي صَدْرِهَا *** وَالْقَلْبُ أَخْرَجَهُ وَعَادَ عَلَى الْأَثْرِ
- لَكِنَّهُ مِنْ فَرَطٍ سُرْعَتِهِ هَوَى *** فَتَدَخَّرَ الْقَلْبُ الْمُقَطَّعَ إِذْ عَثَرَ
- نَادَاهُ قَلْبُ الْأُمِّ وَهُوَ مُعَفَّرٌ *** وَلَدِي حَبِيبِي هَلْ أَصَابَكَ مِنْ ضَرَرٍ
- فَكَانَ هَذَا الصَّوْتُ رَعَمَ حُنُوهِ *** غَضَبِ السَّمَاءِ عَلَى الْعَلَامِ قَدْ انْهَمَرُ
- وَرَأَى فَطِيعَ جِنَايَةٍ لَمْ يَأْتِهَا *** أَحَدٌ سِوَاهُ مُنْذُ تَارِيخِ الْبَشَرِ
- وَارْتَدَّ نَحْوَ الْقَلْبِ يَغْسِلُهُ بِمَا *** فَاضَتْ بِهِ عَيْنَاهُ مِنْ سَيْلِ الْعَيْبَرِ
- وَيَقُولُ: يَا قَلْبُ انْتَقِمِ مِنِّي وَلَا *** تَغْفِرْ فَإِنَّ جَرِيمَتِي لَا تُغْتَفَرُ
- وَاسْتَلَّ خِنْجَرَهُ لِيَطْعَنَ صَدْرَهُ *** طَعْنًا فَيَبْقَى عَائِرَةً لِمَنْ اعْتَبَرَ
- نَادَاهُ قَلْبُ الْأُمِّ كُفَّ يَدًا وَلَا *** تَذْبِخْ فُؤَادِي مَرَّتَيْنِ عَلَى الْأَثْرِ

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

عن أبي غسان الضبي أنه خرج يمشي بظهر الحرة وأبوه يمشي خلفه ، فلحقه أبو هريرة ، فقال : من هذا الذي يمشي خلفك ؟ قلت : أبي قال : أخطأت الحق ولم توافق السنة ، لا تمش بين يدي أبيك ، ولكن أمشي خلفه أو عن يمينه ، ولا تدع أحدا يقطع بينك وبينه ، ولا تأخذ عرقا (أي : لحما

مختلطا بعظم) نظر إليه أبوك ، فلعله قد اشتهاه ، ولا تحد النظر إلى أبيك ، ولا تقعد حتى يقعد ، ولا تنم حتى ينام . (بر الوالدين 2 - 3)

قال الأصمعي (رحمه الله) : حدثني رجل من الإعراب قال : خرجت من الحي أطلب أعق الناس ، وأبر الناس ، فكنت أطوف بالأحياء ، حتى انتهيت إلى شيخ في عنقه حبل يستقي بدلولا لا تطيقه الإبل في الهاجرة ، والحر شديد ، وخلفه شاب في يده رشاء (الحبل) من قد (جلد مدبوغ) ملوي يضربه به ، قد شق ظهره بذلك الحبل ، فقلت : أما تتقي الله في هذا الشيخ الضعيف ؟ أما يكفيه ما هو فيه من هذا الحبل حتى تضربه ؟ قال : إنه مع هذا أبي ، قلت : فلا جزاك الله خيرا ، قال : اسكت ، فهكذا كان هو يصنع بأبيه ، وهكذا كان يصنع أبوه بجده ، فقلت : هذا أعق الناس . (مساوي الأخلاق 252)

قال المدائني : دخل على المهدي رجل فقال : يا أمير المؤمنين أن المنصور شتمني وقذف أبي ، فإما أمرتني أن أحلله وإما عوضتني ، فاستغفرت له . قال : ولم شتمك ؟ قال : شتمت عدوه بحضرته ، فغضب . قال : ومن عدوه الذي غضب لثتمه ؟ قال : إبراهيم بن عبد الله بن حسن . قال : إن إبراهيم أمس به رحما وأوجب عليه حقا فإن كان شتمك كما زعمت فعن رحمه ذب وعن عرضه دفع وما أساء من انتصر لابن عمه . قال : إنه كان عدوا له . قال : فلم ينتصر للعداوة إنما انتصر للرحم فأسكت الرجل فلما ذهب ليولي . قال : لعلك أردت أمرا فلم تجد له ذريعة عندك أبلغ من هذه الدعوى ؟ قال : نعم . فتبسم ثم أمر له بخمسة آلاف درهم . (تاريخ بغداد 5 / 394)

قال داود بن المبارك: توفي محمد بن جعفر بخراسان مع المأمون فركب المأمون لشهوده ، فلقمهم خرجوا به فلما نظر إلى السرير نزل فترجل ورفع عن ترأقيه ، ثم دخل بين العمودين ، فلم يزل بينهما حتى وضع ، وتقدم فصلى عليه ، ثم حمله حتى بلغ به القبر ، ثم دخل قبره ، فلم يزل فيه حتى بنى عليه ، ثم خرج فقام على القبر ، وهو يدق ، فقال له عبد الله بن الحسن: ودعا له يا أمير المؤمنين أنك قد تعبت فلوركبت فقال له المأمون: إن هذه رحم قطعت من مائتي سنة . (تاريخ بغداد 2 / 115)

حضر صالح العباسي مجلس المنصور وكان يحدثه ويكثر من قوله أبي رحمه الله فقال له الربيع : لا تكثر الترحم على أبيك بحضرة أمير المؤمنين . فقال له : لا ألومك فإنك لم تذق حلاوة الآباء ! فتبسم المنصور وقال : هذا جزاء من تعرض لبني هاشم ! وقال أبو العيناء : ما أخرجني أحد كما أخرجني ابن صغير لعبد الرحمن ابن رجاء ، قلت له يوما : أبيعك أبوك مني فإني أريد ابنا مثلك ؟ فقال : البيع لا يمكن إن شئت احمل أبي علي امرأتك لتأتيك بولد مثلي ! ومرا الأخطل بالفرزدق وهو صبي

فقال : أيسرك أن أكون أباك ؟ فقال : لا ولكن يسرني أن تكون أمي ليأكل أبي من أطايبك ! .
(مجالس الأدباء 1 / 146)

قال منازل بن لاحق : كنت شابا على اللهو والطرب لا أفيق عنه وكان لي والد يعظني كثيرا ويقول يا بني احذر هفوات الشباب وعثراته فإن لله سطوات ونقمات ما هي من الظالمين ببعيد وكان إذا ألح علي بالموعظة ألححت عليه بالضرب فلما كان يوم من الأيام ألح علي بالموعظة فأوجعته ضربا فحلف بالله مجتهدا لياتين بيت الله الحرام فيتعلق بأستار الكعبة ويدعو علي فخرج حتى انتهى إلى البيت فتعلق بأستار الكعبة وقال :

يَا مَنْ إِلَيْهِ أَتَى الْحَجَّاجُ قَدْ قَطَعُوا *** عُرْضَ الْمَهَامِهِ مِنْ قُرْبٍ وَمِنْ بُعْدٍ

إِنِّي أَتَيْتُكَ يَا مَنْ لَا يُخَيِّبُ مَنْ *** يَدْعُوهُ مُبْتَهَلًا بِالْوَاحِدِ الصَّمَدِ

هَذَا مُنَازِلٌ لَا يَرْتَدُّ عَنْ عُقْبِي *** فَخَذَ بِحَقِّي يَا رَحْمَانَ مِنْ وَلَدِي

وَسَلَّ مِنْهُ بِحَوْلٍ مِنْكَ جَانِبَهُ *** يَا مَنْ تَقَدَّسَ لَمْ يُؤَلَدْ وَلَمْ يَلِدْ

فاستجاب الله تعالى دعاء الوالد فأصبح الولد مشلولاً من نصف جسمه الأيمن .
(التوايين 143-142)

42- باب فضل بر أصدقاء الأب والأم والأقارب والزوجة وسائر من يندب إكرامه

341- عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « إن أبرَّ البرِّ أن يصلَّ الرَّجُلُ وَدَّ أَبِيهِ »

342- وعن عبد الله بن دينارٍ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً من الأعرابٍ لقيه بطريق مكة ، فسلم عليه عبدُ الله بنُ عمر ، وحمله على حمارٍ كان يركبُه ، وأعطاهُ عِمَامَةً كانتُ على رأسِهِ ، قال ابنُ دينارٍ: فقلنا له : أصلحك الله إنهم الأعرابُ وهم يرضونَ باليسيرِ . فقال عبدُ الله بنُ عمر : إنَّ هذا كان ودّاً لِعُمَرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه ، وإنِّي سمِعْتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: « إنَّ أبرَّ البرِّ صلَّةُ الرَّجُلِ أَهْلَ وَدِّ أَبِيهِ » .

وفي روايةٍ عن ابن دينارٍ عن ابن عمر أنَّه كان إذا خرج إلى مكةَ كان له حِمَارٌ يَتَرَوَّحُ عَلَيْهِ إذا ملَّ رُكُوبِ الرَّجَالَةِ ، وعِمَامَةٌ يَشُدُّ بِهَا رَأْسَهُ ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَوْمًا عَلَى ذَلِكَ الحِمَارِ إِذْ مَرَّ بِهِ أَعْرَابِيٌّ ، فقال : أَلَسْتُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ ؟ قال : بلى : فَأَعْطَاهُ الحِمَارَ ، فقال : اذْكَبْ هذا ، وأعطاهُ العِمَامَةَ وقال : اشدُّدْ بِهَا

رَأْسَكَ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ : غَفَرَ اللَّهُ لَكَ ، أَعْطَيْتَ هَذَا الْأَعْرَابِيَّ حِمَارًا كُنْتَ تَرَوُّحُ عَلَيْهِ ، وَعِمَامَةً كُنْتَ تَشُدُّ بِهَا رَأْسَكَ؟ فَقَالَ : إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِنْ مِنْ أَبْرِ الْبِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلًا وَوُدَّ أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ يُؤْتَى » وَإِنَّ أَبَاهُ كَانَ صَدِيقًا لِعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، رَوَى هَذِهِ الرِّوَايَاتِ كُلَّهَا مُسْلِمٌ .

343- وعن أبي أسيد بضم الهمزة وفتح السين مالك بن ربيعة الساعدي رضي الله عنه قال : بئنا نحن جلوس عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال : يارسول الله هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما ؟ فقال : « نعم ، الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما وصله الرحم التي لا توصل إلا بهما ، وإكرام صديقيهما » رواه أبو داود .

344- وعن عائشة رضي الله عنها قالت : ما غرت على أحد من نساء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما غرت على خديجة رضي الله عنها . وما رأيتهما قط ، ولكن كان يكثر ذكرها ، وربما ذبح الشاة ، ثم يقطعها أعضاء ، ثم يبيعها في صدائق خديجة ، فربما قلت له : كأن لم يكن في الدنيا إلا خديجة ، فيقول : « إنها كانت وكانت وكان لي منها ولد » متفق عليه .

وفي رواية وإن كان ليذبح الشاة ، فمدي في خلائلها منها ما يسعهن .

وفي رواية كان إذا ذبح الشاة يقول : « أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة » .

وفي رواية قالت : استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فعرف استئذنان خديجة ، فارتاح لذلك فقال : « اللهم هالة بنت خويلد » . قولها : « فارتاح » هو بالحاء وفي الجمع بين الصحيحين للحميدي : « فارتاح » بالعين ومعناه : اهتم به .

345- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : خرجت مع جبر بن عبد الله البجلي رضي الله عنه في سفر ، فكان يخدمني فقلت له : لا تفعل ، فقال : إني قد رأيت الأنصار تصنع برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئاً آليت على نفسي أن لا أصحب أحداً منهم إلا خدمته متفق عليه .

الآثار الواردة في عنوان الباب :

كان ابن عمر إذا قدم مكة نزل على أصحابه ، فيأتيه طعامه من عند دار خالد بن أسيد ، فيأكل من طعامهم ثلاثة أيام ، ثم يقول : احبسوا عنا صدقتكم ، ويقول لنافع : أنفق من عندك الآن . (شرح الزرقاني على الموطأ 4 / 480)

قال النووي : وفي هذا : فضل صلة أصدقاء الأب والإحسان إليهم وإكرامهم وهو متضمن لبر الأب

وإكرامه لكونه بسببه وتلتحق به أصدقاء الأم والأجداد والمشايخ والزوج والزوجة .
(شرح النووي صحيح مسلم 16 / 93)

قال القاري: وإنما كان أبر لأنه إذا حفظ غيبته فهو بحفظ حضوره أولى وإذا راعى أهل وده فكأن مراعاة أهل رحمه أخرى . (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح 8/680)

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

عن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري قال : قدمت المدينة ، فأتاني عبد الله بن عمر فقال : أتدري لم أتيتك ؟ قال : قلت : لا قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من أحب أن يصل أباه في قبره فليصل إخوان أبيه بعده . وأنه كان بين أبي عمرو وبين أبيك إخاء وود فأحببت أن أصل ذلك . (صحيح ابن حبان 2 / 175 - 432 - أخرجه أبو يعلى 3 / 1361) .

43- باب إكرام أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان فضلهم

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً [الأحزاب : 33] ،
وَقَالَ تَعَالَى : وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ [الحج : 32] .

346- وعن يزيد بن حيان قال : انطلقت أنا وحصين بن سبرة ، وعمرو بن مسلم إلى زيد بن أرقم رضي الله عنهم ، فلما جلسنا إليه قال له حصين : لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً ، رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمعت حديثه ، وغزوت معه ، وصليت خلفه : لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً ، حدثتنا يا زيد ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : يا ابن أخي والله لقد كبرت سني ، وقدم عهدي ، ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما حدثتكم ، فاقبلوا ، ومالا فلا تكلفونيهِ ثم قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فينا خطيباً بماءٍ يُدعى حُمَاءَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، فَحَمِدَ اللَّهُ ، وَآثَى عَلَيْهِ ، وَوَعظَ ، وَذَكَرَ ، ثُمَّ قَالَ : «أَمَّا بَعْدُ : أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبُ ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ : أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ ، فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ» فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ ، وَرَغَبَ فِيهِ . ثُمَّ قَالَ « وَأَهْلُ بَيْتِي ، أَذْكَرِكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي ، أَذْكَرِكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي » فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ : وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ يَا زَيْدُ ؟ أَلَيْسَ نَسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ؟ قَالَ : نَسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مِنْ حُرْمِ الصَّدَقَةِ بَعْدَهُ ، قَالَ : وَمَنْ هُمْ ؟ قَالَ : هُمُ آلُ عَلِيٍّ ، وَآلُ عَقِيلٍ ، وَآلُ جَعْفَرٍ ، وَآلُ عَبَّاسٍ ، قَالَ : كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرْمِ الصَّدَقَةِ ؟ قَالَ : نَعَمْ . رواه مسلم . وفي رواية : « أَلَا وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ : أَحَدُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ ، مَنْ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَى الْهُدَى ، وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَى ضَلَالَةٍ » .

347- وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَوْفُوفاً عَلَيْهِ أَنَّهُ قَالَ :
ارْقُبُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ ، رواه البخاري .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

عن عكرمة عن ابن عباس في قوله : إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت قال : نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم خاصة . (تفسير ابن كثير 6 / 410)

عن قتادة قوله : إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً فهم أهل بيت طهرهم الله من السوء وخصهم برحمة منه . قال ابن زيد في قوله : إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً قال : الرجس هاهنا : الشيطان وسوى ذلك من الرجس : الشرك . قال أبي سعيد الخدري : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نزلت هذه الآية في خمسة : وفي علي رضي الله عنه وحسن رضي الله عنه وحسين رضي الله عنه وفاطمة رضي الله عنها : إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً . (تفسير الطبري 20 / 263)

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلي أن أصل من قرابتي . (البخاري 4241 ومسلم 1759)

عن عمر بن الخطاب أنه قال للعباس رضي الله عنهما : والله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب يعني والده لو أسلم لأن إسلامك كان أحب إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب . (طبقات ابن سعد 4 / 22)

قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لسيدة نساء العالمين فاطمة بنت رسول الله عليها وعلى أبيها السلام : يا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان أحد من الناس أحب إلينا من أبيك وما أحد بعد أبيك أحب إلينا منك . (تاريخ بغداد 5/168)

قال رزين بن عبيد : كنت عند ابن عباس رضي الله عنهما فأتى زين العابدين علي بن الحسين فقال له ابن عباس مرحباً بالحبيب ابن الحبيب . (أخرجه أحمد في الفضائل 2 / 777)

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : سيملك في صنفان ، محب مفرط يذهب به الحب إلى غير الحق ، ومبغض مفرط يذهب به البغض إلى غير الحق ، وخير الناس في حال النمط الأوسط فالزموه . (نهج البلاغة خطبة 127 السنة لابن أبي عاصم)

عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة ، إنه لعهد النبي الأمي صلى الله عليه وسلم إلى : (أن لا يحبني إلا مؤمن ، ولا يبغضني إلا منافق) (رواه مسلم رقم (78) ورواه الترمذي (3736)؟)

قال الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم لرجل ممن يغلو في آل البيت : ويحكم أحبونا لله فإن أطعنا الله فأحبونا ، وإن عصينا الله فأبغضونا . فقال الرجل : إنكم ذو قرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم أهل بيته . فقال : ويحكم لو كان الله نافعا بقرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير عمل بطاعته لنفع بذلك من هو أقرب إليه منا أباه وأمه . والله إني لأخاف أن يضاعف الله للعاصي منا العذاب ضعفين . والله إني لأرجو أن يؤتى المحسن منا أجره مرتين . لقد أساء أبأؤنا وأمهاؤنا إن كان ما تقولون من دين الله حقا ثم لم يخبرونا به ولم يطلعونا عليه ولم يرغبونا فيه فنحن والله أقرب منهم قرابة منكم وأوجب عليهم حقا ، وأحق بأن يرغبوا فيه منكم ولو كان الأمر كما تقولون إن الله ورسوله اختار عليا لهذا الأمر وللقيام على الناس بعده ، إن كان علي لأعظم الناس في ذلك خطيئة وجرما إذ ترك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقوم فيه كما أمره ويعذر فيه إلى الناس فقال الرافضي : ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كنت مولاه فعلي مولاه ؟ قال : أما والله لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني بذلك الإمرة والسلطان والقيام على الناس لأفصح لهم بذلك كما أفصح لهم بالصلاة والزكاة وصيام رمضان وحج البيت ولقال لهم : أيها الناس هذا ولي أمركم من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا فما كان من وراء هذا فإن أنصح الناس كان للمسلمين رسول الله صلى الله عليه وسلم . (طبقات بن سعد 5/319)

وسأل رجل ابن عمر رضي الله عنهما عن دم الباعوض فقال ممن أنت قال من أهل العراق قال انظروا إلى هذا يسألني عن دم الباعوض وقد قتلوا ابن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وسمعت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول هما ريحانتاي من الدنيا . (رواه البخاري 5994)

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدث أبي بحديث سفينة فقلت يا آبه ما تقول في التفضيل ؟ قال في الخلافة أبو بكر وعمر وعثمان . فقلت : فعلي بن أبي طالب ؟ قال : يا بني علي بن أبي طالب من أهل بيت لا يقاس بهم أحد . (مناقب الإمام أحمد للجوزي 219)

قال الحسن البرهاري : واعرني لبي هاشم فضلهم لقرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعرف فضل قريش والعرب وجميع الأفخاذ ، فاعرف قدرهم وحقوقهم في الإسلام وموالي القوم منهم وتعرف لسائر الناس حقهم في الإسلام واعرني فضل الأنصار ووصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم وآل الرسول فلا تنساهم واعرني فضلهم وكرامتهم . (شرح السنة 96 - 97)

قال الإمام أبي بكر محمد بن الحسين الاجري : واجب على كل مؤمن ومؤمنة محبة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبنو هاشم : علي بن أبي طالب وولده وذريته ، وفاطمة وولدها وذريتها ، والحسن والحسين وأولادهما وذريتهما ، وجعفر الطيار وولده وذريته ، وحمزة وولده ، والعباس وولده وذريته رضي الله عنهم ، هؤلاء أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واجب على المسلمين محبتهم وإكرامهم واحتمالهم وحسن مداراتهم ، والصبر عليهم ، والدعاء لهم . (الشريعة 5 / 2276) قال سفيان الثوري : لا يجتمع حب عثمان وعلي إلا في قلوب نبلاء الرجال . (تاريخ بغداد 5 / 219)

قال ابن تيمية : ويحبون يعني أهل السنة والجماعة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتولونهم ويحفظون فهم وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال يوم غدیر خم : (أذكركم الله في أهل بيتي) وقال : أيضا للعباس عمه وقد اشتكى إليه أن بعض قریش يجفون بني هاشم فقال والذي نفسي بيده ! لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرابتي وقال : إن الله اصطفى من بني إسماعيل كنانة واصطفى من كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم . ويتولون أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين ويؤمنون بأئمن أزواجه في الآخرة خصوصا خديجة رضي الله عنها أم أكثر أولاده وأول من آمن به وعاضده على أمره ، وكان لها منه المنزلة العالية والصديقة بنت الصديق رضي الله عنها التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام ويتبرؤون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل . (العقيدة الوسطية 9 / 12)

قال الموفق ابن قدامة المقدسي : ومن السنة الترضي عن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين المطهرات المبررات من كل سوء أفضلهم خديجة بنت خويلد وعائشة الصديقة بنت الصديق التي برأها الله في كتابه زوج النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة فمن قذفها بما برأها الله منه فهو كافر . (لمعه الاعتقاد 178)

قول أبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي : ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه الطاهرات من كل دنس وذريته المقدسين من كل رجس فقد برئ من النفاق . (العقيدة الطحاوية شرح ابن أبي العز 467-471)

قال ابن كثير : ولا ننكر الوصاة بأهل البيت والأمر بالإحسان إليهم واحترامهم وإكرامهم ، فإنهم من ذرية طاهرة من أشرف بيت وجد على وجه الأرض فخرا وحسبا ونسبا ولا سيما إذا كانوا متبعين

للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجليلة كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه وعلي وأهل ذريته رضي الله عنهم أجمعين . (تفسير ابن كثير 6 / 199)

قَالَ الشَّافِعِيُّ :

يَا آلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ حُبُّكُمْ *** فَرَضَ مِنَ اللَّهِ فِي الْقُرْآنِ أَنْزَلَهُ
يَكْفِيكُمْ مِنْ عَظِيمِ الْفَخْرِ أَنْتُمْ *** مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْكُمْ لَا صَلَاةَ لَهُ
وَقَالَ أَيْضًا :

إِذَا فِي مَجْلِسٍ نَذَرَ عَلِيًّا *** وَسَبَّيْهِ وَفَاطِمَةَ الزَّكِيَّةَ
يُقَالُ تَجَاوَزُوا يَا قَوْمُ هَذَا *** فَهَذَا مِنْ حَدِيثِ الرَّافِضِيِّ
بَرِئْتُ إِلَى الْمُهَيِّمِينَ مِنْ أَنَا سِ *** يَرُونَ الرَّفَضَ حُبَّ الْفَاطِمِيِّهِ

كَانَ عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانٍ شَاعِرًا شَدِيدًا فِي مَذَهَبِ الصِّفَرِيَّةِ - وَهِيَ فِرْقَةٌ مِنْ فِرْقِ الْخَوَارِجِ وَبَلَغَ مِنْ حُبِّهِ فِي بَعْضِ عِلِّيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ رَأَى عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مُلْجَمٍ قَاتِلَ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ فِي ضَرْبَةٍ عَلِيًّا:

يَا ضَرْبَتَهُ مِنْ مُنِيبٍ مَا أَرَادَ بِهَا *** إِلَّا لِيَبْلُغَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ رِضْوَانَا
إِنِّي لِأَذْكُرُهُ يَوْمًا فَأَحْسَبُهُ *** أَوْفَى الْبَرِيَّةِ عِنْدَ اللَّهِ مِيزَانَا

قَالَ عَبْدُ الْقَاهِرِ: قَدْ أَجَبْنَا عَنْ شِعْرِهِ هَذَا بِقَوْلِنَا:

يَا ضَرْبَتَهُ مِنْ كُفُورٍ مَا اسْتَفَادَ بِهَا *** إِلَّا الْجَزَاءَ بِمَا يُصَلِّيهِ نِيرَانَا
إِنِّي لِأَلْعَنُهُ دِينًا وَأَلْعَنَ مَنْ *** يَرْجُو لَهُ أَبَدًا عَفْوًا وَعُفْرَانَا
ذَلِكَ الشَّقِيُّ لِأَشَقَى النَّاسِ كُلِّهِمْ *** أَحَقُّهُمْ عِنْدَ رَبِّ النَّاسِ مِيزَانَا

وقال آخر في الردِّ عليه: وهو بكر بن حسان الباهريُّ:

«قُلْ لِابْنِ مُلْجَمٍ . وَالْأَقْدَارُ غَالِبَةٌ *** هَدَمْتَ لِلدِّينِ وَالْإِسْلَامِ أَرْكَانَا
فَلَا عَمَّا اللَّهُ عَنْهُ سُوءَ فِعْلَيْتِهِ وَلَا *** سَقَى قَبْرِ عِمْرَانَ بْنَ حِطَّانَا

يَا ضَرْبَةً مِنْ شَقِيٍّ مَا أَرَادَ بِهَا إِلَّا *** لِيَبْلُغَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ رِضْوَانَا
بَلْ ضَرْبَةً مِنْ غَوِيٍّ أَوْرَدْتَهُ لَطَى *** وَسَوْفَ يَلْقَى بِهَا الرَّحْمَنَ غَضَبَانَا

قال عبد الله بن المبارك معارضاً الخارجيَّ عمران بن حِطَّانَ:

إِنِّي أَمْرٌ لَيْسَ فِي دِينِي لِعَامِرَةٍ *** لَيْنٌ وَلَسْتُ عَلَى الْأَسْلَافِ طَعَانَا
وَفِي ذُنُوبِي إِذَا فَكَّرْتُ مُشْتَغَلٌ *** وَفِي مَعَادِييَ إِن لَّمْ أَلْقَ غُفْرَانَا
عَنْ ذِكْرِ قَوْمٍ مَضَوْا كَانُوا لَنَا *** سَلَفًا وَلِلنَّبِيِّ عَلَى الْإِسْلَامِ أَعْوَانَا
وَلَا أَرَا لَهُمْ مُسْتَغْفِرًا أَبَدًا *** كَمَا أَمَرْتُ بِهِ سِرًّا وَإِعْلَانَا
فَمَا الدُّخُولُ عَلَيْهِمْ فِي الَّذِي عَمِلُوا *** بِالطَّعْنِ مِنِّي وَقَدْ فَرَّطْتُ عِصْيَانَا
فَلَا أَسْبُ أَبَا بَكْرٍ وَلَا عَمْرًا *** وَلَا أَسْبُ مَعَاذَ اللَّهِ عُثْمَانَا
وَلَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ أَشْتَمُهُ *** حَتَّى أُلْبَسَ تَحْتَ التُّرْبِ أَكْفَانَا
وَلَا الزُّبَيْرَ حَوَارِيَّ الرَّسُولِ وَلَا *** أَهْدِي لَطْلِحَةَ شَتْمًا عَزَّ أَوْهَانَا
وَلَا أَقُولُ لِأُمَّ الْمُؤْمِنِينَ كَمَا *** قَالَ الْعَوَاهُ لَهَا زُورًا وَبُهْتَانَا
وَلَا أَقُولُ عَلَيَّ فِي السَّحَابِ لَقَدْ *** وَاللَّهِ. قُلْتُ إِذَا جَوْرًا وَعَدْوَانَا
لَوْ كَانَ فِي الْمِزْنِ أَلْقَتُهُ وَمَا حَمَلْتُ *** مُزْنُ السَّحَابِ مِنَ الْأَحْيَاءِ إِنْسَانَا
إِنِّي أَحِبُّ عَلِيًّا حُبَّ مُقْتَصِدٍ *** وَلَا أَرَى دُونَهُ فِي الْفَضْلِ عُثْمَانَا
أَمَّا عَلَيٌّ فَقَدْ كَانَتْ لَهُ قَدَمٌ *** فِي السَّابِقِينَ لَهَا فِي النَّاسِ قَدْ بَانَ
وَكَانَ عُثْمَانُ ذَا صِدْقٍ وَذَا *** وَرَجٍ مَرَّاقِبًا وَجَزَاهُ اللَّهُ غُفْرَانَا
مَا يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْ قَلْبِي مُشَايَعَةً *** لِلْمُبْغِضِينَ عَلِيًّا وَابْنَ عَقَانَا
إِنِّي لَأَمْنَحُهُمْ بُغْضِي عَلَانِيَةً *** وَلَسْتُ أَكْتُمُهُمْ فِي الصَّدْرِ كُتْمَانَا
إِنَّ الْجَمَاعَةَ حَبِلَ اللَّهُ فَاعْتَصِمُوا *** بِهَا هِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى لِمَنْ دَانَا
اللَّهُ يَدْفَعُ بِالسُّلْطَانِ مُعْضَلَةً *** عَنْ دِينِنَا رَحْمَةً مِنْهُ وَرِضْوَانَا

لَوْلَا الْأَيْمَةُ لَمْ يَأْمَنْ لَنَا سُبُلٌ *** وَكَانَ أَضْعَفُنَا نَهْبًا لِأَقْوَانَا

(دِيوَانُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ (28) « الْفَرْقُ بَيْنَ الْفَرْقِ » لِلْبَغْدَادِيِّ (73))

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

وعن عقبة بن الحارث رضي الله عنه قال : صلى أبو بكر رضي الله عنه العصر ثم خرج يمشي فرأى الحسن يلعب مع الصبيان فحملة على عاتقه وقال : بأبي شبيهه بالنبي لا شبيهه بعلي ، وعلي يضحك . (البخاري ح 3542) .

قال عكرمة : تزوج عمر بن الخطاب أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب وهي جارية تلعب مع الجواري فجاء إلى أصحابه فدعوا له بالبركة فقال : إني لم أتزوج من نشاط بي ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي فأحببت أن يكون بيبي وبين نبي الله صلى الله عليه وسلم سبب ونسب . (سنن النسائي 4 / 71)

عن أنس : أن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبدالمطلب ، فقال : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا صلى الله عليه وسلم فنتسقين ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا قال : فيسقون . (البخاري 1010)

أن العباس لما استسقى به عمر قال : اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب ، ولم يكشف إلا بتوبة ، وقد توجه القوم بي إليك لمكاني من نبيك وهذه أيدينا إليك بالذنوب ، ونواصينا إليك بالتوبة فاسقنا الغيث قال : فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض وعاش الناس . (فتح الباري 3/443)

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يأتي إلى بيت بعض الصحابة ليأخذ عنه الحديث فيجده قائلاً فيتوسد رداءه على بابه فتسفي الريح التراب على وجهه فإذا خرج وراءه قال : يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما جاء بك إلا أرسلت إلى فاتيك ؟ . (الطبقات الكبرى 2 / 367)

كان العباس إذا مر بعمر أو بعثمان وهما راكبان نزلا حتى يجاوزهما ، إجلالا لعم رسول الله صلى الله عليه وسلم . (سير أعلام النبلاء 2 / 93)

عن الشعبي قال : صلى زيد بن ثابت رضي الله عنه على جنازة ثم قرب له بغلته ليركبها فجاء ابن عباس رضي الله عنهما فأخذ بركابه فقال زيد : خل عنك يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هكذا نفعل بالعلماء فقبل زيد يد ابن عباس وقال هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا . (طبقات ابن سعد 2 / 360)

روى أن الحسن بن علي دخل على معاوية في مجلسه فقال له معاوية : مرحبا وأهلا بابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرله بثلاثمائة ألف . (البداية والنهاية لابن كثير 2 / 140)

وأيضا أن الحسن والحسين رضي الله عنهما وفدا على معاوية رضي الله عنه فأجازهما بمائتي ألف وقال لهما : ما أجاز بهما أحد قبلي فقال الحسين ولم تعط أحد أفضل منا . (البداية والنهاية 8 / 193)

عن القاضي أبي بكر بن الطيب لما أرسله المسلمون إلى ملك النصارى بالقسطنطينية ، فإنهم عظموه وعرف النصارى قدره ، فخافوا أن لا يسجد للملك إذا دخل ، فأدخلوه من باب صغير ليدخل منحنيا ، ففطن لمكرهم فدخل مستديرا متلقيا لهم بعجزه ، ففعل نقيض ما قصدوه ، ولما جلس وكلموه أراد بعضهم القدح في المسلمين ، فقال له : « ما قيل في عائشة امرأة نبيكم ؟ » يريد إظهار قول الإفك الذي يقوله من يقوله من الرافضة أيضا ، فقال القاضي : « ثنتان قدح فيهما ورميتا بالزنا إفكا وكذبا : مريم وعائشة ، فأما مريم فجاءت بالولد تحمله من غير زوج ، وأما عائشة فلم تأت بولد مع أنه كان لها زوج » . (منهاج السنة النبوية 2 / 56)

44- باب توقيف العلماء والكبار وأهل الفضل

وتقديمهم على غيرهم ، ورفع مجالسهم ، وإظهار مرتبتهم

قَالَ اللهُ تَعَالَى : قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ [الزمر 9]

348- وعن أبي مسعود عُبَيْة بن عمرو البدري الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرَوْهُمْ لِكِتَابِ اللهِ ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً ، فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ ، فَإِنْ كَانُوا فِي السُّنَّةِ سَوَاءً ، فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً ، فَأَقْدَمُهُمْ سِنًا وَلَا يُؤْمَنَنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي سُلْطَانِهِ ، وَلَا يَقْعُدُ فِي بَيْتِهِ عَلَى تَكْرِمَتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ » رواه مسلم . وفي رواية له : « فَأَقْدَمُهُمْ سِلْمًا » بدل « سِنًا » : أي إسلامًا .

وفي رواية : يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرَوْهُمْ لِكِتَابِ اللهِ ، وَأَقْدَمُهُمْ قِرَاءَةً ، فَإِنْ كَانَتْ قِرَاءَتُهُمْ سَوَاءً فَيُؤْمَرُ أَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً ، فَلْيُؤْمَرُ أَكْبَرُهُمْ سِنًا .

والمُرَادُ « بِسُلْطَانِهِ » محلُّ ولايته ، أو الموضع الذي يختصُّ به . « وَتَكْرِمَتُهُ » بفتح التاء وكسر الراء : وهي ما يَنْفَرِدُ بِهِ مِنْ فِرَاشٍ وَسِرِيرٍ وَنَحْوِهِمَا .

349- وعنه قال : كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْسُحُ مَنَاكِبَنَا فِي الصَّلَاةِ وَيَقُولُ : « اسْتَوْوَا وَلَا

تَخْتَلِفُوا ، فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ ، لِيَلِينِي مِنْكُمْ أَوْلُوا الْأَخْلَامَ وَالنُّهَى ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُوتُهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُوتُهُمْ »
رواه مسلم .

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لِيَلِينِي » هُوَ بَتَخْفِيفِ النُّونِ وَلَيْسَ قَبْلَهَا يَاءٌ ، وَرُوي بِتَشْدِيدِ النُّونِ مَعَ يَاءٍ قَبْلَهَا . « وَالنُّهَى » : الْعُقُولُ : « وَأَوْلُوا الْأَخْلَامَ » هُمُ الْبَالِغُونَ ، وَقِيلَ : أَهْلُ الْجِلْمِ وَالْفَضِيلِ .

350- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لِيَلِينِي مِنْكُمْ أَوْلُوا الْأَخْلَامَ وَالنُّهَى ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُوتُهُمْ » ثلاثاً « وَإِيَّاكُمْ وَهَيْشَاتِ الْأَسْوَاقِ » رواه مسلم .

351- وعن أبي يحيى وقيل : أبي مُحَمَّدٍ سَهْلِ بْنِ أَبِي حُثْمَةَ بفتح الحاء المهملة وإسكان التاء المثلثة الأنصاري رضي الله عنه قال : انْطَلَقَ عَبْدُ اللهِ بْنِ سَهْلٍ وَمُحَيِّصَةُ ابْنُ مَسْعُودٍ إِلَى خَيْبَرَ وَهِيَ يَوْمَئِذٍ صُلْحٌ ، فَتَفَرَّقَا . فَأَتَى مُحَيِّصَةُ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ سَهْلٍ وَهُوَ يَتَشَحَّطُ فِي دَمِهِ قَتِيلاً ، فدفنهُ ، ثُمَّ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَأَنْطَلَقَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ سَهْلٍ وَمُحَيِّصَةُ وَحَوِيصَةُ ابْنَا مَسْعُودٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَذَهَبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَتَكَلَّمُ فَقَالَ : « كَبْرُ كَبْرٍ » وَهُوَ أَحَدُ الْقَوْمِ ، فَسَكَتَ ، فَتَكَلَّمَا فَقَالَ : « أَتَخْلِفُونَ وَتَسْتَحِقُّونَ قَاتِلَكُمْ ؟ » وَذَكَرَ تَمَامَ الْحَدِيثِ . متفق عليه . وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كَبْرُ كَبْرٍ » معناه : يَتَكَلَّمُ الْأَكْبَرُ .

352- وعن جابر رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أَحَدٍ يَعْنِي فِي الْقَبْرِ ، ثُمَّ يَقُولُ : « أَهْمَا أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ ؟ » فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ . رواه البخاري .

353- وعن ابن عمر رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « أَرَانِي فِي الْمَنَامِ أَتَسَوَّكُ بِسِوَاكِ ، فَجَاءَنِي رَجُلَانِ ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ ، فَتَأَوَّلْتُ السِّوَاكَ الْأَصْغَرَ ، فَقِيلَ لِي : كَبْرُ ، فَدَفَعْتُهُ إِلَى الْأَكْبَرِ مِنْهُمَا » رواه مسلم مُسْنَدًا وَالبخاريُّ تَعْلِيْقًا

354- وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللهِ تَعَالَى إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْعَالِي فِيهِ ، وَالْجَافِي عَنْهُ وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ » حديثٌ حسنٌ رواه أبو داود .

355- وعن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جدِّه رضي الله عنهم قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَيْسَ مِثْلًا مَنْ لَمْ يَرَحْمَ صَغِيرَتَا ، وَيَعْرِفُ شَرَفَ كَبِيرَتَا » حديثٌ صحيحٌ رواه أبو داود والترمذي ، وقال الترمذي : حديثٌ حسنٌ صحيحٌ . وفي رواية أبي داود « حَقٌّ كَبِيرَنَا » .

356- وعن مَيْمُونِ بْنِ أَبِي شَيْبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَرَّ بِهَا سَائِلٌ، فَأَعْطَتْهُ كِسْرَةً، وَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ عَلَيْهِ ثِيَابٌ وَهَيْئَةٌ، فَأَقْعَدَتْهُ، فَأَكَلَ فَقِيلَ لَهَا فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْزَلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ» رواه أبو داود. لَكِنْ قَالَ: مَيْمُونٌ لَمْ يُدْرِكْ عَائِشَةَ.

وَقَدْ ذَكَرَهُ مُسْلِمٌ فِي أَوَّلِ صَحِيحِهِ تَعْلِيْقًا فَقَالَ: وَذَكَرَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: أَمَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نُنْزِلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ، وَذَكَرَهُ الْحَاكِمُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ «مَعْرِفَةُ عُلُومِ الْحَدِيثِ» وَقَالَ: هُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

357- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قَدِمَ عَيْبَةَ بْنُ حِصْنٍ، فَتَزَلَّ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحُرِّ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِمُهُمْ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ الْقُرَاءُ أَصْحَابَ مَجْلِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ، كُفُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا، فَقَالَ عَيْبَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الْأَمِيرِ، فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ، فَاسْتَأْذَنَ لَهُ، فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَلَمَّا دَخَلَ: قَالَ هِيَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ: فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزَلَ، وَلَا تَحْكُمُ فِينَا بِالْعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

{ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ } وَإِنْ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ. وَاللَّهُ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى. رواه البخاري.

358- وعن أبي سعيدٍ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَقَدْ كُنْتُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غُلَامًا فَكُنْتُ أَحْفَظُ عَنْهُ، فَمَا يَمْتَعْنِي مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا أَنْ هَهْنَا رَجَالًا هُمْ أَسْنُ مِي. متفق عليه

359- وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مَا أَكْرَمَ شَابٌّ شَيْخًا لِسِنِّهِ إِلَّا قَيَّضَ اللَّهُ لَهُ مَنْ يُكْرِمُهُ عِنْدَ سِنِّهِ » رواه الترمذي وقال حديث غريب. معنى « اَرْقُبُوا » رَاعُوهُ وَاحْتَرِمُوهُ وَأَكْرِمُوهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

عن جابر عن أبي جعفر رضوان الله عليه. هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون قال: نحن الذين يعلمون وعدونا الذين لا يعلمون. (تفسير الطبري 21 / 268)

قال قتادة: هل يستوي الذين يعلمون هذا فيعملون به والذين لا يعلمون هذا فلا يعملون به.

قال يحيى: إن الذين يعلمون هم المؤمنون يعلمون أنهم لأقربهم، والذين لا يعلمون هم المشركون

الذين جعلوا لله أندادا . (تفسير الماوردي 5 / 118)

قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون أي : لا يستويان كما لا يستوي العالم والجاهل
إنما يتذكر يتعظ أولو الألباب أصحاب العقول . (تفسير الجلالين 1 / 461)

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

عن ابن عباس : خير سليمان عليه السلام بين العلم والمال والمملك فاختار العلم فأعطي المال والمملك
معه . (تفسير القرطبي 17 / 300)

وقال علي بن أبي طالب : من حق العالم عليك إن أتيته أن تسلم عليه خاصة وعلى القوم عامة ،
وأن تجلس قدامه ، ولا تشير بيديك ولا تغمز بعينيك ، ولا تقل قال فلان خلاف قولك ولا تأخذ بثوبه
ولا تلح عليه في السؤال ، فإنما هو بمنزلة النخلة المرطبة التي لا يزال يسقط عليك منها شيء .
(جامع بيان العلم وفضله 1 / 176)

قال سفيان الثوري : لو أن فقيها على رأس جبل لكان هو الجماعة . (شرح السنة للبغوي 1 / 279)
ويقول أبو زرعة الرازي : كنت عند أحمد بن حنبل فذكر إبراهيم بن طهمان وكان متكئا من علة
مريضا فجلس وقال : لا ينبغي أن يذكر الصالحون فيتكئ . (سير أعلام النبلاء 7 / 381)

قال الإمام أحمد : لحوم العلماء مسمومة من شمهها مرض ومن أكلها مات .
(المعيد في آداب المفيد والمستفيد 71)

قال الحافظ ابن عساكر رحمه الله تعالى : واعلم يا أخي وفقنا الله وإياك لمرضاته وجعلنا ممن
يخشاه ويتقيه حق تقاته - أن لحوم العلماء مسمومة وعادة الله في هتك أستار منتقصهم معلومة
لأن الوقية فيهم بما هم منه براء أمر عظيم والتناول لأعراضهم بالزور والافتراء مرتع وخيم
والاختلاف على من اختاره الله منهم لنعش العلم خلق ذميم . (تبين كذب المفترى ص 28)

وقال أيضا : ومن أطلق لسانه في العلماء بالثلب ابتلاه الله تعالى قبل موته بموت القلب (فليحذر
الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) (النور 63) .
(تبين كذب المفترى ص 28)

قال الحسن : لولا العلماء لصار الناس كاليهائم . (إحياء علوم الدين 1 / 11)

قال الحسن : كانوا يقولون موت العالم ثلثة في الإسلام لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار .

(سنن الدرامي 1 / 107)

عن أبي حنيفة والشافعي قالوا : إن لم يكن الفقهاء أولياء الله فليس لله ولي .
(الفقيه والمتفقه للخطيب 1 / 150)

وعن جعفر بن سليمان قال : سمعت مالك بن دينار يقول : كفى بالمرء شرا أن لا يكون صالحا ،
وهو يقع في الصالحين . (شعب الإيمان للبيهقي 316 / 5)

قال ابن المبارك : من استخف بالعلماء ذهب آخرته ، ومن استخف بالأمرء ذهب ديناه ، ومن
استخف بالإخوان ذهب مروءته . (سير أعلام النبلاء 8 / 408)

وعن الحسن بن علي الخلال قال : كنا عند معتمر بن سليمان يحدثنا ، إذ أقبل ابن المبارك ،
فقطع معتمر حديثه ، فقيل له : حدثنا فقال : أنا لا نتكلم عند كبرائنا . (الجامع للخطيب 1 / 321)

جاء فتى إلى سفيان بن عيينة من خلفه فجذبه ، وقال : يا سفيان ! حدثني ! فالتفت سفيان إليه
وقال : يا بني ! من جهل أقدار الرجال ، فهو بنفسه أجهل . (آداب العشرة للغزي 55)

قال محمد بن سيرين : رأيت عبد الرحمن بن أبي ليلى وأصحابه يعظمونه ويسودونه ويشرفونه
مثل الأمير . (الجامع للخطيب الغدادي 1 / 182)

وكان الأوزاعي إذا سئل عن مسألة وسعيد بن عبد العزيز حاضر قال : سلوا أبا محمد .
(تاريخ دمشق 21 / 200)

وقال الأوزاعي : الناس عندنا أهل العلم . (الدر المنثور للسيوطي 6 / 344)

وجاء عن الأعمش : كنت آتي مجاهدا فيقول : لو كنت أطيق المشي لأتيتك . (وفيات الأعيان 2 / 401)

وقال الإمام أحمد بن الأزري : الوقعة في أهل العلم ولا سيما أكابرهم من كبائر الذنوب .
(الرد الوافر 197)

وقال الأعمش رحمه الله : كنا نهاب إبراهيم كما يهاب الأمير . (تذكرة الحفاظ 1 / 74)

وقال طاووس : إن من السنة توقير العالم . (جامع بيان العلم 1 / 459)

قال ابن القيم : في وصف أهل العلم حيث قال : فقهاء الإسلام ومن دارت الفتيا على أقوالهم بين
الأنام الذين خصوا باستنباط الأحكام وعنوا بضبط قواعد الحلال والحرام فهم في الأرض بمنزلة

النجوم في السماء بهم يهتدي الحيران في الظلماء وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب وطاعتهم أفرض عليهم من طاعة الأمهات والآباء بنص الكتاب قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) (سورة النساء الآية 59) . (إعلام الموقعين عن رب العالمين 9 / 1)

قَالَ الْقَاضِي عَبْدُ الْوَهَّابِ - الْمَالِكِيُّ الْبَغْدَادِيُّ (وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ 3 / 221)

مَتَى تَصِلُ الْعِطَاشُ إِلَى ارْتَوَاءٍ *** إِذَا اسْتَقَّتِ الْبِحَارُ مِنَ الرِّكَايَا!؟

وَمَنْ يُثْنِي الْأَصَاغِرَ عَنْ مُرَادٍ *** وَقَدْ جَلَسَ الْأَكَابِرُ فِي الرِّوَايَا

وَإِنَّ تَرْفَعَ الْوُضْعَاءُ يَوْمًا عَلَى *** الرُّفَعَاءِ مِنْ أَدَى الرِّزَايَا

إِذَا اسْتَوَتْ الْأَسَافِلُ وَالْأَعَالِي *** فَقَدْ طَابَتْ مُنَادِمَةُ الْمَنَايَا

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

قال ابن عباس : مكثت سنتين أريد أن أسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن حديث ما منعي منه إلا هيبتة ، حتى تخلف في حجة أو عمرة في الأراك الذي ببطن مر الظهران لحاجته ، فلما جاء وخلوت به قلت : يا أمير المؤمنين ! أريد أن أسألك عن حديث منذ سنتين ما منعي إلا هيبة لك قال : فلا تفعل ، إذا أردت أن تسألني فسلي ، فإن كان عندي منه أخبرتك وإلا قلت : لا أعلم ، فسألت من يعلم قلت : من المرأتان اللتان ذكرهما الله تعالى أنهما تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : عائشة وحفصة . (جامع بيان العلم 1 / 456)

عن الشعبي قال : أمسك ابن عباس بركاب زيد بن ثابت ، فقال : أتمسك لي وأنت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : أنا هكذا نصنع بالعلماء . (الجامع للخطيب 1 / 188)

قال مجاهد : كنت أصحب ابن عمر في السفر فإذا أردت أن أركب يأتيني فيمسك ركابي فإذا ركبت سوى على ثيابي . قال مجاهد : فجاءني مرة فكأنني كرهت ذلك فقال : يا مجاهد إنك ضيق الخلق . وقال أيضا : ربما أخذ لي ابن عمر بالركاب ، وربما أدخل ابن عباس أصابعه في بطني . (تاريخ دمشق ص 35 / ج 57)

قال الزهري : ما جالست أحدا من العلماء إلا وأرى أني قد أتيت على ما عنده وقد كنت أختلف إلى عروة بن الزبير حتى ما كنت أسمع منه إلا معادا ما خلا عبيد الله بن عبد الله فإنه لم آتة إلا وجدت عنده علما طريفا . (سير أعلام النبلاء 4 / 476)

وجاء عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال : كان يحيى بن سعيد - يعني : الأنصاري - يجالس ربيعة الرأي (شيخ الإمام مالك) فإذا غاب ربيعة حدثهم يحيى أحسن الحديث وكان كثير الحديث فإذا حضر ربيعة كف يحيى إجلالاً لربيعة وليس ربيعة أسن منه ، وهو فيما هو فيه وكان كل واحد منهما مبعجلاً لصاحبه . (سير أعلام النبلاء 6 / 251)

عن هشام بن عروة بن الزبير بن العوام وهو من التابعين أهوى إلى يد أبي جعفر ليقبلها ، يد أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي فمنعه وقال : يا ابن عروة إنا نكرمك عنها ، ونكرمها عن غيرك . (تهذيب الكمال في أسماء الرجال 3 / 240)

وبلغ الثوري وهو بمكة مقدم الأوزاعي فخرج حتى لقيه بذى طوى طرف مكة (يعني في الناحية الآن لربما قريباً من الزاهر) فلما لقيه حل رسن البعير من القطار (يعني القوافل كانت مقطورة ، هذا البعير يربط بهذا البعير) فوضعه على رقبته عالم إمام وضعه على رقبته فجعل يتخلل به فإذا مر بجماعة قال : الطريق للشيخ تواضع ما قال : أنتظر أن يأتيني وأن يبادر هو بزيارتي لا خرج إليه بذى طوى ولوي الحبل على رقبته . (الجرح والتعديل لابن أبي حاتم 1 / 208)

قال أبي الحسن بن العطار : رأيت أحمد بن حنبل يأخذ لداود بن عمرو بالركاب . (سير أعلام النبلاء 11 / 131)

جاء محمد بن أبي بشر إلى الإمام أحمد يسأله عن مسألة فقال : انت أبا عبيد يعني : القاسم بن سلام فإن له بياناً لا تسمعه من غيره ، يقول : فأتيته فشفاني جوابه ، فأخبرته بقول أحمد يعني : أن الإمام أحمد أحالي عليك ، وقال فيك ما قال ، فقال : ذلك رجل من عمال الله نشر الله رداء عمله يعني الله عز وجل أظهر عمله الطيب للناس ، وأن أخفاه هو وذخر له عنده الزلفى ، أما تراه محبباً مألوفاً ؟ ، ما رأيت عيني بالعراق رجلاً اجتمعت فيه خصال هي فيه ، فبارك الله له فيما أعطاه من الحلم والعلم والفهم فإنه لكما قيل : يزينك إما غاب عنك فإن دنا رأيت له وجهاً يسرك مقبلاً يعلم هذا الخلق ما شذ عنهم من الأدب المجهول كهفاً ومعقلاً ويحسن في ذات الإله إذا رأى مضيقاً لأهل الحق لا يسأم البلاء وإخوانه الأذنون كل موفق بصير بأمر الله يسمو على العلا . (سير أعلام النبلاء 201 / 1)

ولما مات سعيد بن أحمد بن حنبل جاء إبراهيم الحربي وهو إمام كبير إلى عبد الله بن أحمد يعزبه فقام إليه عبد الله الحربي فقال ابن الإمام أحمد لعبد الله : تقوم إلى ؟ قال : والله لوراك أبي لقام إليك فقال إبراهيم : والله لو رأى ابن عيينة أبالك لقام إليه ابن عيينة من طبقة أعلى من طبقة الإمام أحمد قبله . (مناقب الإمام أحمد 202)

قال أحمد بن حنبل : ما بت منذ ثلاثين سنة إلا وأنا أدعو إلى الشافعي وأستغفر له ، وقال له ابنه عبد الله يا أبه أي رجل كان الشافعي فإني أسمعك تكثر من الدعاء له قال يا بني كان كالشمس للدينا وكالعافية للناس فانظر هل لهذين من خلف أو منهما من عوض . (المنتظم 10 / 139)

ويقول حاشد بن إسماعيل : كنت بالبصرة فسمعت قدوم محمد بن إسماعيل البخاري فلما قدم قال بندار ، وبنداره هو أحد شيوخ البخاري : اليوم دخل سيد الفقهاء . (تاريخ دمشق 52 / 84)

ويقول محمد : سمعت محمد بن إسماعيل يقول : لما دخلت البصرة صرت إلى مجلس بندار فلما وقع بصره علي قال : من أين الفتى ؟ قلت : من أهل بخارى ، فقال لي : كيف تركت أبا عبد الله يعني البخاري ؟ ما عرفه ، يسأله عن البخاري والبخاري هو الذي أمامه ، كيف تركت أبا عبد الله ؟ ، فأمسكت فقالوا له : يرحمك الله ، هو أبو عبد الله فقام وأخذ بيدي وعانقتي وقال : مرحبا بمن أفتخر به منذ سنين . وقال محمد بن يعقوب الحافظ : سمعت أبي يقول : رأيت مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح بين يدي البخاري يسأله سؤال الصبي تواضعا وتأديبا . (تاريخ بغداد وذيوله 17/2)

وخرج رجل من أصحاب عبد الله بن منير إلى بخاري في حاجة له ، فلما رجع قال له ابن منير : لقيت أبا عبد الله ؟ قال : لا ، فطرده ، وقال : ما فيك بعد هذا خير إذ قدمت بخاري ولم تصر إلى أبي عبد الله محمد بن إسماعيل ، كيف تصل إلى بخارى ولا تقابل محمد بن إسماعيل البخاري صاحب الصحيح رحمه الله ؟ . (تاريخ بغداد وذيوله 20 / 167)

وقال مسلم بن الحجاج لما جاء إلى البخاري مسلم يقول للبخاري : دعني أقبل رجلك يا أستاذ الأستاذين وسيد المحدثين وطبيب الحديث في علله . (تاريخ بغداد 2 / 17)

قال مالك : دخلت على أبي جعفر أمير المؤمنين وقد نزل على مثال له أي فراش فإذا على بساطة دابتان ما تروثان ولا تبولان وجاء صبي يخرج ثم يرجع فقال لي : أتدري من هذا ؟ يعني الخليفة أبو جعفر المنصور وهو من أقوى خلفاء بني العباس يقول للإمام مالك : أتدري من هذا الصبي ؟ قلت : لا قال : هذا ابني وإنما يفزع من هيبتك هذا ولد الخليفة ثم سألتني عن أشياء منها حلال ومنها حرام ثم قال لي : أنت والله أعقل الناس وأعلم الناس قلت لا والله يا أمير المؤمنين . (السير 61 / 8)

ويقول خالد بن عبد السلام الصديقي : شهدت جنازة الليث بن سعد مع والدي فما رأيت جنازة قط أعظم منها ، رأيت الناس كلهم عليهم الحزن ، وهم يعزي بعضهم بعضا ويبكون ، فقلت : يا أبت كان كل واحد من الناس صاحب هذه الجنازة ، فقال : يا بني لا ترى مثله ، يعني ما سترى مثل الليث بن سعد . (سير أعلام النبلاء 8 / 162)

قال أبي عبد الله المعيطي : رأيت أبا بكر بن عياش بمكة فأتاه سفيان ابن عيينة فبرك بين يديه فجعل أبو بكر يقول له : يا سفيان كيف أنت ؟ يا سفيان كيف عيال أبيك ؟ قال : فجاء رجل يسأل سفيان عن حديث فقال سفيان : لا تسألني ما دام هذا الشيخ قاعدا . (الجامع للخطيب 1 / 320)

قال الليث : كان سعيد بن المسيب يركع ركعتين ثم يجلس فيجتمع إليه أبناء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار لا يجترئ أحد منهم أن يسأله عن شيء إلا أن يبتدئهم بحديث أو يجيئه سائل فيسأل فيسمعون . (الجامع للخطيب 1 / 400)

قال عبد الرحمن بن حرمة الأسلمي: ما كان إنسان يجترئ على سعيد بن المسيب يسأله عن شيء حتى يستأذنه كما يستأذن الأمير . (الجامع للخطيب 1 / 184)

45- باب زيارة أهل الخير ومجالستهم وصحبتهم

ومحبتهم وطلب زيارتهم والدعاء منهم وزيارة المواضع الفاضلة

قَالَ اللهُ تَعَالَى : وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا إِلَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَى : قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا؟ [الكهف : 60 - 66] وَقَالَ تَعَالَى : وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ [الكهف : 28] .

360- وعن أنس رضي الله عنه قال : قال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم : انطلق بنا إلى أم أيمن رضي الله عنها نرورها كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ، فلما انتهيا إليها ، بكث ، فقالا لها : ما يبكيك أما تعلمين أن ما عند الله خير لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت : إني لا أبكي أنني لأعلم أن ما عند الله تعالى خير لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء . فهيجتهما على البكاء ، فجعلتا يبكيان معها . رواه مسلم .

361- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « أَنْ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى ، فَأَرَادَ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا ، فَلَمَّا أَتَىٰ عَلَيْهِ قَالَ : أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قَالَ : أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ . قَالَ : هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا عَلَيْهِ ؟ قَالَ : لَا ، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ تَعَالَى ، قَالَ : فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللهُ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ » رواه مسلم .

يقال : « أَرُصِدُهُ » لِكُنَا : إِذَا وَكَلَّهُ بِحِفْظِهِ ، و « الْمُدْرَجَةُ » بفتح الميم والراء : الطَّرِيقُ ومعنى « تَرُبُّهَا » : تَقْوَمُ بِهَا ، وَتَسْعَى فِي صَلَاحِهَا .

362- وعنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ عَادَ مَرِيضاً أَوْ زَارَ أَخاً لَهُ فِي اللَّهِ ، نَادَاهُ مُنَادٍ : بِأَنْ طُبَّتْ ، وَطَابَ مَمْسَاكَ ، وَتَبَوَّأَتْ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلاً » رواه الترمذي وقال: حديث حسن . وفي بعض النسخ غريب .

363- وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « إِنْ مَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَجَلِيسِ السُّوءِ . كَحَامِلِ الْمَسْكِ ، وَنَافِخِ الْكَبِيرِ ، فَحَامِلِ الْمَسْكِ ، إِمَّا أَنْ يُحَدِّثَكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً طَيِّبَةً . وَنَافِخِ الْكَبِيرِ إِمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً مُنْبِتَةً » متفق عليه . « يُحَدِّثَكَ » : يُعْطِيكَ

364- وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « تُنْكِحُ الْمَرْأَةُ لِأَزْجِجِ : بِمَا لَهَا ، وَلِحَسَبِهَا ، وَلِجَمَالِهَا ، وَلِدِينِهَا ، فَاطْفَرُ بَدَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ » متفق عليه . ومعناه : أَنَّ النَّاسَ يَقْصِدُونَ فِي الْعَادَةِ مِنَ الْمَرْأَةِ هَذِهِ الْخِصَالَ الْأَرْجِجِ ، فَاحْرِصْ أَنْتَ عَلَى ذَاتِ الدِّينِ . وَاطْفَرُ بِهَا ، وَاحْرِصْ عَلَى صُحْبَتِهَا .

365- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِجَبْرِيلَ : « مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا ؟ » فَتَرَكْتَ : { وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ } رواه البخاري .

366- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « لَا تُصَاحِبِ إِلَّا مُؤْمِناً ، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ » . رواه أبو داود ، والترمذي بإسناد لا بأس به .

367- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدَكُمْ مَنْ يُخَالِلُ » رواه أبو داود . والترمذي بإسناد صحيح ، وقال الترمذي : حديث حسن

368- وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ » . متفق عليه وفي رواية قال قيل للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم ؟ قال : « المرء مع من أحب » .

369- وعن أنس رضي الله عنه أن أعرابياً قال لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَتَى السَّاعَةُ ؟ قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا أَعْدَدْتُ لَهَا ؟ » قال : حُبَّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ قال : « أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ » . متفق عليه ، وهذا لفظ مسلم

وفي رواية لهما : مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَوْمٍ ، وَلَا صَلَاةٍ ، وَلَا صَدَقَةٍ ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ .

370- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : جاء رجلٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله كيف تقول في رجلٍ أحبَّ قوماً ولم يلحق بهم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المرء مع من أحبَّ » متفقٌ عليه .

371- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « النَّاسُ مُعَادِنُ كَمَعَادِنِ الدَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَهُوا . وَالْأَزْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا انْتَلَفَ ، وَمَا تَنَازَرَ مِنْهَا ، اخْتَلَفَ » رواه مسلم . وروى البخاري قوله : « الْأَزْوَاحُ » إلخ من رواية عائشة رضي الله عنها .

372- وعن أسير بن عمرو ويقال : ابن جابرو وهو « بضم الهمزة وفتح السين المهملة » قال : كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ سَأَلَهُمْ : أَفَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ ؟ حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ رضي الله عنه ، فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : مِنْ مُرَادٍ نَمَّ مِنْ قَرْنٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ ، فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : لَكَ وَالِدَةٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ ، نَمَّ مِنْ قَرْنٍ كَانَ بِهِ بَرَصٌ ، فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِرُّلُو أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِلْبَرَّةِ ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ » فَاسْتَغْفِرُ لِي فَاسْتَغْفَرَ لَهُ . فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : أَيَنْ تُرِيدُ ؟ قَالَ : الْكُوفَةَ ، قَالَ : أَلَا أَكْتُبُ لَكَ إِلَى عَامِلِهَا ؟ قَالَ : أَكُونُ فِي غَبَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ حَجَّ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ فَوَافَى عُمَرَ ، فَسَأَلَهُ عَنْ أُوَيْسٍ ، فَقَالَ : تَرَكْتُهُ رَبَّتَ الْبَيْتَ قَلِيلَ الْمَتَاعِ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : "يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادٍ مِنَ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ ، نَمَّ مِنْ قَرْنٍ ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِرُّلُو أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِلْبَرَّةِ ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ" فَاتَى أُوَيْسًا ، فَقَالَ : اسْتَغْفِرْ لِي ، قَالَ : أَنْتَ أَحَدْتُ عَهْدًا بِسَفَرٍ صَالِحٍ ، فَاسْتَغْفِرْ لِي ، قَالَ : لَقِيتُ عُمَرَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَاسْتَغْفَرَ لَهُ ، فَفَطِنَ لَهُ النَّاسُ ، فَأَنْطَلَقَ عَلَى وَجْهِهِ ، رَوَاهُ مُسْلِمٌ

373- وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : اسْتَأْذَنْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْعُمْرَةِ ، فَأَذِنَ لِي ، وَقَالَ : « لَا تَنْسَنَا يَا أَحْيَى مِنْ دُعَائِكَ » فَقَالَ كَلِمَةً مَا يَسْرُنِي أَنْ لِي بِهَا الدُّنْيَا . وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ : « أَشْرِكْنَا يَا أَحْيَى فِي دُعَائِكَ » . حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

374- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَزُورُ قُبَاءَ رَاكِبًا وَمَاشِيًا ، فَيُصَلِّي فِيهِ رُكْعَتَيْنِ . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . وَفِي رِوَايَةٍ : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِي مَسْجِدَ قُبَاءَ كُلَّ

سَبَبِ رَاكِبًا وَمَاشِيًا وَكَانَ ابْنُ عَمْرٍ يَفْعَلُهُ.

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

قال ابن عباس : وإذ قال موسى لفتاة لا أبرح . يقول : لا أنفك ، ولا أزال ، حتى أبلغ مجمع البحرين . يقول : ملتقى البحرين ، أو أمضي حقبا . يقول : أو أمضي سبعين خريفا ، فلما بلغا مجمع بينهما . يقول : بين البحرين ، نسيا حوتهما . يقول : ذهب منهما فأخطأهما ، وكان حوتا مليحا معهما يحملانه ، فوثب من المكمل إلى الماء ، فكان سبيله في البحر سربا فأنسى الشيطان فتى موسى أن يذكره ، وكان فتى موسى يوشع بن نون ، واتخذ سبيله في البحر عجبا . يقول : موسى عجب من أثر الحوت ودوراته التي غار فيها قال ذلك ما كنا نبغ . قول موسى : فذاك حيث أخبرت أني أجد الخضر حيث يفارقني الحوت فارتداء على آثارهما قصصا . يقول : اتبع موسى ويوشع أثر الحوت في البحر وهما راجعان على ساحل البحر فوجدا عبدا من عبادنا . ويقول فوجدا خضرا ، آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما . قال الله تعالى : وفوق كل ذي علم عليم . (يوسف 76) . فصحب موسى الخضر فكان من شأنهما ما قص الله في كتابه . (تفسير الدر المنثور 9/ 576)

قال سعيد بن جببر : قلت لابن عباس : إن نوحا البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس موسى صاحب بني إسرائيل . قال ابن عباس : كذب عدو الله ؛ حدثنا أبي بن كعب ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إن موسى قام خطيبا في بني إسرائيل ، فسئل : أي الناس أعلم ؟ فقال : أنا . فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه ، فأوحى الله إليه أن لي عبدا بمجمع البحرين وهو أعلم منك . قال موسى : يا رب ، فكيف لي به ؟ قال : تأخذ معك حوتا تجعله في مكمل ، فحيثما فقدت الحوت فهو ثم . فأخذ حوتا فجعله في مكمل ، ثم انطلق وانطلق معه فتاة يوشع بن نون ، حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما ، فاضطرب الحوت في المكمل فخرج منه فسقط في البحر ، فاتخذ سبيله في البحر سربا ، وأمسك الله عن الحوت جريه الماء فصار عليه مثل الطاق ، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت ، فانطلقا بقية يومهما وليتهما ، حتى إذا كان من الغد ، قال موسى لفتاه : آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا . قال : ولم يجد موسى النصب ، حتى جاوز المكان الذي أمره الله به ، فقال له فتاة : رأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما إنسانية إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا . قال : فكان للحوت سربا ، ولموسى ولفتاه عجبا . فقال موسى : ذلك ما كنا نبغ فارتداء على آثارهما قصصا . قال سفيان : يزعم ناس أن تلك الصخرة عندها عين الحياة ، لا يصيب ماؤها ميتا إلا عاش . قال : وكان الحوت قد أكل منه ، فلما قطر عليه الماء عاش ، قال : فرجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة ، فإذا

رجل مسجى بثوب ، فسلم عليه موسى ، فقال الخضر: وأنى بأرضك السلام ! قال : أنا موسى . قال : موسى بني إسرائيل ؟ قال : نعم ، أتيتك لتعلمني مما علمت رشدا قال إنك لن تستطيع معي صبرا . يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت وأنت على علم من علم الله علمك الله لا أعلمه . فقال موسى : ستجدني إن شاء الله صابرا ولا اعصي لك أمرا . فقال له الخضر: فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا . فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت بهما سفينة فكلوهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول فلما ركبا في السفينة لم يفجا إلا والخضر قد قلع لوحا من ألواح السفينة بالقدوم فقال له موسى : قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها ؟ ! لقد جئت شيئا أمرا . قال : ألم أقل أنك لن تستطيع معي صبرا قال : لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا . (تفسير الدر المنثور 9/ 577)

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز من خلفه خضراء . عن ابن عباس قال : الخضر ابن آدم لصلبه ، ونسيء له في أجله حتى يكذب الدجال . (تفسير الدر المنثور 9/ 596)

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قال عمر بن الخطاب : لا تعترض فيما لا يعنيك واعتزل عدوك واحتفظ من خليلك إلا الأمين فإن الأمين من القوم لا يعادله شيء ولا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره ولا تفش إليه سره واستشر في أمرك الذين يخشون الله عزوجل . (حلية الأولياء 1/ 55)

عن ميمون بن مهران قال : قلت لعمر ليلة : يا أمير المؤمنين ، ما بقاؤك على ما أرى ؛ أما في أول الليل : فأنت في حاجات الناس ؛ وأما وسط الليل : فأنت مع جلسائك ؛ وأما آخر الليل : فإله أعلم ما تصير إليه قال : فضرب على كتفي ، وقال : ويحك يا ميمون ، إني وجدت لقيما الرجال تلقحها لألبابهم . (حلية الأولياء 5/ 340)

قال أبي الدرداء : معاتبه الأخ خير لك من فقدته ومن لك بأخيك كله ؟ أعط أخاك ، ولن له ولا تطع فيه حاسدا فتكون مثله غدا يأتيك الموت فيكفيك فقدته ؛ وكيف تبكيه بعد الموت ، وفي حياته ما قد كنت تركت وصله ؟ . (حلية الأولياء 1/ 215 - 216)

قال أبي الدرداء : إن خيركم : الذي يقول لصاحبه : أذهب بنا نصوم قبل أن نموت ؛ وإن شراركم : الذي يقول لصاحبه : أذهب بنا نأكل ، ونشرب ، ونلهو ، قبل أن نموت . (حلية الأولياء 1/ 218)

قال ابن مسعود : أنه سأل أقرانه وأصحابه هل تتزاورون ؟ قالوا : نعم ، حتى إن أحدنا ليزور أخاه في ناحية الكوفة أي : نشتاقي إلى بعضنا البعض فيزور أحدنا صاحبه فأخبرهم أنهم على خير ما داموا على ذلك . (سنن الدارمي)

قال عطاء : دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة فقالت لعبيد بن عمير : قد أن لك أن تزورنا فقال : أقول يا أمه كما قال : الأول : زر غباء تزدد حيا . قال فقالت : دعونا من رطانتكم هذه . (تفسير بن كثير 1 / 347)

قال مالك بن دينار : كل جليس لا تستفيد منه خيرا فاجتنبه . (حلية الأولياء 2 / 372)

وقال مالك بن دينار : كم من رجل يحب أن يلقي أخاه ويزوره فيمنعه من ذلك الشغل والأمر يعرض له عسى الله أن يجمع بينهما في دار لا فرقة فيها ثم يقول مالك وأنا أسأل الله أن يجمع بيننا وبينكم في ظل طوبى ومستراح العابدين . (حلية الأولياء 2 / 362)

قال رجل لإبراهيم بن أدهم : قصدتك يا أبا إسحاق من خراسان لأصحبك فقال له إبراهيم : على أن أكون بمالك أحق به منك ، قال : لا قال إبراهيم : قد صدقتني فنعم الصاحب أنت . (حلية الأولياء 8 / 28)

جاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم يريد صحبتته فقال له إبراهيم : ما معك ؟ فأخرج دراهم فأخذ منها إبراهيم دراهم فقال : أذهب فاشترى لنا موزا ، فقال الرجل : موزا بهذا كله ؟ فقال إبراهيم : ضم دراهمك ، وامض ليس تقوى على صحبتنا . (حلية الأولياء 8 / 11)

قال محمد بن كعب القرظي : قال لي عمر بن عبد العزيز : لا تصحب من الأصحاب من خطرك عنده على قدر قضاء حاجته ، فإذا انقضت حاجته ، انقطعت أسباب مودته ؛ وأصحب من الأصحاب : ذا العلي في الخير ، والأناة في الحق : يعينك على نفسك ، ويكفيك مودته . (حلية الأولياء 5 / 342 - 343)

قال جعونة : استعمل عمر بن عبد العزيز عاملا فبلغه أنه عمل للحجاج فعزله فأتاه يعتذر إليه فقال : لم أعمل له إلا قليلا قال : حسبك من صحبة شريوم أو بعض يوم . (حلية الأولياء 5 / 289)

قال خارجة بن زيد النحوي : دخلت على محمد بن سيرين بيته زائرا فوجدته جالسا بالأرض ، فألقى إلى وسادة ، فقلت له : إني قد رضيت لنفسي ما رضيت لنفسيك (أنت جالس من غير وسادة فأريد أن أجلس من غير وسادة) فقال : إني لا أرضى لك في بيتي ما أرضى به لنفسي ، واجلس حيث تؤمر ،

فَلَعَلَ الرَّجُلَ فِي بَيْتِهِ شَيْءٌ يَكْرَهُ أَنْ تَسْتَقْبِلَهُ ، وَكَذَلِكَ نَهَى النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَنْ رَدِّ الْوَسَائِدِ إِذَا أَعْطَاكَ وَسَادَةٌ لَتَسْتَعْمَلَهَا . (بَهْجَةُ الْمَجَالِسِ وَانْسِ الْمَجَالِسِ 1/53)

قَالَ سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ : كُنَّا لِنَنْفِرَ بِيَوْمِ الْجُمُعَةِ كَانَتْ لَنَا عَجُوزٌ تَأْخُذُ أَصُولَ السَّلْقِ فَتَجْعَلُهُ فِي قَدْرِلِهَا فَتَجْعَلُ فِيهِ حَبَاتٍ مِنْ شَعِيرٍ إِذَا صَلَّيْنَا زُرْنَاهَا فَقَرَّبَتْهُ إِلَيْنَا وَكُنَّا نَنْفِرُ بِيَوْمِ الْجُمُعَةِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَمَا كُنَّا نَتَّغَدَى وَلَا نَقِيلُ إِلَّا بَعْدَ الْجُمُعَةِ وَاللَّهُ مَا فِيهِ شَحْمٌ وَلَا وَدَكٌ . (فَتْحُ الْبَارِيِّ حَدِيثٌ 5088)

قَالَ جَعْفَرُ : سَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ دِينَارٍ يَقُولُ لِلْمَغِيرَةِ بْنِ حَبِيبٍ مَا لَا أَحْصِي وَكَانَ خَتْنُهُ : يَا مَغِيرَةَ كُلِّ أَحْخٍ وَجَلِيسٍ وَصَاحِبٍ لَا تَسْتَفِيدُ مِنْهُ فِي دِينِكَ خَيْرًا فَانْبِذْ عَنْكَ صَحْبَتَهُ . (حَلِيَّةُ الْأَوْلِيَاءِ 6/248)

قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : تَنَاسَى مَسَاوِيَّ الْإِخْوَانِ يَدُمُ لَكَ وَدَهْمٌ . (آدَابُ الْعِشْرَةِ 1/1)

عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ : أَوْصَانِي أَبِي ، فَقَالَ : لَا تَصْحَبْ خَمْسَةَ ، وَلَا تَحَادِثْهُمْ ، وَلَا تَرَفِّقْهُمْ فِي طَرِيقٍ ؛ قَالَ : قُلْتُ : جَعَلْتَ فِدَاكَ يَا أَبَاهُ مِنْ هَؤُلَاءِ الْخَمْسَةِ ؟ قَالَ : لَا تَصْحَبْ فَاسِقًا ، فَإِنَّهُ بَايَعَكَ بِأَكْلَةِ فَمَا دُونَهَا ، قَالَ : قُلْتُ : يَا أَبَاهُ ، وَمَا دُونُهَا ؟ قَالَ : يَطْمَعُ فِيهَا ، ثُمَّ لَا يِنَالُهَا ؛ قَالَ : قُلْتُ : يَا أَبَاهُ ، وَمَنْ الثَّانِي ؟ قَالَ : لَا تَصْحَبِ الْبَخِيلَ ، فَإِنَّهُ يَقْطَعُ بِكَ فِي مَالِهِ أَحْوَجَ مَا كُنْتُ إِلَيْهِ ؛ قَالَ : قُلْتُ : يَا أَبَاهُ ، وَمَنْ الثَّلَاثُ ؟ قَالَ : لَا تَصْحَبِ كَذَابًا ، فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَةِ السَّرَابِ ، يَبْعُدُ مِنْكَ الْقَرِيبَ ، وَيَقْرُبُ مِنْكَ الْبَعِيدَ ؛ قَالَ : قُلْتُ : يَا أَبَاهُ ، وَمَنْ الرَّابِعُ ؟ قَالَ : لَا تَصْحَبِ أَحْمَقَ ، فَإِنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ ، فَيُضْرِكُ ؛ قَالَ : قُلْتُ : يَا أَبَاهُ ، وَمَنْ الْخَامِسُ ؟ قَالَ : لَا تَصْحَبِ قَاطِعَ رَحْمٍ ، فَإِنِّي وَجَدْتُهُ مَلْعُونًا فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ، فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ . (حَلِيَّةُ الْأَوْلِيَاءِ 3/183 - 184)

عَنْ عَبَادِ بْنِ كَلِيبٍ قَالَ : اجْتَمَعَتْ أَنَا وَمُحَمَّدُ بْنُ النَّضْرِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ وَفَضِيلُ بْنُ عِيَاضَ فَصَنَعْنَا طَعَامًا فَلَمْ يَخَالَفْنَا مُحَمَّدُ بْنُ النَّضْرِ فِي شَيْءٍ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : إِنَّكَ لَمْ تَخَالَفْنَا فَقَالَ مُحَمَّدٌ : وَإِذَا صَاحِبَتٌ فَأَصْحَبُ صَاحِبِهَا ذَا حَيَاءٍ وَعَفَافٍ وَكِرْمٍ قَوْلُهُ لَكَ لَا إِنْ قُلْتَ لَا وَإِذَا قُلْتَ نَعَمْ قَالَ نَعَمْ . (حَلِيَّةُ الْأَوْلِيَاءِ 8/222)

قَالَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضَ : إِذَا خَالَطْتَ فَخَالَطَ حَسْنَ الْخَلْقِ : فَإِنَّهُ لَا يَدْعُو إِلَّا إِلَى خَيْرٍ وَصَاحِبِهِ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ : وَلَا تَخَالَطْ سَيِّئَ الْخَلْقِ فَإِنَّهُ لَا يَدْعُو إِلَّا إِلَى شَرٍّ وَصَاحِبِهِ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ . (حَلِيَّةُ الْأَوْلِيَاءِ 8/96)

عَنْ أَبِي الرَّبِيعِ الرَّشْدِيِّ قَالَ : رَأَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ وَهْبٍ دَخَلَ مَسْجِدَ الْفُسْطَاطِ فِي يَوْمٍ مَطِيرٍ ؛ فَجَعَلَ يَطْلُبُ إِنْسَانًا يَجْلِسُ مَعَهُ ، فَجَاءَ إِلَى مَوْخِرِ الْمَسْجِدِ ، فَرَأَى سَعِيدًا الْأَخْرَمَ ؛ فَقَامَ إِلَيْهِ ، فَاعْتَنَقَا جَمِيعًا يَبْكِيَانِ ؛ فَسَمِعْتُ ابْنَ وَهْبٍ يَقُولُ : يَا أَبَا عَثْمَانَ ، ذَهَبَ مِنْ كَانَ إِذَا صَدَدَتْ قُلُوبُنَا جَلَاهَا . (حَلِيَّةُ الْأَوْلِيَاءِ 8/324)

عن ذي النون قال : بالعقول : يجتني ثمر القلوب ، وبحسن الصوت : تستمال أعنة الأبصار ، وبالتوفيق : تنال الحظوة ، وبصحبة الصالحين : تطيب الحياة ؛ والخير مجموع في القرين الصالح : أن نسيت ذكرك ، وإن ذكرت أعانك . (حلية الأولياء 9 / 359)

عن مضاء وأبي صفوان بن عوانة قالا : من أحب رجلا ، وقصر في حقه ، فهو كاذب في حبه ؛ وإذا أراد الله بالشاب خيرا ، وفق له رجلا صالحا . (حلية الأولياء 9 / 325)

عن مجاهد قال : ما من ميت يموت ، إلا عرض عليه أهل مجلسه : إن كان من أهل الذكر ، فمن أهل الذكر ؛ وإن كان من أهل اللهو ، فمن أهل اللهو . (حلية الأولياء 3 / 383)

قال عبد الله بن طاووس : قال لي أبي : يا بني صاحب العقلاء تنسب إليهم وإن لم تكن منهم ولا تصاحب الجهال فتنسب إليهم وإن لم تكن منهم وأعلم أن لكل شيء غاية وغاية المرء حسن خلقه . (حلية الأولياء 4 / 13)

عن عون بن عبد الله قال : صحبت الأغنياء ، فلم يكن أحد أطول غما مني ، فإن رأيت رجلا : أحسن ثيابا مني ، وأطيب ريحا مني ، غمني ذلك ؛ فصحبت الفقراء ، فاسترحمت . (حلية الأولياء 4 / 242 - 243)

عن مطرف بن عبد الله قال : لقاء إخواني أحب إلي من لقاء أهلي ! أهلي يقولون : يا أبي يا أبي وإخواني يدعون الله بدعوة أرجو فيها الخير . (الزهد لأحمد 296)

قال الشافعي : ما أحد إلا وله محب ومبغض فإن كان لا بد من ذلك فليكن المرء مع أهل طاعة الله عزوجل . (حلية الأولياء 9 / 117)

قال حاتم الأصم : قال لي شقيق البلخي : أصحب الناس كما تصحب النارخذ منفعتها واحذر أن تحرقك . (حلية الأولياء 8 / 77)

قال بكر بن محمد العابد : قلت لسفيان الثوري : دلني على رجل أجلس إليه قال : تلك ضالة لا توجد . (حلية الأولياء 7 / 52)

قال محمد بن سوقه : ما استفاد رجل أخا في الله إلا رفعه الله بذلك درجة . (حلية الأولياء 5 / 7)

قال سفيان لمحمد بن المنكدر : ما بقي من لذتك ؟ قال : لقاء الإخوان ، وإدخال السرور عليهم . (حلية الأولياء 3 / 146)

وقال محمد بن علي : لا تجالسوا أصحاب الخصومات فإنهم يخوضون في آيات الله .
(سنن الدارمي 1/83)

قال ابن تيمية موضحا حكم مسألة زيارة الأماكن الفاضلة : لم يشرع الله تعالى للمسلمين مكانا يقصد للصلاة إلا المسجد ، ولا مكانا يقصد للعبادة إلا المشاعر ، فمشاعر الحج ، كعرفة ومزدلفة ومعنى تقصد بالذكر والدعاء والتكبير لا الصلاة ، بخلاف المساجد ، فإنها هي التي تقصد للصلاة ، وما ثم مكان يقصد بعينه إلا المساجد والمشاعر ، وفيها الصلاة والنسك . . . وما سوى ذلك من البقاع فإنه لا يستحب قصد بقعة بعينها للصلاة ولا الدعاء ولا الذكر ، إذ لم يأت في شرع الله ورسوله قصدها لذلك ، وإن كان مسكنا لنبي أو منزلا أو ممرا . فإن الدين أصله متابعة النبي صلى الله عليه وسلم وموافقته بفعل ما أمرنا به وشرعه لنا وسنه لنا ، ونقتدي به في أفعاله التي شرع لنا الاقتداء به فيها ، بخلاف ما كان من خصائصه . فأما الفعل الذي لم يشرعه هولنا ، ولا أمرنا به ، ولا فعله فعلا سن لنا أن نتأسى به فيه ، فهذا ليس من العبادات والقرب ، فاتخاذ هذا قرينة مخالفة له صلى الله عليه وسل . (مجموعة الرسائل والمسائل 5 / 263 - 264)

وقال أيضا : كان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر السابقين الأولين ، من المهاجرين والأنصار ، يذهبون من المدينة إلى مكة حجاجا وعمارا ومسافرين ، ولم ينقل عن أحد منهم أنه تحرى الصلاة في مصليات النبي صلى الله عليه وسلم ، ومعلوم أن هذا لو كان عندهم مستحبا لكانوا إليه أسبق ، فإنهم أعلم بسنته ، وأتبع لها من غيرهم . (اقتضاء الصراط المستقيم 2 / 748)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : (دِيْوَانُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ)

وإذا الصديق رأيتَه متملِّقا	***	فهو العدوُّ ووحقُّه يُتجنَّبُ
لا خيرَ في امرئٍ متملِّقٍ	***	حلو اللسانِ وقلْبُه يُتلَبَّبُ
يلقاك يحلفُ أنه بكِ واثقٌ	***	وإذا توارى عنك فهو العَقْرَبُ
يعطيك من طرفِ اللسانِ حلاوةً	***	ويروغُ منك كما يروغُ الثعلبُ
واخترَ قريتكِ وأطفيه نفاخرًا	***	إنَّ القرينَ إلى المقارنِ يُنسَبُ

قَالَ الشَّافِعِيُّ:

فَمَا كُلُّ مَنْ تَهَوَّاهُ يَهَوَّاكَ قَلْبُهُ	***	وَلَا كُلُّ مَنْ صَافَيْتَهُ لَكَ قَدْ صَفَا
إِذَا لَمْ يَكُنْ صَفْوُ الْوُدَادِ طَبِيعَةً	***	فَلَا خَيْرَ فِي وَدِّ يَجِيءُ تَكَلُّفًا

وَلَا حَيْرَ فِي خَلٍ يَخُونُ خَلِيلَهُ *** وَيَلْقَاهُ مِنْ بَعْدِ الْمَوَدَّةِ بِالْجَفَا
 وَيُنْكِرُ عَيْشاً قَدْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ *** وَيُظْهِرُ سِرّاً كَانَ بِالْأَمْسِ قَدْ خَفَا
 سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا لَمْ يَكُنْ بِهَا *** صَدِيقٌ صَدُوقٌ صَادِقٌ الْوَعْدِ مُنْصِفاً

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّالِفِ :

عن عون بن أبي جحيفة ، عن أبيه ، قال : آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سلمان وبين أبي الدرداء ، فزار سلمان أبا الدرداء ، فرأى أم الدرداء متبذلة ، فقال : ما شأنك متبذلة ؟ قالت : إن أخاك أبا الدرداء ليس له حاجة في الدنيا ، قال : فلما جاء أبو الدرداء قرب إليه طعاما ، فقال : كل فإني صائم ، قال : ما أنا بأكل حتى تأكل ، قال : فأكل ، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم ، فقال له سلمان : نم ، فنام ، ثم ذهب يقوم ، فقال له : نم ، فنام ، فلما كان عند الصبح ، قال له سلمان : قم الآن ، فقاما فصليا ، فقال : إن لنفسك عليك حقا ، ولربك عليك حقا ، ولضيفك عليك حقا ، وإن لأهلك عليك حقا ، فأعط كل ذي حق حقه فأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فذكرا ذلك ، فقال له : صدق سلمان . (البخاري 1968)

قال المعروين سويد : خرجنا مع عمر بن الخطاب ، فعرض لنا في بعض الطريق مسجد ، فابتدره الناس يصلون فيه ، فقال عمر : ما شأنهم ؟ فقالوا : هذا مسجد صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عمر : أيها الناس ، إنما هلك من كان قبلكم باتباعهم مثل هذا ، حتى أحدثوها بيعا ، فمن عرضت له فيه صلاة فليصل ، ومن لم تعرض له فيه صلاة فليمض . (مصنف عبد الرزاق 2 / 118 - 2734)

تردد ثقيل على ظريف وأطال ترداده عليه حتى سئم منه ، فقال له الثقيل : من تراه أشعر الشعراء ؟ فأجاب الظريف : هو ابن الوردي بقوله :

غِبْ وَزُرْ غَيْبًا تَرِدُ حُبًّا فَمَنْ أَكْثَرَ التَّرْدَادِ أَضْنَاهُ الْمَلَكُ

فقال الثقيل : أخطأت ، فإنَّ النجاريَّ أشعرُ منه بقوله :

إِذَا حَقَّقْتَ مِنْ خَلٍ وَدَادًا *** فَزُرْهُ وَلَا تَخَفْ مِنْهُ مَلَالًا

وَكُنْ كَالشَّمْسِ تَطْلُعُ كُلَّ يَوْمٍ وَلَا تَكُ فِي زِيَارَتِهِ هِلَالًا

فأجاب الظريف : إنَّ الحريريَّ أشعرُ منه بقوله :

لَا تَزُرْ مَنْ تُحِبُّ فِي كُلِّ شَهْرٍ *** غَيْرِ يَوْمٍ وَلَا تَزِدْهُ عَلَيْهِ

وَأَنْ لَمْ تُصَدِّقْنِي فَقَدْ *** وَهَبْتُكَ الدَّارِ بِمَا فِيهَا

وَوَخَّرَ وَهُوَ يَقُولُ :

إِذَا حَلَّ الثَّقِيلُ بِأَرْضِ قَوْمٍ *** فَمَا لِلسَّاكِنِينَ سِوَى الرَّحِيلِ . (العقد الفريد 39/1)

46- باب فضل الحب في الله والحث عليه

واعلام الرجل من يحبه أنه يحبه ، وماذا يقول له إذا أعلمه

قَالَ اللهُ تَعَالَى : مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ [الفتح : 29] إِلَى آخِرِ السُّورَةِ ، وَقَالَ تَعَالَى : وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ [الحشر : 9]

375- وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللهُ ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْتَدَفَ فِي النَّارِ » متفقٌ عليه

376- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ : إِمَامٌ عَادِلٌ ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مَعْلُوقٌ بِالْمَسَاجِدِ وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ ، وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ ، فَقَالَ : إِنِّي أَخَافُ اللهُ ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ ، فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ سِمَالَهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهُ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ » متفقٌ عليه .

377- وعنه قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ اللهُ تَعَالَى يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أَيُّنَ الْمُتَحَابِّينَ بِجَلَالِي ؟ الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي » رواه مسلم

378- وعنه قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَوْ لَا أَدَلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ ؟ أَفَشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ » رواه مسلم .

379- وعنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَنْ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى ، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا » وذكر الحديث إلى قوله : « إِنْ اللهُ قَدْ أَحْبَبَكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ » رواه مسلم . وقد سبق بالباب قبله .

380- وعن البراءِ بنِ عازبٍ رضي الله عنهما عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال في الأنصار: « لا يُحِبُّهُمْ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا الْمُنَافِقُونَ مَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللهُ ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللهُ » متفقٌ عليه

381- وعن مُعَاذٍ رضي الله عنه قال : سَمِعْتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلَالِي لَهُمْ مَنَابِرٌ مِنْ نُورٍ يَعْطِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ . رواه الترمذي وقال : حديثٌ حسنٌ صحيحٌ .

382- وعن أبي إدريس الخولاني رحمه الله قال : دَخَلْتُ مَسْجِدَ دِمَشْقَ ، فَإِذَا فَتَى الثَّنَائِيَا وَإِذَا النَّاسُ مَعَهُ ، فَإِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ ، أَسْنَدُوهُ إِلَيْهِ ، وَصَدَرُوا عَنْ رَأْيِهِ ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ ، فَقِيلَ : هَذَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رضي الله عنه ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدِ ، هَجَرْتُ ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي بِالنَّهْجِ ، وَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي ، فَانْتَظَرْتُهُ حَتَّى قَضَى صَلَاتَهُ ، ثُمَّ جِئْتُهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قُلْتُ : وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ لِلَّهِ ، فَقَالَ : اللهُ ؟ فَقُلْتُ : اللهُ ، فَقَالَ : اللهُ ؟ فَقُلْتُ : اللهُ ، فَأَخَذَنِي بِحَبُوءِ رِدَائِي ، فَجَبَدَنِي إِلَيْهِ ، فَقَالَ : أَبَشِرْ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : « قَالَ اللهُ تَعَالَى وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ ، وَالْمُتَبَادِلِينَ فِيَّ » حديثٌ صحيحٌ رواه مالكٌ في الموطأ بإسناده الصحيح .

قَوْلُهُ « هَجَرْتُ » أَي بَكَرْتُ ، وَهُوَ بِتَشْدِيدِ الْجِيمِ قَوْلُهُ : « اللهُ فَقُلْتُ : اللهُ » الأَوَّلُ بهَمْزَةٌ مَمْدُودَةٌ لِلِاسْتِفْهَامِ وَالثَّانِي بِلَا مَدٍ .

383- عن أبي كريمة المقداد بن معد يكرب رضي الله عنه عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال « إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ ، فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ » رواه أبو داود ، والترمذي وقال : حديثٌ حسنٌ .

384- وعن مُعَاذٍ رضي الله عنه أَنَّ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ بِيَدِهِ وَقَالَ : « يَا مُعَاذُ وَاللَّهِ ، إِنِّي لِأُحِبُّكَ ثُمَّ أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدْعَنَّ فِي ذُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ : اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ » حديثٌ صحيحٌ ، رواه أبو داود والنسائي بإسناد صحيح .

385- وعن أنسٍ ، رضي الله عنه ، أَنَّ رَجُلًا كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَرَّ بِهِ ، فَقَالَ : يَا رسولَ اللهِ إِنِّي لِأُحِبُّ هَذَا فَقَالَ لَهُ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَأَعْلَمْتَهُ ؟ » قَالَ : لَا قَالَ : « أَعْلَمْتَهُ » فَالْحَقَّهُ ، فَقَالَ : إِنِّي أُحِبُّكَ فِي اللهِ فَقَالَ : أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ . رواه أبو داود بإسنادٍ صحيح .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

قال ابن عباس : كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يهود خيبر : بسم الله الرحمن الرحيم من

محمد رسول الله صاحب موسى وأخيه المصدق لما جاء به موسى ألا إن الله قد قال لكم يا معشر أهل التوراة ، وإنكم لتجدون ذلك في كتابكم محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم إلى آخر السورة . عن ابن عباس ذلك مثلهم في التوراة يعني : نعمتهم مكتوب في التوراة والإنجيل قبل أن يخلق الله السماوات والأرض عن ابن عباس في قوله : سيماهم في وجوههم من أثر السجود قال : صلاتهم تبدو في وجوههم يوم القيامة ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطاه قال : سنبله حين يتسلف نباته عن حباته فأزره يقول : نباته مع التفافه حين يسنبل ، فهذا مثل ضربة الله لأهل الكتاب إذا خرج قوم ينبتون كما ينبت الزرع يتسلف فيهم رجال يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ثم يغلظون ، فهم الذين كانوا معهم وهو مثل ضربة الله لمحمد صلى الله عليه وسلم يقول : يبعث الله النبي وحده ثم يجتمع إليه ناس قليل يؤمنون به ثم يكون القليل كثيرا ويستغلظون ويغيظ الله بهم الكفار ، يعجب الزراع من كثرته وحسن نباته . عن ابن عباس محمد رسول الله والذين معه أبو بكر أشداء على الكفار عمر رحماء بينهم عثمان تراهم ركعا سجدا علي يتغون فضلا من الله ورضوانا طلحة والزبير سيماهم في وجوههم من أثر السجود عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وأبو عبيدة بن الجراح ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطاه فأزره بأبي بكر فاستغلظ بعمر فاستوى على سوقه : بعثمان يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار بعلي وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات جميع أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . عن قتادة في قوله : رحماء بينهم . قال : جعل الله في قلوبهم الرحمة بعضهم لبعض سيماهم في وجوههم من أثر السجود قال : علامتهم الصلاة ذلك مثلهم في التوراة قال : هذا المثل في التوراة ومثلهم في الإنجيل قال : هذا مثل آخر كزرع أخرج شطاه قال : هذا نعت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في الإنجيل قيل له : إنه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يخرج منهم قوم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. (تفسير الدر المنثور 13/ 523)

عن قتادة في قوله : والذين تبوءوا الدار والإيمان إلى آخر الآية قال : هم هذا الحي من الأنصار ، أسلموا في ديارهم ، فابتنوا المساجد قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين ، وأحسن الله عليهم الثناء في ذلك ، وهاتان الطائفتان الأولتان من هذه الأمة أخذتا بفضلهما ، ومضتا على مهلهما ، وأثبت الله حظهما في هذا الفيء ، ثم ذكر الطائفة الثالثة ، فقال : والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا إلى آخر الآية ، قال : إنما أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يؤمروا بسبهم . قال عمر : أوصي الخليفة بعدي بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم حرمتهم وأوصيه بالأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبل أن يهاجر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقبل من محسنتهم ، ويعفو عن مسيئتهم .

عن زيد بن أسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : للمدينة عشرة أسماء ؛ هي المدينة ، وهي طيبة ، وطابة ، ومسكينة ، وجابرة ، ومجبورة ، ويندد ، ويثرب ، والدار. (الدر المنثور 14 / 368)

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إذا رزقكم الله عز وجل مودة امرئ مسلم فتشبثوا بها . (الإخوان لابن أبي الدنيا 107)

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه : يذكر الرجل من إخوانه في بعض الليل ، فيقول : يا طولها من ليلة فإذا صلى المكتوبة غدا إليه فإذا التقيا عانقه . (كتاب الإخوان لابن أبي الدنيا 134)

ولما أتى عمر رضي الله عنه : الشام استقبله أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه وفاض إليه أما ، فالتزمه عمر وقبل يده وجعل يبكيان . (كتاب الإخوان 182)

وقال أيضا : عليك بإخوان الصديق فعش في أكنافهم فإنهم زينة في الرخاء وعدة في البلاء . (كتاب الإخوان لابن أبي الدنيا 84)

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقبل رأس أبي بكر الصديق . (كتاب الإخوان 199)

ورئي على علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثوب كأنه يكثر لبسه ، فقيل له فيه فقال : هذا كسانيه خليلي وصفي عمر بن الخطاب ، إن عمر ناصح الله فنصحه الله . (مصنف ابن أبي شيبة 6 / 356)

قال عمر بن الخطاب : ثلاث يصفين لك ود أخيك : أن تسلم عليه إذا لقيته أولا وتوسع له في المجلس وتدعوه بأحب أسمائه إليه . (إحياء علوم الدين 2 / 181)

قال علي رضي الله عنه : عليكم بالإخوان فإنهم عدة في الدنيا والآخرة ألا تسمع إلى قول أهل النار فما لنا من شافعين . ولا صديق حميم . (مرقاة المفاتيح حديث 5087 ص 3181)

يقول أبو الدرداء : ما أنصف إخواننا الأغنياء ، يحبوننا في الله ويفارقوننا في الدنيا ، إذا لقيته قال : أحبك يا أبا الدرداء ، فإذا احتجت إليه في شيء امتنع مني . (الزهد لابن المبارك 232)

قال أبي الدرداء : إني لأستغفر لسبعين من إخواني في سجودي اسمهم بأسماء آبائهم . (سير أعلام النبلاء 9 / 56)

قال ابن عباس : أحب إخواني إلى الذي إذا أتيته قبلني وإذا غبت عنه عذرتني . (الإخوان 113)

قال مجاهد : مر على عبد الله بن عباس رجل فقال : إن هذا يحبني . فقيل : أني علمت ذلك ؟ قال :
إني أحبه . (كتاب الإخوان لابن أبي الدنيا 127)

وكان ابن مسعود إذا خرج إلى أصحابه قال : أنتم جلاء حزني . (كتاب الإخوان 135)

عن علي بن الحسين رحمه الله قال : فقد الأعبة غربة . (حلية الأولياء 3 / 134)

وقال الحسن : يا ابن آدم لا يغرنك قول من يقول المرء مع من أحب فإنك لن تلحق الأبرار إلا
بأعمالهم فإن اليهود والنصارى يحبون أنبياءهم وليسوا معهم . (إحياء علوم الدين 2 / 140)

قال الحسن البصري : إخواننا أحب إلينا من أهلينا ، إخواننا يذكروننا بالآخرة وأهلونا يذكروننا
بالدنيا ومن صفاتهم الإيثار . (إحياء علوم الدين 2 / 176)

قال أبو سليمان الدارني لو أن الدنيا كلها لي فجعلتها في فم أخ من إخواني لاستقلتها له .

وقال أيضا : أني لألتم اللقمة أبا من إخواني فأجد طعمها في حلقي . (إحياء علوم الدين 2 / 174)

وقال محمد بن واسع : لا خير في صحبة الأصحاب ومحاذئة الإخوان إذا كانوا عبيد بطونهم : لأنهم
إذا كانوا كذلك ثبط بعضهم بعضا عن الآخرة . (أخرج ابن أبي الدنيا 100)

وقال رجل لمحمد بن واسع : اني لأحبك في الله فقال : أحبك الذي أحببتني له . ثم حول وجهه وقال :
اللهم اني أعوذ بك أن أحب فيك وأنت لي مبغض . (إحياء علوم الدين 2 / 140 - 141)

قال علقمة العطاردي في وصيته لابنه حين حضرته الوفاة قال : يا بني إذا عرضت لك إلى صحبة
الرجال حاجة فأصحب من إذا خدمته صانك وإن صحبته زانك وإن قعدت بك مؤنة مانك
أصحب من إذا مددت يدك بخير مدها وإن رأى منك حسنة عدها وإن رأى سيئة سدها أصحب من
إذا سألته أعطاك وإن سكت ابتدأك وإن نزلت بك نازلة وأسأك أصحب من إذا قلت صدق قولك
وإن حاولت ما أمرا أمرك وإن تنازعتما أترك . (إحياء علوم الدين 2 / 171)

قال أبو إدريس الخولاني لمعاذ : اني أحبك في الله قال : أبشر ثم أبشر فإني سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول : ينصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر
ليلة البدر يفرح الناس وهم لا يفرعون ويخاف الناس وهم لا يخافون وهم أولياء الله الذين لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون فقيل من هم يا رسول الله ؟ قال : هم المتحابون في الله تعالى .

(إحياء علوم الدين 2 / 158)

قال أبي الحسن بن قريش : حضرت إبراهيم الحربي وجاءه يوسف القاضي ومعه ابن عمر فقال له : يا أبا إسحاق لو جئناك على مقدار واجب حقك لكنت أوقاتنا كلنا عندك فقال : ليس كل غيبة جفوة ولا كل لقاء مودة وإنما هو تقارب القلوب . (سير أعلام النبلاء 13 / 358)

قال المأمون : الإخوان ثلاثة : أحدهم مثله مثل الغذاء لا يستغنى عنه والآخر مثله مثلا لدواء يحتاج إليه في وقت دون وقت والثالث مثله مثل الداء لا يحتاج إليه قط ولكن العبد قد يبتلى به وهو الذي لا أنس فيه ولا نفع . (إحياء علوم الدين 2 / 172) وقال ابن عيينة : سمعت مساور الوراق يحلف بالله عز وجل ما كنت أقول لرجل إني أحبك في الله عز وجل فامنعه شيئا من الدنيا . (الإخوان لابن أبي الدنيا 202) قال ميمون بن مهران : من لم تنتفع بصداقته لم تضرك عداوته . (إحياء علوم الدين 2 / 175)

وقال رجل لشهر بن حوشب : إني لأحبك قال : ولم لا تحبني وأنا أخوك في كتاب الله ، ووزيرك على دين الله ، ومؤنتي على غيرك . (عيون الأخبار لابن قتيبة 3 / 15)

وكان أبو جعفر محمد بن علي يقول لأصحابه : يدخل أحدكم يده في كم صاحبه ويأخذ ما يريد ؟ قلنا : لا . قال : فلستم بإخوان كما تزعمون . (كتاب الإخوان 203)

وكان بلال بن سعد الأشعري يقول : أخ لك كلما لقيك ذكرك بحظك من الله خير لك من أخ كلما لقيك وضع في كفك ديناراً . (كتاب الإخوان لابن أبي الدنيا 136)

قال أبي قلابة : إذا بلغك عن أخيك شيء تكرهه فالتمس له العذر جهداً ، فإن لم تجد له عذراً فقل في نفسك : لعل لأخي عذراً لا أعلمه . (صفة الصفوة 2 / 140)

قال ابن السماك عند موته : اللهم إنك تعلم أي إذا كنت أعصيك كنت أحب من يطيعك فاجعل ذلك قرينة لي إليك . (إحياء علوم الدين 2 / 140)

وقال الثعالبي : المحبة ثمن لكل شيء وأن غلا ، وسلم إلى كل شيء وإن علا . (سحر البلاغة 130)

وقال يحيى بن معاذ : حقيقة المحبة لا يزيدنها البر ولا ينقصها الجفاء . (محاضرات الأدباء 2 / 411) وقال الجنيد : إذا صحت المحبة سقطت شروط الأدب . (لباب الآداب لأسامة بن منقذ 231) وسئل الإمام أحمد عن الحب في الله فقال : ألا تحبه لطمع في دنياه . (طبقات الحنابلة 1 / 57)

قال أبي حازم المدني : إذا أحببت أخا في الله فأقل مخالطته في دنياه . (حلية الأولياء 3 / 244)

وكان المحدث القارئ طلحة بن مصرف إذا لقي مالك بن مغول يقول له : للقياك أحب إلي من

(حلية الأولياء 5 / 17) العسل .

قال عثمان بن حكيم الأودي : أصحب من هو فوقك في الدين ودونك في الدنيا . (الإخوان 96)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (الْمُسْتَطْرَفَ لِلْأَبْشِيهِئِ 231)

عَلَيْكَ بِإِخْوَانِ الصَّفَاءِ فَإِنَّهُمْ عِمَادٌ *** إِذَا اسْتَنْجَدْتَهُمْ وَظَهُرَ

وَإِنَّ قَلِيلًا أَلْفَ خَلٍ وَصَاحِبٍ *** وَإِنَّ عَدُوًّا وَاحِدًا كَثِيرٍ

الآثارُ العمليَّةُ في حياة السلف :

ودخل رجل من أصحاب الحسن البصري عليه ، فوجده نائما على سريره ووجد عند رأسه سلة فيها فاكهة ففتحها فجعل يأكل منها ، فانتبه ، فرأى الرجل يأكل ، فقال : رحمك الله هذا والله فعل الأخيار . (كتاب الإخوان 245)

وقال أبو خلدة : دخلنا على ابن سيرين أنا وعبد الله بن عون ، فرحب بنا ، وقال : ما أدري كيف أتحنفكم ؟ كل رجل منكم في بيته خبز ولحم ، ولكن سأطعمكم شيئا لا أراه في بيوتكم . فجاء بشهده ، وكان يقطع بالسكين ويطعمنا . (كتاب الإخوان 239)

وكان مالك بن دينار يقول : لا يتفق اثنان في عشرة إلا وفي أحدهما وصف من الآخر وإن أجناس الناس كأجناس الطيور ولا يتفق نوعان من الطير في الطيران إلا وبينهما مناسبة قال فرأى يوما غرابا مع حمامة فعجب من ذلك فقال : اتفقا وليسا من شكل واحد ثم طارا فإذا هما أعرجان فقال : من ههنا اتفقا . (إحياء علوم الدين 2 / 162)

قال ابن الفضيل : أتيت أبا إسحاق السبعي بعدما كف بصره ، قال : قلت : تعرفني ؟ قال : فضيل ؟ قلت : نعم قال : إني والله أحبك ، لولا الحياء منك لقبلتك فضمني إلى صدره ثم قال : حدثني الأحوص عن عبد الله : (لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألقت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم) (الأنفال 63) قال : نزلت في المتحايين . (مسند ابن الجعد 74)

قال أحمد بن سنان القطان : سمعت مهدي بن حسان يقول كان عبد الرحمن بن مهدي يكون عند سفیان عشرة أيام وخمسة عشر يوما بالليل والنهار يقول : فإذا جاءنا ساعة جاءنا رسول سفیان في أثره يطلبه فيدعنا وينذهب إليه . (سير أعلام النبلاء للذهبي 9 / 201)

قال معمر : احتبس طاوس بن كيسان على رفيق له حتى فاته الحج وهو في انتظاره . (الحلية 10 / 4)

47- باب علامات حب الله تعالى للعبد والحث على التخلق بها والسعي في تحصيلها

قَالَ اللهُ تَعَالَى : قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ [آل عمران : 31] ، وَقَالَ تَعَالَى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَسِعَ عَلِيمٌ [المائدة : 54] .

386- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا ، فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالتَّوَّافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي أُعْطِيتُهُ ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِذَنَّهُ » رواه البخاري .

معنى « آذَنْتُهُ » : أَعْلَمْتُهُ بِأَنِّي مُحَارِبٌ لَهُ . وقوله : « اسْتَعَاذَنِي » روي بالباء وروي بالنون .

387- وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « إِذَا أَحَبَّ اللهُ تَعَالَى الْعَبْدَ ، نَادَى جِبْرِيْلَ : إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُحِبُّ فُلَانًا ، فَأَحْبِبْهُ ، فَأَحْبِبْهُ ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيْلُ ، فَيُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ : إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا ، فَأَحْبِبُوهُ ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ » متفقٌ عليه .

وفي رواية لمسلم : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيْلَ ، فَقَالَ : إِنِّي أَحْبَبْتُ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيْلُ ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ ، فَيَقُولُ : إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا ، فَأَحْبِبُوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيْلَ ، فَيَقُولُ : إِنِّي أَبْغَضْتُ فُلَانًا ، فَأَبْغِضْهُ ، فَيَبْغِضُهُ جِبْرِيْلُ ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ : إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ فُلَانًا ، فَأَبْغِضُوهُ ، فَيَبْغِضُهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ » .

388- وعن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رجلاً على سرية فكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم ، فيختم بـ { قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ } فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : « سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ ؟ » فَسَأَلُوهُ ، فَقَالَ : لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ فَأَنَا أَحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى يُحِبُّهُ » متفقٌ عليه .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية :

عن الحسن قال : إن أقواما كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يزعمون أنهم يحبون الله

فأراد الله أن يجعل لقولهم تصديقا من عمل ، فقال : إن كنتم تحبون الله الآية . فكان اتباع محمد صلى الله عليه وسلم تصديقا لقولهم . (تفسير الدر المنثور 3 / 509)

عن الحسن في قوله : فاتبعوني بحبيبكم الله . قال : فكان علامة حبه إياهم اتباع سنة رسوله . (تفسير الدر المنثور 3 / 511)

عن الحسن في قوله : يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قال : هذا والله أبو بكر وأصحابه . (تفسير الطبري 10 / 411)

عن قتادة : من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه . إلى قوله : والله واسع عليم . أنزل الله هذه الآية وقد علم أن سيرتد مرتدون من الناس ، فلما قبض الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ، ارتد عامة العرب عن الإسلام إلا ثلاثة مساجد : أهل المدينة ، وأهل مكة ، وأهل البحرين من عبد القيس قالوا : نصلي ولا نزيك والله لا تغصب أموالنا ! فكلم أبو بكر في ذلك فقليل له : إنهم لو قد فقهوا لهذا أعطوها أو : أدوها فقال : لا والله لا أفرق بين شيء جمع الله بينه ، ولو منعوا عقالا مما فرض الله ورسوله لقاتلناهم عليه فبعث الله عصابة مع أبي بكر ، فقاتل على ما قاتل عليه نبي الله صلى الله عليه وسلم حتى سبى وقتل وحرق بالنيران أناسا ارتدوا عن الإسلام ومنعوا الزكاة فقاتلهم حتى أقرروا بالماعون وهي الزكاة صغره أقمياء . فأتته وفود العرب ، فخيرهم بين خطة مخزية أو حرب مجلية . فاختراروا الخطة المخزية وكانت أهون عليهم أن يقرروا : إن قتلهم في النار وأن قتلى المؤمنين في الجنة وأن ما أصابوا من المسلمين من مال ردوه عليهم ، وما أصاب المسلمون لهم من مال فهو لهم حلال . (تفسير الطبري 10 / 411)

عن جابر بن عبد الله قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله : فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قال : هؤلاء قوم من أهل اليمن ، ثم من كنده ، ثم من السكون ، ثم من تجيب . (تفسير الدر المنثور 5 / 355)

عن علي في قوله : أدلة على المؤمنين قال : أهل رقة على أهل دينهم ، أعزة على الكافرين قال : أهل غلظة على من خالفهم في دينهم . عن مجاهد في قوله : أعزة على الكافرين قال : أشداء عليهم ، وفي قوله : يجاهدون في سبيل الله قال : يسارعون في الحرب . (تفسير الدر المنثور 5 / 356)

أَثَارُ الْوَارِدَةِ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قال محمد بن أحمد الشمشاطي : سمعت ذا النون المصري يقول : إن لله عبادا ملأ قلوبهم من صفاء : محض محبته ، وهيج أرواحهم ، بالشوق إلى رؤيته ، فسبحان من شوق إليه أنفسهم ،

وأدنى منه همهم ، وصفت له صدورهم ؛ سبحان موفقهم ، ومؤنس وحشتهم ، وطيب أسقامهم ؛
إلهي : لك تواضعت أبدانهم ، منك إلى الزيادة انبسطت أيديهم ، ما طيبت به عيشهم ، وأدمت به
نعيمهم ، فأذقتهم من حلاوة الفهم عنك ، ففتحت لهم أبواب سماواتك ، وأتحت لهم الجوازي في
ملكوتك ؛ بك أنست محبة المحبين ، وعليك معول شوق المشتاقين ، وإليك حنت قلوب العارفين ،
وبك أنست قلوب الصادقين ، وعليك عكفت رهبة الخائفين ، وبك استجارت أفئدة المقصرين ؛
قد بسطت الراحة من فتورهم ، وقل طمع الغفلة فهم ، لا يسكنون إلى محادثة الفكرة فيما لا
يعنيهم ، ولا يفترون عن التعب والسهو ؛ يناجونه بألستهم ، ويتضرعون إليه بمسكنتهم ، يسألونه
العفو عن زلاتهم ، والصفح عما وقع الخطأ به في أعمالهم ؛ فهم الذين ذابت قلوبهم بفكر الأحران ،
وخدموه خدمة الأبرار ، الذين تدفقت قلوبهم بیره ، وعاملوه بخالص من سره ؛ حتى خفيت
أعمالهم عن الحفظة ، فوقع بهم ما أملوا من عفوهم ، ووصلوا بها إلى ما أرادوا من محبته ؛ فهم والله
الزهاد ، والسادة من العباد ، الذين حملوا أثقال الزمان ، فلم يأملوا بحملها ؛ وفقوا في مواطن
الامتحان ، فلم تزل أقدامهم عن مواضعها ، حتى مال بهم الدهر ، وهانت عليهم المصائب ، وذهبوا
بالصدق والإخلاص عن الدنيا ؛ إلهي ، فيك نالوا ما أملوا ، كنت لهم سيدي مؤيدا ، ولعقولهم
مؤيدا ؛ حتى أوصلتهم أنت إلى مقام الصادقين في عملك ، وإلى منازل المخلصين في معرفتك ؛ فهم
إلى ما عند سيدهم متطلعون ، وإلى ما عنده من وعيده ناظرون ؛ ذهب الآلام عن أبدانهم ، لما
أذاقهم من حلاوة مناجاته ، ولما أفادهم من ظرائف الفوائد من عنده ؛ فيا حسنهم والليل قد
أقبل بحنادس ظلمته ، وهدأت عنهم أصوات خليقته ، وقدموا إلى سيدهم الذين له يأملون ؛ فلو
رأيت أيها البطل أحدهم ، وقد قام إلى صلاته وقراءته ؛ فلما وقف في محرابه ، وأستفتح كلام
سيدة : خطر على قلبه أن ذلك المقام ، هو المقام الذي يقوم فيه الناس لرب العالمين ؛ فانخلع قلبه
، وذهل عقله ؛ فقلوبهم في ملكوت السماوات معلقة ، وأبدانهم بين أيدي الخلائق عارية ،
وهمومهم بالفكر دائمة ؛ فما ظنك بأقوام أخيار أبرار ، وقد خرجوا من رق الغفلة ، واستراحوا من
وثائق الفترة ، وأنسوا بيقين المعرفة ، وسكنوا إلى روح الجهاد والمراقبة بلغنا الله وإياكم هذه
الدرجة . (حلية الأولياء 9 / 339 - 340)

سئل ذوالنون عن المحبة فقال : أن تحب ما أحب الله ، وتبغض ما أبغض الله ، وتفعل الخير كله ،
وترفض كل ما يشغل عن الله وأن لا تخاف في الله لومة لائم مع العطف للمؤمنين والغلظة
للكافرين واتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدين . (حلية الأولياء 9 / 394)

قال عبد الله بن ميمون : سمعت ذا النون يقول : قل لمن أظهر حب الله : أحذر أن تذلل لغير الله ؛
ومن علامة المحب لله : أن لا يكون له حاجة إلى غير الله . (حلية الأولياء 9 / 373)

قال الفضيل بن عياض : إذا أحب الله عبدا أكثر غمه (شغله باخرته) وإذا أبغض الله عبدا : أوسع عليه دنياه (شغله بدنياه) . (حلية الأولياء 8 / 88)

سأل رجل الفضيل بن عياض فقال : يا أبا علي متى يبلغ الرجل غايته من حب الله تعالى ؛ فقال له الفضيل : إذا كان عطاؤه ومنعه إياك عندك سواء ، فقد بلغت الغاية من حبه . (الحلية 8 / 113)

عن الحسين بن زياد قال : أخذ فضيل بن عياض بيدي ، فقال : يا حسين ينزل الله تعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا فيقول الرب : من ادعى محبتي إذا جنة الليل نام عني ؟ أليس كل حبيب يحب خلوة حبيبه ؟ ها أنا ذا مطلع على أحبائي إذا جهنم الليل مثلت نفسي بين أعينهم فخطبوني على المشاهدة ، وكلموني على حضوري غدا أقر أعين أحبائي في جناتي . (حلية الأولياء 8 / 99 - 100)

قال أبي يزيد البسطامي : ليس العجب من حيي لك وأنا عبد فقير إنما العجب من حبك لي وأنت ملك قدير . (حلية الأولياء 10 / 34)

عن أبي يزيد البسطامي قال : غلظت في ابتدائي في أربعة أشياء : توهمت أني أذكره ، وأعرفه ، وأحبه ، وأطلبه ؛ فلما انتهيت رأيت ذكره سبق ذكري ، ومعرفته سبقت معرفتي ومحبته أقدم من محبتي ، وطلبه لي أولا حتى طلبته . (حلية الأولياء 10 / 34)

عن أبي عبد الله الساجي قال : الذي جعل الله المعرفة عنده : يتنعم مع الله في كل أحواله ؛ قال وسمعت الساجي يقول : لو لم يكن لله ثواب يرجى ، ولا عقاب يخشى ؛ لكان أهلا أن يطاع فلا يعصى ، ويذكر فلا ينسى ، ولا رغبة في ثواب ، ولا رهبة من عقاب ، ولكن لحنة ، وهي أعلى الدرجات ؛ أما تسمع موسى عليه السلام يقول : (وعجلت إليك رب لترضى) (طه 84) . فاننظم الثواب والعقاب ، لأن من عبد الله على حبه : أشرف عند الله ممن عمل على خوفه ، ومثل ذلك في الدنيا ؛ أين من أطاعك على خوف منك . (حلية الأولياء 9 / 314)

قال الحسن البصري : ادعى ناس محبة الله عزوجل فابتلاهم بهذه الآية : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني) (ال عمران 31) . (تفسير ابن كثير 2 / 33)

قال السري السقطي : للمريد عشر مقامات : التحبب إلى الله بالنافلة ، والتزين عنده بنصيحة الأمة والأنس بكلام الله ، والصبر على أحكامه والأثرة لأمره والحياء من نظرة وبذل المجهود في محبوه ، والرضا بالقلّة ، والقناعة بالخمول . (حلية الأولياء 10 / 117)

عن إبراهيم بن أدهم ، أنه قال ذات يوم : لو أن العباد علموا حب الله عزوجل : لقل مطعمهم ،

ومشربهم ، وملبسهم ، وحرصهم وذلك : أن ملائكة الله : أحبوا الله ، فاشتغلوا بعبادته عن غيره ، حتى أن منهم : قائما ، وراكعا ، وساجدا منذ خلق الله تعالى الدنيا ، ما التفت إلى من عن يمينه وشماله ، اشتغالا بالله عز وجل ، وبخدمته . (حلية الأولياء 8 / 36)

كان القاسم بن عثمان الجوعى يقول : أصل المحبة : المعرفة ، وأصل الطاعة : التصديق ، وأصل الخوف : المراقبة ، وأصل المعاصي : طول الأمل ، وحب الرئاسة : أصل كل موقعة . (حلية الأولياء 9 / 323)

عن أبي جعفر المصري قال : قال الله تعالى : معشر المتوجبين إلى بحبي : ما ضرركم ما فاتكم من الدنيا ، إذا كنت لكم حضا ؟ ؛ وما ضرركم من عاداكم : إذا كنت لكم سلما . (حلية الأولياء 10 / 19)

عن عبد الله بن أبي داود قال سمعت بكر بن عبد الله يقول إذا كنت مع صاحب لك يمشي فتخلف يبول فلم تقم عليه حتى يقضي بوله فلست له بصاحب وإذا ما انقطع شسعه فقام يصلحه فلم تقم عليه فلست له بصاحب . (مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا ص 94 رقم 292)

قال عباد بن الوليد القرشي : كان عمرو بن عبيد يصل إخوانه بالدنانير والدرهم حتى ربما نزع ثوبه فيدفعه إلى بعضهم ويقول ما أعدل بركم شيئا . (مكارم الأخلاق ص 98 رقم 309)

عن مالك بن دينار قال : إن القلب المحب لله : يحب النصب لله عز وجل . (حلية الأولياء 2 / 232)

قال يحيى بن معاذ : ليس بصادق من ادعى حبه ، ولم يحفظ حده . (حلية الأولياء 10 / 67)

أَثَارُ الْعَمَلِيَّةِ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

قال محمد بن زياد : اجتمع رجال من الأخيار أو قال : العلماء والعباد ، وذكروا الموت فقال بعضهم : لولا أنه أتاني أت أو ملك الموت فقال : أيكم سبق إلى هذا العمود ، فوضع عليه يده مات لرجوت أن لا يسبقني إليه أحد منكم : شوقا إلى لقاء الله . (حلية الأولياء 6 / 112)

الصلت بن بسطام التيمي عن أبيه قال : رأيت طلحة بن مصرف يخرج من زقاق ضيق في التيم فقلت من أين يجيء طلحة قالوا يأتي أم عمارة بن عمير يبرها بالنفقة والكسوة والصلة قال وذاك بعد موت عمارة ببضع عشرة سنة قال وكانت أم عمارة أعجمية . (مكارم الأخلاق 98 رقم 310)

48- باب التحذير من إيذاء الصالحين والضعفة والمساكين

قَالَ اللهُ تَعَالَى : وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا كَتَبْنَا فَكَيْدٍ أَحْتَمِلُوا هُتَاتِنَا وَإِثْمًا مُبِينًا [الأحزاب : 58] وَقَالَ تَعَالَى : فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ [الضحى : 9-10] . وأما الأحاديث فكثيرة منها حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي الْبَابِ قَبْلَ هَذَا (انظر الحديث رقم 385) (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب) ومنها حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ السَّابِقُ (انظر الحديث رقم 260) فِي بَابِ مَلَاطِفَةِ الْيَتِيمِ، وَقَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (يَا أَبَا بَكْرٍ لَنْ كُنْتُ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتُ رَبَّكَ) (انظر الحديث رقم 261)

389- وَعَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ صَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ ، فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللهِ ، فَلَا يَطْلُبُنَّكُمْ اللهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ ، فَإِنَّهُ مَنْ يَطْلُبُهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ ، يُدْرِكُهُ ، ثُمَّ يَكْبُئُهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ » رواه مسلم .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

عَنْ قِتَادَةَ فِي الْآيَةِ قَالَ : إِيَّاكُمْ وَأَذَى الْمُؤْمِنِ فَإِنَّ اللهُ يَحُوطُهُ وَيَغْضِبُ لَهُ ، وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَرَأَهَا ذَاتَ يَوْمٍ فَأَفْزَعَهُ ذَلِكَ ، حَتَّى ذَهَبَ إِلَى أَبِي بِنِ كَعْبٍ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ : يَا أَبَا الْمُنْذِرِ ، أَنِّي قَرَأْتُ آيَةَ مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى فَوَقَعَتْ مِنِّي كُلَّ مَوْجِعٍ : وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللهُ إِنِّي لِأَعَاقِبُهُمْ وَأَضْرِبُهُمْ . فَقَالَ لَهُ : إِنَّكَ لَسْتَ مِنْهُمْ ، إِنَّمَا أَنْتَ مُؤَدِّبٌ إِنَّمَا أَنْتَ مُعَلِّمٌ . عَنْ ابْنِ عَمْرٍو : وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِلَى قَوْلِهِ : وَإِثْمًا مُبِينًا قَالَ : فَكَيْفَ بِمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ ! يَضَاعَفُ لَهُمُ الْأَجْرُ . (تفسير الدر المنثور 12 / 138)

وَقَالَ الضَّحَّاكُ ، وَالْكَلْبِيُّ : نَزَلَتْ فِي الزَّانَةِ الَّذِينَ كَانُوا يَمْشُونَ فِي طَرِيقِ الْمَدِينَةِ يَتْبَعُونَ النِّسَاءَ إِذَا بَرَزْنَ بِاللَّيْلِ لِقَضَاءِ حَوَائِجِهِنَّ ، فَيَغْمِزُونَ الْمَرْأَةَ ، فَإِنْ سَكَتَتْ اتَّبَعُوهَا ، وَإِنْ زَجَرْتَهُمْ انْتَهَوْا عَنْهَا ، وَلَمْ يَكُونُوا يَطْلُبُونَ إِلَّا الْإِمَاءَ ، وَلَكِنْ كَانُوا لَا يَعْرِفُونَ الْحُرَّةَ مِنَ الْأُمَّةِ لِأَنَّ زِيَّ الْكُلِّ كَانَ وَاحِدًا ، يَخْرُجْنَ فِي دَرَعٍ وَخِمَارٍ ، الْحُرَّةُ وَالْأُمَّةُ ، فَشَكُونُ ذَلِكَ إِلَى أَزْوَاجِهِنَّ ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ الْآيَةَ . ثُمَّ نَهَى الْجَرَائِرَ أَنْ يَتَشَبَهْنَ بِالْإِمَاءِ فَقَالَ جَلْ ذَكَرَهُ : يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِلزَّوْجِكِ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيهِنَّ . جَمَعَ الْجَلَابِيَّاتِ ، وَهُوَ الْمَلَاءَةُ الَّتِي تَشْتَمَلُ بِهَا الْمَرْأَةُ فَوْقَ الدَّرَعِ وَالْخِمَارِ . (تفسير البغوي 6

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال رجل لعمر بن عبد العزيز: اجعل كبير المسلمين عندك أبا وصغيرهم ابنا وأوسطهم أخا فأبي أولئك تحب أن تسيء إليه ؟ . (جامع العلوم والحكم 294)

قال الربيع بن خثيم : الناس رجلان : مؤمن فلا تؤذّه وجاهل فلا تجاهله . (آداب العشرة 15)

قال الشافعي : الخير في خمسة : غنى النفس ، وكف الأذى ، وكسب الحلال ، والتقوى ، والثقة بالله . (سير أعلام النبلاء 10 / 97) .

قال يحيى بن معاذ الرازي : ليكون حظ المؤمن منك ثلاثة : إن لم تنفعه فلا تضره ، وإن لم تفرحه فلا تغمه ، وإن لم تمدحه فلا تدمه . (جامع العلوم والحكم 294)

لما قدم حاتم الأصم إلى أحمد بن حنبل قال له : أحمد بعد بشاشته به : أخبرني كيف التلخص إلى السلامة ؟ فقال له حاتم : بثلاثة أشياء . فقال أحمد : ما هي ؟ قال : تعطيهم مالك ، ولا تأخذ ما لهم ، وتقضي حقوقهم ولا تطالبهم بقضاء حقوقك ، وتصبر على أذاهم ولا تؤذهم . فقال أحمد : إنها لصعبه قال حاتم : وليتك تسلم . (سوء الخلق محمد بن إبراهيم الحمد 1 / 13)

قال ابن القيم : من العجب أن الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام والظلم والزنا والسرقة وشرب الخمر ومن النظر المحرم وغير ذلك ، ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه ، حتى إن الرجل يشار إليه بالدين والزهد والعبادة وهو يتكلم بالكلمات من سخط الله لا يلقي لها بالا يزل بالكلمة الواحدة منها أبعد مما بين المشرق والمغرب وكم ترى من رجل متورع عن الفواحش والظلم ولسانه يفري في أعراض الأحياء والأموات ولا يبالي ما يقول . (الجواب الكافي 1 / 111)

قال ابن رجب رحمه الله : تضمنت النصوص أن المسلم لا يحل إيصال الأذى إليه بوجه من الوجوه من قول أو فعل بغير حق . (جامع العلوم والحكم 294)

قَالَ طَلْحَةَ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ : (اَلْحُلْمُ لِإِنِّ أَبِي الدِّنْيَا ص 73)

فَلَا تُعْجَلْ عَلَى أَحَدٍ يَظْلَمُ *** فَإِنَّ الظُّلْمَ مَرْتَعُهُ وَخَيْمٌ

وَلَا تُفْحَشْ وَإِنْ مُلِنْتَ غَيْطًا *** عَلَى أَحَدٍ فَإِنَّ الفُحْشَ لَوَمٌ

الآثار العملية في حياة السلف :

قال أنس بن مالك : ما رأيت أحدا كان أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان

إبراهيم مسترضعا له في عوالي المدينة " النبي صلى الله عليه وسلم وكل بإبراهيم من يرضعه في منطقة العوالي في المدينة فكان من رحمته صلى الله عليه وسلم بولده قال أنس : كان ينطلق ونحن معه فيدخل البيت وإنه ليدخن وكان ظئره قينا " (الظئر المرصعة التي كانت ترضعه أمة) فيأخذه فيقبله ثم يرجع ، فلما توفي إبراهيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن إبراهيم ابني وأنه مات في الثدي يعني : أثناء الرضاع وإنه له لظئرين تكملان رضاعة في الجنة . (رواه مسلم 2316)

قال عبد الرحمن بن عوف لعمر بن الخطاب حينما أتاه يكلمه في أن يلين لهم لأنه أخاف الناس حتى خاف الأبرار في خدورهن ، فقال : إني لا أجد لهم إلا ذلك ، والله لو أنهم يعلمون ما لهم عندي ، من الرأفة ، والرحمة ، والشفقة ، لأخذوا ثوبي عن عاتقي . (المجالسة وجواهر العلم 4 / 43)

أبو برزة الأسلمي رضي الله عنه من رحمته أنه كان له جفنة (القصعة) من ثريد ، غدوه ، وجفنة عشية ، للأرامل واليتامى والمساكين . (تاريخ دمشق 66 / 62)

49- باب إجراء أحكام الناس على الظاهر وسرائرهم إلى الله تعالى

قَالَ اللهُ تَعَالَى : فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ [التوبة : 5]

390- وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى » متفقٌ عليه

391- وعن أبي عبد الله طارق بن أشيم ، رضي الله عنه ، قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقولُ : « مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَكَفَّرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، حَرَّمَ مَالُهُ وَدَمُّهُ ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى » رواه مسلم .

392- وعن أبي معبد المزداد بن الأسود ، رضي الله عنه ، قال : قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أَرَأَيْتَ إِنْ لَقِيتُ رَجُلًا مِنَ الْكُفَّارِ ، فَاقْتَتَلْنَا ، فَضَرَبَ إِحْدَى يَدَيْيَ بِالسَّيْفِ ، فَقَطَعَهَا ثُمَّ لَأَذَ مِنِّي بِشَجْرَةٍ ، فَقَالَ : أَسَلَمْتُ لِلَّهِ ، أَأَقْتُلُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بَعْدَ أَنْ قَالَهَا ؟ فَقَالَ : « لَا تَقْتُلُهُ » ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَطَعَ إِحْدَى يَدَيْيَ ، ثُمَّ قَالَ ذَلِكَ بَعْدَمَا قَطَعَهَا ؟ فَقَالَ : « لَا تَقْتُلُهُ ، فَإِنْ قَتَلْتَهُ ، فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ قَبْلَ أَنْ تَقْتُلَهُ . وَإِنَّكَ بِمَنْزِلَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ الَّتِي قَالَ » متفقٌ عليه .

ومعنى « إِنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ » أَي : مَعْصُومُ الدَّمِّ مَحْكُومٌ بِإِسْلَامِهِ ، وَمَعْنَى « إِنَّكَ بِمَنْزِلَتِهِ » أَي : مُبَاحُ الدَّمِّ بِالْقِصَاصِ لَوْرَثَتِهِ ، لَا أَنَّهُ بِمَنْزِلَتِهِ فِي الْكُفْرِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

393- وعن أسامة بن زَيْدٍ ، رضي الله عنهما ، قال : بعثنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الحُرَقَةِ مِنْ جُهَيْنَةَ ، فَصَبَّحْنَا الْقَوْمَ عَلَى مِيَاهِهِمْ ، وَلَجِئْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا غَشِينَاهُ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، فَكَفَّ عَنْهُ الْأَنْصَارِيُّ ، وَطَعَنَتْهُ بِرِمِيحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ ، فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ ، بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لِي : « يَا أُسَامَةُ أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ؟ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّمَا كَانَ مُتَعَوِّذًا ، فَقَالَ : « أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟ » ، فَمَا زَالَ يُكْرِزُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ . متفقٌ عليه

وفي رواية : فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَقَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَقَتَلْتَهُ ؟ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السَّلَاحِ ، قَالَ : « أَفَلَا شَقِقتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا؟ » ، فَمَا زَالَ يُكْرِزُهَا حَتَّى تَمَنَيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ . « الحرقه » بضم الحاء المهملة وفتح الراء: بطن من جهينة القبيلة المعروفة وقوله متعوذاً: أي معتصماً بها من القتل لا معتقداً لها .

394- وعن جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ، رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ بَعْثًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ إِلَى قَوْمٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَأَتَهُمُ التَّقْوَا ، فَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِذَا شَاءَ أَنْ يَقْصِدَ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصِدَ لَهُ فَقَتَلَهُ ، وَأَنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصِدَ غَفْلَتَهُ ، وَكُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّهُ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَلَمَّا رَفَعَ عَلَيْهِ السَّيْفَ ، قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، فَقَتَلَهُ ، فَجَاءَ الْبَشِيرُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَسَأَلَهُ ، وَأَخْبَرَهُ ، حَتَّى أَخْبَرَهُ خَبَرَ الرَّجُلِ كَيْفَ صَنَعَ ، فَدَعَاهُ فَسَأَلَهُ ، فَقَالَ : « لِمَ قَتَلْتَهُ ؟ » فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ أَوْجَعَ فِي الْمُسْلِمِينَ ، وَقَتَلَ فُلَانًا وَفُلَانًا وَسَمَى لَهُ نَفْرًا وَإِنِّي حَمَلْتُ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا رَأَى السَّيْفَ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ . قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَقَتَلْتَهُ ؟ » قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : « وَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ » قَالَ يَا رَسُولَ اللهِ اسْتَغْفِرُنِي . قَالَ : « وَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ » فَجَعَلَ لَا يَزِيدُ عَلَيَّ أَنْ يَقُولَ : « كَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » رواه مسلم

395- وعن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال : سمعتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، رضي الله عنه يقول : « إِنَّ نَاسًا كَانُوا يُؤْخَدُونَ بِالْوَحْيِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِنَّ الْوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ ، وَإِنَّمَا نَأْخُذُكُمْ الْآنَ بِمَا ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ ، فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْرًا ، أَمَّنَّاهُ ، وَقَرِينَاهُ وَلَيْسَ لَنَا مِنْ سَرِيرَتِهِ شَيْءٌ ، اللهُ يُحَاسِبُهُ فِي سَرِيرَتِهِ ، وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا سُوءًا ، لَمْ نَأْمَنْهُ ، وَلَمْ نُصَدِّقْهُ وَإِنْ قَالَ إِنَّ سَرِيرَتَهُ حَسَنَةٌ » رواه البخاري .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

قال عبد الله بن مسعود : أمرتم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ومن لم يرك فلا صلاة له . وقال عبد

الرحمن بن زيد : أبى الله أن يقبل الصلاة إلا بالزكاة وقال : يرحم الله أبا بكر ما كان أفقهه .
(تفسير بن كثير 4 / 111)

فإن تابوا من الشرك و أقاموا الصلاة و أتوا الزكاة فخلوا سبيلهم يقول : دعوهم فليتصرفوا في أمصارهم ويدخلوا مكة إن الله غفور لمن تاب رحيم به . (تفسير البغوى 4 / 14)

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قال يحيى بن أبي كثير : قال سليمان بن داود عليه السلام لا تحكموا على أحد بشيء حتى تنظروا من يخادن . (الإبانة 2 / 480 رقم 514)

وعن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال : سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، يقول : إن ناسا كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن الوحي قد انقطع ، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم ، فمن أظهر لنا خيرا ، أمناه وقريناه ، وليس لنا من سريرته شيء ، الله يحاسبه في سريرته ، ومن أظهر لنا سوءا ، لم نأمنه ، ولم نصدقه وإن قال : إن سريرته حسنة . (البخاري رقم 2498)

قال ابن مسعود رضي الله عنه : اعتبروا الناس بأخدانهم المسلم يتبع المسلم والفاجر يتبع الفاجر .
(الإبانة الكبرى 2 / 477 رقم 502)

وقال ابن مسعود : إنما يمشي الرجل ويصاحب من يحبه ومن هو مثله . (الإبانة 2 / 476 رقم 499)

وقال أيضا : اعتبروا الأرض بأسمائها و اعتبروا الصاحب بالصاحب . (الإبانة 2 / 479 رقم 509)

قال الإمام الشافعي : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لم يقض إلا بالظاهر فالحكام بعده أولى أن لا يقضوا إلا على الظاهر ولا يعلم السرائر إلا الله عز وجل . (الأم للشافعي 1 / 297)

قال أبو داود السجستاني : قلت لأبي عبد الله أحمد بن حنبل : أرى رجلا من أهل السنة مع رجل من أهل البدعة أترك كلامه قال : لا أوتعلمه أن الرجل الذي رأيت معه صاحب بدعة فإن ترك كلامه فكلمه وإلا فألحقه به . (طبقات الحنابلة 1 / 160)

قال معاذ بن معاذ رحمه الله : قلت ليحيى بن سعيد : يا أبا سعيد الرجل وإن كنتم رأيته لم يخف ذلك في ابنه ولا صديقه ولا جليسه . (الإبانة الكبرى 2 / 480 رقم 514)

قال أبو حاتم : وقدم موسى بن عقبة الصوري بغداد فذكر لأحمد بن حنبل فقال : أنظروا على من

نزل وإلى من يأوي . (الإبانة الكبرى 2 / 480 رقم 514)

قال قتادة : أنا والله ما رأينا الرجل يصاحب من الناس إلا مثله وشكله فصاحبوا الصالحين من عباد الله لعلكم أن تكونوا معهم أو مثلهم . (الإبانة الكبرى 2 / 477 رقم 500)

قال شعبة : وجدت مكتوبا عندي : إنما يصاحب الرجل من يحب . (الإبانة 2 / 452 رقم 419)

قال محمد بن عبيد الله الغلابي : يتكاتف أهل الأهواء كل شيء إلا التآلف والصحبة . (الإبانة لابن بطة 1/205 رقم 44)

قال عتبة الغلام : من لم يكن معنا فهو علينا . (الإبانة لابن بطة 2 / 437 رقم 487)

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : وفيه أن أمور الناس محمولة على الظاهر فمن أظهر شعار الدين أجريت عليه أحكام أهله ما لم يظهر منه خلاف ذلك . (فتح الباري 1 / 496)

قال ابن بطال : وقد أجمعوا أن أحكام الدين على الظاهر وإلى الله السرائر . (شرح ابن بطال 16 / 122)

قال القرطبي : وأجمع العلماء أن أحكام الدنيا على الظاهر ، وأن السرائر إلى الله عز وجل . (الجامع لأحكام القرآن 12 / 203)

قال ابن بطة : فانظروا رحمكم الله من تصحبون وإلى من تجلسون واعرفوا كل إنسان بخدنه وكل أحد بصاحبه . (الإبانة رقم 46)

قال بدر الدين العيني : فإذا دخل رجل غريب في بلد من بلاد المسلمين بدين أو مذهب في الباطن غير أنه عليه زي المسلمين حمل على ظاهر أمره على أنه مسلم حتى يظهر خلاف ذلك . (عمدة القاري 6 / 337)

قَالَ الشَّاعِرُ: (صَبِيْدُ الْأَفْكَارِ مُحَمَّدُ الْمُهْدَى 1 / 505)

مَا يَسْتَرِيحُ الْمُسِيءُ ظَنًّا *** مِنْ طَوْلِ غَمٍّ وَمَا يَرَى

الْأَثَارَ الْعَمَلِيَّةَ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

عن كرز بن علقمة قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران ستون راكبا منهم : أربعة وعشرون رجلا من أشرفهم والأربعة والعشرون منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم :

العاقب أمير القوم وذو رأيهم وصاحب مشورتهم والذي لا يصدر عن رأيه وأمره واسمه عبد المسيح والسيد : ثمالهم صاحب رحلهم ومجتمعهم واسمه الأيهم وأبو حارثة بن علقمة أخو بني بكر بن وائل أسقفهم وحرهم وإمامهم وصاحب مدارسهم وكان أبو حارثة قد شرف فيهم ودرس كتبهم وكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه ومولوه وأخدموه وبنوا له الكنائس وبسطوا عليه الكرامات لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم فلما وجهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من نجران جلس أبو حارثة على بغلة له موجهة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى جنبه أخ له يقال له : كرز بن علقمة يسايره إذ عثرت بغلة أبي حارثة فقال له كرز : تعس الأبعد يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أبو حارثة : بل أنت تعست فقال : ولم يا أخي ؟ فقال : والله إنه النبي الأمي الذي كنا ننتظره فقال له كرز : فما يمنعك من اتباعه وأنت تعلم هذا ؟ فقال : ما صنع بنا هؤلاء القوم : شرفونا ومولونا وأكرمونا وقد أبوا إلا خلافه ولو فعلت نزعوا منا كل ما ترى فأضمر عليها منه أخوه كرز بن علقمة حتى أسلم بعد ذلك . (زاد المعاد لابن القيم 3 / 549)

دخل الربيع بن سليمان تلميذ الشافعي على الشافعي وهو مريض فقال له : قوى الله ضعفك فقال الشافعي : لو قوى الله ضعفي لقتلني فقال الربيع : والله ما أردت إلا الخير فقال الشافعي : أعلم أنك لو شتمتني لم ترد إلا الخير . (أدب الشافعي للرازي 27 - 274)

قال يحيى بن سعيد القطان لما قدم سفيان الثوري البصرة ، جعل ينظر إلى أمر الربيع بن صبيح وقدرة عند الناس ، سئل : أي شيء مذهبه ؟ ، قالوا : ما مذهبه إلا السنة قال : من بطانته ؟ قالوا : أهل القدر قال : هو قدرى . (الإبانة 2 / 453 رقم 421)

دعي أيوب السختياني إلى غسل ميت فخرج مع القوم فلما كشف عن وجه الميت عرفه فقال : أقبّلوا قبل صاحبكم فلست أغسله رأيت يماشي صاحب بدعة . (الإبانة 2 / 478 رقم 503)

50 - باب الخوف

قَالَ اللهُ تَعَالَى : وَإِذَا يَوْمَ فَارَهُبُونَ [البقرة : 40] ، وَقَالَ تَعَالَى : إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ [البروج : 12] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ وَمَا نُوْخِرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدُّودٍ يَوْمَ يَأْتُ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَوَقَّعْنَا فِيهِمُ النَّارَ لَمْ يَخْرُجُوا مِنْهَا يَوْمَ يَقْرَأُ الْمُرءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ [عبس : 34-37] ،

وَقَالَ تَعَالَى : يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلَّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ [الحج : 2-1] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ [الرحمن : 46] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ، فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ [الطور : 25-28] وَالآيَاتُ فِي الْبَابِ كَثِيرَةٌ جِدًّا مَعْلُومَاتٍ وَالْغَرَضُ الْإِشَارَةُ إِلَى بَعْضِهَا وَقَدْ حَصَلَ :

وأما الأحاديث فكثيرة جداً فنذكر منها طرفاً ، وبالله التوفيق :

396- عن ابن مسعود ، رضي الله عنه ، قال : حدثنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهو الصَّادِقُ الْمُبْدُوقُ : « إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً نُطْفَةً ، ثُمَّ يَكُونُ عَاقِبَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ ، فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ ، وَيُؤَمَّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ : بِكُتُبِ رِزْقِهِ ، وَأَجَلِهِ ، وَعَمَلِهِ ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ . فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ، فَيَدْخُلُهَا ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا » متفق عليه .

397- وعنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُؤُنَهَا » رواه مسلم .

398- وعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ، رضي الله عنهما ، قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ : « إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِرَجُلٍ يُوضَعُ فِي أَحْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ مَا يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَشَدُّ مِنْهُ عَذَاباً ، وَإِنَّهُ لِأَهْوَنُهُمْ عَذَاباً » متفق عليه .

399- وعن سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ ، رضي الله عنه ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبِيهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى حُجْرَتِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى تَرْقُوتِهِ » رواه مسلم . « الْحُجْرَةُ » : مَعْقِدُ الْإِزَارِ تَحْتَ السُّرَّةِ . وَ « التَّرْقُوتُ » : بَفَتْحِ التَّاءِ وَضَمِّ الْقَافِ : هِيَ الْعِظْمُ الَّذِي عِنْدَ ثَغْرِ النَّحْرِ ، وَلِلْإِنْسَانِ تَرْقُوتَانِ فِي جَانِبِي النَّحْرِ .

400- وعن ابن عمر رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ حَتَّى يَغِيبَ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ » متفق عليه . وَ « الرَّشْحُ » : الْعَرَقُ

401- وعن أَنَسٍ ، رضي الله عنه ، قَالَ : خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، خُطْبَةً مَا سَمِعْتُ

مِثْلَهَا قَطُّ ، فقال : « لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمَ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً » فَغَطَّى أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجُوهَهُمْ وَلَهُمْ خَنِينٌ . متفقٌ عليه .

وفي رواية : بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَصْحَابِهِ شَيْءٌ فَخَطَبَ ، فقال : « عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ ، فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمَ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً ، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً » فَمَا آتَى عَلَيَّ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أَشَدُّ مِنْهُ غَطُّوا رُؤُسَهُمْ وَلَهُمْ خَنِينٌ .

« الْخَنِينُ » بِالْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ : هُوَ الْبُكَاءُ مَعَ غَنَّةٍ وَانْتِشَاقُ الصَّوْتِ مِنَ الْأَنْفِ

402- وعن الْمُقَدَّادِ ، رضيَ اللهُ عنه ، قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « تُدْنِي الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ » قَالَ سَلِيمُ بْنُ عَامِرٍ الرَّاوي عَنْ الْمُقَدَّادِ : فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ ، أَمْسَافَةَ الْأَرْضِ أَمْ الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ « فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبِيهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حِقْوَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ الْجَمَامَ » وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ . رواه مسلم .

403- وعن أبي هريرة ، رضيَ اللهُ عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « يَعْرَقُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعاً ، وَيُلْجِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ أَذَانَهُمْ » متفقٌ عليه . ومعنى « يَذْهَبُ فِي الْأَرْضِ » : يَنْزِلُ وَيَغُوصُ .

404- وعنه قال : كنا مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ سَمِعَ وَجِبَةً فَقَالَ : « هَلْ تَدْرُونَ مَا هَذَا؟ » قُلْنَا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ : هَذَا حَجَرٌ زَيْمِي بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفاً فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا ، فَسَمِعْتُمْ وَجِبَتَهَا » رواه مسلم

405- وعن عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ ، رضيَ اللهُ عنه ، قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَكَلِمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ ، فَيَنْظُرُ أَيَمَنَ مِنْهُ ، فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تَلْقَاءَ وَجْهِهِ ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ » متفقٌ عليه .

406- وعن أبي ذرٍّ رضيَ اللهُ عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ ، أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَنْطَبَّ ، مَا فِيهَا مَوْضِعٌ أَرْبَعِ أَصَابِعِ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جِهَتَهُ سَاجِداً لِلَّهِ تَعَالَى ، وَاللَّهُ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمَ ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً ، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً ، وَمَا تَلَدَّدْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرْشِ وَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعْدَاتِ تَجَارُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى » رواه الترمذي وقال : حديثٌ حسن .

وَ « أَطَّتْ » بفتح الهمزة وتشديد الطاء، وَتَطَّتْ « بفتح التاء وبعدها همزة مكسورة ، والأطيطُ : صَوْتُ الرَّحْلِ وَالْقَتَبِ وَشِبْهِهِمَا ، ومعناه : أَنَّ كَثْرَةَ مَنْ فِي السَّمَاءِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْعَابِدِينَ قَدْ أَثْقَلَتْهَا حَتَّى أَطَّتْ . وَ « الصُّعْدَاتِ » بضم الصاد والعين : الطَّرِيقَاتُ ، ومعنى « تَجَارُونَ » : تَسْتَعِيثُونَ .

407- وعن أبي بَرزَةَ براءٍ ثم زايٍ نَضَلَةَ بنَ عُبَيْدِ الأَسْلَمِيِّ ، رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ فِيهِ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ » رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح

408- وعن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : قرأ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : { يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا } ثم قال : « أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا ؟ » قالوا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قال : « فَإِنَّ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا ، تَقُولُ : عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا فِي يَوْمٍ كَذَا وَكَذَا ، فَهَذِهِ أَخْبَارُهَا » رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

409- وعن أبي سعيدِ الخُدْرِيِّ ، رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كَيْفَ أَنْعَمَ وَصَاحِبِ الْقَرْنِ قَدِ اتَّقَمَ الْقَرْنُ ، وَاسْتَمَعَ الإِذْنَ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْحِ فَيَنْفُخُ » فَكَانَ ذَلِكَ ثَقُلَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُمْ : « قُولُوا : حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ » رواه الترمذي وقال حديث حسن . « الْقَرْنُ » : هُوَ الصُّورُ الَّذِي قَالَ اللهُ تَعَالَى : { وَنُفِّخْ فِي الصُّورِ } كَذَا فَسَرَّهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

410- وعن أبي هريرة ، رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ خَافَ أَذْلَجَ ، وَمَنْ أَذْلَجَ ، بَلَغَ الْمَثْرَلُ إِلَّا إِنْ سَلَعَةَ اللهُ غَالِيَةً ، إِلَّا إِنْ سَلَعَةَ اللهُ الْجَنَّةُ » رواه الترمذي وقال : حديث حسن . وَ « أَذْلَجَ » بِإِسْكَانِ الدَّالِ ، ومعناه : سَارَ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ ، وَالْمَثْرَلُ : التَّشْمِيرُ فِي الطَّاعَةِ . وَاللهُ أَعْلَمُ .

411- وعن عائشةَ ، رضي الله عنها ، قالت : سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يقول : « يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاءَ عُرَاءَ غُرْلًا » قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ الرَّجَالُ وَالنِّسَاءُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ،؟ قال : « يَا عَائِشَةُ الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهْمَهُمْ ذَلِكَ » . وفي رواية : « الأَمْرُ أَهَمُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ » متفقٌ عليه . « غُرْلًا » بضم الغين .

أَثَارُ الْوَارِدَةِ فِي الآيَاتِ الْقُرْآنِيَةِ :

وقال ابن عباس في قوله تعالى : وإياي فارهبون أي أنزل بكم ما أنزل بمن كان قبلكم من آبائكم من النقمات التي قد عرفتم من المسخ وغيره . وقوله : وإياي فارهبون أي : فاحشون : قاله قتادة .

(تفسير ابن كثير 1 / 242)

(إن بطش ربك لشديد) قال ابن عباس : إن أخذه بالعذاب إذا أخذ الظلمة لشديد كقوله : إن أخذه أليم شديد . (هود 102) . (تفسير البغوي 8 / 389)

قال ابن زيد : إن الله حذر هذه الأمة سطوته بقوله : وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد . (تفسير الطبري 15 / 476)

قال ابن زيد في قوله : إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ، أنا سوف نفي لهم بما وعدناهم في الآخرة ، كما وفينا للأنبياء : أنا ننصرهم . عن مجاهد في قوله : ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود قال : يوم القيامة . عن ابن عباس قال ، " الشاهد " ، محمد ، و " المشهود " ، يوم القيامة . ثم قرأ : ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود . (تفسير الطبري 15 / 477)

قوله عز وجل : يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه . لا تشفع إلا بإذنه . فمنهم شقي وسعيد فيه وجهان : أحدهما : محروم ومرزوق ، قاله ابن بحر الثاني : معذب ومكرم . (تفسير الماوردي 2 / 504)

قال ابن عباس رضي الله عنهما : الزفير : الصوت الشديد ، والشهيق الصوت الضعيف . وقال الضحاک ومقاتل : الزفير أول نهيق الحمار ، والشهيق آخره إذا رده في جوفه . وقال أبو العالية : الزفير في الحلق والشهيق في الصدر . (تفسير البغوي 4 / 200)

عن الحسن في قوله : ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد ، قال : من رأفته بهم أن حذرهم نفسه . (تفسير الدر المنثور 3 / 508)

قاله ابن عباس . يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه وفي فراره منهم ثلاثة أوجه أحدها : حذرا من مطالبهم إياه للتبعات التي بينه وبينهم . الثاني : حتى لا يروا عذابه . الثالث : لاشتغاله بنفسه ، كما قال تعالى بعده : لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه أي يشغله عن غيره . (تفسير الماوردي 6 / 210)

عن قتادة قوله : لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه أفضى إلى كل إنسان ما يشغله عن الناس . (تفسير الطبري 24 / 232)

عن عطاء عن عامر : يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم قال : هذا في الدنيا قبل يوم القيامة . (تفسير الطبري 18 / 557)

قال ابن زيد في قوله : يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت قال : تترك ولدها للكرب الذي نزل

بها . (تفسير الطبري 18 / 564)

عن الحسن : تذهل كل مرضعة عما أرضعت قال : ذهلت عن أولادها بغير فطاموتضع كل ذات حمل حملها . قال : أَلقت الحوامل ما في بطونها لغير تمام وتضع كل ذات حمل حملها يقول : وتسقط كل حامل من شدة كرب ذلك حملها . قال ابن زيد في قوله : وترى الناس سكارى وما هم بسكارى قال : ما شربوا خمرا يقول تعالى ذكره : ولكن عذاب الله شديد يقول تعالى ذكره : ولكنهم صاروا سكارى من خوف عذاب الله عند معاينتهم ما عاينوا من كرب ذلك وعظيم هول ، مع علمهم بشدة عذاب الله . (تفسير الطبري 18 / 565)

عن ابن شوذب في قوله : ولمن خاف مقام ربه جنتان قال : نزلت في أبي بكر الصديق . عن عطاء ، أن أبا بكر الصديق ذكر ذات يوم ، وفكر في القيامة والموازين ، والجنة والنار ، وصفوف الملائكة ، وطى السماوات ، ونسف الجبال ، وتكوير الشمس ، وانتثار الكواكب ، فقال : وددت أني كنت خضراء من هذه الخضرة ، تأتي على بهيمة فتأكلني ، وأنى لم أخلق ، فنزلت هذه الآية ولمن خاف مقام ربه جنتان . عن ابن عباس : ولمن خاف مقام ربه جنتان . قال : وعد الله المؤمنين الذين خافوا مقامه فأدوا فرائضه الجنة . عن ابن مسعود : ولمن خاف مقام ربه جنتان قال : لمن خافه في الدنيا . (تفسير الدر المنثور 14 / 134)

عن أبي الدرداء في قوله : ولمن خاف مقام ربه جنتان قال : قيل : يا أبا الدرداء إن زنى وإن سرق ؟ قال : من خاف مقام ربه لم يزن ولم يسرق . (تفسير الدر المنثور 14 / 137)

عن الحسن قال : كان شاب على عهد عمر بن الخطاب ملازم المسجد والعبادة ، فعشقتة جارية ، فأتته في خلوة ، فكلمته ، فحدث نفسه بذلك ، فشبه شهقة فغشي عليه ، فجاء عم له فحمله إلى بيته ، فلما أفاق قال : يا عم ، انطلق إلى عمر فأقرؤه مني السلام وقل له ما جزاء من خاف مقام ربه ؟ فانطلق عمه فأخبر عمر ، وقد شهب الفتى شهقة أخرى فمات منها ، فوقف عليه عمر فقال : لك جنتان ، لك جنتان . (تفسير الدر المنثور 14 / 139)

قوله تعالى : وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال ابن عباس : إذا بعثوا من قبورهم سأل بعضهم بعضا . وقيل : في الجنة يتساءلون أي يتذاكرون ما كانوا فيه في الدنيا من التعب والخوف من العاقبة ، ويحمدون الله تعالى على زوال الخوف عنهم . وقيل : يقول بعضهم لبعض بم صرت في هذه المنزلة الرفيعة ؟ قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين أي قال كل مسؤل منهم لسائله : إنا كنا قبل أي في الدنيا خائفين وجلين من عذاب الله . فمن الله علينا بالجنة والمغفرة . وقيل : بالتوفيق والهداية . ووقانا عذاب السموم قال الحسن : السموم اسم من أسماء النار وطبقة من طباق

جهنم . وقيل : هو النار كما تقول جهنم . وقيل : نار عذاب السموم . والسموم الريح الحارة .
(تفسير القرطبي 17 / 66)

عن ابن عباس في قوله : إنه هو البرقال : اللطيف . (تفسير الدر المنثور 13 / 708)

أَثَارَ الْوَارِدَةِ فِي عَنَوَانِ الْبَابِ :

قال عمر رضي الله عنه : ياليتني كنت كبش أهلي سموني ما بدا لهم حتى إذا كنت كأسمن ما يكون زارهم بعض من يحبون فذبحوني لهم فجعلوا بعضي شواء وبعضه قديدا ثم أكلوني ولم أكن بشرا . (حلية الأولياء 1 / 52) .

قال أنس رضي الله تعالى عنه : دخلت حائطا أي بستانا فسمعت عمر يقول وبيني وبينه جدار عمر بن الخطاب أمير المؤمنين يخ يخ لتتقين الله يا ابن الخطاب أوليعذبك . (تاريخ الخلفاء 129)
وقال عبد الله بن عيسى : كان في وجه عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطان أسودان من البكاء . (الحلية (تهذيبه) 1 / 71)

وهذا عثمان بن عفان رضي الله عنه : كان إذا وقف على القبر يبكي حتى تبل لحيته وقال : لو أني بين الجنة والنار لا أدري إلى أيتهما يؤمري لاخترت أن أكون رمادا قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير . وكان عبد الله بن عباس أسفل عينيه مثل الشراك البالي من الدموع . (الجواب الكافي 97)

على بن أبي طالب وبكاؤه وخوفه : وكان يشد خوفه من اثنتين طول الأمل واتباع الهوى قال : فأما طول الأمل فينسي الآخرة وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق ألا وإن الدنيا قد ولت مدبرة والآخرة مقبلة ولكل واحدة بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل . (الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي 97)

وقالت عائشة رضي الله عنها : ياليتني كنت نسيا منسيا . (التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان 7064)

قال عبد الله بن مسعود : لو تعلمون ذنوبي ما وطئ عقبي اثنان ، ولحثيتم التراب على رأسي ولوددت أن الله غفر لي ذنبا من ذنوبي وأني دعيت عبد الله بن روثة . (سير أعلام النبلاء 1 / 495)

قال زيد بن وهب : رأيت بعيني عبد الله بن مسعود وعليه أثرين أسودين من البكاء . (سير أعلام النبلاء 1 / 495)

وقال رجل عند ابن مسعود رضي الله عنه : ما أحب أن أكون من أصحاب اليمين أحب إلي أن أكون من المقربين ! فقال ابن مسعود : لكن ها هنا رجل ود له أنه إذا مات لم يبعث (يعني نفسه) .
(صفة الصفوة 1 / 185)

قال أبو ذر الغفاري رضي الله عنه : والله لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتكم قليلا ولو تعلمون ما أعلم ما انبسطتم إلى نسائكم ولا تقارتم على فرشكم ولخرجتم إلى الصعدات تجارون وتبكون والله لوددت أن الله عز وجل خلقتي يوم خلقتي شجرة تعضد ويؤكل ثمرها . !
(حلية الأولياء 1 / 164)

قال أبو الدرداء : إن أشد ما أخاف على نفسي يوم القيامة أن يقال لي يا أبا الدرداء قد علمت فكيف عملت فيما علمت ؟ وكان يقول : لو تعلمون ما أنتم لاقون بعد الموت لما أكلتم طعاما على شهوة ولا شربتم شرابا على شهوة ولا دخلتم بيتا تستظلون فيه ولخرجتم إلى الصعدات تضربون صدوركم وتبكون على أنفسكم ولوددت أني شجرة تعضد ثم تأكل . وقال أبو عبيدة عامر بن الجراح : وددت أني كبش فذبحتني أهلي وأكلوا لحمي وحسوا مرقى . (الجواب الكافي 97)

بكى أبو هريرة رضي الله عنه في مرضه فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : ما أبكي على دنياكم هذه ، ولكن أبكي على بعد سفري ، وقلة زادي ، فإني أمسيت في صعود مهبطة على جنة ونار ، ولا أدري أيتهما يؤخذ بي . (موسوعة ابن أبي الدنيا 5 / 344)

عن قيس قال : بكى ابن رواحه وبكت امرأته فقال : ما لك ؟ قالت : بكيت لبكائك . فقال : إني قد علمت أني وارد النار وما أدري أناج منها أم لا . (سير أعلام النبلاء 1 / 236)

عن شداد بن أوس الأنصاري : أنه كان إذا دخل الفراش يتقلب على فراشه ، لا يأتيه النوم فيقول : اللهم إن النار أذهبت مني النوم ، فيقوم فيصلي حتى يصبح . (الحلية (تهذيبه) 1 / 202)

عن الحسن البصري قال : المؤمن من يعلم أن ما قال الله عز وجل كما قال : والمؤمن أحسن الناس عملا ، وأشد الناس خوفا ، لو أنفق جبلا من مال ، ما أمن دون أن يعاين ؛ لا يزداد صلاحا وبراً وعبادة ، إلا ازداد فرقا ؛ يقول : لا أنجو . والمنافق ، يقول : سواد الناس كثير ، وسيغفر لي ، ولا بأس علي ؛ فينسئ العمل ، ويتمنى على الله تعالى . (حلية الأولياء 2 / 153)

وقال أيضا : والله ما تعاضم في أنفسهم ما طلبوا به الجنهنحين أبكاهم الخوف من الله تعالى .
(حلية الأولياء 2 / 153)

وقال أيضا : الرجاء والخوف مطيبتا المؤمن . (حلية الأولياء 2 / 156)

قال علقمة بن مرشد : قام المغيرة بن مخادش ذات يوم إلى الحسن البصري فقال : كيف صنع بأقوام يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير ؟ فقال الحسن : والله لأن تصحب أقواما يخوفونك حتى يدركك الأمن خير لك من أن تصحب أقواما يؤمنونك حتى يلحقك الخوف .
(الحلية (تهذيبه) 1 / 336)

روى أن رجلا سأل ذا النون فقال : رحمك الله ما الذي انصب العباد وأضناهم ؟ فقال : ذكر المقام ، وقلة الزاد وخوف الحساب ثم سمعته يقول بعد فراغه من كلامه : ولم لا تذوب أبدان العمال وتذهل عقولهم والعرض على الله أمامهم وقراءة كتبهم بين أيديهم والملائكة وقوف بين يدي الجبار ينتظرون أمره في الأخيار والأشرار ثم قال : مثلوا هذا في نفوسهم وجعلوه نصب أعينهم .
(حلية الأولياء 9 / 316)

عن ذي النون وقيل له : متى يأنس العبد بربه ؟ فقال : إذا خافه أنس به ؛ إنما علمتم : أنه من واصل الذنوب ، نجي عن باب المحبوب . (حلية الأولياء 9 / 386)

عن ذي النون قال : ثلاثة علامة الخوف : الورع عن الشهوات بملاحظة الوعيد ، وحفظ اللسان مرآة للتعظيم ودواء الكمد إشفاقا من غضب الحليم . (حلية الأولياء 9 / 361)

وقال ذو النون : الناس على الطريق ما لم يزل عنهم الخوف فإذا زال عنهم الخوف ضلوا الطريق .
(مدارج السالكين 513 / 1)

قال أسامة : كان من يرى سفيان الثوري يراه كأنه في سفينة يخاف الغرق ، أكثر ما تسمعه ، يقول :
يارب سلم سلم . (حلية الأولياء 7 / 20)

ويقول عطاء الخفاف : ما لقيت سفيان الثوري إلا باكيا ، فقلت : ما شأنك ؟ قال : أتخوف أن أكون في أم الكتاب شقيا ، قال قبيصة : كان سفيان إذا نظرت إليه كأنه راهب ، فإذا أخذ في الحديث أنكرته . (سير أعلام النبلاء 7 / 270)

عن سفيان الثوري قال : إني لأسأل الله أن يذهب عني من خوفه . (حلية الأولياء 7 / 20)

قال حاتم الأصم : لا تغتر بمكان صالح فلا مكان أصلح من الجنة ولقي فيها آدم ما لقي ولا تغتر بكثرة العبادة فإن إبليس بعد طول العبادة لقي ما لقي ولا تغتر بكثرة العلم فإن بلعام بن باعوراء لقي ما لقي وكان يعرف الاسم الأعظم ، ولا تغتر بقاء الصالحين ورؤيتهم فلا شخص أصلح من النبي صلى

الله عليه وسلم ولم ينتفع بلقائه أعداؤه المنافقون . (مدارج السالكين 1 / 510)

قال حاتم الأصم : أصل الطاعة ثلاثة أشياء : الخوف ، والرجاء ، والحسب . (الحلية 8 / 78 - 79)

قال جعفر بن سليمان : سمعت مالك بن دينار يقول : لو استطعت أن لا أنام لم أنام مخافة أن ينزل بي العذاب وأنا نائم ولو وجدت أعوانا لفرقتهم ينادون في سائر الدنيا كلها يأبها الناس النار النار . (مختصر تاريخ دمشق 7 / 197)

وعنه ، قال : سمعت مالك بن دينار قال : لو كان لأحد أن يتمنى لتمنيت أنا أن يكون لي في الآخرة خص من قصب وأروى من الماء وأنجو من النار . (مختصر تاريخ دمشق 7 / 197)

وقال : ليتني لم أخلق فإذا خلقت مت صغيرا ويا ليتني إذا مت صغيرا عمرت حتى أعمل في خلاص نفسي . (مختصر تاريخ دمشق 7 / 197)

قال إبراهيم النخعي : ينبغي لمن لم يحزن في الدنيا أن يخاف أن يكون من أهل النار لأن أهل الجنة قالوا (الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن) وينبغي لمن لم يشفق أن يخاف أن لا يكون من أهل الجنة لأنهم قالوا (إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين) . (حلية الأولياء 4 / 215)

قال محمد بن سوجه : زعموا أن إبراهيم النخعي كان يقول : كنا إذا حضرنا الجنازة ، أو سمعنا بميت ، عرف فينا أياما ، لأننا قد عرفنا أنه قد نزل به أمر صيره إلى الجنة أو إلى النار . قال : وإنكم في جنائزكم تتحدثون بأحاديث دنياكم . (حلية الأولياء 4 / 227)

عن المغيرة بن حكيم قال : قالت لي فاطمة بنت عبد الملك : يا مغيرة ، قد يكون من الرجال من هو أكثر صلاة وصياما من عمرو ولكني لم أر من الناس أحدا قط ، كان أشد خوفا من ربه من عمر ؛ كان إذا دخل البيت ، ألقى نفسه في مسجده ؛ فلا يزال يبكي ، ويدعو ، حتى تغلبه عيناه ، ثم يستيقظ ؛ فيفعل مثل ذلك ليلته أجمع . (حلية الأولياء 5 / 260)

قال أبو حفص : الخوف سوط الله يقوم به الشاردين عن بابه وقال : الخوف سراج في القلب به يبصر ما فيه من الخير والشر وكل أحد إذا خفته هربت منه إلا الله فإنك إذا خفته هربت إليه فالخائف هارب من ربه إلى ربه وقال أبو سليمان ما فارق الخوف قلبا إلا خرب . (مدارج السالكين 1 / 513)

قال يوسف بن أسباط : قلت لأبي وكيع : ربما عرض لي في البيت شيء يداخلني الرعب ؛ فقال لي : يا يوسف ، من خاف الله ، خاف منه كل شيء ؛ قال يوسف : فما خفت شيئا بعد قوله .

(حلية الأولياء 8 / 240)

قال يزيد بن وهب : خرجنا في سرية ، فإذا رجل في أجمة مغطى الرأس ، فأنيهناه فقلنا : انتفي موضع مخيف فما تخاف فيه ؛ فكشف رأسه ثم قال : إني لأستحي منه أن يراني أخاف شيئا سواه . (حلية الأولياء 4 / 171 - 172)

قال أرتأة بن المنذر: قيل لعمر بن عبد العزيز: لو اتخذت حرسا واحترزت في طعامك وشرابك فإن من كان قبلك يفعله ؛ فقال : اللهم إن كنت تعلم : أني أخاف شيئا دون يوم القيامة فلا تؤمن خوفي (حلية الأولياء 5 / 292)

وعن عمران بن مخلد قال قال الحسن : إن المؤمن يصبح حزينا ويمسي حزينا لا يسعه غير ذلك لأنه بين مخافتين بين ذنب قد مضى لا يدري ماله يصنع فيه وبين أجل قد بقي لأيدري ما يصيب فيه من المهالك . (حلية الأولياء 2 / 132)

عن عبد الواحد بن زيد قال : قلت لزياد النميري : ما منتهى الخوف ؟ قال : إجلال الله عند مقام السوءات ؛ قلت : فما منتهى الرجاء ؟ قال : تأمل الله على كل الحالات . (حلية الأولياء 6 / 160)

عن الحسن بن أبي الحسن قال : قال عبد الله : لو وقفت بين الجنة والنار ، فخيرت أن أعلم مكانا منهما ، أو أكون ترابا ؛ لاخترت أن أكون ترابا . (حلية الأولياء 6 / 271)

عن يحيى بن زكريا قال : كنا عند علي بن بكار ، فمرت سحابة ، فسألته عن شيء ؛ فقال : اسكت ، أما تخشى أن يكون فيها حجارة . (حلية الأولياء 10 / 7)

كان عطاء يمس جسده بالليل ، خوفا من ذنوبه ؛ مخافة أن يكون قد مسخ ؛ وكان إذا انتبه ، يقول : ويحك يا عطاء ، ويحك . (حلية الأولياء 6 / 222)

عن مريح بن مسروق أنه كان يقول : يا بني ، المخافة قبل الرجاء ، فإن الله عزوجل خلق جنة ونارا فلن تخوضوا إلى الجنة حتى تمرؤا على النار . (حلية الأولياء 5 / 155)

قال إبراهيم بن أدهم : الهوى يردي وخوف الله يشفي واعلم أن ما يزيل عن قلبك هواك إذا خفت من تعلم أنه يراك . (حلية الأولياء 8 / 18)

قال أبي حازم سلمه بن دينار: أفضل خصلة ترجي للمؤمن : أن يكون أشد الناس خوفا على نفسه وأرجأه لكل مسلم . (حلية الأولياء 3 / 233)

قال علي بن المديني : ذكرنا التيمي عند يحيى بن سعيد فقال : ما جلسنا عند رجل أخوف من الله تعالى منه . (حلية الأولياء 3 / 28)

قال إبراهيم التيمي : شينان قطعاً عني لذة الدنيا : ذكر الموت وذكر الموقف بين يدي الله تعالى . (التذكرة للقرطبي 125)

قال إبراهيم بن شيبان : الخوف إذا سكن القلب أحرق مواضع الشهوات فيه وطرد عنه رغبة الدنيا وأسكت اللسان عن ذكر الدنيا . (المنتظم 14 / 119 - شعب الإيمان للبيهقي رقم 851)

قال عقبة بن فضالة : سمعت أبا عبيدة الخواص بعدما كبر وهو أخذ بلحيته يبكي ويقول : قد كبرت فأعتقني . (المنتظم 8 / 259) .

قال كعب رحمه الله : لوددت أني كبش أهلي فأخذوني فذبحوني فأكلوا وأطعموا أضيافهم . (حلية الأولياء 5 / 366)

قال بشر بن منصور : إني لأذكر الشيء من أمر الدنيا إلهي به نفسي عن ذكر الآخرة ؛ أخاف على عقلي . (حلية الأولياء 6 / 241)

كان عطاء : قد اشتد خوفه وكان لا يسأل الله الجنة أبداً فإذا ذكرت عنده الجنة قال : نسأل الله العفو . (حلية الأولياء 9 / 266)

قال الفضيل بن عياض : من خاف الله تعالى لم يضره شيء ؛ ومن خاف غير الله ، لم ينفعه أحد . (حلية الأولياء 8 / 88)

قال أبي سليمان الداراني : أصل كل خير في الدنيا والآخرة : الخوف من الله تعالى . (الحلية 9 / 259)

قال مطرف : لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه ، لوجدنا سواء لا يزيد أحدهما على صاحبه . (حلية الأولياء 2 / 208)

قال مضاء بن عيسى : خف ، الله يلهمك ، وأعمل له ، لا يلجئك إلى ذليل . (حلية الأولياء 9 / 324)

قال ميمون بن مهران : أدركت من لم يكن يملأ عينيه من السماء ، خوفاً من ربه عز وجل . (حلية الأولياء 4 / 88)

قال عبد الله بن المبارك : أكثركم علماً ، ينبغي أن يكون : أشدكم خوفاً . (حلية الأولياء 8 / 168)

قال أبو عثمان : صدق الخوف هو الورع عن الأثام ظاهرا وباطنا . (مدارج السالكين 1 / 511)

قال ابن تيمية : الخوف المحمود ما حجزك عن محارم الله . (مدارج السالكين 1 / 511)

قال الفقيه أبو الليث السمرقندي : علامة خوف الله تتبين في سبعة أشياء : أولهما : تتبين في لسانه ، فيمتنع لسانه من الكذب والغيبة ، وكلام الفضول ، ويجعل لسانه مشغولا " بذكر الله وتلاوة القرآن ومذاكرة العلم . والثاني : أن يخاف في أمر بطنه ، فلا يدخل بطنه إلا طيبا حلالا ولا يأكل من الحلال مقدار حاجته . والثالث : أن يخاف في أمر بصره ، فلا ينظر إلى الحرام ولا إلى الدنيا بعين الرغبة ، وإنما يكون نظرة على وجه العبرة . والرابع : أن يخاف في أمر يده فلا يمدن يده إلى الحرام ، وإنما يمد يده إلى ما فيه طاعة الله عز وجل . والخامس : أن يخاف في أمر قدميه ، فلا يمشي في معصية . والسادس : أن يخاف في أمر قلبه فيخرج منه العداوة والبغضاء وحسد الإخوان ويدخل فيه النصيحة والشفقة للمسلمين . السابع : أن يكون خائفا في أمر طاعته فيجعل طاعته خالصة لوجه الله ويخاف الرياء والنفاق فإذا فعل ذلك فهو من الذين قال الله فيهم) : والأخرة عند ربك للمتقين) وقال : (إن المتقين في جنات ونعيم) . (تنبيه الغافلين 390 - 391)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

أَيَّا مَنْ لَيْسَ لِي مِنْهُ مُجِيرٌ *** بَعْفُوكَ مِنْ عَذَابِكَ أَسْتَجِيرُ
أَنَا الْعَبْدُ الْمَقْرَبُ كُلُّ ذَنْبٍ *** وَأَنْتَ أَلْسَيْدِ الْمَوْلَى الْعَفْوُزُ
فَإِنَّ عَذَابَتِي فَبِسُوءِ فِعْلِي *** وَأَنْ تَغْفِرَ فَأَنْتَ بِهِ جَدِيرٌ
أَفِرُّ إِلَيْكُمْ مِنْكَ وَأَيْنَ إِلَّا *** إِلَيْكَ يَفِرُّ مِنْكَ الْمُسْتَجِيرُ

أَثَارُ الْعَمَلِيَّةِ فِي حَيَاةِ السَّالِفِ :

وعن المسور بن مخرمة قال : لما طعن عمر رضي الله عنه جعل يألم ، فقال ابن عباس رضي الله عنهما وكأنه يجزعه : يا أمير المؤمنين ، ولئن كان ذلك لقد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسنت صحبتته ، ثم فارقتة وهو عنك راض . ثم صحبت أبا بكر فأحسنت صحبتته ، ثم فارقتة وهو عنك راض . ثم صحبت أصحابهم ، ولئن فارقتهم لتفارقتهم وهم عنك راضون . قال : أما ما ذكرت من صحبتة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضاه وإنما ذاك من الله تعالى من به تعالى علي ، وأما ما ذكرت من صحبتة أبي بكر ورضاه وإنما ذلك من الله عز وجل ذكره من به علي . وأما ما ترى من جزعي فهو من أجلك وأجل أصحابك ، والله لو أن لي طلاع الأرض ذهباً لافتديت به من عذاب

الله عزوجل قبل أن أراه . (رواه البخاري 3692)

وقرأ تميم الداري ليلة سورة الجاثية ، فلما أتى على هذه الآية (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) (سورة الجاثية 21) جعل يرددنها ويبكي حتى أصبح .
(الجواب الكافي 41)

قال يحيى بن جعدة : عاد ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خبابا قالوا : أبشريا عبد الله ترد على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : كيف بهذا ، وهذا أسفل البيت وأعلاه وقد قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما يكفي أحدكم من الدنيا كقدر زاد الراكب . (حلية الأولياء 1 / 360)

قال جعفر بن سليمان : خرجت مع مالك بن دينار إلى مكة ، فلما أحرم أراد أن يلي فسقط : ثم أفاق فأراد أن يلي فسقط ، ثم أفاق فأراد أن يلي فسقط . فقلت : مالك يا أبا يحيى ؟ قال : أخشى القول : لبيك ، فيقول : لا لبيك ولا سعديك . (مختصر تاريخ دمشق 7 / 197)

عن يحيى بن الفضل الأنيسي قال : سمعت بعض من يذكر عن محمد بن المنكدر : أنه ، بينا هو ذات ليلة قائم يصلي ، إذ استبكي ، وكثر بكأؤه ، حتى فزع أهله ، وسألوه ما الذي أبكاه ؟ فاستعجم عليهم ، وتمادى في البكاء : فأرسلوا إلى أبي حازم ، فأخبروه بأمره ، فجاء أبو حازم إليه ، فإذا هو يبكي : قال : يا أخي ، ما الذي أبكاك ، قد رعت أهلك ، أأمن علة ؟ أم ما بك ؟ قال : فقال : إنه مرت بي آية في كتاب الله عزوجل ، قال : وما هي ؟ قال : قول الله تعالى : (وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحسبون) (الزمر 47) . قال : فبكي أبو حازم أيضا معه ، واشتد بكائهما ؛ قال : فقال بعض أهله لأبي حازم : جننا بك لتفرج عنه فزدته : قال : فأخبرهم ما الذي أبكاهما . (حلية الأولياء 3 / 146)

قال عبد المؤمن الصائغ : دعوت رياحا بن عمرو القيسي ذات ليلة إلى منزلي ونحن بعبادان - فجاء في السحر ، فقربت إليه طعاما ، فأصاب منه شيئا فقلت : أزد ، فما أراك شبعت ؛ قال : فصاح صيحة أفزعني وقال : كيف أشبع في أيام الدنيا ، وشجرة الزقوم طعام الأثيم بين يدي ؟ قال : فرفعت الطعام من بين يديه ؛ فقلت : أنت في شيء ، ونحن في شيء . (حلية الأولياء 6 / 194)

عن مولى لعمر بن عتبة قال : استيقظنا يوما حارا في ساعة حارة : فطلبنا عمرو بن عتبة فوجدناه في جبل وهو ساجد وغمامة تظله وكنا نخرج إلى العدو فلا نتحارس لكثرة صلاته ورأيته ليلة يصلي فسمعنا زئير الأسد فهربنا وهو قائم يصلي لم ينصرف فقلنا له : أما خفت الأسد ؟ فقال : إني لأستحي من الله أن أخاف شيئا سواه . (حلية الأولياء 4 / 157)

أبو بكر بن عياش قال : صليت خلف فضيل بن عياض المغرب وابنه علي إلى جاني ، فقرا : ألهاكم

التكاثر فلما قال : لترون الجحيم سقط علي على وجهه مغشياً عليه ، وبقي فضيل عند الآية . فقلت في نفسي : ويحك أما عندك من الخوف ما عند الفضيل وعلي ، فلم أزل أنتظر عليا ، فما أفاق إلى ثلث من الليل بقي . رواها ابن أبي الدنيا عن عبد الرحمن بن عفان ، وزاد : وبقي فضيل لا يجاوز الآية ، ثم صلى بنا صلاة خائف ، وقال : فما أفاق إلى نصف من الليل . قال ابن أبي الدنيا : حدثني عبد الصمد بن يزيد عن فضيل بن عياض قال : بكى على ابني . فقلت : يا بني ما يبكيك ؟ قال : أخاف ألا تجمعننا القيامة . (سير أعلام النبلاء 7 / 444)

قال عبد الصمد بن يزيد ، سمعت الفضيل يقول : أشرفت ليلة على علي (ابنه) وهو في صحن الدار وهو يقول : النار ، ومتى الخلاص من النار ؟ وقال لي : يا أبه سل الذي وهبني لك في الدنيا أن يهبني لك في الآخرة . ثم قال : لم يزل منكسر القلب حزينا . ثم بكى الفضيل ، ثم قال : كان يساعدي على الحزن والبكاء ، يا ثمرة قلبي ، شكر الله لك ما قد علمه فيك . (سير أعلام النبلاء 7 / 445)

عن علي بن عثمان قال : مرض سفيان الثوري بالكوفة ، فبعث بمائة إلى متطبب بالكوفة ؛ فلما نظر إليه قال : ويلك ، بول من هذا ؟ فقال : ما تسأل انظر ما ترى فيه ؟ قال : أرى بول رجل قد أحرق الخوف كبده والحزن جوفه . (حلية الأولياء 14/7)

قال عبد الله الشامي : أتيت طاووسا فخرج إلى ابنه شيخ كبير ؛ فقلت : أنت طاووس ؟ فقال : أنا ابنه قلت : فإن كنت ابنه فإن الشيخ قد خرف ، فقال : إن العالم لا يخرف ؛ فدخلت عليه ، فقال لي طاووس : سل ، وأوجز ؛ قلت : إن أوجزت ، أوجزت لك ؛ قال : تريد أن أجمع لك في مجلسي هذا : التوراة ، والإنجيل ، والزبور ، والفرقان ؟ قلت : نعم ؛ قال : خف الله تعالى مخافة ، لا يكون عندك شيء أخوف منه ؛ وأرجه رجاء ، هو أشد من خوفك إياه ؛ وأحب للناس ما تحب لنفسك . (حلية الأولياء 4 / 11)

51- باب الرجاء

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ [الزمر: 53] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ [سبأ : 17] ، وَقَالَ تَعَالَى : إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى [طه : 48] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ [الأعراف : 156] .

412- وعن عبادة بن الصامت ، رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ،

وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرِيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ « متفقٌ عليه .

وفي رواية لمسلم : « مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ »

413- وعن أبي ذرٍّ ، رضي الله عنه ، قال : قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَقُولُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ : مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ ، فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا أَوْ أَزِيدُ ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ ، فَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ . وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شُبْرًا ، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا ، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا ، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا ، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي ، أَتَيْتُهُ هَرُولَةً ، وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ حَظِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا ، لَقِيْتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً » رواه مسلم .

معنى الحديث : « مَنْ تَقَرَّبَ » إِلَى بَطَاعَتِي « تَقَرَّبْتُ » إِلَيْهِ بِرَحْمَتِي ، وَإِنْ زَادَ رِدَتْ ، « فَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي » وَأَسْرَعَ فِي طَاعَتِي « أَتَيْتُهُ هَرُولَةً » أَي : صَبَبْتُ عَلَيْهِ الرَّحْمَةَ ، وَسَبَقْتُهُ بِهَا ، وَلَمْ أَحُوجْهُ إِلَى الْمَشْيِ الْكَثِيرِ فِي الْوُصُولِ إِلَى الْمُقْصُودِ ، « وَقُرَابُ الْأَرْضِ » بَضْمُ الْقَافِ وَيُقَالُ بِكُسْرِهَا ، وَالضَّمُّ أَصَحُّ ، وَأَشْهَرُ ، وَمَعْنَاهُ : مَا يُقَارِبُ مِلْأَهَا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

414- وعن جابر ، رضي الله عنه ، قال : جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا الْمُوجِبَتَانِ ؟ فَقَالَ : « مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، دَخَلَ النَّارَ » رواه مسلم

415- وعن أنسٍ ، رضي الله عنه ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمُعَاذٌ رَدِيْفُهُ عَلَى الرَّحْلِ قَالَ : « يَا مُعَاذُ » قَالَ : لَبَيْتُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ، قَالَ : « يَا مُعَاذُ » قَالَ : لَبَيْتُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ . قَالَ : « يَا مُعَاذُ » قَالَ : لَبَيْتُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ثَلَاثًا ، قَالَ : « مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ » قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أَخْبِرُ بِهَا النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا ؟ قَالَ : « إِذَا يَتَكَلَّمُوا » فَأَخْبِرْ بِهَا مُعَاذُ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأْتِمًا . متفقٌ عليه . وقوله : « تَأْتِمًا » أَي : خَوْفًا مِنَ الْإِثْمِ فِي كَثْمِ هَذَا الْعِلْمِ .

416- وعن أبي هريرة أو أبي سعيد الخدري رضي الله عنهما : شك الراوي ، وَلَا يَضُرُّ الشُّكَّ فِي عَيْنِ الصَّحَابِيِّ ، لِأَنَّهُمْ كُلُّهُمْ عُدُولٌ ، قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ عَزْوَةِ تَبُوكَ ، أَصَابَ النَّاسَ مَجَاعَةٌ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَدْنَتْ لَنَا فَتَحَرْنَا نَوَاضِحَنَا ، فَأَكَلْنَا وَادَّهَنَّا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « افْعَلُوا » فَجَاءَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ فَعَلْتَ قَلَّ الظُّهْرُ ، وَلَكِنْ ادْعُهُمْ بِفَضْلِ أَرْوَادِهِمْ ، ثُمَّ ادْعُ اللهُ لَهُمْ عَلَيْهِمُ بِالْبَرَكَاتِ لَعَلَّ اللهُ أَنْ يَجْعَلَ فِي ذَلِكَ الْبَرَكَاتِ . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « نَعَمْ » فَدَعَا بِنَطْعٍ فَبَسَطَهُ ، ثُمَّ دَعَا بِفَضْلِ أَرْوَادِهِمْ ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِكَفِّ ذُرَّةٍ

وَيَجِيءُ الْآخَرَ بِكَفِّ تَمْرٍ ، وَيَجِيءُ الْآخَرَ بِكِسْرَةٍ حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَى النَّطْعِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ يَسِيرٌ ، فَدَعَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْبَرْكَةِ ، ثُمَّ قَالَ « خُذُوا فِي أَوْعِيَتِكُمْ ، فَأَخْذُوا فِي أَوْعِيَتِهِمْ حَتَّى مَا تَرَكَوا فِي الْعَسْكَرِ وَعَاءَ إِلَّا مَلَأُوهُ ، وَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا وَفَضَلَ فَضْلُهُ » ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ لَا يَلْقَى اللَّهُ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرُ شَاكٍ ، فَيُحْجَبُ عَنِ الْجَنَّةِ » رواه مسلم .

417- وَعَنْ عَثْبَانَ بْنِ مَالِكٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَهُوَ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا ، قَالَ : كُنْتُ أَصَلِّي لِقَوْمِي بَنِي سَالِمٍ ، وَكَانَ يَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ وَإِذَا جَاءَتِ الْأَمْطَارُ ، فَيَشُقُّ عَلَيَّ اجْتِيَاؤُهُ قَبْلَ مَسْجِدِهِمْ ، فَجَنْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقُلْتُ لَهُ : إِنِّي أَنْكَرْتُ بَصْرِي ، وَإِنَّ الْوَادِيَّ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ قَوْمِي يَسِيلُ إِذَا جَاءَتِ الْأَمْطَارُ ، فَيَشُقُّ عَلَيَّ اجْتِيَاؤُهُ ، فَوَدِدْتُ أَنَّكَ تَأْتِي ، فَتُصَلِّيَ فِي بَيْتِي مَكَانًا أَتَّخِذُهُ مُصَلًّى ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « سَأَفْعَلُ » فَعَدَا عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ، وَأَبُو بَكْرٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، بَعْدَ مَا اشْتَدَّ النَّهَارُ ، وَاسْتَأْذَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَذِنْتُ لَهُ ، فَلَمْ يَجْلِسْ حَتَّى قَالَ : « أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ أَصَلِّيَ مِنْ بَيْتِكَ ؟ » فَأَشْرَفْتُ لَهُ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي أَحَبُّ أَنْ يُصَلِّيَ فِيهِ ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَكَبَّرَ وَصَفَّفْنَا وَرَاءَهُ ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ سَلَّمَ وَسَلَّمْنَا حِينَ سَلَّمَ ، فَحَبَسْتُهُ عَلَى خَزِيرَةٍ تُصْنَعُ لَهُ ، فَسَمِعَ أَهْلَ الدَّارِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِي ، فَتَابَ رِجَالٌ مِنْهُمْ حَتَّى كَثُرَ الرِّجَالُ فِي الْبَيْتِ ، فَقَالَ رَجُلٌ : مَا فَعَلَ مَالِكٌ لَا أَرَاهُ ، فَقَالَ رَجُلٌ : ذَلِكَ مُنَافِقٌ لَا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَا تَقُلْ ذَلِكَ إِلَّا تَرَاهُ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى ؟ » . فَقَالَ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، أَمَا نَحْنُ فَوَاللَّهِ مَا نَرَى وَدَّهُ ، وَلَا حَدِيثَهُ إِلَّا إِلَى الْمُنَافِقِينَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ » متفقٌ عليه . و « عَثْبَانَ » بكسر العين المهملة ، وإسكان التاء المثناة فوق وبعدها باءٌ موحدة . و « الْخَزِيرَةُ » بالخاء المعجمة ، والرَّيُّ : هِيَ دَقِيقٌ يُطْبَخُ بِشَحْمٍ وَقَوْلُهُ : « تَابَ رِجَالٌ » بِالتَّاءِ الْمُثَلَّثَةِ ، أَي : جَاءُوا وَاجْتَمَعُوا .

418- وَعَنْ عَمْرٍو بْنِ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَيِّئِ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّيِّئِ تَسْعَى ، إِذْ وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّيِّئِ أَخَذَتْهُ فَأَلْرَقَتْهُ بِبَطْنِهَا ، فَأَرْضَعَتْهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَتَرُونَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟ فَلْنَا : لَا وَاللَّهِ . فَقَالَ : «لَهُ أَزْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوْلِدِهَا » متفقٌ عليه .

419- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ ، كَتَبَ فِي كِتَابٍ ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ : إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي » . وَفِي رِوَايَةٍ : « غَلِبَتْ غَضَبِي » وَفِي رِوَايَةٍ « سَبَقَتْ غَضَبِي » متفقٌ عليه .

420- وعنه قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ ، وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا ، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ يَتَرَاكُمُ الْخَلَائِقُ حَتَّى تَرْفَعَ الدَّابَّةُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشِيَةً أَنْ تُصِيبَهُ . وفي رواية : « إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْمَيَّانِمِ وَالْهَوَامِّ ، فَمِثْلُهَا يَتَعَاطَفُونَ ، وَمِثْلُهَا يَتَرَاكُمُونَ ، وَمِثْلُهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا ، وَأَخْرَجَ اللَّهُ تَعَالَى تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » متفقٌ عليه ورواهُ مسلمٌ أيضًا من رواية سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ ، رضي اللهُ عنه ، قال : قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم : « إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى مِائَةَ رَحْمَةٍ فَمِنْهَا رَحْمَةٌ يَتَرَاكُمُ بِهَا الْخَلْقُ بَيْنَهُمْ ، وَتِسْعٌ وَتِسْعُونَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ » . وفي رواية : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِائَةَ رَحْمَةٍ كُلُّ رَحْمَةٍ طِبَاقٌ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ، فَجَعَلَ مِنْهَا فِي الْأَرْضِ رَحْمَةً فَمِثْلُهَا تَعْطِفُ الْوَالِدَةُ عَلَى وَلَدِهَا وَالْوَحْشُ وَالطَّيْرُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْمَلَهَا بِهَذِهِ الرَّحْمَةِ »

421- وعنه عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، قال : « أَذْنِبَ عَبْدٌ ذَنْبًا ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي ، فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَذْنِبَ عَبْدِي ذَنْبًا ، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ ، فَقَالَ : أَيُّ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَذْنِبَ عَبْدِي ذَنْبًا ، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ ، فَقَالَ : أَيُّ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَذْنِبَ عَبْدِي ذَنْبًا ، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ ، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي .. فَلْيَفْعَلْ مَا شَاءَ » متفقٌ عليه .

وقوله تعالى : « فَلْيَفْعَلْ مَا شَاءَ » أي : مَا دَامَ يَفْعَلُ هَكَذَا ، يُذْنِبُ وَيَتُوبُ أَغْفِرْ لَهُ ، فَإِنَّ التَّوْبَةَ تَهْدِيهِمْ مَا قَبَّلَهَا .

422- وعنه قال : قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلَمْ تُذْنِبُوا ، لَدَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ ، وَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ تَعَالَى ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ رواه مسلم .

423- وعن أبي أَيُّوبَ خَالِدِ بْنِ زَيْدٍ ، رضي اللهُ عنه قال : سمعتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقول : « لَوْلَا أَنَّكُمْ تُذْنِبُونَ ، لَخَلَقَ اللَّهُ خَلْقًا يُذْنِبُونَ ، فَيَسْتَغْفِرُونَ ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ » رواه مسلم .

424- وعن أبي هريرة ، رضي اللهُ عنه ، قال : كُنَّا فُعُودًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مَعَنَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، رضي اللهُ عنهما في نَفَرٍ ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا ، فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا ، فَخَشِينَا أَنْ يُقْتَطَعَ دُونَنَا ، فَفَرَعْنَا ، فَمُئِنَّا ، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَرَغَ ، فَخَرَجْتُ أَبْتَغِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَتَّى أَتَيْتُ حَائِطًا لِلْأَنْصَارِ وَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطَوْلِهِ إِلَى قَوْلِهِ : فقال رسولُ اللهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَذْهَبُ فَمَنْ لَقِيتَ وَرَاءَ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، مُسْتَقِيمًا بِهَا قَلْبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ » رواه مسلم .

425- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ، رضي الله عنهما ، أن النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَلَا قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : { رَبِّ إِنِّي أَضَلُّنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي } [إبراهيم : 36] وَقَوْلَ عِيسَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : { إِنَّ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } [المائدة : 118] فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ « اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي » وَبَكَى ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « يَا جَبْرِيلُ أَذْهَبُ إِلَى مُحَمَّدٍ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ ، فَسَلُّهُ مَا يُبْكِيهِ ؟ » فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا قَالَ وَهُوَ أَعْلَمُ ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : { يَا جَبْرِيلُ أَذْهَبُ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ : إِنَّا سَرُضِينَا فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسْؤُوكَ } رواه مسلم .

426- وعن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، رضي الله عنه ، قال كُنْتُ رَدَفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حِمَارٍ فَقَالَ : « يَا مُعَاذُ هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ ، وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ ؟ قُلْتَ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : « فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، فَقُلْتَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ ؟ قَالَ : « لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَكَلَّمُوا » متفقٌ عليه .

427- وعن البراء بن عازب ، رضي الله عنهما ، عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « الْمُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : { يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ } [إبراهيم : 27] متفقٌ عليه .

428- وعن أنسٍ ، رضي الله عنه عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « إِنَّ الْكَافِرَ إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً ، أَطْعِمَ بِهَا طَعْمَةً مِنَ الدُّنْيَا ، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَدْخِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ فِي الْآخِرَةِ ، وَيُعْقِبُهُ رِزْقًا فِي الدُّنْيَا عَلَى طَاعَتِهِ » وَفِي رِوَايَةٍ : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا ، وَيُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ ، وَأَمَّا الْكَافِرُ ، فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ لِلَّهِ تَعَالَى ، فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ ، لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا » رواه مسلم .

429- وعن جابرٍ ، رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ كَمَثَلِ مَهْرٍ جَارٍ غَمْرٍ عَلَى بَابٍ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ » رواه مسلم . « الْعُمْرُ الْكَثِيرُ »

430- وعن ابن عباسٍ ، رضي الله عنهما ، قال : سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : « ما

مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا شَفَعَهُمُ اللَّهُ فِيهِ» رواه مسلم .

431- وعن ابن مسعود ، رضي الله عنه ، قال : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قُبَّةٍ نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِينَ ، فَقَالَ : « أَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُءُوعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ » قُلْنَا: نَعَمْ ، قَالَ : « أَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ » قُلْنَا: نَعَمْ ، قَالَ: « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ ، وَمَا أَنْتُمْ فِي أَهْلِ الشِّرْكِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ السُّودَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَحْمَرِ » متفقٌ عليه .

432- وعن أبي موسى الأشعري ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دَفَعَ اللَّهُ إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا فَيَقُولُ : هَذَا فِكَأُكَ مِنَ النَّارِ » .

وفي رواية عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ يَغْفِرُهَا اللَّهُ لَهُمْ » رواه مسلم .

قوله : « دَفَعَ إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا فَيَقُولُ : هَذَا فِكَأُكَ مِنَ النَّارِ » معناه مَا جَاءَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ، رضي الله عنه : « لِكُلِّ أَحَدٍ مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ ، فَاَلْمُؤْمِنُ إِذَا دَخَلَ الْجَنَّةَ خَلَفَهُ الْكَافِرُ فِي النَّارِ ، لِأَنَّهُ مُسْتَحِقٌّ لَذَلِكَ بِكُفْرِهِ » وَمَعْنَى « فِكَأُكَ » : أَنَّكَ كُنْتَ مُعْرَضًا لِدُخُولِ النَّارِ ، وَهَذَا فِكَأُكَ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدَّرَ لِلنَّارِ عَدَدًا يَمْلُؤُهَا ، فَإِذَا دَخَلَهَا الْكُفَّارُ بِذُنُوبِهِمْ وَكُفْرِهِمْ ، صَارُوا فِي مَعْنَى الْفِكَأِ لِلْمُسْلِمِينَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

433- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « يُدْنَى الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيْهِ ، فَيَقْرَرُهُ بِذُنُوبِهِ ، فَيَقُولُ : أُنَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أُنَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ : رَبِّ أَعْرِفُ ، قَالَ : فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا ، وَأَنَا أَعْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ ، فَيُعْطَى صَحِيفَةً حَسَنَاتِهِ » متفقٌ عليه . كَنَفُهُ : سَتْرُهُ وَرَحْمَتُهُ .

434- وعن ابن مسعود رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا أَصَابَ مِنْ امْرَأَةٍ قُبْلَةً ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : { وَاقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفًا فِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ } [هود : 114] فقال الرجل : ألي هذا يا رسول الله ؟ قال : « لَجَمِيعِ أُمَّتِي كُلِّهِمْ » متفقٌ عليه .

435- وعن أنس ، رضي الله عنه ، قال : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَصَبْتُ حَدًّا ، فَأَقِمْهُ عَلَيَّ ، وَحَضَرَتِ الصَّلَاةَ فَصَلَّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا قَضَى

الصَّلَاةُ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا ، فَأَقِمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، قَالَ : « هَلْ حَضَرْتَ مَعَنَا الصَّلَاةَ ؟ » قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ « قَدْ غَفِرَ لَكَ » متفقٌ عليه .

وقوله : « أَصَبْتُ حَدًّا » معناه : مَعْصِيَةٌ تُوجِبُ التَّعْزِيرَ ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ الْحَدَّ الشَّرْعِيَّ الْحَقِيقِيَّ كَحَدِّ الزَّيْنِ وَالْخَمْرِ وَغَيْرِهِمَا ، فَإِنَّ هَذِهِ الْحُدُودَ لَا تَسْقُطُ بِالصَّلَاةِ ، وَلَا يَجُوزُ لِلْإِمَامِ تَرْكُهَا .

436- وعنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضِي عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ ، فَيُحَمِّدُهَا عَلِيمًا ، أَوْ يَشْرِبَ الشَّرْبَةَ ، فَيُحَمِّدُهَا عَلِيمًا » رواه مسلم .

« الْأَكْلَةُ » بفتح الهمزة وهي المرة الواحدة مِنَ الْأَكْلِ كَالْعَدْوَةِ وَالْعَشْوَةِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

437- وعن أبي موسى ، رضي الله عنه ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ، بَيَسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لَيَتُوبَ مُسِيءَ النَّهَارِ ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لَيَتُوبَ مُسِيءَ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا » رواه مسلم .

438- وعن أبي نجيحٍ عمرو بن عَبَسَةَ بفتح العين والباء السُّلَمِيَّ ، رضي الله عنه قال : كنتُ و أنا في الجاهليَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ ، وَأَتَمُّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ ، وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ ، فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا ، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي ، فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْتَخْفِيًّا جَرَاءً عَلَيْهِ قَوْمُهُ ، فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ ، فَقُلْتُ لَهُ : مَا أَنْتَ ؟ قَالَ : « أَنَا نَبِيٌّ » قُلْتُ : وَمَا نَبِيٌّ ؟ قَالَ : « أُرْسِلَنِي اللَّهُ » قُلْتُ : وَبِأَيِّ شَيْءٍ أُرْسِلَكَ ؟ قَالَ : « أُرْسِلَنِي بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ ، وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ ، وَأَنْ يُوحَدَ اللَّهُ لَا يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ » قُلْتُ : فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا ؟ قَالَ : « حُرُوعَبْدٌ » وَمَعَهُ يَوْمُنِيذِ أَبُو بَكْرٍ وَبِلَالٌ رضي الله عنهما . قُلْتُ : إِنِّي مُتَّبِعُكَ ، قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا . أَلَا تَرَى حَالِي وَحَالَ النَّاسِ ؟ وَلَكِنْ أَزْجِعُ إِلَى أَهْلِكَ فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي » قَالَ فَذَهَبْتُ إِلَى أَهْلِي ، وَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ . وَكُنْتُ فِي أَهْلِي . فَجَعَلْتُ أَتَخَبَّرُ الْأَخْبَارَ ، وَأَسْأَلُ النَّاسَ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ حَتَّى قَدِمَ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِي الْمَدِينَةَ ، فَقُلْتُ : مَا فَعَلَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدِمَ الْمَدِينَةَ ؟ فَقَالُوا : النَّاسُ إِلَيْهِ سِرَاعٌ وَقَدْ أَرَادَ قَوْمُهُ قَتْلَهُ ، فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ ، فَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْرِفْنِي ؟ قَالَ : « نَعَمْ أَنْتَ الَّذِي لَقِيتَنِي بِمَكَّةَ » قَالَ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي عَمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ وَأَجْهَلُهُ ، أَخْبِرْنِي عَنِ الصَّلَاةِ ؟ قَالَ : « صَلِّ صَلَاةَ الصُّبْحِ ، ثُمَّ اقْصُرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَرْتَفِعَ الشَّمْسُ قَبْلَ رُوحِ ، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ حِينَ تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانِي ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ ، ثُمَّ صَلِّ ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مُحَضَّرَةٌ . حَتَّى يَسْتَقِيلَ الظِّلُّ بِالرُّوحِ ، ثُمَّ اقْصُرْ عَنِ الصَّلَاةِ ، فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ تُسَجَّرُ جَهَنَّمُ ، فَإِذَا أَقْبَلَ الْفَيْءُ فَصَلِّ ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مُحَضَّرَةٌ حَتَّى تُصَلِّيَ الْعَصْرَ ثُمَّ اقْصُرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ ، فَإِنَّهَا تُغْرُبُ بَيْنَ قَرْنَيْ

شيطانٍ ، وحينئذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ» . قال : فقلت : يا نبيَّ الله ، فالوضوءُ حدثي عنه ؟ فقال : « ما منكم رجلٌ يُقَرِّبُ وَضُوءَهُ ، فَيَتَمَضَّمُ وَيَسْتَنْشِقُ فَيَنْتَثِرُ ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ وَفِيهِ وَخِيَاشِيمِهِ . ثم إذا غَسَلَ وَجْهَهُ كما أمره الله إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ مِنْ أَطْرَافِ لِحْيَتِهِ مَعَ الْمَاءِ . ثم يَغْسِلُ يَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا يَدَيْهِ مِنْ أَنْامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ ، ثم يَمَسُحُ رَأْسَهُ ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رَأْسِهِ مِنْ أَطْرَافِ شَعْرِهِ مَعَ الْمَاءِ ، ثم يَغْسِلُ قَدَمَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رِجْلَيْهِ مِنْ أَنْامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ ، فَإِنْ هُوَ قَامَ فَصَلَّى ، فَحَمِدَ اللَّهَ تَعَالَى ، وَاتَّقَى عَلَيْهِ وَمَجَّدَهُ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ ، وَفَرَّغَ قَلْبَهُ لِلَّهِ تَعَالَى . إِلَّا انصَرَفَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ» . فحدثتُ عَمْرُو بْنَ عَبْسَةَ بهذا الحديثِ أَبَا أَمَامَةَ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال له أبو أمامة: يا عَمْرُو بْنَ عَبْسَةَ ، انظر ما تقولُ . في مقامٍ واحدٍ يُعْطَى هَذَا الرَّجُلُ ؟ فقال عَمْرُو : يا أَبَا أَمَامَةَ . فقد كَبُرَتْ سِنِّي ، وَرَقَّ عَظْمِي ، وَاقْتَرَبَ أَجَلِي ، وما بي حاجةٌ أَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ، ولا على رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لولم أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ، حَتَّى عَدَّ سَبْعَ مَرَاتٍ ، ما حَدَّثْتُ أَبَدًا بِهِ ، وَلَكِنِّي سَمِعْتُهُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ . قوله : « جِرَاءٌ عَلَيْهِ قَوْمُهُ » : هو بجيمٍ مضمومة وبالمدة على وزنِ عُلْمَاءِ ، أَي : جاسِرُونَ مُسْتَطِيلُونَ غَيْرُ هَائِبِينَ . هذه الرواية المشهورة ، ورواه الحُمَيْدِيُّ وغيره : « جِرَاءٌ بِكسرِ الحاءِ المهملة . وقال : معناه غِيْظٌ ذُووُ غَمٍّ وَهَمٍّ ، قد عِيلَ صَبْرُهُمْ بِهِ ، حتى أَنْزَفَ فِي أَجْسَامِهِمْ ، مِنْ قَوْلِهِمْ : حَرَى جِسْمُهُ يَجْرَى ، إِذَا نَقَصَ مِنَ الْمِمْ أَوْ غَمٍّ وَنَحْوِهِ ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ بِالْجِيمِ . وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ » أَي : ناحيتي رأسه . والمرادُ التَّمْثِيلُ معناه : أَنَّهُ حِينَئِذٍ يَتَحَرَّكُ الشَّيْطَانُ وَشِيعَتُهُ . وَيَتَسَلَّطُونَ .

وقوله : « يُقَرِّبُ وَضُوءَهُ » معناه : يُحْضِرُ الْمَاءَ الَّذِي يَتَوَضَّأُ بِهِ . وقوله : « إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَاهُ » هو بالخاء المعجمة : أَي سَقَطَتْ . ورواه بعضهم . « جرت » بالجيم . والصحيح بالخاء ، وهو رواية الجمهور . وقوله : « فَيَنْتَثِرُ » أَي : يَسْتَخْرِجُ ما فِي أَنْفِهِ مِنْ أَدَى ، وَالتَّثْرَةُ : طَرْفُ الْأَنْفِ .

439- وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « إِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى ، رَحْمَةً أُمَّةٍ ، قَبِضَ نَبِيَّهَا قَبْلَهَا ، فَجَعَلَهُ لَهَا فَرْطًا وَسَلْفًا بَيْنَ يَدَيْهَا ، وَإِذَا أَرَادَ هَلَكَةَ أُمَّةٍ ، عَذَّبَهَا وَنَبِيَّهَا حَيًّا ، فَأَهْلَكَهَا وَهُوَ حَيٌّ يَنْظُرُ ، فَأَقْرَعَ عَيْنَهُ بِهَلَاكِهَا حِينَ كَذَّبُوهُ وَعَصَوْا أَمْرَهُ » رواه مسلم

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

عن ابن عباس قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وحشي بن حرب قاتل حمزة يدعوه إلى الإسلام فأرسل إليه : يا محمد ، كيف تدعوني وأنت تزعم أن من قتل أو أشرك أو زنى يلق آثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً ، وأنا صنعت ذلك فهل تجد لي من رخصة ؟

فأنزل الله : إلا من تاب وأمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما . (الفرقان 70) فقال وحشي : هذا شرط شديد ؛ إلا من تاب وأمن وعمل عملا صالحا فلعلي لا أقدر على هذا ، فأنزل الله : (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) (النساء 48) فقال وحشي : هذا أرى بعد مشيئة . فلا أدري يغفر لي أم لا ، فهل غير هذا ؟ فأنزل الله : يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم الآية . قال وحشي : هذا نعم ، فأسلم ، فقال الناس : يا رسول الله : أنا أصبنا ما أصاب وحشي . قال : هي للمسلمين عامة . (تفسير الدر المنثور 12 / 672)

عن ابن عباس في قوله : يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم الآية ، قال : قد دعا الله إلى مغفرته ؛ من زعم أن المسيح هو الله ، ومن زعم أن المسيح ابن الله ، ومن زعم أن عزيزا ابن الله ومن زعم أن الله فقير ، ومن زعم أن يد الله مغلولة ، ومن زعم أن الله ثالث ثلاثة ، يقول الله لهؤلاء : أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم (المائدة 74) ثم دعا إلى توبته من هو أعظم قولا من هؤلاء من قال : أنا ربكم الأعلى (النزاعات 24) وقال : ما علمت لكم من إله غيري (القصص 38) قال ابن عباس : ومن آيس العباد من التوبة بعد هذا فقد جحد كتاب الله ، ولكن لا يقدر العبد أن يتوب حتى يتوب الله عليه . (تفسير الدر المنثور 12 / 677)

قال علي رضي الله عنه : أي آية في القرآن أوسع ؟ فجعلوا يذكرون آيات من القرآن (ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما) . ونحوها ، فقال علي : ما في القرآن آية أوسع من : يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم ... إلى آخر الآية . (تفسير الطبري 21 / 309)

عن علي بن أبي طالب قال : إن الفقيه كل الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يرخص لهم في معاصي الله ولم يؤمهم عذاب الله ، ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره ، أنه لا خير في عبادة لا علم فيها ، ولا علم لا فهم فيه ، ولا قراءة لا تدبر فيها . (تفسير الدر المنثور 12 / 679)

عن القرظي أنه قال في هذه الآية : يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله قال : هي للناس أجمعين . (تفسير الطبري 21 / 309)

عن طاوس وهل نجازي إلا الكفور . قال : هو المناقشة في الحساب ، ومن نوقش الحساب عذب ، وهو الكافر لا يغفر له . عن مجاهد : وهل يجازى قال : هل يعاقب إلا الكفور . (الدر المنثور 12 / 198)

عن قتادة قوله : إن العذاب على من كذب وتولى . كذب بكتاب الله ، وتولى عن طاعة الله . (تفسير الطبري 18 / 316)

(ورحمتي وسعت كل شيء) عمت كل شيء قال الحسن وقتادة : وسعت رحمته في الدنيا البر

والفاجروهي يوم القيامة للمتقين خاصة . وقال عطية العوفي : وسعت كل شيء ولكن لا تجب إلا للذين يتقون ، وذلك أن الكافر يرزق ، ويدفع عنه بالمؤمنين لسعة رحمه الله للمؤمنين ، فيعيش فيها ، فإذا صار إلى الآخرة وجبت للمؤمنين خاصة كالمستضيء بنار غيره إذا ذهب صاحب السراج بسراجه . قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة ، وابن جريج : لما نزلت : ورحمتي وسعت كل شيء . قال إبليس : أنا من ذلك الشيء ، فقال الله سبحانه وتعالى : فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . فتمناها اليهود والنصارى وقالوا : نحن نتقي ونؤمن ونأتي الزكاة فجعلها الله لهذه الأمة فقال . الذين يتبعون الرسول النبي الأمي . (تفسير البغوي 3 / 288)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال معاذ بن معاذ : ما رأيت أحدا أعظم رجاء لأهل الإسلام من ابن عون ؛ لقد ذكر له الحجاج وأنا شاهد فقيل : إنهم يزعمون أنك تستغفر للحجاج ، فقال : ما لي لا أستغفر للحجاج من بين الناس ؟ وما بيبي وبينه ؟ وما كنت أبالي أن أستغفر له الساعة ؛ قال معاذ : وكان إذا ذكر عنده الرجل يعيب ، قال : إن الله تعالى رحيم . (حلية الأولياء 3 / 41)

قال مسلم بن يسار أنه : من رجا شيئا طلبه ومن خاف من شئهرب منه وما أدري ما حسب رجاء امرئ عرض له بلاء ، لم يصبر عليه لما يرجو؟ وما أدري ، ما حسب خوف امرئ عرضت له شهوة لم يدعها ، لما يخشى ؟ . (حلية الأولياء 2 / 292)

عن مالك بن مغول قال : قال الربيع بن أبي راشد : لولا ما يأمل المؤمنون من كرامة الله تعالى لهم بعد الموت ، لانشقت في الدنيا مرائهم ، ولتقطعت في الدنيا أجوافهم . (حلية الأولياء 5 / 76)

عن الحسن قال : إن هذا الحق : جهد الناس ، وحال بينهم وبين شهواتهم ؛ فوالله ما صبر عليه إلا من عرف فضله ورجا عاقبته . (حلية الأولياء 6 / 197 - 198)

عن داود الطائي قال : اليأس سبيل أعمالنا هذه ، ولكن القلوب تحن إلى الرجاء . (الحلية 7 / 359)

قال محمد بن المبارك : ما آمن بالله من رجا مخلوقا فيما ضمن الله له . (حلية الأولياء 9 / 299)

قَالَ أَبُو عَمْرٍانُ السَّلْمِيُّ مُنْشِدًا : (حُسْنُ الظَّنِّ ، لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا ص 106)

وَإِنِّي لِآتِي الدَّنْبِ أَعْرِفُ قَدْرَهُ *** وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَعْفُو وَيَغْفِرُ

لَئِنْ عَظِمَ النَّاسِ الدُّنُوبُ فَإِنَّهَا *** وَإِنْ عَظُمَتْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ تَصْغُرُ

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ:

قال مكحول: بينا سليمان بن داود على بساط من شعر وأصحابه حوله، إذ أمر الريح فاستقلته وسارت الجن والإنس أمامه، والطير تظله، وإذا حراث يحرث على جانب الطريق، قال: فقال الحراث: لو أن سليمان بن داود عندي كلمته بثلاث كلمات، فأوحى الله تعالى إلى سليمان بن داود أن أنت الحراث، قال: فركب على فرس له حتى أتاه قال: يا حراث أنا سليمان، فقل ما أردت أن تقول، قال: وما علمك أني أردت أن أقول؟ قال: الله أعلمني، قال: أشهد له بذلك، قال: والله إلا أني رأيتك فيما أنت فيه فقلت: والله ما سليمان في لذة لئذها أمس، ولا في نعيم نعمه، وأنا في تعب تعبته أمس، وفي نصب نصبته إلا سواء، لا سليمان يجد لذة ما مضى، ولا أنا أجد تعب ما مضى، قال: وأخرى قلتها، قال: وما هي؟ قلت: سليمان يموت وأنا أموت قال: صدقت قال: قلت: يا سليمان لكلي قلت كلمة طيبت بها نفسي قلت: سليمان يسأل غدا عما أعطي وأنا لا أسأل قال: فخر سليمان ساجدا على فرسه يبكي وهو يقول: يا رب لولا أنك جواد لا تبخل لسألتك أن تنزع مني ما أعطيتني قال: فأوحى الله تعالى إليه: يا سليمان ارفع رأسك فإنني لم أنعم على عبد لي نعمة فتكون تلك النعمة رضا فأحاسبه عليها. (حلية الأولياء 5 / 182)

قال مكحول: بينا امرأة من الحي. يقال لها: الفارعة بنت المستورد قائمة تتعبد إذا هي بإبليس ساجدا على صفاة، تسيل دموعه على خديه كسريح الجنين فقالت له: يا إبليس ما يغني عنك طول السجود؟ فقال: أيتها المرأة الصالحة بنت الشيخ الصالح: أرجو إذا أبري قسمه: أن يخرجني من النار قال أبو عمر الدروري: هذا إبليس يرجو رحمه الله، فكيف نحن عبيد الله. (حلية الأولياء 5 / 182)

قال عطاء بن السائب: ذهبنا نرجى أبا عبد الرحمن السلمي عند موته فقال: إني لأرجو ربي وقد صمت له ثمانين رمضان. (حلية الأولياء 4 / 192)

52- باب فضل الرجاء

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنِ الْعَبْدِ الصَّالِحِ: وَ أَفْوَضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا [غافر: 44-45].

440- وعن أبي هريرة، رضي الله عنه، عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: « قَالَ اللهُ، عَزَّ وَجَلَّ، أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي، وَاللَّهُ لَلَّهِ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بِالْفَلَاةِ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا،

وَإِذَا أَقْبَلَ إِلَيَّ يَمْشِي ، أَقْبَلْتُ إِلَيْهِ أَهْرُولُ « متفقٌ عليه ، وهذا لفظ إحدى روايات مسلم .

441- وعن جابر بن عبد الله ، رضي الله عنهما ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَبْلَ مَوْتِهِ بثلاثة أَيَّامٍ يَقُولُ : « لَا يَمُوتُنَ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ » رواه مسلم

442- وعن أنسٍ ، رضي الله عنه قال : سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : « قال الله تعالى : يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتِي وَرَجَوْتِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي ، يَا ابْنَ آدَمَ ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ ، يَا ابْنَ آدَمَ ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ، ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا ، لِأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً » رواه الترمذي . وقال : حديث حسن . « عَنَانَ السَّمَاءِ » بفتح العين ، قيل : هو ما عن لك منها ، أي : ظهرَ إِذَا رَفَعْتَ رَأْسَكَ ، وقيل : هو السَّحَابُ . و « قُرَابُ الْأَرْضِ » بضم القاف ، وقيل بكسرِها ، والضم أصح وأشهر ، وهو ما يقاربُ مِلْأَهَا ، والله أعلم .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

عن السدي : و أفوض أمري إلى الله . قال : أجعل أمري إلى الله . (تفسير الطبري 21 / 394)

و أفوض أمري إلى الله أي : أتوكل عليه وأسلم أمري إليه . قيل : إنه قال هذا لما أرادوا الإيقاع به قال مقاتل : هرب هذا المؤمن إلى الجبل فلم يقدرُوا عليه . وقيل : القائل هو موسى والأول أولى . فوقاه الله سيئات ما مكروا . أي : وقاه الله ما أرادوا به من المكر السيئ وما أرادوا به من الشر . قال قتادة : نجاه الله مع بني إسرائيل . (تفسير فتح القدير للشوكاني 1 / 1303)

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

عن عبد الله بن عمرو : أن أباه قال عند موته : اللهم إنك أمرتنا فأضعنا ونهيتنا فركبنا فلا بريء فأعتذر ولا عزيز فانتصر ؛ ولكن لا إله إلا أنت . وما زال يقولها حتى مات . (طبقات ابن سعد 4 / 260)

قال الفضيل بن عياض : الخوف أفضل من الرجاء ما دام الرجل صحيحا فإذا نزل به الموت فالرجاء أفضل من الخوف يقول : إذا كان في صحته محسنا عظم رجاءه عند الموت وحسن ظنه إذا كان في صحته مسينا ساء ظنه عند الموت ولم يعظم رجاءه . (حلية الأولياء 8 / 89)

قال الفضيل بن عياض : وعزته لو أدخلني النار ما أيست . (سير أعلام النبلاء 432 / 8)

قال حماد بن سلمه : والله لو خيرت بين محاسبة الله لي ، وبين محاسبة أبوي ؛ لاخترت محاسبة الله ، وذلك لأن الله أرحم بي من أبوي . (سير أعلام النبلاء 7 / 944)

عن ابن أبي الحواري قال : كنت أسمع وكيعا يبتدئ قبل أن يحدث ، فيقول : ما هنالك إلا عفوه ، ولا نعيش إلا في ستره ، ولو كشف الغطاء لكشف عن أمر عظيم . (سير أعلام النبلاء 12 / 92)

قال شعيب بن حرب لرجل : أن دخلت القبر ومعك الإسلام فأبشر . (سير أعلام النبلاء 12 / 92)

الآثارُ العمليَّةُ في حياة السَّلفِ :

وجاء أيضا أنه : لما احتضر معاوية قيل له : إلا توصي ؟ ، فقال : اللهم أقل العثرة ، واعف عن الزلة ، وتجاوز بحلمك عن جهل من لم يرج غيرك . (سير أعلام النبلاء 3 / 160)

يقول المزني : دخلت على الشافعي في مرضه الذي مات فيه ، فقلت : يا أبا عبد الله ، كيف أصبحت ؟ فرجع رأسه ، وقال : أصبحت من الدنيا راحلا وإخواني مفارقا ولسوء عملي ملاقيا وعلى الله واردا ، ما أدري روعي تصير إلى الجنة فأهنئها ، أو إلى النار فأعزبها ، ثم بكى وإنشاء يقول :

إِلَيْكَ إِلَهَ الْخَلْقِ أَرْفَعُ رَغْبَتِي وَإِنْ	*** كُنْتُ يَا ذَا الْمَنِّ وَالْجُودِ مُجْرِمًا
وَلَمَّا قَسَا قَلْبِي ، وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي	*** جَعَلْتَ الرَّجَاءَ مِنِّي لِعَفْوِكَ سَلْمًا
تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرَنْتُهُ بِعَفْوِكَ	*** رَبِّي كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمًا
فَمَا زَلْتُ ذَا عَفْوٍ عَنِ الذَّنْبِ لَمْ	*** تَزَلْ تَجُودُ وَتَعْفُو مِنِّي وَتَكْرُمًا
فَلَوْلَاكَ لَمْ يَصْمُدْ لِإِبْلِيسِ عَابِدٌ	*** فَكَيْفَ وَقَدْ أَعْوَى صُفْيِكَ أَدْمًا
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَصْبِرُ لِحَنَّتِهِ	*** أَهْنًا وَأَمَّا لِلسَّعِيرِ فَأَنْدَمًا
فَإِنْ تُعَفَّ عَنِّي تَعَفَّ عَنِ مُتَمَرِّدٍ	*** ظُلُومٍ غَشُومٍ لَا يُزِيلُ مَائِمًا
وَإِنْ تَنْتَقِمَ مِنِّي فَلَيْسَتْ بِأَيْسٍ	*** وَلَوْ أَدْخَلُوا نَفْسِي بِجُزْمِ جَهَنَّمَ
فَلِلَّهِ دَرُ الْعَارِفِ التَّدْبِ إِنَّهُ	*** تَفِيضُ لِفَرْطِ الْوَجْدِ أَجْفَانُهُ دَمًا
يُقِيمُ إِذَا مَا اللَّيْلُ مَدَّ ظِلَامِهِ	*** عَلَى نَفْسِهِ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ مَائِمًا
فَصَبِيحًا إِذَا مَا كَانَ فِي ذِكْرِ رَبِّهِ	*** وَفِي مَا سِوَاهُ فِي الْوَرَى كَانَ أَعْجَمًا

- وَيُذَكِّرُ أَيَّامًا مَضَتْ مِنْ شَبَابِهِ *** وَمَا كَانَ فِيهَا بِالْجَهَالَةِ أَجْرَمًا
- فَصَارَ قَرِينُ الْهَمِّ طَوْلَ مَهَارِهِ أَحَا *** أَلْسُهُدِ وَالنَّجْوَى إِذَا أَلَّلِيلَ أَظْلَمًا
- يَقُولُ حُبَيْبِي أَنْتَ سُؤْلِي وَبُعَيْتِي *** كَفَى بِكَ لِلرَّاجِينَ سُؤْلًا وَمَعْنَمًا
- أَلَسْتَ أَلَدِي غَدَيْتِي وَهَدَيْتِي *** وَلَا زَلْتْ مُنَانَا عَلِي وَمُنْعَمًا
- عَسَى مَنْ لَهُ الْإِحْسَانُ يَغْفِرُ زَلَّتِي *** وَيَسْتُرُ أَوْزَارِي وَمَا قَدْ تَقَدَّمَ . (تَارِيخُ دِمَشْقَ 51 / 431)

53- باب الجمع بين الخوف والرجاء

اعْلَمْ أَنَّ الْمُخْتَارَ لِلْعَبْدِ فِي حَالِ صِحَّتِهِ أَنْ يَكُونَ خَائِفًا رَاجِيًا ، وَيَكُونَ خَوْفُهُ وَرَجَاؤُهُ سَوَاءً ، وَفِي حَالِ الْمَرَضِ يُمَحِّضُ الرَّجَاءُ ، وَقَوَاعِدُ الشَّرْعِ مِنْ نِصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ وَعَبْرَ ذَلِكَ مُتَظَاهِرَةٌ عَلَى ذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ [الأعراف : 99] ، وَقَالَ تَعَالَى : إِنَّهُ لَا يِيَّاسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ [يوسف : 87] ، وَقَالَ تَعَالَى : يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ [آل عمران : 106] ، وَقَالَ تَعَالَى : إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ [الأعراف : 166] ، وَقَالَ تَعَالَى : إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ [الانفطار : 13-14] ، وَقَالَ تَعَالَى : فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمَّهُ هَاوِيَةٌ [القارعة : 6-9] وَالآيَاتُ فِي هَذَا الْمَعْنَى كَثِيرَةٌ . فَيَجْتَمِعُ الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ فِي آيَتَيْنِ مُفْتَرِئَتَيْنِ أَوْ آيَاتٍ أَوْ آيَةٍ .

443- وعن أبي هريرة . رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ . مَا طَمَعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ ، مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ » رواه مسلم .

444- وعن أبي سعيد الخدري ، رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِذَا وُضِعَتِ الْجَنَازَةُ وَاحْتَمَلَهَا النَّاسُ أَوْ الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ : قَدِّمُونِي قَدِّمُونِي ، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ ، قَالَتْ : يَا وَيْلَهَا ، أَيْنَ تَذْهَبُونَ بِهَا ؟ يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الْإِنْسَانَ ، وَلَوْ سَمِعَهُ لَصَعِقَ » رواه البخاري .

445- وعن ابن مسعود ، رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ وَالتَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ » رواه البخاري .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

عن هشام بن عروة قال : كتب رجل إلى صاحب له : إذا أصبت من الله شيئاً يسرك فلا تؤمن أن يكون فيه من الله مكر فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون . عن زيد بن أسلم ، أن الله تبارك وتعالى قال للملائكة : ما هذا الخوف الذي قد بلغكم ، وقد أنزلتكم المنزلة التي لم أنزلها غيركم ؟ قالوا : ربنا لا نأمن مكرك ، لا يأمن مكرك إلا القوم الخاسرون . عن إسماعيل بن رافع قال : من الأمن لمكر الله إقامة العبد على الذنب يتمنى على الله المغفرة . (تفسير الدر المنثور 6 / 487)

ولا تيأسوا من روح الله أي لا تقنطوا من فرج الله ؛ قاله ابن زيد ، يريد : أن المؤمن يرجو فرج الله والكافر يقنط في الشدة . وقال قتادة والضحاك : من رحمة الله . (تفسير الطبري 9 / 220)

عن قتادة قوله : يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، الآية ، لقد كفر أقوام بعد إيمانهم كما تسمعون ، ولقد ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : والذي نفس محمد بيده ، ليردن على الحوض ممن صحبني أقوام ، حتى إذا رفعوا إلى رؤيتهم ، اختلجوا دوني ، فلأقولن : رب ! أصحابي ! أصحابي ! فليقالن : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ! وقوله : وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هؤلاء أهل طاعة الله والوفاء بعهد الله قال الله عز وجل : ففي رحمة الله هم فيها خالدون (تفسير الطبري 7 / 94)

(إن ربك سريع العقاب) لأن ما هوأت فهو سريع قريب ، قيل : هو الهلاك في الدنيا ، وإنه لغفور رحيم . قال عطاء : سريع العقاب لأعدائه غفور لأوليائه رحيم بهم . (تفسير البغوي 3 / 212)

(إن الأبرار لفي نعيم) عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إنما سماهم الله الأبرار لأنهم بروا الآباء والأبناء . (تفسير بن كثير) عن مجاهد : فهو في عيشة راضية يقول : في عيشة قد رضيها في الجنة . عن قتادة : وأما من خفت موازينه فأمه هاوية . وهي النار هي مأواهم . (الطبري 24 / 525)

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قال لقمان لابنه : يا بني أرج الله رجاء لا يجرتك على معصيته وخف الله خوفا لا يؤيسك من رحمته . (شعب الإيمان للبيهقي 2 / 18)

كان يحيى بن معاذ يقول في مناجاته : إلهي ! إن كان قد صغر في جنب عطائك عملي فقد كبر في جنب رجاؤك أمني . (شعب الإيمان للبيهقي 2 / 11)

قال يحيى بن معاذ الرازي : الإيمان ثلاثة الخوف والرجاء والمحبة وفي جوف الخوف ترك الذنوب

وفيه النجاة من النار وفي جوف الرجاء الطاعة وفيه وجوب الجنة وفي جوف المحبة احتمال المكروهات وبه جد رضا الله عزوجل . (شعب الإيمان للبيهقي 13 / 2)

قال يحيى بن معاذ : كيف أخافك وأنت كريم ؟ وكيف لا أرجوك وأنت عزيز ؟ فأنا بين خوف يقطعني ورجاء يوصلني فلارجائي يدعني فأموت خوفا ولا خوفا يتركني فأحيا فرحا . (شعب الإيمان للبيهقي 13 / 2)

قال يحيى بن معاذ : يستقى الخوف من بحر عدله ويستقى الرجاء من بحر فضله وقد سبق القضاء أن رحمته سبقت غضبه . (شعب الإيمان للبيهقي 13 / 2)

عن مطرف أنه تلا هذه الآية : (وإن ربك لذوم مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب) (الرعد 6) فقال لو يعلم الناس قدر مغفرة الله وعفو الله وتجاوز الله لقرت أعينهم ولو يعلم الناس نكال الله ونقم الله وبأس الله وعذاب الله ما رقا لهم دمع ولا انتفعوا بطعام ولا شراب . (شعب الإيمان للبيهقي 11 / 2)

قال مطرف : كنا نأتي زيد بن صوحان فكان يقول : يا عباد الله أكرموا وأجملوا وإنما وسيلة العباد إلى الله عزوجل خصلتان : الخوف والطمع (أي الطمع في رحمه الله) . (شعب الإيمان 11 / 2)

قال شعبة : لو وزن خوف المؤمن ورجاءه ما زاد خوفه على رجائه ولا رجاءه على خوفه . (شعب الإيمان للبيهقي 12 / 2)

عن معاوية بن قرة : إنه جلس ورجل من التابعين يتذاكران فقال أحدهما : إني لأرجو وأخاف وقال الآخر : إنه من رجا شيئا طلبه وأنه من خاف من شيء هرب منه وما حسب امرئ يرجو شيئا يطلبه وما حسب امرئ يرجو شيئا لا يهرب منه ؟ . (شعب الإيمان للبيهقي 13 / 2)

قال ذا النون يقول : وجدت حجرا فإذا عليه مكتوب : كل مطيع مستأنس وكل عاص مستوحش وكل راج طالب وكل خائف هارب وكل محب ذليل . (شعب الإيمان للبيهقي 13 / 2)

قال ذو النون : الخوف رقيب العمل والرجاء شفيح المحن . (شعب الإيمان للبيهقي 25 / 2)

قال أبو عثمان المغربي : من حمل نفسه على الرجاء تعطل ومن حمل نفسه على الخوف قنط ولكن من هذه مرة ومن هذه مرة . (شعب الإيمان للبيهقي 21 / 2)

عن الحسن قال : إن هذا الحق : جهد الناس وحال بينهم وبين شهواتهم ؛ فوالله ، ما صبر عليه ، إلا من عرف فضله ، ورجاء عاقبته . (حلية الأولياء 6 / 196 - 197)

قال أبو يعقوب السوسي : العابد يعبد الله تحذيرا والعارف يعبد الله تشريفا والعالم يعبد الله خائفا وراجيا . (شعب الإيمان 11 / 2)

قال أبو سليمان الدراني يقول : إذا غلب الرجاء على الخوف فسد القلب . (شعب الإيمان 10 / 2)

قال الواسطي : الخوف والرجاء زمامان على النفوس لثلاث تخرج إلى رعوتها (الرسالة القشيرية 60 / 1)

قال أبو علي الروذباري : الخوف والرجاء هما كجناحي الطائر إذا استويا استوى الطير وتم طيرانه وإذا نقص واحد منهما وقع فيه النقص وإذا ذهب جميعا صار الطائر في حد الموت لذلك قيل : لو وزن خوف المؤمن ورجاءه لاعتدلا . (شعب الإيمان 12 / 2)

قال ابن القيم : القلب في سيره إلى الله عز وجل بمنزلة الطائر ، فالمحبة رأسه والخوف والرجاء جناحاه ؛ فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران ، ومتى قطع الرأس مات الطائر ، ومتى فقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر . (مدارج السالكين 1 / 517)

وقال أيضا : الخوف علامة صحة الإيمان وترحله من القلب علامة ترحل الإيمان منه . (مدارج السالكين 1 / 515)

وقال أيضا : الخوف المحمود الصادق ما حال بين صاحبه وبين محارم الله عز وجل ، فإن تجاوز هذا خيف منه اليأس والقنوط . (مدارج السالكين 1 / 514)

قال ابن رجب : والقدر الواجب من الخوف ما حمل على أداء الفرائض واجتناب المحارم ، فإن زاد على ذلك بحيث صار باعثا للنفوس على التشمير في نوافل الطاعات والإنكفاف عن دقائق المكروهات والتبسط في فضول المباحات كان ذلك فضلا محمودا فإن تزايد على ذلك بأن أورث مرضا أو موتا أو هما لازما بحيث يقطع عن السعي في اكتساب الفضائل المطلوبة المحبوبة لله عز وجل لم يكن محمودا . (التخويف من النار ص 19)

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

روى أن خادما لعبد الله بن عمر أذنب فأراد ابن عمر أن يعاقبه على ذنبه فقال : يا سيدي أما لك ذنب تخاف الله تعالى منه ؟ قال : بلى قال : فبالذي أمهلك لما أمهلتني ثم أذنب العبد ثانيا فأراد عقوبته ، فقال له مثل ذلك فعفا عنه ثم أذنب الثالثة . فعاقبه وهو لا يتكلم . فقال له ابن عمر : مالكم تقل ما قلت في الأولتين ؟ فقال : يا سيدي حياء من حلمك مع تكرار جرمي . فبكى ابن عمر وقال : أنا أحق بالحياء من ربي أنت حر لوجه الله تعالى . (البداية والنهاية 300 / 17)

54- باب فضل البكاء من خشية الله تعالى وشوقا إليه

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : وَيَخْرُونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا [الإسراء : 109] ، وقال تَعَالَى : أَقْمِنُ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ [النجم : 59] .

446- وعن أبي مسعود ، رضي الله عنه . قال : قال لي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَقْرَأَ عَلَيَّ الْقُرْآنَ » قلتُ : يا رَسُولَ اللهِ أَقْرَأَ عَلَيْكَ ، وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ ؟ ، قال : « إِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي » فقُرَأْتُ عَلَيْهِ سُورَةُ النَّسَاءِ حَتَّى جِئْتُ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ : { فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا } [الآية : 41] قال : « حَسْبُكَ الْآنَ » فَأَلْتَمَتْ إِلَيْهِ . فَإِذَا عَيْنَاهُ تَدْرِفَانِ . متفقٌ عليه .

447- وعن أنس ، رضي الله عنه ، قال : خَطَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُطْبَةً مَا سَمِعْتُ مِثْلَهَا قَطُّ ، فقال : « لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا » قال : فَغَطَّى أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَجُوهَهُمْ . وَلَهُمْ خَنِينٌ . متفقٌ عليه . وَسَبَقَ بَيَانُهُ فِي بَابِ الْخَوْفِ .

448- وعن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : قال رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا يَلِيحُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ وَلَا يَجْتَمِعُ عُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَدُخَانٌ جَهَنَّمَ » رواه الترمذي وقال : حديثٌ حسنٌ صحيحٌ .

449- وعنه قال : قال رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ : إِمَامٌ عَادِلٌ ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى . وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسَاجِدِ . وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ . اجْتَمَعَا عَلَيْهِ . وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ . فَقَالَ : إِنِّي أَخَافُ اللهُ . وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ . وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهُ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ » متفقٌ عليه .

450- وعن عبد الله بن الشَّخِيرِ . رضي الله عنه . قال : أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُصَلِّي وَلِجُوفِهِ أَرِيزٌ كَأَرِيزِ الْمَرْجَلِ مِنَ الْبُكَاءِ . حديثٌ صحيحٌ رواه أبو داود . وَالتِّرْمِذِيُّ فِي الشَّمَائِلِ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ .

451- وعن أنسٍ رضي الله عنه . قال : قال رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِأَبِي بِنِ كَعْبٍ . رضي الله عنه : « إِنَّ اللهَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ : لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا » قال : وَسَمَّانِي ؟ قال : « نَعَمْ » فَبَكَى أَبِي . متفقٌ عليه . وفي رواية : فَجَعَلَ أَبِي يَبْكِي .

452- وعنه قال : قال أَبُو بَكْرٍ لِعَمَرَ ، رضي الله عنهما . بعد وفاة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

انطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا . نَزَّوْرُهَا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَزُورُهَا . فَلَمَّا انْتَهَبَا إِلَيْهَا بَكَتَ . فَقَالَا لَهَا : مَا يُبْكِيكَ ؟ أَمَا تَعْلَمِينَ أَنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى خَيْرٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَتْ : إِنْ لَا أَبْيَا ، أَتِي لِأَعْلَمُ أَنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلِكَيْ أَبْيَا أَنْ الْوَحْيَ قَدْ انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى الْبُكَاءِ ، فَجَعَلَا يَبْكِيَانِ مَعَهَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ .
وقد سبق في باب زيارة أهل الخير .

453- وعن ابن عمر ، رضي الله عنهما ، قال : « لَمَّا اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعُهُ قِيلَ لَهُ فِي الصَّلَاةِ فَقَالَ : « مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ » فَقَالَتْ عَائِشَةُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ غَلَبَهُ الْبُكَاءُ » فَقَالَ : « مُرُوهُ فَلْيُصَلِّ » .

وفي رواية عن عائشة ، رضي الله عنها ، قَالَتْ : قُلْتُ : إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ مَقَامَكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ . متفقٌ عليه .

454- وعن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوفٍ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَتَى بِطَعَامٍ وَكَانَ صَائِمًا ، فَقَالَ : قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي ، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مَا يُكْفَنُ فِيهِ إِلَّا بُرْدَةٌ إِنْ غُطِّيَ بِهَا رَأْسُهُ بَدَتْ رِجْلَاهُ ، وَإِنْ غُطِّيَ بِهَا رِجْلَاهُ بَدَا رَأْسُهُ ، ثُمَّ بُسِطَ لَنَا مِنَ الدُّنْيَا مَا بُسِطَ أَوْ قَالَ : أُعْطِينَا مِنَ الدُّنْيَا مَا أُعْطِينَا قَدْ خَشِينَا أَنْ تَكُونَ حَسَنَاتِنَا عَجَلَتْ لَنَا . ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي حَتَّى تَرَكَ الطَّعَامَ . رواه البخاري .

455- وعن أبي أمامة صَدِيِّ بْنِ عَجَلَانَ الْبَاهِلِيِّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ قَطْرَتَيْنِ . وَأَثَرَيْنِ : قَطْرَةٌ دُمُوعٍ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَقَطْرَةٌ دَمٍ تَهْرَاقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَمَّا الْأَثَرَانِ فَأَثَرُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى وَآثَرٌ فِي فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ تَعَالَى » رواه الترمذي وقال : حديثٌ حسنٌ . وفي البابِ أحاديثٌ كثيرةٌ منها :

456- حديث الغرياض بن سارية . رضي الله عنه ، قال : وَعَظَّنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً وَجِلَّتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ . « . وقد سبق في باب النهي عن البدع .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

قوله تعالى : ويخرون للأذقان هذه مبالغة في صفتهم ومدح لهم . وحق لكل من توسم بالعلم وحصل منه شيئاً أن يجري إلى هذه المرتبة فيخشع عند استماع القرآن ويتواضع ويذل . وفي مسند الدارمي أبي محمد عن النبي قال : من أوتي من العلم ما لم يبكه لخليق ألا يكون أوتي علماً ؛ لأن الله تعالى نعت العلماء ، ثم تلا هذه الآية . ذكره الطبري أيضاً . والأذقان جمع ذقن وهو مجتمع

للحيين . وقال الحسن : الأذقان عبارة عن اللحي . أي يضعونها على الأرض في حال السجود وهو غاية التواضع . واللام بمعنى على تقول سقط لفيه أي على فيه وقال ابن عباس : أي للوجوه وإنما خص الأذقان بالذكر لأن الذقن أقرب شيء من وجه الإنسان قال ابن خويزمنداد : ويجوز السجود على الذقن لأن الذقن هاهنا عبارة عن الوجه وقد يعبر بالشيء عما جاوره وبعبضه عن جميعه فيقال خر لوجهه ساجدا وإن كان لم يسجد على خده وعينه . (تفسير الطبري 10 / 307)

عن عبد الأعلى التيمي قال : إن من أوتي من العلم ما لا يبكيه ، لخليق أن قد أوتي من العلم ما لا ينفعه ؛ لأن الله نعت أهل العلم فقال : ويخرون للأذقان يبكون . عن أبي حازم ، أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل عليه جبريل وعنده رجل يبكي ، فقال : من هذا ؟ قال : " فلان " . قال جبريل : إنا نزن أعمال بني آدم كلها إلا البكاء ، فإن الله يطفى بالدمعة نهورا من نيران جهنم . عن الجعد أبي عثمان قال : بلغنا أن داود قال : إلهي ، ما جزاء من فاضت عيناه من خشيتك ؟ قال : جزاؤه أن يؤمنه يوم الفزع الأكبر . (تفسير الدر المنثور 9 / 460)

عن مجاهد في قوله : أفمن هذا الحديث قال : القرآن . قال ابن عباس : لما نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم . أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون فما رأي النبي صلى الله عليه وسلم بعدها ضاحكا حتى ذهب من الدنيا . عن أبي هريرة قال : لما نزلت : أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون بكى أصحاب الصفة حتى جرت دموعهم على خدودهم فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينهم بكى معهم ، فبكينا ببكائه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يلج النار من بكى من خشية الله ولا يدخل الجنة مصر على معصية الله ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيغفر لهم . (تفسير الدر المنثور 14 / 59)

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

كان أبو بكر الصديق أسيفا كثير البكاء وكان يقول : ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا وكان إذا قام إلى الصلاة كأنه عود من خشية الله عز وجل . (حلية الأولياء 1 / 33)

بعث أبو موسى الأشعري إلى قراء أهل البصرة فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرءوا القرآن فقال : أنتم خيار أهل البصرة وقرأوهم فأتوهم ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم . (صحيح مسلم 1050)

قال ابن مسعود : ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية : (ألم يئن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) (الحديد - 16) إلا أربع سنين . (صحيح مسلم 3027)

قال جعفر بن برقان : بلغنا : أن سلمان الفارسي كان يقول : أضحكني ثلاث ، وأبكاني ثلاث : ضحكت من مؤمل الدنيا ، والموت يطلبه ؛ وغافل لا يغفل عنه ؛ وضاحك ملء فيه ، لا يدري أمسخط ربه ، أم مرضيه ؛ وأبكاني ثلاث : فراق الأحبة ، محمد وحزبه ؛ وهول المطلع عند غمرات الموت ؛ والوقوف بين يدي رب العالمين ، حين لا أدري : إلى النار انصرافي أم إلى الجنة .
(حلية الأولياء / 1 / 207)

قال محمد ابن واسع : لقد أدركت رجالا كان الرجل يكون رأسه مع رأس امرأته على وسادة واحدة قد بل ما تحت خده من دموعه لا تشعر به امرأته ولقد أدركت رجالا يقوم أحدهم في الصف فتسيل دموعه على خده ولا يشعر به الذي إلى جانبه . (حلية الأولياء / 2 / 347)

عن كعب الأحبار قال : وجدت في التوراة : من خرج من عينة مثل الذباب من الدمع ، من خشية الله ، أمنه الله من عذاب جهنم . (حلية الأولياء / 5 / 370)

وعنه قال : ما من رجل بكى من خشية الله ، فتسيل دموعه على الأرض ، فتقطر ، فتصيبه النار ، أبدا ، حتى يرجع قطر السماء ، إذا وقع على الأرض من السماء . (حلية الأولياء / 5 / 366)

وعنه قال : لأن أبكي من خشية الله ، فتسيل دموعي على وجنتي ؛ أحب إلي من أن أتصدق بوزني ذهباً . (حلية الأولياء / 5 / 366)

عن عبد الواحد بن يزيد قال : يا إختاه ، ألا تبكون خوفا من النيران ؟ إلا ، وأنه من بكى خوفا من النار : أعاده الله تعالى منها ؛ يا إختاه : ألا تبكون خوفا من شدة العطش يوم القيامة ؟ يا إختاه : ألا تبكون ؟ بلى ، فابكوا على الماء البارد أيام الدنيا ، لعله أن يسقيكموه في حظائر القدس ، مع خير القدماء والأصحاب : من النبيين ، والصدّيقين ، والشهداء ، والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا . قال : ثم جعل يبكي ، حتى غشي عليه . (حلية الأولياء / 6 / 161)

عن الحارث بن عبيد قال : كان عبد الواحد بن زيد يجلس إلى جنبي عند مالك بن دينار ، فكنت لا أفهم كثيرا من موعظة مالك ، لكثرة بكاء عبد الواحد . (حلية الأولياء / 6 / 159)

قال يزيد بن ميسرة : البكاء من سبعة أشياء : من الفرح ، والحزن ، والفرح ، والوجع ، والرياء ، والشكر ، وبكاء من خشية الله ؛ فذلك الذي تطفئ الدمعة منه أمثال الجبال من النار .
(حلية الأولياء / 5 / 235)

قال حفص بن حميد : قال لي زياد بن جرير : اقرأ علي فقرات عليه (ألم نشرح لك صدرك .

ووضعنا عنك وزرك . الذي انقض ظهرك) (الشرح : 1 - 3) فقال : يا ابن أم زياد : أنقض ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فجل يبكي كما يبكي الصبي . (حلية الأولياء 4 / 197)

قال الحسن البصري : أن أقواما بكت أعينهم ولم تبك قلوبهم فمن بكت عيناه فليبك قلبه . (مصنف ابن أبي شيبة 7 / 189)

قال ثور: قرأت في بعض الكتب: بكاء المؤمن في قلبه وبكاء المنافق في عينه . (حلية الأولياء 6 / 95)

قال أبي سليمان الداراني : عودوا أعينكم البكاء وقلوبكم التفكير . (حلية الأولياء 9 / 274)

قال ابن القيم : ومتى أقحطت العين من البكاء من خشية الله تعالى فاعلم أن قحطها من قسوة القلب وأبعد القلوب من الله : القلب القاسي . وكان كثير من السلف يحب أن يكون من البكائين ، ويفضونه على بعض من الطاعات . وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيد من القلب الذي لا يخشع فيقول : اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها . (بدائع الفوائد 3 / 743)

قَالَ أَبُو جَعْفَرِ الضَّرِيرِ قَالَ لِي صَالِحٌ بِنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ : (أَلْرِقَّةُ وَالْبِكَاءُ 1 / 24)

بَكَى الْبَاكُونَ لِلرَّحْمَنِ لَيْلًا *** وَبَاتُوا دَمْعَهُمْ مَا يَسْأَمُونَ

بِقَاعِ الْأَرْضِ مِنْ شَوْقِي إِلَيْهِمْ *** تَجِنُّ مَتَى عَلَيْهَا يَسْجِدُونَ

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّالِفِ :

قالت عائشة رضي الله عنها : وكان أبو بكر رجلا بكاء لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن . (البخاري 476)

عن أبي صالح قال : لما قدم أهل اليمن زمان أبي بكر ، وسمعوا القرآن ، جعلوا يبكون ؛ فقال أبو بكر : هكذا كنا ، ثم قست القلوب . (حلية الأولياء 1 / 34)

كانت عائشة رضي الله عنها تقرأ : (وقرن في بيوتكن) (الأحزاب 33) فتبكي حتى تبل خمارها . (حلية الأولياء 2 / 49)

أما عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يسقط مغشيا عليه إذا سمع الآية من القرآن فيعوده الناس أياما لا يدرون ما به وما هو إلا الخوف وكان في وجهه رضي الله عنه خطان أسودان من البكاء . (الداء ولدواء لابن القيم 61)

قال هشام بن الحسن : كان عمر يمر بالآية في وردة فتخنفه فيبكي حتى يسقط ثم يلزم بيته حتى يعاد يحسبونه مريضا . (حلية الأولياء 1 / 51)

قال ابن عمر : صليت خلف عمر فسمعت خنينه من وراء ثلاثة صفوف . (حلية الأولياء 1 / 52)

وعثمان بن عفان رضي الله عنه إذ وقف على القبر يبكي حتى تبتل لحيته ويقول : لو أني بين الجنة والنار لا أدري إلى أيتهما يؤمر بي لاخترت أن أكون رمادا قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير . (حلية الأولياء حديث رقم 179 - الداء والدواء 61)

عن عون بن عبد الله بن عتبة قال : لما أتت عبد الله بن مسعود وفاة عتبة يعني أخاه بكى فقبل له أتبكي ؟ قال كان أخي في النسب وصاحبي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أحب مع ذلك أني كنت قبله أن يموت فاحتسبه أحب إلي من أن أموت فيحتسبني . (حلية الأولياء 4 / 253)

قرأ ابن عمر : (ويل للمطففين) (المطففين 1) حتى بلغ (يوم يقوم الناس لرب العالمين) (المطففين 6) فبكى حتى خروا متنع من قراءة ما بعده . (حلية الأولياء 1 / 305)

قال نافع : ما قرأ ابن عمر هاتين الآيتين قط من سورة البقرة إلا بكى (وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) (البقرة 284) ثم يقول : إن هذا الإحصاء لشديد . (الحلية 1 / 305)

قال عروة بن الزبير : دخلت على أسماء وهي تصلي فسمعتها وهي تقرأ هذه الآية (فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم) (الطور 27) فاستعازت فقمتم وهي تستعيد فلما طال علي أتيت السوق ثم رجعت وهي في بكائها تستعيد . (حلية الأولياء 2 / 55)

قال عروة بن الزبير : لما أراد ابن رواحه الخروج إلى أرض مؤتة من الشام أتاه المسلمون يودعونه فبكى ، فقالوا له : ما يبكيك ؟ قال : أما والله ، ما بي حب الدنيا ولا صباية لكم ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية : (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا) (مريم 71) فقد علمت أني وارد النار ، ولا أدري كيف الصدر بعد الورود . (حلية الأولياء 1 / 118)

عن سعد عن أبيه قال : أتى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يوما بطعامه فقال : قتل مصعب بن عمير وكان خيرا مني فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بردة وقاتل حمزة أو رجل آخر خير مني فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بردة لقد خشيت أن يكون قد عجلت لنا طيباتنا في حياتنا الدنيا ثم جعل يبكي . (رواه البخاري رقم 1215)

بات هرم بن حيان العبدي عند حممه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فبات حممه

ليلته يبكي كلها حتى أصبح ، فلما أصبح ، قال له هرم بن حيان : يا حممه ما أبكاك ؟ قال : ذكرت ليلة صبيحتها تبعثر القبور فتخرج من فيها ، وتناثر نجوم السماء ، فأبكاني ذلك . قال : وكنا يصطحبان أحيانا بالنهار فيأتيان سوق الريحان فيسألان الله تعالى الجنة ويدعوان ثم يأتیان الحدادين فيتعوذان من النار ثم يفترقان إلى منازلهما . (حلية الأولياء 2 / 347)

قال حماد بن زيد: دخلنا على محمد بن واسع في مرضه نعوذه قال فجاء يحيى البكاء يستأذن عليه فقالوا يا أبا عبد الله هذا أخوك أبو سلمه على الباب قال من سلمه ؟ قالوا : يحيى قال: من يحيى ؟ قالوا: يحيى البكاء قال حماد: وقد علم أنه يحيى البكاء فقال إن شراً يأمكم يوم نسبتم فيه إلى البكاء . (حلية الأولياء 2 / 347) .

وقال مقاتل بن حيان : صليت وراء عمر بن عبد العزيز فقراً (وقفوهم إنهم مسئولون) فجعل يكررها وما يستطيع أن يجاوزها . وقالت امرأته فاطمة : ما رأيت أحدا أكثر صلاة وصياما منه ، ولا أحدا أشد فرقا من ربه منه ، كان يصلي العشاء ثم يجلس يبكي حتى تغلبه عينه ، ثم ينتبه فلا يزال يبكي حتى تغلبه عينه . قالت : ولقد كان يكون معي في الفراش فيذكر الشيء من أمر الآخرة ؛ فينتفض كما ينتفض العصفور في الماء ، ويجلس يبكي فأطرح عليه اللحاف رحمة له وأنا أقول : يا ليت كان بيننا وبين الخلافة بعد المشركين فو الله ما رأينا سرورا منذ دخلنا فيها . (البداية والنهاية 12 / 705)

حضر محمد بن واسع محضرا فيه بكاء ، فلما فرغوا أتوا بالطعام ، فتنحى محمد بن واسع ناحية ، فجلس ؛ فقالوا له : يا أبا بكر ، ألا تدنوا إلى الطعام فتأكل ؟ قال : إنما يأكل من بكي . كأنه يعيب عليهم الطعام بعد البكاء ، أو مع البكاء . (حلية الأولياء 2 / 347)

قال ميمون بن مهران : قال لي عمر بن عبد العزيز: حدثني يا ميمون قال : فحدثته حديثا بكى منه بكاء شديدا فقلت : يا أمير المؤمنين ، لو علمت أنك تبكي هذا البكاء لحدثتك حديثا الين من هذا فقال : يا ميمون ، إنا نأكل هذه الشجرة العدس وهي ما علمت مرقه للقلب مغزرة للدمعة مذلة للجسد . (حلية الأولياء 5 / 271 - 272)

مرض عامر بن عبد قيس فبكى فقبل لهما يبكيك وقد كنت وقد كنت ؟ فيقول مالي لا أبكي ومن أحق بالبكاء مني والله ما أبكي حرصا على الدنيا ولا جزعا من الموت ولكن لبعثت سفري وقلة زادي وإني أمسيت في صعود وهبوط جنة أو نار فلا أدري إلى أيهما أصير . (حلية الأولياء 2 / 88)

سئل علي بن الحسين عن كثرة بكائه فقال : لا تلوموني فإن يعقوب فقد سبطا من ولده فبكي حتى

ابيضت عيناه ولم يعلم أنه مات وقد نظرت إلى أربعة عشر رجلا من أهل بيتي في غزاة واحدة أفترون
حزهم يذهب من قلبي ؟ . (حلية الأولياء 3 / 136)

قال عبد الرحمن بن عجلان : بت عند الربيع بن خثيم ذات ليلة فقام يصلي فمر بهذه الآية :
(أم حسب الذين اجترحوا السيئات) (الجاثية 21) فمكث ليلته حتى أصبح ما جاوز هذه الآية إلى
غيرها بيبكاء شديد . (حلية الأولياء 2 / 112)

عن أشعث بن سوار قال : دخلت على يزيد الرقاشي في يوم شديد الحر فقال : يا أشعث تعال حتى
نبيكي على الماء البارد في يوم الظمأ ثم قال : والهفاه سبقني العابدون وقطع بي وكان قد صام اثنتين
وأربعين سنة . (حلية الأولياء 3 / 50)

قال ربيع بن عتاب : كنت أمشي مع زياد ابن جرير ، فسمع رجلا يحلف بالأمانة ؛ قال : فنظرت إليه
وهو يبكي ، قلت : ما يبكيك ؟ فقال : أما سمعت هذا يحلف بالأمانة ؟ فلئن تحك أحشائي حتى
تدمى ، أحب إلي من أحلف بالأمانة . (حلية الأولياء 4 / 196)

مر الربيع بن أبي راشد برجل به زمانه ، فجلس يحمد الله ويبكي ، فمر به رجل ؛ فقال : ما يبكيك
رحمك الله ؟ قال : ذكرت أهل الجنة وأهل النار ، فشبهت أهل الجنة بأهل العافية ، وأهل النار
بأهل البلاء ؛ فذلك الذي أبكاني . (حلية الأولياء 5 / 78)

قال عاصم : سمعت شقيق بن سلمه يقول وهو ساجد : رب اغفر لي رب اعف عني إن تعف عني
فظولا من فضلك وإن تعذبي غير ظالم لي ولا مسبوق قال : ثم يبكي حتى أسمع نحيبه من وراء
المسجد . (حلية الأولياء 4 / 102)

عن سفيان الثوري قال : جلست ذات يوم ، ومعنا سعيد بن السائب الطائفي ؛ فجعل سعيد يبكي
، حتى رحمته ؛ فقلت له : يا سعيد ، ما يبكيك ، وأنت سمعتني أذكر أهل الجنة ؟ قال سعيد : يا
سفيان ، ما يمنعني أن أبكي ، وإذا ذكرت مناقب الخير ، رأيتني عنها بمعزل ؟ قال سفيان : وحق له أن
يبكي . (حلية الأولياء 7 / 37 - 38)

عن سفيان قال : كان ربيعة بن أبي عبد الرحمن يوما جالسا ، فغط رأسه ، ثم اضطجع فبكي
فقيل لهما يبكيك ؟ قال : رياء ظاهر وشهوة خفيه . (حلية الأولياء 3 / 259)

قال عطاء الخفاف : ما لقيت سفيان الثوري إلا باكيا فقلت ما شأنك ؟ قال أخاف أن أكون في أم
الكتاب شقيا . (حلية الأولياء 7 / 51)

- عن إبراهيم النخعي : أنه بكى في مرضه ، فقالوا له : يا أبا عمران ، ما يبكيك ؟ قال : وكيف لا أبكي ، وأنا أنظر رسولا من ربي يبشرنى ، أما بهذه ، وإما بهذه ؟ . (حلية الأولياء 4 / 224)
- عن حماد بن زيد قال : غلب أيوب السختياني البكاء يوما ، فقال : الشيخ إذا كبرمج ، وغلبه فوه ، فوضع يده على فيه ؛ وقال : الزكمة ربما عرضت . (حلية الأولياء 3 / 323)
- عن ثابت البناني أنه قرأ : (تطلع على الأفئدة) (الهمزة 7) قال : تأكله إلى فؤاده وهو حي لقد تبلغ فيهم العذاب ؛ ثم بكى ، وأبكى من حوله . (حلية الأولياء 2 / 323)
- عن الشافعي قال : قرأ رجل وإنسان حاضر : (فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب) (محمد 4) فجعل الرجل يبكي فقيل له يا بغيض هذا موضع بكاء . (حلية الأولياء 9 / 138)
- قال عبد الله بن رباح : كان صفوان بن محرز المازني إذا قرأ هذه الآية : (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) (الشعراء 227) بكى حتى أقول : اندق قصيص زوره . (حلية الأولياء 1 / 61)
- كان مالك بن دينار إذا قام في محرابه قال : يارب قد عرفت ساكن الجنة وساكن النار ففي أي الدارين مالك ثم بكى . (حلية الأولياء 2 / 383)
- عن نسير بن ذعلوق قال : كان الربيع بن خثيم يبكي ، حتى تبل لحيته دموعه ؛ فيقول : أدركنا أقواما ، كنا في جنهم لموصا . (حلية الأولياء 2 / 108 - 109)
- قال أبي هارون : كان عون بن عبد الله بن عتبة يحدثنا ، ولحيته ترتش بالدموع . (الحلية 4 / 294)
- قال الحسن بن علي بن مسلم السكوني : كان لأبي بكر بن أبي مريم في خديه مسلكا من الدموع . (حلية الأولياء 6 / 89)
- قال حماد بن زيد : رأيت ثابتا البناني يبكي ، حتى أرى أضلاعه تختلف . (حلية الأولياء 2 / 322)
- قال مكحول : رأيت رجلا يصلي وكلما ركع وسجد بكى ؛ فاتهمته أنه يرائي ، فحرمت البكاء سنة . (حلية الأولياء 5 / 184)
- قال القاسم بن أبي أيوب الأعرج : كان سعيد بن جبير يبكي بالليل حتى عمش . (الحلية 4 / 272)

55- باب فضل الزهد في الدنيا والحث على التقلل منها وفضل الفقر

قَالَ اللهُ تَعَالَى : إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا إِذَا أَنْزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ [يونس : 24] ، وقال تَعَالَى : وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا إِذَا أَنْزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا [الكهف : 45-46] ، وقال تَعَالَى : اعْلَمُوا أَنَّهَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهَيِّجُ فَتْرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ [الحديد : 20] ، وقال تَعَالَى : زِينٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعٌ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَاِبِ [آل عمران : 14] ، وقال تَعَالَى : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ [فاطر : 5] ، وقال تَعَالَى : أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ [التكاثر : 1-5] ، وقال تَعَالَى : وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ [العنكبوت : 64] والآيات في الباب كثيرة مشهورة .

وأما الأحاديث فأكثر من أن تحصر فننبه بطرف منها على ما سواه:

457- عن عمرو بن عوفٍ الأنصاري . رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ ، رضي الله عنه ، إِلَى الْبَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجَزِيرَتِهَا فَقَدِمَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ ، فَسَمِعَتْ الْأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ ، فَوَافُوا صَلَاةَ الْفَجْرِ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، انصَرَفَ ، فَتَعَرَّضُوا لَهُ ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ رَأَاهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : «أَطْنُكُمْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِبَيْءٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ» فَقَالُوا : أَجَلْ يَا رَسُولَ اللهِ ، فَقَالَ : «أَبْشِرُوا وَأَمْلُوا مَا يَسْرُكُمُ ، فَوَاللهِ مَا الْفَقْرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ . وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا . فَهَلِكُمْ كَمَا أَهْلَكْتُمْ» متفق عليه .

458- وعن أبي سعيدٍ الخدري ، رضي الله عنه . قَالَ : جَلَسَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى

الْمُنْبَرِ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ. فَقَالَ: «إِنَّ مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزَيْنَتِهَا « متفقٌ عليه.

459- عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوهٌ خَصِرَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا ، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ » رواه مسلم .

460- وعن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ « متفقٌ عليه .

461- وعنه عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ : أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ : فَيَرْجِعُ اثْنَانِ . وَيَبْقَى وَاحِدٌ : يَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيَبْقَى عَمَلُهُ « متفقٌ عليه .

462- وعنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُصْبَعُ فِي النَّارِ صَبْعَةً ثُمَّ يُقَالُ : يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ ؟ هَلْ مَرَبِكَ نَعِيمٌ قَطُّ ؟ فيقول : لا والله ياربِّ . وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُصْبَعُ صَبْعَةً فِي الْجَنَّةِ ، فَيُقَالُ لَهُ : يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ ؟ هَلْ مَرَبِكَ شِدَّةٌ قَطُّ ؟ فيقول : لا ، والله ، مَا مَرَبِي بُؤْسٌ قَطُّ ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ « رواه مسلم .

463- وعن المُسْتَوْدِدِ بْنِ شَدَادٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ أُصْبَعَهُ فِي الْيَمِّ . فَلْيَنْظُرِيْمَ يَرْجِعُ؟» رواه مسلم .

464- وعن جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِالسُّوقِ وَالنَّاسِ كَتَفَيْهِ ، فَمَرَّ بِجَدِّي أَسْكَ مَيِّتٍ ، فَتَنَاوَلَهُ ، فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ ، ثُمَّ قَالَ : « أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ هَذَا لَهُ بِدِرْهِمٍ؟ » فَقَالُوا : مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ ؟ ثُمَّ قَالَ : « أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟ » قَالُوا : وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا ، إِنَّهُ أَسْكُ . فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ ، فَقَالَ : « فَوَاللَّهِ لِلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ » رواه مسلم . قوله « كَتَفَيْهِ » أَي : عَنْ جَانِبِهِ . وَ« الْأَسْكُ » الصَّغِيرُ الْأُذُنِ .

465- وعن أَبِي ذَرِّرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِي حَرَّةٍ بِالْمَدِينَةِ ، فَاسْتَقْبَلَنَا أَحَدٌ فَقَالَ : « يَا أَبَا ذَرٍّ » . قُلْتُ : لَبَيْتُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . فَقَالَ : « مَا يَسْرُرُنِي أَنْ عِنْدِي مِثْلَ أَحَدٍ هَذَا ذَهَبًا تَمْضِي عَلَيَّ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَعِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ ، إِلَّا شَيْءٌ أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ ، إِلَّا أَنْ أَقُولَ بِهِ فِي عِبَادِ اللَّهِ هَكَذَا وَهَكَذَا » عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَمَنْ خَلْفَهُ ، ثُمَّ سَارَ فَقَالَ : « إِنَّ الْأَكْثَرِينَ هُمْ الْأَقْلَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَنْ قَالَ بِالْمَالِ هَكَذَا وَهَكَذَا » عَنْ يَمِينِهِ ، وَعَنْ شِمَالِهِ ، وَمَنْ خَلْفَهُ « وَقَلِيلٌ مَا هُمْ » . ثُمَّ قَالَ لِي : « مَكَانَكَ لَا تَبْرُحُ حَتَّى آتِيكَ » . ثُمَّ انْطَلَقَ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ حَتَّى تَوَارَى ، فَسَمِعْتُ

صَوْتًا قَدِ ارْتَفَعَ، فَتَخَوَّفْتُ أَنْ يَكُونَ أَحَدٌ عَرَضَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَرَدْتُ أَنْ آتِيَهُ فَذَكَرْتُ قَوْلَهُ: « لَا تَبْرَحْ حَتَّى آتِيَكَ » فلم أَبْرَحْ حَتَّى آتَانِي ، فَقُلْتُ: لقد سَمِعْتُ صَوْتًا تَخَوَّفْتُ مِنْهُ ، فَذَكَرْتُ لَهُ . فقال: « وَهَلْ سَمِعْتَهُ ؟ » قلت : نَعَمْ ، قال : « ذَاكَ جَبْرِيلُ آتَانِي فَقَالَ : مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، قلتُ : وَإِنْ رَزِي وَإِنْ سَرَقَ ؟ قال : وَإِنْ رَزِي وَإِنْ سَرَقَ » متفقٌ عليه . وهذا لفظ البخاري .

466- وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « لو كان لي مثلُ أحدٍ ذهباً ، لَسَرْتِي أَنْ لَا تَمُرَّ عَلَيَّ ثَلَاثُ لَيَالٍ وَعِنْدِي مِنْهُ سَيِّئٌ إِلَّا مَيِّئٌ أَزْصِدُهُ لِذَيْنِ » متفقٌ عليه .

467- وعنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : انظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلُ مِنْكُمْ وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ فَوْقَكُمْ فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ » متفقٌ عليه وهذا لفظ مسلم .

وفي رواية البخاري : إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فَضَلَ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ وَالْخَلْقِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلُ مِنْهُ .

468- وعنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَالْقَطِيفَةِ وَالْخَمِيصَةِ ، إِنْ أُعْطِيَ رِضِي ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ » رواه البخاري .

469- وعنه ، رضي الله عنه ، قال : لَقَدْ رَأَيْتُ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ ، مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ رِذَاءٌ ، إِمَّا إِزَارٌ ، وَإِمَّا كِسَاءٌ ، قَدْ رَبَطُوا فِي أَعْنَاقِهِمْ ، فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ نِصْفَ السَّاقَيْنِ . وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الْكَعْبَيْنِ . فَيَجْمَعُهُ بِيَدِهِ كِرَاهِيَةً أَنْ تُرَى عَوْرَتُهُ » رواه البخاري

470- وعنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ » رواه مسلم .

471- وعن ابن عمر ، رضي الله عنهما ، قال : أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْكِبِي ، فَقَالَ : « كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ » .

وَكَانَ ابْنُ عَمْرٍو ، رضي الله عنهما ، يقول : إِذَا أُمْسَيْتَ ، فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ وَإِذَا أَصْبَحْتَ ، فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرْضِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ . رواه البخاري .

قالوا في شرح هذا الحديث معناه لا تَرَكَنَّ إِلَى الدُّنْيَا وَلَا تَتَّخِذْهَا وَطَنًا ، وَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِطُولِ الْبَقَاءِ فِيهَا ، وَلَا بِالْأَعْتِنَاءِ بِهَا ، وَلَا تَتَعَلَّقْ مِنْهَا إِلَّا بِمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الْغَرِيبُ فِي غَيْرِ وَطَنِهِ ، وَلَا تَشْتَغِلْ فِيهَا بِمَا لَا يَشْتَغِلُ بِهِ الْغَرِيبُ الَّذِي يُرِيدُ الدَّهَابَ إِلَى أَهْلِهِ . وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ .

472- وعن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي ، رضي الله عنه ، قال : جاء رجلٌ إلى النبي صلى الله عليه وسلم : فقال : يا رسول الله دُلّني على عملٍ إذا عملته أحببني الله ، وأحبنى الناسُ ، فقال : « زهد في الدنيا يحبك الله ، وزهد فيما عند الناس يُحبك الناسُ » حديث حسن رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة .

473- وعن النعمان بن بشير ، رضي الله عنهما ، قال : ذكر عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، ما أصاب الناس من الدنيا ، فقال : لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يظلُّ اليوم يلتوي ما يجد من الدقل ما يملأ به بطنه . رواه مسلم . « الدقل » بفتح الدال المهملة والقاف : زدى التمر .

474- وعن عائشة ، رضي الله عنها ، قالت : توفّي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما في بيتي من شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رَفِّ لي ، فأكلت منه حتى طال عليّ ، فكلته ففني . متفق عليه . « شطر شعير » أي شيء من شعير . كذا فسره الترمذي .

475- وعن عمر بن الحارث أخي جويرية بنت الحارث أم المؤمنين ، رضي الله عنهما ، قال : ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عند موته ديناراً ولا درهماً ، ولا عبداً ، ولا أمةً ، ولا شيئاً إلا بخلته البيضاء التي كان يركبها ، وسلاحه ، وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقةً « رواه البخاري

476- وعن حباب بن الأري ، رضي الله عنه ، قال ها جرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نلتمس وجهه الله تعالى فوق أجرتنا على الله ، فمنا من مات ولم يأكل من أجره شيئاً . منهم مصعب بن عمير ، رضي الله عنه ، قتل يوم أحد ، وترك نمرّةً ، فكنّا إذا غطينا بها رأسه ، بدت رجلاه ، وإذا غطينا بها رجله ، بدا رأسه ، فأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن نغطي رأسه ، ونجعل على رجله شيئاً من الإذخر ، ومنا من أينعت له نمرته . فهو يهدبها ، متفق عليه .

« النمرّة » : كساء ملون من صوف . وقوله : « أينعت » أي : نضجت وأدركت وقوله : « يهدبها » هو بفتح الباء وضم الدال وكسرهما . لغتان . أي : يقطفها ويجتنبها وهذه استعارة لما فتح الله تعالى عليهم من الدنيا وتمكنوا فيها .

477- وعن سهل بن سعد الساعدي ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ، ما سقى كافراً منها شربة ماء » رواه الترمذي . وقال حديث حسن صحيح .

478- وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ألا إن الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها ، إلا ذكر الله تعالى ، وما والآه وعالمًا ومُتعلماً » . رواه الترمذي وقال :

حديثٌ حسنٌ .

479- وعن عبد الله بن مسعود ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تَتَّخِذُوا الصَّبِيعَةَ فَتَرْعَبُوا فِي الدُّنْيَا » . رواه الترمذي وقال : حديثٌ حسنٌ .

480- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، قال : مرَّ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ نُعَالِجُ خُصَبًا لَنَا فَقَالَ : « مَا هَذَا ؟ » فَقُلْنَا : قَدْ وَهِيَ فَتَحَنُّ نُصَلِّحُهُ فَقَالَ : « مَا أَرَى الْأَمْرَ إِلَّا أَعْجَلَ مِنْ ذَلِكَ » . رواه أبو داود ، والترمذيُّ بِإِسْنَادِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمَ ، وقال الترمذيُّ : حديثٌ حسنٌ صحيحٌ .

481- وعن كعب بن عياض ، رضي الله عنه ، قال : سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ : إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةٌ ، فِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ » رواه الترمذي وقال : حديثٌ حسنٌ صحيحٌ .

482- وعن أبي عمرو ، ويقال : أبو عبد الله ، ويقال : أبو ليلى عثمان بن عفان رضي الله عنه ، أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « لَيْسَ لِابْنِ آدَمَ حَقٌّ فِي سِوَى هَذِهِ الْخِصَالِ : بَيْتٌ يَسْكُنُهُ ، وَتُوبٌ يُؤَارِي عَوْرَتَهُ وَجِلْفُ الْخُبْزِ ، وَالْمَاءُ » رواه الترمذي وقال : حديثٌ صحيحٌ .

قال الترمذي : سمعتُ أبا داودَ سليمانَ بنَ سالمِ البلخيِّ يقولُ : سَمِعْتُ النَّضْرَ بْنَ شَمِيلٍ يَقُولُ : الْجِلْفُ : الْخُبْزُ لَيْسَ مَعَهُ إِدَامٌ . وَقَالَ : غَيْرُهُ : هُوَ غَلِيظُ الْخُبْزِ . وَقَالَ الرَّازِيُّ : الْمُرَادُ بِهِ هُنَا وَعَاءُ الْخُبْزِ ، كَالجَوَالِقِ وَالخُرْجِ ، وَاللَّهِ أَعْلَمُ .

483- وعن عبد الله بن الشَّخِيرِ « بكسر الشين والخاء المشددة المعجمتين » رضي الله عنه ، أَنَّهُ قَالَ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقْرَأُ : { الْهَآكُمُ التَّكَاثُرُ } قَالَ : « يَقُولُ ابْنُ آدَمَ : مَالِي ، مَالِي ، وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكٍ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ ؟ » رواه مسلم .

484- وعن عبد الله بن مَعْقِلٍ ، رضي الله عنه ، قال : قال رجلٌ للنبيِّ ص : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ ، فَقَالَ : « انظُرْ مَاذَا تَقُولُ ؟ » قَالَ : وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَقَالَ : « إِنْ كُنْتَ تُحِبُّنِي فَأَعِدْ لِلْفَقْرِ تَجْفَافًا ، فَإِنَّ الْفَقْرَ أَسْرَعُ إِلَى مَنْ يُحِبُّنِي مِنَ السَّيْلِ إِلَى مُنْتَهَاهُ » رواه الترمذي وقال حديثٌ حسنٌ . « التَّجْفَافُ » بكسر التاء المثناة فوق وإسكان الجيم وبالفاء المكررة ، وَهُوَ شَيْءٌ يَلْبَسُهُ الْفَرَسُ ، لِيَتَّقَى بِهِ الْأَذَى ، وَقَدْ يَلْبَسُهُ الْإِنْسَانُ .

485- وعن كعب بن مالك ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا ذُنُوبَانِ

جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرْفِ لِدِينِهِ « رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

486- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : نَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ فَلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ اتَّخَذْنَا لَكَ وَطَاءً فَقَالَ : « مَا لِي وَلِلدُّنْيَا ؟ مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَنْظَلْتُ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا » . رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح

487- وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَدْخُلُ الْفُقَرَاءُ الْجَنَّةَ قَبْلَ الْأَغْنِيَاءِ بِخَمْسِمِائَةِ عَامٍ » رواه الترمذي وقال : حديث صحيح .

488- وعن ابن عباس ، وعمران بن الحصين ، رضي الله عنهم ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « أَطْلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ . وَأَطْلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ » متفق عليه . من رواية ابن عباس . ورواه البخاري أيضاً من رواية عمران بن الحصين

489- وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ ، فَكَانَ عَامَةً مَنْ دَخَلَهَا الْمَسَاكِينُ . وَأَصْحَابُ الْجِدِّ مَحْبُوسُونَ ، غَيْرَ أَنَّ أَصْحَابَ النَّارِ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ » متفق عليه . و « الْجِدُّ » الْحِطُّ وَالْغَيْ . وقد سبق بيان هذا الحديث في باب فضل الضعفة .

490- وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا شَاعِرٌ كَلِمَةُ لَبِيدٍ : أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ » متفق عليه .

أَثَارُ الْوَارِدَةِ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

عن ابن عباس في قوله : فاختلط به نبات الأرض قال : اختلط فنبت بالماء كل لون مما يأكل الناس كالحنطة والشعير وسائر حبوب الأرض والبقول والثمار وما يأكله الأنعام والبهائم من الحشيش والمرعي . عن قتادة في قوله : وازينت قال : أنبتت وحسنت . وفي قوله : كان لم تغن بالأمس قال : كان لم تعش ، كأن لم تنعم . (تفسير الدر المنثور 7 / 648)

قوله تعالى : (واضرب لهم) يا محمد أي : لقومك . مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء . يعني المطر (فاختلط به نبات الأرض) خرج منه كل لون وزهرة (فأصبح) عن قريب (هشيم) يابس . قال ابن عباس وقال الضحاك : كسيرا والهشيم : ما يبس وتفتت من النباتات (فأصبح هشيماتذروه الرياح) قال ابن عباس : تثيره الرياح وقال أبو عبيدة : تفرقه . وقال القتبي : تنسفه

(وكان الله على كل شيء مقتدرا) قادرا . المال والبنون التي يفتخر بها عتبة وأصحابه الأغنياء (زينة الحياة الدنيا) ليست من زاد الآخرة . قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : المال والبنون حرث الدنيا والأعمال الصالحة حرث الآخرة وقد يجمعها الله لأقوام . والباقيات الصالحات . اختلفوا فيها فقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد : هي قول : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . وقد روينا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أفضل الكلام أربع كلمات : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . (تفسير البغوي 5 / 175)

قوله عز وجل : اعلّموا أنما الحياة الدنيا أي : إن الحياة الدنيا ، و " ما " صلة ، أي : إن الحياة في هذه الدار (لعب) باطل لا حاصل له (ولهو) فرح ثم ينقضي (وزينة) منظر تزينون به (وتفاخر بينكم) يفخر به بعضكم على بعض (وتكاثر في الأموال والأولاد) أي : مباحة بكثرة الأموال والأولاد ، ثم ضرب لها مثلا فقال : (كمثل غيث أعجب الكفار) أي : الزراع (نباته) ما نبت من ذلك الغيث (ثم يهيج) يبلس (فتراه مصفرا) بعد خضرته ونضرتة (ثم يكون حطاما) يتحطم ويتكسر بعد يبسه ويفنى) وفي الآخرة عذاب شديد (قال مقاتل : لأعداء الله (ومغفرة من الله ورضوان) لأولياته وأهل طاعته . وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور . قال سعيد بن جبير : متاع الغرور لمن يشتغل فيها يطلب الآخرة ومن اشتغل بطليها فله متاع بلاغ إلى ما هو خير منه . (تفسير البغوي)

قوله تعالى : زين للناس حب الشهوات . جمع شهوة وهي ما تدعو النفس إليهن النساء بدأ بهن لأنهن حبات الشيطان . والبنين والقناطير . جمع قنطار . واختلفوا فيه فقال الربيع بن أنس : القنطار المال الكثير بعضه على بعض وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه : القنطار ألف ومائتا أوقية وقال ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك . ألف ومائتا مثقال وعنهما رواية أخرى اثنا عشر ألف درهم وألف (دينار) دية أحدكم ، وعن الحسن القنطارية أحدكم . قوله تعالى : (المقلطرة) قال الضحاك : المحصنة المحكمة ، وقال قتادة : هي الكثيرة المنضدة بعضها فوق بعض . من الذهب والفضة : وقيل سمي الذهب ذهباً لأنه يذهب ولا يبقى ، والفضة لأنها تنفض أي تفرق والخيل المسومة . الخيل جمع لا واحد له من لفظه واحداً فرس ، كالقوم والنساء ونحوهما ، المسومة قال مجاهد : هي المطهمة الحسان ، وقال عكرمة : تسويمها حسنها ، وقال سعيد بن جبير : هي الراعية ، يقال : أسام الخيل وسومها قال الحسن وأبو عبيدة : هي المعلمة من السيماء والسيماء العلامة . (والأنعام) جمع النعم ، وهي الإبل والبقر والغنم جمع لا واحد له من لفظه (والحرث) يعني الزرع (ذلك) الذي ذكرنا (متاع الحياة الدنيا) يشير إلى أنها متاع يفنى . والله عنده حسن المآب . أي المرجع ، فيه تزهيد في الدنيا وترغيب في الآخرة . (تفسير البغوي 2 / 15)

عن ابن عباس في قوله : ولا يغرنكم بالله الغرور . يقول : الشيطان . (تفسير الطبري 20 / 439)

عن ابن بريدة في قوله ألهاكم التكاثر قال نزلت في قبيلتين من قبائل الأنصار ، في بني حارثة وبني الحارث ، تفاخروا وتكاثروا فقالت إحداهما : فيكم مثل فلان وفلان ؟ وقال الآخرون مثل ذلك ، تفاخروا بالأحياء ثم قالوا : انطلقوا بنا إلى القبور ، فجعلت إحدى الطائفتين تقول فيكم مثل فلان ؟ يشيرون إلى المقابر ، ومثل فلان ؟ وفعل الآخرون مثل ذلك ، فأنزل الله : ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر ، لقد كان لكم فيما رأيتم عبرة وشغل . عن علي بن أبي طالب قال : نزلت ألهاكم التكاثر في عذاب القبر . عن الحسن في قوله : ألهاكم التكاثر . قال : في الأموال والأولاد كلا سوف تعلمون . قال : وعيد بعد وعيد . عن ابن عباس في قوله : ألهاكم التكاثر قال : في الأموال والأولاد . عن قتادة كلا لو تعلمون علم اليقين قال : كنا نحدث أن علم اليقين أن يعلم أن الله باعته بعد الموت . عن ابن عباس في قوله : ثم لتسألن يومئذ عن النعيم قال : صحة الأبدان والأسماع والأبصار يسأل الله العباد فيم استعملوها وهو أعلم بذلك منهم وهو قوله : إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا . قال ابن مسعود في الآية : النعيم الأمن والصحة . عن علي بن أبي طالب أنه سئل عن قوله : ثم لتسألن يومئذ قال النعيم : من أكل خبز البر وشرب ماء الفرات مبردا وكان له منزل يسكنه فذاك من النعيم الذي يسأل عنه . (تفسير الدر المنثور 15 / 622)

عن ابن عباس في قوله : وإن الدار الآخرة لهي الحيوان قال : باقية . عن مجاهد في قوله : لهي الحيوان قال : لا موت فيها . عن الضحاك في قوله : لهي الحيوان قال : الحياة الدائمة . (تفسير الدر المنثور 11 / 571)

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قال علي بن أبي طالب : من زهد في الدنيا هانت عليه المصائب ومن ارتقب الموت سارع في الخيرات . (الزهد لابن أبي الدنيا 1 / 58)

قال عمرو بن قيس : قيل لعلي : يا أمير المؤمنين لم ترقع قميصك ؟ قال : يخشع القلب ويقتدي به المؤمن . (حلية الأولياء 1 / 83)

عن أبي ذر رضي الله عنه قال : ذو الدرهمين أشد حسابا من ذي الدرهم . (حلية الأولياء 1 / 164)
 عن ابن عمر أنه سمع رجلا يقول : أين الزاهدون في الدنيا ، الراغبون في الآخرة ؟ فأراه قبر النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر ، وعمر ؛ فقال : عن هؤلاء تسأل ؟ . (حلية الأولياء 1 / 307)
 عن الأعمش قال : بلغني ، أن حذيفة رضي الله عنه يقول : ليس خيركم الذين يتركون الدنيا للآخرة ، ولا الذين يتركون الآخرة للدنيا ؛ ولكن : الذين يتناولون من كل . (حلية الأولياء 1 / 278)

وقال أبو الدرداء : لئن حلفت لي على رجل أنه أزهلكم لأحلفن لكم أنه خيركم . (جامع العلوم الحكم 204) قال أبو الدرداء : ثلاث أحين ، ويكرههن الناس : الفقر ، والمرض ، والموت . (حلية الأولياء 1 / 217)

قال عمرو بن العاص : لأن أكون عاشر عشرة مساكين يوم القيامة أحب إلي من عشرة أغنياء فإن الأكثرين : هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا يقول : يتصدق يميناً وشمالاً . (حلية الأولياء 1 / 288)

قال ابن مسعود : ركعتين من زاهد قلبه خير له وأحب إلى الله من عبادة المتعبدين المجتهدين إلى آخر الدهر أبداً سرمداً : ويقول لأصحابه : أنتم أكثر صلاة وصوماً وجهاداً من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وهم كانوا خيراً منكم قالوا كيف ذلك ؟ قال كانوا أزهدهم منكم في الدنيا ، وأرغب منكم في الآخرة . (إحياء علوم الدين 4 / 225)

قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه : ما منا أحد أدرك الدنيا إلا قد مالت به إلا ابن عمر . (المستدرک على الصحيحين للحاكم 6369)

قال أبو هريرة : جلساء الله تعالى غدا أهل الورع والزهد . (الرسالة القشيرية 1 / 236)

عن وائلة بن الأسقع قال : كنت من أصحاب الصفة وما منا أحد عليه ثوب تام قد اتخذ العرق في جلودنا طوقاً من الوسخ والغبار . (حلية الأولياء 1 / 341)

قال عبد الله بن عمرو : تجمعون فيقال : أين فقراء هذه الأمة ومساكينها ؟ قال : فتميزون ، فيقولون ما عندكم ؟ فتقولون : يا رب ابتلينا فصبرنا وأنت أعلم ووليت الأموال والسلطان غيرنا قال : فيقال : صدقتم قال فيدخلون الجنة قبل سائر الناس بزمان ، وتبقى شدة الحساب على ذوي الأموال . (حلية الأولياء 1 / 289)

عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عامر بن ربيعة ، أنه نزل به رجل من العرب ، فأكرم عامر مثواه ، وكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه الرجل ، فقال : إني استقطعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وادياً ، ما في العرب واد أفضل منه ، وقد أردت أن أقطع لك منه قطعة ، تكون لك ، ولعقبك من بعدك ؛ قال عامر : لا حاجة لي في قطيعتك ، نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا : (اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون) (الأنبياء 1) . (حلية الأولياء 1 / 179) قال نعيم بن سلامة : دخلت على عمر بن عبد العزيز فوجدته يأكل ثوماً مسلوقاً بزيت وملح . (حلية الأولياء 5 / 315)

قال الحسن البصري : والله ، لقد أدركت أقواما ، ما طوى لأحدهم في بيته ثوب قط ، ولا أمر في أهله بصنعة طعام قط ، وما جعل بينه وبين الأرض شيئا قط ؛ وإن كان أحدهم ليقول : لوددت أني أكلت أكله في جوفي مثل الأجرة ؛ قال : ويقول : بلغنا أن الأجرة تبقى في الماء ثلاثمائة سنة ، ولقد أدركت أقواما : إن كان أحدهم ليرث المال العظيم ، قال : وإنه والله لمجهود شديد الجهد ؛ قال : فيقول لأخيه : يا أخي ، إني قد علمت أن ذا ميراث ، وهو حلال ؛ ولكني أخاف أن يفسد على قلبي وعملي ، فهو لك لا حاجة لي فيه ؛ قال : فلا يرزأ منه شيء أبدا ، وإنه مجهود ، شديد الجهد .
(حلية الأولياء 2 / 146)

قال الحسن بن أبي الحسن : والله ، لقد أدركنا أقواما وصحبنا طوائف : إن كان الرجل منهم ليمسي وعنده من الطعام ما يكفيه ولو شاء لأكله فيقول : والله لا أجعل هذا كله في بطني حتى أجعل بعضه لله ، فيتصدق ببعضه والله لقد أدركنا أقواما وصحبنا طوائف : ما كانوا يباليون : أشرقت الدنيا أم غربت والله الذي لا إله غيره لهي أهون عليهم من التراب الذي يمشون عليه .
(حلية الأولياء 6 / 271)

ويقول عمران القصير : سألت الحسن البصري فقلت : إن الفقهاء يقولون كذا وكذا قال : وهل رأيت فقيها بعينك ؟ إنما الفقيه الزاهد في الدنيا البصير بدينه المداوم على عبادة ربه .
(مصنف ابن أبي شيبة 35188)

وكان يقول الحسن البصري : أهينوا الدنيا فو الله لأهئ ما تكون إذا هنتها .
(مصنف ابن أبي شيبة 35306)

قال حماد بن عيسى الجهني : رأيت سفيان الثوري بمكة ، قد أكل شيئا ، فأدخل يده في الرمل ، فدلكتها ؛ قلت : يا أبا عبد الله ، لو غسلتهم ؛ قال : إنما هي أيام قلائل . (حلية الأولياء 7 / 36)

قال أيضا : إذا زهد العبد في الدنيا : أنبت الله الحكمة في قلبه وأطلق بها لسانه وبصره عيوب الدنيا وداءها ودواءها . (حلية الأولياء 6 / 389)

قال سفيان الثوري : عليك بالزهد ببصرك الله عورات الدنيا وعليك بالورع يخفف الله عنك حسابك ودع ما يربك إلى ماليريبك وادفع الشك باليقين يسلم لك دينك . (حلية الأولياء 7 / 20)

قيل له أيضا : أياكون الرجل زاهدا ويكون له المال ؟ قال : نعم إن كان : إذا ابتلي صبراً وأعطى شكر . (حلية الأولياء 6 / 387 - 388)

عن إبراهيم بن سعد قال : كنت مع سفيان الثوري في المسجد الحرام ، فكوم كومة من الحصى ، فاتكأ عليه ؛ ثم قال : يا إبراهيم ، هذا خير من أسرته . (حلية الأولياء 7 / 21 - 22)

قال علي بن ثابت : رأيت سفيان الثوري في طريق مكة فقومت كل شيء عليه حتى نعليه : درهما وأربع دوانق . (حلية الأولياء 6 / 378)

قال سفيان الثوري : الزهد في الدنيا : هو الزهد في الناس ؛ وأول الزهد في الناس : زهدك في نفسك (حلية الأولياء 7 / 69)

قال سفيان الثوري : الزهد في الدنيا قصر الأمل ليس بأكل الغليظ ، ولبس العبا . (حلية الأولياء 6 / 386)

عن سفيان الثوري قال : ما أنفقت درهما في بناء . (حلية الأولياء 6 / 392)

سئل سفيان الثوري : ما الزهد في الدنيا ؟ قال : سقوط المنزلة . (حلية الأولياء 7 / 16)

عن المسيب بن واضح قال : سألت يوسف بن أسباط عن الزهد ، ما هو ؟ قال : إن تزهد فيما أحل الله ، فأما ما حرم الله ، فإن ارتكبته ، عذبك الله . (حلية الأولياء 8 / 237)

قال تميم بن سلمه : قلت ليوسف بن أسباط ما غاية الزهد ؟ قال : لا تفرح بما أقبل ولا تأسف على ما أدبر ؛ قلت : فما غاية التواضع ؟ قال : أن تخرج من بيتك ، فلا تلقى أحدا ، إلا رأيت أنه خير منك . (حلية الأولياء 8 / 238)

عن يوسف بن أسباط قال : الزهد في الرياسة ، أشد من الزهد في الدنيا . (حلية الأولياء 8 / 238)

قال يوسف بن أسباط : لو أن رجلا في ترك الدنيا مثل أبي ذر وسلمان وأبي الدرداء ما قلنا له : زاهد لأن الزهد : لا يكون إلا في الحلال المحض والحلال المحض لا يعرف اليوم . (حلية الأولياء 8 / 238)

قال إبراهيم بن أدهم : الزاهد : يكتفي من الأحاديث ، والقال والقييل ، وما كان وما يكون ، بقول الله تعالى : { لأني يوم أجلت . ليوم الفصل . وما أدراك ما يوم الفصل . ويل يومئذ للمكذبين } (المرسلات 12 - 15) . يوم يقال : (اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) (الإسراء 14) . (حلية الأولياء 8 / 70)

قال إبراهيم بن أدهم : أقرب الزهاد من الله عز وجل : أشدهم خوفا ؛ وأحب الزهاد إلى الله : أحسنهم له عملا ، وأفضل الزهاد عند الله : أعظمهم فيما عنده رغبة ، وأكرم الزهاد عليه :

أتقاهم له ، وأتم الزهاد زهدا : أسخاهم نفسا ، وأسلمهم صدرا ، وأكمل الزهاد زهدا : أكثرهم يقينا . (حلية الأولياء 8 / 70)

قال إبراهيم بن أدهم : الزهد ثلاثة أصناف : فزهد فرض وزهد فضل ، وزهد سلامة ؛ فالفرض : الزهد في الحرام ، والفضل : الزهد في الحلال ، والسلامة : الزهد في الشهوات . (الحلية 8 / 26)

عن إبراهيم بن أدهم : أنه مر بأخ له كان يعرفه بالزهد ، وقد اتخذ أرضا ، وغرس شجرا ؛ فقال : ما هذا ؟ قال : أصبناه رخيصة ؛ قال : فما كان يمنعك من الدنيا فيما مضى ، إلا غلاؤها ؟ . (حلية الأولياء 8 / 31)

وقال : الفخر مخزون عند الله في السماء بعدل الشهادة لا يعطيه إلا من أحب . (الحلية 8 / 15)

وقال : إنما زهد الزاهدون في الدنيا اتقاء أن يشركوا الحمقى والجهال في جهلهم . (الحلية 8 / 21)

عن أبي سليمان الداراني قال : يلبس أحدهم عباءة قيمتها ثلاثة دراهم ونصف ، وشهوته في قلبه خمسة دراهم ؛ أفما يستحي أن تجاوز شهوته لباسه . قال أبو سليمان : وإذا لم يبق في قلبه من الشهوات شيء ، جازله أن يتدرع عباءة ، ويلزم الطريق ؛ لأن العبادة علم من أعلام الزهد ، ولو أنه ستر زهده بثوبين أبيضين بخلطة الناس ، كان أسلم له . (حلية الأولياء 9 / 260)

قال أبو سليمان الداراني : ليس الزاهد من ألقى غم الدنيا واستراح فيها إنما الزاهد من ألقى غمها وتعب لأخرته . (حلية الأولياء 9 / 273)

قال أبو سليمان الداراني : اختلفوا علينا في الزهد بالعراق فمنهم من قال : الزهد في ترك لقاء الناس ومنهم من قال : في ترك الشهوات ، ومنهم من قال : في ترك الشبغ وكلامهم قريب بعضه من بعض وأنا أذهب إلى أن الزهد في ترك ما يشغلك عن الله . (حلية الأولياء 9 / 258)

عن أبي سليمان الداراني قال : أهل الزهد في الدنيا على طبقتين : منهم من يزهد في الدنيا ، فلا يفتح له فيها روح الآخرة ؛ ومنهم من إذا زهد في الدنيا ، فتح له فيها روح الآخرة ؛ فليس شيء أحب إليه من البقاء ليطيع . (حلية الأولياء 9 / 247)

وقال أيضا : من عرف الدنيا عرف الآخرة ومن لم يعرف الدنيا لم يعرف الآخرة ؛ قال أحمد : يعني الزهد . (حلية الأولياء 9 / 262)

عن أبي سليمان الداراني قال : الزاهد حقا : لا يذم الدنيا ، ولا يمدحها ؛ أو : لا ينظر إليها ، ولا يفرح بها إذا أقبلت ، ولا يحزن عليها إذا أدبرت . (حلية الأولياء 9 / 266)

عن أبي سليمان الداراني قال : استجلب الزهد بقصر الأمل وادفع أسباب الطمع بالإياس والقنوع وتخلص إلى راحة القلب بصحة التفويض . (حلية الأولياء 9 / 266)

وقال أبو سليمان الداراني: الزهد ترك ما يشغل عن الله وهو قول الشبلي . (مدارج السالكين 13/2)

عن أيوب السختياني قال : الزهد في الدنيا ثلاثة أشياء : أحبها إلى الله ، وأعلاها عند الله ، وأعظمها ثوابا عند الله تعالى : الزهد في عبادة من عبد دون الله ، من كل ملك ، وصنم ، وحجر ، ووثن ؛ ثم الزهد فيما حرم الله تعالى : من الأخذ ، والعطاء ؛ ثم يقبل علينا ، فيقول : زهدكم هذا - يا معشر القراء - فهو والله ، أخسه عند الله : الزهد في حلال الله عزوجل . (حلية الأولياء 7 / 3)

قال حماد بن زيد : كان أيوب السختياني يقول : ليتق الله عزوجل رجل ، وأن زهد ، فلا يجعلن زهده عذابا على الناس ؛ فلأن يخفي الرجل زهده ، خير من أن يعلنه . وكان أيوب ممن يخفي زهده فدخلنا عليه مرة ، فإذا على فراشه محبس أحمر ، فرفعتة ، أوقفه بعض أصحابنا ؛ فإذا خصفة محشوة بليف . (حلية الأولياء 6 / 3)

سئل سفيان بن عيينة عن الزهد ، ما هو ؟ قال : الزهد فيما حرم الله ، فأما ما أحل الله : فقد أباحه الله ، فإن النبيين قد نكحوا ، وركبوا ، وأكلوا ؛ ولكن الله نهاهم عن شيء ، فانتهاوا عنه ، وكانوا به زهادا . (حلية الأولياء 7 / 297)

قال سفيان بن عيينة : كان هارون بن رباب يخفي الزهد وكان يلبس الصوف تحت ثيابه . (حلية الأولياء 3 / 55)

سئل سفيان بن عيينة عن الزهد ؛ فقال : أن لا يغلب الحل شكرك ، ولا الحرام صبرك . (حلية الأولياء 9 / 316)

قال أحمد بن أبي الحواري : قلت لسفيان بن عيينة : يا أبا محمد ، أي شيء الزهد في الدنيا ؟ قال : من إذا أنعم الله عليه نعمة ، فشكرها ؛ وابتلي ببليية ، فصبر ؛ فذلك الزاهد . (الحلية 7 / 273)

قال شقيق البلخي : والزاهد والراغب : كرجلين ، يريد أحدهما المشرق ، والآخر يريد المغرب ، هل يتفقان على أمر واحد ، وبغيتهما مخالفة ، هوأما شتى ؟ دعاء الرغب : اللهم ، ارزقني مالا ، وولدا ، وخيرا وانصرتني على أعدائي وادفع عني شرورهم ، وحسداهم وبغيتهم ، وبلائهم ، وفتنتهم ؛ آمين . ودعاء الزاهد : اللهم ، ارزقني علم الخائفين ، وخوف العاملين ويقين المتوكلين وتوكل الموقنين وشكر الصابرين وصبر الشاكرين وإخبات المغلبيين وإنابة المخبتين وزهد الصادقين ، وألحقني

بالشهداء والأحياء المرزوقين أمين يارب العالمين . هذا دعاؤه هل من شيء من دعاء الراغب يحيط به ؟ لا والله هذا طريق وذاك طريق . (حلية الأولياء 8 / 70)

قال شقيق بن إبراهيم البلخي : سبعة أبواب يسلك بها طريق الزهاد : الصبر على الجوع : بالسرور لا بالفتور بالرضا لا بالجزع والصبر على العري : بالفرح لا بالحزن والصبر على طول الصيام : بالفضل لا بالتعسف كأنه طاعم ناعم والصبر على الذل : بطيب نفسه لا بالتكره والصبر على البؤس : بالرضا لا بالسخط وطول الفكرة فيما يودع بطنه من المطعم والمشرب ويكسوه ظهره : من أين ، وكيف ، ولعل ، وعسى ؛ فإذا كان في هذه الأبواب السبعة : فقد سلك صدرا من طريق الزهاد ، وذلك الفضل العظيم . (حلية الأولياء 8 / 60)

قال شقيق بن إبراهيم : ثلاث خصال هي تاج الزاهد الأولى : أن يميل على الهوى ولا يميل مع الهوى والثانية : ينقطع الزاهد إلى الزهد بقلبه والثالثة : أن يذكر كلما خلا بنفسه كيف مدخله في قبره ؟ وكيف مخرجه ؟ ويذكر الجوع والعطش والعري وطول القيامة والحساب والصراط وطول الحساب والفضيحة البادية فإذا ذكر ذلك شغله عن ذكر دار الغرور فإذا كان ذلك كان من محبي الزهاد ومن أحبهم كان معهم . (حلية الأولياء 8 / 62)

ويقول سفيان : جاء ابن لسليمان بن عبد الملك ، فجلس إلى جنب طاوس ابن كيسان فلم يلتفت إليه ، فقيل له : جلس إليك ابن أمير المؤمنين ، فلم يلتفت إليه ، قال : أردت أن يعلم أن لله عبادا يزهدون فيما بين يديه . (سير أعلام النبلاء 5 / 42)

يقول سفيان : قيل للزهري : لو أنك سكنت المدينة ، ورحت إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلم الناس منك ، قال : إنه ليس ينبغي أن أفعل حتى أزهدي في الدنيا وأرغب في الآخرة ثم قال سفيان : ومن كان مثل الزهري ؟ . (سير أعلام النبلاء 5 / 337)

وقال الجنيد : الزهد خلو القلب عما خلت منه اليد . (مدارج السالكين 2 / 13)

وقال الجنيد : سمعت سريا يقول : إن الله عز وجل سلب الدنيا عن أوليائه وحماها عن أصفياءه وأخرجها من قلوب أهل وداده لأنه لم يرضها لهم . (مدارج السالكين 2 / 12)

وقال أيضا : الزهد في قوله تعالى : (لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور) فالزاهد لا يفرح من الدنيا بموجود . ولا يأسف منها على مفقود . (مدارج السالكين 2 / 12)

قال الفضيل بن عياض : أصل الزهد الرضا عن الله عزوجل . وقال : القنوع هو الزاهد وهو الغني .
(جامع العلوم والحكم 181)

قيل للفضيل بن عياض : ما الزهد في الدنيا ؟ قال : القنع ، وهو الغني ؛ وقيل : ما الورع ؟ قال : اجتناب المحارم ؛ وسئل : ما العبادة ؟ قال : أداء الفرائض ؛ وسئل عن التواضع ؟ قال : أن تخضع للحق ؛ وقال : أشد الورع ؛ في اللسان ، وقال : التعبير كله باللسان ، لا بالعمل ؛ وقال : جعل الخير كله في بيت ، وجعل مفتاحه : الزهد في الدنيا ؛ وقال : قال الله عزوجل : إذا عصاني من يعرفني ، سلطت عليه من لا يعرفني . (حلية الأولياء 8 / 91)

وقال ابن خفيف : الزهد وجود الراحة في الخروج من الملك . (مدارج السالكين 13/2)

وقال : الزهد سلو القلب عن الأسباب ، ونفض الأيدي من الأملاك . (مدارج السالكين 13 / 2)

وقيل : هو عزوف القلب عن الدنيا بلا تكلف . (مدارج السالكين 13 / 2)

وقال رجل ليحيى بن معاذ : متى أدخل حانوت التوكل ، وألبس رداء الزاهدين وأقعد معهم ؟ فقال : إذا صرت من رياضتك لنفسك إلى حد لوقطع الله الرزق عنك ثلاثة أيام لم تضعف نفسك . فأما ما لم تبلغ إلى هذه الدرجة فجلوسك على بساط الزاهدين جهل ، ثم لا أمن عليك أن تفتضح .
(مدارج السالكين 14 / 2)

وقال يحيى بن معاذ : الزهد يورث السخاء بالملك والحب يورث السخاء بالروح .
(مدارج السالكين 12 / 2)

وقد قال أحمد بن حنبل : الزهد على ثلاثة أوجه . الأول ترك الحرام . وهو زهد العوام . والثاني ترك الفضول من الحلال . وهو زهد الخواص . والثالث ترك ما يشغل عن الله . وهو زهد العارفين .
(مدارج السالكين 14 / 2)

وقال الإمام أحمد : الزهد في الدنيا قصر الأمل . (مدارج السالكين 13 / 2)

وقال وهب بن منبه : إن للجنة ثمانية أبواب فإذا صار أهل الجنة إليها جعل البوابون يقولون وعزة ربنا لا يدخلها أحد قبل الزاهدين في الدنيا العاشقين للجنة . (إحياء علوم الدين 6 / 195)

قال وهب بن منبه : أعون الأخلاق على الدين : الزهادة في الدنيا ؛ وأسرعها رداء ؛ اتباع الهوى ؛ ومن اتباع الهوى : حب المال والشرف ؛ ومن حب المال والشرف : تنتمك المحارم ؛ ومن اتهمك المحارم : يغضب الله عزوجل ؛ وغضب الله ليس له دواء . (حلية الأولياء 4 / 41)

عن عبد الله بن المبارك ، قال : جاء رجل إلى وهيب ، فجعل كأنه يذكر الزهد ؛ قال : فأقبل عليه وهيب ، فقال : لا تحمل سمة الإسلام على ضيقة صدرك . (حلية الأولياء 8 / 154)

وقال عبد الله بن المبارك : الزهد هو الثقة بالله مع حب الفقر . وهذا قول شقيق ويوسف بن أسباط . (مدارج السالكين 2 / 13)

قال وهيب ابن الورد : الزهد في الدنيا أن لا تأسى على ما فات منها ، ولا تفرح بما آتاك منها . (جامع العلوم والحكم 183)

قال سلام بن أبي مطيع : كن لنعمة الله عليك في دينك ، أشكر منك لنعمة الله عليك في دنياك . (حلية الأولياء 6 / 188)

دخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم وعليه جبة صوف ، فقال له قتيبة : ما دعاك إلى مدرعة الصوف ؟ فسكت ، فقال : أكلمك ولا تجيبني !! فقال : أكره أن أقول زهدا فأزكي نفسي ، أو فقرا فأشكوري . (إحياء علوم الدين 13 / 2449)

قال رجل لمحمد بن واسع : أوصني ؛ قال : أوصيك أن تكون ملكا في الدنيا والآخرة ؛ قال : كيف لي بذلك ؟ قال : ازهد في الدنيا . (حلية الأولياء 2 / 351)

قال عبد الواحد بن زيد : ما يسرني ، أن لي جميع ما حوت عليه البصرة من الأموال والثمرة بفلسين . (حلية الأولياء 6 / 157)

قال عبد الواحد بن زيد : الزهد : الزهد في الدنيا والدرهم . (مدارج السالكين 2 / 13)

عن كعب الأحبار قال : المؤمن الزاهد ، والمملوك الصالح : آمنان من الحساب ، وطوبى لهم ، كيف يحفظهم الله في ديارهم ؛ إن الله إذا أحب عبده المؤمن : زوى عنه الدنيا ، ليرفعه درجات في الجنة ؛ وإذا أبغض عبده الكافر : بسط له في الدنيا ، حتى يسفله دركات في النار ؛ قال كعب : ويقول الله لعباده الصابرين الراضين بالفقر : أبشروا ، ولا تحزنوا ، فإن الدنيا لو وزنت عند الله جناح بعوضة مما لكم عندي ، ما أعطيتهم منها شيئا . وقال كعب إذا اشتكى إلى الله عباده الفقراء الحاجة ، قيل لهم : أبشروا ، ولا تحزنوا ، فإنكم سادة الأغنياء ، والسابقون إلى الجنة يوم القيامة . (حلية الأولياء 5 / 364 - 365)

قال يوسف بن الحسن : أتى رجل من أهل البصرة ذا النون ، فسأله : متى تصح لي عزلة الخلق ؟ قال : إذا قويت على عزلة نفسك ؛ قال : فمتى يصح طلبي للزهد ؟ قال : إذا كنت زاهدا في نفسك ،

هاربا من جميع ما يشغلك عن الله ، لأن جميع ما شغلك عن الله : هي دنيا . قال يوسف : فذكرت ذلك لطاهر القدسي ؛ فقال : هذا نزل أخبار المرسلين . (حلية الأولياء 9 / 352)

قال حاتم الأصم : من دخل في مذهبنا هذا فليجعل في نفسه أربع خصال من الموت : موتا أبيض وموتا أسود وموتا أحمر وموتا أخضر فالموت الأبيض : الجوع والموت الأسود : احتمال أذى الناس والموت الأحمر : مخالفة النفس والموت الأخضر : طرح الرقاع بعضها على بعض . (حلية الأولياء 8 / 78)

قال زمعة بن صالح : كتب بعض بني أمية إلى أبي حازم ، يعزم عليه إلا رفع حوائجه إليه ؛ فكتب إليه : أما بعد : جاءني كتابك تعزم علي إلا رفعت إليك حوائجي ؛ وهيات رفعت حوائجي إلى من لا يختزم الحوائج ، وهو ربي عز وجل وما أعطاني منها قبلت ، وما أمسك عني قنعت . (حلية الأولياء 3 / 237)

عن أحمد بن أبي الحواري قال : سمعت أبا سليمان يقول : لا للرضى حد ، ولا للورع حد ، ولا للزهد حد ؛ وما أعرف إلا طرفا من كل شيء قال أسد : حدثت به سليمان فقال : من رضي بكل شيء فقد بلغ حد الرضى ومن تورع في كل شيء فقد بلغ حد الورع ومن زهد في كل شيء فقد بلغ حد الزهد . (حلية الأولياء 9 / 258)

قال الحجاج بن أبي عبيدة : كان جابر بن زيد يأتينا في مصلانا ؛ فأتانا ذات يوم عليه نعلان خلقان فقال : مضى من عمري ستون سنة نعلاني هاتان أحب إلي مما مضى إلا يك خيرا قدمته . (حلية الأولياء 3 / 88)

قال معاوية بن عبد الكريم : ذكروا عند الحسن الزهد فقال بعضهم : اللباس وقال بعضهم : المطعم ، وقال بعضهم : كذا ؛ وقال الحسن : لستم في شيء ، الزاهد : إذا رأى أحدا ، قال : هو أفضل مني . (حلية الأولياء 6 / 314)

عن سعيد بن عبد العزيز : أن أبا عبد رب خرج من عشرة آلاف دينارا أو من مائة ألف فكان يقول : لو سألت بردا أمثال الذهب ، ما كنت بأول الناس يقوم إليها ولو قيل : إن الموت في هذا العود ما سبقني إليه أحد إلا بفضل قوة . (حلية الأولياء 5 / 160)

قال عبد الله بن عبد العزيز العمري عند موته : نعمة ربي أحدث : أني لم أصبح أملك على الناس إلا سبعة دراهم ملكتها يدي ، ونعمة ربي أحدث : لو أن الدنيا أصبحت تحت قدمي لا يمنعي من أخذها إلا أن أزيل قدمي ما أزلتها . (حلية الأولياء 8 / 283)

سئل الزهري عن الزهد فقال : من لم يمنعه الحلال شكره ولم يغلب الحرام صبره .
(حلية الأولياء / 7 / 287)

قال أبو مسلم الخولاني : ليس الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال ولا إضاعة المال إنما الزهادة في الدنيا أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك وإذا أصبت بمصيبة كنت أشد رجاء لأجرها وذخرها من إياها لوبقيت لك . (جامع العلوم والحكم / 179)

عن طاووس : أنه رأى رجلا مسكينا في عينيه عمشا وفي ثوبه وسخ فقال له عد أن الفقر من الله فأين أنت عن الماء ؟ . (حلية الأولياء / 4 / 14)

قال الخواص : الفقر يعمل على الإخلاص وجلاء القلب وحضوره للعمل والغني يعمل على كثرة الوسواس وتفرقة القلب في مواضع الأعمال . (حلية الأولياء / 10 / 327 - 328)

قال عون بن عبد الله : يدخل فقراء المهاجرين الجنة قبل أغنيائهم بسبعين خريفا ، مثله كمثل سفينتين في هذا البحر مرت واحدة ، وليس فيها شيء فقال صاحب البحر خلوا سبيلها ومرت الأخرى موقرة فحبست لينظر ما فيها . (حلية الأولياء / 4 / 254)

قال عمرو بن دينار : ما رأيت أحدا أنص للحديث من الزهري وما رأيت أحدا أهون عليه الدينار والدرهم من ابن شهاب ، وما كانت عنده إلا مثل البعرة . (سير أعلام النبلاء / 5 / 334)

عن عمارة بن غزية قال : سمعت رجل سأل ربيعة ، فقال : يا أبي عثمان : ما رأس الزهادة ؟ قال : جمع الأشياء من حلها ، ووضعها في حقها . (حلية الأولياء / 3 / 259)

عن أبي وائل شقيق بن سلمه : وكان له خص من قصب : فكان يكون فيه هو وفرسه ؛ فإذا غزا : نقضه ، وتصدق به ؛ فإذا رجع : أنشأ بناه . (حلية الأولياء / 4 / 103)

ويقول إبراهيم بن يزيد التيمي : كم بينكم وبين القوم ؟ يعني : بينكم وبين السلف رضي الله تعالى عنهم أقبلت عليهم الدنيا فهربوا ، وأدبرت عنكم فاتبعتموها . (الزهد لنعيم بن حماد / 551)

وقالت امرأة أبي حازم لأبي حازم هذا الشتاء قد هجم علينا ولا بد لنا من الطعام والثياب والحطب فقال لها أبو حازم : من هذا كله بد ولكن لا بد لنا من الموت ثم البعث ثم الوقوف بين يدي الله تعالى ثم الجنة أو النار . (إحياء علوم الدين / 4 / 274)

عن أحمد بن أبي الحواري قال : سمعت المضاء سأل سباعا الموصلي ، فقال : يا أبا محمد إلى أي شيء أفضى بهم الزهد ؟ فقال : إلى الأنس به . (حلية الأولياء / 8 / 292)

قال الحسن بن عبد الله النخعي : لم يترك علقمه إلا داره وبرذونا ومصحفا وأوصى به لمولي له كان يقوم عليه في مرضه . (حلية الأولياء 2 / 100)

عن أرطأة قال : كان ضمرة بن حبيب إذا قام إلى الصلاة : قلت : هذا أزهد الناس في الدنيا : فإذا عمل للدنيا قلت : هذا أرغب الناس في الدنيا . (حلية الأولياء 6 / 103)

قال عمر بن ذر : ما رأيت مثل عطاء وما رأيت على عطاء قميصا قط وما رأيت عليه ثوبا يسوى خمسة دراهم . (حلية الأولياء 3 / 311)

قال عمران القصير : إلا صابر كريم لأيام قلائل ؛ حرام على قلوبكم أن تجدوا طعم الإيمان ، حتى تزهدوا في الدنيا . (حلية الأولياء 6 / 177)

قال داود الطائي : من علامة المريدين الزاهدين في الدنيا ترك كل جليس لا يريد ما يريدون . (حلية الأولياء 7 / 344)

قال أبي أسامة : قال لي مسعر : يا أبا أسامة ، من رضي بالخل والبقل ، لم يستعبده الناس . (حلية الأولياء 7 / 219)

قال شعبة : إذا كان عندي دقيق وقصب فما أبالي ما فاتني من الدنيا . (حلية الأولياء 7 / 145)

قال الشافعي : عليك بالزهد ؛ فالزهد على الزاهد أحسن من الحلي على الشاهد . (حلية الأولياء 9 / 130)

قال عمران بن مسلم : كان سويد بن غفلة إذا قيل له : أعطي فلان وولي فلان قال : حسبي كسرتي وملحي . (حلية الأولياء 4 / 176)

قال ميمون بن مهران : ما أحب أن لي ما بين باب الرها إلى حران بخمسة دراهم . (الحلية 4 / 87)

وعن كرز الحارثي قال : لا يكون العبد قارئا - يعني طالب علم - حتى يزهد في الدرهم . (سير أعلام النبلاء 86 / 6)

قال محمد ابن الحنفية : من كرمته عليه نفسه لم يكن للدنيا عنده قدر . (حلية الأولياء 3 / 176)

قال ابن الجلاء : الزهد هو النظر إلى الدنيا بعين الزوال فتصغر في عينيك فيسهل عليك الإعراض عنها . (مدارج السالكين 2 / 13)

وقال رجل لسفيان : أشتي أن أرى عالما زاهدا ؟ فقال : ويحك تلك ضالة لا توجد .
(الأحياء 6 / 195)

وقال بلال بن سعد : كفى به ذنبا أن الله تعالى يزهدهنا في الدنيا ونحن نرغب فيها . (الأحياء 6 / 195)

قَالَ أَبُو أَعْتَاهِيَةَ : (جَامِعُ بَيَانِ الْعِلْمِ وَفَضْلِهِ لِلْفُرْطِيِّ 2 - 46)

إِذَا كُنْتَ بِالدُّنْيَا بَصِيرًا فَإِنَّمَا *** بَلَغُكَ مِنْهَا مِثْلُ زَادِ الْمُسَافِرِ

قال مسلم بن عمرو : (تفسير القرآن العظيم لابن كثير 1 - 250)

مَا أَقْبَحَ التَّرْهِيدَ مِنْ وَاعِظٍ *** يُزْهَدُ النَّاسَ وَلَا يَزْهَدُ

لَوْ كَانَ فِي تَرْهِيدِهِ صَادِقًا *** أَضْحَى وَأَمْسَى بَيْتَهُ الْمَسْجِدُ

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

عن هشام بن عروة عن أبيه قال : دخل عمر بن الخطاب على أبي عبيدة بن الجراح ، فإذا هو مضطجع على طنفسة رحله ، متوسدا الحقيبة ؛ فقال له عمر : ألا تتخذ ما اتخذ أصحابك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين : هذا يبلغني المقييل . وقال معمر في حديثه لما قدم عمر الشام ، تلقاه الناس وعظماء أهل الأرض ؛ فقال عمر : أين أخي ؟ قالوا : من ؟ قال : أبو عبيدة ؛ قالوا : الآن يأتيك ؛ فلما أتاه نزل ، فاعتنقه ، ثم دخل عليه بيته ، فلم ير في بيته ، إلا سيفه ، وترسه ، ورحلة .
(حلية الأولياء 1 / 101 - 102)

قدم عمير بن سعيد أمير حمص على عمر رضي الله عنهما قال له : ما معك من الدنيا ؟ فقال : معي عصاي أتوكأ بها و أقتل بها حية إن لقيتها ومعني جرابي أحمل فيه طعامي ومعني قصعتي أكل فيها وأغسل رأسي وثوبي ومعني مطهرتي أحمل فيها شرابي وطهوري للصلاة فما كان بعد هذا من الدنيا فهو تبع لما معي . فقال عمر : صدقت رحمك الله . (إحياء علوم الدين 2471 / 13)

قالت حفصة بنت عمر لعمر رضي الله عنه : يا أمير المؤمنين ، لو لبست ثوبا هو الين من ثوبك ، وأكلت طعاما هو أطيب من طعامك ؛ فقد وسع الله عزوجل من الرزق ، وأكثر من الخير ، فقال : إني سأخصمك إلى نفسك ، فقال أما تذكرين ما كان يلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم من شدة العيش ؛ فما زال يذكرها ، حتى أبكاها ، فقال لها : والله إن قلت ذلك ، أما والله لأن استطعت ، لأشاركهما بمثل عيشهما الشديد ، لعلي أدرك معهما عيشهما الرخي . (حلية الأولياء 1 / 48 - 49)

عن الحسن : أن عمر رضي الله عنه قال : والله ، إني لو شئت لكنت من أليكنم لباسا ، وأطيبكم طعاما ، وأرقكم عيشا ؛ إني والله ما أجهل عن كراكر (جماعات الفرسان) وأسمنة (كتل من الشحم على ظهير البعير) وعن صلاء (الشواء) وصناب (طعام من الخردل والزبيب) ، وصلايق ؛ ولكني سمعت الله عز وجل غير قوما بأمر فعلوه ، فقال : (أذهبتم طبيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها) (الأحقاف 20) . (حلية الأولياء 1 / 49)

قال الحسن : خطب ابن الخطاب وهو خليفة وعليه إزار فيه ثنتي عشر رقعة . (الحلية 1 / 53)

بلغ عمر بن الخطاب : أن رجلا بنى بالأجر فقال : ما كنت أحسب أن في هذه الأمة مثل فرعون . قال : يريد قوله : (ابن لي صرحا) (غافر 36) و (فأوقد لي يا هامان على الطين) (القصص 38) . (حلية الأولياء 7 / 304)

عن عبد الملك بن شداد بن الهاد قال : رأيت عثمان بن عفان يوم الجمعة على المنبر ، عليه إزار عدني غليظ ، ثمنه أربعة دراهم ، أو خمسة دراهم ؛ وريطة كوفية ممشقة . (حلية الأولياء 1 / 60)
عن عثمان بن عفان أنه : كان يطعم الناس طعام الإمارة ويدخل بيته فيأكل الخل والزيت . (حلية الأولياء 1 / 60)

عن محمد بن كعب قال : سمعت عليا رضي الله عنه يقول : رأيتني أربط الحجر على بطني من شدة الجوع ، على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن صدقتي اليوم لأربعون ألف دينار . (حلية الأولياء 1 / 85 - 86)

عن نوف البكالي قال : رأيت علي بن أبي طالب خرج ، فنظر إلى النجوم ؛ فقال : يا نوف ، أراقد أنت أم رامق ؟ قلت : بل رامق يا أمير المؤمنين ؛ فقال : يا نوف ، طوبى للزاهدين في الدنيا ، الراغبين في الآخرة ؛ أولئك قوم اتخذوا الأرض بساطا ، وتراهم فراشا ، وماءها طيبا ، والقرآن والدعاء دثارا وشعارا ؛ قرضوا الدنيا على مناجح المسيح عليه السلام ؛ يا نوف ، إن الله تعالى أوحى إلى عيسى : أن مربني إسرائيل ، أن لا يدخلوا بيتا من بيوتي ، إلا بقلوب طاهرة ، وأبصار خاشعة ، وأيد نقية ؛ فإني لا أستجيب لأحد منهم ، ولأحد من خلقي عنده مظلمة ؛ يا نوف ، لا تكن شاعرا ، ولا عريفا ، ولا شرطيا ، ولا جابيا ، ولا عشارا ؛ فإن داود عليه السلام ، قام في ساعة من الليل ؛ فقال : إنها ساعة ، لا يدعو عبد إلا أستجيب له فيها ، إلا أن يكون : عريفا ، أو شرطيا ، أو جابيا ، أو عشارا ، أو صاحب عرطبة ؛ وهو الطنبور ، أو صاحب كوبه ؛ وهو الطبل . (حلية الأولياء 1 / 79)

عن أبي سعيد الأزدى وكان إماما من أئمة الأزد قال : رأيت عليا أتى السوق وقال : من عنده قميص

صالح بثلاثة دراهم ؟ فقال رجل : عندي فجاء به فأعجبه قال : لعله خير من ذلك ؟ قال : لا ذاك ثمنه ؛ قال : فرأيت عليا يقرض رباط الدراهم من ثوبه ، فأعطاه ، فلبسه فإذا هو يفضل عن أطراف أصابعه ، فأمر به فقطع ما فضل عن أطراف أصابعه . (حلية الأولياء 83 / 1)

عن هارون بن عنترة عن أبيه قال : دخلت على علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالخورنق ، وهو يرعد تحت سمل قطيفة (خلق بال) فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن الله قد جعل لك ولأهل بيتك في هذا المال ، وأنت تصنع بنفسك ما تصنع ؛ فقال : والله ، ما أرزأكم من مالكم شيئا ، وإنما لقطيفتي التي خرجت بها من منزلي أوقال : من المدينة . (حلية الأولياء 82 / 1)

عن علي بن الأرقم عن أبيه قال : رأيت عليا وهو يبيع سيفا له في السوق ويقول : من يشتري مني هذا السيف ؟ فوالذي فلق الحبة لطالما كشفت به الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان عندي ثمن إزار ما بعته . (حلية الأولياء 83 / 1)

كان علي بن أبي طالب : يغدي ويعشي ويأكل هو من شيء يجيئه من المدينة . (حلية الأولياء 82 / 1)
عن علي بن أبي طالب : أنه أتى بفالزوج (حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل ، أو من النشا والماء والسكر) فوضع قدمه بين يديه ؛ فقال : إنك طيب الريح حسن اللون طيب الطعم ؛ لكن أكره أن أعود نفسي ما لم تعتده . (حلية الأولياء 81 / 1)

عن ثابت : أن أبا ذر مر بأبي الدرداء ، وهو يبني بيتا له ؛ فقال : لقد حملت الصخر على عواتق الرجال ؛ فقال : إنما هو بيت أبنيه ؛ فقال له أبو ذر رضي الله تعالى عنه : مثل ذلك ؛ فقال : يا أخي ، لعلك وجدت علي في نفسك من ذلك ؛ قال : لو مررت بك وأنت في عذرة أهلك ، كان أحب إلي مما رأيتك فيه . (حلية الأولياء 163 / 1)

عن عبد الله بن خراش قال : رأيت أبا ذر رضي الله تعالى عنه بالريذة ، في ظل له سوداء ، وتحتة امرأة له سحماء ، وهو جالس على قطعة جوالق ؛ فقيل له : إنك امرئ ما يبقى لك ولد ؛ فقال : الحمد لله ، الذي يأخذهم في دار الفناء ، ويدخرهم في دار البقاء ؛ قالوا : يا أبا ذر ، لو اتخذت امرأة غير هذه ؛ قال : لأن أتزوج امرأة تضعني ، أحب إلي من امرأة ترفعني ؛ فقالوا له : لو اتخذت بساطا الين من هذا ؛ قال : اللهم غفرا ، خذ مما خولت ما بدا لك . وعن أبي أسماء الرحبي أنه دخل على أبي ذر رضي الله تعالى عنه ، وهو بالريذة ، وعنده امرأة له سوداء شعثة ، ليس عليها إثر المجاسد والخلوق ؛ قال : فقال : ألا تنظرون إلي ما تأمرني به هذه السوداء ؟ تأمرني أن آتي العراق ، فإذا أتيت العراق ، مالوا علي بدنياهم ؛ وإن خليلي عهد إلى : أن دون جسر جهنم طريقا ذا دحض ومزلة

، وإنا إن نأتي عليه وفي أحمالنا اقتدار : أخرى أن ننجوا ، من أن نأتي عليه ونحن مو ا قير .
(حلية الأولياء / 1 / 161)

عن خالد بن حدير الأسلمي أنه دخل على أبي الدرداء ، وتحتة فراش من جلد أو صوف ، وعليه كساء صوف ، وسبتية صوف ، وهو وجع ، وقد عرق ؛ فقال : لو شئت ، كسيت فراشك بورق ، وكساء مرعزي ، مما يبعث به أمير المؤمنين ؛ قال : إن لنا دارا ، وإنا لنظعن إليها ولها نعمل .
(حلية الأولياء / 1 / 222)

دخل رجل على أبي ذر فجعل يقلب بصره في بيته فقال : يا أبا ذر ما أرى في بيتك متاعا ولا غير ذلك من الأثاث فقال : إن لنا بيتا نوجه إليه مصالح متاعنا فقال : إنه لا بد لك من متاع ما دمت ههنا فقال : إن صاحب المنزل لا يدعنا فيه . (إحياء علوم الدين / 13 / 2471)

عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قيل له : ألا تتخذ ضيعة ، كما اتخذ فلان وفلان ؛ قال : وما أصنع بأن أكون أميرا ؟ وإنما يكفيني كل يوم : شربة ماء أو لبن ، وفي الجمعة قفيز من قمح .
(حلية الأولياء / 1 / 162)

قال ميمون بن مهران : دخلت منزل ابن عمر فما كان فيه ما يسوى طيلسانى هذا (شال يوضع على الكتف) . (حلية الأولياء / 1 / 301)

قال الأعمش : سمعهم يذكرون : أن حذيفة قال لسلمان رضي الله تعالى عنهما : يا أبا عبد الله ، ألا أبني لك بيتا ؟ قال : - فكرة ذلك - ؛ قال : رويدك ، حتى أخبرك : أني أبني لك بيتا : إذا اضطجعت فيه رأسك من هذا الجانب ، ورجلاك من الجانب الآخر ؛ وإذا قمت : أصاب رأسك ؛ قال سلمان : كأنك في نفسي . (حلية الأولياء / 1 / 202)

قال ابن سيرين : إن حذيفة رضي الله تعالى عنه : لما قدم المدائن ، قدم على حمار ، على إكاف ، وببده رغيف ، وعرق ؛ وهو يأكل على الحمار . (حلية الأولياء / 1 / 277)

عن أبي سعيد وكان رضيعا لعائشة قال : دخلت على عائشة رضي الله تعالى عنها ، وهي تخطط نقبة لها ؛ قلت : يا أم المؤمنين ، أليس قد أوسع الله عز وجل ؟ قالت : لا جديد لمن لا خلق له .
(حلية الأولياء / 2 / 48)

عن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه أنه قال عند موته - عند الاحتضار - : كيلوا مالي ، فكالوه فوجدوه اثنين وخمسين مدا فقال : من يأخذه بما فيه ؟ يا ليته كان بعرا . (سير أعلام النبلاء / 74 / 3)

اشتكى سلمان الفارسي فعاده سعد بن أبي وقاص فرآه يبكي فقال له سعد : ما يبكيك يا أخي أليس قد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ أليس ؟ أليس ؟ قال سلمان : ما أبكي واحدة من اثنتين ما أبكي ضمنا للنديا ولا كراهية للأخرة ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلى عهدا فما أراني إلا قد تعديت ! قال : وما عهد إليك ؟ قال : عهد إلى أنه يكفي أحدكم مثل زاد الراكب ولا أراني إلا قد تعديت وأما أنت يا سعد فاتق الله عند حكمك إذا حكمت وعند قسمك إذا قسمت وعند همك إذا هممت . قال ثابت : فبلغني أنه ما ترك إلا بضعة وعشرين درهما من نفقة كانت عنده . (رواه ابن ماجه 4104)

قال الحسن : كان عطاء سلمان رضي الله عنه : خمسة آلاف درهم وكان أميرا على زهاء ثلاثين ألفا من المسلمين وكان يخطب الناس في عبادة يفترش بعضها ويلبس بعضها وإذا خرج عطاؤه أمضاه ويأكل من سفيف يده . (الزهد لأحمد رقم 815)

قال شوذب : كان سلمان يحلق رأسه زقية (أي محذوف شعر الرأس كله) فيقال له : ما هذا يا أبا عبد الله ؟ فقال : إنما العيش عيش الأخرة . (حلية الأولياء 1 / 199)

قال علي بن بذيمة : بيع متاع سلمان رضي الله تعالى عنه فبلغ أربعة عشر درهما . (الحلية 1 / 197)

عن محمد بن معبد : أن عمر بن عبد العزيز أرسل بأسارى من أساري الروم ، ففادي بهم أساري من أساري المسلمين ؛ قال : فكنت إذا دخلت على ملك الروم ، فدخلت عليه عظماء الروم ، خرجت ؛ قال : فدخلت يوما ، فإذا هو جالس في الأرض ، مكتئبا ، حزينا ؛ فقلت : ما شأن الملك ؟ قال : وما تدري ما حدث ؟ قلت : وما حدث ؟ قال : مات الرجل الصالح ؛ قلت : من ؟ قال : عمر بن عبد العزيز ؛ قال : ثم قال ملك الروم : لأحسب أنه ، لو كان أحد يحيي الموتى بعد عيسى بن مريم عليه السلام ، لأحياهم عمر بن عبد العزيز ؛ ثم قال : لست أعجب من الراهب : أغلق باب ، ورفض الدنيا ، وترهب ، وتعبد ؛ ولكن أتعجب : ممن كانت الدنيا تحت قدميه ، فرفضها ، ثم ذهب . (حلية الأولياء 5 / 290 - 291)

عن عمر بن عبد العزيز : أنه آخر الجمعة يوما عن وقته الذي كان يصلي فيه ؛ فقلنا له : أخرجت الجمعة اليوم عن وقتك قال : إن الغلام ذهب بالثياب يغسلها ، فحبس بها ؛ فعرفنا أنه ليس له غيرها ؛ ثم قال : أما إني قد رأيتي وأنا بالمدينة ، وإني لأخاف أن يعجز ما رزقني الله عن كسوتي فقط ؛ ثم قال يتمثل : قضى ما قضى فيما مضى ثم لم تكن له عودة أخرى للبيالي الغواير . (حلية الأولياء 5 / 322)

عن رجاء بن حيوة قال : قومت ثياب عمر بن عبد العزيز وهو خليفة باثني عشر درهما ؛ فذكر : قميصه ، ورداءه ، وخباءه ، وسراويله ، وعمامته ، وقلنسوته ، وخفيه . (حلية الأولياء 5 / 323)

وكان عمر بن عبد العزيز يقول : (سير أعلام النبلاء 5 / 138)

ولا خير في عيشٍ امرئٍ لم يكن له *** من الله في دار القرار نصيبُ

فإن تُعجب الدنيا أناساً فإنها *** متاعٌ قليل والزوال قريب

عن مسلمة قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز في اليوم الذي مات فيه ، وفاطمة بنت عبد الملك جالسة عند رأسه ، فلما رأتني تحولت وجلست عند رجله ، وجلست أنا عند رأسه ، فإذا عليه قميص وسخ مخرق الجيب ، فقلت لها : لو أبدلتكم هذا القميص ، فسكتت ، ثم أعدت القول عليهما مرارا ، حتى غلظت ، فقالت : والله ما له قميص غيره . (حلية الأولياء 5 / 258)

قال أحمد بن بكار : غزا معنا إبراهيم بن أدهم غزاتين ، كل واحدة أشد من الأخرى : غزاة عباس الأنطاكي ، وغزاة محكاف ، فلم يأخذ سهما ، ولا نفلا ؛ وكان لا يأكل من متاع الروم ، نجىء بالطرائف ، والعسل ، والدجاج ، فلا يأكل منه ؛ ويقول : هو حلال ، ولكني أزهده فيه كان يأكل مما حمل معه وكان يصوم . قال : وغزا على بردون ثمنه دينار وكان له حمار فعارض به ذلك البردون وكان لو أعطيته فرسا من ذهب أو من فضة ، ما كان قبله ، ولا يقبل شربة من ماء ؛ وغزا في البحر غزاتين لم يأخذ سهمه ولا يفترض . (حلية الأولياء 7 / 388)

عن الربيع بن خيثم أنه لبس قميصا سنبلانيا أراه ثمن ثلاثة دراهم أو أربعة فإذا به كمه بلغ أظفاره وإذا أرسله بلغ ساعده وإذا رأى بياض القميص قال : أي عبيد تواضع لربك ثم يقول : أي لحيمة أي دمية كيف تصنعان إذا سيرت الجبال ودكت الأرض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا وجئ يومئذ بجهنم ؟ . (حلية الأولياء 2 / 113)

عن أبي بكر بن المنكدر قال : بعث حبيب بن مسلمة - وهو أمير الشام - إلى أبي ذر بثلاثمائة دينار ، وقال : استعن بها على حاجتك ؛ فقال أبو ذر : أرجع بها إليه ، أما وجد أحدا أغرب الله منا ؛ مالنا إلا ظل نتواري به ، وثلة من غنم تروح علينا ، ومولاة لنا تصدقت علينا بخدمتها ؛ ثم إنني لأتخوف الفضل . (حلية الأولياء 1 / 161)

عن سلام بن مسكين قال : دخلت على مالك بن دينار في مرضه الذي مات فيه ، فإذا البيت فيه سير أثل (هلك) مرمول (مربوط) بالشريط وعليه قطعة بوري ؛ وإذا تحت رأسه قطعة كساء ،

وإذا ركوة وصاغرة ؛ فرفع رأسه ، فأخرج من تحت رأسه رغيفين يابسين ، فقعد يكسر ذلك الرغيفين في الماء ، حتى إذا ظن أن الخبز قد ابتل ، قال : ناولني الدوخلة ، فإذا دوخلة معلقة يابسة ، فوضعتها ، فأخرج منها صرة فيها ملح ؛ وقال لي : أدن ؛ فقلت : يا أبا يحيى ، لا أشتي ؛ قال : فقال : هيات هيات أنت ممن غدى في الماء العذب ، فلا تصير في الماء المالح . (حلية الأولياء 2/369-370)

عن مالك بن دينار قال : من دخل بيتي ، فأخذ شيئاً ، فهو له حالان ؛ أما أنا ، فلا أحتاج إلى قفل ، ولا إلى مفتاح ؛ وكان يأخذ الحصة من حلال المسجد ، فيقول : لوددت أن هذه أجزأتني في الدنيا ما عشت - لا أزيد على مصبها - من الطعام والشراب ؛ وكان يقول : لو صلح لي ، أن أعمد إلى برد لي ، فأقطعه باثنين ، فأتزر بقطعة ، وارتن بقطعة ، لفعلت . (حلية الأولياء 2/367)

عن جعفر قال : سمعت مالك بن دينار يقول : والله ، لقد أصبحت ما أملك ديناراً ، ولا درهماً ، ولا دانقاً ؛ ولئن لم يكن لي عند الله خير ، ما كانت لي دنيا ، ولا آخرة . (حلية الأولياء 2/367)

قال مالك بن دينار : الناس يقولون مالك بن دينار زاهد إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز الذي أتته الدنيا فتركها . (حلية الأولياء 5/257)

عن حفص بن عمر الجعفي قال : كان داود الطائي قد ورث عن أمه أربعمائة درهم ؛ فمكث يتقوتها ثلاثين عاماً ، فلما نفدت ، جعل ينقض سقوف الدويرة فيبيعها ، حتى باع الخشب ، والبواري ، واللبن حتى بقي في نصف سقف وكان حائط داره من هذا اللبن العرزمي الذي يجعل منه الكناسات وباب خلاف مربع قصير لو أن غلاماً وثب ، سقط إلى الدار وجاء صديق له ، فقال : يا أبا سليمان لو أعطيتني هذه ، فبعتها لك ، لعلنا نستفضل لك فيها شيئاً تنتفع به ؛ فما زال به ، حتى دفعها إليه ؛ ثم فكر فيها ، فلقبه بعد العشاء الآخرة ؛ فقال : أرددها علي ، قال : ولم يا أخي ؟ قال : أخاف أن يدخل فيها شيء غير طيب ؛ فأخذها . (حلية الأولياء 7/346)

قال جعفر : كنا نأتي فرقد السبخي ونحن شعبة ، فيعلمنا فيقول : إن من ورائكم زماناً شديداً شدوا الإزار على أنصاف البطون وصغروا اللقم وشدوا المضغ ، ومصوا الماء فإذا أكل أحدكم فلا يحلن من إزاره فتتسع أمعاؤه وإذا جلس ليأكل فليقعد على إلبيه وليلرق فخذه ببطنه وإذا فرغ فلا يقعد وليجيء وليذهب واحتفوا فإن من ورائكم زماناً شديداً . قال : ودخلت على فرقد وهو شيخ كبير وبين يديه خل حامض وهو يقول باللحمة في جوفه ثم يأكل فقلت : لم تفعل هذا يا أبا يعقوب ؟ قال : ليقطع عني النكاح . (حلية الأولياء 6/289)

56- باب فضل الجوع وخشونة العيش والاقتصار على القليل من المأكول والمشروب والملبوس وغيرها من حظوظ النفس وترك الشهوات

قَالَ اللهُ تَعَالَى : فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيَاءً إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا [مريم : 59-60]
 وقال تَعَالَى : فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونَ إِنَّهُ لَدُوٌّ حَظِيٌّ عَظِيمٌ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا [القصص : 79-80] ، وقال تَعَالَى : ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ [التكاثر : 8] ، وقال تَعَالَى : مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا [الإسراء : 18] والآيات في الباب كثيرة معلومة .

491- وعن عائشة ، رضي الله عنها ، قالت : ما شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ خُبْزِ شَعِيرٍ يَوْمَئِذٍ مُتَتَابِعِينَ حَتَّى قُبِضَ . متفق عليه .

وفي رواية : ما شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْذُ قَدِمَ الْمَدِينَةَ مِنْ طَعَامِ الْبَرِّ ثَلَاثَ لَيَالٍ تَبَاعًا حَتَّى قُبِضَ .

492- وعن عُرْوَةَ عَنَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ، أَنَّهَا كَانَتْ تَقُولُ : وَاللَّهِ يَا ابْنَ أَخْتِي إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهَلَالِ ثُمَّ الْهَلَالِ . ثُمَّ الْهَلَالِ ثَلَاثَةَ أَهْلَةٍ فِي شَهْرَيْنِ . وَمَا أُوقِدَ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَارٌ . قُلْتُ : يَا خَالَهُ فَمَا كَانَ يُعِيشُكُمْ ؟ قَالَتْ : الْأَسْوَدَانِ : التَّمْرُ وَالْمَاءُ إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِرَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ . وَكَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ وَكَانُوا يُرْسَلُونَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْبَاهَا فَيَسْقِينَا . متفقٌ عليه .

493- وعن أبي سعيدٍ المَقْبُرِيِّ عَنَ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ . أَنَّهُ مَرَّ بِقَوْمٍ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ شَاةٌ مَصْلِيَةٌ . فَدَعَاهُ فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ ، وقال : خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الدُّنْيَا وَلَمْ يَشْبِعْ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ . رواه البخاري . « مَصْلِيَةٌ » بفتح الميم : أَي : مَشْوِيَةٌ .

494- وعن أنسٍ رضي الله عنه ، قال : لَمْ يَأْكُلِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى خِوَانٍ حَتَّى مَاتَ ، وَمَا أَكَلَ خُبْزًا مَرْقَقًا حَتَّى مَاتَ . رواه البخاري . وفي رواية له : وَلَا رَأَى شَاةً سَمِيطًا بَعَيْنِهِ قَطُّ .

495- وعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : لَقَدْ رَأَيْتُ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا يَجِدُ مِنَ الدَّقْلِ مَا يَمْلَأُ بِهِ بَطْنَهُ ، رواه مسلم . الدَّقْلُ : تَمْرٌ رَدِيءٌ .

496- وعن سهل بن سعد رضي الله عنه ، قال : ما رأى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّقِيَّ مِنْ حِينَ ابْتَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، فَقِيلَ لَهُ هَلْ كَانَ لَكُمْ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنَاحِلٌ ؟ قَالَ : مَا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْخَلًا مِنْ حِينَ ابْتَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، فَقِيلَ لَهُ : كَيْفَ كُنْتُمْ تَأْكُلُونَ الشَّعِيرَ غَيْرَ مَنْخُولٍ ؟ قَالَ : كُنَّا نَطْحَنُهُ وَنَنْفُخُهُ ، فَيَطِيرُ مَا طَارَ ، وَمَا بَقِيَ تَرَيْنَاهُ . رواه البخاري .

قوله : « النَّقِيَّ » : هو بفتح النون وكسر القاف وتشديد الياء . وهو الخبز الحواري ، وهو : الدَّرْمَكُ قوله : « تَرَيْنَاهُ » هُوَ بِنَاءٍ مُثَلَّثَةٍ ، ثُمَّ رَاءٍ مُشَدَّدَةٍ ، ثُمَّ يَاءٍ مُثَنَّاةٍ مِنْ تَحْتِ ثَمَّ نُونٍ ، أَي : بِلَلْنَاهُ وَعَجَنَاهُ .

497- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ ، فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، فَقَالَ : « مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ ؟ » قَالَ : الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : « وَأَنَا ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لِأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا . قُومًا مَعَهُ ، فَأَتَى رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ قَالَتْ : مَرْحَبًا وَأَهْلًا . فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَيْنَ فُلَانٌ » قَالَتْ : ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا الْمَاءَ ، إِذْ جَاءَ الْأَنْصَارِيُّ ، فَنظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَاحِبِيهِ ، ثُمَّ قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ، مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي فَاَنْطَلَقَ فَجَاءَهُمْ بَعْدِي فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطْبٌ ، فَقَالَ : كُلُوا ، وَأَخَذَ الْمُدِيَةَ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِيَّاكَ وَالْحُلُوبَ » فَذَبَحَ لَهُمْ ، فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ وَمِنْ ذَلِكَ الْعِدْقِ وَشَرِبُوا . فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُّوا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لِنَسْأَلَنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، أَخْرَجَكُمُ مِنْ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ » رواه مسلم .

قَوْلُهَا : « يَسْتَعْذِبُ » أَي : يَطْلُبُ الْمَاءَ الْعَذْبَ ، وَهُوَ الطَّيِّبُ . وَ« الْعِدْقُ » بِكسر العين وإسكان الذال المعجمة : وَهُوَ الْكِبَاسَةُ ، وَهِيَ الْعُصْنُ . وَ« الْمُدِيَةُ » بضم الميم وكسر هاء : هِيَ السِّكِّينُ . وَ« الْحُلُوبُ » ذَاتُ اللَّبَنِ . وَالسُّؤَالُ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ سُؤَالُ تَعْدِيدِ التَّعَمُّ لِسُؤَالِ تَوْبِيخٍ وَتَعْذِيبٍ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَهَذَا الْأَنْصَارِيُّ الَّذِي أَتَوْهُ هُوَ أَبُو الْهَيْثَمِ بْنِ التَّيْهَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، كَذَا جَاءَ مُبَيَّنًا فِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ وَغَيْرِهِ

498- وعن خالد بن عمر العدوي قال : حَطَبْنَا عُثْبَةَ بْنَ عَزْوَانَ ، وَكَانَ أَمِيرًا عَلَى الْبَصْرَةِ ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّ الدُّنْيَا آذَنْتَ بِصُرْمٍ ، وَوَلَّتْ حَدَاءً ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ يَتَصَابُهَا صَاحِبُهَا ، وَإِنَّا كُنَّا مُنْتَقِلُونَ مِنْهَا إِلَى دَارٍ لَا زَوَالَ لَهَا ، فَاَنْتَقَلُوا بِخَيْرٍ مَا بَحَضَرْتُمْ فَإِنَّهُ قَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ الْحَجَرَ يُلْقَى مِنْ شَفِيرِ جَهَنَّمَ فَيَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ عَامًا لَا يُدْرِكُ لَهَا قَعْرًا ، وَاللَّهُ لَثُمَّلَانٌ .. أَفَعَجِبْتُمْ ؟ وَلَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مِصْرَاعِ الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ

عاماً ، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهَا يَوْمٌ وَهُوَ كَظِيظٌ مِنَ الزَّحَامِ ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ ، حَتَّى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا ، فَالْتَقَطْتُ بُرْدَةً فَشَقَقْتُهَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ فَاتَّزَرْتُ بِنِصْفِهَا ، وَاتَّزَرَ سَعْدٌ بِنِصْفِهَا ، فَمَا أَصْبَحَ الْيَوْمَ مِمَّا أَحَدٌ إِلَّا أَصْبَحَ أَمِيرًا عَلَى مِصْرٍ مِنَ الْأَمْصَارِ . وَإِنِّي أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ فِي نَفْسِي عَظِيمًا . وَعِنْدَ اللَّهِ صَغِيرًا . رواه مسلم . وله : « أَذْنَتْ » هُوَ بِمَدِّ الْأَلْفِ ، أَي : أَعْلَمْتُ . وَقَوْلُهُ : « بِصُرْمٍ » : هُوَ بضم الصاد . أَي : بِانْقِطَاعِهَا وَفَنَائِهَا . وَقَوْلُهُ « وَوَلَّتْ حَدَاءً » هُوَ بِحَاءٍ مَهْمَلَةٍ مُفْتَوِحَةٍ ، ثُمَّ ذَالٍ مُعْجَمَةٍ مُشَدَّدَةٍ ، ثُمَّ أَلْفٍ مَمْدُودَةٍ . أَي : سَرِيعَةٍ وَ « الصُّبَابَةُ » بضم الصاد المَهْمَلَةِ : وَهِيَ الْبَقِيَّةُ الْيَسِيرَةُ . وَقَوْلُهُ : « يَتَصَابُهَا » هُوَ بِتَشْدِيدِ الْبَاءِ . أَي : يَجْمَعُهَا . وَ الْكَظِيظُ : الْكَثِيرُ الْمُتَمَلِّئُ . وَقَوْلُهُ : « قَرِحَتْ » هُوَ بِفَتْحِ الْقَافِ وَكسْرِ الرَّاءِ أَي : صَارَتْ فِيهَا قُرُوحٌ .

499- وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : أَخْرَجَتْ لَنَا عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كِسَاءً وَإِزَارًا غَلِيظًا قَالَتْ : فَبِضِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَيْنِ . متفق عليه .

500- وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : إِنِّي لِأَوَّلِ الْعَرَبِ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَقَدْ كُنَّا نَعْرُزُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الْحَبْلَةِ . وَهَذَا السَّمْرُ . حَتَّى إِنْ كَانَ أَحَدُنَا لَيَبْضَعُ كَمَا تَبْضَعُ الشَّاةُ مَا لَهُ خُلْطٌ . متفق عليه .

« الْحَبْلَةُ » بضم الحاء المَهْمَلَةِ وَإِسْكَانِ الْبَاءِ الْمَوْحِدَةِ : وَهِيَ وَالسَّمْرُ نَوْعَانِ مَعْرُوفَانِ مِنْ شَجَرِ الْبَادِيَةِ .

501- وعن أبي هريرة رضي الله عنه . قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللَّيْمُ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا » متفق عليه . قال أهلُ اللُّغَةِ وَالْعَرَبِ : مَعْنَى « قُوتًا » أَي مَا يَسُدُّ الرِّمَقَ .

502- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : والله الذي لا إله إلا هو ، إِنْ كُنْتُ لِأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْجُوعِ ، وَإِنْ كُنْتُ لِأَشُدُّ الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الْجُوعِ . وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا عَلَى طَرِيقِهِمُ الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ ، فَمَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَتَبَسَّمَ حِينَ رَأَى ، وَعَرَفَ مَا فِي وَجْهِ وَمَا فِي نَفْسِي ، ثُمَّ قَالَ : « أبا هريرة ، قلْتُ : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : « الْحَقُّ » وَمَضَى ، فَاتَّبَعْتُهُ ، فَدَخَلَ فَاسْتَأْذَنَ ، فَأَذِنَ لِي فَدَخَلْتُ ، فَوَجَدَ لَبَنًا فِي قَدَحٍ فَقَالَ : « مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ ؟ » قَالُوا : أَهْدَاهُ لَكَ فُلَانٌ أَوْ فُلَانَةٌ قَالَ : « أبا هريرة ، قلْتُ : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : « الْحَقُّ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ لِي . » قَالَ : وَأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيَافُ الْإِسْلَامِ ، لَا يَأْوُونَ عَلَى أَهْلِ ، وَلَا مَالٍ ، وَلَا عَلَى أَحَدٍ ، وَكَانَ إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ . وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا ، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَأَصَابَ مِنْهَا وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا ، فَسَاءَنِي ذَلِكَ فَقُلْتُ : وَمَا هَذَا اللَّبَنُ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ ؟ كُنْتُ أَحَقُّ أَنْ أُصِيبَ مِنْ هَذَا اللَّبَنِ شَرِبَةً ،

أَتَقَوَّى بِهَا، فَإِذَا جَاءُوا أَمْرِي، فَكُنْتُ أَنَا أُعْطِيهِمْ، وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَنِي مِنْ هَذَا اللَّبَنِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَدًّا. فَاتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ، فَأَقْبَلُوا وَاسْتَأْذَنُوا، فَأَذِنَ لَهُمْ وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِنَ النَّبِيِّ قَالَ: « يَا أَبَا هِرٍّ، » « قُلْتُ: لَبَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: « خذْ فَأَعْطِيهِمْ » قَالَ: فَأَخَذْتُ الْقَدَحَ فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرَوِي، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ، فَأَعْطِيهِ الْآخَرَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرَوِي، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ رَوَى الْقَوْمُ كُلُّهُمْ، فَأَخَذَ الْقَدَحَ فَوَضَعَهُ عَلَى يَدِهِ، فَنَظَرَ إِلَيَّ فَتَبَسَّمَ، فَقَالَ: « يَا هِرٍّ » « قُلْتُ: لَبَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: « بَقِيْتُ أَنَا وَأَنْتَ » « قُلْتُ صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: « افْعُدْ فَأَشْرَبْ » فَفَعَدْتُ فَشَرِبْتُ: فَقَالَ: « اشْرَبْ » فَشَرِبْتُ، فَمَا زَالَ يَقُولُ: « اشْرَبْ » حَتَّى قُلْتُ: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَجِدُ لَهُ مُسْلِكًا، قَالَ: « فَأَرِنِي » فَأَعْطَيْتُهُ الْقَدَحَ، فَحَمِدَ اللَّهُ تَعَالَى، وَسَمَّى وَشَرِبَ « الْفَضْلَةَ » رواه البخاري .

503- وعن مُحَمَّدِ بْنِ سَيْرِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَإِنِّي لِأَخْرُفُ فِيمَا بَيْنَ مَنَابِرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى حُجْرَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَغْشِيًا عَلَيَّ، فَيَجِيءُ الْجَائِي، فَيَضَعُ رِجْلَهُ عَلَى عُنُقِي، وَيَرَى أَيْ مَجْنُونٌ وَمَا بِي مِنْ جُنُونٍ، وَمَا بِي إِلَّا الْجُوعُ. رواه البخاري .

504- وعن عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: تُوِّفِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدَرَعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ فِي ثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ. متفقٌ عليه .

505- وعن أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَهَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَرَعَهُ بِشَعِيرٍ، وَمَشِيَتْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخُزْ شَعِيرٍ، وَإِهَالَةَ سَنِيخَةٍ، وَلَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: « مَا أَصْبَحَ لِأَلِ مُحَمَّدٍ صَاغٌ وَلَا أَمْسَى وَإِنَّهُمْ لَتَسْعَهُ أَبْيَاتٌ » رواه البخاري .

« الإِهَالَةُ » بكسر الهمزة: الشَّحْمُ الذَّائِبُ. وَالسَّنِيخَةُ « بالنون والحاء المعجمة، وهي: الْمُتَغَيَّرَةُ

506- وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ، مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ رِذَاءٌ، إِلَّا إِزَارًا وَمَا كِسَاءٌ، قَدْ رِبَطُوا فِي أَعْنَاقِهِمْ مِنْهَا مَا يَبْلُغُ نِصْفَ السَّاقَيْنِ وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الْكَعْبَيْنِ، فَيَجْمَعُهُ بِيَدِهِ كَرَاهِيَةً أَنْ تُرَى عَوْرَتُهُ. رواه البخاري

507- وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهُ لَيْفٌ. رواه البخاري

508- وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَدْبَرَ الْأَنْصَارِيَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « يَا أَخَا

الْأَنْصَارِ، كَيْفَ أَخِي سَعْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ؟ « فَقَالَ: صَالِحٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مَنْ يَعُوذُ مِنْكُمْ؟ » فَقَامَ وَقُمْنَا مَعَهُ، وَنَحْنُ بَضْعَةٌ عَشْرٌ مَا عَلَيْنَا نِعَالَ وَلَا خِفَافٌ، وَلَا قَلَانِسٌ، وَلَا قُمْصٌ نَمشي فِي تِلْكَ السَّبَاحِ، حَتَّى جِئْنَا، فَاسْتَأْخَرَ قَوْمُهُ مِنْ حَوْلِهِ حَتَّى دَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ الَّذِينَ مَعَهُ. رواه مسلم.

509- وعن عمران بن الحصين رضي الله عنهما، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: « خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُوتُهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُوتُهُمْ » قال عمران: « فَمَا أَدْرِي قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا؟ » ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَهُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسَلِّتُ شَهَادَتَهُمْ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمِنُونَ، وَيَنْدِرُونَ وَلَا يُؤْفُونَ، وَيُظْهِرُ فِيهِمُ السِّمْنَ « متفق عليه.

510- وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « يَا ابْنَ آدَمَ: إِنَّكَ إِنْ تَبَدَّلَ الْقَضَلُ خَيْرٌ لَكَ، وَأَنْ تُمَسِكَهُ شَرٌّ لَكَ، وَلَا تُلَامُ عَلَى كَفَافٍ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ » رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

511- وعن عبيد الله بن محصن الأنصاري الخطمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مَعَا فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوْتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حَبِزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَائِهَا. رواه الترمذي وقال: حديث حسن. « سِرْبِهِ » بكسر السين المهملة، أي: نَفْسِهِ، وَقِيلَ: قَوْمُهُ.

512- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَكَانَ رِزْقُهُ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ » رواه مسلم.

513- وعن أبي محمد فضالة بن عبيد الأنصاري رضي الله عنه، أنه سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: « طُوبَى لِمَنْ هُدِيَ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَكَانَ عَيْشُهُ كَفَافًا، وَقَنَّعَ » رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

514- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبِيتُ اللَّيَالِيَ الْمُتَتَابِعَةَ طَاوِيًا، وَأَهْلُهُ لَا يَجِدُونَ عَشَاءً، وَكَانَ أَكْثَرَ حُبِّهِمْ حُبَّ الشَّعِيرِ. رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

515- وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا صَلَّى بِالنَّاسِ يَخْرِجُ رِجَالَ مَنْ قَامَتْهُمْ فِي الصَّلَاةِ مِنَ الْخَصَاصَةِ وَهُمْ أَصْحَابُ الصُّفَّةِ حَتَّى يَقُولَ الْأَعْرَابُ: هُوَ لَا مَجَانِينَ، فَإِذَا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انصَرَفَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: « لَوْ تَعْلَمُونَ مَا لَكُمْ عِنْدَ

الله تعالى لأَحْبَبْتُمْ أَنْ تَزَادُوا فَاقَةً وَحَاجَةً» رواه الترمذي ، وقال حديثٌ صحيحٌ. « الْخِصَابَةُ » :
الْفَاقَةُ وَالْجُوعُ الشَّدِيدُ

516- وعن أبي كَرِيمَةَ الْمُقْدَامِ بْنِ مَعْدٍ يَكْرِبُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَا مَلَأَ أَدَمِي وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أَكْلَاتُ يُقْمَنُ صَلْبُهُ فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَتَلَّتْ لَطْعَامِهِ وَتَلَّتْ لِشَرَابِهِ ، وَتَلَّتْ لِنَفْسِهِ » . رواه الترمذي وقال : حديثٌ حسن . « أَكْلَاتُ » : أَي : لُقْمٌ .

517- وعن أبي أُمَامَةَ إِيَاسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ الْأَنْصَارِيِّ الْحَارِثِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : ذَكَرَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا عِنْدَهُ الدُّنْيَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَلَا تَسْمَعُونَ ؟ أَلَا تَسْمَعُونَ ؟ إِنَّ الْبِدَادَةَ مِنَ الْإِيمَانِ إِنَّ الْبِدَادَةَ مِنَ الْإِيمَانِ » يَعْنِي : التَّقَحُّلُ . رواه أبو داود .

« الْبِدَادَةُ » : بِالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ وَالذَّالِّينِ الْمُعْجَمَتَيْنِ ، وَهِيَ رِثَاءُ الْهَيْئَةِ ، وَتَرَكَ فَاخِرَ اللَّبَاسِ وَأَمَّا « التَّقَحُّلُ » فَبِالْقَافِ وَالْحَاءِ ، قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ : الْمُتَقَحِّلُ : هُوَ الرَّجُلُ الْيَابِسُ الْجِلْدِ مِنْ خُسُوفَةِ الْعَيْشِ ، وَتَرَكَ التَّرَفِّهِ .

518- وعن أبي عبد الله جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَ عَلَيْنَا أَبَا عُبَيْدَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، نَتَلَّقِي عَيْرًا لِفَرَيْشِي ، وَزَوَدَنَا جِرَابًا مِنْ تَمْرٍ لَمْ يَجِدْ لَنَا غَيْرَهُ ، فَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يُعْطِينَا تَمْرَةً تَمْرَةً ، فَقِيلَ : كَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ بِهَا ؟ قَالَ : نَمَصُّهَا كَمَا يَمَصُّ الصَّبِيُّ ، ثُمَّ نَشْرِبُ عَلَيْهَا مِنَ الْمَاءِ ، فَتَكْفِينَا يَوْمَنَا إِلَى اللَّيْلِ ، وَكُنَّا نَضْرِبُ بِعَصِينَا الْخَبْطَ ، ثُمَّ نَبْلُهُ بِالْمَاءِ فَنَأْكُلُهُ . قَالَ : وَانْطَلَقْنَا عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ ، فَرَفَعَ لَنَا عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ كَهَيْئَةِ الْكَثِيبِ الضَّخْمِ ، فَاتَيْنَاهُ فَإِذَا هِيَ ذَابَّةٌ تُدْعَى الْعَنْبَرُ ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : مَيْتَةٌ ، ثُمَّ قَالَ : لَا ، بَلْ نَحْنُ رَسُلُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَفِي سَبِيلِ اللهِ ، وَقَدْ اضْطَرُّرْتُمْ فَكُلُوا ، فَأَقَمْنَا عَلَيْهِ شَهْرًا ، وَنَحْنُ ثَلَاثُمِائَةٍ ، حَتَّى سَمِنَّا ، وَلَقَدْ رَأَيْتَنَا نَعْتَرِفُ مِنْ وَقْبِ عَيْنِهِ بِالْقِلَالِ الدُّهْنِ وَنَقْطَعُ مِنْهُ الْفِدْرَكَ الثَّوْرَ أَوْ كَقَدْرِ الثَّوْرِ . وَلَقَدْ أَخَذَ مِنَّا أَبُو عُبَيْدَةَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا فَأَقْعَدَهُمْ فِي وَقْبِ عَيْنِهِ وَأَخَذَ ضِلْعًا مِنْ أَضْلَاعِهِ فَأَقَامَهَا ثُمَّ رَحَلَ أَعْظَمَ بَعِيرٍ مَعَنَا فَمَرَّ مِنْ تَحْتِهَا وَتَزَوَّدْنَا مِنْ لَحْمِهِ وَشَاتِقِ ، فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ أَتَيْنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ : « هُوَ رِزْقُ أَخْرَجَهُ اللهُ لَكُمْ ، فَهَلْ مَعَكُمْ مِنْ لَحْمِهِ شَيْءٍ فَتَطْعَمُونَا ؟ » فَأَرْسَلْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُ فَأَكَلَهُ . رواه مسلم . « الْجِرَابُ » : وعاءٌ مِنْ جِلْدٍ مَعْرُوفٍ ، وَهُوَ بِكَسْرِ الْجِيمِ وَفَتْحِهَا ، وَالْكَسْرُ أَفْصَحُ . قوله : « نَمَصُّهَا » بفتح الميم « وَالْخَبْطُ » وَرَقُّ شَجَرٍ مَعْرُوفٍ تَأْكُلُهُ الْإِبِلُ . « وَالْكَثِيبُ » التُّلُّ مِنَ الرَّمْلِ ، « وَالْوَقْبُ » : بفتح الواو وإسكان القافِ وبعدها باءٌ موحدةٌ ، وَهُوَ نَقْرَةُ الْعَيْنِ « وَالْقِلَالُ » الْجِرَارُ . « وَالْفِدْرُ » بِكسرِ الفاءِ

وفتح الدال : القِطْع . « زَحَلِ الْبَعِيرَ » بتخفيفِ الحاءِ أَي جعلَ عليه الرِحلَ . و « الْوَشَاقُ » بالشينِ المعجمةِ والقافِ : اللَّحْمُ الَّذِي اقْتِطِعَ لِيَقْدَدَ مِنْهُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

519- وعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت : كان كُمٌ قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرُصعِ رواه أبو داود ، والترمذي ، وقال : حديث حسن .

« الرُصعُ » بالصادِ والرُصعُ بالسینِ أيضاً : هو المِفْصِلُ بَيْنَ الكَفِّ والسَّاعِدِ .

520- وعن جابر رضي الله عنه قال : إِنَّا كُنَّا يَوْمَ الخَنْدَقِ نَحْفِرُ ، فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ شَدِيدَةٌ فَجَاءُوا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا : هَذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ فِي الخَنْدَقِ . فقال : « أَنَا نَازِلٌ » ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ ، وَلَيْثُنَا ثَلَاثَةٌ أَيَّامٍ لَا نَدُوقُ ذَوْاقًا ، فَأَخَذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المِعْوَلُ ، فَضَرَبَ فَعَادَ كَثِيبًا أَهْيَلًا ، أَوْ أَهْيَمًا . فقلت : يا رسول الله أئذن لي إلى البيت ، فقلت لامرأتي : رأيتُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا مَا فِي ذَلِكَ صَبْرٌ فِعْنَدَكَ شَيْءٌ ؟ فقالت : عِنْدِي شَعِيرٌ وَعِنَاقٌ ، فَذَبَحْتُ العِنَاقَ ، وَطَحَنْتُ الشَّعِيرَ حَتَّى جَعَلْنَا اللَّحْمَ فِي البُرْمَةِ ، ثُمَّ جِئْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالعَجِينُ قَدْ انْكَسَرَ والبُرْمَةُ بَيْنَ الْأَثَافِ قَدْ كَادَتْ تَنْضِجُ . فقلت : طَعِمَ لِي فَقُمُ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ ، قال : « كَمْ هُوَ ؟ » فَذَكَرْتُ لَهُ فقال : « كَثِيرٌ طِيبٌ ، قُلْ لَهَا لَا تَنْزِعِ البُرْمَةَ ، وَلَا الخُبْزَ مِنَ التَّنُورِ حَتَّى آتِي » فقال : « قَوْمُوا » فقام المَهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ ، فَدَخَلْتُ عِلْمًا فقلت : وَيَحَكِ جَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمَهَاجِرُونَ ، وَالْأَنْصَارُ وَمَنْ مَعَهُمْ ، قالت : هل سَأَلَكِ ؟ قلت : نعم ، قال : « ادْخُلُوا وَلَا تَضَاعَطُوا » فَجَعَلَ يَكْسِرُ الخُبْزَ ، وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ ، وَيُخَمِّرُ البُرْمَةَ وَالتَّنُورَ إِذَا أَخَذَ مِنْهُ ، وَيَقْرُبُ إِلَى أَصْحَابِهِ ثُمَّ يَنْزِعُ فَلَمْ يَزَلْ يَكْسِرُ وَيَعْرِفُ حَتَّى شَبِعُوا ، وَبَقِيَ مِنْهُ ، فقال : « كُلِّي هَذَا وَأَهْدِي ، فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَهُمْ مَجَاعَةٌ » متفقٌ عليه .

وفي رواية : قال جابرٌ : لَمَّا حُفِرَ الخَنْدَقُ رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمَصًا ، فَأَنكَفَأْتُ إِلَى امْرَأَتِي فقلت : هل عِنْدَكِ شَيْءٌ ، فَإِنِّي رَأَيْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمَصًا شَدِيدًا . فَأَخْرَجَتْ إِلَيَّ جِرَابًا فِيهِ صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ ، وَلَنَا بُهَيْمَةٌ ، دَاجِنٌ فَذَبَحْتُهَا ، وَطَحَنْتُ الشَّعِيرَ فَفَرَعْتُ إِلَى فَرَاعِي ، وَقَطَعْتُهَا فِي بُرْمَتِهَا ، ثُمَّ وَلَّيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَتْ : لَا تَفْضُخْني بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ مَعَهُ ، فَجِئْتُهُ فَسَارَزْتُهُ فقلتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنَا ، وَطَحَنْتُ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ ، فَتَعَالَ أَنْتَ وَنَفَرْنَا مَعَكَ ، فَصَاحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال : « يَا أَهْلَ الخَنْدَقِ : إِنَّ جَابِرًا قَدْ صَنَعَ سُورًا فَحَمَلَهَا بِكُمْ » فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا تُنْزِلَنَّ بُرْمَتَكُمْ وَلَا تَخْبِزَنَّ عَجِينَكُمْ حَتَّى آجِيءَ » . فَجِئْتُ ، وَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْدُمُ النَّاسَ ، حَتَّى جِئْتُ امْرَأَتِي فَقَالَتْ : بِكَ وَبِكَ ، فقلتُ : قَدْ فَعَلْتُ الَّذِي قُلْتِ . فَأَخْرَجَتْ عَجِينًا فَبَسَقَ فِيهِ

وفي رواية: فما زال يدخلُ عشرةً ويخرجُ عشرةً ، حتى لم يبقَ منهم أحدٌ إلا دخلَ ، فأكلَ حتى شَبِعَ ، ثم هَيَّأَهَا فَإِذَا هِيَ مِثْلُهَا حِينَ أَكَلُوا مِنْهَا . وفي رواية: فَأَكَلُوا عَشْرَةَ عَشْرَةَ ، حتى فَعَلَ ذَلِكَ بِنَمَانِينَ رَجُلًا ثم أَكَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد ذلك وَأَهْلُ الْبَيْتِ ، وَتَرَكُوا سُورًا . وفي رواية: ثم أَفْضَلُوا ما بَلَّغُوا جِيرَانَهُمْ .

وفي روايةٍ عن أنسٍ قال : جِئْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوماً فَوَجَدْتُهُ جَالِسًا مع أصحابِهِ ، وَقَدْ عَصَبَ بَطْنَهُ بِعِصَابَةٍ ، فَقُلْتُ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ : لِمَ عَصَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَطْنَهُ ؟ فقالوا : مِنَ الْجُوعِ . فَذَهَبْتُ إِلَى أَبِي طَلْحَةَ ، وَهُوَ زَوْجُ أُمِّ سُلَيْمِ بْنِ مِلْحَانَ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَتَاهُ ، قَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَصَبَ بَطْنَهُ بِعِصَابَةٍ ، فَسَأَلْتُ بَعْضَ أَصْحَابِهِ ، فقالوا : مِنَ الْجُوعِ . فَدَخَلَ أَبُو طَلْحَةَ عَلَى أُمِّي فَقَالَ : هَلْ مِنْ شَيْءٍ ؟ قَالَتْ : نعم عِنْدِي كِسْرٌ مِنْ خُبْزٍ وَتَمْرَاتٍ ، فَإِنْ جَاءَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَدُهُ أَشْبَعَنَاهُ ، وَإِنْ جَاءَ آخَرُ مَعَهُ قَلَّ عَنْهُمْ ، وَذَكَرْتَمَامَ الْحَدِيثِ .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

عن ابن مسعود في قوله : فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة قال : ليس إضاعتها تركها قد يضيع الإنسان الشيء ولا يتركه ، ولكن إضاعتها إذا لم يصلها لوقتها . عن كعب قال : والله إنني لأجد صفة المنافقين في التوراة : شرايين للقهوات : تباعين للشهوات لعابين للكعبات قادين عن العتمة مفرطين في الغدوات تراكين للصلوات تراكين للجمعات . ثم تلا هذه الآية : فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات . (تفسير الدر المنثور 10 / 98)

عن القاسم بن مخيمرة في قوله : فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة . قال : إنما أضاعوا المواقيت ، ولو كان تركا كان كفرا . قال : قال مسروق : لا يحافظ أحد على الصلوات الخمس فيكتب من الغافلين وفي إفراطهن الهلكة وإفراطهن : إضاعتهم عن وقتهن . (الطبري 18 / 216)

عن مجاهد في قوله : فخرج على قومه في زينته قال : خرج على براذين بيض ، عليها سروج من أرجوان ، وعليها ثياب معصفرة . عن زيد بن أسلم في قوله : فخرج على قومه في زينته قال : خرج في سبعين ألفا عليهم المعصفرات ، وكان ذلك أول يوم في الأرض رأيت المعصفرات فيها . عن قتادة في قوله : قال الذين يريدون الحياة الدنيا قال : أناس من أهل التوحيد قالوا : يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون وفي قوله : ولا يلقاها إلا الصابرون يقول : لا يلقى ثواب الله والصواب من القول . عن السدي في قوله : إنه لذو حظ عظيم قال : ذو جد . (تفسير الدر المنثور 11 / 514)

قوله تعالى : وقال الذين أوتوا العلم ويلكم وهم أحبار بني إسرائيل قالوا للذين تمنوا مكانه ويلكم ثواب الله خير يعني الجنة . لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون أي لا يؤتى الأعمال الصالحة أولا يؤتى الجنة في الآخرة إلا الصابرون على طاعة الله وجاز ضميرها لأنها المعنية بقوله : ثواب الله . (تفسير القرطبي 13 / 291)

عن قتادة قوله : من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشأ لمن نريد . يقول : من كانت الدنيا همه وسدمه وطلبته ونيته عجل الله له فيها ما يشاء ثم اضطره إلى جهنم قال : ثم جعلنا له جهنم يصلها مدموما مدحورا . مدموما في نعمة الله مدحورا في نقمة الله . (تفسير الطبري 17 / 409)

الأثار الواردة في عنوان الباب :

قال لقمان لابنه : يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وقعدت الأعضاء عن العبادة . (أحياء علوم الدين 3 / 90)

قال عمر بن الخطاب : إياكم والبطنة فإنها ثقل في الحياة وتتن في الممات . (الجوع رقم 81) عن إبراهيم بن أدهم : أن عمر بن الخطاب قال : لأم بالرجل : أن يرفع يده من الطعام قبل أصحابه . (حلية الأولياء 7 / 391)

قال علي بن أبي طالب لعمر رضي الله عنهما : إن أردت اللحوق بصاحبك فأقصر الأمل وكل دون الشبع وأرقع القميص وأنكس الإزار وأخصف النعل تلحق بهما . (الجوع لابن أبي الدنيا رقم 24) عن ابن عمر وكان يحضر طعام عمر قال : كانت له كل يوم إحدى عشرة لقمة إلى مثلها من الغد . (الجوع لابن أبي الدنيا رقم 31)

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : ما شبعت بعد النبي صلى الله عليه وسلم من طعام ، إلا وشئت أن أبكي لبكيت : ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم حتى قبض . (حلية الأولياء 2 / 46) قالت عائشة رضي الله عنها : إن أول بلاء حدث في هذه الأمة بعد قضاء نبيها صلى الله عليه وسلم : الشبع فإن القوم لما شبعت بطونهم سمنت أبدانهم ، فتصعبت قلوبهم وجمحت شهواتهم . (الجوع لابن أبي الدنيا رقم 22)

عن أبي هريرة قال : كنت في الصفة ، فبعث إلينا النبي صلى الله عليه وسلم عجوة ، فكنا نقرن الثنتين من الجوع ؛ ويقول لأصحابه : إني قد قرنت فاقرونا . (حلية الأولياء 1 / 339 - 340) قال عطية بن عامر : رأيت سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه : أكره على طعام يأكله فقال :

حسبي ، حسبي ؛ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن أكثر الناس شبعوا في الدنيا ، أطولهم جوعا في الآخرة يا سلمان إنما الدنيا سجن المؤمن ، وجنة الكافر. (الحلية 1 / 198 - 199)

وعن أبي سعد قال : كان سالم بن عبد الله بن عمر غليظا ، كأنه حمال ، وقيل : كان على سمت أبيه في عدم الرفاهية ؛ لأن ابن عمر كان يلبس ثيابا غليظة حتى إنه جاءه رجل بثياب من خرسان فأعطاه إياه فنظر إليها ، وقال : أحريه هو ؟ قال لا من القطن ، فنظر إليه وقال : لا حاجة لي فيه . (سير أعلام النبلاء 4 / 466)

عن أبي جعفر قال : إذا امتلأ البطن طغى الجسد . (الجوع لابن أبي الدنيا رقم 23)

عن عبد الواحد بن زياد قال : سمعت مالك بن دينار يقول لحوشب : لا تبينتين وأنت شبعان ، ودع الطعام وأنت تشتميه ؛ فقال حوشب : هذا وصف أطباء أهل الدنيا - قال : ومحمد بن واسع يستمع كلامهما فقال محمد : نعم ووصف أطباء طريق الآخرة فقال مالك : يخ بخ للدين والدنيا . (حلية الأولياء 2 / 351)

عن عبد الواحد بن زيد قال : من قوي على بطنه : قوي على دينه ، ومن قوي على بطنه : قوي على الأخلاق الصالحة ؛ ومن لم يعرف مضرته في دينه من قبل بطنه : فذاك رجل في العابدين أعى . (حلية الأولياء 2 / 157)

قال أبو سليمان الداراني : أصل كل خير الخوف من الدنيا مفتاح الدنيا الشيع ومفتاح الآخرة الجوع . (سير أعلام النبلاء 10 / 184)

قال أبي سليمان الداراني : لولم يكن في ترك الأكل شيء ، إلا علة دخول الخلاء . (الحلية 9 / 274)

وعنه قال : لأن أترك لقمة واحدة من عشائي أحب إلي من أن أحلها وأقوم من أول الليل إلى آخره . (حلية الأولياء 9 / 274)

قال أبي سليمان : إذا جاع القلب وعطش ، صفا ورق ، وإذا شبع وروي ، عمي وبار . (حلية الأولياء 9 / 266)

وقال الحسن البصري : كانت بلية أبيكم آدم وهي بليتكم إلى يوم القيامة . (جامع العلوم والحكم 2 / 471)

قال الحسن : من أراد أن يغزردمعه ويرق قلبه فليأكل وليشرب في نصف بطنه . (الحلية 8 / 318)

قال الحسن بن أبي الحسن : قيل ليوسف عليه السلام تجوع وخزائن الدنيا بيدك ! قال : أخاف أن أشبع فانس الجيعاء . (حلية الأولياء / 6 / 271)

وعن إبراهيم بن أدهم قال : أخاف ألا أوجر في تركي أطايب الطعام ؛ لأنني لا أشتهيه ، وكان إذا جلس على طعام طيب قدم إلى أصحابه وقنع بالخبز والزيتون . يعني : يقدم الطعام لأصحابه وهو يأكل الخبز والزيتون . (سير أعلام النبلاء / 7 / 391)

وقال إبراهيم بن أدهم : من ضبط بطنه ضبط دينه ومن ملك جوعه ملك الأخلاق الصالحة ، وأن معصية الله بعيدة من الجائع ، قريبة من الشبعان ، والشبع يميت القلب ، ومنه يكون الفرح والمرح والضحك . (جامع العلوم والحكم / 2 / 473)

يقول الربيع تلميذ الشافعي : سمعت الشافعي يقول : ما شبعت منذ ست عشرة سنة إلا مرة فأدخلت يدي فتقيأتها ، وزاد أيضا في رواية يقول : لأن الشبع يثقل البدن ويقسي القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف العبادة . (تاريخ دمشق / 51 / 394)

وجاء عن الإمام أحمد : أنه صلى حينما ذهب إلى اليمن بالإمام عبد الرزاق الصنعاني صاحب المصنف فسها الإمام أحمد ، فسأل عنه عبد الرزاق فأخبر أنه لم يأكل منذ ثلاثة أيام شيئا . (سير أعلام النبلاء / 11 / 193)

وذكر المروزي عن أحمد أنه بقي بسامراء ثمانية أيام لم يشرب إلا أقل من ربع سويق . (سير أعلام النبلاء / 11 / 301)

ويقول أحمد بن حنبل لابنه صالح : كانت والدتك في الظلام تغزل غزلا دقيقا فتبيع الأستار بدرهمين أقل أو أكثر فكان ذلك قوتنا ، وكنا إذا اشترينا الشيء نستره عنه كي لا يراه فيوبخنا ، وكان ربما خبز له فيجعل في فخاره عدسا وشحما وتمرات شهريز فيجيء الصبيان فيصوت ببعضهم يقول : تعالوا كلوا فيدفعه إليهم فيضحكون ولا يأكلون ، ما يعجبهم هذا الطعام ، وكان يأتدم بالخل كثيرا . (الجرح والتعديل لابن أبي حاتم / 1 / 304)

قال صالح بن أحمد بن حنبل : ربما رأيت أبي يأخذ الكسر - يعني من الخبز - ينفض الغبار عنها ويصيرها في قصعة ويصب عليها ماء ثم يأكلها بالملح وما رأيتها اشترى رمانا ولا سفرجلا ولا شيئا من الفاكهة إلا أن تكون بطيخة - فيأكلها بخبز - وعنبا وتمرا . (الجرح والتعديل لابن أبي حاتم / 1 / 304)

عن كعب الأحبار قال : إني لأجد نعت قوم : يكونون في هذه الأمة بمنزلة الرهبانية ، قلوبهم على نور ،

تنطق ألسنتهم بنور الحكمة ، تعجب الملائكة من اجتهادهم واتصالهم بمحبة الله ؛ قيل : يا أبا إسحاق ، من هم ؟ قال : قوم جوعوا أنفسهم لله ، وظمؤها ، ينادى يوم القيامة : ألا ليقم أهل الجوع والظماً ، فيلتقظون من بين الصفوف ، فيؤتى بهم إلى مائدة منصوبة ، لم تر العيون ، ولم تسمع الأذان بمثلها ؛ فيجلسون عليها ، والناس في الحساب . (حلية الأولياء 5 / 381 - 382)

عن حرملة بن يحيى قال : أخذ سفيان بن عيينة بيدي ، فأقامني في ناحية ، وأخرج من كمة رغيف شعير ؛ وقال لي : دع يا حرملة ما يقول الناس ، هذا طعامي منذ ستين سنة . (الحلية 7 / 272)

قال شهر بن حوشب : كان يقال : إذا جمع الطعام أربعاً كمل كل شيء من شأنه ؛ إذا كان أصله حالاً ، وذكر اسم الله عليه ، وكثرت عليه الأيدي ، وحمد الله حين يفرغ منه ؛ فقد كمل كل شيء من شأنه . (حلية الأولياء 6 / 61)

يقول الأعمش : كنت إذا رأيت مجاهداً يعني : مجاهد بن جبر أمام التابعين ، يقول : إذا رأيتك ازدريته متبذلاً كأنه خربندج ضل حماره وهو مغتم يقول : كأنه إنسان صاحب حمار وضل حماره فاغتم لذلك ، وهو إمام عالم . (سير أعلام النبلاء 4 / 452)

قال مكحول : أفضل العبادة بعد الفرائض : الجوع والظماً ؛ قال بكر : وكان يقال : الجائع الظمان أفهم للموعظة ، وقلبه إلى الرقة أسرع ؛ وكان يقال : كثرة الطعام ، تدفع كثيراً من الخير . (حلية الأولياء 5 / 181)

عن رباح القيسي : لا أجعل لبطني على عقلي سبيلاً أيام الدنيا فكان لا يشبع إنما كان يأكل بلغة بقدر ما يمسك الرمق . (حلية الأولياء 6 / 194)

قال أبو عبد الله الواهي : ما أخلص عبد قط ، إلا أحب أن يكون في جب لا يعرف ، ومن أدخل فضولاً من الطعام ، أخرج فضولاً من الكلام . (حلية الأولياء 10 / 18)

قال بشر بن الحارث : الجوع يصفى الفؤاد ويميت الهوى ويورث العلم الدقيق . (السير 10 / 471)

قال عمرو بن الأسود : لا ألبس مشهوراً أبداً ولا أملاً جوفياً من طعام بالنهار أبداً حتى ألقاه . (حلية الأولياء 5 / 156)

الإمام البخاري ذكر بعض أصحابه أنهم كانوا معه بالبصرة يكتب : ففقدناه أياماً ثم وجدناه في بيت وهو عريان وقد نفذ ما عنده فجمعنا له الدراهم وكسوناه . (سير أعلام النبلاء 70 / 14)

قال يزيد الرقاشي : إن المتجوعين لله تعالى في الرعيّل الأول يوم القيامة . (حلية الأولياء 3 / 51)

وقال محمد بن واسع : من قل طعمه فهم و أفهم ، وصفا ورق . (حلية الأولياء 2 / 351)

قال وهيب بن الورد : ليس من بني آدم أحد أحب إلى شيطانه : من النؤوم الأكل . (الحلية 4 / 58)

قال فرقد السبخي : ويل لذي البطن من بطنه : إن أضاعه ضعف وأن أشبعه ثقل .
(حلية الأولياء 3 / 45)

قال أبي الزاهرية : ما من أحد يأكل طعاما لا يحمد الله تعالى عليه إلا كأنما سرقه . (الحلية 6 / 100)

قال سفيان الثوري : إذا أردت أن يصح جسمك ويقل نومك فأقلل من الأكل .
(جامع العلوم والحكم 2 / 472)

قال أبي حمزة السكري : ما شبعت منذ ثلاثين سنة إلا أن يكون لضييف . (السير 7 / 387)

قَالَ مُحَمَّدُ الْوَرَّاقُ : (الْعَقْدُ الْفَرِيدُ لِابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ 3 / 158)

عَنِ النَّفْسِ يُغْنِمَا إِذَا كُنْتَ قَانِعًا *** وَلَيْسَ بِمُغْنِيكَ الْكَثِيرُ مَعَ الْجِرْصِ

وَأَنَّ اعْتِقَادَ الْهَمِّ لِلْخَيْرِ جَامِعٌ *** وَقَلَّةُ هَمِّ الْمَرْءِ يَدْعُو إِلَى التَّقْصِ

آثَارُ الْعَمَلِيَّةِ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

قال ابن سيرين رحمه الله : إن رجلا قال لابن عمر : أعمل لك جوارش ؟ قال وما هو ؟ قال : شيء إذا كظك الطعام فأصبت منه سهل ، يعني : كما نقول نحن اليوم : مهضم ، فقال ابن عمر رضي الله عنهما : ما شبعت منذ أربعة أشهر ، وما ذلك إلا أكون له واجدا ، يقول : ليس لأنني لا أجد ما أكل ، ولكنني عهدت قوما يشبعون مرة ويجوعون مرة . (سير أعلام النبلاء 4 / 313)

قال ابن رجب : قال القاضي أبو بكر الأنصاري البزاز : كنت مجاورا مكة حرسها الله فأصابني يوم من الأيام جوع شديد ولم أجد شيء ادفع به عني ذلك الجوع وخرجت أبحث عن طعام فلم أجد ، فوجدت كيسا من حرير مشدودا برباط من حرير ، قال : فأخذته وجئت به إلى بيتي وحللتها فوجت فيه عقدا من لؤلؤ لم أر مثله قط ، قال : فربطته وأعدته كما كان ثم خرجت أبحث عن طعام فإذا بشيخ ينادي ويقول : ومن وجد كيسا صفته كذا وكذا وله (500) دينار من الذهب ، فقلت في نفسي : أني محتاج وجائع فأخذ هذه الدنانير لانتفع بها وارد له كيسه ، فقلت : له تعالى إلى ، قال : فأخذته إلى بيتي وسألته عن علامة الكيس وعلامة اللؤلؤ وعدد اللؤلؤ المشدود به ، فإذا هو كما كان ، قال : فأخرجته ودفعته إليه ، فسلم إلي (500) دينار الجائزة ، التي ذكرها فقلت له : يجب علي

أن أعيده إليك ولا أخذ له جزء ، فقال لا بد أن تأخذ وألح علي كثيرا وأنا أحوج ما أكون ، قال : فقلت : والذي لا إله إلا هو ما أخذ عليه جزء من أحد سوى الله ، فلم أقبل الدنانير ، فتركتي ومضى ورجع الشيخ بعد موسم الحج إلى بلده . وأما ما كان مني (الكلام للإمام البزاز) فإنني خرجت من مكة وركبت البحر وسط أمواجه المتلاطمة وأهواله ، وتكسر المركب وغرق الناس وهلكت الأموال ، قال : وسلمني الله ، إذ بقيت على قطعة من المركب تذهب بي يمنا ويسرة ولا أدري إلى أين تذهب بي ، وبقيت مدة في البحر يتقاذفني الأمواج من مكان إلى مكان حتى قذفني إلى جزيرة فيها أميون لا يقرؤون ولا يكتبون قال : فجلس في مسجدهم وقمت أقرأ ، قال : فما أن رأيت أهل المسجد حتى اجتمعوا علي فلم يبق في الجزيرة أحدا إلا قال علمني القرآن قال : فعلمتهم القرآن وحصل إلى خير كثير من جراء ذلك ، قال : ثم رأيت في المسجد مصحفا ممزقا فأخذته وأوراقه لأقرأ بها : فقالوا : أتحسن الكتابة ، فقلت نعم ، قالوا : علمنا الخط ، فقلت : لا بأس ، فجاؤوا بصبيانهم وشبابهم فكنت أعلمهم ، وحصل لي خير كثير وورغبوا فيه فقالوا له بعد ذلك وهم يريدون أن يبقى معهم ، عندنا جارية يتيمة ومعا شيء من الدنيا ونريد أن نزوجها لك وتبقى معنا في هذه الجزيرة ، قال : فتمنعت ، فألحوا علي والزموني فلم أجد أمامي إلا إلحاحهم وإصرارهم ، فأجبت طلبهم . فجهزوها لي وزفها محارمها ، وجلست معهم وإذا بي أنظر إليها وإذا العقد الذي رأيته بمكة بعينه ، معلقة بعنقها ، دهشت وما كان لي بشغل إلا النظر إلى العقد فقال محارمها : يا شيخ كسرت قلب اليتيمة لم تنظر إليها وإنما تنظر إلى العقد ، قلت : إن في هذا العقد قصة ، قالوا ما هي قصته ، فقصصتها عليهم ، فصاحوا وضجوا بالتلهيل والتكبير وصرخوا بالتسبيح حتى بلغ صوتهم أنحاء الجزيرة ، فقلت سبحان الله ما بكم ، قالوا إن هذا الشيخ الذي رأيته وأخذ العقد في مكة هو أبو هذه الصبية ، وكان يقول عند عودته من الحج ويردد دائما : والله ما رأيت على وجه الأرض مسلما كهذا الذي رد على العقد بمكة ، اللهم اجمع بيني وبينه حتى أزوجه ابنتي ، وتوفي ذلك الرجل وحقق الله دعوته يقول : فبقيت معها مدة من الزمن فكان خير امرأة ورزقت منها بولدين ثم توفيت فعلمها رحمه الله فورثت العقد المعهود أنا وولداي قال : ثم توفي الولدان واحدا واحدا قال : فورثت العقد منهم قال : فبعته مئة ألف دينار ويحدث بعد مدة ويقول هذا من بقايا ثمن العقد . (ذيل طبقات الحنابلة)

57- باب القناعة والعفاف والاقتصاد في المعيشة والإنفاق ودم السؤال من غير ضرورة

قَالَ اللهُ تَعَالَى : وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا [هود : 6] ، وقال تَعَالَى : لِلْمُقْرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَقُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا [البقرة : 273] ، وقال تَعَالَى : وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا

وَلَمْ يَفْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا [الفرقان : 67] ، وقال تعالى : وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ [الذاريات : 56-57] .

وأما الأحاديث فتقدم معظمها في البابين السابقين. ومما لم يتقدم :

522- عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « لَيْسَ الْغِنَى عَنِ كَثْرَةِ الْعَرَضِ ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ » متفقٌ عليه . « الْعَرَضُ » بفتح العين والراء : هُوَ الْمَالُ .

523- وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « قَدْ أفلَحَ مَنْ أَسْلَمَ ، وَرُزِقَ كَفَافًا ، وَقَنَعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ » رواه مسلم .

524- وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال : سألتُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَانِي ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي ، ثُمَّ قَالَ : « يَا حَكِيمُ ، إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرٌ خُلُوٌّ ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى » قال حَكِيمٌ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَرْزَأُ أَحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّى أَفَارِقَ الدُّنْيَا ، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه يَدْعُو حَكِيمًا لِيُعْطِيَهُ الْعَطَاءَ ، فَيَأْتِي أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئًا . ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ رضي الله عنه دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ ، فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهُ . فقال : يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ، أَشْهَدُكُمْ عَلَى حَكِيمٍ أَنِّي أَعْرَضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ الَّذِي قَسَمَهُ اللهُ لَهُ فِي هَذَا الْيَوْمِ ، فَيَأْتِي أَنْ يَأْخُذَهُ . فَلَمْ يَرْزَأُ حَكِيمٌ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى تُوْفِيَ . متفقٌ عليه . « يَرْزَأُ » براءٍ ثم زاي ثم همزة ، أي لم يأخذ من أحدٍ شَيْئًا ، وَأَصْلُ الرُّزْءِ : النُّقْصَانُ ، أَي لَمْ يَنْقُصْ أَحَدًا شَيْئًا بِالْأَخْذِ مِنْهُ . و « إِشْرَافُ النَّفْسِ » : تَطَلُّعُهَا وَطَمَعُهَا بِالسَّيِّئِ . و « سَخَاوَةُ النَّفْسِ » : هِيَ عَدَمُ الْإِشْرَافِ إِلَى السَّيِّئِ ، وَالطَّمَعُ فِيهِ ، وَالْمُبَالَغَةُ بِهِ وَالشَّرُّ .

525- وعن أبي بُرْدَةَ عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةٍ ، وَنَحْنُ سِتَّةُ نَفَرٍ بَيْنَنَا بَعِيرٌ نَعْتَقِيهِ ، فَتَقَبَّطُ أَقْدَامُنَا ، وَتَقَبَّطُ قَدَمِي ، وَسَقَطَتْ أَظْفَارِي ، فَكُنَّا نُلْفُ عَلَى أَرْجُلِنَا الْخِرْقَ ، فَسُمِّيتْ غَزْوَةُ ذَاتِ الرِّقَاعِ لِمَا كُنَّا نَعْصِبُ عَلَى أَرْجُلِنَا الْخِرْقَ ، قَالَ أَبُو بُرْدَةَ : فَحَدَّثْتُ أَبُو مُوسَى بِهَذَا الْحَدِيثِ ، ثُمَّ كَرِهَ ذَلِكَ ، وَقَالَ : مَا كُنْتُ أَصْنَعُ بِأَنْ أَدْكُرُهُ ، قَالَ : كَأَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَكُونَ شَيْئًا مِنْ عَمَلِهِ أَفْشَاهُ . متفقٌ عليه .

526- وعن عمرو بن تَغْلِبٍ بفتح التاءِ المثناةِ فوقِ وإسكانِ الغينِ المعجمةِ وكسرِ اللامِ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُتِيَ بِمَالٍ أَوْ سِيٍّ فَقَسَمَهُ ، فَأَعْطَى رِجَالًا ، وَتَرَكَ رِجَالًا ، فَبَلَغَهُ أَنَّ الَّذِينَ تَرَكَ عَتَبُوا ، فَحَمِدَ اللهُ ، ثُمَّ أَتَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : « أَمَا بَعْدُ ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْطِي الرَّجُلَ وَأَدْعُ

الرَّجُلِ ، وَالَّذِي أَدْعَى أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِيَ ، وَلِكَيْتِي إِنَّمَا أُعْطِيَ أَقْوَامًا لِمَا أَرَى فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْجَزَعِ وَالهِلَعِ ، وَأَكُلُ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْغَنِيِّ وَالْخَيْرِ ، مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ « قَالَ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ : فَوَاللَّهِ مَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِكَلِمَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُمْرَ النَّعَمِ . رواه البخاري . »
الهِلَعُ « : هُوَ أَشَدُّ الْجَزَعِ ، وَقِيلَ : الضَّجْرُ .

527- وعن حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غَنِيٍّ ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرْ يُعْفُ اللَّهُ ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ « متفقٌ عليه . وهذا لفظ البخاري ، ولفظ مسلم أحصر .

528- وعن سَفِيَانَ صَخْرِيِّ بْنِ حَرْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا تُلْجِفُوا فِي الْمَسْأَلَةِ ، فَوَاللَّهِ لَا يَسْأَلُنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا ، فَتُخْرِجُ لَهُ مَسْأَلَتَهُ مِنِّي شَيْئًا وَأَنَا لَهُ كَارِهِ ، فَيُبَارِكُ لَهُ فِيهَا أُعْطِيَتْهُ « رواه مسلم .

529 وعن أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَوْفِ بْنِ مَالِكِ الْأَشْجَعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِسْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةً أَوْ سَبْعَةً ، فَقَالَ : أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكُنَّا حَدِيثِي عَهْدٍ بِبَيْعَةٍ ، فَقُلْنَا : قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ثُمَّ قَالَ : « أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ ؟ « فَبَسَطْنَا أَيْدِينَا وَقَلْنَا قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَعَلَّامَ تَبَايَعُكَ ؟ قَالَ : « عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَالصَّلَاةَ الْخَمْسَ وَتَطِيعُوا « وَأَسْرَ كَلِمَةَ خَفِيَّةً : « وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا « فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أَوْلِيكَ النَّفْرِ يَسْقُطُ سَوْطَ أَحَدِهِمْ فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ رواه مسلم .

530- وعن ابْنِ عَمْرِو بْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةٌ لَحْمٍ « متفقٌ عليه .

« الْمُرْزَعَةُ « بضم الميم وإسكان الزاي وبالعين المهملة : القِطْعَةُ .

531- وعنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَهُوَ عَلَى الْمَنْبَرِ ، وَذَكَرَ الصَّدَقَةَ وَالنَّعْفُفَ عَنِ الْمَسْأَلَةِ : « الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى « وَالْيَدُ الْعُلْيَا هِيَ الْمُتَّفِقَةُ ، وَالسُّفْلَى هِيَ السَّائِلَةُ . متفقٌ عليه .

532- وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ سَأَلَ النَّاسَ تَكَثُّرًا فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا ، فَلَيْسَتْ قَلِّ أَوْلَيْسَتْ كَثُرَ « رواه مسلم .

533- وعن سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ

المسألة كدُّ يكدُّ بها الرجلُ وجهه إلا أن يسأل الرجلُ سلطاناً أو في أمر لا بد منه « رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح « الكدُّ » : الخدش ونحوه .

534- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ ، وَمَنْ أَنْزَلَهَا بِاللَّهِ ، فَيُوشِكُ اللَّهُ لَهُ بِرِزْقٍ عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ » رواه أبو داود ، والترمذي وقال : حديث حسن . « يُوشِكُ » بكسر الشين : أي يُسرِعُ .

535- وَعَنْ ثُوبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ تَكْفَلَ لِي أَنْ لَا يُسْأَلَ النَّاسَ شَيْئاً ، وَاتَّكْفَلَ لَهُ بِالْجَنَّةِ ؟ » فَقُلْتُ : أَنَا ، فَكَانَ لَا يُسْأَلُ أَحَدًا شَيْئاً ، رواه أبو داود بإسنادٍ صحيح .

536- وعن أبي بشرٍ قبيصة بن المخارق رضي الله عنه قال : تحملت حمالةً فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله فيها ، فقال : « أَقِمِ حَتَّى تَأْتِينَا الصَّدَقَةُ فَنَأْمُرَكَ بِهَا » ثُمَّ قَالَ : « يَا قَبِيصَةُ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَجِلُّ إِلَّا لِأَحَدٍ ثَلَاثَةٍ : رَجُلٌ تَحْمَلُ حِمَالَةً ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصَيِّبَهَا ، ثُمَّ يُمَسِّكُ . وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَا حَتَّ مَالُهُ ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصَيِّبَ قِيَاماً مِنْ عَيْشِي أَوْ قَالَ : سِدَاداً مِنْ عَيْشِي ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ ، حَتَّى يَقُولَ ثَلَاثَةً مِنْ ذَوِي الْحِجَى مِنْ قَوْمِهِ : لَقَدْ أَصَابَتْ فُلَاناً فَاقَةٌ ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصَيِّبَ قِيَاماً مِنْ عَيْشِي ، أَوْ قَالَ : سِدَاداً مِنْ عَيْشِي . فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةُ سُحْتٌ ، يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتاً » رواه مسلم .

« الحمالة » بفتح الحاء : أن يقع قتالٌ ونحوه بين فريقين ، فيصلح إنسانٌ بينهم على مالٍ يتحمله ويلتزمه على نفسه . و « الجائحة » : الأفة تُصيب مال الإنسان . و « القوام » بكسر القاف وفتحها : هو ما يقوم به أمر الإنسان من مالٍ ونحوه و « السداد » بكسر السين : ما يسدُّ حاجة المعوز ويكفيه ، و « الفاقة » : الفقرُ . و « الحجى » : العقلُ .

537- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَيْسَ الْمُسْكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ تَرْدُهُ اللَّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ ، وَالثَّمْرَةُ وَالثَّمَرَتَانِ ، وَلَكِنَّ الْمُسْكِينُ الَّذِي لَا يَجِدُ غِيَّ يُغْنِيهِ ، وَلَا يُفْطِنُ لَهُ ، فَيُتَصَدَّقَ عَلَيْهِ ، وَلَا يَقُومُ فَيَسْأَلَ النَّاسَ » متفقٌ عليه .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية :

عن ابن عباس قوله : وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها . قال : كل دابة . (الطبري 15 / 241)

عن ابن عباس في قوله : للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله قال : هم أصحاب الصفة . عن مجاهد في قوله : للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله قال : هم مهاجرو قريش بالمدينة مع النبي صلى الله عليه وسلم أمروا بالصدقة عليهم . عن السدي : للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله قال : حصرهم المشركون في المدينة : لا يستطيعون ضرباً في الأرض يعني : التجارة يحسبهم الجاهل بأمرهم . عن مجاهد : تعرفهم بسيماهم قال : التخشع . عن الربيع : تعرفهم بسيماهم يقول : تعرف في وجوههم الجهد من الحاجة عن ابن زيد في قوله : إلحافاً قال : هو الذي يلح في المسألة . (تفسير الدر المنثور 3 / 334 - 339)

عن ابن عباس في قوله : والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا قال : هم المؤمنون ، لا يسرفون فينفقوا في معصية الله ، ولا يقترون فيمنعوا حقوق الله . عن الأعمش في قوله : وكان بين ذلك قواماً قال : عدلاً . (تفسير الدر المنثور 11 / 210 - 211)

عن ابن عباس في قوله : وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون قال : ليقرؤا بالعبودية طوعاً أو كرها عن أبي الجوزاء في الآية قال : أنا أرزقهم وأنا أطعمهم ما خلقتهم إلا ليعبدون . (تفسير الدر المنثور 13 / 689)

وقال علي بن أبي طالب : إلا ليعبدون " أي إلا لأمرهم أن يعبدوني وأدعوهم إلى عبادتي يؤيده قوله عز وجل : وما أمروا إلا ليعبدوا إليها واحداً . (التوبة 31) . وقال مجاهد : إلا ليعرفوني . وهذا أحسن لأنه لو لم يخلقهم لم يعرف وجوده وتوحيده ، دليله : قوله تعالى : ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله . (الزخرف 87) . (تفسير البغوي 7 / 381)

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قال علي بن أبي طالب : الرزق رزقان فرزق تطلبه ورزق يطلبك فإن لم تأته أذاك . (العقد الفريد 3 / 169)

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : القناعة مال لا نفاذ له . (العقد الفريد 3 / 169)

وقال سعد بن أبي وقاص لابنه : يا بني : إذا طلبت الغنى فاطلبه بالقناعة ، فإنها مال لا ينفد وإياك والطمع فإنه فقر حاضر ؛ وعليك باليأس ، فإنك لم تيأس من شيء قط إلا أغناك الله عنه . (تاريخ دمشق 20 / 363)

قال عمر بن عبد العزيز : الفقه الأكبر القناعة ، وكف اللسان . (آداب المجالسة وحمد اللسان 87)

وقال أبو حاتم : من أكثر مواهب الله لعباده وأعظمها خطرا القناعة ، وليس شيء أروح للبدن من الرضا بالقضاء ، والثقة بالقسم ، ولو لم يكن في القناعة خصلة تحمد إلا الراحة ، وعدم الدخول في مواضع السوء لطلب الفضل ، لكان الواجب على العاقل ألا يفارق القناعة على حالة من الأحوال . (روضة العقلاء 149)

وقال أيضا : القناعة تكون بالقلب فمن غني قلبه غنيت يداه ، ومن افتقر قلبه لم ينفعه غناه ، ومن قنع لم يتسخط وعاش آمنا مطمئنا ، ومن لم يقنع لم يكن له في الفوائد نهاية لرغبته ، والجد والحرمان كأنهما يصطرعان بين العباد . (روضة العقلاء 149)

قال أكتثم بن صيفي لابنه : يا بني من لم ييأس على ما فاته ودع بدنه ومن قنع بما هو فيه قرت عينه . (روضة العقلاء 149)

وقال الراغب الأصفهاني : الفقر أربعة : فقر الحسنات في الآخرة ، وفقر القناعة في الدنيا وفقر المقتني ، وفقرها جميعا ، والغني بحسبه ، فمن حصل له في الدنيا فقد القناعة والمقتني فهو الفقير المطلق على سبيل الذم ، ولا يقال له غني بوجه . (تفسير الراغب 1 / 564)

قال أبو سليمان الداراني : إن قوما طلبوا الغنى فحسبوا أنه فيجمع المال إلا وإنما الغني في القناعة وطلبوا الراحة في الكثرة وإنما الراحة في القلة ، وطلبوا الكرامة من الخلق ألا وهي في التقوى وطلبوا النعمة في اللباس الرقيق واللين وفي طعام طيب والنعمة في الإسلام الستروالعافية . (الزهد الكبير للبيهقي 80)

قال أبو محمد الأنصاري ، قال : قرأت على حجر ببيت المقدس : رأس الغنى القنوع ورأس الفقر الخضوع . وقال أيضا : قرأت على حجر بدمشق : كلم من شئت فأنت نظيره واستغن عن شئت فأنت أميره واخضع لمن شئت فأنت أسيره قال : وقرأت على حجر عند جب كل من أحوجك الدهر إليه فتعرضت له هنت عليه . (المنتخب من الزهد والرقائق للخطيب رقم 14)

وقال بكر بن عبد الله المزني : يكفيك من الدنيا ما قنعت به ولو كف تمر ، وشربة ماء وظل خباء ، وكلما انفتح عليك من الدنيا شيء ازدادت نفسك به تعباً . (القناعة والتعفف لابن أبي الدنيا 62)

وعن الحسن قال : لا تزال كريما على الناس أو : لا يزال الناس يكرمونك ما لم تعاط ما في أيديهم ، فإذا فعلت ذلك استخفوا بك ، وكرهوا حديثك وأبغضوك . (صفه الصفوة 2 / 431)

قال أبو محرز الطفاوي : شكوت إلى جارية لنا ضيق المكسب علي وأنا شاب ، فقالت لي : يا بني استعن بعز القناعة عن ذل المطالب ، فكثيرا والله ما رأيت القليل عاد سليما . قال أبو محرز : ما زلت بعد أعرف بركة كلامها في قنوعي . (صفة الصفوة 2 / 258)

قال أبو الحسن البوشنجي وسئل عن القناعة ؟ فقال : المعرفة بالقسمة . (الزهد الكبير للبيهقي 84)
قال أبي سليمان : سمعت أختي تقول : الفقراء كلهم أموات إلا من أحياه الله تعالى بعز القناعة والرضا بفقره . (صفة الصفوة 2 / 431)

وقال طاوس لعطاء : إياك أن تطلب حوائجك إلى من أغلق بابه دونك ويجعل دونها حجابا وعليك بمن بابه مفتوح إلى يوم القيامة أمرك أن تسأله ووعدهك أن يجيبك . (جامع العلوم والحكم 481)
وكان محمد بن واسع يبيل الخبز اليابس بالماء ويأكل ويقول : من قنع بهذا لم يحتج إلى أحد . (أحياء علوم الدين 3 / 239)

قال وهب بن منبه لرجل يأتي الملوك : ويحك ، تأتي من يغلق عنك بابه وتدع من يفتح لك بابه . (جامع العلوم والحكم 481)

قال مالك بن دينار : أزهدهم الناس من لا تتجاوز رغبتة من الدنيا بلغته . (أدب الدنيا والدين 227)

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : (دِيْوَانُ الشَّافِعِيِّ 25)

صُنِ النَّفْسَ وَاحْمِلْهَا عَلَى مَا يَزِيهَا *** تَعِشْ سَائِلاً وَالْقَوْلُ فَيْكَ جَمِيلُ

وَلَا تُرَيِّنِ النَّاسَ إِلَّا تَجَمُّلاً *** نَبَا بِكَ دَهْرٌ أَوْ جَفَاكَ خَلِيلُ

وَإِنْ ضَاقَ رِزْقُ الْيَوْمِ فَاصْبِرْ إِلَى *** غَدٍ عَسَى نَكَبَاتُ الدَّهْرِ عَنكَ تَزُولُ

وَلَاخَيْرَ فِي وُدِّ امْرِئٍ مُتَلَوِّنٍ إِذَا *** الرِّيحُ مَالَتْ مَالَ حَيْثُ تَمِيلُ

وَمَا أَكْثَرَ الْإِخْوَانَ حِينَ تُعَدُّهُمْ *** وَلَكِنَّهُمْ فِي النَّائِبَاتِ قَلِيلُ

وقال ابن تيمية : (غذاء الألباب للسفاريني 2 / 538)

وجدت القناعة ثوب الغنى فصرت بأذيالها أمتسك فألبسني جاهها حلة يمر الزمان ولم تنتهك فصرت غنيا بلا درهم أمر عزيزا كأني ملك الأثار العملية في حياة السلف : وعن الحسن قال : كان عطاء سلمان خمسة آلاف ، وكان أميراً على زهاء ثلاثين ألفاً من المسلمين ، وكان يخطب في عبادة

يفترش نصفها ، ويلبس نصفها ، فإذا خرج عطاؤه تصدق به ، وأكل من سفيف يده .
(تاريخ دمشق لابن عساكر 21 / 434)

ورث داود الطائي من أبيه دارا ودنانير ، فكان كلما خرب في الداربيت انتقل إلى غيره ولم يعمره ، ولم يزل يتقوت بالدنانير حتى كفن في آخرها . (ربيع الأبرار 5 / 338)

وعن يحيى بن عروة بن أذينة قال : لما أتى أبي وجماعة من الشعراء هشام ابن عبد الملك فأنشدوه ، فلما عرف أبي قال : أأست القائل : وقد علمت وخير القول أصدقه بأن رزقي وإن لم يأت يأتيني أسعى إليه فيعيبني تطلبه ولو وقعت أأني لا يعنيني فهلا جلست في بيتك حتى يأتيك ؟ فسكت أبي ولم يجبه ، فلما خرجوا من عنده جلس أبي علي راحلته حتى أتى المدينة ، وأمر هشام بجوازهم ، فقعد أبي فسأل عنه فلما خبر بانصرافه ، قال : لا جرم ، والله ليعلمن أن ذلك سيأتيه . ثم أضعف له ما أعطى واحدا من أصحابه ، وكتب له فريضتين . (التبصرة لابن الجوزي 156)

وقال زمعة بن صالح : كتب إلى أبي حازم بعض بني أمية يعزم عليه إلا رفع إليه حوائجه ، فكتب إليه : أما بعد ، فقد جاءني كتابك تعزم علي أن أرفع إليك حوائجي ، وهيمات ، قد رفعت حوائجي إلى ربي ، ما أعطاني منها قبلت ، وما أمسك علي منها قنعت . (القناعة لابن السني 40)

وعن حفص الجعفي ، قال : ورث داود الطائي من أمه أربع مائة درهم ، فمكث يتقوت بها ثلاثين عاما ، فلما نفدت ، جعل ينقض سقوف الدويرة ، فيبيعهها . وقال عطاء بن مسلم : عاش داود عشرين سنة بثلاث مائة درهم . (سير أعلام النبلاء للذهبي 7 / 424)

ويقول هشيم بن حسان : كان قوت العلاء بن زياد رغيفا في كل يوم ، وكان للعلاء بن زياد مال ورقيق ، فأعتق بعضهم ، وباع بعضهم ، وتعبد وبالغ ، فكلم في ذلك ، قال : إنما أتذلل لله لعله يرحمني .
(حلية الأولياء 2 / 243)

وذكر إبراهيم بن السري الزجاج : أنه كان يجري على أبي جعفر في الشهر أربعة دراهم ، يتقوت بها . قال : وكان لا يسأل أحدا شيئا . (سير أعلام النبلاء 13 / 546)

58- باب جواز الأخذ من غير مسألة ولا تطلع إليه

538- عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ أَبِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْطِيَنِي الْعَطَاءَ ، فَأَقُولُ : أَعْطِهِ مَنْ هُوَ أَفْقَرُ إِلَيْهِ مِنِّي ، فَقَالَ : « خُذْهُ ، إِذَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلَا سَائِلٍ ، فَخُذْهُ فَتَمَوَّلْهُ فَإِنْ شِئْتَ كُلَّهُ ،

وَأِنْ شِئْتَ تَصَدَّقَ بِهِ ، وَمَا لَا ، فَلَا تُتَبِعْهُ نَفْسَكَ « قَالَ سَالِمٌ : فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ لَا يَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا ، وَلَا يَرُدُّ شَيْئًا أُعْطِيَهُ . مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ . « مَشْرُفٌ » بِالشَّيْنِ الْمُعْجَمَةِ : أَيُّ : مَتَطَلَّعٌ إِلَيْهِ .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

عن عمر رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيني العطاء ، فأقول : أعطه من هو أفقر إليه مني . (البخاري كتاب الزكاة رقم 1473)

عن علي بن أبي طالب : أشد الأعمال ثلاثة : إعطاء الحق من نفسك ، وذكر الله على كل حال ، ومواساة الأخ في المال . (حلية الأولياء 1 / 85)

عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه كان إذا أعطى شيئاً في سبيل الله يقول لصاحبه إذا بلغت وادي القرى فشأنك به . (المنتقى شرح الموطأ 3 / 32)

كان ابن عمر لا يسأل أحداً شيئاً ولا يرد شيئاً أعطيته . عن أبي هريرة قال : ما أحد يهدي إلى هدية إلا قبلتها ، فيما أن أسأل ، فلم أكن لأسأل . أن أبا الدرداء قال : من آتاه الله عز وجل من هذا المال شيئاً من غير مسألة ولا إشراف فليأكله وليتموله . عن حبيب بن أبي ثابت قال : رأيت هدايا المختار تأتي ابن عباس وابن عمر فيقبلانها عن إبراهيم النخعي قال : خذ من السلطان ما أعطاك . أبي ذر أنه قال للأحنف بن قيس وقد سأله الأحنف عن العطاء ؟ فقال له أبو ذر : خذه ، فإن فيه اليوم معونة ، فإذا كان ثمننا لدينك فلا تأخذه . عن عبد الله بن مسعود أن رجلاً سأله فقال : لي جار يأكل الربا ، وأنه لا يزال يدعوني . فقال له ابن مسعود : مهناه لك ، وإثمه عليك ، قال سفيان : إن عرفته بعينه فلا تأكله . قال أبو محمد : صدق سفيان الأكل غير الأخذ ، لما عرف أن عينه حرام لأنه يقدر في أخذه على أن يؤدي فيه ما افترضه الله تعالى عليه من إيصاله إلى أهله وإزالتها عن المظالم ولا يقدر على ذلك في الأكل ، ففرض عليه اجتناب أكله . عن سلمان الفارسي قال : إذا كان لك صديق عامل أو جار عامل أو ذوق رابة عامل فدعك إلى طعام فاقبله فإنه مهناه لك وإثمه عليه . عن معمر قال : كان عدي بن أرطاة هو عامل البصرة يبعث إلى الحسن كل يوم بجفان ثريد فيأكل الحسن منها ويطعم أصحابه قال : وبعث عدي إلى الحسن والشعبي وابن سيرين فقبل الحسن والشعبي ورد ابن سيرين . (المحلى بالأثار 8 / 112 - 118)

عن سعيد بن المسيب قال : لا خير فيمن لا يريد جمع المال من حله ، يكف به وجهه عن الناس ، ويصل به رحمه ، ويعطي منه حقه . (إصلاح المال لابن أبي الدنيا 35)

قال ميمون بن مهران : عاد ناس عبد الله بن عامر بن كريز ، فتوجع عبد الله وخاف ما بين يديه ،

فقال له من عنده : ما رأينا رجلاً أكثر عطاء ولا صدقة منك وابن عمر ساكت فقال عبد الله : ما تقول يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : إذا طاب الكسب زكت النفقة وسترى فترى . (إصلاح المال 17)

قال النووي في شرح مسلم : اتفق العلماء على النهي عن السؤال من غير ضرورة قال : واختلف أصحابنا في سؤال القادر على الكسب على وجهين : أحدهما التحريم لظاهر الأحاديث ، والثاني يجوز مع الكراهة ، بشروط ثلاثة : أن لا يلج ولا يذل نفسه زيادة على ذل نفس السؤال ، ولا يؤدي المسئول فإن فقد شرط من ذلك حرم . (فتح الباري 10 / 408)

59- باب البحث على الأكل من عمل يده والتعفف به من السؤال والتعرض للإعطاء

قَالَ اللهُ تَعَالَى : فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ [الجمعة : 10] .

539- وعن أبي عبد الله الزبير بن العوام رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ أَحَبُّهُ ثُمَّ يَأْتِيَ الْجَبَلَ ، فَيَأْتِي بِحُزْمَةٍ مِنْ حَطَبٍ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعُهَا ، فَيَكْفَى اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ ، أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ » رواه البخاري .

540- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا ، فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ » متفق عليه .

541- وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كَانَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدِهِ » رواه البخاري .

542- وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كَانَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ نَجْرًا » رواه مسلم

543- وعن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ » رواه البخاري .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي الْأَيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله . قال : ليس لطلب دنيا ولكن عيادة مريض وحضور جنازة وزيارة أخ في الله . عن ابن عباس في قوله : فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله قال : لم يؤمروا بشيء من طلب الدنيا ، إنما هو عيادة مريض ، وحضور جنازة ، وزيارة أخ في الله . عن

عبد الله بن بسر الحبراني قال : رأيت عبد الله بن بسر المازني صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى الجمعة خرج فدار في السوق ساعة ، ثم رجع إلى المسجد فصلى ما شاء الله أن يصلي ، فقيل له : لأي شيء تصنع هذا ؟ قال : لأنني رأيت سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم هكذا يصنع ، وتلاه هذه الآية : فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله . عن سعيد بن جبير قال : إذا انصرفت يوم الجمعة فاخرج إلى باب المسجد ، فساوم بالشيء ، وإن لم تشتريه . عن الوليد بن رباح ، أن أبا هريرة كان يصلي بالناس الجمعة ، فإذا سلم صاح : فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله فيبتدر الناس الأبواب عن الضحاك في قوله : فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض قال : هو إذن من الله ، فإذا فرغ فإن شاء خرج ، وإن شاء قعد في المسجد . (تفسير الدر المنثور 14 / 481 - 482)

قال تعالى (وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون) (الأنبياء) يقول الإمام القرطبي رحمه الله : هذه الآية أصل في اتخاذ الصنائع والأسباب وهو قول أهل العقول والألباب ، لا قول الجهلة الأغبياء القائلين بأن ذلك إنما شرع للضعفاء ، فالسبب سنة الله في خلقه ، فمن طعن في ذلك فقد طعن في الكتاب والسنة . (تفسير القرطبي 11 / 321)

أَثَارُ الْوَارِدَةِ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

عن مجاهد في قوله تعالى : (كلوا من طيبات ما رزقناكم) (البقرة 57) قال : التجارة . (الحث على التجارة والصناعة 42)

عن ابن عطاء عن أبيه قال : كان سليمان بن داود يعمل الخوص بيديه ويأكل خبز الشعير . (الحث على التجارة والصناعة 69)

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إني أنزلت نفسي من مال الله منزلة مال اليتيم ، إن استغنيت استعفت ، وإن افتقرت أكلت بالمعروف . (الطبقات الكبرى لابن سعد 7 / 624)

قال عمار بن خزيمة بن ثابت : سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبي : ما يمنعك أن تغرس أرضك ؟ فقال له أبي أنا شيخ كبير أموت غدا فقال له عمر أعزم عليك لتغرسها فلقد رأيت عمر ابن الخطاب يغرسها بيده مع أبي . (الجامع الكبير للسيوطي 2 / 337)

وقال عمر بن الخطاب : يا معشر القراء ارفعوا رؤوسكم فقد وضع الطريق ، فاستبقوا الخيرات ولا تكونوا عيالا على المسلمين . (إصلاح المال لابن أبي الدنيا 74)

وقال عمر بن الخطاب : أيها الناس أصلحوا أموالكم التي رزقكم الله عزوجل فإن إقلالاً في رفق خير من إكثار في خرق . (إصلاح المال 54)

عن عمر بن الخطاب : إني لأكره أن أرى أحدكم سهيلاً . لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة . (المقاصد الحسنة للسخاوي 1/70)

وعن عمر بن الخطاب : مكسبة فيها بعض الدناءة خير من مسألة الناس . (إصلاح المال 97)

عن علي بن أبي طالب : إن الله يحب أن يرى عبده تعباً في طلب الحلال . (المقاصد الحسنة 1/70)

سأل معاوية الأحنف فقال له : ما تعدون المروءة فيكم ؟ قال : التفقه في الدين وبر الوالدين وإصلاح المال . فأرسل معاوية إلى يزيد فقال : اسمع من عمك . (إصلاح المال 53)

وقال معاوية : إصلاح مال في يديك ، أفضل من طلب الفضل من أيدي الناس ، وحسن التدبير مع الكفاف أحب إلي من الكثير . (إصلاح المال لابن أبي الدنيا 45)

قال ابن عمر : ما خلق الله موتة أموتها بعد الموت في سبيل الله أحب إلي من الموت بين شعبي رحلي أبتغي من فضل الله ضارباً في الأرض . (الجامع لأحكام القرآن 19 / 55 ، 56)

قال ابن عمر : إذا لم يرزق أحدكم في البلد فليتجر إلى بلد غيره . (إصلاح المال 77)

قال ابن مسعود : إني لأكره الرجل فارغاً لا في عمل الدنيا ولا في الآخرة . (المقاصد الحسنة 1/70)

عروة بن الزبير . قال : يقال ما شر شيء . قال : البطالة في العالم . (المقاصد الحسنة 1/70)

قالت عائشة : كان أبو بكر من أتجرقريش حتى دخل في الإمارة . (إصلاح المال 75) عن سالم بن أبي الجعد أن رجلاً صعد إلى أبي الدرداء وهو يلتقط حنطة فقال إن من فقهك رفقك بمعيشتك . (إصلاح المال لابن أبي الدنيا 64)

لقي رجل الحسن بن يحيى بأرض الحبشة معه تجارة ، فقال له : ما الذي بلغ بك هاهنا ؟ فأخبره ، فعذله الرجل . فقال : أكل هذا طلب للدنيا ، وحرص عليها ؟ فقال له الحسن : يا هذا إن الذي حملني على هذا ، كراهة الحاجة إلى مثلك . (إصلاح المال 78)

أتى قوم قيس بن سعد بن عبادة فسألوه حمالة فأروه في حائط له يلتقط التمر والحشف ويميز كل واحد على حدة فقالوا : ما عند هذا خير ثم كلموه ففضى حاجتهم فقالوا : ما أبعد هذا من فعلك الأول ؟ فقال : إنما أعطيتكم من هذا الذي أجمع . (إصلاح المال 56)

قال الحسن : مطعمان طيبان حمل الرجل على ظهره وعمله بيده . (الحث على التجارة للخلال 39)

وقال الحسن : ليس من حبك الدنيا طلبك ما يصلحك فيها . (إصلاح المال لابن أبي الدنيا 42)

قال سفيان : من كان معه شيء فقدر أن يجعله في قرن ثور فليفعل ، فإن هذا زمان إذا احتاج الرجل فيه إلى الناس ، كان أول ما يبذل دينه . (إصلاح المال 41)

كان سفيان الثوري رحمه الله يمر بنا ونحن جلوس في المسجد الحرام فيقول : ما يجلسكم ؟ فنقول : فما نصنع ؟ قال : اطلبوا من فضل الله ولا تكونوا عيالا على المسلمين . (الحث على التجارة ص 23)

قال سفيان لما رأي في يده دنائير وقيل له في ذلك قال : لولا هذه تمندل بنا هؤلاء . يعني الملوك . (إصلاح المال 41)

وقال أيضا : المال في هذا الزمان سلاح المؤمن . (إصلاح المال لابن أبي الدنيا 42)

وقال أيضا : كنا نكره المال للمؤمن وأما اليوم فنعم الترس : المال للمؤمن . (إصلاح المال 43)

قال سفيان : يجب على الرجل طلب العلم إذا كان عنده ملء كفه طعاما . (الحث على التجارة والصناعة 24)

وقال سعيد بن المسيب : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجرون في بحر الروم ، منهم طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل . وقال سعيد بن المسيب : من لزم المسجد وترك الحرفة وقبل ما يأتيه فقد ألحف في السؤال . (إصلاح المال لابن أبي الدنيا 76)

عن سعيد بن المسيب أن لقمان كان خياطا . (الحث على التجارة والصناعة 72)

قال قتادة عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : كان القوم يتبايعون ويتجرون ، ولكنهم إذا ناهم حق من حقوق الله لم تلههم تجارة ولا بيع عن ذكر الله حتى يؤديه إلى الله . (البخاري 4 / 297)

قال قتادة في هذه الآية : (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم) (النساء 29) قال : والتجارة رزق من رزق الله حلال من حلال الله لمن طلبها بصدقها وبرها . (الحث على التجارة والصناعة ص 64)

وقال أيضا : كنا نحدث أن التاجر الصدوق الأمين مع السبعة في ظل العرش يوم القيامة . (الحث على التجارة والصناعة لأبي بكر بن الخلال 66)

قال بشر بن الحارث : ينبغي للإنسان أن ينظر في مكسبه ومطعمه ومسكنه ينبغي للإنسان أن يتحرى تجارته . ثم قال : ولولا أني ليس علي عيال لعملت واكتسبت . (الحث على التجارة 32)

عن أبي حمزة قال : سألت إبراهيم عن رجل يترك التجارة ، يعني ويقبل على الصلاة ، يعني : ورجل يشتغل بالتجارة أيهما أفضل ؟ قال : التاجر الأمين . (الحث على التجارة والصناعة 47)

عن هشام بن عروة عن أبيه قال : كان داود يخطب الناس على منبره وأنه ليعمل الخوص بيده ، فيعمل منه القفة أو الشيء ثم يبعث به مع من يبيعه ويأكل من ثمنه . (الحث على التجارة 68)

قال ميمون بن مهران : لو أن كل إنسان منا تعاهد كسبه ، ولم يكسب إلا طيبا ، ثم أخرج ما عليه ، ما احتاج الأغنياء ، ولا احتاج الفقراء . (حلية الأولياء 4 / 87)

قال كعب أما إدريس فإنه كان رجلا صالحا يتعبد الله ويصوم ويصلي ، وكان خياطا يتصدق بكسبه ما فضل من قوته . (الحث على التجارة والصناعة للخلال 70)

قال أحيحة بن الجلاح : اتقوا الله في أموالكم فإنكم لن تزالوا كرماء على عشيرتكم ما داموا يعلمون أنكم مستغنون . (إصلاح المال 56)

قال هشام بن عبد الملك : ثلاث لا تصغر الشريف : تعاهد الضيعة وإصلاح المعيشة وطلب الحق وإن قل . (إصلاح المال 57)

وقال أيوب : كان أبو قلابة يأمرني بلزوم السوق والصنعة ويقول : إن الغني من العافية . (إصلاح المال 76)

عن الهيثم بن جميل قال : قلت لابن المبارك : أتجر في البحر؟ قال : أتجر في البر والبحر واستغن عن الناس . (إصلاح المال 77)

عن الضحاك بن مزاحم قال : شرف المؤمن : صلاة في جوف الليل ، وعزه : استغنائه عن الناس . (إصلاح المال 96)

كان محمد بن سيرين إذا أتاه رجل من العرب قال لهما لك لا تتجر؟ كان أبو بكر تاجر قريش . (إصلاح المال 73)

قال أبي وائل : درهم من تجارة أحب إلي من عشرة من عطاء . (الحث على التجارة والصناعة 38)

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

روى أن أبا بكر لما استخلف أصبح غاديا إلى السوق ، وعلى رأسه أثواب يتاجر بها كالعادة ، حمل الأثواب والبضائع وغدا إلى السوق ، يبيع ويشترى ، فلقيه في الطريق عمر بن الخطاب ، وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهما فقالا له : كيف تصنع هذا ؛ وقد وليت أمر المسلمين ؟ ! قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : فمن أين أطعم عيالي ؟ ! قال له : نفرض لك ، ونجعل لك مرتبا يوميا ، أو أسبوعيا ، أو شهريا ، تستغني به عن التجارة . (طبقات ابن سعد 3 / 184)

ولما ولي عمر بن الخطاب أمر المسلمين بعد أبي بكر مكث زمانا لا يأكل من المال حتى دخلت عليه في ذلك خصاصة ، وأرسل إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستشارهم في ذلك فقال : قد شغلت نفسي في هذا الأمر فما يصلح لي فيه ؟ فقال عثمان بن عفان : كل وأطعم ، قال : وقال ذلك سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل . وقال عمر لعلي : ما تقول أنت في ذلك ؟ قال : غداء وعشاء ، فأخذ عمر بذلك . (الطبقات الكبرى 3 / 307)

عن عبيد بن عمير أن أبا موسى الأشعري استأذن على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلم يؤذن له وكأنه كان مشغولا فرجع أبو موسى ففرغ عمر فقال ألم أسمع صوت عبد الله بن قيس ائذنوا له قيل قد رجع فدعاه فقال كنا نؤمر بذلك فقال تأتيني على ذلك بالبينة فانطلق إلى مجلس الأنصار فسألهم فقالوا لا يشهد لك على هذا إلا أصغرنا أبو سعيد الخدري فذهب بأبي سعيد الخدري فقال عمر أخفي هذا على من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الهاني الصفق بالأسواق يعني الخروج إلى تجارة . (فتح الباري 4 / 298)

عن معاوية بن قررة أن عمر بن الخطاب ، لقي ناسا من أهل اليمن فقال : من أنتم ؟ قالوا : نحن المتوكلون . قال : بل أنتم المتكولون ، إنما المتوكل الذي يلقي حبه في الأرض ، ويتوكل على الله . (التوكل لابن أبي الدنيا رقم 10)

قال عمر بن عبد الرحمن بن عوف : لما قسم سهل بن حنيف بيننا أموالنا ، قال : ابن أختي إني موصيك بوصية ، إن أخذت بها فهي خير لك من مال أبيك لو خلوت به ، أعلم أنه لا مال لأخرق ، ولا عيلة على مصلح ، وأعلم أن خير المال ما أطعمك ولم تطعمه وإن قل ، وأعلم أن الرقيق جمال وليس مالا ، فإن الماشية مال أهلها ، وأن النضج تعول الأرض ليس بمال ، إنما كان أحدنا في الجاهلية يقوم فيه بنفسه وزوجته وبنيه ، ثم يرد بمزية وحببته عليهم ، فلما ركبت فيه الدواب ، وأشربت فيه الأدهان ، ولبست فيه الثياب قصر أهله ، فإن كنت لا بد متخذًا شيئا ، فاتخذ مزرعة ، إن نشطت إليها زرعها ، وإن تركتها لم تغرمك شيئا . (إصلاح المال 93)

أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه خدم النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين ، يقول أبو العالية : وكان له (أي لأنس) بستان يحمل في السنة الفاكهة مرتين ، وكان فيه ريحان كان يجيء منه ريح المسك . (رواه الترمذي)

قال الفيض بن إسحاق : سألت الفضيل بن عياض قلت : لو أن رجلا قعد في بيته زعم أنه يثق بالله فيأتيه برزقه ؟ قال : يعني إذا وثق به حتى يعلم أنه قد وثق به لم يمنعه شيء أراداه ، ولكن لم يفعل هذا الأنبياء ولا غيرهم وقد كانت الأنبياء يؤاجرون أنفسهم ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم أجر نفسه وأبو بكر وعمر ولم يقولوا : نقعد حتى يرزق الله عز وجل وقد قال الله تعالى في كتابه : (وابتغوا من فضل الله) . فلا بد من طلب المعيشة . (الحث على التجارة والصناعة 30)

قال علي بن بكار : كان إبراهيم بن أدهم يؤاجر نفسه وكان سليمان الخواص يلقط وكان حذيفة يضرب اللبن (اللبن ما يعمل من الطين يعني الطوب والأجر) . (الحث على التجارة ص 27)

60- باب الكرم والجود والإنفاق في وجوه الخير ثقة بالله تعالى

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ [سبأ : 39] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَمَا تَنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظَلَمُونَ [البقرة : 272] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ [البقرة : 273] .

544- وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا ، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكْتِهِ فِي الْحَقِّ ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً ، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا » متفقٌ عليه . معناه : يَنْبَغِي أَنْ لَا يُعْبَطَ أَحَدٌ إِلَّا عَلَى إِحْدَى هَاتَيْنِ الْخَصَلَتَيْنِ .

545- وَعَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَيُّكُمْ مَالٌ وَارِثُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ ؟ » قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ . مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ . قَالَ : « فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ وَمَالٌ وَارِثُهُ مَا أَخَّرَ » رواه البخاري .

546- وَعَنْ عَبْدِ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ » متفقٌ عليه

547- وَعَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : مَا سُئِلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ : لَا . متفقٌ عليه

548- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ

الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا : اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا ، وَيَقُولُ الْآخَرُ : اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمَسَّكَ تَلْفًا « متفقٌ عليه

549- وعنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « قال الله تعالى : أَنْفِقْ يَا ابْنَ آدَمَ يُنْفِقَ عَلَيْكَ » متفقٌ عليه

550- وعن عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ ؟ قَالَ : « تُطْعِمُ الطَّعَامَ وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ » متفقٌ عليه

551- وعنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَرْبَعُونَ خَصَلَةً أَعْلَاهَا مَنِيحَةُ الْعِزْمَا مِنْ عَامِلٍ يَعْمَلُ بِخَصَلَةٍ مِنْهَا رِجَاءٌ ثَوَابَهَا وَتَصَدِيقٌ مَوْعُودَهَا إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا الْجَنَّةَ » رواه البخاري . وقد سبق بيان هذا الحديث في باب بَيَانِ كَثْرَةِ طُرُقِ الْخَيْرِ .

552- عن أبي أمامة صُدَيْيَ بْنِ عَجْلَانَ رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ إِنْ تَبَدَّلَ الْفَضْلُ خَيْرُكَ ، وَإِنْ تُمْسِكُهُ شَرُّكَ ، وَلَا تَلَامُ عَلَى كِفَافٍ ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى » رواه مسلم .

553- وعن أنس رضي الله عنه قال : مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ ، وَتَلَقَّدَ جَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ : يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً مَنْ لَا يَخْشَى الْفَقْرَ ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيْسَ لِمَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا ، فَمَا يَلْبَثُ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى يَكُونَ الْإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا . رواه مسلم .

554- وعن عُمَرَ رضي الله عنه قال : قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَسَمًا ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَعِيزٌ هَؤُلَاءِ كَانُوا أَحَقَّ بِهِ مِنْهُمْ ؟ قَالَ : « إِنَّهُمْ خَيْرٌ لِي أَنْ يَسْأَلُونِي بِالْفُحْشِ فَأَعْطِيَهُمْ أَوْ يَبْخُلُونِي ، وَلَسْتُ بِبَاخِلٍ » رواه مسلم .

555- وعن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ : بَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقْفَلَةً مِنْ حُنَيْنٍ ، فَعَلِقَهُ الْأَعْرَابُ يَسْأَلُونَهُ ، حَتَّى اضْطَرُّوا إِلَى سَمْرَةَ فَخَطَفَتْ رِدَاءَهُ ، فَوَقَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : أَعْطُونِي رِدَائِي ، فَلَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هَذِهِ الْعِضَاهِ نَعْمًا ، لَقَسَمْتُهِ بَيْنَكُمْ ، ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بِخَيْلًا وَلَا كَدَّابًا وَلَا جَبَانًا « رواه البخاري . « مَقْفَلَةٌ » أَيُّ حَالِ رُجُوعِهِ .

وَ « السَّمْرَةُ » : شَجَرَةٌ . وَ « الْعِضَاهُ » : شَجَرٌ لَهُ شَوْكٌ .

556- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا ، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ » رواه مسلم .

557- وعن أبي كبشة عمرو بن سعد الأنماري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ثَلَاثَةٌ أَفْسِمَ عَلِمَنَ وَأَحَدَيْتُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ : مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ ، وَلَا ظَلَمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً صَبَرَ عَلِمًا إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ عِزًّا ، وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا . وَأَحَدَيْتُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ . قَالَ إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ : عَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا ، فَهُوَ يَنْتَقِي فِيهِ رَبَّهُ ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحْمَهُ ، وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ . وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْمًا ، وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا فَهُوَ صَادِقُ النَّيَّةِ يَقُولُ : لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ ، فَهُوَ نِيَّتُهُ ، فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ . وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا ، وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا ، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، لَا يَنْتَقِي فِيهِ رَبَّهُ وَلَا يَصِلُ رَحْمَهُ ، وَلَا يَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا ، فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ . وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللَّهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا ، فَهُوَ يَقُولُ : لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ ، فَهُوَ نِيَّتُهُ ، فَوَزْرُهُمَا سَوَاءٌ » رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

558- وعن عائشة رضي الله عنها أنها ذهبت شاة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « مَا بَقِيَ مِنْهَا؟ » قالت : ما بقي منها إلا كتفها ، قال : « بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا » رواه الترمذي وقال حديث صحيح . ومعناه : تصدَّقوا بها إلا كتفها فقال : بقيت لنا في الآخرة إلا كتفها .

559- وعن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قالت : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا تُوكِي فَيُوكِي اللَّهُ عَلَيْكَ » . وفي رواية « أَنْفِقِي أَوْ أَنْفِجِي أَوْ أَنْضِجِي وَلَا تُحْصِي فَيُحْصِي اللَّهُ عَلَيْكَ وَلَا تُوعِي فَيُوعِي اللَّهُ عَلَيْكَ » متفق عليه . و« أَنْفِجِي » بالحاء المهملة : هو بمعنى « أَنْفِقِي » وكذلك : « أَنْضِجِي »

560- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَثَلُ الْبَخِيلِ وَالْمُنْفِقِ ، كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ مِنْ تُدَيْمِهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا ، فَأَمَّا الْمُنْفِقُ ، فَلَا يُنْفِقُ إِلَّا سَبَعَتْ ، أَوْ وَفَرَتْ عَلَى جِلْدِهِ حَتَّى تُخْفِيَ بَنَانَهُ ، وَتَعْفُو أَثَرَهُ ، وَأَمَّا الْبَخِيلُ ، فَلَا يُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ شَيْئًا إِلَّا لَرِقَتْ كُلُّ حَلَقَةٍ مَكَانَهَا ، فَهُوَ يُوسِّعُهَا فَلَا تَتَّسِعُ » متفق عليه .

و« الْجُبَّةُ » الدِّرْعُ ، وَمَعْنَاهُ : أَنَّ الْمُنْفِقَ كُلَّمَا أَنْفَقَ سَبَعَتْ ، وَطَالَتْ حَتَّى تَجْرَّ وَرَاءَهُ ، وَتُخْفِيَ رَجْلَيْهِ وَآثَرَ مَشْيِهِ وَخَطْوَاتِهِ .

561- وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ تَصَدَّقَ بِعِدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ ،

وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُهَا بِيَمِينِهِ ، ثُمَّ يُرْتَبِهَا لِصَاحِبِهَا ، كَمَا يُرْتَبِي أَحَدَكُمْ فَلَوْهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ . « . متفقٌ عليه . » « الفلُّو » بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو ويقال أيضاً : بكسر الفاء وإسكان اللام وتخفيف الواو : وهو المَهْرُ

562- وعنه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ : اسقِ حَدِيقَةَ فَلَانٍ ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابَ فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ ، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشَّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ فَتَتَبَعَ الْمَاءَ ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمَسْحَاتِهِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا اسْمُكَ قَالَ : فَلَانٌ ، لِلْأَسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي ؟ فَقَالَ : إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ : اسقِ حَدِيقَةَ فَلَانٍ لِاسْمِكَ ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا ؟ فَقَالَ : أَمَا إِذْ قُلْتُ هَذَا ، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا ، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ ، وَأَكُلُّ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا ، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ . رواه مسلم . « الحَرَّةُ » الْأَرْضُ الْمَلْبَسَةُ حِجَارَةً سَوْدَاءَ : « وَالشَّرْجَةُ » بفتح الشين المعجمة وإسكان الراء وبالجميم : هِيَ مَسِيلُ الْمَاءِ .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

عن ابن عباس في قوله : وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه قال : في غير إسراف ولا تقثير . (تفسير الدر المنثور 12 / 224)

عن سعيد بن جبيرة قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يتصدق على المشركين ، فنزلت : وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله . فتصدق عليهم . عن ابن عباس قال : كان أناس من الأنصار لهم أنساب وقرابة من قريظة والنضير ، وكانوا يتقون أن يتصدقوا عليهم ، ويريدونهم أن يسلموا ، فنزلت : ليس عليك هدام الآية . عن عطاء الخراساني في قوله : وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله قال : إذا أعطيت لوجه الله فلا عليك ما كان عمله . عن ابن زيد في قوله : يوف إليكم وأنتم لا تظلمون قال : هو مردود عليك فمالك ولهذا تؤذيه وتمن عليه إنما نفقتك لنفسك وابتغاء وجه الله والله يجزيك . (تفسير الدر المنثور 3 / 331 - 332)

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : صنائع المعروف تقي مصارع السوء . (ربيع الأبرار 4 / 357)

وعنه رضي الله عنه : الجود حارس الأعراض . (ربيع الأبرار ونصوص الأخيار 4 / 357)

قال علي رضي الله عنه : السخاء ما كان ابتداء فأما ما كان عن مسألة فحياء وتذمم .

(ربيع الأبرار ونصوص الأختيار 4 / 480)

وقال أيضا: الكرم أعطف من الرحم . (ربيع الأبرار ونصوص الأختيار 4 / 357)

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : البخل جلاباب المسكنة وربما دخل السخي بسخائه الجنة .
(الأداب الشرعية 3 / 312)

وقال رضي الله عنه : إذا أقبلت عليك الدنيا فأنفق منها فإنها لا تفي ، وإذا أدبرت عنك فأنفق منها فإنها لا تبقى وأنشد يقول : لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة . فليس ينقصها التبذير والسرف . وإن تولت فأحرى أن تجود بها . فالحمد منها إذا ما أدبرت خلف . (إحياء علوم الدين 3 / 246)

قال سلمان الفارسي رضي الله عنه : إذا مات السخي ، قالت الأرض والحفظة : رب تجاوز عن عبدك في الدنيا بسخائه ، وإذا مات البخيل قالت : اللهم أحجب هذا العبد عن الجنة كما حجب عبادك عما جعلت في يديه من الدنيا . (مختصر منهاج القاصدين 204 - 205)

قال ابن عباس : سادات الناس في الدنيا الأسخياء ، وفي الآخرة الأتقياء . (أدب الدنيا والدين 226)
قال المدائني : أول من سن القرى إبراهيم الخليل عليه السلام وأول من هشم الثريد هاشم . وأول من فطر جيرانه على طعامه في الإسلام عبيد الله بن عباس رضي الله عنهما وهو أول من وضع موائده على الطريق ، وكان إذا خرج من بيته طعام لا يعاود منه شيء ، فإن لم يجد من يأكله تركه على الطريق . (غذاء الألباب 150 / 2)

يقول علي بن الحسين : إني لأستحي من الله أن أرى الأخ من إخواني فأسأل له الجنة وأبخل عليه بالدنيا فإذا كان غدا قيل لي : لو كانت الجنة بيدك لكنت بيدك بها أبخل وأبخل . (السير 4 / 394)

قال حكيم بن حزام : ما أصبحت صباحا قط فرأيت بفنائي طالب حاجة قد ضاق بها ذرعا فقضيتها إلا كانت من النعم التي أحمد الله عليها ، ولا أصبحت صباحا لم أربفنائني طالب حاجة إلا كان ذلك من المصائب التي أسأل الله عز وجل الأجر عليها . (مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا 107)

وقال جعفر بن محمد الصادق : إن لله وجوها من خلقه ، خلقهم لقضاء حوائج عباده ، يرون الجود مجدا ، والأفضال مغنما ، والله يحب مكارم الأخلاق . (ربيع الأبرار ونصوص الأختيار 4 / 357)

قال حماد بن أبي حنيفة : لم يكن بالكوفة أسخى على طعام ومال من حماد بن أبي سليمان ومن بعده خلف بن حوشب . (الكرم والجود وسخاء النفوس 55)

وقال يحيى البرمكي : أعط من الدنيا وهي مقبلة ؛ فإن ذلك لا ينقصك منها شيئا . فكان الحسن بن سهل يتعجب من ذلك ويقول : لله دره ! ما أطبعه على الكرم وأعلمه بالدنيا . (ربيع الأبرار 4 / 368)

قال الماوردي : اعلم أن الكريم يجتزي بالكرامة واللطف واللئيم يجتزي بالمهانة والعنف فلا يوجد إلا خوفا ولا يجيب إلا عنفا كما قال الشاعر : رأيتك مثل الجوز يمنع لبه صحيحا ويعطي خيره حين يكسر . (أدب الدنيا والدين للماوردي 200)

قال عبد الله بن الحارث : من لم يكرم ضيفه فليس من محمد صلى الله عليه وسلم ولا من إبراهيم عليه السلام . (جامع العلوم والحكم 132)

قال عبد الله بن جعفر : أمطر المعروف مطرا فإن أصاب الكرام كانوا له أهلا وإن أصاب اللئام كنت له أهلا . (إحياء علوم الدين 3 / 247)

قال محمد بن المنكدر : كان يقال : إذا أراد الله بقوم خيرا أمر عليهم خيارهم ، وجعل أرزاقهم بأيدي سمحائهم . (المنتقى من مكارم الأخلاق للخرائطي 125)

قال أبو سليمان الداراني : جلساء الرحمن يوم القيامة من جعل في قلبه خصالا الكرم والسخاء والحلم والرأفة والشكروالبروالصبر . (عدة الصابرين 143)

قال الحسن البصري : السخاء أن تجود بمالك في الله عزوجل أي في سبيل الله . (الإحياء 3 / 246)

وقال بكر بن محمد العابد : ينبغي أن يكون المؤمن من السخاء هكذا ، وحثا بيديه . (مكارم الأخلاق 179)

قال ابن المبارك : سخاء النفس عما في أيدي الناس أعظم من سخاء النفس بالبذل . (ربيع الأبرار 4 / 357)

كان هشام بن حسان إذا ذكر يزيد بن المهلب يقول : إن كادت السفن لتجري في جودة . (ربيع الأبرار 4 / 364)

قال حسن بن صالح ، : سئل الحسن عن حسن الخلق فقال الكرم ، والبذلة والاحتمال . (الكرم والجود وسخاء النفوس للبرجلاني 55)

قال ابن القيم : إذا كان السخاء محمودا فمن وقف على حدة سمي كريما وكان للحمد مستوجبا ومن قصر عنه كان بخيلا وكان للذم مستوجبا . (الوابل الصيب 53)

قَالَ الْمُتَنَصِّرُ بْنُ بِلَالِ الْأَنْصَارِيِّ : (رَوْضَةُ الْعُقَلَاءِ ص 235)

أَلْجُودَ مَكْرَمَةً وَالْبُخْلَ مُبْغِضَةً *** لَا يَسْتَوِي الْبُخْلُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْجُودُ

وَالْفَقْرُ فِيهِ شُخُوصٌ وَالْغِنَى دَعَاةٌ *** وَالنَّاسُ فِي الْمَالِ مَرْزُوقٌ وَمَحْدُودٌ

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّالِفِ :

وذكر أن عبيد الله بن العباس أتاه سائل وهو لا يعرفه ، فقال له : تصدق على بشيء ، فإني نبئت أن عبيد الله بن العباس أعطى سائلاً ألف درهم واعتذر إليه ، فقال : وأين أنا من عبيد الله فقال : أين أنت منه في الحسب أم في الكرم ؟ قال : فيهما جميعاً ، قال : أما الحسب في الرجل فمروءته وفعله ، وإذا شئت فعلت ، وإذا فعلت كنت حسيباً . فأعطاه ألفي درهم واعتذر إليه من ضيق نفقته . فقال له السائل : إن لم تكن عبيد الله بن العباس فأنت خير منه ، وإن كنت إياه فأنت اليوم خير منك أمس ، فأعطاه ألفاً أخرى ، فقال له السائل : هذه هزة كريم حسيب . (المستجاد من فعلات الاجواد 1049)

قال الأصمعي : حدثنا ابن عمران قاضي المدينة أن طلحة كان يقال له : طلحة الخير وطلحة الفياض وطلحة الطلحات ، وأنه فدى عشرة من أساري بدروجاء يمشي بينهم ، وأنه سئل برحم ، فقال : ما سألت بهذه الرحم قبل اليوم ، وقد بعث حائطاً لي بتسعمائة ألف درهم وأنا فيه بالخيار ، فإن شئت ارتجعته وأعطيتكه وإن شئت أعطيتك ثمنه . (عيون الأخبار 1/454)

قال المدائني : إنما سمي طلحة بن عبيد الله الخزاعي طلحة الطلحات ، لأنه اشترى مائة غلام وأعتقهم وزوجهم ، فكل مولود له سماه طلحة . (عيون الأخبار 1/466)

وقيل : مرض قيس بن سعد بن عبادة ، فاستبطأ إخوانه ، فقيل له : إنهم يستحيون مما لك عليهم من الدين ، فقال : أخزى الله مالا يمنع الإخوان من الزيارة ، ثم أمر منادياً فنادى : من كان عليه لقيس بن سعد حق فهو منه بريء ، قال فانكسرت درجته بالعشي لكثرة من زاره وعادة . (إحياء علوم الدين 3/247)

روى مالك عن مولاة لعائشة رضي الله عنها : أن مسكينا سأل عائشة وهي صائمة ، وليس في بيتها إلا رغيف ، فقالت لمولاه لها : أعطيه إياه ، فقالت : ليس لك ما تفرطين عليه . فقالت أعطيه إياه . ففعلت ، فلما أمسينا ، أهدى لها أهل بيت أو إنسان ما كان يهدي لها شاة وكفنها فدعتني عائشة ، فقالت : كلي من هذا . هذا خير من قرصك . (جامع الأصول لابن الأثير 6/452)

قال عروة بن الزبير رضي الله عنهما : رأيت عائشة رضي الله عنها تقسم سبعين ألفا وهي ترقع ثوبها ، وروى أنها قسمت في يوم ثمانين ومائة ألف بين الناس ، فلما أمست قالت : يا جارية علي فطوري ، فجاءتها بخبز وزيت ، فقالت لها أم ذرة : أما استطعت فيما قسمت اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحما نفطر عليه ؟ فقالت : لو ذكرتني لفعلت . (إحياء علوم الدين 3 / 247)

كان عروة بن الزبير إذا كان أيام الرطب يثلم (يشق) حائطه ثم يأذن للناس فيه فيدخلون يأكلون ويحملون . (سير أعلام النبلاء 4 / 426)

وكان عبد الله بن الزبير قد باع ماله بالغابة - الذي يعرف بالسقاية - من معاوية بمائة ألف دينار ، ثم قسمها في بني أسد وتيم . (سير أعلام النبلاء 4 / 429)

عزل الحجاج يزيد بن المهلب بن أبي صفرة وعذبه فسأله أن يخفف عنه الضرب على أن يعطيه كل يوم مائة ألف درهم فجاء إليه الأخطل (شاعر نصراني) ومدح يزيد فأعطاه مائة ألفا فعجب الحجاج من جودة في تلك الحال وعفا عنه واعتقله ثم هرب من حبسه ولما هرب قصد عبد الملك بن مروان بالشام فمر بغريب في البرية فقال لغلامه : استسقنا منهم لبنا اذهب إلى هؤلاء الناس واطلب منهم لبنا ، فسقوه فقال : أعطهم ألفا قال : إن هؤلاء لا يعرفونك ؟ قال : لكني أعرف نفسي . (تاريخ دمشق 74 / 119) .

قال ابن سيرين : اشتكى رجل فوصف له لبن الجواميس ، فبعث إلى عبد الرحمن بن أبي بكر أن أبعث إلينا بجاموسة فبعث إليه بتسعمائة جاموسة ، فقال : إنما أردت واحدة فبعث إليه أن اقبضها كلها . (سير أعلام النبلاء 4 / 426)

قال عبد الله بن الوسيم الجمال : أتينا عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله نسأله في دين على رجل من أصحابنا فأمر بالمواد فنصبت ثم قال : لا حتى تصيبوا من طعامنا فيجب علينا حقكم وذمامكم قال : فأصبنا من طعامه فأمرنا بعشرة آلاف درهم في قضاء دينه وخمسة آلاف درهم نفقة لعياله . (الكرم والجود للبرجلاني 55)

قال محمد بن عباد بن عباد بن عباد ابن حبيب بن المهلب رحمه الله تعالى : بعث مروان وهو على المدينة ابنه عبد الملك إلى معاوية فدخل عليه فقال : إن لنا مالا إلى جنب مالك بموضع كذا وكذا من الحجاز ، لا يصلح مالنا إلا بمالك ، ومالك لإبمالنا ، فإما تركت لنا مالك فأصلحنا به مالنا ، وإما تركنا لك مالنا فأصلحت به مالك ، فقال له : يا ابن مروان : إني لا أخدع عن القليل ولا يتعاضمني ترك الكثير ، وقد تركنا لكم مالنا فأصلحوا به مالكم . (مكارم الأخلاق 118)

قال محمد بن صبيح : لما قدم أبو الزناد الكوفة على الصدقات ، كلم رجل حماد بن أبي سليمان في رجل يكلم له أبا الزناد يستعين في بعض أعماله ، فقال حماد : كم يؤمل صاحبك من أبي الزناد أن يصيب معه ؟ قال : ألف درهم ، قال : فقد أمرت له بخمسة آلاف درهم ، ولا يبذل وجهي إليه قال : جزاك الله خيرا فهذا أكثر مما أمل ورجا . قال عثمان : وقال ابن السماك : فكلمه آخر في ابنه أن يحوله من كتاب إلى كتاب ، فقال للذي يكلمه : إنما نعطي المعلم ثلاثين كل شهر وقد أجريناها لصاحبك مائة دع الغلام مكانه . (الكرم والجود وسخاء النفوس 57)

كان مورك يتجرفيصيب المال فلا يأتي عليه جمعة وعنده منه شيء وكان يأتي الأخ فيعطيه الأربع مائة والخمس مائه ويقول : ضعها لنا عندك . ثم يلقاه بعد فيقول : شأنك بها لا حاجة لي فيها . (سير أعلام النبلاء 4 / 351)

وروى أن الشافعي رحمه الله لما مرض مرض موته بمصر قال : مروا فلانا يغسلني ، فلما توفي بلغه خبر وفاته فحضر وقال : ائتوني بتذكرته فأتي بها فنظر فيها فإذا فيها (على الشافعي سبعون ألف درهم دينا) ، فكتبها على نفسه وقضاها عنه ، وقال : هذا غسلي إياه أي أراد به هذا . وقال أبو سعيد الواعظ الحركوشي : لما قدمت مصر طلبت منزل ذلك الرجل فدلوني عليه ، فرأيت جماعة من أحفاده وزرتهم ، فرأيت فيهم سيم الخيرو آثار الفضل : فقلت : بلغ أثره في الخير إليهم ، وظهرت بركته فيهم مستدلا بقوله تعالى : (وكان أبوهما صالحا) (الكهف 82) وقال الشافعي رحمه الله : لا أزال أحب حماد بن سليمان لشيء بلغني عنه ، أنه كان ذات يوم راكبا حماره ، فحركة فانقطع زره ، فمر على خياط ، فأراد أن ينزل إليه ليسوى زره ، فقال الخياط : والله لا نزلت ، فقام الخياط إليه فسوى زره ، فأخرج إليه صرة فيها عشرة دنانير فسلمها إلى الخياط واعتذر إليه من قتلها ، وأنشد الشافعي لنفسه : يا لهف قلبي على مال أجود به على المقلين من أهل المروءات إن اعتذاري إلى من جاء يسألني ليس عندي لمن إحدى المصيبات . (إحياء علوم الدين 3 / 251)

وقال محمد بن يزيد الواسطي : حدثني صديق لي : أن أعرابيا انتهى إلى قوم فقال : يا قوم أرى وجوها وضيئة وأخلاقا رضية فإن تكن الأسماء على إثر ذلك فقد سعدت بكم أمكم قال أحدهم : أنا عطية وقال الآخر أنا كرامة وقال الآخر أنا عبدالواسع وقال الآخر : أنا فضيلة : فأنشأ يقول : كرم وبذل واسع وعطية لا أين أذهب أنتم أعين الكرم من كان بين فضيلة وكرامة لأريب يفتأ أعين العدم قال : فكسوة وأحسنوا إليه وانصرف شاكرا . (مكارم الأخلاق للخرائطي 200)

قال أبو السوار العدوى : كان رجال من بني عدي يصلون في هذا المسجد ما أفطر أحد منهم على طعام قط وحده إن وجد من يأكل معه أكل وإلا أخرج طعامه إلى المسجد فأكله مع الناس وأكل

الناس معه . (الكرم والجود وسخاء النفوس 53)

وكان لمحمد بن كعب القرظي أملاك بالمدينة ، وحصل مالا مرة فقيلا له : ادخره لولدك ، قال : لا ولكن أدخره لنفسه عند ربي وأدخر ربي لولدي . (سير أعلام النبلاء 5 / 68)

قال مالك : كان ابن شهاب الزهري من أسخى الناس فلما أصاب تلك الأموال قال له مولى له وهو يعظه : قد رأيت ما مر عليك من الضيق فانظر كيف تكون ، أمسك عليك مالك ، قال : إن الكريم لا تحنكه التجارب . (سير أعلام النبلاء 5 / 338)

روى أن ابن شهاب الزهري كان يخرج إلى الإعراب يفقههم فجاء أعرابي وقد نفذ ما بيد الزهري فمد الزهري يده إلى عمامة عقيل بن خالد فأخذها وأعطاه وقال : يا عقيل أعطيك خيرا منها . (تاريخ دمشق 55 / 379)

معاوية بن عبيد الله الأشعري كان ينفق في كل يوم كدقيق ويتصدق به ، فلما وقع الغلاء تصدق بكرين ، وكتب مالك إلى الليث ، مالك بن أنس كتب إلى الليث بن سعد : إني أريد أن أدخل ابنتي على زوجها فأحب أن تبعث لي بشيء من عصفور ، وكانوا يصبغون به الثياب ، فبعث إليه بثلاثين حملا عصفرا فباع منه بخمسمائة دينار ، وبقي عنده فضلة . (تاريخ دمشق 50 / 372)

وعن الحسين بن الحسن أنه قال : كنا عند ابن المبارك رحمه الله جلوسا ، فجاء سائل فسأله شيئا ، فقال : يا غلام ناوله درهما ، فلما ولى السائل قال له بعض أصحابه ، يا أبا عبد الرحمن ، هؤلاء السؤال يتغدون بالشواء والفالودج ! كان يكفيه قطعة ، فلم أمرت له بدرهم ؟ قال ابن المبارك : يا غلام ، رده ، إنما ظننت أنهم يجيزون بالبقل والخل عند غداهم ، فأما إذا كان غداهم بالشواء والفالودج فلا بد من عشرة دراهم ، يا غلام ناوله عشرة دراهم . (المنتظم 9 / 63)

وعن أبي بكر بن أبي شيبه قال : قال جدي : أنفق ابن عائشة رحمه الله على إخوانه أربعمائة ألف دينار في الله حتى التجأ إلى أن باع سقف بيته . (المنتظم 11 / 139)

وجاءت امرأة إلى الليث فقالت : يا أبا الحارث ، أن ابنا لي عليل وأشتهي عسلا ، فأمر لها بعسل كثير يبلغ عشرين ومائة رطل . (تاريخ دمشق 50 / 373)

ويقول ابنه شعيب : خرجت معه حاجا فقدم المدينة ، فبعث إليه مالك بن أنس بطبق رطب قال : فجعل على الطبق ألف دينار ورده إليه . (تاريخ دمشق 50 / 371)

قال عبد الله بن أبي أيوب : وصل عمارة بن جعفر أبي بثلاثمائة ألف درهم وذكروا أن جماعة أتوا

- عمارة بن جعفر ليشفَعوا في بر قوم فأمر لهم بمائة ألف درهم وكان كثير الأموال والنعم .
(سير أعلام النبلاء 7 / 293)
- وبلغت عطايا سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس في بعض المواسم خمسة آلاف ألف درهم .
يعني كم ؟ خمسة ملايين . (سير أعلام النبلاء 6 / 301)
- وورد أن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس كان في سطح القصر فسمع نسوة يقلن : ليت الأمير
اطلع علينا فأغنانا ، يعني : يتمنين ، فسمع ، فرمى إليهم جوهرا وذهبا . (سير أعلام النبلاء 6 / 301)
- وأما سليمان التميمي رحمه الله الإمام الكبير العابد فلم تمر عليه ساعة قط إلا تصدق بشيء ، فإن
لم يكن شيء صلى ركعتين . (حلية الأولياء 3 / 28)
- كان رزق يزيد بن عمر بن هبيرة في السنة ستمائة ألف وكان يفرقها في العلماء والوجوه .
(سير أعلام النبلاء 6 / 331)

61- باب النهي عن البخل والشح

قَالَ اللهُ تَعَالَى : وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَعْتَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى [الليل : 8-11] وَقَالَ تَعَالَى : وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [التغابن : 16]

وأما الأحاديث فتقدمت جملة منها في الباب السابق .

563- وعن جابر رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : اتَّقُوا الظُّلْمَ ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ « رواه مسلم .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية :

(وأما من بخل) أي : بما عنده ، واستغنى . قال عكرمة عن ابن عباس : أي بخل بماله ، واستغنى
عن ربه عز وجل . بالحسنى قال : بالخلف من الله فسنيسره للعسرى قال : للشر من الله . عن ابن
عباس أن نافع بن الأزرق قال له أخبرني عن قوله عز وجل : إذا تردى قال : إذا مات وتردى في النار
نزلت في أبي جهل . (تفسير الدر المنثور 15 / 470)

عن الأسود بن هلال قال : جاء رجل إلى عبد الله بن مسعود ، فقال يا أبا عبد الرحمن ، إني أخشى
أن تكون أصابتي هذه الآية : ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون . والله ما أعطي شيئا

أستطيع منعه قال : ليس ذلك بالشح ، إنما الشح أن تأكل مال أخيك بغير حقه ، ولكن ذلك البخل عن أبي الهياج الأسيدي قال : كنت أطوف بالبيت ، فرأيت رجلاً يقول : اللهم قني شح نفسي ، لا يزيد على ذلك ، فقلت له ، فقال : إني إذا وقيت شح نفسي لم أسرق ، ولم أزن ، ولم أفعل شيئاً ، وإذا الرجل عبد الرحمن بن عوف . (تفسير الطبري 23 / 286)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه : أتيت أبا بكر رضي الله تعالى عنه أسأله فمنعني في أيام خلافته ، ثم أتيته أسأله فمنعني ، فقلت : إما أن تبخل وإما أن تعطيني ، يعني إما أن ترمي بالبخل وتوصف بالبخل أو تعطيني ، فقال : أتبخلي وأي داء أدوا من البخل ؟ ، ما أتيتني من مرة إلا وأنا أريد أن أعطيك ألفاً قال : فأعطاني ألفاً ، وألفاً ، وألفاً . (سير أعلام النبلاء 16 / 97)

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : البخل جليباب المسكنة ، وربما دخل السخي بسخائه الجنة . (الآداب الشرعية 3 / 310)

وقال طلحة بن عبيد الله : أنا لنجد بأموالنا ما يجد البخلاء ؛ لكننا نتصبر . (الإحياء 2 / 255)

وسئل الحسن بن علي عن البخل فقال : هو أن يرى الرجل ما ينفقه تلفاً ، وما يمسكه شرفاً . (الآداب الشرعية 3 / 299)

وقال بشر بن الحارث : البخيل لا غيبة له ؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم ((إنك إذا لبخيل)) . (شعب الإيمان للبيهقي 7 / 442)

ومدحت امرأة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : (صوامه قوامه إلا أن فيها بخلاً ، قال : فما خيرها إذن ؟) . (شعب الإيمان للبيهقي 7 / 442)

وقال : النظر إلى البخيل يقسي القلب ولقاء البخلاء كرب على قلوب المؤمنين . (الإحياء 3 / 256)

وقال : لا تزوج البخيل ولا تعامله ، ما أقبح القارئ أن يكون بخيلاً . (الآداب الشرعية 3 / 311)

قال أبو الدرداء : ويل لكل جماع فاغرفاه كأنه مجنون يرى ما عند الناس ولا يرى ما عند الله عز وجل . لو استطيع لوصل الليل بالنهار . ويله من حساب غليظ وعذاب شديد . (الحلية 1 / 217)

عن عروة بن الزبير قال : قال عمر رضي الله عنه في خطبة : تعلمون أن الطمع فقر ، وأن اليأس غنى وأن الرجل إذا يأس من شيء استغنى عنه . (الحلية (تهذيبه) 1 / 71)

قال الحسن البصري عليه يحلف بالله : ما أعز أحد الدراهم إلا أذله الله . (السير 4 / 576)

قال الحسن البصري : بئس الرفيقان الدينار والدرهم لا ينفعانك حتى يفارقاك .
(تهذيب الكمال 6 / 121)

وقال ابن المعتز: أبخل الناس بماله أجودهم بعرضه . (إحياء علوم الدين 3 / 256)

وقال أيضا : بشرمال البخيل بحادث ، أو وارث . (الآداب الشرعية 3 / 317)

وقال أبو حنيفة : لا أرى أن أعدل بخيلا ؛ لأن البخل يحمله على الاستقصاء ؛ فيأخذ فوق حقه خيفة من أن يغبن ، فمن كان هكذا لا يكون مأمون الأمانة . (إحياء علوم الدين 2 / 256)

قال حبيش بن مبشر الثقفي الفقيه : قعدت مع أحمد بن حنبل ويحيى بن معين ، والناس متوافرون فأجمعوا أنهم لا يعرفون رجلا صالحا بخيلا . (الآداب الشرعية لابن مفلح 3 / 311)

قالت أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز : أف للبخيل لو كان البخل قميصا ما لبسته ولو كان طريقا ما سلكته . (إحياء علوم الدين 3 / 255)

عن طاووس قال : البخل : أن يبخل الإنسان بما في يديه ؛ والشح : أن يحب الإنسان أن يكون له ما في أيدي الناس بالحرام لا يقنع . (حلية الأولياء 4 / 6)

وقال أبو بكر الوراق : لو قيل للطمع : من أبوك ؟ قال : الشك في المقدور . ولو قيل : ما حرفتك ؟ قال : اكتساب النذل . ولو قيل : ما غايتك قال : الحرمان . (الحلية (تهذيبه) 3 / 358)

قال محمد بن المنكدر : كان يقال : إذا أراد الله بقوم شرا أمر الله عليهم شرارهم وجعل أرزاقهم بأيدي بخلائهم . (إحياء علوم الدين 2 / 255)

وقال الشعبي: لا أدري أيهما أبعد غورا في نار جهنم البخل أو الكذب . (إحياء علوم الدين 3 / 255)

قال يحيى بن معاذ : ما في القلب للأسخياء إلا حب ولو كانوا فجارا وللبخلاء إلا بغض ولو كانوا أبرارا . (إحياء علوم الدين 3 / 256)

وقال الذهبي : ما أقيح بالعالم الداعي إلى الله الحرص وجمع المال ! . (السير (تهذيبه) 3 / 1351)

قال أبي الجورجاني : البخل : هو على ثلاثة أحرف الباء وهو البلاء والخاء وهو الخسران واللام وهو اللوم فالبخيل : بلاء على نفسه وخاسر في سعيه وملوم في بخله . (حلية الأولياء 10 / 350)

قال ابن مفلح : عجباً للبخیل المتعجل للفقير الذي منه هرب ، والمؤخر للسعة التي إياها طلب ، ولعله يموت بين هربه وطلبه ، فيكون عيشه في الدنيا عيش الفقراء وحسابه في الآخرة حساب الأغنياء ، مع أنك لم تربح إلا غيره أسعد بماله منه لأنه في الدنيا مهتم بجمعه ، وفي الآخرة أثم بمنعه ، وغيره آمن في الدنيا من همه ، وناج في الآخرة من إثمه . (الآداب الشرعية 3 / 318)

قال الماوردي : الحرص والشح أصل لكل ذم ، وسبب لكل لؤم ؛ لأن الشح يمنع من أداء الحقوق ، ويبعث على القطيعة والعقوق . (أدب الدنيا والدين 224)

قال ابن القيم : والجبن والبخل قرينان فإن عدم النفع منه إن كان ببذنه فهو الجبن وإن كان بماله فهو البخل . (الجواب الكافي 73)

قَالَ إِسْحَاقُ الْمُؤَصِّلِيُّ : (آمَالِي الْقَالِي 1 / 31)

وَأَمْرَةٌ بِالْبُخْلِ قُلْتُ لَهَا أَفْصَرِي *** فَلَيْسَ إِلَى مَا تَأْمُرِينَ سَبِيلٌ

أَرَى النَّاسَ خُلَانُ الْجَوَادِ وَلَا أَرَى *** بَخِيلًا لَهُ فِي الْعَالَمِينَ خَلِيلٌ

وَمِنْ خَيْرِ حَالَاتِ الْفَتَى لَوْ عَلَّمْتُهُ *** إِذَا قَالَ شَيْئًا أَنْ يَكُونَ يُنِيلُ

فَإِنِّي رَأَيْتُ الْبُخْلَ يُزْرِي بِأَهْلِهِ *** فَأَكْرَمْتُ نَفْسِي أَنْ يُقَالَ بَخِيلٌ

عَطَائِي عَطَاءَ الْمُكْثِرِينَ تَجْمَلًا *** وَمَالِي كَمَا قَدْ تَعْلَمِينَ قَلِيلٌ

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

عن حماد بن ثابت : أن رجلا كان عاملا ، فجعل ماله في سارية ، فلما احتضر قال : حرقوا هذه السارية ، فحرقت وانتثر المال فقال : يا ليتها كانت بعرا ، يا ليتها كانت بعرا . (موسوعة ابن أبي الدنيا 5 / 332)

يروى الجاحظ أن جماعة من أهل خراسان اجتمعوا في منزل ليلا فأحجموا عن إنارة المصباح وصبروا على الظلمة ما أمكنهم الصبر ، ولما اضطروا إلى الإنارة جمعوا النفقة اللازمة لذلك وأبى واحد منهم أن يشاركهم في النفقة ، فكانوا إذا جاء المصباح شدوا عينيه بمنديل إلى أن يناموا ويطفئوا المصباح فيفرجون عن عينيه وذلك حتى لا يستفيد من نوره . (كتاب البخلاء للجاحظ)

قال شيخ : لم أرفي وضع الأمور مواضعها وفي توفيتها غاية حقوقها ، كمعادة العنبرية . قالوا : وما معادة هذه ؟ قال : أهدي إليها العام ، ابن عم لها أضحية ، فرأيتها كنيبة حزينة مفكرة مطرقة ،

فقلت لها : مالك يا معاذة ؟ قالت : أنا امرأة أرملة ، وليس لي قيم (أي : من يقوم بأمرها) ، ولا عهد لي بتدبير لحم الأضاحي ، وقد ذهب الذين كانوا يدبرونه ويقومون بحقه ، وقد خفت أن يضيع بعض هذه الشاة ، ولست أعرف وضع جميع أجزائها في أماكنها ، وقد علمت أن الله لم يخلق فيها ولا في غيرها شيئا لا منفعة فيه . ولكن المرء يعجز لا محالة . ولست أخاف من تضييع القليل إلا أنه يجر إلى تضييع الكثير . - أما القرن فالوجه فيه معروف وهو : أن يجعل منه كالخطاف ويسمر في جذع من أجذاع السقف فيعلق عليه الزبل (السلة) والكيران وكل ما خيف عليه من الفأر والنمل والسنانير وبنات وردان (الصراصير) والحيات وغير ذلك وأما المصران فإنه لأوتار المندفة وبناء إلى ذلك أعظم الحاجة . وأما قحف (العظم فوق الدماغ) الرأس والليحان وسائر العظام فسبيله أن يكسر بعد أن يعرق ، ثم يطبخ فما ارتفع من الدسم كان للمصباح وللإدام وللعصيدة ولغير ذلك ، ثم تؤخذ تلك العظام فيوقد بها ، فلم ير الناس وقودا قط أصفى ولا أحسن لهما منه وإذا كانت كذلك فهي أسرع للقدر لقللة ما يخالطها من الدخان وأما الإهاب فالجلد نفسه جراب وللصوف وجوه لا تعد . وأما الفرث (أي : الزبل) والبحر فحطب إذا جفف عجيب . ثم قالت : بقي الآن علينا الانتفاع بالدم ، وقد علمت : أن الله عز وجل لم يحرم من الدم المسفوح إلا أكله وشربه . وأن له مواضع يجوز فيها ولا يمنع منها وإن لم أقع على علم ذلك حتى يوضع موضع الانتفاع به ، صار كيه في قلبي وقذى في عيني وهما لا يزالان يعوداني . قال : فلم أثبت أن رؤيتها قد تطلقت وتبسمت فقلت : ينبغي أن يكون قد انفتح لك باب الرأي في الدم . قالت : أجل ذكرت أن عندي قدورا شامية جددا . وقد زعموا : أنه ليس شيء أزغب ولا أزيد في قوتها ، من التلطix بالدم الحار الدميم ، وقد استرحت الآن ، إذ وقع كل شيء في موقعه قال : ثم لقيتها بعد ستة أشهر ، فقلت لها : كيف كان قديد تلك ؟ قالت : بأبي أنت ! لم يجئ وقت القديد بعد لنا في الشحم والآلية والجنوب والعظم المعرق وفي غير ذلك معاش ولكل شيء إبان . (كتاب البخلاء للجاحظ)

كان شيخ خراساني يأكل في بعض المواضع إذ مر به رجل فسلم عليه فرد الشيخ السلام ثم قال : هلم عافاك الله . فتوجه الرجل نحوه فلما رآه الشيخ مقبلا قال له : مكانك ... فإن العجلة من عمل الشيطان . فوقف الرجل ، فقال له الخراساني : ماذا تريد ؟ قال الرجل : أريد أن أتغذى . قال الشيخ : ولم ذاك ؟ وكيف طمعت في هذا ؟ ومن أباح لك مالي ؟ قال الرجل : أوليس قد دعوتني ؟ قال الشيخ : ويحك ، لو ظننت أنك هكذا أحقق ما رددت عليك السلام الأمر هو أن أقول أنا : هلم فتجيب أنت : هنيئا فيكون كلام بكلام . فأما كلام بفعال وقول بأكل فهذا ليس من الإنصاف !!! . (البخلاء للجاحظ)

62- باب الإيثار المواساة

قَالَ اللهُ تَعَالَى : وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ [الحشر: 9] وقال تَعَالَى : وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا [الانسان : 8]. إلى آخر الآيات.

564- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : إِنِّي مَجْهُودٌ ، فَأَرْسَلْ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ ، فَقَالَتْ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُخْرَى . فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ ، حَتَّى قُلْنَا كُلُّنَا مِثْلَ ذَلِكَ : لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ . فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « من يُضَيِّفُ هَذَا اللَّيْلَةَ ؟ » فقال رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ : أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ ، فَأَنْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ ، فَقَالَ لَامِرًا أَتَيْهِ : أَكْرَمِي : ضَيِّفِ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وفي رواية قال لَامِرًا أَتَيْهِ : هل عِنْدَكَ شَيْءٌ ؟ فَقَالَتْ : لَا إِلَّا قُوتٌ صِيبَانِي قَالَ : عَلِّمِهِمْ بِشَيْءٍ وَإِذَا أَرَادُوا الْعِشَاءَ فَتَوَمِّمِهِمْ وَإِذَا دَخَلَ ضَيِّفْنَا ، فَأَطْفِئِي السِّرَاجَ وَأَرِيهِ أَنَا نَأْكُلُ ، فَفَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيِّفُ وَبَاتَا طَائِوِينَ فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فقال : « لَقَدْ عَجَبَ اللهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيِّفِكُمَا اللَّيْلَةَ » متفقٌ عليه .

565- وعنه قال : قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « طَعَامُ الْأَثْنَيْنِ كَافِي الثَّلَاثَةِ ، وَطَعَامُ الثَّلَاثَةِ كَافِي الْأَرْبَعَةِ » متفقٌ عليه. وفي رواية لمسلمٍ رضي الله عنه ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « طَعَامُ الْوَاحِدِ يَكْفِي الْأَثْنَيْنِ ، وَطَعَامُ الْأَثْنَيْنِ يَكْفِي الْأَرْبَعَةَ وَطَعَامُ الْأَرْبَعَةِ يَكْفِي الثَّمَانِيَةَ »

566- وعن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قال : بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ ، فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلٌ ظَهَرَ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ » فَذَكَرَ مِنَ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ « رواه مسلم .

567- وعن سهلِ بنِ سعدٍ رضي الله عنه أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرُودَةٍ مَنَسُوجَةٍ ، فَقَالَتْ : نَسَجْتُهَا بِيَدَيَّ لِأَكْسُو كَهَا ، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا ، فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّهَا لِإِزَارُهُ ، فَقَالَ فَلَانِ اكْسُنِيهَا مَا أَحْسَنَهَا ، فَقَالَ : « نَعَمْ » فَجَلَسَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَجْلِسِ ، ثُمَّ رَجَعَ فَطَوَّأَهَا ، ثُمَّ أَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ : فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ : مَا أَحْسَنَتْ ، لَبِسَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا ، ثُمَّ سَأَلْتَهُ ، وَعَلِمْتُ أَنَّه لَا يَزِدُّ سَائِلًا ، فَقَالَ : إِنِّي وَاللَّهِ مَا سَأَلْتُهُ لِأَلْبَسَهَا ، إِنَّمَا سَأَلْتُهُ لِتَكُونَ كَفَنِي . قال سهلٌ : فَكَانَتْ كَفَنَهُ . رواه البخاري .

568- وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ ، جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ فَبِمِئَةٍ وَأَنَا مِنْهُمْ » متفقٌ عليه . « أَرْمَلُوا » : فَرَعَ زَادُهُمْ ، أَوْ قَارَبَ الْفِرَاعَ .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية :

عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النضير للأَنْصَارِ : إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وتشاركوتهم في هذه الغنيمة وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة فقالت الأنصار : بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فأنزل الله عز وجل ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون . (تفسير البغوي 8 / 77)

عن مجاهد في قوله : ويطعمون الطعام على حبه . قال : وهم يشتهونه . عن سعيد بن جبير في قول الله : مسكينا ویتيما وأسيرا . من أهل القبلة وغيرهم فسألت عطاء فقال مثل ذلك . عن مجاهد وأسيرا . قال : الأسير : هو المحبوس . (تفسير الدر المنثور 24 / 98)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال عمر بن الخطاب (عام الرمادة) : لو لم أجد للناس من المال ما يسعهم إلا أن أدخل على كل أهل بيت عدتهم فيقاسمونهم أنصاف بطونهم حتى يأتي الله بحيان (أي بالخير) فعلت : فإنهم لن يهلكوا عن أنصاف بطونهم . (الطبقات الكبرى لابن سعد 3 / 240)

قال أنس بن مالك : تقرقر بطن عمر بن الخطاب وكان يأكل الزيت عام الرمادة ، وكان حرم عليه السمن ، فنقر بطنه بإصبعه ، قال : تقرقر تقرقر ، إنه ليس لك عندنا غيره حتى يحيا الناس . (الطبقات الكبرى لابن سعد 3 / 238)

ورفع رجل إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما رقعة فقال حاجتك مقضية فقبل له يا ابن رسول الله لو نظرت في رقعته ثم رددت الجواب على قدر ذلك فقال يسألني الله عز وجل عن ذل مقامة بين يدي حتى أقرأ رقعته . (إحياء علوم الدين 3 / 246)

قال شقيق بن إبراهيم البلخي قال لي إبراهيم بن أدهم : أخبرني عما أنت عليه ؟ قلت : إن رزقت أكلت ، وإن منعت صبرت ، قال : هكذا تعمل كلاب بلخ ، فقلت : كيف تعمل أنت ؟ قال : إن رزقت

أثرت وإن منعت شكرت . (المستطرف للابشيبي 1/160)

قال يوسف بن الحسين : من رأى لنفسه ملكا لا يصح منها الإيثار ، لأنه يرى نفسه أحق بالشيء برؤية ملكه ، إنما الإيثار ممن يرى الأشياء كلها للحق : فمن وصل إليه فهو أحق به ، فإذا وصل شيء من ذلك إليه يرى نفسه ويده فيه يد أمانة ، يوصلها إلى صاحبها أو يؤديها إليه .
(عوارف المعارف 2/76)

وعندما توفيت ابنة المهدي جزع عليها جزعا لم يسمع بمثله فجلس الناس يعزونه فجاءه ابن شيبه يوما فقال له : أعطاك الله يا أمير المؤمنين على ما رزئت أجرا ، وأعقبك صبيرا ، ولا أجهد الله بلاءك بنقمة ، ولا نزع منك نعمة ، ثواب الله خير لك منها ، ورحمة الله خير لها منك ، وأحق ما صبر عليه ما لا سبيل إلى رده . (سير أعلام النبلاء 11 / 497 - 468)

قال عبد الله بن عثمان (شيخ البخاري) : ما سألتني أحد حاجة إلا قمت له بنفسي ، فإن تم وإلا قمت له بمالي ، فإن تم وإلا استعنا له بالإخوان فإن تم وإلا استعنت له بالسلطان .
(الآداب الشرعية 2 / 180)

قال أبو عبد الله الجهمي : المواساة تجديد للمواخاة . (الفتوة - أبو عبد الرحمن السلمي 93)

المنيعي حسان بن سعيد المخزومي عندما أراد أن يبني جامعا أتته امرأة بثوب لتبيعه وتنفق ثمنه في بناء ذلك الجامع وكان الثوب لا يساوي أكثر من نصف دينار فطيب خاطرها واشتراه منها بألف دينار وخبأ الثوب كفننا له . (السير للذهبي 18 / 266) سئل ذوالنون المصري : ما حد الزاهد المنشرح صدره ؟ قال ثلاث : تفريق المجموع ، وترك طلب المفقود ، والإيثار عند القوت . (القرطبي 18/27)
قال محمد بن واسع : ما رددت أحدا عن حاجة أقدر على قضائها ولو كان فيها ذهاب مالي .
(قضاء الحوائج 64)

قال ابن السماك : عجبت لمن يشتري الممالك بماله ولا يشتري الأحرار بمعروفه . (الإحياء 3 / 246)

قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله : المواساة من أخلاق المؤمنين . (حلية الأولياء 7 / 370)

قال ابن قتيبة رحمه الله : لا حصنت النعم بمثل المواساة . (عيون الأخبار 1 / 388)

قال الغزالي : والإيثار أعلى درجات السخاء . (إحياء علوم الدين 3 / 258)

قال ابن تيمية : وأما الإيثار مع الخصاصة فهو أكمل من مجرد التصدق مع المحبة فإنه ليس كل

متصدق محبا مؤثرا ولا كل متصدق يكون به خصاصة بل قد يتصدق بما يحب مع اكتفائه ببعضه مع محبة لا تبلغ به الخصاصة . (منهاج السنة النبوية 7 / 129)

قَالَ حَمَّادُ عَجْرَدٍ : (الشَّعْرُ وَالشَّعْرَاءُ لِابْنِ قُتَيْبَةَ 2 / 767)

إِنَّ الْكَرِيمَ لِيُخْفِي عَنْكَ عُسْرَتِهِ *** حَتَّى يَخَالَ غَنِيًّا وَهُوَ مَجْهُودٌ

وَلِلْبَخِيلِ عَلَى أَمْوَالِهِ عِلَلٌ زُرُقٌ *** الْعُيُونُ عَلِمَهَا أَوْجُهُ سُودٌ

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّالِفِ :

لما طعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قال لابنه عبد الله : اذهب إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقل : يقرأ عمر ابن الخطاب عليك السلام ثم سلها أن أدفن مع صاحبي . قالت : كنت أريده نفسي فلاوترنه اليوم على نفسي . فلما أقبل ، قاله : ما لديك ؟ قال : أذنت لك يا أمير المؤمنين قال : ما كان شيء أهم إلى من ذلك المضجع فإذا قبضت فاحملوني ثم سلموا ثم قل : يستأذن عمر بن الخطاب فإن أذنت لي فادفنونني وإلا فردوني إلى مقابر المسلمين . (374 البخاري 1392)

قال ابن الأعرابي : استشهد باليرموك عكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام وجماعة من بني المغيرة فأتوا بماء وهم صرعى فتدافعوه حتى ماتوا ولم يدوقوه . قال : أتى عكرمة بالماء فنظر إلى سهيل بن عمرو ينظر إليه فقال : ابدؤوا بذا فنظر سهيل إلى الحارث بن هشام ينظر إليه فقال : ابدؤوا بهذا فماتوا كلهم قبل أن يشربوا فمر بهم خالد بن الوليد فقال : بنفسى أنتم . (مختصر تاريخ دمشق لابن منظور 1 / 1428)

مرض ابن عمر فاشتبهى عنبا أول ما جاء العنب فأرسلت صفية يعني امرأته فاشتريت عنقودا بدرهم ، فاتبع الرسول السائل ، فلما دخل به ، قال السائل : السائل . فقال ابن عمر : أعطوه إياه . فأعطوه إياه . ثم أرسلت بدرهم آخر ، فاشتريت عنقودا ، فاتبع الرسول السائل ، فلما دخل ، قال السائل : السائل . فقال ابن عمر : أعطوه إياه . فأعطوه إياه . فأرسلت صفية إلى السائل ، فقالت : والله إن عدت لا تصيب منه خيرا أبدا . ثم أرسلت بدرهم آخر فاشتريت به . واشتبهى يوما سمكة ، وكان قد نقه من مرض فالتمسست بالمدينة ، فلم توجد حتى وجدت بعد مدة واشترت بدرهم ونصف ، فشويت وجمي بها على رغيغ ، فقام سائل بالباب ، فقال ابن عمر للغلام لفيها برغيغها وادفعها إليه . فأبى الغلام ، فرده وأمره بدفعها إليه ، ثم جاء به فوضعها بين يديه وقال : كل هنيئا يا أبا عبد الرحمن ، فقد أعطيته درهما وأخذتها . فقال : لفيها وادفعها إليه ولا تأخذ منه الدرهم . (تاريخ دمشق 31 / 142)

قال ابن عمر: أهدي لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة ، فقال : إن أخي فلانا وعياله أحوج إلى هذا منا . فبعث به إليهم ، فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى تداولها أهل سبعة أبيات حتى رجعت إلى الأول ، فنزلت : (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) (الحشر 9) . (شعب الإيمان للبيهقي 378)

خرج عبد الله بن جعفر إلى ضيعة له فنزل على نخيل قوم وفيه غلام أسود يعمل فيه إذ أتى الغلام بقوته فدخل الحائط كلب ودنا من الغلام فرمى إليه الغلام بقرص فأكله ثم رمى إليه الثاني والثالث فأكله وعبد الله ينظر إليه فقال : يا غلام كم قوتك كل يوم ؟ قال : ما رأيت . قال : فلم آثرت به هذا الكلب ؟ ! قال : ما هي بأرض كلاب إنه جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت أن أشبع وهو جائع . قال : فما أنت صانع اليوم ؟ ! قال : أطوي يومي هذا . فقال عبد الله بن جعفر : آلم على السخاء ! إن هذا الغلام لأسخى مني . فاشترى الحائط والغلام وما فيه من الآلات فأعتق الغلام ووهبه منه . (إحياء علوم الدين 3 / 258)

وروى أن مسروقاً أداً دينا ثقيلاً ، وكان على أخيه خيثمة دين ، قال : فذهب مسروق فقضى دين خيثمة ، وهو لا يعلم وذهب خيثمة فقضى دين مسروق وهو لا يعلم . (إحياء علوم الدين 2 / 174)

وقال عباس بن دهقان : ما خرج أحد من الدنيا كما دخلها إلا بشرابن الحارث ؛ فإنه أتاه رجل في مرضه ، فشكا إليه الحاجة ، فنزع قميصه وأعطاه إياه ، واستعار ثوباً فمات فيه . (إحياء علوم الدين 3 / 258)

قال الخلال : حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، قال : قال أبو سيعد بن أبي حنيفة المؤدب : كنت أتى أباك فيدفع إلى الثلاثة دراهم وأقل وأكثر ويقعد معي ، فيتحدث ، وربما أعطاني الشيء ، ويقول : أعطيتك نصف ما عندنا . فجئت يوماً ، فأطلت القعود أنا وهو . قال : ثم خرج ومعه تحت كساءه أربعة أرغفة . فقال : هذا نصف ما عندنا . فقلت : هي أحب إلي من أربعة آلاف من غيرك . (سير أعلام النبلاء 21 / 260)

عن أبي الحسن الأنطاكي : أنه اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلاً بقرية من قرى الري ، ومعهم أرغفة معدودة لا تشبع جميعهم ، فكسروا الرغفان ، وأطفئوا السراج ، وجلسوا للطعام ، فلما رفع فإذا الطعام بحاله لم يأكل منه أحد شيئاً إيثاراً لصاحبه على نفسه . (تفسير السراج المنير للخطيب الشربيني 4 / 264)

قال قبيصة : حدثني صاحب لنا أن امرأة من أهل داود الطائي صنعت ثريدة بسمن ، ثم بعثت بها

إلى داود حين إفطاره مع جارية لها ، وكان بينها وبينهم رضاع ، قالت الجارية : فأتيته بالقصعة فوضعتها بين يديه في الحجر ، قال : فسعى ليأكل منها ، فجاء سائل فوقف على الباب ، فقام فقدمها إليه ، وجلس معه على الباب حتى أكلها ، ثم دخل فغسل القصعة ، ثم عمد إلى تمر كان بين يديه - قالت الجارية : ظننت أنه كان أعده لعشائه - فوضعه في القصعة ودفعتها إلي ، وقال : أقرئها السلام ، قالت الجارية : ودفعت إلى السائل ما جئناه به ، ودفعت إلينا ما أراد أن يفطر عليه ، قالت : وأظنه ما بات إلا طاويا ، قال قبيصة : كنت أراه قد نحل جدا . (الحلية (تهذيبه) 2 / 463)

وعن سليمان قال : جاء رجل من أهل الشام ، فقال : دلوني على صفوان بن سليم رحمه الله ، فإني رأيتُه دخل الجنة . قيل له : بأي شيء ؟ قال : بقميص كساه إنسانا ، فسأل بعض إخوان صفوان صفوانا عن قصة القميص . فقال : خرجت من المسجد في ليلة باردة وإذا برجل عار فتزعت قميصي فكسوته . (حلية الأولياء 1 / 499)

وعن فائقة بنت عبد الله أنها قالت : بينا أنا يوما عند المهدي وكان قد خرج متنزها إلى الأنبار إذ دخل عليه الربيع ومعه قطعة من جراب فيه كتاب برماد وختم من طين قد عجن بالرماد ، وهو مطبوع بخاتم الخلافة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما رأيت أعجب من هذه الرقعة ، جاءني بها رجل أعرابي وهو ينادي : هذا كتاب أمير المؤمنين المهدي ، دلوني على هذا الرجل الذي يسمى الربيع فقد أمرني أن أدفعها إليه - أعني هذه الرقعة - . فأخذها المهدي وضحك وقال : صدق هذا خطي وهذا خاتمي ، أفلا أخبركم بالقصة ؟ قلنا : يا أمير المؤمنين ، رأيك أعلى عينا في ذلك . قال : خرجت أمس إلى الصيد في غب سماء ، فلما أصبحت هاج علينا ضباب شديد وفقدت أصحابي حتى ما رأيت منهم أحدا ، وأصابني من البرد والجوع والعطش ما الله به أعلم ، وتحيرت عند ذلك فذكرت دعاء سمعته من أبي ، عن أبيه ، عن جدة ، عن ابن عباس ، قال : من قال إذا أصبح وإذا أمسى : بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله " اعتصمت بالله وتوكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم " وقى وكفى وشفي من الحرق والغرق والهدم وميتة السوء . فلما قلتها دفع لي ضوء نار فقصدتها ، فإذا بهذا الأعرابي في خيمة له ، وإذا هو يوقد نارا بين يديه ، فقلت : أيها الأعرابي هل من ضيافة ؟ قال : انزل ، فنزلت ، فقال لزوجته : هاتي ذاك الشعير ، فأنته به ، فقال : اطحنيه ، فابتدأت بطحنه ، فقلت له : اسقني ماء ، فجاء بسقاء فيه مذقة من لبن أكثره ماء ، فشربت منها شربة ما شربت قط شيئا إلا وهو أطيب منه ، قال : فأعطاني حلسا له فوضعت رأسي عليه ، فنمت نومة ما نمت نومة أطيب منها وألذ ، ثم انتهت فإذا هو قد وثب إلى شويمة فذبحها ، وإذا امرأته تقول له : ويحك قتلت نفسك وصبيتك إنما كان معاشكم من هذه الشاة فذبحتها فبأي شيء نعيش ؟ قال : فقلت : لا عليك هات الشاة ، فشققت جوفها واستخرجت كبدها بسكين في

خفي فشرحتها ثم طرحتها على النار فأكلتها ، ثم قلت : هل عندك شيء أكتب لك فيه ؟ فجاءني بهذه القطعة وأخذت عودا من الرماد الذي كان بين يديه ، فكتبت له هذا الكتاب وختمته بهذا الخاتم وأمرته أن يجيء ويسأل عن الربيع فيدفعها إليه فإذا في الرقعة خمسمائة ألف درهم ، فقال : لا والله ما أردت إلا خمسين ألف درهم ، ولكن جرت بخمسمائة ألف درهم ، لا أنقص والله منها درهما واحدا ولو لم يكن في بيت المال غيرها أحملوها معه . فما كان إلا قليلا حتى تكثرت إبله وشاؤه ، وصار منزلا من المنازل تنزله الناس من أراد الحج من الأنبار إلى مكة ، وسمي مضيف أمير المؤمنين المهدي . (المنتظم 8 / 211 - 212)

63- باب التنافس في أمور الآخرة والاستكثار مما يتبرك فيه

قَالَ اللهُ تَعَالَى : وَفِي ذَلِكَ فَلَيْتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ [المطففين : 26] .

569- وعن سهل بن سعيد رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى بِشَرَابٍ ، فَشَرِبَ مِنْهُ وَعَنْ يَمِينِهِ غُلامٌ ، وَعَنْ يساره الْأَشْيَاحُ ، فَقَالَ لِلْغُلامِ : « أَتَأذُنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هُؤُلاءِ؟ فَقالَ الْغُلامُ : لا وَاللَّهِ يا رَسُولَ اللهِ لا أُؤْذِرُ بِنَصِيبي مِنْكَ أَحَدًا ، فَتَلَّهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي يَدِهِ . متفقٌ عليه . « تَلَّهُ » بالتاء المثناة فوق ، أَي : وَضَعَهُ ، وَهَذَا الْغُلامُ هُوَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما .

570- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « بَيْنَا أُيُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا ، فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ ، فَجَعَلَ أُيُوبُ يَجْثِي فِي ثُوبِهِ ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ عَزَّوَجَلَّ : يا أَيُّوبُ ، أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى ؟ ، قال : بَلَى وَعَزَّتْكَ ، وَلَكِنْ لا غِنَى لِي عَنْ بَرَكَتِكَ » رواه البخاري .

الأثار الواردة في الآيات القرآنية :

(وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) فليرغب الراغبون بالمبادرة إلى طاعة الله عز وجل . وقال مجاهد : فليعمل العاملون ، نظيره قوله تعالى : (لمثل هذا فليعمل العاملون) (الصافات 61) وقال مقاتل بن سليمان : فليتنازع المتنازعون وقال عطاء : فليستبق المستبقون ، وأصله من الشيء النفيس الذي تحرص عليه نفوس الناس ويريده كل أحد لنفسه وينفس به على غيره أي يرضن . (تفسير البغوي 8 / 368)

الأثار الواردة في عنوان الباب :

قول محارب بن دثار: صحبنا القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود إلى بيت المقدس ، فكان يفضلنا بكثرة الصلاة وطول الصمت والسخاء . (سير أعلام النبلاء 5 / 196)

عن ابن عمر: إنه سمع رجلا يقول: أين الزاهدون في الدنيا، الراغبون في الآخرة؟ فأراه قبر النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر؛ وقال: عن هؤلاء تسأل؟ (حلية الأولياء 1/360)

عن مجاهد قال: كنت أمشي مع ابن عمر، فمر على خربة؛ فقال: قل يا خربة: ما فعل أهلك؟ فقلت: يا خربة، ما فعل أهلك؟ فقال ابن عمر: ذهبوا، وبقيت أعمالهم. (حلية الأولياء 1/312)

قال ابن عمر: لا يصيب عبد شيئا من الدنيا إلا نقص درجاته عند الله عز وجل وإن كان عليه كريما. (حلية الأولياء 1/360)

كان عامر بن عبد الله، يقول: في الدنيا: الغموم والأحزان، وفي الآخرة: النار والحساب؛ فأين الراحة والفرح؟ إلهي، خلقتني، ولم تؤامرني في خلقي، وأسكنتني بلايا الدنيا، ثم قلت لي: استمسك؛ فكيف استمسك إن لم تمسكني؟ إلهي، إنك لتعلم: أن لو كانت لي الدنيا بحذافيرها، ثم سألتنيها، لجعلتها لك؛ فهب لي نفسي. (حلية الأولياء 2/88)

قال موهب بن عبد الله: لما استخلف عمر بن عبد العزيز كتب إليه الحسن البصري كتابا بدأ فيه بنفسه: أما بعد، فإن الدنيا دار مخيفة، إنما أهبط آدم من الجنة إليها عقوبة واعلم، أن صرعتها ليست كالصرعة، من أكرمها يهن، ولها في كل حين قتيل؛ فكن فيها يا أمير المؤمنين كالمداوى جرحه، يصبر على شدة الدواء، خيفة طول البلاء؛ والسلام. (حلية الأولياء 2/148)

عن سعيد بن المسيب قال: إن الدنيا نذلة، وهي إلى كل نذل أميل وأنذل منها: من أخذها بغير حقها، وطلبها بغير وجهها، ووضعها في غير سبيلها. (حلية الأولياء 2/170)

قال سفيان بن عيينة: إني لأشتبي من عمري كله أن أكون سنة مثل ابن المبارك فما أقدر أن أكون ولا ثلاثة أيام. (سير أعلام النبلاء 8/389)

ويقول ابن عيينة: نظرت في أمر الصحابة وأمر عبد الله بن المبارك فما رأيت لهم عليه فضلا إلا بصحبتهم النبي صلى الله عليه وسلم وغزوهم معه. (سير أعلام النبلاء 8/390)

قال مالك بن دينار: إنما طلب العابدون بطول النصب دوام الراحة، وطلب الزاهدون بطول الزهد طول الغنى. (المجالسة وجواهر العلم 2/70)

وقال حوشب لمالك بن دينار: رأيت كأن مناديا ينادي الرحيل، الرحيل، فما ارتحل إلا محمد بن واسع، فبكى مالك بن دينار رحمه الله. (سير أعلام النبلاء 6/121)

يقول ابن القيم : المصالح والخيرات واللذات والكمالات كلها لا تنال إلا بحظ من المشقة ، ولا يعبر إليها إلا على جسر من التعب ، وقد أجمع عقلاء كل أمة على أن النعيم لا يدرك بالنعيم ، وأن من أثر الراحة فاتته الراحة ، وأنه بحسب ركوب الأهوال واحتمال المشاق تكون الفرحة واللذة ، فلا فرحة لمن لا هم له ، ولا لذة لمن لا صبر له ، ولا نعيم لمن لا شقاء له ، ولا راحة لمن لا تعب له ، بل إذا تعب العبد قليلا استراح طويلا ، وإذا تحمل مشقة الصبر ساعة قاده لحياة الأبد ، وكل ما فيه أهل النعيم المقيم فهو صبر ساعة ، والله المستعان ، ولا قوة إلا بالله ، وكلما كانت النفوس أشرف والهمة أعلى كان تعب البدن أوفروحظه من الراحة أقل . (مفتاح دار السعادة 372)

قال ابو الفتح البستي : (بهجة المجالس لأبي عبد الله الأثري ٥٢)

- | | | |
|---|-----|--|
| زِيَادَةُ الْمَرْءِ فِي دُنْيَاهُ نُقْصَانُ | *** | وَرِيحُهُ غَيْرَ مَحْضِي الْخَيْرِ خُسْرَانُ |
| وَكُلُّ وَجْدَانٍ حَظٌّ لَا ثَبَاتَ لَهُ | *** | فَإِنَّ مَعْنَاهُ فِي التَّحْقِيقِ فَقْدَانُ |
| يَا عَامِرًا لِحَرَابِ الدَّارِ مُجْتَهِدًا | *** | يَا لِلَّهِ هَلْ لِحَرَابِ الْعُمَرِ عُمْرَانُ |
| وَيَا حَرِيصًا عَلَى الْأَمْوَالِ تَجْمَعُهَا | *** | أُنْسِيَتْ أَنَّ سُرُورَ الْمَالِ أَحْزَانُ |
| رَحِ الْفُؤَادَ عَنِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا | *** | فَصَفْوُهَا كَدْرُ وَالْوَصْلُ هِجْرَانُ |
| وَأَرِحْ سَمْعَكَ أَمْثَالًا أَفْصَلَهَا | *** | كَمَا يُفْصَلُ يَأْقُوتُ وَمَرْجَانُ |
| يَا خَادِمَ الْجِسْمِ كَمْ تَشْقَى خِدْمَتِهِ | *** | أَتَطْلُبُ الرِّيحَ فِيمَا فِيهِ خُسْرَانُ |
| أَقْبِلْ عَلَى النَّفْسِ اسْتَكْمِلْ فِضَائِلَهَا | *** | فَأَنْتَ بِالنَّفْسِ لَا بِالْجِسْمِ إِنْسَانُ |
| وَإِنْ أَسَاءَ مُبِيءٌ فَلْيَكُنْ لَكَ فِي | *** | عُرُوضِ زَلَّتِهِ صَفْحٌ وَعُفْرَانُ |
| وَكُنْ عَلَى الدَّهْرِ مَعُونًا لِيَذِي أَمَلٍ | *** | يَرْجُونَ دَاكَ فَإِنَّ الْحَرَمِ مَعُونُ |
| وَأَشْدُدْ يَدَيْكَ بِحَبْلِ اللَّهِ مُعْتَصِمًا | *** | فَإِنَّهُ الرُّكْنُ إِنْ خَانَتْكَ أَرْكَانُ |
| مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُحْمَدُ فِي عَوَاقِبِهِ | *** | وَيَكْفِهِ شَرَّ مَنْ عَزَّوَا وَمَنْ هَانُوا |
| مَنْ اسْتَعَانَ بِغَيْرِ اللَّهِ فِي طَلَبٍ | *** | فَإِنَّ نَاصِرَهُ عَجَزٌ وَخِذْلَانُ |
| مَنْ كَانَ لِلْخَيْرِ مَنَاعًا فَلَيْسَ لَهُ | *** | عَلَى الْحَقِيقَةِ إِخْوَانٌ وَأَخْدَانُ |

مَنْ جَادَ بِالْمَالِ مَالَ النَّاسِ قَاطِبَةً *** إِلَيْهِ وَالْمَالُ لِلْإِنْسَانِ فَتَانٌ

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

كان عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في جملة من أصحابه وقد وضعوا سفرة للطعام ليأكلوه ، فمر بهم راع يرعى الغنم بذلك المكان ، فدعوه ليأكل معهم ويشاركهم على مائدتهم فقال لهم الراعي لما دعوه معتذرا : إني صائم فعجب ابن عمرو وقال : في مثل هذا اليوم الشديد حره وأنت وحدك بين هذه الشعاب في آثار هذه الغنم ؟ ! فقال الراعي : أبادر أيامي هذه الخالية فعجب منه ابن عمر . (لطائف المعارف 1 / 323)

عن صالح بن موسى الطلحي عن أبيه قال اجتهد الأشعري قبل موته اجتهدا شديدا فقبل له : لو أمسكت ورفقت بنفسك بعض الرفق ، فقال : إن الخيل إذا أرسلت فقاربت رأس مجراها ، أخرجت جميع ما عندها ، والذي بقي من أجلي أقل من ذلك . قال : فلم يزل على ذلك حتى مات رضي الله عنه . (تبیین كذب المفتري حديث 93)

عن سعيد بن أبي عروبة قال : حج الحجاج فنزل بعض المياه بين مكة والمدينة ودعا بالغداء فقال لحاجبه ، أبصر من يتغذى معي وأسأله عن بعض الأمر ، فنظر نحو الجبل فإذا هو بأعرابي بين شملتين من شعر نائم ، فضربه برجله وقال : انت الأمير فأتاه فقال له الحجاج : اغسل يدك وتغدا معي فقال إنه دعاني من هو خير منك فأجبتة ، قال ومن هو ؟ قال الله تبارك وتعالى دعاني إلى الصوم فصمت قال : في هذا الحر الشديد ! قال : نعم صمت ليوم هو أشد حرا من هذا اليوم ، قال : فأفطر وتصوم غدا ، قال : إن ضمننت لي البقاء إلى غد ، قال : ليس ذاك إلي ، وقال رشاء بن نظيف : ذلك إلي ؟ قال : فكيف تسألني عاجلا بأجل لا تقدر عليه ، قال : إنه طعام طيب ، قال : لم تطيبه أنت لو الطباخ ولكن طبيته العافية . (المجالسة وجواهر العلم 1 / 448)

قال أبو أحمد القلابسي : فرق رجل أربعين ألفا على الفقراء فقال أحد الزهاد للقلابسي : أما ترى ما أنفق هذا وما قد عمله ونحن لا نرجع إلى شيء ننفقه ما عندنا شيء ، فامض بنا إلى موضع يقول : فذهبتنا إلى المدائن فصلينا أربعين ألف ركعة . (سير اعلام النبلاء 13 / 171)

نزل روح بن زبناع منزلا بين مكة والمدينة في حر شديد خرج عليه راع من وراء جبل ، فقال له : يا راع : هلم إلى الغداء قال : إني صائم قال : أفصوم في هذا الحر ؟ ! قال : أفأدع أيامي تذهب باطلا ؟ ! فقال روح : لقد ضمننت بأياملك يا راع إذ جاد بها روح بن زبناع . (لطائف المعارف 1 / 323 - موسوعة بن أبي الدنيا 3 / 346)

64- باب فضل الغني الشاكر وهو من أخذ المال من وجهه وصرفه في وجوهه المأمور بها

قَالَ اللهُ تَعَالَى: فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى [الليل : 5-7] ، وقال تَعَالَى : وَسَيَجْزِيهَا الْآتَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى [الليل : 17-21] ، وقال تَعَالَى : إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ [البقرة : 271] ، وقال تَعَالَى : لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ [آل عمران : 92] والآيات في فضل الإنفاق في الطاعات كثيرة معلومة .

571- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالا ، فسأطه على هلكته في الحق . ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها » متفق عليه وتقدم شرحه قريبا .

572- وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله القرآن ، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار . ورجل آتاه الله مالا . فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار » متفق عليه . « الآتاء » الساعات .

573- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالوا : ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى . والنعيم المقيم . فقال : « وما ذاك ؟ » فقالوا : يصلون كما نصلي ، ويصومون كما نصوم . ويتصدقون ولا نتصدق ، ويعتقون ولا نعتق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفلا أعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم ، وتسبقون به من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : « تسبحون ، وتحمدون وتكبرون ، دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين مرة » فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ، ففعلوا مثله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » متفق عليه ، وهذا لفظ رواية مسلم . « الدثور » : الأموال الكثيرة ، والله أعلم .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية :

قوله تعالى : فأما من أعطى واتقى قال ابن مسعود : يعني أبا بكر رضي الله عنه وقاله عامة المفسرين . فروي عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال : كان أبو بكر يعتق على الإسلام عجائز ونساء ،

قال : فقال له أبو قحافة : أي بني لو أنك أعتقت رجلا جلدا يمنعونك ويقومون معك ؟ فقال : يا أبت إنما أريد ما أريد . وعن ابن عباس في قوله تعالى : فأما من أعطى أي بذل . واتقى أي محارم الله التي نهى عنها . وصدق بالحسنى أي بالخلف من الله تعالى على عطائه . فسنيسره لليسرى . وصدق بالحسنى أي بلا إله إلا الله قاله الضحاك والسلمي وابن عباس أيضا . وقال مجاهد : بالجنة دليله قوله تعالى : للذين أحسنوا الحسنى وزيادة . الآية . وقال قتادة : بموعد الله الذي وعده أن يثيبه . زيد بن أسلم : بالصلاة والزكاة والصوم قوله تعالى : فسنيسره لليسرى أي نرشده لأسباب الخير والصالح ، حتى يسهل عليه فعلها . وقال زيد بن أسلم : لليسرى للجنة . (تفسير القرطبي 20 / 74)

عن عروة أن أبا بكر الصديق أعتق سبعة كلهم يعذب في الله بلال وعامر بن فهيرة والنهدية وابتها وزنيرة وأم عبيس وأمة بني المؤمل وفيه نزلت وسيجنها الأتقى إلى آخر السورة . عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال : قال أبو قحافة لأبي بكر : أراك تعتق رقابا ضعافا فلو أنك إذ فعلت ما فعلت أعتقت رجلا جلدا يمنعونك ويقومون دونك فقال : يا أبت إنما أريد ما أريد فنزلت هذه الآية فيه : فأما من أعطى واتقى إلى قوله : وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى . (تفسير الدر المنثور 15 / 477)

عن ابن عباس قوله : إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم . فجعل الله صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها بسبعين ضعفا ، وجعل صدقة الفريضة : علانيتها أفضل من سرها ، يقال بخمسة وعشرين ضعفا ، وكذلك جميع الفرائض والنوافل في الأشياء كلها . عن قتادة قوله : إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم . كل مقبول إذا كانت النية صادقة وصدقة السر أفضل . وذكرنا أن الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار . (تفسير الطبري 5 / 583)

عن أنس قال : لما نزلت هذه الآية : لن تنالوا البرحتى تنفقوا مما تحبون أو هذه الآية : من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا . قال أبو طلحة : يا رسول الله ، حائطي الذي بكذا وكذا صدقة ، ولو استطعت أن أسره لم أعلنه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اجعله في فقراء أهل كعب ابن عمر قال : حضرتني هذه الآية : لن تنالوا البرحتى تنفقوا مما تحبون . فذكرت ما أعطاني الله فلم أجد شيئا أحب إلي من مرجانة جارية لي رومية ، فقلت : هي حرة لوجه الله ، فلو أني أعود في شيء جعلته لله لنكحها فأنكحها نافعا . عن محمد بن المنكدر قال : لما نزلت هذه الآية : لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون جاء زيد بن حارثة بفرس له يقال لها : سبل - لم يكن له مال أحب إليه منها - فقال : هي صدقة . فقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمل عليها ابنه أسامة ، فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك في وجه زيد فقال : إن الله قد قبلها منك . كان ابن عمر يشترى السكر

فيتصدق به ، فنقول له : لو اشتريت لهم بثمانه طعاما كان أنفع لهم من هذا . فيقول : أني أعرف الذي تقولون ، ولكن سمعت الله يقول : لن تنالوا البرحتى تنفقوا مواتحبون . وأن ابن عمر يحب السكر . (تفسيرالدرالمنثور3/ 661 - 666)

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قال علي بن أبي طالب : أن النعمة موصولة بالشكر ، والشكر يتعلق بالمزيد ، وهما مقرونان في قرن ، فلن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد . (عدة الصابرين لابن القيم 123)

عن علي بن أبي طالب قال لهودين سألته عن الدرهم لم سعى درهما ، وعن الدينار لم سعى دينارا قال : أما الدرهم فسي درهم ، وأما الدينار ، فضربته المجوس فسمته دي نارا . (تاريخ بغداد 9/ 333)

قال أبو الدرداء رضي الله عنه : من لم يعرف نعمة الله عليه إلا في مطعمه ومشربه فقد قل علمه ، وحضر عذابه . ومن لم يكن غنيا عن الدنيا فلا دنيا له . (الحلية (تهذيبه) 1/ 167)

قال ابن عمر رضي الله عنه ، : لعلنا نلتقي في اليوم مرارا ، ليسكن بعضنا ببعض ، وأن نتقرب بذلك ، إلا لنحمد الله عزجل . (موسوعة ابن أبي الدنيا 1/ 493)

وقال الحسن البصري رحمه الله لفرقد السبخي : يا أبا يعقوب ، بلغني أنك لا تأكل الفالودج . فقال : يا أبا سعيد ، أخاف ألا أؤدي شكره . فقال : يا لكع ! وهل تؤدي شكر الماء البارد في الصيف والجار في الشتاء ! أما سمعت قول الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) (البقرة 172) . (عيون الأخبار3/ 204)

وكان الحسن يقول إذا ابتداء حديثه : الحمد لله اللهم ربنا لك الحمد كما خلقتنا ورزقتنا وهديتنا وعلمتنا وأنقذتنا وفرجت عنا لك الحمد بالإسلام والقرآن ولك الحمد بالأهل والمال والمعافاة كبت عدونا وبسطت رزقنا وأظهرت أمننا وجمعت فرقتنا وأحسننت معافاتنا ، ومن كل - والله - ما سألتناك ربنا أعطيتنا ، فلك الحمد على ذلك حمدا كثيرا ، لك الحمد بكل نعمة أنعمت بها علينا في قديم أو حديث ، أو سر أو علانية ، أو خاصة أو عامة ، أو حي أو ميت ، أو شاهد أو غائب ، لك الحمد حتى ترضى ، ولك الحمد إذا رضيت . (موسوعة ابن أبي الدنيا 1/ 467 ، 468)

وعن الحسن رحمه الله ، قال : إن الله عزوجل ليمتع بالنعمة بما شاء ، فإذا لم يشكر قلبها عليها عذابا . (موسوعة ابن أبي الدنيا 1/ 480)

وعن الحسن رحمه الله : (إن الإنسان لربه لكنود) (العاديات 6) قال للكفور : يعدد المصائب وينسى النعم . (موسوعة ابن أبي الدنيا 1 / 483)

قال أبو سليمان الواسطي : ذكر النعمة يورث الحب لله عزوجل . (موسوعة ابن أبي الدنيا 1 / 471)

وعن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، قال : ما قلب عمر بن عبد العزيز رحمه الله بصره إلى نعمة أنعم الله - عز وجل - بها عليه إلا قال : اللهم إني أعوذ بك أن أبدل نعمتك كفرا ، أو أكفرها بعد معرفتها ، أو أنساها فلا أثني بها . (موسوعة ابن أبي الدنيا 1 / 486)

وقال سفيان بن عيينة رحمه الله : إن من شكر الله على النعمة أن تحمده عليها ، وتستعين بها على طاعته ، فما شكر الله من استعان بنعمته على معصيته . (الحلية (تهذيبه) 2 / 430)

قال أبي العالية رحمه الله : ما أدري أي النعمتين أفضل ، أن هداني الله للإسلام أو عافاني من هذه الأهواء ؟ . (الحلية (تهذيبه) 1 / 367)

وعن سفيان رحمه الله في قول : (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) (القلم 44) ، قال : نسيغ عليهم النعم ومنعمهم الشكر . وقال غير سفيان : كلما أحدثوا ذنبا أحدثت لهم نعمة . قال ابن داود : ونسوا . (موسوعة ابن أبي الدنيا 1 / 504)

قال سفيان الثوري رحمه الله : كان يقال سمي المال ؛ لأنه يميل . (تاريخ بغداد 4 / 44)

عن أبي محمد الجريدي قال : أنه سئل عن الفقر والغنى أيهما أفضل ؟ فقال : لو لم يكن من فضل الفقر إلا ثلاث : إسقاط المطالبة ، وقطع عن المعصية ، وتقديم الدخول إلى الجنة لكفى . فنقل هذا الكلام إلى أبي العباس بن عطاء فقال : يا سبحان الله ، وأي فضل يكون أفضل مما أضافه الله إلى نفسه ؟ وأي شيء يكون أعجز من شيء تنافي الله عنه لأن الله أضاف الغني إلى نفسه ، وتنافي عن الفقر ، واعتد على نبيه فقال : (ووجدك عائلا فأغني) (الضحى 8) ولم يقل فأفقر ، فكان اعتداد الله بالعطاء لا بالفقر ، ثم ذكر عند موضع تشریف أسماء العطاء إن ترك خيرا ، ولم يقل إن ترك فقرا ، ثم قال بعد ذلك : فإن احتج محتج بأنه عرض عليه مفاتيح الدنيا فلم يقبلها ولم يردها وتركها اختيارا فهذا صفة التاركين ، والتارك لا يكون إلا غنيا . (تاريخ بغداد 5 / 28)

وعن كعب رحمه الله ، قال : ما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فشكرها لله وتواضع بها الله ، إلا أعطاه الله نفعها في الدنيا ، ورفع له بها درجة في الآخرة ؛ وما أنعم الله على عبد من نعمة في

الدنيا فلم يشكرها لله ، ولم يتواضع بها لله ، إلا منعه الله نفعها في الدنيا ، وفتح له طبقا من النار ، يعذبه إن شاء ، أو يتجاوز عنه . (موسوعة ابن أبي الدنيا 1 / 526)

وعن محمد بن سعيد قال : سمعت الجنيد بن محمد رحمه الله يقول - وسئل عن حقيقة الشكر - فقال : ألا يستعان بشيء من نعمة على معاصيه . (حلية الأولياء 3 / 380)

قال المنكدر: كان محمد بن المنكدر يقوم من الليل ، فيتوضأ ، ثم يدعو ، فيحمد الله عزوجل ويثني عليه ، ويشكره ، ثم يرفع صوته بالذكر ؛ ف قيل له : لم ترفع صوتك ؟ قال : إن لي جاراً يشتكى ، يرفع صوته بالوجع وأنا أرفع صوتي بالنعمة . (حلية الأولياء 3 / 146)

كان علي بن عاصم التميمي من ذوي الأموال والاتساع في الدنيا ولم يزل ينفق في طلب العلم ، ويوسع على أهله . (سير أعلام النبلاء 9 / 251)

قال مطرف : لأن أعافى فأشكر ، أحب إلي من أن أبتلى فأصبر . (مختصر منهاج الصابرين 295)

قال الفيروز آبادي : الشكر أعلى منازل السالكين ، وفوق منزلة الرضا فإنه يتضمن الرضا وزيادة الرضا مندرج في الشكر ، إذ يستحيل وجود الشكر بدونه ، وهو نصف الإيمان ومبناه على خمس قواعد . حبه له - اعترافه بنعمته - الثناء عليه - خضوع الشاكر للمشكور . ألا يستعملها فيما يكره ، فمتى فقد منها واحدة اختلفت قاعدة من قواعد الشكر . (بصائر ذوي التمييز 3 / 334)

قال المناوي : الشكر شكران : شكر باللسان وهو الثناء على المنعم ، والآخر شكر بجميع الجوارح وهو مكافأة النعمة بقدر الاستحقاق والشكور الباذل وسعه في أداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه اعتقادا واعترافا . (التوقيف على مهمات التعريف 206 - 207)

قال ابن القيم : الشكر ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناء واعترافا ، وعلى قلبه شهودا ومحبة ، وعلى جوارحه انقيادا وطاعة . (مدارج السالكين 2 / 224)

قَالَ الشَّاعِرُ: (جَوَاهِرُ الْأَدَبِ لِلْبَهَّاشِيِّ 2 / 489)

مَنْ كَانَ يَمْلِكُ دِرْهَمَيْنِ تَعَلَّمَتْ *** شَفَتَاهُ أَنْوَاعَ الْكَلَامِ فَقَالَ

وَتَقَدَّمَ الْإِخْوَانَ فَاسْتَمَعُوا لَهُ *** وَرَأَيْتَهُ بَيْنَ الْوَرَى مُخْتَالًا

لَوْلَا دَرَاهِمُهُ الَّتِي يَزُهْوِيهَا *** لَوَجَدْتَهُ فِي النَّاسِ أَسْوَأَ حَالًا

إِنَّ الْغَنَى إِذَا تَكَلَّمَ بِالْخَطَا *** قَالُوا صَدَقْتَ وَمَا نَطَقْتَ مَحَالًا

أَمَّا الْفَقِيرُ إِذَا تَكَلَّمَ صَادِقًا *** قَالُوا كَذَبْتَ وَأَبْطَلُوا مَا قَالَا
 إِنَّ الدَّرَاهِمَ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا *** تَكْسُو الرِّجَالَ مَهَابَةً وَجَمَالًا
 فِيهِ اللِّسَانُ لِمَنْ أَرَادَ فَصَاحَةً *** وَهِيَ السِّلَاحُ لِمَنْ أَرَادَ قِتَالًا

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

قال مضارب بن حزن : بينا أنا أسير من الليل ، إذا رجل يكبر ، فألحقته بعيري ، قلت : من هذا المكبر ؟ فقال : أبو أبوهريرة فقلت : ما هذا التكبير ؟ قال : شكر ، قلت على مه ؟ قال : على أن كنت أجيرا لبرة بنت غزوان بعقبة رجلي وطعام بطني ، وكان القوم إذا ركبوا ، سقت بهم ؛ وإذا نزلوا ، خدمتهم ؛ فزوجنيها الله ، فهي امرأتي ؛ وأنا : إذا ركب القوم ركبت ، وإذا نزلوا خدمت . (الحلية 1 / 380)

في بعض المرات اعتذر ابن المبارك : بأنه يتفقد طلاب الحديث وأهل الحديث فيعطهم ويكفهم ، فكان غنيا شاكرا ، وكان رأس ماله نحو أربعمئة ألف دينار ، وحدث بعض من رأى سفرته أنها حملت على عجلة يعني تجر وذكروا بعضهم أنه رأى بعيرين محملين دجاجا مشويا لسفرة ابن المبارك يحضرها أهل العلم طلاب الحديث . فكان يكرمهم غاية الإكرام ، وكان يوضع الشواء على سفرته ، ويوضع فيها الفالودج وهو أكل يعرفه أهل المشرق إلى اليوم ، ولربما جيء بشيء يسمى بالفالودج الآن يأتي به الحجاج معهم ، وعلى كل حال هو من أنفس الطعام . فقيل له في ذلك فقال : إني دفعت إلى وكيلي ألف دينار ، وأمرته أن يوسع علينا . (سير أعلام النبلاء 8 / 409)

قال الفضيل بن عياض لابن المبارك : أنت تأمرنا بالزهد ، والتقلل ، والبلغة ، ونراك تأتي بالبضائع كيف ذا ؟ يقول : هذه البضائع تأتي من المشرق إلى مكة ، قال : يا أبا علي ، إنما أفعل ذا لأصون وجهي ، وأكرم عرضي ، وأستعين به على طاعة ربي ، قال : يا ابن المبارك ما أحسن ذا إن تم ذا . (سير أعلام النبلاء 8 / 387)

قيل لعيسى بن يونس : كيف فضلك ابن المبارك ولم يكن بأسن منكم ؟ يعني : كيف صار أفضل منكم ؟ قال : كان يقدم ومعه الغلمان من خراسان ، والبيعة الحسنة ، فيصل العلماء ، ويعطهم ، وكنا لا نقدر على ذلك . (سير أعلام النبلاء 8 / 410)

وهكذا كان أحمد بن عمار ، وزير المعتصم ، يتصدق في كل يوم بمائة دينار ، فكلم في كثرة ذلك قيل له : هذا كثير فقال : هو من فضل غلتي ، ومن رزقي . (سير أعلام النبلاء 11 / 165)

وعن عبد الله بن أبي نوح قال : قال لي رجل ، على بعض السواحل : كم عاملته تبارك اسمه بما

يكره فعاملك بما تحب ؟ قلت : ما أحصى ذلك كثرة . قال : فهل قصرت إليه في أمرك فخذلك ؟ قالت : لا والله ، ولكنه أحسن إلى فأعاني . قال : فهل سألته شيئا قط فأعطاك ؟ قلت : وهل منعي شيئا سألته ؟ ما سألته شيئا قط إلا أعطاني ، ولا استغثت به إلا أغثنى . قال : أرايت لو أن بعض بني آدم فعل بك هذه الخلال ما كان جزاؤه عندك ؟ قلت : ما كنت أقدر له على مكافأة ولا جزاء . قال : فربك أحق وأحرى أن تدأب نفسك له في أداء شكر نعمته عليك ، وهو المحسن قديما وحديثا إليك ؛ والله لشكره أيسر من مكافأة عباده ، إنه تبارك وتعالى رضي بالحمد من العباد شكرا . (موسوعة ابن أبي الدنيا 1 / 511)

وقال وهب بن منبه رحمه الله : عبد الله عابد خمسين عاما ، فأوحى إليه أني قد غفرت لك . قال : أي رب ، وما تغفر لي ولم أذنب ؟ ! فأذن الله لعرق في عنقه فضرب عليه ؛ فلم ينم ولم يصل ، ثم سكن فنام ، فأتاه ملك فشكا إليه ، فقال له : ما لقيت من ضربان العرق ، فقال الملك : إن ربك يقول : عبادتك خمسين سنة تعدل سكون ذا العرق . (موسوعة ابن أبي الدنيا 1 / 513)

وكان عروة رحمه الله إذا أتى بطعامه لم يزل مخمرا حتى يقول هؤلاء الكلمات : الحمد لله الذي هدانا وأطعمنا ، وسقانا ونعمنا ، الله أكبر ، اللهم ألفتنا نعمتك ونحن بكل شر ، فأصبحنا وأمسينا منها بكل خير ، أسألك تمامها وشكرها ، لا خير إلا خيرك ، ولا إله غيرك ، إله الصالحين ورب العالمين ، الحمد لله ، لا إله إلا الله ، ما شاء الله ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وقنا عذاب النار . (موسوعة ابن أبي الدنيا 1 / 520)

65 - باب ذكر الموت وقصر الأمل

قَالَ اللهُ تَعَالَى : كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ [آل عمران : 185] ، وقال تَعَالَى : وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ [لقمان : 34] ، وقال تَعَالَى : فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ [النحل : 61] ، وقال تَعَالَى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ [المنافقون : 9-11] ، وقال تَعَالَى : حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ

فَمَنْ تَقَلَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ تَلْفَحُ وَجْوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِينَ قَالَ إِنَّ لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ [المؤمنون: 99-115] ، وقال تَعَالَى : أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ [الحديد: 16] وَالآيَاتِ فِي الْبَابِ كَثِيرَةٌ مَعْلُومَةٌ

574- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْكِبِي فَقَالَ : «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما يقول : إِذَا أَمْسَيْتَ ، فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ ، فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ ، وَخَذَ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرْضِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ « رواه البخاري .

575- وعنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَا حَقَّ أَمْرِيءِ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ . بَيْتٌ لَيْلَتَيْنِ إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ » متفقٌ عليه . هذا لفظ البخاري

وفي رواية لمسلم : « بَيْتٌ ثَلَاثَ لَيَالٍ » قال ابن عمر : مَا مَرَّتْ عَلَيَّ لَيْلَةٌ مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ذَلِكَ إِلَّا وَعِنْدِي وَصِيَّتِي .

576- وعن أَنَسِ رضي الله عنه قال : خَطَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُطُوطًا فَقَالَ : « هَذَا الْإِنْسَانُ وَهَذَا أَجَلُهُ . فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ الْخَطُّ الْأَقْرَبُ » رواه البخاري .

577- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : خَطَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا مَرْتَبَعًا ، وَخَطَّ خَطًّا فِي الْوَسَطِ خَارِجًا مِنْهُ ، وَخَطَّ خُطُوطًا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الْوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الْوَسَطِ ، فَقَالَ : « هَذَا الْإِنْسَانُ ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطًا بِهِ أَوْ قَدْ أَحَاطَ بِهِ وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمْلُهُ وَهَذِهِ الْخُطُوطُ الصِّغَارُ الْأَعْرَاضُ ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا ، نَهَشَهُ هَذَا ، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا » رواه البخاري . وَهَذِهِ صُورَتُهُ : الْأَجَلُ - الْأَعْرَاضُ - الْأَمَلُ

578- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا ، هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فِقْرًا مُنْسِيًا ، أَوْ غِنًى مُطْعِيًا ، أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا ، أَوْ هَرَمًا مُفْنِدًا ، أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا ، أَوْ الدَّجَالَ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ أَوْ السَّاعَةَ وَالسَّاعَةَ أَذْهَى وَأَمْرٌ ؟ » رواه الترمذي وقال : حَدِيثٌ حَسَنٌ

579- وعنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَكْثَرُوا ذِكْرَهَا ذِمَّ اللَّذَاتِ » يَعْنِي الْمَوْتَ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ .

580- وعن أبي بن كعب رضي الله عنه : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَهَبَ ثَلُثَ اللَّيْلِ ، قَامَ فَقَالَ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللَّهَ جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ » قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَكْثَرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ ، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي ؟ قَالَ : « مَا شِئْتَ ، قُلْتُ الرَّبُّعَ ؟ قَالَ : « مَا شِئْتَ ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ » قُلْتُ : فَالْبَيْضُ ؟ قَالَ : « مَا شِئْتَ ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ » قُلْتُ : أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا ؟ قَالَ : إِذَا تُكْفِي هَمَّكَ ، وَيُعْفِرُ لَكَ ذَنْبُكَ » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ .

الْأَنْبَاءُ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

عن علي بن علي بن أبي طالب قال : لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم وجاءت التعزية ، جاءهم آت يسمعون حسه ولا يرون شخصه فقال : السلام عليكم يا أهل البيت ورحمة الله وبركاته ، كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة ، إن في الله عزاء من كل مصيبة ، وخلفا من كل هالك ، ودركا من كل ما فات ، فبالله فتقوا ، وإياه فارجوا ؛ فإن المصاب من حرم الثواب ، فقال على : هذا الخضر . عن ابن عباس أن نافع بن الأزرق سأله عن قوله : فقد فاز قال : سعد ونجا . عن قتادة : وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور قال : هي متاع متروك أوشكت والله أن تضحل عن أهلها ؛ فخذوا من هذا المتاع طاعة الله إن استطعتم ، ولا قوة إلا بالله . عن عبد الرحمن بن سابط في قوله : وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور قال : كزاد الراعي ، يزوده الكف من التمر ، أو الشيء من الدقيق يشرب عليه اللبن . (تفسير الدر المنثور 4 / 163 - 165)

عن ابن مسعود قال : كل شيء أوتيته نبيكم صلى الله عليه وسلم إلا علم الغيب الخمس : إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت . عائشة ، قالت : من حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ، ثم قرأت : وما تدري نفس ماذا تكسب غدا . (تفسير الطبري 20 / 161 - 162)

كان الحسن يقول : ما أحق هؤلاء القوم ! يقولون : اللهم أطل عمره ، والله يقول : فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون . (تفسير الدر المنثور 6 / 379)

فإذا جاء أجلهم فيه قولان : أحدهما : أجل موتهم الثاني : أجل عذابهم ، قاله جويبر . لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون يحتمل وجهين : أحدهما : لا يزيد أجل حياتهم ولا ينقص . والثاني : لا يتقدم

عذابهم ولا يتأخر. (تفسير الماوردي 2/ 221)

عن الضحاك وعطاء : يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله . قال :
الصلوات الخمس . قال الكلبي : إنه طاعة الله في الجهاد . (تفسير الماوردي 6/ 19)

عن الضحاك عن ابن عباس قال : ما يمنع أحدكم إذا كان له مال يجب عليه فيه الزكاة أن يزكي ،
وإذا أطاق الحج أن يحج من قبل أن يأتيه الموت ، فيسأل ربه الكرة فلا يعطاها ، فقال رجل : أما
تتقي الله ، يسأل المؤمن الكرة ؟ قال : نعم ، أقرأ عليكم قرآنا ، فقرأ (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم
أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله .) فقال الرجل : فما الذي يوجب على الحج ، قال : راحلة تحمله ،
ونفقة تبلغه . عن الضحاك بن مزاحم في قوله : لولا أخرجتني إلى أجل قريب فأصدق . قال :
فأتصدق بزكاة مالي . وأكن من الصالحين قال : الحج . (تفسير الطبري 23/ 411)

عن أبي هريرة قال : إذا وضع الكافر في قبره فيرى مقعده من النار قال : رب ارجعون . أتوب ؛ أعمل
صالحا ، فيقال : قد عمرت ما كنت معمرا . فيضيق عليه قبره ، فهو كالمنهوش ، ينام ويفزع ، تهوي
إليه هوام الأرض ؛ حياتها وعقاربها . عن عائشة قالت : ويل لأهل المعاصي من أهل القبور ؛ يدخل
عليهم في قبورهم حيات سود ؛ حية عند رأسه وحية عند رجليه ، يقرضانه حتى يلتقيان في وسطه ،
فذلك العذاب في البرزخ الذي قال الله : ومن وراءهم برزخ إلى يوم يبعثون . عن ابن زيد في قوله : قال
رب ارجعون قال : هذا حين يعاين قبل أن يذوق الموت . عن ابن عباس في قوله : لعلي أعمل صالحا
قال : أقول لا إله إلا الله . (تفسير الدر المنثور 10/ 616 - 617)

عن ابن عباس ، أنه سئل عن قوله : فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وقوله : و أقبل بعضهم
على بعض يتساءلون (الصافات 27) فقال : إنها مو اقف ؛ الذي لا أنساب بينهم ولا يتساءلون
عند الصعقة الأولى لا أنساب بينهم فيها إذا صعقوا ، فإذا كانت النفخة الآخرة فإذا هم قيام
يتساءلون . عن ابن مسعود قال : إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين - وفي لفظ : يؤخذ
بيد العبد أو الأمة يوم القيامة على رؤوس الأولين والآخرين - ثم ينادي مناد : ألا إن هذا فلان بن
فلان ، فمن كان له حق قبله فليأت إلى حقه - وفي لفظ : من كان له مظلمة فليجأ فليأخذ حقه -
فيفرح - والله - المرء أن يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته ، وإن كان صغيرا ، ومصداق
ذلك في كتاب الله : فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون . (الدر المنثور 10/ 620)

قال ابن عباس : (تلفح وجوههم النار) قال : تنفح (وهم فيها كالحنون) والكلوخ : إن تتقلص
الشفتان عن الأسنان حتى تبدوا الأسنان . (تفسير الطبري 19/ 24)

قال ابن جريج : بلغنا أن أهل النار نادوا خزنة جهنم : أن ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب . فلم يجيبوهم ما شاء الله فلما أجابوهم بعد حين قالوا : فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال . قال : ثم نادوا مالكا (يا مالكا ليقض علينا ربك) . فسكت عنهم مالك خازن جهنم ، أربعين سنة ثم أجابهم فقال : إنكم ما كنون . ثم نادى الأشقياء ربهم ، فقالوا : ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون . فسكت عنهم مثل مقدار الدنيا ، ثم أجابهم بعد ذلك تبارك وتعالى . اخسئوا فيها ولا تكلمون . (تفسير الطبري 19 / 75)

عن أيفع بن عبد الكلاعي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله إذا أدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار قال : يا أهل الجنة : كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا : لبثنا يوماً أو بعض يوم قال : لنعم ما اتجرتم في يوم أو بعض يوم ؛ رحمتي ورضواني وجنتي ، امكثوا فيها خالدين مخلدين . ثم يقول : يا أهل النار : كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا : لبثنا يوماً أو بعض يوم فيقول : بئس ما اتجرتم في يوم أو بعض يوم ؛ ناري وسخطي ، امكثوا فيها خالدين مخلدين . عن قتادة في قوله : فاسأل العاديين قال : الحساب . عن مجاهد : فاسأل العاديين قال : الملائكة عن ابن مسعود أنه قرأ في أذن مصاب : أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً حتى ختم السورة فبراً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماذا قرأت في أذنه ؟ فأخبره ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده لو أن رجلاً موقنا قرأها على جبل لزال . (تفسير الدر المنثور 10 / 629 - 630)

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ:

قال سعيد بن المسيب : أن عمر بن الخطاب كوم كومة من بطحاء ثم ألقى عليها طرف ثوبه ثم استلقى عليها فرفع يديه إلى السماء ؛ ثم قال : اللهم ، كبرت سني وضعفت قوتي وانتشرت رعيتي فاقبضني إليك غير مضيع ولا مفرط . (حلية الأولياء 1 / 54)

عن العلاء بن الفضل عن أبيه قال لما قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه فتشوا خزائنه ، فوجدوا فيها صندوقاً مقفلاً ، ففتحوه فوجدوا فيه حقة فيها ورقة ، مكتوب فيها هذه وصية عثمان بن عفان : بسم الله الرحمن الرحيم عثمان بن عفان يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن الجنة حق ، وأن النار حق ، وأن الله يبعث من في القبور ليوم لا ريب فيه ، إن الله لا يخلف الميعاد ، عليها يحيا ، وعليها يموت ، وعليها يبعث إن شاء الله عز وجل . (وصايا العلماء عند الموت حديث 23)

عن الشعبي قال : لما ضرب علي بن أبي طالب رضي الله عنه تلك الضربة ، قال : ما فعل ضاربي ،

قالو: اقدأخذناه ، قال : أطعموه من طعامي ، واسقوه من شرابي ، فإن أنا عشت رأيت فيه رأيي ، وإن أنا مت فاضربوهضربة واحدة لا تزيدوه عليها . ثم أوصى الحسن رضي الله عنه أن يغسله ، ولا يغالي في الكفن إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تغلوا في الكفن ، فإنه يسلب سلبا سريعا . وامشوا بي بين المشيتين ، لا تسرعوا بي ، ولا تبطؤا ، فإن كان خيرا عجلتموني إليه ، وإن كان شرا ألقىتموني عن أكتافكم . (وصايا العلماء عند الموت لابن زبر الربيعي حديث 24)
عن الشعبي عن سلمان قال : لما حضرته الوفاة ، قال لصاحبه منزله : هلمي خبيتي (قال فجاءته بصره من مسك ، فقال لها) ايتيني بقدر فيه ماء قال : فجاءت بقدر فيه ماء ، قال : فطرح المسك فيه ثم أمائه ، ثم قال لها : إنضحيه حولي فإنه يحضرني خلق من خلق الله عزوجل ، يجدون الريح ولا يأكلون الطعام قال : ففعلت ثم قال لها : أجيفي علي الباب ثم انزلي قال:ففعلت ثم مكثت هنيئة ثم صعدت فإذا هو قد مات رحمه الله عليه ورضوانه . (وصايا العلماء عندالموت حديث 27)

وكان سلمان الفارسي يقول : أصبح على وجل (خوف) وأمسى على وجل . (قصر الأمل 112)

قال ابوالدرداء : يا أهل دمشق ، أنتم الإخوان في الدين ، والجيران في الدار ، والأنصار على الأعداء ، ما يمنعكم من مودتي ، وإنما مونتي على غيركم ؟ ما لي أرى علماؤكم يذهبون ، وجهالكم لا يتعلمون ؟ وأراكم قد أقبلتم على ما تكفل لكم به ، وتركتم ما أمرتم به ؟ ألا إن قوما بنوا مشيدا ، وجمعوا كثيرا ، وأملوا بعيدا ، فأصبح بنيانهم قبورا ، وأملهم غورا ، وجمعهم بورا ، ألا فتعلموا وعلموا ؛ فإن العالم والمتعلم في الأجر سواء ، ولا خير في الناس بعدهما . (حلية الأولياء 1 / 213)

عن شرحبيل : أن أبا الدرداء كان إذا رأى جنازة قال : اغدوا فإننا رائحون - أوروحووا فإننا غادون - موعظة بليغة وغفلة سريعة كفى بالموت واعظا : يذهب الأول فالأول ويبقى الآخر لا حلم له . (حلية الأولياء 1 / 217)

قال أبي الدرداء : أحب الموت : اشتياقا إلى ربي وأحب الفقر : تواضعا لربي وأحب المرض تكفيرا لخطيئتي . (حلية الأولياء 1 / 217)

وقال أبو الدرداء : ابن آدم طاء الأرض بقدمك فإنها عن قليل قبرك ابن آدم إنما أنت أيام فكلمنا ذهب يوم ذهب بعضك ابن آدم إنك لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك . (الزهد الكبير للبيهقي 233)

قال أبو الدرداء : من أكثر ذكر الموت : قل فرحه ، وقل حسده . (حلية الأولياء 1 / 220)

عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقول إذا قعد : إنكم في ممر الليل والنهار : في آجال منقوصة

وأعمال محفوظة ، والموت يأتي بغتة ؛ فمن يزرع خيرا : يوشك أن يحصد رغبة ، ومن يزرع شرا : يوشك أن يحصد ندامة ؛ ولكل زارع مثل ما زرع . لا يسبق بطيء بحظه ، ولا يدرك حريص ما لم يقدر له ؛ فمن أعطى خيرا : فالله تعالى أعطاه ، ومن وقى شرا : فالله تعالى وقاه المتقون سادة ، والفقهاء قادة ومجالستهم زيادة . (حلية الأولياء / 1 - 133 - 134)

وعن عبد الله بن مسعود قال : هذا المرء ، وهذه الحتوف حوله شوارع إليه ، والهزم وراء الحتوف ، والأمل وراء الهزم ، فهو يأمل ، وهذه الحتوف شوارع إليه ، فأمره أمر به أخذها فإن أخطأته الحتوف قتله الهزم وهو ينظر إلى الأمل . (قصر الأمل 33)

قال أبو هريرة : تعودوا الخير فإن الخير عادة ، وإياكم وعادة السواف من سوف أو من سوف . (قصر الأمل لابن أبي الدنيا 143)

قال أنس : التسوية جند من جنود إبليس عظيم ، طالما خدع به قصر الأمل . (قصر الأمل 141)
عن يزيد بن شريك التيمي قال : خرجنا حجاجا ، فوجدنا أبا ذر بالريذة قائما يصلي ، فانتظرناه حتى فرغ من صلاته ، ثم أقبل علينا ، فقال : هلم إلى الأخ الناصح الشفيق ثم بكى ، فاشتد بكأوه ، وقال : قتلي حب يوم لا أدركه ! قيل : وما يوم لا تدركه ؟ قال : طول الأمل . (قصر الأمل 67)

ذكر القداح أن عمر بن عبد العزيز كان إذا ذكر الموت انتفض انتفاض الطير وبكى حتى تجري دموعه على لحيته . (حلية الأولياء 5 / 316)

قال عمر بن عبد العزيز : ما أحب أن تهون علي سكرات الموت ، لأنها : آخر ما يكفر به عن المسلم . (حلية الأولياء 5 / 317)

قال أبو حازم : نحن لا نريد أن نموت حتى نتوب ، ونحن لا نتوب حتى نموت ؛ وأعلم ، أنك إذا مت : لم ترفع الأسواق بموتك ، إن شأنك صغير ، فاعرف نفسك . (حلية الأولياء 3 / 232)

قال أبي حازم : كل عمل تكره الموت من أجله : فأتكره ، ثم لا يضرك متى مت . (الحلية 3 / 239)

كان الربيع يقول : أكثروا ذكر هذا الموت الذي لم تذوقوا قبله مثله . (حلية الأولياء 2 / 114)

عن الربيع بن خيثم قال : ما غائب ينتظره المؤمن خير من الموت . (الحلية 2 / 114)
قال سفيان الثوري : قال لي أبو حبيب البدوي : يا سفيان ، هل رأيت خيرا قط إلا من الله ؟ قلت : لا ؛ قال : فلم تكره لقاء من لم تر خيرا قط إلا منه ؟ . (حلية الأولياء 8 / 87)

قال عون بن عبد الله بن عتبة : ما أنزل الموت كنه منزلته من عد غدا من أجله فكم من مستقبل يوما لا يستكملهم وكم من مؤمل لغد لا يدركه ! إنكم لو رأيتم الأجل ومسيره لأبغضتم الأمل وغروره قالوا لعون بن عبد الله : ما أنفع أيام المؤمن له ؟ قال : يوم يلقي ربه فيعلمه أنه راض قالوا : إنما أردنا من أيام الدنيا قال : إن من أنفع أيامه له في الدنيا ما ظن أنه لا يدرك آخره . (قصر الأمل 59 لابن أبي الدنيا)

قال عون بن عبد الله : ويحي ! كيف أغفل عن نفسي وملك الموت ليس بغافل عني ؟ ! ويحي ! كيف أتكل على طول الأمل والأجل يطلبني ؟ . (قصر الأمل 75)

قال الحسن البصري : الدنيا ثلاثة أيام ، أما أمس فقد ذهب بما فيه ، وأما غدا فلعلك لا تدركه ، فاليوم لك فاعمل فيه . (الزهد الكبير للبهيقي 1 / 489)

وقال أيضا : يا ابن آدم ، إياك والتسويق ، فإنك بيومك ولست بغد . (قصر الأمل 144)

قال الحسن البصري : فضح الموت الدنيا ، فلم يترك فيها لذي لب (عقل) فرحا . (الحلية 2 / 149)

وقال بكر بن عبد الله المزني لرجل يدعى أبا جميلة ميسرة بن يعقوب الكوفي . يا أبا جميلة كيف أنت ؟ قال : أنا والله هكذا كرجل ماد عنقه والسيف عليها ينتظر متى تضرب عنقه . (قصر الأمل 46)

وقال بكر بن عبد الله المزني : إذا أردت أن تنفك صلواتك فقل : لعلي لا أصلي غيرها . (قصر الأمل 92)

عن عبيد الله بن شميظ بن عجلان قال : سمعت أبي يقول : إن المؤمن يقول لنفسه : إنما هي أيام ثلاثة ، فقد مضى أمس بما فيه ، وغدا أمل لعلك لا تدركه ، إنك إن كنت من أهل غد ، فإن غدا يجيء برزق غد ، أن دون غد يوما وليلة تخترم فيه أنفس كثيرة ، لعلك المخترم فيها ، كفى كل يوم همه ، ثم قد حملت على قلبك الضعيف هم السنين والأزمنة ، وهم الغلاء والرخص ، وهم الشتاء قبل أن يجيء الشتاء ، وهم الصيف قبل أن يجيء الصيف ، فماذا أبقيت من قلبك الضعيف لأخرته ؟ ! كل يوم ينقص من أجلك وأنت لا تحزن ، وكل يوم تستوفي رزقك وأنت لا تحزن ، أعطيت ما يكفيك ، فأنت تطلب ما يطغيك ! لا بقليل تقنع ، ولا من كثير تشبع . وكيف لا يستبين بعالم جهله ، وقد عجز عن شكر ما هو فيه ، وهو مغترفي طلب الزيادة ؟ . (قصر الأمل 58)

ويقول شميظ بن عجلان أيضا : طالمت آمالكم ، فجددتم منازلكم من الدنيا ، وطيبتم منها معاشكم ، وتلذذتم فيها بطيب الطعام ، ولين اللباس ، كأنكم للدنيا خلقتكم ! أولا تعلمون أن الموت

أمامكم ؟ أولا تعلمون أن ملك الموت موكل بأجالكم ، لا يذهب عنه من المدة شيء ؟ ثم يقول : لا تكونوا رحمكم الله أقل شيء بالموت أكثرا ، وأعظم شيء عن الموت غفلة ، فما ينتظر الحي إلا الموت ! وما ينتظر المسافر إلا الظعن . (قصر الأمل لابن أبي الدنيا 58)

وكان شميظ بن عجلان يقول أيضا : أيها المغتر بصحته أما رأيت ميتا قط من غير سقم ؟ أيها المغتر بطول المهلة ، أما رأيت مأخوذا قط من غير عدة ؟ إنك لو فكرت في طول عمرك ، لنسيت ما قد تقدم من لذاتك ، أبالصحة تغترون ؟ ! أم بطول العافية تمرحون ؟ أم للموت تأمنون ؟ أم على ملك الموت تجترئون ؟ إن ملك الموت إذا جاء لم يمنعه منك ثروة مالك ، ولا كثرة احتشادك ، أما علمت أن ساعة الموت ذات كرب وغصص وندامة على التفريط ، ثم يقول : رحم الله عبدا عمل لساعة الموت ، ورحم الله عبدا عمل لما بعد الموت ، ورحم الله عبدا نظر لنفسه قبل نزول الموت . (قصر الأمل 61 - 62)

قال شميظ بن عجلان : من جعل الموت نصب عينيه : لم يبالي بضيق الدنيا ، ولا بسعتها . (حلية الأولياء 3 / 129)

قال عمر بن ذر : ما دخل الموت دار قوم : إلا شئت جمعهم وقنعهم بعيشهم بعد أن كانوا يفرحون ويمرحون . (حلية الأولياء 5 / 111)

قال عمر بن ذر : ابن آدم إنما يتعجل أفراحه بكاذب آماله ولا يتعجل أحزانه بأعظم أخطاره . (قصر الأمل 72)

قال الفضيل بن عياض : تفكروا واعملوا من قبل أن تندموا ولا تغتروا بالدنيا فإن صحيحها يسقم وجديدها يبلى ونعيمها يفنى وشبابها يهرم . (الزهد الكبير 1 / 496)

قال إبراهيم بن أدهم : إن للموت كأسا لا يقوى على تجرعه إلا : خائف وجل طائع كان يتوقعه فمن كان مطيعا : فله الحياة والكرامة ، والنجاة من عذاب القبر ؛ ومن كان عاصيا : نزل بين الحسرة والندامة ، يوم الصاخة والطامة . (حلية الأولياء 8 / 13)

قال إبراهيم بن أدهم : لن ينال الرجل درجة الصالحين حتى يجوز ست عقبات أوله : يغلق باب الرحمة ويفتح باب الشدة والثاني يغلق باب العز ويفتح باب الذل والثالث : يغلق باب الراحة ويفتح باب الجهد والرابع : يغلق باب النوم ويفتح باب السهر والخامس يغلق باب الغنى ويفتح باب الفقر والسادس يغلق باب الأمل ويفتح باب الاستعداد للموت . (الزهد الكبير للبيهقي 2 / 9)

قال أبي الزاهرية : سمعت أبا ثعلبة الخشني يقول : إني لأرجو أن لا يخنقني الله عزوجل كما أراكم تخنقون عند الموت ؛ قال : فبينما هو يصلي في جوف الليل : قبض وهو ساجد ؛ فرأت ابنته أن أباهما قد مات ، فاستيقظت فزعمة ، فنادت أمها : أين أبي ؟ قالت : في مصلاه ؛ فنادته ، فلم يجبها ؛ فأيقظته ، فوجدته ساجدا ؛ فحركته ، فوقع لجنبه ميتا . (حلية الأولياء 2 / 31)

قال أبي المتوكل الناجي : قال لي سليمان بن عبد قيس : يا أبا المتوكل قلت : لبيك ، قال : عليك بما يرغبك في الآخرة ويزهدك في الدنيا ويقربك إلى الله ، قلت : وما هو يا عبد الله ؟ قال : تقصر عن الدنيا همتك وتسمو إلى الآخرة بنيتك وتصدق ذلك بفعلك قلت : فكيف لي ما أستعين به على ذلك ؟ قال : تقصر أملك في الدنيا وتكثر رغبتك في الآخرة حتى تكون بالدنيا برما وبالآخرة كرتاء فإذا كنت كذلك لم يكن شيء أحب إليك ووردا من الموت ولا شيء أبغض إليك من الحياة . (قصر الأمل 53 - 54)

ماجدة القرشية تقول : سكان دار أودنوا بالنقلة وهم حيارى يركضون في المهلة ، كان المراد غيرهم ، أو التأذين ليس لهم ، والمعني بالأمر سواهم ، آه من عقول ما أنقصها ، ومن جهالة ما أتمها ، بؤسا لأهل المعاصي ، ماذا غروا به من الإمهال والاستدراج ؟ وتقول : بسطوا آمالهم فأضاعوا أعمالهم ، ولو نصبوا الأجال وطووا الآمال ، خفت عليهم الأعمال . (صفة الصفوة 4 / 74)

قال داود الطائي : لو أملت أن أعيش شهرا ، لرأيتني قد أتيت عظيما ، وكيف أومل ذلك وأرى الفجائع تغشى الخلق في ساعات الليل والنهار . (صفة الصفوة 3 / 320)

قال داود الطائي : سألت عطوان بن عمرو التميمي ، قلت ما قصر الأمل ؟ قال : ما بين تردد النفس قال رستم : فحدثت به الفضيل بن عياض فبكى وقال : يقول : يتنفس فيخاف أن يموت قبل أن ينقطع نفسه لقد كان عطوان من الموت على حذر . (قصر الأمل حديث 34)

قال بكر بن محمد : قلت لداود الطائي : أوصني قال : عسكر الموتى ينتظرونك . (الحلية 7 / 356)

قال الشعبي : مر رجل من مراد على أويس القرني فقال : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت أحمد الله قال : كيف الزمان عليك ؟ قال : كيف الزمان على رجل أن أصبح : ظن أن لا يمسي وإن أمسى : ظن أن لا يصبح ؛ فمبشر بالجنة أو مبشر بالنار يا أبا مراد إن الموت وذكره : لم يدع لمؤمن فرحا وإن علمه بحقوق الله : لم يترك له في ماله فضة ولا ذهباً وإن قيامه بالحق : لم يترك له صديقا . (حلية الأولياء 2 / 83)

عن يزيد الرقاشي قال : إلى متى نقول : غدا أفعل كذا ، وبعد غد أفعل كذا ، وإذا أفطرت فعلت

كذا ، وإذا قدمت من سفري فعلت كذا ! أغفلت سفرك البعيد ، ونسيت ملك الموت ؟ أما علمت أن دون غد ليلة تخترم فيها أنفوس كثيرة ؟ أما علمت أن ملك الموت غير منتظر بك أملك الطويل ؟ أما علمت أن الموت غاية كل حي ؟ ثم يبكي حتى يبيل عمامته ، ثم يقول : لورأيته صريعا بين أحبابه لا يقدر على رد جوابهم ، بعد أن كان جدلا خصما سمحا كريما عليهم ؟ أيها المغتر بشبابه ، أيها المغتر بطول عمره ، ثم يبكي حتى يبيل عمامته ! . (قصر الأمل 70 - 71 - 78)

قال مالك بن مغول : رؤى الربيع بن أبي راشد ذات يوم على صندوق من صناديق الحدادين فقال له قائل : يا أبا عبد الله ، لو دخلت المسجد ، فجالست إخوانك فقال : لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة واحدة : خشيت أن يفسد على قلبي . (حلية الأولياء 5 / 75 - 76)

قال محمد بن أبي توبة : أقام معروف الكرخي الصلاة ثم قال لي : تقدم فقلت : إني إن صليت بكم هذه الصلاة لم أصل بكم غيرها فقال معروف : وأنت تحدث نفسك أن تصلي صلاة أخرى ؟ ! نعوذ بالله من طول الأمل فإنه يمنع خير العمل . (قصر الأمل لابن أبي الدنيا 81)

قال زياد النميري وكان من الزهاد العباد : لو كان لي من الموت أجل أعرف مدته لكنك حريا بطول الحزن والكمد حتى يأتيني وقته ، فكيف وأنا لا أعلم متى يأتيني الموت صباحا أو مساء ؟ ! ثم خنقته العبرة ، فقام . (قصر الأمل لابن أبي الدنيا 61)

قال مسكين بن دينار : كان شيخ متعبد تجتمع إليه فتيان الحي ونساکهم قال : فيذكرهم فإذا أرادوا أن يتفرقوا قال : يا إخوانه ، قوموا قيام قوم قد يسؤوا من المعاودة لمجلسهم ، خوفا من خطفات الموكل بالنفوس قال : فيبكي والله ويبكي . (قصر الأمل لابن أبي الدنيا 68)

عن سحيم مولى ابن تميم قال : جلست إلى عامر بن عبد الله وهو يصلي فجوز في صلاته ، ثم أقبل علي فقال : أرحني بحاجتك فإني أبادر ! قلت : وما تبادر ؟ قال : ملك الموت رحمك الله ! قال : فقامت عنه وقام إلى صلاته . (قصر الأمل الدنيا 103)

وقيل لإبراهيم بن عيسى اليشكري : كيف أصبحت ؟ فقال : أصبحت في أجل منقوص ، وعمل محفوظ ، والموت في رقابنا ، والقيامة من ورائنا ، ولا ندري ما يفعل الله بنا . (الزهد الكبير 249)

وكان محمد بن واسع إذا أراد أن ينام قال لأهله قبل أن يأخذ مضجعه أستودعكم الله فلعلها أن تكون منيتي التي لا أقوم فيها ! فكان هذا دأبه إذا أراد النوم . (قصر الأمل لابن أبي الدنيا 147)

قال الربيع بن بزة : يا ابن آدم إنما أنت جيفة منتنة طيبت نسمتك بما قد ركب فيك من روح الحياة

لو قد نزعت منك روحك لبقيت جيفة منتنة وجسدا خاويا قد جيف بعد طيب ريحه واستوحش منه بعد الأنس بقربه فأى الخليفة يا ابن آدم أجهل منك ؟ فالعجب منك إذ كنت تعلم أن هذا مصيرك وإلى التراب مقيلك ثم أنت بعد هذا القول تقر بالدنيا عينا . (الزهد الكبير للبيهقي 17/2)

قال عباس بن حمزة : دخلت على ذي النون المصري ، وعنده نفر من المريدين وهو يقول لهم : توسدوا الموت إذا نتمتم واجعلوه نصب أعينكم إذا قمتم ، كونوا كأنكم لا حاجة لكم إلى الدنيا ولا بد لكم من الآخرة . (الزهد الكبير للبيهقي 261)

قال ذا النون سمعت : بعض المتعبدين بساحل بحر الشام يقول إن لله تعالى عبادا عرفوه بيقين من معرفته فشمروا وقصدا إليه احتملوا فيه المصائب لما يرجون عنده من الرغائب صحبوا الدنيا بالأشجان وتنعموا فيها بطول الأحزان فما نظروا إليها بعين راغب ولا تزودوا منها إلا كزاد الراكب خافوا البيات فأسرعوا ورجوا النجاة فآزمعوا بذلوا مهج أنفسهم في رضا سيدهم نصبوا الآخرة نصب أعينهم وأصغوا إليها بأذان قلوبهم فلورأيتهم رأيت قوما ذبلا شفاهم خمصا بطونهم حزينه قلوبهم ناحلة أجسامهم باكية أعينهم لم يصحبوا التعليل والتسويق وقنعوا من الدنيا بقوات طفيف لبسوا من اللباس أطمارا باليه وسكنوا من البلاد قفرا خالية وهربوا من الأوطان واستبدلوا الوحدة من الأخدان فلورأيتهم لرأيت قوما قد ذبحهم الليل بسكاكين السهر وفصل الأعضاء منهم بخناجر التعب خمصا لطول السري شعنا لفقد الكرى قد وصلوا الكلال بالكلال وتأهبوا للنقلة والارتحال . (صفه الصفوة 4 / 372)

قال الحارث النخعي : إن كان الرجل تنتج فرسه من الليل فينحرها غدوه يقول : أنا أعيش حتى أركب هذا ؟ فجاءنا كتاب عمر أن أصلحوا ما رزقكم الله فإن في الأمر متنفسا . (قصر الأمل ح 90)

عن محمد بن النضر الحارثي قال : شغل الموت قلوب المتقين عن الدنيا ؛ فوالله ، ما رجعوا منها إلى سرور ، بعد معرفتهم بكربه وغصبه . (حلية الأولياء 8 / 218)

عن سلمه بن كهيل قال : لقي خيثمة محارب بن دثار ، فقال له : كيف حبك للموت ؟ قال : ما أحبه ؛ قال خيثمة : إن هذا بك لنقص كبير . (حلية الأولياء 4 / 115)

عن سعيد بن عامر عن إبراهيم - أوقفه إلى أبيه - قال : إني لأقعد من امرأتي مقعد الرجل من أهله ، فإذا ذكر الموت : فما أنا بأقدر عليه مني من أن أمس السماء . (حلية الأولياء 4 / 210)

كان صفوان بن سليم لا يكاد يخرج من مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فإذا أراد أن يخرج بكى ، وقال : أخاف ألا أعود إليه . (صفه الصفوة 2 / 153)

- عن إبراهيم بن نشيط قال : قال لي أبو زرعة الشامي : لأقولن لك قولاً ما قلت له لأحد سواك ، ما خرجت من المسجد منذ عشرين سنة ، فحدثت نفسي أن أرجع إليه . (قصر الأمل 60)
- عن عمرو بن ميمون : أنه كان يتمنى الموت ويقول : اللهم لا تخلفني مع الأشرار والحقني بالأخيار . (حلية الأولياء 4 / 148)
- قال رجل لبشر الحافي : أراك تخاف الموت فقال : القدوم على الله عز وجل شديد . (الرسالة القشيرية 164)
- قال مالك بن مغول : يقال من قصرأمله هان عليه عيشة قال سفيان : يعني في المطاعم والملابس . (قصر الأمل 44 - 45)
- قال عبد الله بن ثعلبة الحنفي : تضحك ولعل أكفانك قد خرجت من عند القصار . (قصر الأمل 74)
- قال مسروق : ما من شيء خير للمؤمنين : من لحد قد استراح من هموم الدنيا وأمن من عذاب الله . (حلية الأولياء 2 / 97) .
- قال قتادة عن مطرف : إن هذا الموت : قد أفسد على أهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيماً لا موت فيه . (حلية الأولياء 2 / 204)
- عن أبي عمران الجوني عن غيره قال : من قرب الموت من قلبه : استكثر ما في يديه . (حلية الأولياء 2 / 312)
- قال ثابت البناني: ما أكثر أحد ذكر الموت إلا رأي ذلك في عمله . (حلية الأولياء 2 / 325)
- قال سعيد بن جبير: لو فارق ذكر الموت قلبي : خشيت أن يفسد على قلبي . (حلية الأولياء 4 / 379)
- قال الأعمش : يوشك إن احتبس علي الموت : إن وجدته بالثمن ، اشتريته . (حلية الأولياء 5 / 50)
- قال عبد الأعلى التيمي : شينان قطعاً عني لذاذة الدنيا ذكر الموت والوقوف بين يدي الله عز وجل . (حلية الأولياء 5 / 88 - 89)
- قال رجاء بن حيوة: ما أكثر عبد ذكر الموت: إلا ترك الحسد والفرح . (حلية الأولياء 5 / 173)
- قال خالد بن معدان : والله لو كان الموت في مكان موضوعاً : لكنت أول من يسبق إليه .

(حلية الأولياء 5 / 211)

قال الأوزاعي : من أكثر ذكر الموت : كفاه اليسير ، ومن علم أن منطقة من عمله : قل كلامه .

(حلية الأولياء 6 / 143)

قال بشر بن الحارث : إذا اهتممت لغلاء السعر : فاذا ذكر الموت فإنه يذهب عنك هم الغلاء .

(حلية الأولياء 8 / 347)

وقال أيضا : إذا ذكرت الموت ذهب عنك صفوة الدنيا وشهواتها ، وذهبت عنك شهوة الجماع : عند

ذكر الموت . (حلية الأولياء 8 / 347)

قال أبي الجلد : وجدت التسويف جندا من جنود إبليس ، وقد أهلك خلقا من خلق الله كثيرا .

(حلية الأولياء 55 / 6)

عن هشام بن يحيى الغساني عن أبيه قال : ما نمت يوما قط فحدثت نفسي أني استيقظ منه .

وقال محمد بن النضر الحارثي : إلى الله أشكو طول أجلي وعند الله أحسب عظيم غفلي .

(قصر الأمل 47)

قال إسحاق : قيل لرجل من عبد القيس : أوص قال : احذروا سوف . (قصر الأمل 140)

قال حاتم الأصم : لكل شيء زينة وزينة العبادة الخوف وعلامة الخوف قصر الأمل .

(الرسالة القشيرية)

قال الأصمعي : سمعت أعرابيا يقول : مضى أمسك ، وعسى غدا لغيرك . (الزهد الكبير 1 / 488)

قَالَ مُجَمِّعُ التَّيْبِيِّ : ذَكَرَ الْمَوْتُ غَيًّا . (حِلْيَةُ الْأَوْلِيَاءِ 5 / 90)

عَنْ صَالِحِ بْنِ بَشِيرٍ أَنَّهُ كَانَ يَتَمَثَّلُ هَذَا الْبَيْتَ فِي قِصَصِهِ :

وَعَائِبُ الْمَوْتِ لَا تَرْجُونَ رَجَعْتُهُ *** إِذَا ذُو سَفَرٍ مِنْ غَيْبَةٍ رَجَعُوا

ثُمَّ يَبْكِي وَيَقُولُ : هُوَ وَاللَّهِ السَّفَرُ الْبَعِيدُ ، فَتَزَوَّدُوا لِمَرَاغِلِهِ ؛ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ فِي

مِثْلِ أُمَّنِيَّتِهِمْ ، فَبَادَرُوا الْمَوْتَ ، فَاعْمَلُوا لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ ؛ ثُمَّ بَكَى .

قَالَ الشَّافِعِيُّ : (حِلْيَةُ الْأَوْلِيَاءِ 6 / 168)

تَزَوَّدَ مِنَ التَّقْوَى فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي *** إِذَا جَنَّ لَيْلٌ هَلْ تَعِيشُ إِلَى الْفَجْرِ؟

فَكَمَّ مِنْ فَتَى يُمَسِّي وَيُصْبِحُ لَاهِيَا	***	وَقَدْ نَسَجَتْ أَكْفَانَهُ وَهُوَ لَا يَدْرِي
وَكَمَّ مِنْ عَرُوسٍ زُبُنُوهَا لِرُؤُوجِهَا	***	وَقَدْ قَبِضَتْ أَرْوَاحَهُمْ لَيْلَةَ الْقَدَرِ
وَكَمَّ مِنْ صِغَارٍ يُرْتَجَى طُولُ عُمْرِهِمْ	***	وَقَدْ أَذْخَلَتْ أَجْسَادَهُمْ ظُلْمَةَ الْقَبْرِ
وَكَمَّ مِنْ صَحِيحٍ مَاتَ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ	***	وَكَمَّ مِنْ سَقِيمٍ عَاشَ حِينًا مِنْ الدَّهْرِ
وَكَمَّ مِنْ سَاكِنٍ عِنْدَ الصَّبَاحِ بِقَصْرِهِ	***	وَعِنْدِ الْمَسَاءِ قَدْ كَانَ مِنْ سَاكِنِ الْقَبْرِ
فَكُنْ مُخْلِصًا وَاعْمَلْ الْخَيْرَ دَائِمًا	***	لَعَلَّكَ تَحْظَى بِالْمُنُوبَةِ وَالْأَجْرِ
وَدَاوَمَ عَلَى تَقْوَى إِلَهِهِ فَإِنَّهَا	***	أَمَانٌ مِنَ الْأَهْوَالِ فِي مَوْقِفِ الْحَشْرِ

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

عن أبي سفيان عن أشياخه : أن سعد بن أبي وقاص دخل على سلمان يعوده فبكى سلمان فقال له سعد : ما يبكيك ؟ تلقى أصحابك ، وترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم الحوض وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنك راض فقال : ما أبكي جزعا من الموت ولا حرصا على الدنيا ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلينا فقال : ليكون بلغة أحدكم من الدنيا كزاد الراكب وهذه الأسود حوي - وإنما حوله مطهرة أو انجانة ونحوها - فقال له سعد : أعهد إلينا عهدا نأخذ به بعدك فقال له : أذكر ربك عند همك إذا هممت وعند حكمك إذا حكمت وعند يدك إذا قسمت .
(حلية الأولياء / 1 - 195 - 196)

قال الحسن البصري : اجتمع ثلاثة من العلماء فقالوا لأحدهم : ما أملك ؟ قال : ما أتى على شهر إلا ظننت أني سأموت فيه ، فقال صاحبه : إن هذا هو الأمل فقالوا للآخر : ما أملك ؟ قال : ما أتت علي جمعة إلا ظننت أني سأموت فيها فقال صاحبه : إن هذا هو الأمل فقالوا للآخر : ما أملك ؟ قال : ما أمل من نفسه في يد غيره ؟ . (قصر الأمل لابن أبي الدنيا 23)

قال عبد الرزاق : كان سفيان الثوري إذا أغتم : رمى بنفسه عند وهيب بن الورد ؛ فقال له أبا أمية : أتري أحدا يتمنى الموت ؟ فقال وهيب : أما أنا فلا ؛ فقال سفيان : أما أنا فوددت أني ميت .
(حلية الأولياء / 7 / 18)

قال منازل بن سعيد : صلينا خلف جنازة فيها داود الطائي وهو لا يراني خلفه فتلا قول الله عز وجل : (ومن وراءهم برزخ إلى يوم يبعثون) (المؤمنون) ثم قال لنفسه : يا داود من خاف الوعيد

قصر عليه البعيد ومن طال أمله قصر عمله وكل ما هو آت قريب واعلم يا داود أن كل شيء يشغلك عن ربك فهو مشؤوم واعلم يا داود أن أهل الدنيا جميعا من أهل القبور إنما يندمون على ما يخلفون ، ويفرحون بما يقدمون ، فما عليه أهل القبور يندمون ، عليه أهل الدنيا يقتتلون ، وفيه يتنافسون ، وعليه عند القضاء يختصمون ، ثم نظر إلى فقال : لو علمت أنك خلفي لم أنطق بحرف . (قصر الأمل 78)

عن زهير الباني قال : مات ابن لمطرف بن عبد الله بن الشخير ، فخرج على الحي : قد رجل جمته ، ولبس حلته ؛ فقيل له : ما نرضى منك بهذا ، وقد مات ابنك ؛ فقال : أتأمروني أن أستكين للمصيبة ؟ فوالله ، لو أن الدنيا وما فيها لي ، فأخذها الله مني ، ووعدني عليها شربة ماء غدا : ما رأيته لتلك الشربة أهلا ؛ فكيف بالصلوات ، والهدى ، والرحمة ؟ . (حلية الأولياء 2 / 199)

عن إسماعيل بن زكريا وكان جار الحبيب أبي محمد قال : كنت إذا أمسيت سمعت بكاءه ، وإذا أصبحت سمعت بكاءه ، فأتيت أهله فقلت : ما شأنه يبكي إذا أمسى ، ويبكي إذا أصبح ؟ قال : فقالت لي : يخاف والله إذا أمسى ألا يصبح ، وإذا أصبح ألا يمسي وكان حبيب يقول لزوجته : إن مت في اليوم ، فأرسلني إلى فلان يغسلني ، و افعلي كذا ، واصنعي كذا ، فقيل لامرأته : أراي رؤيا ؟ قالت : هذا يقوله في كل يوم . (قصر الأمل لابن أبي الدنيا 59)

وكانت أم الصهباء معاذة العدوية زوجة صلة بن أشيم إذا جاء النهار قالت : هذا يومي الذي أموت فيه فما تنام حتى تمسي ، وإذا جن الليل قالت : هذه ليلتي التي أموت فيها فلا تنام حتى تصبح . (صفة الصفوة 22 / 4)

وكانت عفيرة العابدة لا تضع جنبها إلى الأرض في ليل وتقول : أخاف أن أؤخذ على غرة وأنا نائمة . (صفة الصفوة 34 / 4)

66- باب استحباب زيارة القبور للرجال وما يقوله الزائر

581- عن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا » رواه مسلم وفي رواية « فمن أراد أن يزور القبور فليزر فإنها تذكرنا بالآخرة » .

582- وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كُلَّمَا كَانَ لَيْلَتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْرُجُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ إِلَى الْبَقِيعِ ، فَيَقُولُ : « السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ، وَأَتَاكُمْ مَا تُوعَدُونَ ، غَدًا مُوجَلُونَ ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَأَهْلِ بَقِيعِ الْعَرَقِ » رواه مسلم .

583- وعن بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُهُمْ إِذَا خَرَجُوا إِلَى الْمَقَابِرِ أَنْ يَقُولَ قَائِلُهُمْ : « السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ ، أَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمْ الْعَافِيَةَ » رواه مسلم .

584- وعن ابن عَبَّاسٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : مَرَّرَسُورُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقُبُورِ الْمَدِينَةِ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ بِوَجْهِهِ فَقَالَ : « السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْقُبُورِ ، يَغْفِرُ اللَّهُ لَنَا وَلَكُمْ ، أَنْتُمْ سَلَفْنَا وَنَحْنُ بِالْآخِرِ » رواه الترمذي وقال : حديثٌ حسن .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

عن مجاهد في قوله تعالى : (فلأنفسهم يمهّدون) (الروم 44) قال : في القبر . (الحلية 3 / 297)

قال هانئ مولى عثمان : كان عثمان إذا وقف على قبر يبكي حتى يبيل لحيته فقليل له : تذكر الجنة والنار ولا تبكي وتبكي من هذا ؟ قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه . (الترمذي ح 2308)

عن نافع قال : شهدت مع ابن عمر جنازة فلما فرغ من دفنها ، قال قائل : ارفعوا على اسم الله ، فقال ابن عمر : إن اسم الله علاء كل شيء ، ولكن : ارفعوا باسم الله . (حلية الأولياء 1 / 312)

عن موسى بن عقبة : أنه رأى سالم بن عبد الله بن عمر لا يمر بقبر ، بليل ولا نهار إلا يسلم عليه يقول : السلام عليكم فقلت له في ذلك ؛ فأخبرني عن أبيه : أنه كان يقول ذلك . (الحلية 2 / 195)

نظر عمرو بن العاص إلى المقبرة فزل وصى ركعتين ؛ فقليل له : هذا شيء لم تكن تصنعه ؟ فقال : ذكرت أهل القبور وما حيل بينهم وبينه ، فأحببت أن أتقرب إلى الله بهما . (إلهاء 4 / 486)

قال حذيفة رضي الله عنه : إن في القبر حسابا ويوم القيامة حسابا : فمن حوسب يوم القيامة عذب . (حلية الأولياء 1 / 283)

عن ميمون بن مهران قال : كنت جالسا عند عمر بن عبد العزيز ، فقرا : (ألهاكم التكاثر . حتى زرتم المقابر) (التكاثر 1 - 2) . فقال لي : يا ميمون ما أرى القبر إلا زيارة ولا بد للزائر أن يرجع إلى منزله . يعني : إلى الجنة ، أو النار . (حلية الأولياء 5 / 317)

قال عمارة بن مهران المعولي : قال لي محمد بن واسع : ما أعجب إلى منزلك ؛ قال : قلت : وما يعجبك من منزلي ، وهو عند القبور ؟ قال : وما عليك ، يقلون الأذى ويذكرونك الآخرة . (حلية الأولياء 2 / 348)

عن أحمد بن ضرار العجلي قال : أتيت داود الطائي - وهو في دار واسعة خربة ، ليس فيها إلا بيت ، وليس على بيته باب فقال له بعض القوم : أنت في دار وحشة ، فلو اتخذت لبيتك هذا بابا ، أما تستوحش ؟ فقال : حالت وحشة القبر بيبي وبين وحشة الدنيا . (حلية الأولياء 7 / 343)

عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه قال : يجعل للقبر لسانا ينطق به فيقول : يا ابن آدم كيف نسيتني ؟ أما علمت أي بيت الأكلة وبيت الدود وبيت الوحشة وبيت الوحدة ؟ . (الحلية 3 / 271)

قال عتبة بن هارون : مفضل الرقاشي وأنا معه بمقبرة فقال : يا أيها الديار الموحشة : التي نطق بالخراب فناؤها وشيد في التراب بناؤها فمحلها مقرب وساكنها مغترب في محلة المتشاغلين لا يتواصلون تواصل الإخوان ، ولا يتزاورون تزاور الجيران . (حلية الأولياء 6 / 207)

قال الأوزاعي : جئت إلى بيروت أربط فيها فلقيت سوداء - يعني جارية سوداء - عند المقابر فقلت لها : يا سوداء أين العمارة ؟ - يعني أين البلد وأين العمران ؟ - ، قالت : أنت في العمارة ، وإن أردت الخراب فبين يديك . (سير أعلام النبلاء 7 / 121)

قال محمد بن خلف سمعت أبي قال : رجعنا من ميت مع ابن السماك يقول تمر أقاربي جنبات قبري كأن أقاربي لا يعرفوني : وذووا الأموال يقتسمون مالي ولا يألون أن جحدوا ديوني قد أخذوا سهامهم وعاشوا فبالله ما أسرع ما نسوني . (أهوال القبور 554)

قال القاسم بن مخيمرة : لأن أظأ على سنان محمي حتى ينفذ من قدمي أحب إلي من أن أظأ على قبر رجل مؤمن متعمدا . (حلية الأولياء 6 / 80)

قال طاووس : لا يحرز دين المؤمن إلا حفرته (أي : إنه طوال حياته في الدنيا معرض للفتن ، فإذا ختم له بخير وصار إلى قبره فإنه يؤمن بذلك من الوقوع في الفتن أو من أن يفتن) . (الحلية 4 / 6)

شيع الحسن رحمه الله : جنازة فجلس على شفير القبر فقال : إن أمراً هذا آخره لحقيق أن يزهد في أوله ، وإن أمراً هذا أوله لحقيق أن يخاف آخره . (فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب 366)

عن الفضيل بن عياض قال : رأيت رجلاً يبكي قلت : وما يبكيك ؟ قال : أبكاني كلامه قلت : ما هو ؟ كنا وقوفا في المقابر فأنشدوا :

أَتَيْتُ الْقُبُورَ فَسَأَلْتُهَا *** أَيْنَ الْمَعْظَمِ وَالْمُحْتَقَرِ

وَأَيْنَ الْمُدِيلِ بِسُلْطَانِهِ *** وَأَيْنَ الْقَوِيِّ إِذَا مَا قَدَرُ

تَفَاتُوا جَمِيعًا فَمَا مُخْبِرٌ *** وَمَاتُوا جَمِيعًا وَمَاتَ الْخَبْرُ

فَيَا سَائِلِي عَنْ أَنَاسٍ مَضَوْا *** أَمَّا لَكَ فِيمَا تَرَى مُعْتَبَرٌ؟

تَرْوَحُ وَتَعْدُو وَ أَبْلَاكَ التَّرَى *** فَتَمَحُّوا مَحَاسِنَ تِلْكَ الصُّورِ

فَيَا سَائِلِي عَنْ أَنَاسٍ مَضَوْا *** أَمَّا لَكَ فِيمَنْ مَضَى مُعْتَبَرٌ؟ (أهوال القبور لابن رجب 146)

ولله ذرأبي العتاهية حيث قال : (أهوال القبور)

إني سألت التراب : ما فعلت بعدي بجسد وقع فيه الدود متعففة فأجابني :

صيرت ريحهم يؤذيك بعد روائح عطرة ، وأكلت أجساداً منعمة كان النعيم يهزها نضرة ، لم يبق غير جماجم عريت بيض تلوح أو أعظم نخرة .

روى ابن أبي الدنيا بإسناده عن أبي إسحاق : شهدت جنازة رجل من إخواني منذ خمسين سنة فلما دفن وسوي عليه التراب وتفرق الناس ، جلست إلى بعض تلك القبور ففكرت فيما كانوا فيه من الدنيا وانقطاع ذلك كله عنهم فأنشدت أقول :

سلام على أهل القبور الدوارس *** كأنهم لم يجلسوا في المجالس

ولم يشربوا من بارد الماء شربة ** ولم يأكلوا من بين رطب ويابس

ألا خبروني : أين قبر ذليلكم ؟ *** وقبر العزيز الباذخ المتمارس

وغلبتني عيناى فقمتم وأنا محزون .

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

عن عمر بن عبد العزيز : أنه كتب إلى عدي بن أرطاة وهو من التابعين ولربما خطب وبكى الناس وقد ولاه عمر بن العزيز رحمه الله على البصرة ، ولكنه بعد ذلك بعد وفاة عمر عنه دعا إلى نفسه وأظهر أنه القحطاني الذي أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم وقال : إنه يسير بالناس سيرة عمر بن الخطاب عنه فالشرق قديم ، والتحول والتقلب والفتنة ليست جديدة ، هذا رجل روى عن بعض الصحابة ، ومن ولاة عمر بن عبد العزيز . فكتب له عمر بن عبد العزيز يقول : إنك غررتني بعمامتك السوداء ، ومجالستك القراء ، وقد أظهرنا الله على كثير مما تكتمون ، أما تمشون بين القبور؟ . (سير أعلام النبلاء 5 / 53)

عن ميمون بن مهران قال : خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقبرة ، فلما نظر إلى القبور : بكى ؛ ثم أقبل علي ، فقال : يا أبا أيوب ، هذه قبور آبائي بني أمية ، كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا في لذتهم وعيشهم ، أما تراهم صرعى قد حلت بهم المثلات ، واستحكّم فيهم البلاء ، وأصابت الهوام في أبدانهم مقيلا ؟ ثم بكى ، حتى غشي عليه ؛ ثم أفاق ، فقال : انطلق بنا ، فوالله ، ما أعلم أحدا أنعم ممن صار إلى هذه القبور ، وقد أمن عذاب الله . (حلية الأولياء 5 / 269)

قال سلام بن صالح : فقد الحسن ذات يوم فلما أسمى قال له أصحابه : أين كنت ؟ قال : كنت اليوم عند إخوان لي أن نسيت ذكروني وإن غبت عنهم لم يغتابوني فقال له أصحابه : نعم الإخوان والله هؤلاء يا أبا سعيد دلنا عليهم قال : هؤلاء أهل القبور . (أهوال القبور النشور 138)

قال عاصم الحيطي : كنت أمشي مع محمد بن واسع فأتينا المقابر فدمعت عيناه ثم قال : يا عاصم لا يغرنك ما ترى من خمودهم فكأنهم وقد وثبوا من هذه الأجداث فمن بين مسرور ومهموم . (أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور 139)

ويقول محمد بن صالح التمار : كان صفوان بن سليم يأتي البقيع فيمربي ، فأتبعته ذات يوم وقلت : لأنظرن ما يصنع ، ففتح رأسه - كأنه رفع عمامته أو نحو ذلك - وجلس إلى قبر منها ، فلما يزل يبكي حتى رحمته وظننت أنه قبر بعض أهله ، ومربي مرة أخرى فأتبعته فقعد إلى جنب قبر غيره ففعل مثل ذلك ، فذكرت ذلك لمحمد بن المنكدر ، وقلت له : إنما ظننت أنه قبر بعض أهله ، فقال محمد : كلهم أهله وإخوته ، إنما هو رجل يحرك قلبه بذكر الأموات كلما عرضت له قسوة ، ثم جعل محمد يمر بي فيأتي البقيع ، فسلمت عليه ذات يوم ، فقال : أما نفعتك موعظة صفوان ؟ . (سير أعلام النبلاء 5 / 367)

قال الحارث بن سعيد : أخذ بيدي رياح القيسي يوما ، فقال : هلم يا أبا محمد حتى نبكي على ممر الساعات ونحن على هذه الحال ؛ قال : وخرجت معه إلى المقابر ، فلما نظر إلى القبور صرخ ، ثم خر مغشيا عليه ؛ قال : فجلست والله عند رأسه أبكي ؛ قال : فأفاق ، فقال : ما يبكيك ؟ قلت : لما أرى بك قال : لنفسك فابك ؛ ثم قال : وانفساه ، وانفساه ، ثم غشي عليه ؛ قال : فرحمته والله ، مما نزل به ، فلم أزل عند رأسه حتى أفاق قال : فوثب وهو يقول : (تلك إذا كرة خاسرة) (النازعات 12) ومضى على وجهه وأنا أتبعه لا يكلمني حتى انتهى إلى منزله ، فدخل ، وصفق بابيه ؛ ورجعت إلى أهلي ، ولم يلبث بعد ذلك إلا يسيرا ، حتى مات رحمه الله تعالى عليه . (حلية الأولياء 6 / 193)

عن مالك بن دينار قال : خرجت أنا وحسان بن أبي سنان نزور المقابر فلما أشرف عليها سبقته عبرته ثم أقبل علي فقال : يا يحيى ! هذه عساكر الموتى ينتظر بها من بقي من الأحياء ثم يصاح بهم

صحيحة فإذا هم قيام ينظرون فوضع مالك يده على رأسه وجعل يبكي . (أهوال القبور 139)

ويقول محمد الأشهلي : مررت بمقابر فسمعت همهمة فإذا يحيى بن أيوب في حفرة من تلك الحفر ، وإذا هو يدعو ويبكي ويقول : يا قرّة عين المنقطعين يعتي يدعوا لله ويا قرّة عين العاصين أنت سترت عليهم ولم لا تكون قرّة عين المطيعين وأنت سننت عليهم بالطاعة ويعاود البكاء يقول محمد الأشهلي : فغلبني البكاء فتفطن بي سمع بكاءه فقال : تعال ، لعل الله إنما بعث بك لخير . (سير أعلام النبلاء 11 / 387)

روى ابن أبي الدنيا بإسناده عن عبد الله بن صدقة بن مرداس البكري عن أبيه عن شيخ حدثه بقرية من بلاد أنطابلس قال: كان ثلاثة إخوة: أمير يصحب السلطان ويؤمر على المدائن والجلوس، وتاجر موسر مطاع من ناحيته، وزاهد قد تخلى لنفسه وتخلى لعبادة ربه. قال: فحضرت العابد الوفاة فاجتمع عنده إخوانه فقال لهما إذا مت فغسلاني وكفناني وادفناني على نشز من الأرض واكتبا على قبري:

وكيف يلذ العيش من هو عالم *** بأن إله الخلق لا بد سائله

فيأخذ منه مظلمة لعباده *** ويجزيه بالخير الذي هو فاعله.

فإذا أنتما فعلتما ذلك فأتياني كل يوم لعلكما أن تتعظا. قال: ففعلا ذلك، فكان أخوه يركب في جنده حتى يقف على القبر فيقرأ ما على عليه ويبكي فلما كان اليوم الثالث وأراد أن ينصرف سمع هدة من داخل القبر، كاد أن ينصدع لها قلبه، فانصرف مذعوراً فزعاً فلما كان من الليل رأى أخاه في منامه فقال له أي أخي ما الذي سمعت من قبرك؟ قال تلك هدة المقمعة قيل لي رأيت: مظلوما، فلم تنصره، فأصبح مهموما فدعا أخاه وخاصته وقال: ما أرى أراد بما أوصى أن يكتب على قبره غيري، وإني أشهدكم أن لا أقيم بين ظهرانيكم أبداً، قال: فترك الإمارة ولزم الكتابة وكتب إلى عبد الملك بن مروان في ذلك، فكتب أن خلوه وما أراد، فحضرت الوفاة وهو في جبل مع بعض الرعاة فبلغ أخاه فأتاه فقال له إذا مت فادفني إلى جنب أخي وأكتب على قبري :

وكيف يلذ العيش من كان موقنا *** بأن المنايا بغتة ستعاجله

فتسليه ملكا عظيما *** وتسكنه البيت الذي هو أهلها

ثم تعاهدني ثلاثة بعد موتي، وادعوا الله لي لعل الله أن يرحمني، ومات ففعل به أخوه ذلك فلما كان في اليوم الثالث وأراد أن ينصرف سمع وجبة في قبره كاد أن يذهل عقله، فرجع حزينا قلقا. فلما

كان في الليل إذا بأخيه في منامه قد أتاه قال. فقلت له: أي أخي أتيتنا زائراً قال: يا أخي هيات بعد المزار فلا مزار، وأطمأنت بنا الدار قلت: يا أخي كيف أنت؟ قال: بخير ما أجمع التوبة لكل خير. قال: فكيف أخي؟ قال: ذلك مع الأئمة الأبرار. قلت: وما أمرنا وراءكم. قال: من قدم شيئا وجده؛ فاغتنم وجدك قبل نقلك، فأصبح أخوه معتزلاً ففرق ماله وقسمه وباعه، و أقبل على طاعة ربه، ونشأ له ابن كأهنا الشباب وجهها وجمالاً فأقبل على المكاسب والتجارة حتى بلغ منها الغاية، وحضرت الوفاة أباه وقال له: إذا مت تذكر القبور والتفكر في أحوالهم. (فصل الخطاب في الزهد والرفائق والآداب 370 - 371)

67- باب كراهية تمنى الموت بسبب ضرر نزل به ولا بأس به لخوف الفتنة في الدين

585- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « لا يتمن أحدكم الموت إِمَّا مُحْسِنًا ، فَلَعَلَّهُ يَزْدَادُ ، وَإِمَّا مُسِينًا فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتَبُ » متفق عليه، وهذا لفظ البخاري .

وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « لا يتمن أحدكم الموت ، وَلَا يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ ، إِنَّهُ إِذَا مَاتَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ ، وَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عُمْرَهُ إِلَّا خَيْرًا » .

586- وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يتمن أحدكم الموت لضرب أصابه فإن كان لابد فاعلاً ، فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي ، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي « متفق عليه

587- وعن قيس بن أبي حازم قال: دخلنا على حباب بن الأرت رضي الله عنه نعوذُه وقد اکتوى سبع كيات فقال: إن أصحابنا الذين سلفوا مَضَوْا ، وَلَمْ تَنْقُصْهُمْ الدُّنْيَا ، وَإِنَّا أَصَبْنَا مَا لَا نَجِدُ لَهُ مَوْضِعًا إِلَّا التُّرَابَ وَلَوْلَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَانَا أَنْ نَدْعُوَ بِالْمَوْتِ لَدَعَوْتُ بِهِ ثُمَّ أَتَيْنَاهُ مَرَّةً أُخْرَى وَهُوَ بَيْتِي حَائِطًا لَهُ ، فَقَالَ : إِنَّ الْمُسْلِمَ لَيُؤَجَّرُ فِي كُلِّ شَيْءٍ يُنْفِقُهُ إِلَّا فِي شَيْءٍ يَجْعَلُهُ فِي هَذَا التُّرَابِ . متفق عليه ، وهذا لفظ رواية البخاري .

أَثَارُ الْوَارِدَةِ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قال الصديق في وصيته لعمر: إن أنت حفظت وصيتي لم يكن غائب أحب إليك من الموت ، ولا بد لك منه وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى: (قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين) (سورة البقرة 94) وقوله: (قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين) (الجمعة 6) ومن أراد الله

به خيرا غسله ، فاستعمله بعمل صالح قبل موته فيقبضه عليه ، إنما الأعمال بالخواتيم .
(مجموع رسائل الحافظ ابن رجب 762 / 02)

كان عمر بن الخطاب : يتمنى أن يموت بالمدينة وكان يدعو فيقول : اللهم ارزقني شهادة في سبيلك واجعل موتى في بلد رسولك . (صحيح البخاري رقم 1890)

قال علي بن أبي طالب في يوم الجمل : ليتني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة ! .
(المتمنين لأبي الدنيا 62)

كان ابن مسعود يتمنى الموت فليل له ، فقال : لو أني أعلم أني أبقى على ما أنا عليه لتمنيت البقاء عشرين سنة . (مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي 762 / 02)

قال ابن مسعود : سيأتي عليكم زمان لو وجد أحدكم الموت يباع لاشتراه .
(مستدرك الحاكم 4 / 486)

قال قيس رضي الله عنه : أتيت خبابا رضي الله عنه وقد اكتوى سبعا في بطنه فسمعته يقول : لولا أن النبي صلى الله عليه وسلم نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به . (البخاري 5 / 2337 - 5989)

يقول أبو هريرة : سيأتي على الناس زمان ، يكون الموت أحب إلى العلماء من الذهب الأحمر ، حتى يأتي الرجل قبر أخيه ، فيقول : يا ليتني مكانك وصدق أبو هريرة فها هو سفيان الثوري يقول : كان من دعائي ألا أموت فجأة ، فأما اليوم فوددت أنه قد كان . (كتاب المتمنين لأبي الدنيا 84)

وقال أبو هريرة : من رأى الموت يباع فليشره لي . (الثبات عند الممات لابن الجوزي 54)

كان أبو الدرداء إذا مات الرجل على الحالة الصالحة قال : هنيئا لك يا ليتني مكانك فقالت له أم الدرداء في ذلك فقال : هل تعلمين يا حمقاء ، أن الرجل يصبح مؤمنا ويمسي منافقا ، يسلب إيمانه وهو لا يشعر فأتنا لهذا الميت أغبط مني لهذا بالبقاء والصلاة والصوم .
(مجموع رسائل ابن رجب 762 / 02)

كان العرياض بن سارية يقول وقد كبرت سنه : اللهم كبرت سني ، ووهن عظمي ، فاقبضني إليك .
(حلية الأولياء 2 / 14)

وعن ربيعة بن زهير قال : قيل لسفيان : كيف تتمنى الموت ، وقد نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : لو سألتني ربي ، لقلت : يا رب لثقتي بك ، وخوفي من الناس : لأنني لو خالفت واحدا في رمانة ، فقلت : حلوة ، وقال : مرة ، لخفت أن يشاط بدمي . (كتاب العزلة للخطابي 91)

عن أبي ذر: يوشك أن تمر الجنازة في السوق على الجماعة فيراها الرجل ، فيمز رأسه ، فيقول : يا ليتني مكان هذا ؟ قلت : يا أبا ذر إن ذلك لمن أمر عظيم ؟ قال : أجل . (التذكرة 711)

وقال عمر بن عبد العزيز لعنيسة أكثر ذكر الموت فإن كنت واسع العيش ضيقه عليك وإن كنت ضيق العيش وسعه عليك . (إحياء علوم الدين 4 / 451)

وقال أبو سليمان الداراني قلت لأم هرون أتحيين الموت قالت لا قلت لم قالت لو عصيت آدميا ما اشتبهت لقاءه فكيف أحب لقاءه وقد عصيته . (إحياء علوم الدين 4 / 451)

قال يونس أنه : ما رأيت أحدا سربالموت من أبي الفضل يوسف بن مسرور مولى نجم الصيرفي كان يقول : والله لو أعلم أن أحدا تجاب دعوته لسألته أن يسأل الله تعالى لي الموت فقلت له : أصلحك الله أوتحب أن تموت ؟ فقال : وكيف لا أحب الخروج من دار الفتن وإبليس وكذا وكذا إلى دار أرجو فيها الاجتماع مع محمد صلى الله عليه وسلم ؟ . (رياض النفوس 2 / 236)

وقال عمرو بن مرة الهمداني : تمنى عبد الله لأهله ولنفسه الموت ، فقيل له : تمنيت لأهلك ، فلم تمنيت لنفسك ؟ فقال : لو أني أعلم أنكم تبقون على حالكم هذه لتمنيت أن أعيش ، فذكر عشرين سنة . (كتاب المتمنين 83)

قال الحسن : ما رأيت عاقلا قط إلا أصبته من الموت حذرا وعليه حزينا . (الإحياء 4 / 451)

وتمنى عطاء السلمي الموت وقال : إنما يريد الحياة من يزداد خيرا ، فأما من يزداد شرا فما يصنع بالحياة ! . (كتاب المتمنين 69)

وكان أبو رجاء العطاردي يقول : لأنا إلى من في بطنها أشوق مني إلى من في ظهرها . (المتمنين 84)

قال حبان بن الأسود: الموت خير ، يوصل الحبيب إلى حبيبة . (حلية الأولياء 9 / 10)

قال أبو حازم : من اعتدل يوماه فهو مغبون ومن كان غده شريومية فهو محروم ومن لم ير الزيادة في نفسه كان في نقصان ومن كان في نقصان فالموت خير له . (المجالسة وجواهر العلم 5 / 58)

قال ابن حجر في حكم كراهية تمنى الموت : فمن كرهه إيثارا للحياة الدنيا على الآخرة كان مذموما . ومن كرة الموت خشية أن يفضي إلى المؤاخذة ، كأن يكون مقصرا في العمل ، لم يستعد له بالأهبة ، بأن يتخلص من التعبات ، ويقوم لله بالواجبات ، فهذا معذور . (فتح البارئ 11 / 360 - 361)

قَالَ الشَّاعِرُ: (لِطَائِفِ الْمَعَارِفِ 1 / 296) أَشْتَأَقُ إِلَيْكَ يَا قَرِيبًا نَائِي *** شَوْقِي ظَمَأٌ إِلَى زُلَالِ الْمَاءِ

الآثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

قال عبيدة بن عبد الله بن مسعود : مر سليمان بن صرد بأمي فطلب ماء ليتوضأ به فأنته الجارية بماء فمروا برجل مجلود يقول : أنا والله مظلوم ، فقال : يا هذه لمثل هذا كان زوجك (يعني عبد الله بن مسعود) يتمنى الموت . (كتاب المتمنين لأبي الدنيا 83)

لما جاء زينب رضي الله عنها عطاء عمر استكثرتة ، وقالت : اللهم لا يدركني عطاء لعمر بعدها ، فماتت قبل أن يدركها عطاء عمر الثاني . (حلية الأولياء 2 / 54)

قال الزبير بن بكار: حدثني محمد بن الحسن أنه لما نزل القوم بالحسين وأيقن أنهم قاتلوه ، قام في أصحابه خطيبا ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : قد نزل من الأمر ما ترون ، وإن الدنيا قد تغيرت وتنكرت ، وأدبر معروفها ، وانشمرت حتى لم يبق منها إلا كصبابة الإناء ، إلا خسيس عيش كالمرعى الوبيل ، ألا ترون الحق لا يعمل به ، والباطل لا يتناهى عنه ، ليرغب المؤمن في لقاء الله ، وإني لا أرى الموت إلا سعادة ، ولا الحياة مع الظالمين إلا جرما . (حلية الأولياء 2 / 39)

وعن أبي مهلهل سعيد بن صدقة قال : أخذ بيدي سفيان الثوري يوما ، فأخرجني إلى الجبان ، فاعتزلنا ناحية من طريق الناس ، فبكي ثم قال : يا أبا مهلهل ، وددت أني لم أكن كتبت من هذا العلم حرفا واحدا ، إلا ما لا بد للرجل منه ، قال : ثم بكى ، ثم قال : يا أبا مهلهل ، قد كنت قبل اليوم أكره الموت ، فقلبي اليوم يتمنى الموت ، وإن لم ينطق به لساني ، قلت : ولم ذاك ؟ قال : لتغير الناس وفسادهم . (المتمنين لأبي الدنيا 64)

اجتمع أهييب بن الورد وسفيان الثوري ويوسف بن أسباط ، من كبار العباد ، فقال الثوري : قد كنت أكره موت الفجأة قبل اليوم فأما اليوم فوددت أني ميت ؟ طبعا لأن سفيان ابتلي في الله سفيان طارده ، وتخفى وأوذي ، ويخشى على دينه من إخلاصه قال : قد كنت أكره موت الفجأة قبل اليوم وأما اليوم فوددت أني ميت ، فقال له يوسف بن أسباط : ولم ؟ قال : لما أتخوف من الفتنة ، أخاف أؤخذ و أفتن ولا أصبر ، قال يوسف : لكني لا أكره طول البقاء ، قال الثوري : ولم ؟ قال : لعلني أصادف يوما أتوب فيه ، وأعمل صالحا ، فقيل لأهييب : أي شيء تقول أنت ؟ قال : أنا لا أختار شيئا ، أحب ذلك إلى أحبه إلى الله ، فقبل الثوري بين عينيه ، وقال : روحانية ورب الكعبة . (إحياء علوم الدين 4 / 355)

قال ابن المبارك : قدمت مكة فإذا الناس قد قحطوا من المطر ، وهم يستسقون في المسجد الجرام وكنت عند باب بني شيبه ، إذا أقبل غلام أسود عليه قطعنا خيش قد اتزربا أحدهما ، وألقى

الأخرى على عاتقه فصار في موضع خفي إلى جانبي فسمعتة يقول في دعاء الاستسقاء : اللهم أخلقت الوجوه كثرة الذنوب ، ومساوى الأعمال ، وقد منعتنا غيث السماء لتأدب الخليقة بذلك فأسألك يا حلِيمَا ذَا أَنَاةٍ يَا مَنْ لَا يَعْرِفُ عِبَادَهُ مِنْهُ إِلَّا الْجَمِيلُ ، اسقهم الساعة الساعة قال ابن المبارك : فلم يزل يقول : الساعة الساعة حتى استوت بالغمام وأقبل المطر من كل مكان وجلس مكانه يسبح وأخذت أبكي إذا قام فأتبعته حتى عرفت موضعه . في آخر القصة جاءه ابن المبارك وكشف له الأمر ، أنه عرفه أنه قال : كذا وكذا فقال : اللهم إذ شهرتني ، فاقبضني إليك الساعة الساعة فدنوت منه فإذا هو قد مات رحمه الله . (صفة الصفوة 2 / 269 - 272)

68- باب الورع وترك الشبهات

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ [النور : 15] ، وَقَالَ تَعَالَى : إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ [الفجر : 14] .

588- وعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : «إِنَّ الْحَلَالَ يَبِينُ ، وَإِنَّ الْحَرَامَ يَبِينُ ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ ، اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ ، وَقَعَ فِي الْحَرَامِ ، كَالرَّاعِي يَرعى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى ، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمَهُ ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ : أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ » متفقٌ عليه . وَرَوَاهُ مِنْ طَرُقٍ بِالْفَاظِ مُتَقَارِبَةٍ .

589- وعن أَنَسِ بْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَدَ ثَمْرَةً فِي الطَّرِيقِ ، فَقَالَ : «لَوْلَا أَنِّي أَخَافُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الصَّدَقَةِ لِأَكْلِهَا » . متفقٌ عليه .

590- وعن النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ » رواه مسلم . « حَاكَ » بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ وَالْكَافِ ، أَيْ تَرَدَّدَ فِيهِ

591- وعن وَاِبْصَةَ بْنِ مَعْبُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : «جِئْتُ تَسْأَلُ عَنِ الْبِرِّ؟» قلت : نعم ، فقال : « اسْتَقْتِ قَلْبَكَ ، الْبِرُّ : مَا اطْمَأَنَّتَ إِلَيْهِ النَّفْسُ ، وَاطْمَأَنَّتَ إِلَيْهِ الْقَلْبُ ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَافْتَوَكَ » حديثٌ حسن ، رواه أحمد ، والدارمي في « مُسْنَدَيْهِمَا » .

592- وعن أبي سِرْوَعَةَ بكسر السين المهملة وفتحها عُقْبَةُ بن الحارث رضي الله عنه أَنَّهُ تَزَوَّجَ ابْنَتَهُ لأبي إهاب بن عَزِيزٍ ، فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ : إِنِّي قَدْ أَرْضَعْتُ عُقْبَةَ وَالتِي قَدْ تَزَوَّجَ بِهَا ، فَقَالَ لَهَا عُقْبَةُ : مَا أَعْلَمُ أَنَّكَ أَرْضَعْتِي وَلَا أَخْبَرْتِي ، فَرَكِبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ ، فَسَأَلَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كَيْفَ ، وَقَدْ قِيلَ ؟ ، » فَفَارَقَهَا عُقْبَةُ وَنَكَحَتْ زَوْجًا غَيْرَهُ . رواه البخاري . « إهاب » بكسر الهمزة ، و« عزيز » بفتح العين وبزاي مكررة .

593- وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما ، قال : حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « دَعُ مَا يَرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيْبُكَ » رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح . ومعناه : اترك ما تشك فيه ، وخذ ما لا تشك فيه .

594- وعن عائشة رضي الله عنها ، قالت : كَانَ لأبي بكر الصديق ، رضي الله عنه غُلامٌ يُخْرِجُ لَهُ الخِرَاجَ وكان أبو بكر يأكلُ مِنْ خِرَاجِهِ ، فَجَاءَ يَوْمًا بِشَيْءٍ ، فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ ، فَقَالَ لَهُ الغُلامُ : تَدْرِي مَا هَذَا ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : كُنْتُ تَكْرَهْتُ لِإنْسَانٍ فِي الجَاهِلِيَّةِ وَمَا أُحْسِنُ الكَهَانَةَ إِلَّا أَنِّي خَدَعْتُهُ ، فَلَقِيَنِي ، فَأَعْطَانِي بِذَلِكَ هَذَا الذي أَكَلْتُ مِنْهُ ، فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ ، رواه البخاري .

« الخراج » : شَيْءٌ يَجْعَلُهُ السَّيِّدُ عَلَى عَبْدِهِ يُؤَدِّيهِ إِلَى السَّيِّدِ كُلِّ يَوْمٍ ، وَبَاقِي كَسْبِهِ يَكُونُ لِلْعَبْدِ .

595- وعن نافعٍ أَنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ رضي الله عنه ، كَانَ فَرَضَ لِلْمُهَاجِرِينَ الأوَّلِينَ أَرْبَعَةَ آلافٍ ، وَفَرَضَ لِابْنِهِ ثَلَاثَةَ آلافٍ وَخَمْسَمِائَةٍ فَقِيلَ لَهُ : هُوَ مِنَ المُهَاجِرِينَ فَلِمَ نَقَصْتَهُ ؟ فَقَالَ : إِنَّمَا هَاجَرَ بِهِ أبوه يَقُولُ : لَيْسَ هُوَ كَمَنْ هَاجَرَ بِنَفْسِهِ . رواه البخاري

596- وعن عطية بن عروة السَّعْدِيِّ الصَّحَابِيِّ رضي الله عنه قَالَ . قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لا يبلغ العبدُ أن يكون من المتقين حتى يدعَ مالا بأسَ به حذرًا مما به بأسٌ » . رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

عن ابن عباس ، قوله : إن ربك لبالمرصاد . يقول : يرى ويسمع . عن الضحاك في هذه الآية ، قال : إذا كان يوم القيامة ، يأمر الرب بكرسيه ، فيوضع على النار ، فيستوي عليه ، ثم يقول : وعزتي وجلالي ، لا يتجاوزني اليوم ذو مظلمة ، فذلك قوله : لبالمرصاد . عمرو بن قيس ، قال : بلغني أن على جهنم ثلاث قناطر : قنطرة عليها الأمانة ، إذا مروا بها تقول : يا رب هذا أمين يا رب هذا خائن وقنطرة عليها الرحم إذا مروا بها تقول : يا رب هذا واصل يا رب هذا قاطع ; وقنطرة عليها الرب . إن

ربك لبا لمرصاد . (تفسير الطبري 24 / 412)

عن الحسن إن ربك لبا لمرصاد قال : بمرصاد أعمال بني آدم . (تفسير الدر المنثور 15 / 416)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال أبو بكر رضي الله عنه : كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة أن نقع في باب من الحرام .
(الرسالة القشيرية ص 53)

وقال عمر رضي الله عنه : كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة الوقوع في الحرام . (الإحياء 2 / 95)
قال أنس رضي الله عنه : كان بين كتفي عمر رضي الله عنه أربع رقاع وإزاره مرقوع بادم وخطب عمر
على المنبر وعليه إزار فيه اثنتا عشرة رقعة ! . (البداية والنهاية 7 / 148)

كانت تحت معاذ بن جبل امرأتان : فإذا كان عند إحداهما لم يشرب من بيت الأخرى الماء ! .
(حلية الأولياء 1 / 234)

قال أبو الدرداء : تمام التقوى أن يتقي الله العبد ، حتى يتقيه من مثقال ذرة ، وحتى يترك بعض ما
يرى أنه حلال خشية أن يكون حراما ، حجابا بينه وبين الحرام . (حلية الأولياء 1 / 212)

قال أبو هريرة : جلساء الله تعالى غدا أهل الورع والزهد . (الرسالة القشيرية 1 / 236)

عن عبادة بن الصامت : إنه مربقرة دمر ، فأمر غلامه أن يقطع له سواكا من صفصاف على نهر
هناك ، فمضى ليفعل ، ثم قال : ارجع ، فإنه إلا يكن بئس فإنه يببس ، فيعود حطبا بئس .
(سير أعلام النبلاء 2 / 10)

قال عون بن المعتمر رحمه الله : دخل عمر بن عبد العزيز على امرأته فقال : يا فاطمة عندك درهم
أشترى به عنبا ؟ قالت : لا ، قال : فعندك نمية - يعني الفلوس - أشترى بها عنبا ؟ قالت : لا ،
فأقبلت عليه فقالت : أنت أمير المؤمنين لا تقدر على درهم ولا نمية تشتري بها عنبا ؟ قال : هذا
أهون علينا من معالجة الأغلال غدا في نار جهنم . (حلية الأولياء 5 / 259)

وجاء عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى أبي بكر بن حزم يعني : يأمره بأن يدقق القلم ويقارب بين
الأسطر يقول : فإني أكره أن أخرج من أموال المسلمين ما لا ينتفعون به . (السير 5 / 132)

قال ميمون بن مهران : ما زلت أطف في أمر الأمة أنا وعمر بن عبد العزيز حتى قلت له : ما شأن
هذه الطوامير التي تكتب فيها بالقلم الجليل ، وهي من بيت المال ؟ ، فكتب في الآفاق بتركه ، فكانت

كتبه نحو شهر. (سير أعلام النبلاء 5 / 133)

قال إبراهيم بن أدهم : الورع : ترك كل شبهة وترك ما لا يعينك هو ترك الفضلات .
(مدارج السالكين 2 / 21)

قال إبراهيم بن بشار: سئل إبراهيم بن أدهم : بم يتم الورع ؟ قال : بتسوية كل الخلق من قلبك واشتغالك عن عيوبهم بذنبك ؛ وعليك باللفظ الجميل ، من قلب ذليل ، لرب جليل ؛ فكري ذنبك ، وتب إلى ربك : يثبت الورع في قلبك ، واحسم الطمع ، إلا من ربك . (حلية الأولياء 8 / 16)

قال أبي سليمان الداراني : الورع من الزهد بمنزلة القناعة من الرضا هذا أوله وهذا أوله .
(حلية الأولياء 9 / 74)

عبد الرحمن بن عمر بن رسته قال : أخبرني من سمع ابن عيينة وسئل عن الورع فقال : الورع : طلب العلم الذي يعرف به الورع وهو عند قوم طول الصمت وقلة الكلام وما هو كذلك أن المتكلم العالم : أفضل عندي وأورع من الجاهل ، الصامت . (حلية الأولياء 7 / 299)

وقال سفيان بن عيينة : لا يصيب عبد حقيقة الإيمان : حتى يجعل بينه وبين الحرام حاجزا من الحلال ، وحتى يدع الإثم وما تشابهه منه . (فتح الباري 1 / 205)

قال سفيان : عليك بالورع يخفف الله حسابك ودع ما يريبك إلى ما لا يريبك وادفع الشك باليقين يسلم لك دينك . (الورع لابن أبي الدنيا 112)

قال الشافعي : أصل العلم التثبت وثمرته السلامة وأصل الورع القناعة وثمرته الراحة وأصل الصبر الحزم وثمرته الظفر وأصل العمل التوفيق وثمرته النجاح وغاية كل أمر الصدق .
(مواظب الشافعي 11 / 1)

وقال الشافعي رحمه الله تعالى : زينة العلم الورع والحلم . (الآداب الشرعية 2 / 45)

قال يحيى بن أبي كثير: أفضل الأعمال : الورع ، و أفضل العبادة : التواضع . (الحلية 3 / 63)

وقال يحيى بن أبي كثير: يقول الناس : فلان الناسك ؛ وإنما الناسك : الورع . (حلية الأولياء 8 / 68)

قال الحسن البصري : أفضل العلم الورع والتوكل . (الزهد لابن حنبل 265)

وقال : مثقال ذرة من الورع خير من ألف مثقال من الصوم والصلاة . (مدارج السالكين 2 / 22)

قال الضحاك : لقد أدركت أصحابي وما يتعلمون إلا الورع . (الزهد لابن المبارك 11)

قال رجل لسعيد بن المسيب : ما رأيت أروع من فلان قال : هل رأيت علي بن الحسين ؟ قال : لا قال : ما رأيت أروع منه . (سير أعلام النبلاء 4 / 391)

قال عمران بن عبد الله : كان سعيد بن المسيب لا يقبل من أحد شيئا ، لا دينارا ، ولا درهما ، ولا شيئا ؛ قال : وربما عرض عليه الأشرية ، فيعرض ؛ فليس يشرب من شراب أحد منهم . (حلية الأولياء 2 / 167)

قال طوق بن وهب : دخلت على محمد بن سيرين وقد اشتكيت . فقال : كأني أراك شاكيا . قلت : أجل . قال : اذهب إلى فلان الطبيب فاستوصفه ، ثم قال : اذهب إلى فلان فإنه أطب منه ثم قال : أستغفر الله أراني قد اغتبتته ! . (شعب الإيمان 5 / 314)

عن أحمد بن أبي الحواري قال : قال رجل لأبي عبد الرحمن العمري : عظمي : فأخذ حصاة من الأرض ، فقال : مثل هذا وورع يدخل في قلبك ، خير لك من صلاة أهل الأرض : قال : زدني : قال : كما تحب أن يكون الله غدا ، فكن أنت اليوم . (حلية الأولياء 8 / 286)

قال عبد الله بن المبارك : لو أن رجلا اتقى مائة شيء ولم يتورع عن شيء واحد : لم يكن ورعا ؛ ومن كان فيه خلة من الجهل : كان من الجاهلين أما سمعت الله تعالى قال لنوح عليه السلام ؟ قال : (إن ابني من أهلي) (هود 45) فقال الله : (إني أعظك أن تكون من الجاهلين) (هود 46) . (حلية الأولياء 8 / 167)

قال يحيى بن معاذ : الورع على وجهين : ورع في الظاهر وورع في الباطن فورع الظاهر : ألا يتحرك إلا لله وورع الباطن هو ألا تدخل قلبك سواه . المرء أن كان عاقلا ورعا . أشغله عن عيوب غيره ورعه كما العليل السقيم أشغله . . . عن وجع الناس كلهم وجعه . (ديوان الشافعي 90)

قال الفضيل : ما أجد لذة ولا راحة ولا قررة عين إلا حين أخلو في بيتي بربي ، فإذا سمعت النداء قلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ! كراهية أن ألقى الناس فيشغلوني عن ربي تبارك وتعالى . (الزهد الكبير للبيهقي ص 100)

دخل أبو إسحاق الشيرازي : يوما المسجد ليأكل فيه شيئا على عادته فنسي دينارا فذكر في الطريق ، فرجع فوجده . فتركه ولم يمسه وقال : ربما وقع من غيري ولا يكون ديناري . (تزكية النفوس 20)

قال حماد بن زيد : كنت مع أبي فأخذت من حائط تبنيه فقال لي : لم أخذت ؟ قلت : إنما هي تبنيه !!

قال : لو أن الناس أخذوا منه تبنيه هل كان يبقى في الحائط تبني ؟ ! . (الورع لأحمد ص 11)

عن عتبة بن ضمرة بن حبيب بن حبيب : حدثني أبي ، قال : كان يقال : لا يعجبناكم صيام امرئ ، ولا قيامه ؛ ولكن : انظروا إلى ورعه ، فإن كان ورعا مع ما رزقه الله من العبادة ، فهو عبد الله حقا . (حلية الأولياء 6 / 104)

قال إسحاق بن خلف : الورع في المنطق أشد من الورع في الذهب والفضة ، والزهد في الرياسة أشد منه في الذهب والفضة لأنك تبدلتهما في طلب الرياسة . (مختصر تاريخ دمشق 2 / 57)

قال عبد الله بن أبي زكريا : من أكثر كلامه أكثر سقطته ومن أكثر سقطته قل ورعه ومن قل ورعه أمات الله قلبه . (حلية الأولياء 5 / 149)

قال عثمان بن عمارة : الورع يبلغ بالعبد إلى الزهد في الدنيا والزهد يبلغ به إلى حب الله عزوجل . (الزهد الكبير للبيهقي 1 / 313)

وهذا رجل يقال له شعيب يقول : حابيت أبا العالية في ثوب فأبى أن يشتري مني الثوب . (سير أعلام النبلاء 4 / 209)

قال يوسف بن أسباط : يجزئ قليل الورع عن كثير العمل ، ويجزئ قليل التواضع عن كثير الاجتهاد . (حلية الأولياء 8 / 243) .

قال سفيان الثوري : عليك بالورع يخفف الله حسابك ودع ما يربك إلى ما لا يربك ، وادفع الشك باليقين يسلم لك دينك . (حلية الأولياء 7 / 20)

قال يونس بن عبيد : الورع : الخروج من كل شبهة ومحاسبة النفس في كل طرفة . (مدارج السالكين 2 / 22)

قال أبو حامد الغزالي : لن يعدم المتورع عن الحرام فتوحا من الحلال . (إحياء علوم الدين 1 / 223)

قال الهروي : الورع توقي مستقصى على حذر ، وتخرج على تعظيم . (مدارج السالكين 25 / 2)

قال ابن مسكويه : وأما الورع فهو لزوم الأعمال الجميلة التي فيها كمال النفس . (تهذيب الأخلاق 29)

وقال محمد بن واسع رحمه الله : يكفي من الدعاء مع الورع اليسير منه . (حلية الأولياء 2 / 353)

قال مطرف بن عبد الله العامري : خير دينكم الورع . (حلية الأولياء 2 / 212)

قال مورك العجلي : ما رأيت أحدا أفقه في ورعه ولا أروع في فقهه من محمد بن سيرين .
(حلية الأولياء 2 / 266)

قال ابن القيم : ترك ما يخشى ضرره في الآخرة . (الفوائد لابن القيم 1 / 118)

وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْوَاسِطِيُّ : (الْمُؤَشَى لَلْوَشَاءِ 54)

لَيْسَ الظَّرِيفُ بِكَامِلٍ فِي ظَرْفِهِ *** حَتَّى يَكُونَ عَنِ الحَّرَامِ عَافِيًا

فَإِذَا تَوَرَّعَ عَنِ مَحَارِمِ رَبِّهِ *** فَهُنَاكَ يُدْعَى فِي الْأَنَامِ ظَرِيفًا

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْعَلَوِيُّ الْجَمَالِيُّ : (شَعْبُ الْإِيمَانِ لِلْبَيْهَقِيِّ 9 / 29)

وَذِي حَسَدٍ يَغْتَابُنِي حَيْثُ لَا يَرَى *** مَكَانِي وَيُثْنِي صَالِحًا حَيْثُ أَسْمَعُ

تَوَرَّعْتُ أَنْ إِغْتَابَهُ مِنْ وَرَائِهِ *** وَهَا هُوَ ذَا يَغْتَابُنِي مُتَوَرِّعٌ

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

وعن نافع : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، كان فرض للمهاجرين الأولين أربعة آلاف في أربعة ، وفرض لابن عمر ثلاثة آلاف وخمس مائة ، فقيل له هو من المهاجرين ، فلم نقصته من أربعة آلاف ؟ فقال : إنما هاجر به أبواه ، يقول : ليس هو كمن هاجر بنفسه . (البخاري رقم 3912)

عن ثعلبة بن أبي مالك رضي الله عنه قال : إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قسم مروطا بين نساء من نساء أهل المدينة فبقي منها مرط جيد ، فقال له بعض من عنده : يا أمير المؤمنين ! أعط هذا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم التي عندك - يريدون أم كلثوم بنت علي - فقال عمر : أم سليط أحق به (وأم سليط من نساء الأنصار ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم) . قال عمر : فإنها كانت تزفر - تحمل - لنا القرب يوم أحد . (البخاري الفتح 7 / 4071)

روي أن عمر رضي الله عنه وصله مسك من البحرين ، فقال : وددت لو أن امرأة وزنت حتى أقسمه بين المسلمين ، فقالت امرأته (عاتكة) أنا أجيد الوزن ، فسكت عنها ، ثم أعاد القول ، فأعادت الجواب ، فقال : لا ، أحببت أن تضعيه بكفك ، ثم تقولين : فيها أثر الغبار ، فتمسحين بها ، عنقك ، فأصيب بذلك فضلا على المسلمين . (إحياء علوم الدين 2 / 96)

ولما شرب عمر من لبن إبل الصدقة غلطا أدخل إصبعه في فيه وتقيأ . (إحياء علوم الدين 91/2)

روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه أتى بزيت من الشام وكان الزيت في الجفان - يعني في القصاع - وعمر يقسمه بين الناس بالأقداح وعنده ابن له شعرات فكلما أفرغت جفنه مسح بقيتها برأسه فقال له عمر رضي الله عنه : أرى شعرك شديد الرغبة على زيت المسلمين ثم أخذ بيده ، فانطلق إلى الحجام فحلق شعره وقال : هذا أهون عليك . (تنبيه الغافلين ص 245)

قال قتادة : كان معيقب على بيت مال عمر فكنس بيت المال يوما فوجد فيه درهما فدفعه إلى ابن لعمر ، قال معيقب : ثم انصرفت إلى بيتي فإذا رسول عمر قد جاءني يدعوني فجئت فإذا الدرهم في يده فقال لي : ويحك يا معيقب ! أوجدت علي في نفسك شيئا ؟ ! قال : قلت : ماذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : أردت أن تخصمني أمة محمد في هذا الدرهم . (الورع لابن أبي الدنيا 126)

عن نافع مولى ابن عمر : أن ابن عمر سمع صوت زمارة راع ، فوضع أصبعيه في أذنيه ، وعدل راحلته عن الطريق وهو يقول : يا نافع ، أسمع ؟ فأقول : نعم ، فيمضي ، حتى قلت : لا ، فوضع يديه وأعاد راحلته إلى الطريق ، وقال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع صوت زمارة راع فصنع مثل هذا . (مسند الإمام أحمد 8/2)

ويقول المدائني : كان سبب حبس محمد بن سيرين أنه أخذ زيتا بأربعين ألف درهم فوجد في زق منه فأرة ، فظن أنها وقعت في المعصرة وصب الزيت كله ، وكان يقول : إني ابتليت بذنب أذنبته منذ ثلاثين سنة . (سير أعلام النبلاء 4/609)

وجاءت أخت بشر الحافي إلى أحمد بن حنبل ، وقالت : أنا نغزل على سطوحنا فتمر بنا مشاعل الظاهرية ، ويقع الشعاع علينا ، أفيجوز لنا الغزل في شعاعها ؟ (يعني : هل يجوز لنا أن نغزل في ضوء شعاع غيرنا ؟) فقال أحمد : من أنت عافاك الله ؟ قالت : أخت (بشر الحافي) فبكى أحمد !! وقال : من بيتكم يخرج الورع الصادق ، لا تغزلي في شعاعه . (إحياء علوم الدين 96/2)

قال ابن محمد بن يعقوب : جاءه يوما رسول من داره يعني : أحمد بن حنبل يذكر له أن أبا عبد الرحمن عليل واشتهى الزبد : فناول رجلا من أصحابه قطعة ، وقال : اشتر له بها زبدا : فجاء به على ورق سلق ، فلما أن نظر إليه ، قال : من أين هذا الورق ؟ قال : أخذته من عند البقال فقال : استأذنته في ذلك ؟ قال : لا قال : رده . (حلية الأولياء 9/181)

روى أن عمر بن عبد العزيز : اشتهى تفاحا فأهدى إليه رجل من أهل بيته تفاحا فقال : ما أطيب ريحه وأحسنه ، وقال : يا غلام ارفعه للذي أتى به ، وأقر مولاك السلام ، وقل له : إن هديتك

وقعت عندنا بحيث تحب ، فقلت : يا أمير المؤمنين هذا الذي يقول عمرو بن مهاجر ابن عمك ورجل من أهل بيتك ، وقد بلغك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل الهدية ، قال : ويحك ! إن الهدية كانت له هدية ، وهي اليوم لنا رشوة . (سير أعلام النبلاء 5 / 140)

عن الحسن بن عرفة قال : قال لي ابن المبارك : استعرت قلما بأرض الشام ، فذهبت على أن أردّه ، فلما قدمت مرو نظرت فإذا هو معي ، فرجعت إلى الشام ؛ حتى رددته على صاحبه . (سير أعلام النبلاء 15 / 411)

قال ميمون بن مهران : قدمت الكوفة وأنا أريد أن أشتري البز فأتيت ابن سيرين بالكوفة فساومته فجعل إذا باعني صنفا من أصناف البز قال : هل رضيت ؟ فأقول : نعم فيعيد علي ثلاث مرات ثم يدعو رجلين فيشهدهما وكان لا يشتري ولا يبيع بهذه الدراهم الحجاجية فلما رأيت ورعه ما تركت شيئا من حاجتي أجدها عنده إلا اشتريته حتى لفائف البز . (سير أعلام النبلاء 4 / 620)

قال الوضين بن عطاء : أراد الوليد بن عبد الملك أن يولي يزيد بن مرثد ، فبلغ ذلك يزيد بن مرثد ؛ فلبس فروة قد قلبه : فجعل الجلد على ظهره ، والصوف خارجا ؛ وأخذ بيده رغيفا وعرقا ، وخرج بلا رداء ، ولا قلنسوة ، ولا نعل ، ولا خف ؛ وجعل يمشي في الأسواق ، ويأكل الخبز واللحم ؛ فقيل للوليد : إن يزيد بن مرثد قد اختلط ؛ وأخبر بما فعله ، فتركه . (حلية الأولياء 5 / 165)

عن علي بن معبد أنه قال كنت ساكنا في بيت بكراء فكتبت كتابا وأردت أن أخذ من تراب الحائط لأتربة وأجففه ثم قلت الحائط ليس لي فقالت لي نفسي وما قدر تراب من حائط فأخذت من التراب حاجتي فلما نمت فإذا أنا بشخص واقف يقول يا علي بن معبد سيعلم غدا الذي يقول وما قدر تراب من حائط ولعل معنى ذلك أنه يرى كيف يحط من منزلته فإن للتقوى درجة تفوت بفوات ورع المتقين وليس المراد به أن يستحق عقوبة على فعله . (إحياء علوم الدين 2 / 96)

كتب غلام حسان بن أبي سنان إليه من الأهواز : أن قصب السكر أصابته آفة ، فاشترى السكر فيما قبلك قال : فاشتراه من رجل ، فلم يأت عليه إلا قليل ، فإذا فيما اشترى ربح ثلاثين ألفا قال : فأتى صاحب السكر فقال : يا هذا إن غلامي كتب إلي ولم أعلمك ، فأقلني فيما اشترته منك قال الآخر : قد أعلمتني الآن وطيبته لك قال : فرجع ولم يحتمل قلبه . فأتاه وقال : يا هذا أي لم أت هذا الأمر من قبل وجهة ، فأحب أن تسترد هذا البيع ، قال : فما زال به حتى رده عليه . (الحلية 3 / 118) وكان الحجاج بن دينار قد بعث طعاما إلى البصرة ، مع رجل وامرأة ، أن يبيعه يوم يدخل بسعر يومه فأتاه كتابه : أي قدمت البصرة فوجدت الطعام منقصا فحبسته فزاد الطعام فازددت فيه كذا وكذا فكتب إليه الحجاج : أنك قد خنتنا وعملت بخلاف ما أمرناك به فإذا أتاك كتابي هذا

فتصدق منه بجميع ذلك الثمن - ثمن الطعام - على فقراء البصرة فليتني أسلم إذا فعلت ذلك.
(جامع العلوم والحكم 94)

69- باب استحباب العزلة عند فساد الناس والزمان

أو الخوف من فتنة في الدين أو وقوع في حرام وشبهات ونحوها

قَالَ اللهُ تَعَالَى: فَفِرُّوا إِلَى اللهِ إِيَّايَ لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ [الذاريات: 50].

597- وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :
« إِنَّ اللهَ يَجِبُ الْعَبْدَ النَّقِيَّ الْغَنِيَّ » رواه مسلم .

والمُرَاد بـ « الْغَنِيَّ » : غَنِيُّ النَّفْسِ . كما سَبَقَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ .

598- وعن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه قال : قال رَجُلٌ أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ يَارَسُولَ اللهِ ؟ قال :
« مُؤْمِنٌ مَجَاهِدٌ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ » قال : ثم من ؟ قال : « ثُمَّ رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ فِي شِعْبٍ مِنَ
الشَّعَابِ يَعْبُدُ رَبَّهُ » . وفي رواية « يَتَّقِي اللهُ . وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ » متفقٌ عليه .

599- وعنه قال : قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتَّبِعُ
بِهَا شَعْفَ الْجِبَالِ . وَمَوْاقِعَ الْقَطْرِ يَفْرُ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ » رواه البخاري . و« شَعْفُ الْجِبَالِ » : أَعْلَاهَا

600- وعن أبي هريرة رضي الله عنه . عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى
الْغَنَمَ » فَقَالَ أَصْحَابُهُ : وَأَنْتَ ؟ قَالَ : « نَعَمْ كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيضَ لِأَهْلِ مَكَّةَ » رواه البخاري

601- وعنه عَن رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مِنْ خَيْرِ مَعَاشِي النَّاسِ رَجُلٌ مُمَسِكٌ عِنَانَ
فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ ، يَطِيرُ عَلَى مَتْنِهِ ، كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً أَوْ فَرْعَةً ، طَارَ عَلَيْهِ يَبْتَغِي الْقَتْلَ ، أَوِ الْمَوْتَ
مِظَانَهُ ، أَوْ رَجُلٌ فِي غُنَيْمَةٍ فِي رَأْسِ شَعْفَةٍ مِنْ هَذِهِ الشَّعَفِ ، أَوْ بَطْنِ وادٍ مِنْ هَذِهِ الْأَوْدِيَةِ ، يُقِيمُ
الصَّلَاةَ وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ ، وَيَعْبُدُ رَبَّهُ حَتَّى يَأْتِيَهُ الْيَقِينُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا فِي خَيْرٍ » رواه مسلم . « يَطِيرُ »
أَيُّ يُسْرِعُ . « وَمَتْنُهُ » : ظَهْرُهُ . « وَالْهَيْعَةُ » : الصَّوْتُ لِلْحَرْبِ . « وَالْفَرْعَةُ » : نَحْوُهُ . وَ« مِظَانُ النَّبِيِّ » :
المَوَاضِعُ الَّتِي يُظَنَّ وجودَهُ فِيهَا . « وَالْغُنَيْمَةُ » بضم الغين تصغير الغنم . « الشَّعْفَةُ » بفتح الشين
والعين : هي أعلى الجبل .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

قال ابن عباس : فَرُوا إِلَى اللهِ بِالتَّوْبَةِ مِنْ ذُنُوبِكُمْ . وعنه فَرُوا مِنْهُ إِلَيْهِ وَعَمِلُوا بِطَاعَتِهِ . وقال

محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان : ففروا إلى الله اخرجوا إلى مكة . وقال الحسين بن الفضل : احترزوا من كل شيء دون الله فمن فر إلى غيره لم يمتنع منه . وقال أبو بكر الوراق : فروا من طاعة الشيطان إلى طاعة الرحمن . وقال الجنيد : الشيطان داع إلى الباطل ففروا إلى الله يمنعكم منه . وقال ذو النون المصري : ففروا من الجهل إلى العلم ، ومن الكفر إلى الشكر . وقال عمرو بن عثمان : فروا من أنفسكم إلى ربكم . وقال أيضا : فروا إلى ما سبق لكم من الله ولا تعتمدوا على حركاتكم . وقال سهل بن عبد الله : فروا مما سوى الله إلى الله . إني لكم منه نذير مبين أي أندركم عقابه على الكفر والمعصية . (تفسير القرطبي 51 / 17)

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : خذوا حظكم من العزلة . وقال العزلة راحة من خليط السوء . (فتح الباري 11 / 331) .

قال أبي الطفيل : سمعت علي بن أبي طالب يقول : أظلتكم فتنة عمياء متسكنة ، لا ينجو منها إلا النومة ، قيل : يا أبا الحسن ، وما النومة ؟ قال : الذي لا يعرف الناس ما في نفسه . (التواضع والخمول 115 رقم 27)

قال ابن عباس : لولا مخافة الوسواس لدخلت إلى بلاد لا أنيس بها وهل يفسد الناس إلا الناس . (غذاء الألباب 2 / 463)

قال أبي هريرة : خرج الرجال بن عنفوة مع مسيلمة وشهد له بالنبوة فكانت فتنة الرجال أعظم من فتنة مسيلمة . (البداية والنهاية لابن كثير 6 / 365)

قال حذيفة بن اليمان : أول الفتن قتل عثمان وآخر الفتن الدجال . (البداية والنهاية 7 / 211)

قال ابوالدرداء : نعم صومعة الرجل بيته يكف بصره ولسانه . (مكارم الأخلاق 317)

وعن بشير بن عقبة قال : قلت ليزيد بن عبد الله بن الشخير : ما كان مطرف يصنع إذا هاج في الناس هيح ؟ قال : يلزم قعر بيته ، ولا يقرب لهم جمعة ولا جماعة حتى تنجلي لهم عما انجلت . (سير أعلام النبلاء 5 / 107)

قال أيوب السختياني : اجتمع سعد بن أبي وقاص ، وابن مسعود ، وابن عمر ، وعمار بن ياسر فذكروا الفتنة ، فقال سعد : أما أنا فأجلس في بيتي ولا أدخل فيها . (حلية الأولياء 1 / 94)

قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : والله لوددت أن بيني وبين الناس بابا من حديد لا يكلمني

أحد ولا أكلمه حتى الحق بالله عزوجل . (غذاء الألباب 2 / 463)

قال محمد بن سيرين : قيل لسعد بن أبي وقاص : ألا تقاتل فإنك من أهل الشورى وأنت أحق بهذا الأمر من غيرك ؟ فقال : لا أقاتل حتى تأتوني بسيف له عينان ولسان وشفتان يعرف المؤمن من الكافر فقد جاهدت وأنا أعرف الجهاد . (حلية الأولياء 1 / 94)

كان سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد لزموا بيوتهما بالعقيق فلم يكونا يأتيان المدينة لجمعة ولا غيرها حتى ماتا بالعقيق . (إحياء علوم الدين 2 / 222)

عن محمد بن سيرين قال : هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف فلم يحضرها منهم مائة بل لم يبلغوا ثلاثين . (البداية والنهاية 7 / 264)

وعن ابن سيرين قال : العزلة عبادة . (صفة الصفوة 3 / 174)

قال عبد الله بن عامر يقول : قام عامر بن ربيعة يصلي من الليل ، ثم نام ، فأرى في منامه فقيل له : قم فاسأل الله أن يعيدك من الفتنة التي أعاد منها صالح عباده ، فقام فصلى ، ثم اشتكى فما خرج قط إلا جنازة . (طبقات بن سعد 3 / 387)

قال أبي موسى الأشعري : إن بعدكم فتن كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا قالوا : فما تامر من أدرك منا ذلك ؟ قال : كونوا أحلاس البيوت . (العزلة والانفراد 144 - 145 رقم 162)

قال يحيى بن سعيد : كان أبو جهيم الأنصاري بدريا وكان لا يجالس الناس وكان يعتزل في بيته فقالوا له : لو جالست الناس وجالسوك فقال : جدت مقارفة الناس شرا وكان عبد الله بن عمرو أكثر الناس مجالسة له وكان يحدثه عن الفتن فلما كان من أمر عبد الله بن عمرو ما كان بالشام قال : تحدثني ما تحدثني . وكان هذا من أمره . لله على ألا أكلمه أبدا . (العزلة والانفراد 54 رقم 10)

عن سيار بن عبد الرحمن قال : قال لي بكير بن الأشج : ما فعل عمك ؟ قال : قلت : لزم البيت منذ كذا وكذا ، فقال : إن رجالا من أهل بدر لزموا بيوتهم بعد قتل عثمان نضر الله وجهه ، فلم يخرجوا إلا إلى قبورهم . (العزلة والانفراد 53 رقم 9)

عمر بن عبد العزيز لما سئل عما وقع بين الصحابة رضي الله عنهم ؟ فقال : تلك دماء طهر الله منها أيدينا ، فلنطهر ألسنتنا . (التدوين في أخبار قزوين 3 / 335)

قال عمر بن عبد العزيز : إذا رأيتم الرجل يطيل الصمت ويهرب من الناس فاقتربوا منه فإنه يلقي

الحكمة . (غذاء الألباب 2 / 463)

قال السري : من أراد أن يسلم دينه ويستريح قلبه وبدنه ويقل غمه فليعتزل الناس لأن هذا زمان عزلة ووحدة . (طبقات الأولياء 162)

قال أيضا : لولا الجمعة والجماعة لسددت على نفسي الباب ولم أخرج . (مختصر تاريخ دمشق 9 / 220)

عن سعيد قال : كان داود الطائي شديد الانقباض ، يعالج نفسه بالصمت ، وكان قبل ذلك كثير الكلام ، وكانت معالجته نفسه في ترك الكلام ؛ فأخرجته تلك المعالجة إلى التفكير ، فبالتفكير ملك نفسه ؛ ولقد جئته يوما في وقت الصلاة ، فانتظرتة حتى خرج ، فمشيت معه ، والمسجد منه قريب ، فسلك به غير طريقه فقلت : أين تريد ؟ فسلك بي سكا خالية ، حتى خرج على المسجد ؛ فقلت : الطريق ثمة أقرب عليك ؛ فقال : يا سعيد ، فر من الناس فرارك من السبع ، إنه ما خالط الناس أحد : الإنسي العهد . (حلية الأولياء 7 / 342)

قال يوسف بن أسباط : كنت مع سفيان الثوري في المسجد الحرام ؛ فقال : والله الذي لا إله إلا هو ورب هذه الكعبة : لقد حلت العزلة . (حلية الأولياء 6 / 388)

وأوصى سفيان الثوري بعض أصحابه فقال : إن استطعت أن لا تخالط في زمانك هذا أحدا فافعل وليكن همك مرمة جهازك ، وكان يقول هذا زمان السكوت ولزوم البيت . (غذاء الألباب 2 / 464)

قال سفيان : كان طاووس يجلس في البيت فقيل له : لم تجلس في البيت ؟ قال : حيف الأئمة وفساد الناس . (حلية الأولياء 4 / 4)

قال سفيان الثوري : ما رأينا للإنسان خيرا له من أن يدخل حجرا . (حلية الأولياء 7 / 26)

قال وهب بن منبه : المؤمن يخالط ليعلم ، ويسكت ليسلم ويتكلم ليفهم ، ويخلو لينعم . (حلية الأولياء 4 / 68)

قال وهيب بن الورد : قال حكيم من الحكماء : العبادة أوقال : الحكمة - عشرة أجزاء : تسعة منها في الصمت وواحدة في العزلة ؛ فأردت نفسي من الصمت على شيء فلم أقدر عليه ؛ فصرت إلى العزلة فحصلت لي التسعة . (حلية الأولياء 8 / 142)

وقال أيضا : خالطت الناس خمسين سنة فما وجدت رجلا غفر لي ذنبا فيما بيئي وبينه ولا وصلني

إذا قطعته ولا ستر على عورة ولا أمنتها إذا غضب فالاشتغال بهؤلاء حمق كبير .
(صفة الصفوة 2 / 532)

قال الفضيل بن عياض : ما أجد لذة ، ولا راحة ، ولا قرّة عين إلا حين أخلو في بيتي فإذا سمعت النداء قلت : إنا لله وإنا إليه راجعون كراهية أن ألقى الناس فيشغلوني عن ربي تبارك وتعالى .
(الزهد الكبير للبيهقي حديث 161)

قال الفضيل بن عياض : طوبى لمن استوحش من الناس وكان الله أنيسه ، وبكى على خطيئته .
(حلية الأولياء 8 / 108)

قال محمد بن أسلم : مالي ولهذا الخلق ؟ كنت في صلب أبي وحدي ، ثم صرت في بطن أمي وحدي ، ثم دخلت الدنيا وحدي ، ثم تقبض روحي وحدي ، وأدخل في قبري وحدي ، ويأتيني منكر ونكير ، فيسألاني في قبري وحدي ؛ فإن صرت إلى خير صرت وحدي ، وإن صرت إلى شر كنت وحدي ، ثم أوقف بين يدي الله وحدي ، ثم يوضع عملي وذنوبي في الميزان وحدي ، وإن بعثت إلى الجنة بعثت وحدي ، وإن بعثت إلى النار بعثت وحدي ؛ فمالي وللناس . (حلية الأولياء 9 / 241 - 242)

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : كان أبي أصبر الناس على الوحدة ، لم يره أحد : إلا في مسجد ، أو حضور جنازة ، أو عيادة مريض ؛ وكان يكره المشي في الأسواق . (حلية الأولياء 9 / 184)

قال ذي النون : لم أر شيئاً أبعث للإخلاص من الوحدة ، لأنه إذا خلا : لم ير غير الله ، فإذا لم ير غير الله : لم تجد له إلا خشية الله ؛ ومن أحب الخلوة : فقد تعلق بعمود الإخلاص ، واستمسك بركن كبير من أركان الصدق . (حلية الأولياء 9 / 376 - 377)

كان الحسن يقول : كلمات أحفظهن من التوراة : قنع ابن آدم فاستغنى ، اعتزل الناس فسلم ، ترك الشهوات فصار حراً ، ترك الحسد فظهرت مروءته ، صبر قليلاً فتمتع طويلاً . (إلهاء 2 / 222)

قال أبو سليمان الداراني بينما الربيع ابن خثيم جالس على باب داره إذ جاءه حجر فصك وجهه فشجه فجعل يمسح الدم ويقول لقد وعظت يا ربيع فقام ودخل داره فما جلس بعد ذلك على باب داره حتى أخرجت جنازته . (إلهاء علوم الدين 2 / 222)

وقال عبد الواحد بن زيد لراهب : يا راهب ، لقد تعجلت الوحدة ؛ فقال الراهب : يا فتى ، لو ذقت حلاوة الوحدة ، لاستوحشت إليها من نفسك ؛ الوحدة رأس العبادة ، ما أنسها الفكرة .
(حلية الأولياء 10 / 108)

قال أبو سليمان الخطابي ألبستي : لا يستوحش مع الله من عمر قلبه بحبه ، وأنس بذكره ، وألف مناجاته بسره ، وشغل به عن غيره ، فهو مستأنس بالوحدة ، مغتبط بالخلوة .
(العزلة ص 28 - 29)

قال علي بن بكار : صحبت إبراهيم بن أدهم وكثيرا ما كنت أسمعه يقول : يا أخي اتخذ الله صاحبا وذرا الناس جانبا . (حلية الأولياء 8 / 10 - 11)

قال ابن المبارك : قال لي بعضهم في تفسير العزلة : هو أن تكون مع القوم ، فإن خاضوا في ذكر الله فحض معهم ، وإن خاضوا في غير ذلك فأمسك . (الصمت لابن أبي الدنيا 241)

قال قتادة : كان المؤمن لا يرى إلا في ثلاثة مواطن : في مسجد يعمره ، أو بيت يستره ، أو حاجة لا بأس بها . (موسوعة ابن أبي الدنيا 1 / 220)

قال مالك بن دينار : احفظ عني : كل أخ وجليس وصاحب لا تستفيد منه خيرا في أمر دينك ، ففر منه . (غذاء الألباب 2 / 379)

قال مسروق : إن المرء لتحقيق أن يكون له مجالس يخلو فيها ، فيذكر فيها ذنوبه فيستغفر منها .
(صفة الصفوة 2 / 26)

وقال سعيد بن المسيب وابن سيرين : العزلة عبادة . (غذاء الألباب 2 / 463)

عن مكحول قال : إن كان الفضل في الجماعة ، فإن السلامة في العزلة . (حلية الأولياء 5 / 181)

قال ابن إبراهيم : لو لم يكن في العزلة أكثر من أنك لا تجد أعوانا على الغيبة لكفى .
(العزلة للبيهي رقم 56)

قال ابن تيمية : إن الفتن لا يعرف ما فيها إلا إذا أدبرت . (منهاج السنة 4 / 409)

قال ابن القيم : الفتنة نوعان فتنة الشبهات وهي أعظم الفتنتين وفتنة الشهوات وقد يجتمعان للعبد وقد يتفرد بأحدهما . (إغاثة اللهفان 2 / 160)

قَالَ أَبُو الدُّنْيَا : (فِي كِتَابِهِ الْعُزْلَةُ وَالْإِنْفِرَادَ)

لَيْتَ السَّبَاعُ لَنَا كَانَتْ مُجَاوِرَةً *** وَأَنْتَا لَا نَرَى مِمَّنْ نَرَى أَحَدًا !

إِنَّ السَّبَاعَ لِيَهْدَأَ فِي مُوَاطِنَتِنَا *** وَالنَّاسُ لَيْسَ يَهَادِ شَرَّهُمْ أَبَدًا !

فَأَهْرُبُ بِنَفْسِكَ وَاسْتَأْنَسَ بِوَحْدَتِهَا *** تَبَقَى سَعِيدًا إِذَا مَا كُنْتُ مُنْفَرِدًا !!

الْأَثَارَ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

عن نافع عن ابن عمر أتاها رجلان في فتنة ابن الزبير فقالا : إن الناس صنعوا وأنت ابن عمر وصاحب النبي صلى الله عليه وسلم فما يمنعك أن تخرج ؟ فقال : يمنعني أن الله حرم دم أخي ، فقالا : ألم يقل الله : (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) ؟ فقال : قاتلنا حتى لم تكن فتنة وكان الدين لله وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة ويكون الدين لغير الله . (البخاري حديث 4514)

عن ابن عمر قال : دخلت على حفصة ونسواتها تنطف قلت قد كان من أمر الناس ما ترين فلم يجعل لي من الأمر شيء فقالت الحق فإنهم ينتظرونك وأخشى أن يكون في احتباسك عنهم فرقة فلم تدعه حتى ذهب فلما تفرق الناس خطب معاوية قال من كان يريد أن يتكلم في هذا الأمر فليطلع لنا قرنه فلنحن أحق به منه ومن أبيه قال حبيب بن مسلمة فهلا أجبته قال عبد الله فحللت حبوتي وهممت أن أقول أحق بهذا الأمر منك من قاتلك وأباك على الإسلام فخشيت أن أقول كلمة تفرق بين الجمع وتسفك الدم ويحمل عني غير ذلك فذكرت ما أعد الله في الجنان قال حبيب حفظت وعصمت . (البخاري حديث 4108)

جاء هاشم بن عتبة بن أبي وقاص إلى عمه سعد فقال : ههنا مائة ألف سيف يرونك أحق بهذا الأمر بالخلافة فقال سعد : أريد منها سيفا واحدا إذا ضربت به المؤمن لم يصنع شيئا وإذا ضربت به الكافر قطع . (الإصابة لابن حجر 2/31)

ويقول أبو العالية : لما كان زمان علي ومعاوية وإني لشاب القتال أحب إلي من الطعام الطيب ، فتجهزت بجهاز حسن حتى أتيتهم ، فإذا صفان ما يرى طرفاهما ، إذا كبر هؤلاء كبر هؤلاء ، وإذا هلك هؤلاء ، هلك هؤلاء ، فراجعت نفسي فقلت : أي الفريقين أنزله كافرا ؟ ومن أكرهني على هذا ؟ قال : فما أمسيت حتى رجعت وتركتهم . (سير أعلام النبلاء 5/119)

قال كثير بن هشام : كان سفيان الثوري قاعدا بالبصرة فقبل له : هذا مساور بن سوار يمر وكان على شرطة محمد بن سليمان فوثب فدخل داره وقال : أكره أن أرى من يعصي الله ولا أستطيع أن أغير عليه . (الورع 67 رقم 74)

قال الرياشي : قيل للرشيد : إن حاتما الأصم قد اعتزل الناس في قبة له منذ ثلاثين سنة لا يحتاج إلى الناس في شيء من أمور الدنيا ولا يكلمهم إلا عند مسألة لا بد له من الجواب لعله لبس به قد ورثته إياه الوحدة وقيل : إنه عاقل فقال : سأمتحنه فندب له أربعة : محمد بن الحسن والكسائي

وعمر بن بحر ورجلا آخر - أحسبه الأصمعي . فجأؤوا ، حتى وقفوا تحت قبته ونادى أحدهم : يا حاتم يا حاتم فلم يجبهم ؛ حتى قيل : بحق معبودك إلا أجبنا ؛ فأخرج رأسه وقال : يا أهل الحيرة هذه يمين مؤمن لكافر وكافر لمؤمن لم خصصتموني بالمعبود دونكم ؟ ولكن الحق جرى على ألسنتكم لأنكم اشتغلتم بعبادة الرشيد عن طاعة الله ؛ فقال : أحدهم ما علمك بأنا خدام الرشيد ؟ قال : من لم يرض من الدنيا إلا بمثل حالكم لا يزل عن مطلبه إلى قصد من لا يخبره ولا يد على من الرشيد وأشباهه ؛ فقال له عمرو بن بحر : لم اعتزلت الناس وفيهم من تعلم وفيهم من يقدر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ قال : صدقت ولكن بينهم سلاطين الجور يفتنوننا عن ديننا ، فالتخلي منهم أولى ؛ قال : فعلام وطنت نفسك في العزلة ، وثبت عليه أدرك ؟ قال : علمت أن القليل من الرزق يكفيني فأقللت الحركة في طلبه وأن فرضي لا يقبل إلا مني فأنا مشغول بأدائه وأن أجلي لا بد يأتيني فأنا منتظر له وأنا لا أغيب عن عين من خلقي فاستحي منه أن يراني وأنا مشغول بغير ما وجب له محمد ؛ ثم رد باب القبة ، وحلف أن لا يكلمهم فرجعوا إلى الرشيد وقد حكموا أنه أعقل أهل زمانه . (حلية الأولياء 74 / 8)

قال المزني : دخلت على الشافعي - وقد لزم الوحدة - فقلت : يا أبا عبد الله ، لو خرجت إلى الناس ، فتبث فيهم علمك ، لانتفعوا ؛ فأطرق ساعة ثم رفع رأسه ، فقال : تأمرني بأنس لبقاء عزك بوحدتك ولا تأنس إلى من تخلق عنده بكثرة مجالستك ؛ فإن مؤونة الصبر على أحسن من مؤونة البذل على الطاعة ؛ ولا تسع في حظ لك في حاجة لا تحب ستريفيك من الشنعة . (الحلية 124 / 9)

قال محمد بن الحسن : أتيت داود الطائي لأسلم عليه فأذن لي ، فقعدت على باب الحجر فقلت : أنت وحدك ههنا رحمك الله ؟ قال : رحمك الله وهل الأنس اليوم إلا في الوحدة والانفراد ما يتجمل لك أو متجمل له ، ففي أي ذلك خير ؟ . (حلية الأولياء 342 / 7 - 343)

عن داود الطائي : أنه أراد أن يجرب نفسه ، هل تقوى على العزلة ؟ فقعدت في مجلس أبي حنيفة سنة ، فلم يتكلم ؛ فاعتزل الناس . (حلية الأولياء 342 / 7)

70 - باب فضل الاختلاط بالناس

وحضور جمعهم وجماعاتهم ومشاهد الخير ومجالس الذكر معهم وعبادة مريضهم وحضور جنازتهم ومواساة محتاجهم وإرشاد جاهلهم وغير ذلك من مصالحهم لمن قدر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقمع نفسه عن الإيذاء وصبر على الأذى.

اعلم أن الاختلاط بالناس على الوجه الذي ذكرته هو المختار الذي كان عليه رسول الله وسائر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، وكذلك الخلفاء الراشدون ، ومن بعدهم من الصحابة والتابعين ، ومن بعدهم من علماء المسلمين وأخبارهم ، وهو مذمب أكثر التابعين ومن بعدهم ، وبه قال الشافعي وأحمد وأكثر الفقهاء رضي الله عنهم أجمعين.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى [المائدة : 20]

والآيات في معنى ما ذكرته كثيرة معلومة .

أَثَارُ الْوَارِدَةِ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

(وتعاونوا على البر والتقوى) (المائدة 2) قال الأخفش : هو أمر لجميع الخلق بالتعاون على البر والتقوى أي : ليعن بعضكم بعضا وتحاثوا على أمر الله تعالى واعملوا به ، وانتهوا عما نهى الله عنه وامتنعوا منه وهذا موافق لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (الدال على الخير كفاعله) وقد قيل : الدال على الشر كصانعة . وقال ابن خويزمنداد في أحكامه . والتعاون على البر والتقوى يكون بوجوه : فواجب على العالم أن يعين الناس بعلمه فيعلمهم ، ويعينهم الغني بماله ، والشجاع بشجاعته في سبيل الله ، وأن يكون المسلمون متظاهرين كاليد الواحدة : المؤمنون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم ، ويجب الإعراض عن المتعدي وترك النصرة له ورده عما هو عليه . وقال الماوردي : ندب الله سبحانه إلى التعاون بالبر وقرنه بالتقوى له لأن في التقوى رضا الله تعالى ، وفي البر رضا الناس ، ومن جمع بين رضا الله تعالى ورضا الناس فقد تمت سعادته وعمت نعمته . (الجامع لأحكام القرآن 6 / 46 - 47)

أَثَارُ الْوَارِدَةِ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

روي أن داود عليه السلام جلس كنيبا خاليا فأوحى الله إليه يا داود ما لي أراك خاليا قال : هجرت الناس فيك قال : أفلا أدلك على شيء تبلغ به رضائي ؟ خالق الناس بأخلاقهم واحتجر الإيمان فيما

بيبي وبينك . (الأداب الشرعية 3 / 470)

قال عمر رضي الله عنه : خالطوا الناس بما يحبون ، وزايلوهم بأعمالكم ، وجدوا مع العامة .
(مصنف عبد الرزاق رقم 20152)

وقال أيضا : الطمع فقر واليأس غنى والعزلة راحة من جليس السوء وقرين الصدق خير من
الوحدة . (الأداب الشرعية 3 / 71)

قال علي بن أبي طالب : خالطوا الناس بألسنتكم وأجسادكم ، وزايلوهم بقلوبكم وأعمالكم ؛ فإن
لكل امرئ ما اكتسب ، وهو يوم القيامة مع من أحب . (تاريخ دمشق 42 / 509)

قال علي بن أبي طالب : شرط الصحة إقالة العثرة ومسامحة العشرة والمواساة في العسرة .
(الأداب الشرعية 3 / 470)

قال عبد الله بن مسعود : خالطوا الناس وزايلوهم وصافحوهم بما يشتهون ودينكم لا تكلمونه .
(المعرفة والتاريخ للفوسى 2 / 119)

عن محمد ابن الحنفية قال : ليس بحكيم من لا يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدا ،
حتى يجعل الله له فرجا أو مخرجا . (الأداب الشرعية 3 / 469)

قال بشر بن الحارث : من عرف الناس استراح . (قوت القلوب 2 / 239)

قال أكثم بن صيفي : من شدد نفرو من تراخي تألف والسرور في التغافل . (الأداب الشرعية 3/470)
قيل للعتابي : أنك تلقى الناس كلهم بالبشر قال دفع ضغينة بأيسر مؤنة واكتساب إخوان بأيسر
مبذول . (الأداب الشرعية 3 / 470)

قال الشافعي : الانقباض عن الناس مكسبة العداوة والانبساط لهم مجلبة لقرناء السوء فكن بين
القبض والبسط ومن ذكر سوى هذا فهو قاصرو إنما هو إخبار عن حالة فلا يجوز أن يحكم بها على
غيره المخالف له في الحال . (الأداب الشرعية 3 / 468)

قال الإمام أحمد : إذا كانت الفتنة فلا بأس أن يعتزل الرجل حيث شاء ، فأما إذا لم يكن فتنة
فالأمصاير خير . (فتح الباري شرح صحيح البخاري 1 / 109)

قال وهب بن منبه : استكثر من الإخوان فإن استغنيت عنهم لم يضررك وإن احتجت إليهم نفعوك
(سير أعلام النبلاء 4 / 550)

ويقول سفيان الثوري : أصحب من شئت ثم أغضبه ، ثم دس إليه من يسأله عنك ، فإذا كان الذي يحركه الهوى ، وتغيره الكلمة فسترى منذ البداية أن هذا لا يصلح للمصاحبة .
(سير أعلام النبلاء 6 / 649)

قال ابن الجوزي : ما رأيت أكثر أذى للمؤمن من مخالطة من لا يصلح ، فإن الطبع يسرق ؛ فإن لم يتشبه بهم ولم يسرق منهم فتر عن عمله . (صيد الخاطر 425)

ويقول إسحاق الأزرق : ما أدركت أفضل من خالد الطحان ؟ ، قيل : قد رأيت سفيان ؟ - يعني سفيان الثوري - ، قال : كان سفيان رجل نفسه ، وكان خالد رجل عامة . (السير 7 / 296)

قال ابن تيمية : أن المخالطة إن كان فيها تعاون على البر والتقوى فهي مأمورها وإن كان فيها تعاون على الإثم والعدوان منهي عنها . (مجموع الفتاوى ج 10)

يقول ابن القيم عن هذه الآية الكريمة : (وتعاونوا على البر والتقوى) (المائدة 2) اشتملت هذه الآية على جميع مصالح العباد في معاشهم ومعادهم فيما بينهم بعضهم بعضا ، وفيما بينهم وبين ربهم ؛ فإن كل عبد لا ينفك عن هاتين الحالتين وهذين الواجبين واجب بينه وبين الله وواجب بينه وبين الخلق من المعاشرة والمعاونة والصحبة فالواجب عليه فيها أن يكون اجتماعه بهم وصحبته لهم تعاوناً على مرضاة الله وطاعته التي هي غاية سعادة العبد وفلاحه ولا سعادة له إلا بها ، وهي البر والتقوى اللذان هما جماع الدين كله . (زاد المهاجر 1 / 6-7)

قال ابن القيم : إن فضول المخالطة هي الداء العضال الجالب لكل شر ، وكم سلبت المخالطة والمعاشرة من نعمة ، وكم زرعت من عداوة ، وكم غرست في القلب من حزازات ، تزول الجبال الراسيات وهي في القلوب لا تزول ، فضول المخالطة فيه خسارة الدنيا والآخرة ، وإنما ينبغي للعبد أن يأخذ من المخالطة بمقدار الحاجة ويجعل الناس فيها أربعة أقسام متى خلط أحد الأقسام بالآخر ولم يميز بينها دخل عليه الشر . 1 - من مخالطته كالغذاء لا يستغنى عنه وهذا أعز من الكبريت الأحمر وهم العلماء بالله وأوامره الناصحون لله ولكتابه ولرسوله ولخلقه 2 - من مخالطته كالدواء يحتاج إليه عند المرض فقط وهم من لا يستغنى عن مخالطتهم في مصلحة المعاش . 3 - من مخالطته كالداء ، وهم من في مخالطته ضرر ديني أو دنيوي . 4 - من في مخالطته الهلاك كله ، وما أكثر هذا الضرب في الناس ، وهم أهل البدع والضلالة . (بدائع الفوائد 2 / 498)

قال الملا على القاري : والمختار هو التوسط بين الغزلة عن أكثر الناس وعوامهم والخلطة بالصالحين والاجتماع مع عامتهم في نحو جمعهم وجماعاتهم . (مرعاة المفاتيح 4 / 743)

قال الغزالي : إن وجدت جليسا يذكرك الله رؤيته وسيرته فالزمه ولا تفارقه واغتنمه ولا تستحقره فإنها غنيمة المؤمن وضالة المؤمن وتحقق أن الجليس الصالح خير من الوحدة وأن الوحدة خير من الجليس السوء . (إحياء علوم الدين 2 / 232)

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : الرجل بلا أخ كشمال بلا يمين . و أنشدوا في ذلك :

وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا بِإِخْوَانِهِ كَمَا *** يَفِيضُ الْكُفُّ بِالْمِعْصَمِ

وَلَا خَيْرَ فِي الْكُفِّ مَقْطُوعَةً *** وَلَا خَيْرَ فِي السَّاعِدِ الْأَجْدَمِ . (الْمُسْتَطْرَفَ 1 / 264)

قَالَ لَبِيدُ بْنُ رَبِيعَةَ : (الْمُسْتَطْرَفَ لِلْأَبَشِيِّ 1 / 265)

مَا عَاتَبَ الْمَرْءَ أَلَلِيْبُ كَنَفْسِهِ *** وَالْمَرْءُ يُصْلِحُهُ الْجَلِيْسُ الصَّالِحُ

الآثار العملية في حياة السلف :

وقد كان في زمن ابن مسعود من المتعبدين خرجوا إلى ظاهر الكوفة وبنوا مسجدا يتعبدون فيه منهم : عمرو بن هتبة ومفضل العجلي ، فخرج إليهم ابن مسعود وردهم على الكوفة وهدم مسجدهم وقال : إما أن تكونوا أهدى من أصحاب محمد أو تكونوا متمسكين بذنوب الضلالة . (فتح الباري 1 / 102)

جاء رجل إلى وهب بن منبه فقال : قد حدثت نفسي ألا أخاطب الناس قال : لا تفعل إنه لا بد لك من الناس ولا بد لهم منك ، ولهم إليك حوائج ، ولك نحوها ، ولكن كن فيهم أصم ، سميحا ، أعمى ، بصيرا ، سكوتا ، نطوقا . (سير أعلام النبلاء 4 / 550)

71- باب التواضع وخفض الجناح للمؤمنين

قَالَ اللهُ تَعَالَى : وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ [الشعراء : 215] ، وَقَالَ تَعَالَى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ [المائدة : 54] ، وَقَالَ تَعَالَى : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ [الحجرات : 12] ، وَقَالَ تَعَالَى : فَلَا تَزُكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى [النجم : 32] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَابِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ [الأعراف : 48-49] .

- 602- وعن عِيَاضِ بْنِ جِمَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ اللَّهُ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ ، وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ » رواه مسلم .
- 603- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَا نَقَصَتْ صِدْقَةٌ مِنْ مَالٍ ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا ، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ » رواه مسلم .
- 604- وعن أَنَسِ بْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ مَرَّ عَلَى صِيبِيَانَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْعَلُهُ . متفقٌ عليه .
- 605- وعنه قَالَ : إِنْ كَانَتْ الْأُمَّةُ مِنْ إِمَاءِ الْمَدِينَةِ لَتَأْخُذَ بِبَيْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ . رواه البخاري .
- 606- وعن الْأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ : سُئِلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ ؟ قَالَتْ : كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ يَعْنِي : خِدْمَةَ أَهْلِهِ فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةَ ، خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ ، رواه البخاري .
- 607- وعن أَبِي رِفَاعَةَ تَمِيمِ بْنِ أُسَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : انْتَهَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَخْطُبُ . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، رَجُلٌ غَرِيبٌ جَاءَ يَسْأَلُ عَنْ دِينِهِ لَا يَدْرِي مَا دِينُهُ ؟ فَأَقْبَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَرَكَ حُطْبَتَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ ، فَأَتَى بِكُرْسِيِّ ، فَقَعَدَ عَلَيْهِ ، وَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ ، ثُمَّ أَتَى حُطْبَتَهُ ، فَأَتَمَّ آخِرَهَا . رواه مسلم .
- 608- وعن أَنَسِ بْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَكَلَ طَعَامًا لَعِقَ أَصَابِعَهُ الثَّلَاثَ قَالَ : وَقَالَ : « إِذَا سَقَطَتْ لُقْمَةٌ أَحَدِكُمْ ، فَلْيُمِطْ عَنْهَا الْأَذَى ، وَلْيَأْكُلْهَا ، وَلَا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ » وَأَمْرَانِ تُسَلَّتِ الْقِصْعَةُ قَالَ : « فَإِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ فِي أَيِّ طَعَامِكُمْ الْبَرَكَةُ » رواه مسلم .
- 609- وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ » قَالَ أَصْحَابُهُ : وَأَنْتَ ؟ فَقَالَ : « نَعَمْ كُنْتُ أُرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيضَ لِأَهْلِ مَكَّةَ » رواه البخاري .
- 610- وعنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ أَوْ ذِرَاعٍ لَقَبِلْتُ . وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ أَوْ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ » رواه البخاري .
- 611- وعن أَنَسِ بْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَتْ نَاقَةٌ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَضْبَاءُ لَا تُسَبِّقُ ، أَوْ لَا تَكَادُ تُسَبِّقُ ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى قَعُودٍ لَهُ ، فَسَبَقَهَا ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ حَتَّى عَرَفَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « حَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَرْتَفِعَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ » رواه البخاري .

612- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ، ونعله حسناً قال : « إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس » رواه مسلم . بطر الحق : دفعه وردّه على قائله . وغمط الناس : احتقارهم .

613- وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أن رجلاً أكل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بشماله فقال : « كل بيمينك » قال : لا أستطيع ، قال : « لا استطعت » ما منعه إلا الكبر . قال : فما رفعها إلى فيه . رواه مسلم .

614- وعن حارثة بن وهب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ألا أخبركم بأهل النار ؟ : كل عتلى جواظ مستكبر » متفق عليه . وتقدم شرحه في باب ضعف المسلمين

615- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « احتجبت الجنة والنار ، فقالت النار : في الجبارون والمتكبرون ، وقالت الجنة : في ضعفاء الناس ومساكينهم . فقضى الله بينهما : إنك الجنة رحمتي ، أرحم بك من أشاء ، وإنك النار عذابي ، أعتد بك من أشاء ، ولكليكما علي ملؤها » رواه مسلم .

616- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جرّأزاه بطراً » متفق عليه .

617- وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا يزكهم ، ولا ينظر إليهم ، ولهم عذاب أليم : شيخ زان ، وملي كذاب ، وعائل مستكبر » رواه مسلم « العائل » : الفقير .

618- وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال الله عز وجل : العزّازي ، والكبراء ردائي ، فمن ينازعني في واحدٍ منهما فقد عذبتّه » رواه مسلم .

619- وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه ، مرّ رجل رأسه ، يختال في مشيته ، إذ حسف الله به ، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة » متفق عليه . « مرّ رجل رأسه » أي : ممسّطه . « يتجلجل » بالجيمن : أي : يعوص ويترل .

620- وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين ، فيصيبه ما أصابهم » رواه الترمذي وقال : حديث

حسن . « يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ » أَي : يَرْتَفِعُ وَيَتَكَبَّرُ .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

عن ابن جريج قال لما نزلت : وأندر عشيرتك الأقربين بدأ بأهل بيته وفصيلته ، فشق ذلك على المسلمين ، فأنزل الله : واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين . (تفسير الدر المنثور 11 / 314)

عن ابن أبي مليكة قال : لما كان يوم الفتح رقي بلال فأذن على الكعبة ، فقال بعض الناس : هذا العبد الأسود يؤذن على ظهر الكعبة . وقال بعضهم : إن يسخط الله هذا يغيره . فنزلت : يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكروا أنثى . عن الزهري قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بني بياضة أن يزوجوا أبا هند امرأة منهم ، فقالوا : يا رسول الله ، أتزوج بناتنا موالينا ؟ فأنزل الله : يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكروا أنثى الآية . قال الزهري : نزلت في أبي هند خاصة ، قال : وكان أبو هند حجام النبي صلى الله عليه وسلم . عن ابن عباس : وجعلناكم شعوبا وقبائل قال : الشعوب القبائل العظام والقبائل البطون . عن ابن عباس قال : لا أرى أحدا يعمل بهذه الآية : يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكروا أنثى حتى بلغ : إن أكرمكم عند الله أتقاكم فيقول الرجل للرجل : أنا أكرم منك . فليس أحد أكرم من أحد إلا بتقوى الله . (تفسير الدر المنثور 13 / 592 - 598)

قال ابن عباس : فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى . لا تمدحوها . قال الحسن : علم الله من كل نفس ما هي صانعة وإلى ما هي صائرة ، فلا تزكوا أنفسكم ، لا تبرءوها عن الآثام ، ولا تمدحوها بحسن أعمالها . قال الكلبي ومقاتل : كان الناس يعملون أعمالا حسنة ثم يقولون : صلاتنا وصيامنا وحجنا ، فأنزل الله تعالى هذه الآية . هو أعلم بمن اتقى أي : بر وأطاع وأخلص العمل لله تعالى . (تفسير البغوي 7 / 413)

عن ابن عباس : ونادى أصحاب الأعراف رجالا . قال : في النار يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم . تكثرتم وما كنتم تستكبرون . قال الله لأهل التكبر : أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة يعني أصحاب الأعراف ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون . عن مجاهد في قوله : يعرفونهم بسيماهم قال : بسواد الوجوه وزرقة العيون . (تفسير الدر المنثور 6 / 412)

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قال أبي بكر الصديق : لوددت أني شعرة في جنب عبد مؤمن . (الرياض النضرة في مناقب العشرة

(الزهد لابن المبارك 611) .

محمد بن الحنفية قال : قلت لأبي : أي الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : أبو بكر قلت : ثم من ؟ قال : ثم عمر ، وخشيت أن يقول : عثمان ، قلت : ثم أنت ؟ قال : ما أنا إلا رجل من المسلمين . (البخاري 791 برقم 3671)

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : من يتناول تعظما يضعه الله ومن يتواضع تخشعا يرفعه الله . (الحلية تهذيبه 1 / 124)

وقال عبد الله بن مسعود : رأس التواضع أن تبدأ من لقيت بالسلام وأن ترضي بالدون من المجلس . (عيون الأخبار 1 / 309) .

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : لو تعلمون بعيوبي ما تبعني منكم رجلا ؛ ولوددت أني دعيت عبد الله بن روثة وأن الله غفر لي ذنبا من ذنوبي . (شعب الإيمان 1 / 504)

وقال أيضا : لو تعلمون ما أعلم من نفسي حثيتم على رأسي التراب . (صفة الصفوة 1 / 186)

أن رجلا قال لابن عمر رضي الله عنه : يا خير الناس وابن خير الناس . فقال : ما أنا بخير الناس ، ولا ابن خير الناس ، ولكني عبد من عباد الله ، أرجو الله ، وأخافه ، والله لن تزالوا بالرجل حتى تهلكوه . (السير تهذيبه 1 / 373)

وقال سعد بن أبي وقاص لابنه : يا بني : إياك والكبر وليكن فيما تستعين به على تركه : علمك بالذي منه كنت ، والذي إليه تصير ، وكيف الكبر مع النظفة التي منها خلقت ، والرحم التي منها قذفت ، والغذاء الذي به غذيت . (العقد الفريد 2 / 172)

قال معاذ بن جبل : لا يبلغ عبد ذرى الإيمان حتى يكون التواضع أحب إليه من الشرف وما قل من الدنيا أحب إليه مما كثر ويكون من أحب وأبغض في الحق سواء يحكم للناس كما يحكم لنفسه وأهل بيته . (الزهد لابن المبارك 2/52)

العلاء بن المسيب عن أبيه قال : لقيت البراء بن عازب رضي الله عنه فقلت : طوبى لك ؛ صحبت النبي صلى الله عليه وسلم وبابعت تحت الشجرة ، فقال : يا ابن أخي ، إنك لا تدري ما أحدثنا بعده . (البخاري 792 - برقم 4170)

وولي أبو هريرة رضي الله عنه إمارة مرة فكان يحمل حزمة الحطب على ظهره يقول طرقوا (وسعوا) للأمير . (مدارج السالكين 338 - 339 / 2)

ويذكر أن أبا ذر رضي الله عنه غير بلالا رضي الله عنه بسواده ثم ندم فألقى بنفسه فحلف : لا رفعت رأسي حتى يطأ بلال خدي بقدمه فلم يرفع رأسه حتى فعل بلال .
(مدارج السالكين 338 - 339 / 2)

قال كعب رضي الله عنه : ما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فشكرها لله ، وتواضع بها لله ؛ إلا أعطاه الله نفعها في الدنيا ورفع بها درجة في الآخرة ، وما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فلم يشكرها ولم يتواضع بها لله إلا منعه الله نفعها في الدنيا وفتح له طبقا من النار يعذبه إن شاء الله أو يتجاوز عنه . (إحياء علوم الدين 3 / 26)

قال أبو الدرداء : لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ، ما مشي خلفه . (الزهد لابن المبارك 132 / 1)

وقال ابن شهاب الزهري رحمه الله : كان أهل المدينة عيالا على عبد الرحمن بن عوف : ثلث يقرضهم ماله ، وثلث يقضى دينهم ، ويصل ثلثا . وكان لا يعرف من بين عبيده . ! أي من تواضعه في اللباس . (طبقات ابن سعد 2 / 124 - البداية والنهاية لابن كثير 7 / 179)

عن هزيم أو هذيم قال : رأيت سلمان الفارسي على حمار عري وعليه قميص سنبلاني ضيق الأسفل ، وكان طويل الساقين ، يتبعه الصبيان فقلت لهم : تنحوا عن الأمير . فقال : دعهم فإن الخير والشرف فيما بعد اليوم . (سير أعلام النبلاء 1 / 546)

بلغ عمر بن عبد العزيز أن ابنا له اشترى خاتما بألف درهم فكتب إليه عمر بلغني أنك اشتريت فصا بألف درهم فإذا أتاك كتابي فبع الخاتم وأشبع به ألف بطن واتخذ خاتما بدرهمين واجعل فصبه حديدا صينيا واكتب عليه رحم الله امرأ عرف قدر نفسه . (مدارج السالكين 338 - 339 / 2)

قال أبو أمية الأسود : سمعت ابن المبارك يقول أحب الصالحين ولست منهم وأبغض الطالحين وأنا شر منهم . (سير أعلام النبلاء 8 / 417 - 418)

قال ابن المبارك : رأس التواضع أن تضع نفسك عند من هو دونك في نعمة الدنيا حتى تعلمه أن ليس لك بدنياك عليه فضل وأن ترفع نفسك عن من هو فوقك في نعمة الدنيا حتى تعلمه أنه ليس له بدنياه عليك فضل . (التواضع والخمول 142)

قال ابن المبارك : إن الصالحين كانت أنفسهم تواتهم على الخير عفوا وأن أنفسنا لا تواتينا إلا كرها . (مختصر منهج القاصدين 473)

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : (دِيوَانُ الشَّافِعِيِّ ص 90)

أَحَبَّ الصَّالِحِينَ وَلَسْتُ مِنْهُمْ *** لِعَلِّي أَنْ أَنَالَ بِهِمْ شَفَاعَةً

وَأَكْرَهَ مِنْ تِجَارَتِهِ الْمَعَاصِي *** وَلَوْ كُنَّا سِوَاءَ فِي الْبِضَاعَةِ

فَقَالَ لَهُ مَنْ يَعْرِفُ الْفَضْلَ لِأَهْلِهِ أَمَامَ أَهْلِ السُّنَّةِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ

تُحِبُّ الصَّالِحِينَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ *** رَفِيقُ الْقَوْمِ يُلْحِقُ بِالْجَمَاعَةِ

وَتَكْرَهُ مِنْ بِضَاعَتِهِ الْمَعَاصِي *** حَمَاكَ اللَّهُ مِنْ تِلْكَ الْبِضَاعَةِ

وَالشَّافِعِيُّ كَانَ يَقُولُ : وَدِدْتُ لَوْ أَنَّ النَّاسَ تَعَلَّمُوا هَذَا الْعَلَمَ يَعْنِي كُتُبَهُ عَلَى أَلَّا يُنْسَبَ إِلَيْ مِنْهُ شَيْءٌ .
(سِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ 10 / 29)

وكان يقول : ينبغي للفقير أن يضع التراب على رأسه تواضعا لله وشكرا لله . (السير 10 / 53)

وقال الشافعي : التواضع من أخلاق الكرام والتكبر من شيم اللئام التواضع يورث المحبة والقناعة
تورث الراحة . (سير أعلام النبلاء 10 / 99)

وعن المروزي قال : لم أر الفقير في مجلس أعز منه في مجلس أحمد ، كان مانثا إليهم مقصرا عن أهل
الدنيا ، وكان فيه حلم ولم يكن بالعجول ، وكان كثير التواضع تعلوه السكينة والوقار ، وإذا جلس
في مجلسه بعد العصر للفتيا لا يتكلم حتى يسأل ، وإذا خرج إلى مسجده لم يتصدر .
(سير أعلام النبلاء 11 / 218)

ورأى محمد بن واسع ابنا له يمشي مشية منكرة فقال : تدري بكم شريت أمك بثلاثمائة درهم
وأبوك لا كثر الله في المسلمين مثله أنا وأنت تمشي هذه المشية . (مدارج السالكين 338 - 339 / 2)
قال محمد بن واسع : لو كان يوجد للذنوب ربح ما قدرتم أن تدنوا مني من نتن ريحي .
(صفة الصفوة 3 / 192)

وقال هارون بن سوار رحمه الله : سمعت شعيب بن حرب ، يقول : بينا أنا أطوف ، إذ لكزني رجل
بمرفقه ، فالتفت فإذا أنا بالفضيل بن عياض ، فقال : يا أبا صالح ، فقلت : لبيك يا أبا علي ، قال
: إن كنت تظن أنه قد شهد الموسم شرمي ومنك فبئس ما ظننت . (شعب الإيمان 10 / 513)

سئل الفضيل بن عياض عن التواضع فقال : يخضع للحق وينقاد له ويقبله ممن قاله .
(مدارج السالكين 338 - 339 / 2)

وقال إبراهيم بن أدهم : قال بعضهم : رأيت في الطواف رجلا بين يديه شاكزية يمنعون الناس لأجله عن الطواف ثم رأيت بعد ذلك بمدة على جسر بغداد يسأل شيئا فتعجبت منه فقال لي : إني تكبرت في موضع يتواضع الناس فيه فابتلاني الله بالذل في موضع يترفع الناس فيه .
(مدارج السالكين 338 - 339 / 2)

روي أن سفيان الثوري قدم الرملة فبعث إليه إبراهيم بن أدهم أن تعال فحدثنا فجاء سفيان فقبل له يا أبا إسحاق تبعث إليه بمثل هذا فقال أردت أن أنظر كيف تواضعه . (الإحياء 3 / 354)
قال صالح المري : خرج الحسن ويونس وأيوب يتذكرون التواضع فقال لهما الحسن وهل تدرون ما التواضع : التواضع أن تخرج من منزلك فلا تلق مسلما إلا رأيت له عليك فضلا .
(التواضع والخمول 154)

قال يحيى ابن أبي كثير: رأس التواضع ثلاث أن ترضى بالدون من شرف المجلس وأن تبدأ من لقيته بالسلام وأن تكره من المدحة والسمعة والرياء بالبر . (التواضع والخمول لابن أبي الدنيا 154)

قال بكر بن عبد الله المزني : إذا رأيت من هو أكبر منك ، فقل : هذا سبقني بالإيمان ، والعمل الصالح ، فهو خير مني وإذا رأيت من هو أصغر منك فقل : سبقته إلى الذنوب والمعاصي فهو خير مني وإذا رأيت إخوانك يكرمونك ويعظمونك فقل : هذا فضل أخذوا به ، وإذا رأيت منهم تقصيرا ، فقل : هذا ذنب أحدثته . (صفة الصفوة 3 / 175)

قال ابن وهب : جلست إلى عبد العزيز بن أبي رواد فمس فخذي فخذه فنحيت نفسي عنه فأخذ ثيابي فجرتني إلى نفسه وقال لي لم تفعلون بي ما تفعلون بالجبابرة وإني لا أعرف رجلا منكم شرا مني . (إحياء علوم الدين 3 / 354 - 355)

قال السري السقطي : ما أحب أن أموت حيث أعرف فقبل له : ولم ذاك يا أبا الحسن ؟ فقال : أخاف أن لا يقبلني قبري فافتضح . (شعب الإيمان 1 / 523)

وقال مالك بن دينار رحمه الله : لو أن مناديا ينادي بباب المسجد : ليخرج شركم رجلا ، والله ما كان أحد يسبقني إلى الباب إلا رجلا بفضل قوة أو سعي . ! قال : فلما بلغ ابن المبارك قوله ، قال : بهذا صار مالك مالكا . وقال الفضيل : من أحب الرئاسة لم يفلح أبدا . (إحياء علوم الدين 3 / 361)

قال مالك بن دينار : إذا ذكر الصالحون فأف لي وتف . (صفة الصفوة 3 / 198)

وكتب الوليد بن عتبة الدمشقي إلى ذي النون المصري رحمهما الله - بكتاب يسأله فيه عن حالة

فكتبت إليه : كتبت إلي تسألني عن حالي فما عسيت أن أخبرك به من حالي وأنا بين موجعات أبكاني منهن أربع : حب عيني للنظر ، ولساني للفضول ، وقلبي للرياسة ، وإجابتي إبليس لعنة الله فيما يكرهه الله ، و أقلقني منها : عين لا تبكي من الذنوب المنتنة ، وقلب لا يخشع عند نزول العظة ، وعقل وهن فهمه في محبة الدنيا ، ومعرفة كلما قلبتها وجدتي بالله أجهل ، وأضناني منها أنني عدمت خير خصال الإيمان : الحياء ، و عدمت خير زاد الآخرة : التقوى ، وفنيت أيامي بمحبتتي للدنيا ، وتضييعي قلبا لا أقتني مثله أبدا . (حلية الأولياء 9 / 376)

وقيل لأحمد بن حنبل رحمه الله : جزاك الله عن الإسلام خيرا . فقال : بل جزى الله الإسلام عني خيرا ، من أنا ؟ وما أنا ؟ ؟ . (سير أعلام النبلاء 11 / 225)

وقال يونس بن عبيد رحمه الله : كنت أذاكريوما عن الحسن التواضع ، قال : فالتفت إلينا الشيخ ، فقال : أتدرون ما التواضع ؟ أن تخرج من بيتك حين تخرج فلا تلقى مسلما إلا رأيت أن له عليك الفضل . (شعب الإيمان 10 / 511)

وقال وهب بن منبه رحمه الله : لا يستكمل الرجل العقل حتى يستكمل عشر خصال : حتى يكون الخير منه مأمولا ، والشر منه مأمونا ، وحتى لا يتبرم بكثرة حوائج الناس من قبله ، وحتى يكون الفقر أحب إليه من الغنى ، والذل أعجب إليه من العز ، والتواضع أحب إليه من الشرف ، وحتى يستقل كثير المعروف من نفسه ، ويستكثر قليل المعروف من غيره ، والعاشرة _ وأما العاشرة _ بها شاد مجده ، وعلا جده ، إذا خرج من بيته لم يلق أحدا إلا رأى أنه خير منه ! . (المداراة ص 47)

قال محمد بن أسلم الطوسي : قد سرت في الأرض ودرت فيها ، فبالذي لا إله إلا هو ما رأيت نفسا تصلي إلى القبلة شرا عندي من نفسي . (حلية الأولياء 9 / 244)

قال أبو يزيد البسطامي : المتواضع هو أن لا يرى لنفسه مقاما ولا حالا ولا يرى في الخلق شرا منه . (مدارج السالكين 338 - 339 / 2)

قال ابن عطاء : هو قبول الحق ممن كان والعزفي التواضع . فمن طلبه في الكبر فهو كطلب الماء من النار . (مدارج السالكين 338 - 339 / 2)

أيوب السخثياني كان يقول : إذا ذكر الصالحون كنت بمعزل عنهم وكان يقول : ذكرت ولا أحب أن أذكر . (سير أعلام النبلاء 6 / 22)

يونس بن عبيد من كبار أئمة السلف يقول : إني لأعد مائة خصلة من خصال البرما في منها خصلة

واحدة . (سير أعلام النبلاء 6 / 291)

قال يحيى بن الحكم بن أبي العاص لعبد الملك : أي الرجال أفضل قال من تواضع عن رفعه وزهد على قدرة وترك النصره على قومه . (التواضع والخمول 144)

قال ثابت البناني : قال لي محمد بن سيرين : يا أبا محمد لم يكن يمنعني من مجالستكم إلا مخافة الشهرة . (حلية الأولياء 2 / 271)

وسئل يوسف بن أسباط : ما غاية التواضع ؟ قال : ألا تلقى أحدا إلا رأيت له الفضل عليك . (سير أعلام النبلاء 9 / 170)

قال الجنيد بن محمد : هو خفض الجناح ولين الجانب . (مدارج السالكين 338 - 339 / 2)

قال إبراهيم بن أبي عبلة : رأيت أم الدرداء مع نساء المساكين جالسة ببیت المقدس . وقال قتادة : من أعطى مالا أو جمالا وثيابا وعلما ثم لم يتواضع كان عليه وبالاً يوم القيامة . (التواضع والخمول 149)

قال إبراهيم بن شيبان : الشرف في التواضع والعز في التقوى والحرية في القناعة . (مدارج السالكين 330 / 2)

وقال حمدون القصار : التواضع أن لا ترى لأحد إلى نفسك حاجة لا في الدين ولا في الدنيا . (مدارج السالكين 338 - 339 / 2)

وقال ابن القيم رحمه الله : فإن العبد الصادق لا يرى نفسه إلا مقصرا والموجب له لهذه الرؤية : استعظام مطلوبه واستصغار نفسه ومعرفته بعيوبها ، وقلة زاده في عينه ، فمن عرف الله وعرف نفسه ، لم يرنفسه إلا بعين النقصان . (مدارج السالكين 2 / 293)

قَالَ الْقَحْطَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (الْمُنْتَوَى : 378 هـ) (نُؤْنِيهِ الْقَحْطَانِيُّ ص 18)

وَاللَّهِ لَوْ عَلِمُوا قَبِيحُ سَرِيرَتِي *** لِأَبِي السَّلَامِ عَلِيٍّ مِنْ يَلْقَانِي

وَلَأَعْرَضُوا عَنِّي وَمَلُّوا صُحْبَتِي *** وَلِبُؤْتِ بَعْدُ كَرَامَةٍ مِهْوَانِ

لَكِنْ سَتَرْتُ مَعَايِي وَمَتَالِي *** وَحَلَمْتُ عَنْ سَفْطِي وَعَنْ طُعْيَانِي

وَقَالَ مُوسَى بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُوسَى : (أَعْيَانُ الْعَصْرِ وَأَعْوَانُ النَّصْرِ لِلصَّفْدِيِّ 5 / 479)

تَوَاضِعٌ تَكُنُّ كَالنَّجْمِ لَاحٍ لِنَاظِرٍ *** عَلَى صَفَحَاتِ الْمَاءِ وَهُوَ رَفِيعٌ
وَلَا تَكُ كَالدُّخَانِ يَعْلُو بِنَفْسِهِ *** إِلَى طَبَقَاتِ الْجَوِّ وَهُوَ وَضِيعٌ

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

لما استخلف أبو بكر الصديق أصبح غاديا إلى السوق وكان يحلب للحي أغنامهم قبل الخلافة ، فلما بويح قالت جارية من الحي : الآن لا يحلب لنا . فقال : بلى لأحلبها لكم واني لأرجو ألا يغيرني ما دخلت فيه . (التبصرة لابن الجوزي 408)

عن طارق بن شهاب ، قال : خرج عمر بن الخطاب إلى الشام ومعنا أبو عبيدة بن الجراح ، فأثوا على مخاضه وعمر على ناقة له ، فنزل عنها وخلع خفيه فوضعهما على عاتقه ، وأخذ بزمام ناقته فخاض بها المخاضة ، فقال أبو عبيدة : يا أمير المؤمنين ! أنت تفعل هذا ، تخلع خفيك وتضعهما على عاتقك ، وتأخذ بزمام ناقتك ، وتخوض بها المخاضة ؟ ! ما يسرني أن أهل البلد استشرفوك . فقال عمر : أوه ، لم يقل ذا غيرك أبا عبيدة جعلته نكالا لأمة محمد صلى الله عليه وسلم إنا كنا أذل قوم ، فأعزنا الله بالإسلام ، فمهما نطلب العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله . (مستدرک الحاكم 1 / 130)

وقدم على عمر بن الخطاب وفد من العراق فهمم الأحنف بن قيس في يوم صائف شديد الحر ، وعمر معتجر (معمم بعباءة) يهنا بعيرا من إبل الصدقة (أي يظليه بالقطران) فقال : يا أحنف ضع ثيابك ، وهلم فأعن أمير المؤمنين على هذا البعير فإنه إبل الصدقة ، فيه حق اليتيم ، والأرملة والمسكين ، فقال رجل من القوم : يغفر الله لك يا أمير المؤمنين ، فهلا تأمر عبدا من عبيد الصدقة فيكفيك ؟ فقال عمر : وأي عبد هو أعبد مني ، ومن الأحنف ؟ إنه من ولي أمر المسلمين يجب عليه لهم ما يجب على العبد لسيدة في النصيحة وأداء الأمانة . (مناقب عمر لابن الجوزي 73)

وعن جبير بن نفير : أن نفرا قالوا لعمر بن الخطاب : ما رأينا رجلا أقضي بالقسط ، ولا أقول للحق ولا أشد على المنافقين منك يا أمير المؤمنين ، فأنت خير الناس بعد رسول الله . فقال عوف بن مالك : كذبتم والله ، لقد رأينا بعد رسول الله فقال : من هو ؟ فقال : أبو بكر . فقال عمر : صدق عوف وكذبتم ، والله لقد كان أبو بكر أطيب من ريح المسك ، وأنا أضل من بعير أهلي . يعني قبل أن يسلم ؛ لأن أبا بكر أسلم قبله بست سنين . (تاريخ بغداد 5 / 134)

قسم عمر بن الخطاب بين الصحابة رضي الله عنهم حللا فبعث إلى معاذ حلة مثمنة فباعها واشترى بثمنها ستة أعبد وأعتقهم فبلغ ذلك عمر فبعث إليه بعد ذلك حلة دونها فعاتبه معاذ فقال عمر :

لأنك بعثت الأولى فقال معاذ وما عليك ادفع لي نصيبي وقد حلفت لأضربن بها رأسك فقال عمر رضي الله عنه : رأسي بين يديك وقد يرفق الشاب بالشيخ . (مدارج السالكين 338 - 339 / 2)

وقال عمر المخزومي رحمه الله : نادي عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالصلاة جامعة ، فلما اجتمع الناس وكثروا ؛ صعد المنبر ؛ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : أيها الناس ! لقد رأيتني أرعى على خالات لي من بني مخزوم . فيقبضن لي القبضة من التمر أو الزبيب ، فأظل يومي وأي يوم . ثم نزل ، فقال له عبد الرحمن بن عوف : يا أمير المؤمنين ! ما زدت على أن قئمت نفسك - يعني : عبت - . قال : فقال : ويحك يا ابن عوف ! إني خلوت ؛ فحدثتني نفسي ؛ قال : أنت أمير المؤمنين ؛ فمن ذا أفضل منك ؟ فأردت أن أعرفها نفسها . (تاريخ دمشق 44 / 315)

قال مجاهد : كنت أصحب ابن عمر رضي الله عنهما في السفر فإن أردت أن أركب يأتيني فيمسك ركابي وإذا ركبت سوى ثيابي قال مجاهد : فجاءني مرة فكأنني كرهت ذلك . فقال يا مجاهد إنك ضيق الخلق . (الحلية تهذيبه 2 / 11)

وركب زيد بن ثابت مرة فدنا ابن عباس ليأخذ بركابه فقال : مه يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : هكذا أمرنا أن نفعل بكبرائنا فقال : أرني يدك فأخرجها إليه فقبلها فقال : هكذا أمرنا نفعل بأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم . (مدارج السالكين 338 - 339 / 2)

قال الحسن : رأيت عثمان بن عفان يقيل في المسجد وهو يومئذ خليفة ، ويقوم وأثر الحصى بجنبه ، فنقول : هذا أمير المؤمنين ، هذا أمير المؤمنين . (التبصرة 437)

وكان أبو عبيدة ابن الجراح وهو أمير يحمل سطلاله من خشب إلى الحمام . (الأحياء 3 / 355)

ومر الحسن بن علي صبيان معهم كسر خبز فاستضافوه فنزل فأكل معهم ثم حملهم إلى منزله فأطعمهم وكساهم وقال : اليد لهم لأنهم لا يجدون شيئاً غير ما أطعموني ونحن نجد أكثر منه . (مدارج السالكين 338 - 339 / 2)

روي أن عمر بن عبد العزيز أتاه ليلة ضيف وكان يكتب فكاد السراج يطفأ فقال الضيف : أقوم إلى المصباح فأصلحه فقال : ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه قال : أفأنبه الغلام فقال : هي أول نومة نامها فقام وأخذ البطة وملاً المصباح زيتاً فقال الضيف : قمت أنت بنفسك يا أمير المؤمنين فقال : ذهبت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر ما نقص مني شيء ! وخير الناس من كان عند الله متواضعاً . (إحياء علوم الدين 3 / 355)

ويقول أحمد بن الحسن الترمذي : رأيت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يشترى الخبز من السوق ، ويحمله في الزنبيل ، ورأيته يشترى الباقلاء غير مرة ، ويجعله في خرقة ، فيحمله آخذا بيد عبد الله ابنه . (سير أعلام النبلاء 11 / 310)

وقال محمد بن بكر رحمه الله : بعث هارون الرشيد إلى ابن السماك فدخل عليه وعنده يحيى بن خالد البرمكي فقال يحيى لابن السماك : إن أمير المؤمنين أرسل إليك لما بلغه من صلاح حالك في نفسك وكثرة ذكرك لربك عز وجل ودعاؤك للعامة فقال ابن السماك : أما ما بلغ أمير المؤمنين من صلاحنا في أنفسنا فذلك بستر الله علينا فلواطلع الناس على ذنب من ذنوبنا لما أقدم قلب لنا على مودة . ولا جرى لسان لنا بمدحة ، وإني لأخاف أن أكون بالستمغرورا وبمدح الناس مفتونا وإني لأخاف أن أهلك بهما وبقلة الشكر عليهما فدعا بدواة وقرطاس فكتبه إلى الرشيد . (حلية الأولياء 8 / 209)

وكان هارون الرشيد يجلب أبا معاوية الضير ويحترمه قيل أنه استدعاه لسمع منه الحديث فأكل عنده فغسل يديه فكان الرشيد هو الذي صب على يده وقال تدري يا أبا معاوية من يصب عليك ثم وصله بذهب كثير . (سير أعلام النبلاء 9 / 77)

وقال السري السقطي رحمه الله : قال غالب : خرج الحسن مرة من المسجد وقد ذهب بحماره فأتى حماري فركبه وكان حماري يتناول ساق صاحبه - يعض ساق من يركبه - ففخته على الحسن فأخذت بلجامه فقال : أحمارك هذا ؟ فقلت : نعم ، قال : وخلفه رجال يمشون ، فقال : لا أباك ما يبقي خفق نعال هؤلاء من قلب آدمي ضعيف ؟ ! والله لولا أن يرجع المسلم أو المؤمن إلى نفسه فيعلم أن لا شيء عنده لكان هذا في فساد قلبه سريعا . (الطبقات الكبرى 7 / 168)

وقال عمرو بن شيبان رحمه الله : كنت بمكة بين الصفا والمروة فرأيت رجلا راكبا بغلة وبين يديه غلمان يعنفون الناس . قال : ثم عدت بعد حين فدخلت بغداد فكنت على الجسر فإذا أنا برجل جاف حاسر طويل الشعر . قال : فجعلت أنظر إليه وأتأمله ، فقال لي : مالك تنظر إلي ؟ . فقلت له : شهيتك برجل رأيت بمكة ووصفت له الصفة ، فقال له : أنا ذلك الرجل . فقلت ما فعل الله بك ؟ فقال : إني ترفعت في موضع يتواضع فيه الناس فوضعني الله حيث يترفع الناس . (الإحياء 3 / 343)

قال أبي خالد رحمه الله أنه : ذكر الأعمش حديث (ذاك بال الشيطان في أذنه) فقال : ما أرى عيني عمشت إلا من كثرة ما يبول الشيطان في أذني . قال أبو خالد : وما أظنه فعل هذا قط . قلت - القائل الذهبي - يريد أن الأعمش كان صاحب ليل وتعبد . (سير أعلام النبلاء 6 / 232)

أرسل ابن تيمية رحمه الله في آخر عمره قاعدة في التفسير بخطه إلى تلميذه ابن القيم رحمه الله وعلى ظهرها أبيات بخطه من نظمه يقول فيها :

أَنَا الْفَقِيرُ إِلَى رَبِّ الْبَرِيَّاتِ *** أَنَا الْمُسْتَكِينُ فِي مَجْمُوعِ حَالَاتِي
 أَنَا الظُّلُومُ لِنَفْسِي وَهِيَ ظَالِمَتِي *** وَالْخَيْرَانُ يَأْتِنَا مِنْ عِنْدِهِ يَأْتِي
 لَا أَسْتَطِيعُ لِنَفْسِي جَلْبَ مَنْفَعَةٍ *** وَلَا عَنِ النَّفْسِ لِي دَفْعَ الْمَضْرَبَاتِ
 وَلَيْسَ لِي دُونَهُ مَوْلَى يُدَبِّرُنِي *** وَلَا شَفِيعَ إِذَا حَاطَتْ خَطِيئَاتِي
 وَالْفَقْرُ لِي وَصَفُ ذَاتٍ لَا زِمَّ أَبَدًا *** كَمَا الْغَيِّ أَبَدًا وَصَفُ لَهُ ذَاتِي .
 (مدارج السالكين 524/1)

72 - باب تحريم الكبر والإعجاب

قَالَ اللهُ تَعَالَى : تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ [القصص : 83] وقال تعالى : وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا [الإسراء : 37] وقال تَعَالَى : وَلَا تَصْعَرَ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ [لقمان : 18]

612- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ! ((فَقَالَ رَجُلٌ : إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنًا؟ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ، الْكِبَرُ: بَطْرُ الْحَقِّ وَعَمَطُ النَّاسِ . رواه مسلم)).

613- وعن سلمة بن الأكوع : أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ بِشْمَالِهِ ، فَقَالَ: كُلْ بِيَمِينِكَ قَالَ : لَا أَسْتَطِيعُ ! قَالَ : لَا اسْتَطَعْتَ مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبَرُ. قَالَ : فَمَا رَفَعَهَا إِلَيَّ فِيهِ . رواه مسلم

614- وعن حارثة بن وهبٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ، يَقُولُ : أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ : كُلُّ عُتْلٍ جَوَاطِ مُسْتَكْبِرٍ . متفقٌ عَلَيْهِ ، وتقديم شرحه في بابِ ضعفة المسلمين

615- وعن أبي سعيد الخدري ، عن النبي ، قَالَ : احْتَجَبَتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ ، فَقَالَتِ النَّارُ : فِي الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ . وَقَالَتِ الْجَنَّةُ : فِي ضُعَفَاءِ النَّاسِ وَمَسَاكِينِهِمْ ، فَقَضَى اللهُ بَيْنَهُمَا : إِنَّكَ الْجَنَّةُ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مِنْ أَشَاءِ ، وَإِنَّكَ النَّارُ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكَ مَنْ أَشَاءَ ، وَلِكُلِّكُمْ عَلَيَّ مَلُؤُهُا . رواه مسلم .

616- وعن أبي هريرة : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ، قَالَ : لَا يَنْظُرُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطْرًا .

متفقٌ عَلَيْهِ .

617- وعنه ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَا يُرَكِّمُهُمْ ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ : شَيْخُ زَانَ ، وَمَلِكُ كَدَّابٍ ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ . رواه مسلم . ((العائِل)) : الْفَقِيرُ .

618- وعنه ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : قَالَ اللَّهُ : الْعِرْزَارِيُّ ، وَالْكَبْرِيَاءُ رِدَائِي ، فَمَنْ يُنَازِعْنِي فِي وَاحِدٍ مِنْهُمَا فَقَدْ عَدَّبْتُهُ)) رواه مسلم .

619- وعنه : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ ، مُرَجِّلٌ رَأْسَهُ ، يَخْتَالُ فِي مَشْيَتِهِ ، إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ ، فَهُوَ يَتَجَلَّجَلُ فِي الْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . متفقٌ عَلَيْهِ .

((مُرَجِّلٌ رَأْسَهُ)) : أَيُّ مُمَشِّطُهُ ، ((يَتَجَلَّجَلُ)) بِالْجِيمِ : أَيُّ يَغُوصُ وَيَنْزِلُ .

620- وعن سَلْمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ حَتَّى يُكْتَبَ فِي الْجَبَّارِينَ ، فَيُصِيبُهُ مَا أَصَابَهُمْ)) رواه الترمذي ، وقال: حديث حسن .

((يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ)) أَيُّ : يَرْتَفِعُ وَيَتَكَبَّرُ .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

عن ابن جريج قوله : للذين لا يريدون علوا في الأرض . قال : تعظما وتجبرا (ولا فسادا) : عملا بالمعاصي . عن علي رضي الله عنه قال : إن الرجل ليعجبه من شراك نعله أن يكون أجود من شراك صاحبه ، فيدخل في قوله : تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين . عن قتادة : والعاقبة للمتقين . أي الجنة للمتقين . (الطبري 19 / 638)

عن ابن عباس : ولا تصعر خدك للناس . يقول : ولا تتكبر ؛ فتحقر عباد الله ، وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك . قال الضحاک يقول في قوله : ولا تمس في الأرض مرحا . يقول : بالخيلاء . عن مجاهد قوله : (كل مختال فخور) . قال : متكبر . وقوله : (فخور) قال : يعدد ما أعطى الله وهو لا يشكر الله . (تفسير الطبري 20 / 145)

عن ابن عباس قال : إن قارون كان من قوم موسى قال : كان ابن عمه ، وكان يتبع العلم حتى جمع علما ، فلم يزل في أمره ذلك حتى بغى على موسى وحسده ، فقال له موسى عليه السلام : إن الله أمرني أن أخذ الزكاة . فأبى ، فقال : إن موسى عليه السلام يريد أن يأكل أموالكم ، جاءكم بالصلاة ، وجاءكم بأشياء فاحتملتموها ، فتحتملوه أن تعطوه أموالكم ؟ قالوا : لا نحتمل ، فما ترى ؟ فقال لهم : أرى أن أرسل إلى بغى من بغايا بني إسرائيل ، فترسلها إليه ، فترميه بأنه أرادها على

نفسها . فأرسلوا إليها ، فقالوا لها : نعطيك حكمك على أن تشهدي على موسى أنه فجر بك . قالت : نعم . فجاء قارون إلى موسى قال : اجمع بني إسرائيل ، فأخبرهم بما أمرك ربك . قال : نعم . فجمعهم فقالوا له : ما أمرك ربك ؟ قال : أمرني أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تصلوا الرحم ، وكذا وكذا ، وأمرني في الزاني إذا زنى وقد أحصن أن يرجم . قالوا : وإن كنت أنت ؟ قال : نعم . قالوا : فإنك قد زנית . قال : أنا ! فأرسلوا إلى المرأة فجاءت ، فقالوا : ما تشهدين على موسى ؟ فقال لها موسى : أنشدك بالله إلا ما صدقت . قالت : أما إذ نشدتي بالله ، فإنهم دعوني وجعلوا لي جعلاً على أن أقذفك بنفسي ، وأنا أشهد أنك بريء ، وأنت رسول الله . فخر موسى ساجداً بيبي ، فأوحى الله إليه : ما يبكيك ؟ قد سلطناك على الأرض ، فمرها فتطيعك . فرفع رأسه فقال : خذيمهم . فأخذتهم إلى أعقابهم ، فجعلوا يقولون : يا موسى ، يا موسى . فقال : خذيمهم . فأخذتهم إلى ركبهم ، فجعلوا يقولون : يا موسى ، يا موسى . فقال : خذيمهم فأخذتهم إلى أعناقهم ، فجعلوا يقولون : يا موسى ، يا موسى . فقال : خذيمهم . فأخذتهم فغيبتهم ، فأوحى الله : يا موسى ، سألك عبادي وتضرعوا إليك فلم تجبهم ، وعزتي لو أنهم دعوني لأجبتهم . قال ابن عباس : وذلك قوله تعالى : فحسبنا به وبداره الأرض خسف به إلى الأرض السفلى . عن قتادة في قوله : فبغى عليهم قال : فعلا عليهم . عن عطاء في قوله : وآتيناه من الكنوز قال : أصاب كترًا من كنوز يوسف . عن الوليد بن زوران في قوله : وآتيناه من الكنوز . قال : كان قارون يعلم الكيمياء . عن خيثمة قال : كانت مفاتيح كنوز قارون من جلود ، كل مفتاح مثل الإصبع ، كل مفتاح على خزانة على حدة ، فإذا ركب حملت المفاتيح على سبعين بغلاً أغر محجلاً . عن ابن عباس في قوله : لتنوء بالعصبة يقول : لا يرفعها العصبة من الرجال أولي القوة . عن السدي في قوله : إذ قال له قومه لا تفرح قال : هؤلاء المؤمنون منهم ، قالوا : يا قارون ، لا تفرح بما أوتيت فتبطر . عن مجاهد في قوله : إن الله لا يحب الفرحين قال : المتبذخين ، الأشرين ، البطرين ، الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم . عن ابن عباس في قوله : ولا تنس نصيبك من الدنيا قال : إن تعمل فيها لأخرتك . عن قتادة في قوله : قال إنما أوتيته على علم عندي يقول : على خير عندي ، وعلم عندي . عن قتادة في قوله : ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون قال : المشركون ، لا يسألون عن ذنوبهم ، ولا يحاسبون لدخول النار بغير حساب عن ابن عباس في قوله : فحسبنا به وبداره الأرض قال : خسف به إلى الأرض السفلى . عن سمرة بن جندب قال : يخسف بقارون وقومه في كل يوم قدر قامة ، فلا يبلغ الأرض السفلى إلى يوم القيامة . (تفسير الدر المنثور 11 / 503 - 512)

أَثَارُ الْوَارِدَةِ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قال أبو بكر الصديق : لا يحقرن أحدٌ أحداً من المسلمين فإن صغير المسلمين عند الله كبير .

(إحياء علوم الدين 5 / 123)

قال علي بن أبي طالب : من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل النار فليتنظر إلى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام . (إحياء علوم الدين 3 / 354)

عن حبيب بن أبي ثابت قال : خرج عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ذات يوم فاتبعه ناس فقال لهم : الكم حاجة ؟ قالوا : لا ولكن أردنا أن نمشي معك . قال : ارجعوا فإنه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع . (صفة الصفوة 1 / 186)

قال سعد بن أبي وقاص لابنه : يا بني : إياك والكبر وليكن فيما تستعين به على تركه : علمك بالذي منه كنت والذي إليه تصير وكيف الكبر مع النطفة التي منها خلقت والرحم التي منها قذفت والغذاء الذي به غذيت . (العقد الفريد 2 / 197)

قال مطرف بن عبد الله بن الشخير : لأن أبيت نائما وأصبح نادما ، أحب إلي من أن أبيت قائما ، وأصبح معجبا . (حلية الأولياء 2 / 200)

يقول عمر بن عبد العزيز : إنه ليمتعي من كثير من الكلام مخافة المباهاة . (السير 9 / 463)

قال عبيد الله بن أبي جعفر : إذا كان المرء يحدث في مجلس فأعجبه الحديث فليمسك ، وإذا كان ساكنا - يعني ساكنا - فأعجبه السكوت فليتحدث . (سير أعلام النبلاء 9 / 161)

قال أبو سليمان الداراني : رد سبيل العجب بمعرفة النفس وتخلص إلى إجماع القلب بقلة الخطأ وتعرض لرقة القلب بمجالسة أهل الخوف واستجلب نور القلب بدوام الحزن والتمس باب الحزن بدوام الفكرة والتمس وجوه الفكرة في الخلوات . (حلية الأولياء 9 / 266)

قال إبراهيم بن أدهم : على القلب ثلاثة أغطية : الفرح والحزن والسرور فإذا فرحت بالموجود : فأنت حريص ، والحريص محروم ؛ وإذا حزنت على المفقود : فأنت ساخط ، والساخط معذب ؛ وإذا سررت بالمدح : فأنت معجب ، والعجب يحبط العمل ؛ ودليل ذلك كله قوله تعالى : لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) (الحديد 23) . (حلية الأولياء 8 / 34)

قال سفيان بن عيينة : وقال عبد الله : اثنتان منجيتان واثنتان مهلكتان فالمنجيتان : النية ، والنهي ؛ فالنية : أن تنوي ؛ أن تطيع الله فيما يستقبل ؛ والنهي : أن تنهي نفسك عما حرم الله عز وجل ؛ والمهلكتان : العجب ، والقنوط . (حلية الأولياء 7 / 298)

قال مسروق : كفى بالمرء علما : أن يخشى الله ؛ وكفى بالمرء جهلا : أن يعجب بعمله .

(حلية الأولياء 2 / 95)

قال وهب بن منبه : من وافى خمسا فقد وقي شر الدنيا والآخرة : العجب والرياء والكبر والإزراء والشهوة . (حلية الأولياء 8 / 95)

وقال وهب : لما خلق الله جنة عدن نظر إليها ، فقال : أنت حرام على كل متكبر . (الإحياء 3 / 338)

عن وهب بن منبه قال : إني لأتفقد أخلاقي ، ما فيها شيء يعجبني . (حلية الأولياء 4 / 66)

قال أيوب السختياني : إن قوما يريدون أن يرتفعوا ، فيأبى الله إلا أن يضعهم ، وآخرين يريدون أن يتواضعوا ، ويأبى الله إلا أن يرفعهم . (صفة الصفوة 3 / 209)

وكان في قميص أيوب السختياني بعض التذييل ، أنه يقارب الكعبيين - لا يزيد على الكعبيين - ، فقيل له ، فقال : الشهرة اليوم في التشمير . (حلية الأولياء 3 / 7)

قال أيوب السختياني : إذا ذكر الصالحون كنت منهم بمعزل . (صفوة الصفوة 3 / 210)

قال الشافعي : ينبغي للفقير أن يضع التراب على رأسه ، تواضعا لله وشكرا لله . (السير 10 / 53)

قال الشافعي : التواضع من أخلاق الكرام والتكبر من شيم اللئام التواضع يورث المحبة والقناعة تورث الراحة . (سير أعلام النبلاء 10 / 99)

قال الشافعي لرجل : أظنك أحمق قال الرجل : إن أحمق ما يكون الشيخ : إذا أعجب بعمله . (حلية الأولياء 9 / 129)

وسئل يوسف بن أسباط رحمه الله ما غاية التواضع ؟ قال : أن لا تلقى أحدا إلا رأيت له الفضل عليك . (سير أعلام النبلاء 9 / 170)

وقال محمد بن أسلم الطوسي : قد سرت في الأرض ودرت فيها ، فبالذي لا إله إلا هو ما رأيت نفسا تصلي إلى القبلة شرا عندي من نفسي . (حلية الأولياء 9 / 244)

وعن يونس بن عبيد قال : إني لأعد مائة خصلة من خصال البر ، ما في منها خصلة واحدة . (تهذيب الحلية 1 / 437)

قال الفيض بن إسحاق : قال لي الفضيل : تريد الجنة مع النبيين والصديقين ، وتريد أن تقف الموقف مع نوح وإبراهيم ومحمد عليهم الصلاة والسلام ؟ بأي عمل وأي شهوة تركتها لله عز وجل

، وأي قريب باعدته في لله ، وأي بعيد قربته في لله . (تهذيب الحلية 3 / 10)

قال كعب الأحبار وأتاه رجل ممن يتبع الأحاديث : اتق الله ، وأرض بدون الشرف من المجلس ، ولا تؤذين أحدا ، فإنه : لو ملأ علمك ما بين السماء والأرض مع العجب ، ما زادك الله به إلا سفالا ونقصا ؛ فقال الرجل : رحمك الله يا أبا إسحاق ، إنهم يكذبوني ويؤذوني ؛ فقال : قد كانت الأنبياء يكذبون ويؤذون ، فيصبرون ؛ فاصبر ، وإلا فهو الهلاك . (حلية الأولياء 5 / 367)

قال حاتم الأصم : لا أدري أيهما أشد على الناس : اتقاء العجب ، أو الرياء ؛ العجب داخل فيك ، والرياء يدخل عليك ؛ العجب أشد عليك من الرياء ، ومثلها : أن يكون معك في البيت كلب عقور ، وكلب آخر خارج البيت ، فأيهما أشد عليك ؟ معك ، أو الخارج الداخل ؟ فالداخل : العجب ، والخارج : الرياء . (حلية الأولياء 8 / 76 - 77)

قال أبي سليمان الداراني : كيف يعجب عاقل بعمله ؟ وإنما يعد العمل نعمة من الله إنما ينبغي له : أن يشكرو ويتواضع وإنما يعجب بعمله : القدرية الذين يزعمون أنهم يعملون فأما من زعم أنه مستعمل : فبأي شيء يعجب ؟ . (حلية الأولياء 9 / 263)

قال ابو عثمان النيسابوري: ما ترك أحد شيئا من السنة إلا لكبر في نفسه ثم هذا مظنة لغيره فينسلخ القلب عن حقيقة اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ويصير فيه من الكبر وضعف الإيمان ما يفسد عليه دينه أو يكادوهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا. (اقتضاء الصراط المستقيم 2/120)

قال النعمان بن بشير على المنبر: إن للشيطان مصالي وفخوخا وإن من مصالي الشيطان وفخوخه البطر بأنعم الله ، والفخر بإعطاء الله والكبر على عباد الله واتباع الهوى في غير ذات الله . (إحياء علوم الدين 3 / 339)

قال أبو وهب المروزي : سألت ابن المبارك : ما الكبر ؟ قال : أن تزدرى الناس . فسألته عن العجب ؟ قال إن ترى أن عندك شيئا ليس عند غيرك ، لا أعلم في المصلين شيئا شرا من العجب . (السير تهذيبه 2 / 769)

قال الحسن : إن أقواما جعلوا الكبر في قلوبهم ، والتواضع في ثيابهم ، فصاحب الكساء بكسائه أعجب من صاحب المطرف بمطرفه ما لم تفاقروا . (التواضع والخمول لابن أبي الدنيا 90)

وقال محمد بن الحسين بن علي : ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر قط ، إلا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك أو أكثر . (إحياء علوم الدين 3 / 339)

قال الأحنف بن قيس : عجبت لمن يجري في مجرى البول مرتين كيف يتكبر. (السير 5 / 43)

قال جبير بن نفير: قيل له : أي الكبريين أشرف؟ قال : كبر العباداة . (حلية الأولياء 2 / 165)

وسئل سليمان عن السيئة التي لا تنفع معها حسنة فقال : الكبر. (إحياء علوم الدين 3 / 339)
وكان الجنيد يقول : الكبر أن ترى نفسك ، وأدناه أن تخطر ببالك - يعني نفسك - .
(سير أعلام النبلاء 11 / 44)

ويقول سفيان الثوري رحمه الله : السلامة في ألا تحب أن تعرف . (سير أعلام النبلاء 6 / 639)

قال يحيى بن جعدة : من وضع وجهه لله عز وجل ساجدا فقد برئ من الكبر .
(التواضع والخمول 262)

قال الغزالي : من حق العبد أن لا يتكبر على أحد . أن نظري جاهل قال : هذا عصي الله بجهل وأنا
عصيته بعلم فهو أعذر مني . وإن نظري عالم قال : هذا قد علم ما لم أعلم فكيف أكون مثله وإن
نظري كبير هو أكبر منه سنا قال : هذا قد أطاع الله قبلي فكيف أكون مثله وإن نظري صغير قال
: إني عصيت الله قبله فكيف أكون مثله وإن نظري مبتدع أو كافر قال : ما يديني لعله يختم له
بالإسلام ويختم لي بما هو عليه الآن فليس دوام الهداية إلى كما لم يكن ابتداءها إلي .
(إحياء علوم الدين ص 476 كتاب ذم الكبر والعجب)

قال ابن تيمية : الكبرينافي حقيقة العبودية ، كما ثبت في الصحيح : عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال : يقول الله : العظمة إزاري ، والكبرياء رداي ، فمن نازعني واحدا منهما عذبتة . فالعظمة
والكبرياء من خصائص الربوبية ، والكبرياء أعلى من العظمة ؛ ولهذا جعلها بمنزلة الرداء ، كما
جعل العظمة بمنزلة الإزار. (العبودية 99)

وَرَجِمَ اللَّهُ الْكِرْبِيَّ الْقَائِلَ : (رَوْضَةُ الْعُقَلَاءِ 61)

وَلَا تَمَسِّيْ فَوْقَ الْأَرْضِ إِلَّا تَوَاضَعًا *** فَكَمْ تَحْتَهَا قَوْمٌ هَمَّ مِنْكَ أَرْفَعُ

فَإِنَّ كُنْتِ فِي عِزٍّ وَخَيْرٍ وَمَنْعَةٍ *** فَكَمْ مَاتَ مِنْ قَوْمٍ هَمَّ مِنْكَ أَمْنَعُ

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

لما استخلف أبو بكر الصديق رضي الله عنه أصبح غاديا إلى السوق ، وكان يحلب للحى أغنامهم
قبل الخلافة ، فلما بويع قالت جارية من الحى : الآن لا يحلب لنا . فقال : بلى لأحلبنها لكم ، وإنى

لأرجو ألا يغيرني ما دخلت فيه . (التبصرة 408)

قال عبيد الله بن عمر: أن عمر بن الخطاب كان جالسا ذات يوم فمرت به جارية تحمل قرية فقام فأخذ منها القرية وحملها على عنقه حتى وداها ثم رجع فقال له أصحابه يرحمك الله يا أمير المؤمنين ! ما حملك على هذا ؟ قال إن نفسي أعجبتني ؛ فأردت أن أذلها .
(المجالسة وجواهر العلم 1 / 520)

عن قيس قال بلغ بلالا أن ناسا يفضلونه على أبي بكر ، فقال كيف يفضلوني عليه وإنما أنا حسنة من حسناته . (سير أعلام النبلاء 1 / 359)

عن هزيم أو هذيم قال : رأيت سلمان الفارسي على حمار عربي وعليه قميص سنبلاني ضيق الأسفل ، وكان طويل الساقين ، يتبعه الصبيان فقلت لهم : تنحوا عن الأمير . فقال : دعهم فإن الخير والشرفيما بعد اليوم . (سير أعلام النبلاء 1 / 546)

عن يزيد بن زياد القرظي حدثني ثعلبة بن أبي مالك القرظي قال : أقبل أبوهريرة في السوق ، يحمل حزمة حطب ، وهو يومئذ خليفة لمروان . فقال : أوسع الطريق للأمير . (سير أعلام النبلاء 2 / 614)

مر عبد الله بن سلام رضي الله عنه في السوق وعليه حزمة من حطب ، فقيل له : أليس الله قد أعفاك عن هذا ؟ ! قال : بلى ، ولكن أردت أن أدفع به الكبر ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر . (الزهد لأحمد 833)

وعن عبد الرحمن بن أردك (يقال هو) أخو علي ابن الحسين لأمه قال : كان علي بن الحسين يدخل المسجد ، فيشق الناس حتى يجلس في حلقة زيد ابن أسلم ، وقال له نافع بن جبير: غفر الله لك أنت سيد الناس ، تأتي تتخطى حتى تجلس مع هذا العبد . فقال : علي بن الحسين العلم يبغني ويؤتى ، ويطلب من حيث كان . (سير أعلام النبلاء 4 / 388)

روى أن معاوية رضي الله تعالى عنه دخل على عمر رضي الله تعالى عنه وعليه حلة خضراء فنظر إليها الصحابة ، فوثب إليه عمر رضي الله تعالى عنه بالدرة ، وجعل يقول يعني معاوية : الله الله يا أمير المؤمنين ، فيم فيم ؟ يعني في أي شيء ؟ ، فلم يكلمه حتى رجع ، فقالوا : لم ضربته وما في قومك مثله ؟ قال : ما رأيت وما بلغني إلا خيرا ، ولكنه رأيت - وأشار بيده ، يعني كأنه في هذه الحلة - فأحببت أن أضع منه . (سير أعلام النبلاء 3 / 135)

وهذا جبلة بن الأهم ارتد عن الإسلام والتحق بالروم ، وكان رجلا مختالا معجبا بنفسه ، وكان

يطوف بالكعبة فوطئ رداءه أعرابي - وكان يجرداءه - فالتفت ولطم هذا الأعرابي ، فاشتكى الأعرابي عند عمر رضي الله تعالى عنه فاقتص منه ، وغضب وارتحل ، ومات على الكفر .
(سير أعلام النبلاء 4 / 500)

وقيل لعمر بن عبدالعزيز : لو أتيت المدينة فإن قضى الله موتا دفنت في موضع القبر الرابع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني في الحجرة ، حجرة عائشة رضي الله عنها فقال : والله لأن يعذبني الله بغير النار أحب إلي من أن يعلم من قلبي أنني أراني لذلك أهلا . (السير 5 / 141)

عن الأصمعي عن أبيه ، قال : مر المهلب بن أبي صفرة على مالك بن دينار رحمه الله متبخرا ، فقال : أما علمت أنها مشية يكرهها الله إلا بين الصفين ؟ فقال المهلب : أما تعرفني ؟ قال : بلى ، أولك نطفة مذرة ، وأخرك جيفة قدرة ، وأنت فيما بين ذلك تحمل العذرة . فانكسر . وقال : الآن عرفتي حق المعرفة . (سير أعلام النبلاء 2 / 713)

قال عمرو بن شيبة : كنت بمكة بين الصفا والمروة فرأيت رجلا راكبا بغلة وبين يديه غلمان وإذا هم يعنفون الناس قال : ثم عدت بعد حين فدخلت بغداد فكننت على الجسر فإذا أنا برجل حاف حاسر طويل الشعر قال : فجعلت أنظر إليه وأأمله فقال لي : مالك تنظر إلى فقلت له : شهتك برجل رأيت بمكة ووصفت له الصفة فقال له : أنا ذلك الرجل فقلت : ما فعل الله بك فقال إني ترفعت في موضع يتواضع فيه الناس فوضعتني الله حيث يترفع الناس . (الإحياء 11 / 1945)

كان إبراهيم الحربي رجلا صالحا من أهل العلم ، بلغه أن قوما من الذين كانوا يجالسونه يفضلونه على أحمد بن حنبل ، فوقفهم على ذلك ، فأقروا به ، فقال : ظلمتموني بتفضيلكم لي على رجل لا أشبهه ، ولا ألحق به في حال من أحواله ، فأقسم بالله : لا أسمعكم شيئا من العلم أبدا ، فلا تأتوني بعد يومكم . (سير أعلام النبلاء 13 / 364)

وبكى ربيعة شيخ الإمام مالك يوما ف قيل له : ما يبكيك ؟ قال : رياء حاضر وشهوة خفية والناس عند علمائهم كصبيان في حجور أمهاتهم إن أمرهم انتمروا وإن نهوهم انتهوا . (السير 6 / 249)

وكان بشر بن منصور يصلي فيطول ورجل وراءه ينظر فقطن له فلما انصرف أي لما سلم من الصلاة قال : لا يعجبك ما رأيت مني فإن إبليس قد عبد الله دهرا مع الملائكة . (سير أعلام النبلاء 7 / 353)

كان أبو سنان يشتري الشيء من السوق فيحمله فيقال : هات نحمله فيأبى ويقول : إنه لا يجب المستكبرين . (الحلية تهذيبه 2 / 151)

73 - باب حسن الخلق

قَالَ اللهُ تَعَالَى : وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ [ن : 4] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ [آل عمران : 134] الآية.

621- وعن أنسٍ رضي الله عنه قال : كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا . متفقٌ عليه .

622- وعنه قال : مَا مَسِسْتُ دِيبَاجًا وَلَا حَرِيرًا أَلَيْتَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا شَمَمْتُ رَائِحَةً قَطُّ أَطْيَبَ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَلَّدَ خَدَمْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ سِنِينَ ، فَمَا قَالَ لِي قَطُّ : أُفٍّ ، وَلَا قَالَ لِبَشِيءٍ فَعَلْتُهُ : لِمَ فَعَلْتَهُ؟ وَلَا لِبَشِيءٍ لَمْ أَفْعَلْهُ : أَلَا فَعَلْتِ كَذَا؟ متفقٌ عليه .

623- وعن الصَّعْبِ بْنِ جَثَامَةَ رضي الله عنه قال : أَهْدَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِمَارًا وَحَشِييًّا ، فَرَدَّهُ عَلَيَّ ، فَلَمَّا رَأَى مَا فِي وَجْهِ قَال : « إِنَّا لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكَ إِلَّا لَأَنَّا حُرْمٌ » متفقٌ عليه .

624- وعن النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رضي الله عنه قال : سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ فَقَالَ : « الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ ، وَالْإِثْمُ : مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ » رواه مسلم .

625- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا . وَكَانَ يَقُولُ : « إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا » متفقٌ عليه .

626- وعن أبي الدرداء رضي الله عنه : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ . وَإِنَّ اللهَ يُبْعِضُ الْفَاحِشَ الْبِدْيِي » رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح . « الْبِدْيِيُّ » : هُوَ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِالْفُحْشِ . وَرِدِيءُ الْكَلَامِ

627- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ : « تَقْوَى اللهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ فَقَالَ : « الْفَمُّ وَالْقَرْجُ » . رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح 628- وعنه قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا ، وَخِيَارُهُمْ خِيَارُهُمْ لِنِسَائِهِمْ » رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

629- وعن عائشة رضي الله عنها ، قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِنَّ

الْمُؤْمِنَ لِيُدْرِكَ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ» رواه أبو داود .

630- وعن أبي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَنَا زَعِيمٌ بَبَيْتٍ فِي رِبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ . وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا ، وَبَبَيْتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكِذْبَ ، وَإِنْ كَانَ مَازِحًا ، وَبَبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ » حديث صحيح ، رواه أبو داود بإسناد صحيح . « الزَّعِيمُ » : الضَّامِنُ .

631- وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِنْ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ ، وَ أَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، أَحْسَنِكُمْ أَخْلَاقًا . وَإِنْ أَبْغَضْتُمْ إِلَيَّ وَ أَبْعَدْتُمْ مِنِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، التَّرْتَارُونَ وَ الْمُتَشَدِّقُونَ وَ الْمُتَفَهِّمُونَ » قالوا : يا رسول الله قد علمنا التَّرْتَارُونَ وَ الْمُتَشَدِّقُونَ ، فَمَا الْمُتَفَهِّمُونَ ؟ قَالَ : « الْمُتَكَبِّرُونَ » رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

« التَّرْتَارُ » : هُوَ كَثِيرُ الْكَلَامِ تَكَلُّفًا . « وَ الْمُتَشَدِّقُ » : الْمُتَطَاوِلُ عَلَى النَّاسِ بِكَلَامِهِ ، وَ يَتَكَلَّمُ بِمَلءِ فِيهِ تَفَاصُحًا وَ تَعْظِيمًا لِكَلَامِهِ ، « وَ الْمُتَفَهِّمُ » : أَصْلُهُ مِنَ الْفَهْقِ ، وَ هُوَ الْإِمْتِلَاءُ ، وَ هُوَ الَّذِي يَمْلَأُ فَمَهُ بِالْكَلَامِ ، وَ يَتَوَسَّعُ فِيهِ ، وَ يُغْرِبُ بِهِ تَكَبُّرًا وَ ارْتِفَاعًا ، وَ إِظْهَارًا لِلْفَضِيلَةِ عَلَى غَيْرِهِ .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

عن عطية العوفي في قوله : و إنك لعلي خلق عظيم قال : على أدب القرآن . عن ابن عباس : و إنك لعلي خلق عظيم قال : القرآن عن ابن عباس في قوله : و إنك لعلي خلق عظيم قال : دين عظيم ، وهو الإسلام عن أبي الدرداء قال : سئلت عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويسخط لسخطه . (تفسير الدر المنثور 14 / 623)

عن ابن عباس أن نافع بن الأزرق قال له : أخبرني عن قول الله : و الكاظمين الغيظ ما الكاظمون ؟ قال : الحابسون الغيظ . عن مقاتل بن حيان في قوله . و العافين عن الناس قال : يغيظون في الأمر فيغفرون ويعفون عن الناس ، و من فعل ذلك فهو محسن و الله يحب المحسنين بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عند ذلك : إن هؤلاء في أمي قليل إلا من عصمة الله ، و قد كانوا كثيرا في الأمم التي مضت . عن علي بن الحسين أن جارية جعلت تسكب عليه الماء يتهيا للصلاة فسقط الإبريق من يدها على وجهه فشجه ، فرفع رأسه إليها فقالت : إن الله يقول : و الكاظمين الغيظ قال : كظمت غيظي . قالت : و العافين عن الناس قال : قد عفا الله عنك . قالت : و الله يحب المحسنين قال : اذهبي فأنت حرة . (تفسير الدر المنثور 4 / 8 - 11)

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

عن أنس بن مالك في قول الله تبارك وتعالى (ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) (الفرقان 34) قال : الرجل يشتم أخاه فيقول إن كنت صادقا فغفر الله لي . وإن كنت كاذبا غفر الله لك . (مداراة الناس 1 / 52)

عن مجاهد : (وإذا مروا باللغو مروا كراما) (الفرقان 72) قال : إذا أوذوا صفحوا . (مداراة الناس 1 / 27)

قال عمر بن الخطاب : خالطوا الناس بالأخلاق وزايلوهم (فارقوهم) بالأعمال . (مداراة الناس لابن أبي الدنيا 1 / 23)

قال ربيعة بن ناجد: خطبنا علي بن أبي طالب أو قال خطب علي أصحابه فقال : كونوا في الناس كالنحلة في الطيب فإنه ليس شيء من الطير إلا يستضعفها ولو يعلم ما في أجوافها لم يفعل ، خالقوا الناس بأخلاقكم وألسنتكم وزايلوهم بأعمالكم وقلوبكم فإن لكل امرئ ما اكتسب وهو يوم القيامة مع من أحب . (مداراة الناس لأبي الدنيا 1 / 30)

قال أبو الدرداء : أدركت الناس ورقا لا شوك فيه فأصبحوا شوكا لا ورقفيه إن نقدتهم نقدوك وإن تركتهم لا يتركوك قالوا : فكيف نصنع ؟ قال : تقرضهم من عرضك ليوم ففرك . (مداراة الناس 1 / 15)

قال معاذ بن جبل: أن المسلمين إذا التقيا ، فضحك كل واحد منهما في وجه صاحبه ، ثم أخذ بيده ، تحانت ذنوبهما كتحات ورق الشجر . (التذكرة الحمدونية 2 / 228)

يقول قبيصة بن جابر: قد صحبت عمرو بن العاص فما رأيت رجلا أبين أو أنصح رأيا ولا أكرم جليسا منه ، ولا أشبه سريرة بعلانية منه . (سير أعلام النبلاء 3 / 57)

وكان عمرو رضي الله تعالى عنه يقول: لا أمل ثوبي ما وسعني ، ولا أمل زوجتي ما أحسنت عشرتي ، ولا أمل دابتي ما حملتني ، إن الملل من سيئ الأخلاق . (سير أعلام النبلاء 3 / 57)

قال محمد بن الحنفية : ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد بدا من معاشرته حتى يجعل الله له فرجا ومخرجا . (حلية الأولياء 3 / 175)

كان سالم بن عبد الله بن عمر حسن الخلق وكان بعض أصحابه يقول : كان إذا خلا حدثنا حديث

الفتيان . (سير أعلام النبلاء 4 / 466)

قال الحسن : يا ابن آدم أصحاب الناس بأي خلق شئت يصحبوك عليه . (السير 4 / 584)

قال الحسن : ابن آدم أصحاب الناس بمكارم أخلاقك فإن الثواء فهم قليل . (مكارم الأخلاق 28)

وكان لعمر بن عبد العزيز رحمه الله سمار يستشيرهم ، يعني يجلسون معه بعد العشاء يستشيرهم ، فكان العلامة فيما بينهم إذا أحب أن يقوموا يقول في نهاية المجلس : إذا شئتم . (السير 5 / 128)

قال بشر بن المفضل : جلست إلى محمد بن المنكدر فلما أراد أن يقوم قال : أتأذن . (حلية الأولياء 3 / 153)

عن ابن سيرين قال : كانوا يرون حسن الخلق عوناً على الدين . (حلية الأولياء 2 / 174)
قال أحمد بن إسحاق بن منصور : سمعت أبي يقول لأحمد بن حنبل : ما حسن الخلق ؟ قال هو أن تحتمل ما يكون من الناس . (شعب الإيمان للبيهقي 6 / 261)

وقيل لعبد الله بن المبارك أجمل لنا حسن الخلق في كلمة . فقال اترك الغضب . (الإحياء 3 / 166)
قال سفيان الثوري : سمعت علي بن الحسن يقول : قد استترقك بالود من سبقك إلى البشر . (شعب الإيمان للبيهقي 6 / 255)

عن سفيان الثوري قال : كان يقال : حسن الأدب يطفئ غضب الرب . (حلية الأولياء 7 / 79)

قال أحمد بن شيبان الرملي : اجتمع سفيان الثوري وسفيان بن عيينة وفضيل بن عياض وعبد الله بن المبارك فقال بعضهم لبعض : أليس معنى حديث النبي صلى الله عليه وسلم : (إن حسن الخلق ليبلغ درجة الصائم القائم) . فاتفقوا على ثلاث بسط الوجه وكف الأذى وبذل المعروف . (شعب الإيمان 6 / 257)

عن الفضيل بن عياض قال : كان يقال : من أخلاق الأنبياء ، والأصفياء الأخيار ، الطاهرة قلوبهم : خلائق ثلاثة : الحلم ، والأناة ، وحظ من قيام الليل . (حلية الأولياء 8 / 95)

قال الفضيل بن عياض : لا تخالط سيئ الخلق ؛ فإنه لا يدعو إلا إلى شر . (مساوي الأخلاق 24)

قال أيضا : لأن يصحبي فاجر حسن الخلق أحب إلي من أن يصحبي عابد سيئ الخلق . (إحياء علوم الدين 3 / 5)

قال الفضيل : من ساء خلقه ساء دينه وحسبه ومودته. (الأداب الشرعية 2 / 302)

قال الحسن البصري : معالي الأخلاق للمؤمن قوة في لين وحزم في دين وإيمان في يقين وحرص على العلم واقتصاد في النفقة ، وبذل في السعة وقناعة في الفاقة ، ورحمة للمجهود وإعطاء في كرم وبر في استقامة . (بهجة المجالس وأنس المجالس 1 / 131)

قال الحسن : من ساء خلقه عذب نفسه . (إحياء علوم الدين 3 / 57)

سئل الحسن عن حسن الخلق فقال : الكرم والبذلة والاحتمال . (الكرم والجدود للبرجلاني 1 / 55)

قال الجنيد : لأن يصحبني فاسق حسن الخلق أحب إلي من أن يصحبني قارئ سيئ الخلق . (إحياء علوم الدين 2 / 172)

وقال الجنيد : أربع ترفع العبد إلى أعلى الدرجات وإن قل عمله وعلمه ، الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق . (إحياء علوم الدين 3 / 53)

قال أبو حازم سلمه بن دينار رحمه الله : السيئ الخلق أشقى الناس به نفسه التي بين جنبيه ، هي منه في بلاء ، ثم زوجته ، ثم ولده ، حتى أنه ليدخل بيته ، وإنهم لفي سرور ، فيسمعون صوته ، فينفرون منه فرقا منه وحتى إن دابته تحيد مما يرميها بالحجارة وإن كلبه ليراه فينزو على الجدار حتى إن قطه ليفر . (سير أعلام النبلاء 6 / 99)

قال معاذ بن سعد الأعور : كنت جالسا عند عطاء بن أبي رباح فحدث بحديث ، فعرض رجل من القوم في حديثه فغضب وقال ما هذه الأخلاق وما هذه الطبايع ؟ إني لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم منه به فأريه أني لا أحسن شيئا منه . (حلية الأولياء 3 / 311)

قال أبي سليمان الداراني : لربما حدثني الرجل بالحديث ، وأنا أعلم به منه ، فأنصت له كأني ما سمعته ؛ ولربما مشيت إلى الرجل ، وهو أولى بالمشي مني إليه ؛ ولقد كنت أنظر إلى الأخ من إخواني ، فما يفارق كفي كفه أجد طعم ذلك في قلبي . (حلية الأولياء 9 / 269 - 270)

ويقول الربيع صاحب الشافعي وتلميذه : كتب إلى أبو يعقوب البويطي : أن اصبر نفسك للغرباء ، وحسن خلقك لأهل حلقك - يعني لطلابك - ، فإني لم أزل أسمع الشافعي يقول كثيرا ويتمثل : أهين لهم نفسي لكي يكرمونها ولن تكرم النفس التي لا تهينها . (سير أعلام النبلاء 12 / 61)

ويقول أبو النضر الفقيه : سمعت البوشنجي يقول : من أراد العلم والفقه بغير أدب فقد اقتحم أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم . (سير أعلام النبلاء 13 / 586)

كان الموفق ابن قدامة رحمه الله : لا يناظر أحدا إلا وهو يتبسم . (سير أعلام النبلاء 22 / 170)

عن محمد بن علي بن الحسين قال : من أعطى الخلق والرفق : فقد أعطى الخير كله ، والراحة ، وحسن حالة في دنياه وآخرته ؛ ومن حرم الرفق والخلق : كان ذلك له سبيلا إلى كل شر وبلية ؛ إلا من عصمة الله تعالى . (حلية الأولياء 3 / 186 - 187)

عن ذي النون قال : ثلاثة من حسن الخلق : قلة الخلاف على المعاشرين ، وتحسين ما يرد عليه من أخلاقهم ، وإلزام النفس اللائمة فيما يختلفون فيه ، كفا عن معرفة عيوبهم . (الحلية 9 / 362)

قال طاوس بن كيسان : إن هذه الأخلاق منائح يمنحها الله عز وجل من يشاء من عباده فمن أراد الله بعبده خيرا منحة منها خلقا صالحا . (مكارم الأخلاق 1 / 26)

عن ابن حميد قال : عطس رجل عند ابن المبارك ، فلم يحمد الله ؛ فقال ابن المبارك : إيش يقول العاطس إذا عطس ؟ قال يقول الحمد لله فقال يرحمك الله . (حلية الأولياء 8 / 170)

كان عبد الله بن أبي زكريا سيد أهل المسجد ، فقيل : بما سادهم ؟ فقال ابن مسهر الذي يروي هذا الخبر قال : بحسن الخلق . (تاريخ دمشق لابن عساكر 40 / 394)

وقال أبو جعفر المنصور : إن أحببت أن يكثر الثناء الجميل عليك من الناس بغير نائل ، فالحقهم ببشر حسن . (عين الأدب والسياسة لعلي بن هذيل 154)

قال الربيع بن خيثم : الناس رجلان مؤمن وجاهل فأما المؤمن فلا تؤذّه وأما الجاهل فلا تجاهله . (مداراة الناس 1 / 24)

قال يحيى بن معاذ : سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات ، وحسن الخلق حسنة لا تضر معها كثرة . (إحياء علوم الدين 3 / 57)

قال هشام بن عروة عن أبيه : مكتوب في الحكمة ليكن وجهك بسطا وكلمتك طيبة ، تكن أحب إلى الناس من الذي يعطيهم العطاء . (شعب الإيمان للبيهقي 6 / 254)

عن عبد الرحمن بن مهدي قال : ليتق الرجل دناءة الأخلاق ، كما يتقي الحرام . (الحلية 6 / 240)

قال مكحول : المؤمنون هينون لينون مثل الجمل الأنف إن قدته انقاد وإن انخته على صخرة استناخ . (حلية الأولياء 5 / 180)

قال عون بن عبد الله : المؤمن موالف ، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف . (حلية الأولياء 4 / 254)

قال عكرمة: لكل شيء أساس ، وأساس الإسلام : الخلق الحسن . (حلية الأولياء 3 / 340)

قال أيوب : لا ينبل الرجل حتى يكون فيه خصلتان : العفة عما في أيدي الناس ، والتجاوز عنهم .
(روضة العقلاء 167)

قال الغزالي : إن حسن الخلق هو الإيمان ، وسوء الخلق هو النفاق . (إحياء علوم الدين 3 / 74)

قال الأحنف بن قيس : ألا أخبركم بأدواء الداء ؟ قالوا : بلى ، قال : الخلق الدني ، واللسان البذي .
(أدب الدنيا والدين 1 / 299)

قال أبي حازم المدني : السيئ الخلق أشقى الناس به نفسه التي بين جنبيه . (السير 6 / 99)

قال ابن وهب : ما نقلنا من أدب مالك أكثر مما تعلمنا من معلمه . (سير أعلام النبلاء 7 / 187)

وقال مقاتل : حسن الخلق بالتجاوز ، والصفح . (فتح القدير للشوكاني 4 / 574)

سئل الشعبي عن حسن الخلق قال : البذلة والعطية والبشر الحسن . (مداراة الناس حديث 89)

قال ابن منصور : سألت أبا عبد الله عن حسن الخلق قال : ألا تغضب ولا تحتد .
(الآداب الشرعية 2 / 310)

قال أبو حاتم رحمه الله : الواجب على العاقل أن يتحجب إلى الناس بلزوم حسن الخلق ، وترك سوء الخلق ، لأن الخلق الحسن يذيب الخطايا كما تذيب الشمس الحديد ، وإن الخلق السيئ يفسد العمل كما يفسد الخل العسل ، وقد تكون في الرجل أخلاق كثيرة صالحة كلها ، وخلق سيئ ، فيفسد الخلق السيئ الأخلاق الصالحة كله . (روضة العقلاء ونزهة الفضلاء 64)

قال الحافظ بن رجب : حسن الخلق كظم الغيظ لله وإظهار الطلاقة والبشر إلا للمبتدع والفاجر والعمى عن الزالين إلا تأديبا أو إقامة حد وكف الأذى عن كل مسلم أو معاهد إلا تغييرا منكرا أو أخذًا بمظلمة لمظلوم من غير تعد . (غذاء الألباب 1 / 369)

ويقول السفاريني : حسن الخلق القيام بحقوق المسلمين ، وهي كثيرة منها أن يحب لهم ما يحب لنفسه ، وأن يتواضع لهم ولا يفخر عليهم ولا يختال ، فإن الله لا يحب كل مختال فخور ، ولا يتكبر ولا يعجب فإن ذلك من عظام الأمور وأن يوقر الشيخ الكبير ، ويرحم الطفل الصغير ، ويعرف لكل ذي حق حقه مع طلاقة الوجه وحسن التلقي ودوام البشرولين الجانب وحسن المصاحبة وسهولة الكلمة ، مع إصلاح ذات بين إخوانه وتفقد أقرانه وإخوانه ، وأن لا يسمع كلام الناس بعضهم في

بعض وأن يبذل معروفة لهم لوجه الله لا لأجل غرض مع ستر عوراتهم وإقالة عثراتهم وإجابة دعواتهم وأن يحلم عن من جهل عليه ويعفوا عن من ظلم . (غذاء الألباب للسفاري 1 / 370)

قال الحافظ ابن حجر: حسن الخلق اختيار الفضائل وترك الزدائل . (فتح الباري 6 / 575)

قال الماوردي رحمه الله : في تعريف حسن الخلق ، ووصف حسن الخلق : أن يكون سهل العريكة ، لين الجانب ، طليق الوجه ، قليل النفور ، طيب الكلمة . (أدب الدنيا والدين 243)

قال ابن تيمية : وجماع الخلق الحسن مع الناس أن تصل من قطعك بالسلام والإكرام ، والدعاء له ، والاستغفار ، والثناء عليه ، والزيارة له . وتعطي من حرملك من التعليم ، والمنفعة ، والمال . وتعفو عن ظلمك في دم ، أو مال ، أو عرض . وبعض هذا واجب ، وبعضه مستحب . (مجموع الفتاوى 10 / 658)

قال ابن القيم : حسن الخلق طلاقة الوجه والبشر المحمود وسط بين التعبيس والتقطيب ، وتصعير الخد ، وطى البشر عن البشر ، وبين الاسترسال مع كل أحد بحيث يذهب الهيبة ، ويزيل الوقار ، ويطمع في الجانب ، كما أن الانحراف الأول يوقع الوحشة ، والبغضة ، والنفرة في قلوب الخلق ، وصاحب الخلق الوسط : مهيب محبوب ، عزيز جانبه ، حبيب لقاؤه . وفي صفة نبينا : من رآه بدمية هابه ، ومن خالطه عشرة أحبه . (مدارج السالكين 2 / 311)

قال ابن القيم : وحسن الخلق يقوم على أربعة أركان ، لا يتصور قيام ساقه إلا عليها : الصبر ، والعفة ، والشجاعة ، والعدل . (مدارج السالكين 294 / 2)

قَالَ سَابِقُ الْبَرْبَرِيِّ : (صَيِّدُ الْأَفْكَارِ لِلْقَاضِي الْمُهَنْدِيِّ 2 / 304)

إِنَّ الْتَقَى خَيْرُ زَادَ أَنْتَ حَامِلُهُ *** وَالْبِرُّ أَفْضَلُ شَيْءٍ نَالَهُ بَشَرٌ

وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ : (دِيْوَانُ أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ 393)

وَإِنَّ أَمْرًا لَمْ يَرْتَجِ النَّاسُ نَفْعَهُ *** وَلَمْ يَأْمَنُوا مِنْهُ الْأَذَى لِلنَّيِّمِ

وَإِنَّ أَمْرًا لَمْ يَجْعَلِ الْبُرْكَاتُ لَهُ *** وَلَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا لَهُ لِعَدِيمِ

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

روى أن عبد الملك بن مروان دخل على معاوية وعنده عمرو بن العاص ، فسلم وجلس ، ثم لم يلبث أن نهض فقال معاوية : ما أكمل مروءة هذا الفتى . فقال عمرو : يا أمير المؤمنين ، إنه أخذ بأخلاق

أربعة وترك أخلاقا ثلاثة . إنه أخذ بأحسن البشر إذا لقي وبأحسن الحديث إذا حدث ، وبأحسن الاستماع إذا حدث ، وبأيسر المؤونة إذا خولف ، وترك مزاح من لا يوثق بعقله ولا دينه ، وترك مجالسة لنام الناس ، وترك من الكلام كل ما يعتذر منه . (مداراة الناس لابن أبي الدنيا 1 / 49)

كان شريح إذا مات لأهله سنور (حيوان أليف) أمر بها فألقيت في جوف داره ولم يكن لها مثغب شارع إلا في جوف داره اتقاء لأذى المسلم . (حلية الأولياء 4 / 135)

كان يجتمع في مجلس الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله زهاء خمسة آلاف أو يزيدون ، ونحو خمسمائة يكتبون - يعني يكتبون الحديث - والباقيون يتعلمون منه حسن الأدب والسمت . (سير أعلام النبلاء 11 / 316)

ويقول أبو بكر بن المطوعي : اختلفت - يعني ترددت - إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل ثنتي عشرة سنة ، وهو يقرأ المسند على أولاده ، فما كتبت عنه حديثا واحدا ، إنما كنت أنظر إلى هدية وأخلاقه . (سير أعلام النبلاء 11 / 316) .

صحب ابن المبارك رجلا سيء الخلق في سفر فكان يحتمل منه ، ويداريه ، فلما فارقه بكى فقيل له في ذلك فقال : بكيته رحمة له ، فارقته وخلقه معه لم يفارقه . (إحياء علوم الدين 3 / 57)

74- باب الحلم والأناة والرفق

قَالَ اللهُ تَعَالَى : وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ [آل عمران : 134] ، وقال تَعَالَى : خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ [الأعراف : 199] ، وقال تَعَالَى : وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ [فصلت : 34-35] ، وقال تَعَالَى : وَلَنْ صَبَرَ وَعَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ [الشورى : 43] .

632- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ : « إِنَّ فِيكَ خَصَلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ : الْحِلْمُ وَالْأَنَاءَةُ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

633- وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ » متفق عليه .

634- وعنها أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

635- وعنها أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ » رواه مسلم .

636- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بَالَ أَعْرَابِيٌّ فِي الْمَسْجِدِ ، فَقَامَ النَّاسُ إِلَيْهِ لِيَقْعُوا فِيهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : دَعُوهُ وَأَرْبِقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ ، أَوْ ذَنْوِبًا مِنْ مَاءٍ ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُبَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ » رواه البخاري .

« السَّجْلُ » بفتح السين المهملة وإسكان الجيم : وَهِيَ الدَّلْوُ الْمُمْتَلِئَةُ مَاءً ، كَذَلِكَ الذَّنُوبُ .

637- وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « يَسْرُوا وَلَا تَعْسِرُوا . وَبَشَرُوا وَلَا تَنْفَرُوا » متفقٌ عليه .

638- وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَنْ يُحْرِمِ الرَّفْقَ يُحْرِمِ الْخَيْرَ كُلَّهُ » رواه مسلم .

639- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَوْصِنِي قَالَ : « لَا تَغْضَبَ » فَرَدَّدَ مِرَارًا ، قَالَ : « لَا تَغْضَبَ » رواه البخاري .

640- وعن أبي يعلى شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنه ، عن رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَةَ وَلْيُجِدْ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ » رواه مسلم .

641- وعن عائشة رضي الله عنها قالت : مَا خَيْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ قَطُّ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا ، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا ، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ . وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ قَطُّ ، إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ تَعَالَى . متفقٌ عليه .

642- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَلَا أَخْبَرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ؟ تَحْرُمُ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ هَيِّنٍ لَيْتِنِ سَهْلٍ . » رواه الترمذي وقال : حديثٌ حسنٌ .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

عن ابن عباس في قوله : وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادفع بالتي هي أحسن . قال : أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب ، والحلم عند الجهل ، والعفو عند الإساءة ، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم . عن مجاهد في قوله : ادفع بالتي هي

أحسن قال : السلام أن تسلم عليه إذا لقيته عن عكرمة قال : الحميم ذو القرابة ، والولي الصديق . عن قتادة في قوله : إلا ذو حظ عظيم قال : الجنة . عن أنس في قوله : وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم قال : الرجل يشتمه أخوه فيقول : إن كنت صادقاً يغفر الله لي وإن كنت كاذباً يغفر الله لك . (تفسير الدر المنثور 13 / 114 - 115)

أَثَارُ الْوَارِدَةِ فِي عَنَوَانِ الْبَابِ :

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك وأن لا تباهي الناس بعبادة الله وإذا أحسنت حمدت الله تعالى ، وإذا أسأت استغفرت الله تعالى . (حلية الأولياء 1 / 75)

وقال أيضاً : تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم . (الزهد لأحمد 99)

قال محمد بن علي رضوان الله عليهما : من حلم وقى عرضه ومن جادت كفه حسن ثناؤه ومن أصلح ماله استغنى ومن احتمل المكروه كثرة محاسنه ومن صبر حمد أمره ومنكظم غيظه فشا إحسانه ومن عفا عن الذنوب كثرت أياديته ومن أتقى الله كفاهما أهمه . (العقد الفريد 1 / 181)

وسئل عرابة بن أوس : بم سدت قومك يا عرابة ؟ قال : كنت أحلم عن جاهلهم وأعطي سائلهم وأسعى في حوائجهم ، فمن فعل فعلي فهو مثلي ، ومن جاوزني فهو أفضل ، ومن قصر عني فأنا خير منه . (الحلم لابن أبي الدنيا 40)

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : نحن معشر قريش نعد الحلم والجود السؤدد ونعد العفاف وإصلاح المال المروءة . (الآداب الشرعية 2 / 215)

وعن عروة بن الزبير قال : كان يقال : الرفق رأس الحكمة . (الزهد لأحمد 44)

عن أبي الدرداء قال : لا تكلفوا الناس ما لم يكلفوا ، ولا تحاسبوا الناس دون ربهم ؛ ابن آدم ، عليك نفسك ، فإنه من تتبع ما يرى في الناس : يطل حزنه ، ولا يشف غيظه . (حلية الأولياء 1 / 211)

وعنه قال : من فقه الرجل : رفقه في معيشته . (حلية الأولياء 1 / 211)

قال عثمان : بلغنا : أن رجلاً رأى أبا ذر رضي الله تعالى عنه ، وهو يتبواً مكاناً ؛ فقال له : ما تريد يا أبا ذر ؟ فقال : أطلب موضعاً أنام فيه ، نفسي هذه مطيتي ، إن لم أرفق بها ، لم تبلغني . (حلية الأولياء 1 / 165)

قال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما: لا يبلغ العبد مبلغ الرأي حتى يغلب حلمه جهله وصبره شهوته ولا يبلغ ذلك إلا بقوة العلم . (الحلم لابن أبي الدنيا 25 - 26)

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى : خمس إذا أخطأ القاضي منهن خطة كانت فيه وصمة : أن يكون فهما ، حليما ، عفيفا ، صليبا عالما سئولا عن العلم . (صحيح البخاري 6 / 2619)

عن أبي عثمان الثقفي قال : كان لعمر بن عبد العزيز غلام يعمل على بغل له ، يأتيه بدرهم كل يوم ؛ فجاءه يوما بدرهم ونصف ، فقال : ما بدا لك ؟ فقال : نفقت السوق ؛ قال : لا ، ولكنك أتعبت البغل ، أرحه ثلاثة أيام . (حلية الأولياء 5 / 260)

وقال رجل لعمر بن عبد العزيز أشهد أنك من الفاسقين فقال ليس تقبل شهادتك . (إحياء علوم الدين 3 / 178)

كان عمر بن عبد العزيز : إذا أراد أن يعاقب رجلا حبسه ثلاثا ، ثم عاقبه كراهية أن يعجل فيؤول غضبه . (سير أعلام النبلاء 5 / 133)

عن وهب بن منبه أنه قال لرجل من جلسائه : ألا أعلمك طبيا لا يتعايا فيه الأطباء ، وفقها لا يتعايا فيه الفقهاء ، وحلما لا يتعايا فيه العلماء ؟ قال : بلى يا أبا عبد الله ؛ قال : أما الطب الذي لا يتعايا فيه الأطباء : فلا تأكل طعاما ، إلا ما سميت الله على أوله ، وحمدته على آخره ؛ وأما الفقه الذي لا يتعايا فيه الفقهاء : فإن سألت عن شيء عندك فيه علم ، فأخبر بعلمك ، وإلا فقل : لا أدري ؛ وأما الحلم الذي لا يتعايا فيه العلماء : فأكثر الصمت ، إلا أن تسأل عن شيء . (حلية الأولياء 4 / 359)

وقال وهب بن منبه : العلم خليل المؤمن ، والحلم وزيره ، والعقل دليله ، والعمل قيمته ، والصبر أمير جنوده ، والرفق أبوه ، واللين إخوة . (الترغيب في فضائل الأعمال للحافظ بن شاهين 251)

قال وهب بن منبه : الرفق ثني الحلم . (إحياء علوم الدين 3 / 186)

قال الحسن البصري في تفسير قوله تعالى : (وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) (الفرقان 63)
علماء إن جهل عليهم لم يجهلوا . (تفسير القرطبي 13 / 69)

قال أيضا : اطلبوا العلم وزينة بالوقار والحلم . (إحياء علوم الدين 3 / 178)

قال الحسن : المؤمن حليم لا يجهل وإن جهل عليه حليم لا يظلم وإن ظلم غفرا لا يقطع وأن قطع وصل لا يبخل وإن بخل عليه صبر . (الحلم لابن أبي الدنيا 54 - 55)

قال أبو عمرو بن العلاء : كان أهل الجاهلية لا يسودون إلا من كانت فيه ست خصال وتمامها في الإسلام سابعة : السخاء والنجدة والصبر والحلم والبيان والحسب وفي الإسلام زيادة العفاف .
(الآداب الشرعية 2 / 216)

قال سفيان لأصحابه : تدررون ما الرفق ؟ قالوا : قل يا أبا محمد قال : أن تضع الأمور في مواضعها الشدة في موضعها واللين في موضعه والسيوف في موضعه والسوط في موضعه . (الإحياء 3 / 186)

قال حبيب بن حجر القيسي : كان يقال : ما أحسن الإيمان يزينه العلم ، وما أحسن العلم يزينه العمل وما أحسن العمل يزينه الرفق . (عيون الأخبار لابن قتيبة 1 / 396)

عن أحمد بن محمد بن غزوان الهراي ، قال : قال لي بشر بن الحارث سنة خمس وعشرين ومائتين : عليكم بالرفق ، والاقتصاد في النفقة ؛ فلأن تبيتوا جياعا ولكم مال ، أحب إلي من أن تبيتوا شباعا وليس لكم مال . (حلية الأولياء 8 / 340)

وسأل أيضا عمرو بن الأهمم : أي الرجال أشجع ؟ قال من رد جهله بحلمه ، قال فأبي الرجال أسخى ؟ قال من بذل دنياه لصالح دينه . (إحياء علوم الدين 3 / 178)

قال يحيى بن أبي كثير : لا يعجبك حلم امرئ حتى يغضب ولا أمانته حتى يطمع فإنك لا تدري على أي شقيه يقع . (حلية الأولياء 3 / 69)

عن أبي سوار العدوي : أنه أقبل عليه رجل بالأذى ، فسكت حتى إذا بلغ منزله ، أو دخل قال : حسبك إن شئت . (حلية الأولياء 2 / 250)

قال معاوية بن قره : مكتوب في الحكمة : لا تجالس بحلمك السفهاء ، ولا تجالس بسفهك الحكماء . (الحلم لابن أبي الدنيا 53)

قال عطاء بن أبي رباح : ما أوى شيء إلى شيء أزين من حلم إلى علم . (سنن الدارمي 470 / 1)

قال أكثم بن صيفي : دعامة العقل الحلم ، وجماع الأمر الصبر . (الحلم لابن أبي الدنيا 27)

وعن قيس بن أبي حازم قال كان يقال : الرفق يمن ، والخرق شؤم . (الزهد لهناد السري 2 / 654)

كان عبد الله بن عون لا يغضب ، فإذا أغضبه رجل ، قال : بارك الله فيك . (السير 6 / 366)

وقال الشعبي : زين العلم حلم أهله . (الآداب الشرعية لابن مفلح 2 / 41)

عن رجاء بن حيوة قال : الحلم أرفع من العقل ، لأن الله تسمى به . (حلية الأولياء 5 / 172)

قال أبو رزین في قوله : (كونوا ربانيين) (آل عمران 79) حلماء علماء . (الحلم لابن أبي الدنيا 23)

وعن رجاء بن أبي سلمه قال : الحلم خصلة من خصال العقل . (الحلم 21)

قال الأحنف بن قيس رحمه الله تعالى : لست بحليم ولكنني أتحلم . (السير 4 / 92)

قال ابن حجر : لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب .

(فتح الباري 1 / 94)

قال أبو حاتم : الواجب على العاقل لزوم الرفق في الأمور كلها ، وترك العجلة والخفة فيها ، إذ الله

تعالى يحب الرفق في الأمور كلها ، ومن منع الرفق منع الخير ، كما أن من أعطى الرفق أعطى الخير ،

ولا يكاد المرء يتمكن من بغيته في سلوك قصده في شيء من الأشياء على حسب الذي يحب ، إلا

بمقارنة الرفق ومفارقة العجلة . (روضة العقلاء لابن حبان السبتي 215)

قال ابن القيم : من رفق بعباد الله رفق الله به ، ومن رحمهم رحمه ، ومن أحسن إليهم أحسن إليه ،

ومن جاد عليهم جاد الله عليه ، ومن نفعهم نفعه ، ومن سترهم ستره ، ومن منعهم خيره منعه خيرة

، ومن عامل خلقه بصفة عامله الله بتلك الصفة بعينها في الدنيا والآخرة ، فالله تعالى لعبده حسب

ما يكون العبد لخلقه . (الوابل الصيب 35)

قَالَ الْقَاضِي التَّنُوخِي : (أَدَبُ الدُّنْيَا وَالِدَيْنِ لِلْمَأْوَدِيِّ 182)

أَلْقَ الْعَدُوُّ بَوَجْهَهُ لَا قَطُوبَ بِهِ *** يَكَادُ يَقْطُرُ مِنْ مَاءِ الْبَشَاشَاتِ

فَأَحْزَمَ النَّاسَ مِنْ يَلْقَى أَعَادِيَهُ *** فِي جِسْمٍ حَقْدٍ وَثُوبٍ مِنْ مُودَاتِ

الرِّفْقُ يَمُنُّ وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ *** وَكَثْرَةُ الْمَرْخِ مِفْتَاحُ الْعَدَاوَاتِ

قَالَ الْقُطَامِيُّ عَمْرُو بْنُ شَيْمٍ : (تَارِيخُ الْإِسْلَامِ لِلدَّهَبِيِّ 137 / 7)

قَدْ يُدْرِكُ الْمُتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ *** وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجَلِ الزَّلَلِ

وَرَبَّمَا فَاتَ قَوْمًا بَعْضَ أَمْرِهِمْ *** مِنْ التَّأَنِّي وَكَانَ الْحَزْمُ لَوْ عَجَلُوا

الآثار العملية في حياة السلف :

بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن جماعة من رعيته اشتكوا من عماله ، فأمرهم أن يوافوه ، فلما أتوه قام فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، أيها الرعية أن لنا عليكم حقا ، النصيحة بالغيب ، والمعاونة على الخير ، أيها الرعاة إن للرعية عليكم حقا فاعلموا أنه لا شيء أحب إلى الله ولا أعز من حلم إمام ورفقه ، ليس جهل أبغض إلى الله ، ولا أغم من جهل إمام وخرقه ، واعلموا أنه من يأخذ بالعافية فيمن بين ظهيرة يرزق العافية ممن هو دونه .
(تاريخ الطبري 4 / 224)

عن أبي قلابة : أن رجلا دخل على سلمان وهو يعجن ؛ فقال : ما هذا ؟ فقال : بعثنا الخادم في عمل أو قال : في صنعه فكرهنا أن نجمع عليه عملين أو قال : صنعتين ثم قال : فلان يقرئك السلام ؛ قال : متى قدمت ؟ قال : منذ كذا وكذا ؛ قال : فقال : أما إنك لو لم تؤدها ، كانت أمانة لم تؤدها .
(حلية الأولياء 1 / 201)

قال عبد الله بن عباس لرجل سبه : يا عكرمة هل للرجل حاجة فنقضها ؟ فنكس الرجل رأسه واستحى مما رأى من حلمه عليه . (إحياء علوم الدين 1 / 229)

شتم رجل أبا ذر رضي الله عنه فقال : يا هذا لا تغرق في شتمنا ودع للصالح موضعا ، فأنا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه . (حلية الأولياء 5 / 113)

قال رجل لعمر بن العاص رضي الله عنه : والله لا تفرغن لك قال : هنالك وقعت في الشغل ، قال : كأنك تهددني والله لأن قلت لي كلمة لا قولن لك عشرا ، فقال عمرو : وأنت والله لأن قلت لي عشرا لم أقل لك واحدة . (العقد الفريد 2 / 275)

عن أبي المتوكل : أن أبا هريرة كانت له زنجية قد غمهم بعملها فرفع عليها السوط يوما فقال : لولا القصاص لأغشيك به ولكني سأبيعك ممن يوفيني ثمنك اذهبي ، فأنت لله . (حلية الأولياء 1 / 384)

عن معاوية بن أبي سفيان : إنه خطب الناس وقد حبس العطاء شهرين أو ثلاثة فقال له أبو مسلم : يا معاوية إن هذا المال ليس بمالك ولا مال أبيك ولا مال أمك فأشار معاوية إلى الناس أن امكثوا ونزل فاغتسل ثم رجع فقال : أيها الناس إن أبا مسلم ذكر أن هذا المال ليس بمالي ولا بمال أبي ولا أمي وصدق أبو مسلم إنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الغضب من الشيطان ، والشيطان من النار والماء يطفىء النار فإذا غضب أحدكم فليغتسل أغدوا على عطاياكم على بركة الله عز وجل . (حلية الأولياء 5 / 179)

كان الرجل يقول لمعاوية رضي الله عنه : والله لتستقيم بنا يا معاوية ، أولنقومنك ، فيقول : بماذا ؟ فيقولون بالخشب ، فيقول إذا أستقيم . (تاريخ دمشق 59 / 184)

وأسمع رجل عمر بن عبد العزيز بعض ما يكره ، فقال : لا عليك ، إنما أردت أن يستفزني الشيطان بعزة السلطان ، فأنال منك اليوم ما تناله مني غدا ، انصرف إذا شئت . (العقد الفريد 2 / 279)

قال إبراهيم بن سعيد الجوهري : وقف رجل بين يدي المأمون قد جنى جناية ، فقال له والله لأقتلنك فقال الرجل يا أمير المؤمنين تنن على فإن الرفق نصف العفو قال : فكيف وقد حلفت لأقتلنك ؟ قال : يا أمير المؤمنين لأن تلقى الله حائثا خير لك من أن تلقاه قاتلا فحلى سبيله . (تاريخ الخلفاء 251)

عن أزهري قال : جاء غلام لعبد الله بن عون ؛ قال : فقأت عين الناقة ؛ قال : بارك الله فيك ؛ قال : قلت : فقأت عينها ، فتقول بارك الله فيك ؛ قال : أقول : أنت حر لوجه . (حلية الأولياء 3 / 39)

يقول نوح بن حبيب : كنت عند ابن المبارك فألحوا عليه ، فقال : هاتوا كتبكم حتى أقرأ ، فجعلوا يرمون إليه الكتب من قريب ومن بعيد ، وكان رجل من أهل الري يسمع كتاب الاستئذان ، فرمى بكتابه فأصاب صلعة ابن المبارك حرف كتابه ، فانشق وسال الدم ، فجعل ابن المبارك يعالج الدم حتى سكن ، ثم قال : سبحان الله ! كاد أن يكون قتال ، ثم بدأ بكتاب الرجل فقرأه . (شعب الإيمان 8320)

ودخل نصر بن علي على المتوكل الخليفة العباسي ، فإذا هو يمدح الرفق فأكثر ، فقال له : يا أمير المؤمنين أنشدني الأصمعي : لم أرمثل الرفق في لينة أخرج العذارى من خدرها من يستعن بالرفق في أمره يستخرج الحية من جحرها فقال : يا غلام ، الدواة والقرطاس يعني : أعجبتك هذه الفائدة . (سير أعلام النبلاء 12 / 134)

75 - باب العفو والإعراض عن الجاهلين

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ [الأعراف : 199] ، وَقَالَ تَعَالَى : فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ [الحجر : 85] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ [النور : 22] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ [آل عمران : 134] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَلَنْ صَبَرَ وَعَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ [الشورى : 43] والآيات في الباب كثيرة معلومة .

643- وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ من يومٍ أُحُدٍ ؟ قال : « لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ ، وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلِ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ ، فَأَنْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي ، فَلَمْ أَسْتَفِيقْ إِلَّا وَأَنَا بَقَرِنِ النَّعَالِبِ ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي ، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي ، فَتَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَنَادَانِي فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ ، وَمَا زِدُوا عَلَيْكَ ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبِّي إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ ، فَمَا شِئْتَ : إِنْ شِئْتَ : أَطَبَّقْتُ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ » فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يُعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا » متفقٌ عليه

« الْأَخْشَبَانِ » : الْجِبَلَانِ الْمُحِيطَانِ بِمَكَّةَ .. وَالْأَخْشَبُ : هُوَ الْجَبَلُ الْغَلِيظُ .

644- وعنها قالت : ما ضربَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ ، وَلَا امْرَأَةً وَلَا خَادِمًا ، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ تَعَالَى : فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ تَعَالَى . رواه مسلم .

645- وعن أنس رضي الله عنه قال : كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظٌ حَاشِيَةٌ ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ ، فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبَذَةً شَدِيدَةً ، فَتَنَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ أَثَرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَبَذَتِهِ ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ مُرْئِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ . فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَهُ بِعَطَاءٍ . متفقٌ عليه .

646- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ ، ضَرْبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمُوهُ ، وَهُوَ يَمَسُّحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ ، وَيَقُولُ : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ » متفقٌ عليه .

647- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ » متفقٌ عليه .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

عن علي بن أبي طالب في قوله : فاصفح الصفح الجميل . قال : الرضا بغير عتاب . مجاهد في قوله : فاصفح الصفح الجميل قال : هذا قبل القتال . (تفسير الدر المنثور 8/645)

عن الضحاك في قوله : فاصفح الصفح الجميل . فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون . وأعرض عن المشركين . قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله . وهذا النحو كله في القرآن أمر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم أن يكون ذلك منه ، حتى أمره بالقتال ، فنسخ ذلك كله . فقال . وخذوهم واحصروهم و اقعدوا لهم كل مرصد . (تفسير الطبري 17 / 128)

عن أبي ماجد الحنفي قال : رأيت عبد الله أتاه رجل برجل نشوان ، فأقام عليه الحد ، ثم قال للرجل الذي جاء به : ما أنت منه ؟ قال : عمه ، قال : ما أحسنت الأدب ولا سترت : وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم الآية ثم قال عبد الله : إني لأذكر أول رجل قطعته النبي صلى الله عليه وسلم ؛ أتى برجل فلما أمر به ليقطع يده كأنما سف وجهه رمادا ، فقيل : يا رسول الله ، كان هذا شق عليك . قال : لا ينبغي أن تكونوا للشيطان عوناً على أخيكم ، فإنه لا ينبغي للحاكم إذا انتهى إليه حد إلا أن يقيمه وإن الله عفوي يحب العفو . ثم قرأ : وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم . (تفسير الدر المنثور 10 / 707)

(ولا يأتل) أي : ولا يحلف . (أولو الفضل منكم والسعة) يعني أبا بكر الصديق (أن يأتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله) يعني : مسطحا وكان مسكينا مهاجرا بدريا ابن خالة أبي بكر ، حلف أبو بكر أن لا ينفق عليه ، (وليعفوا وليصفحوا) عنهم خوضهم في أمر عائشة . (ألا تحبون) يخاطب أبا بكر . (أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) فلما قرأها النبي صلى الله عليه وسلم على أبي بكر قال : بلى أنا أحب أن يغفر الله لي ، ورجع إلى مسطح نفقته التي كان ينفق عليه وقال : والله لا أنزعها منه أبدا . وقال ابن عباس والضحاك : أقسم ناس من الصحابة فيهم أبو بكر أن لا يتصدقوا على رجل تكلم بشيء من الإفك ولا ينفعوهم ، فأنزل الله هذه الآية . (البغوي 6 / 27)

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قال علي رضي الله عنه إن أول ما عوض الحليم من حلمه أن الناس كلهم أعوانه على الجاهل . (إحياء علوم الدين 4 / 310)

قال علي بن أبي طالب : إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه . (المستطرف في كل فن مستظرف للابشيبي 1 / 406)

قال ابن عيينة : سئل علي رضي الله عنه عن قول الله تعالى : (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) (النحل 90) فقال : العدل : الإنصاف والإحسان : التفضل . (حلية الأولياء 7 / 291)

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : خمسا لهن أحسن من الدهم الموقفة (العدد الكثير من الإبل

أو الخيل) : لا تكلم فيما لا يعينك ، فإنه فضل ، ولا أمن عليك الوزر ، ولا تتكلم فيما يعينك حتى تجد له موضعا ، فإنه رب متكلم في أمر يعنيه ، قد وضعه في غير موضعه فعنت ، ولا تمارحليما ولا سفها فإن الحليم يقلبك ، وإن السفية يؤذيك ، واذكر أخاك إذا تغيب عنك مما تحب أن يذكرك به واعفه عما تحب أن يعفبك منه ، واعمل عمل رجل يرى أنه مجازي بالإحسان ، مأخوذ بالإجرام . (الصمت وأدب اللسان حديث رقم 113)

عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه : أنه قام يوم مات المغيرة بن شعبه رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه وقال : عليكم باتقاء الله وحده لا شريك له ، والوقار والسكينة ، حتى يأتيكم أمير ، وإنما يأتيكم الآن ، ثم قال : استعففوا لأميركم ، فإنه كان يحب العفو . ثم قال : أما بعد ، فإني أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ، قلت : أبايعك على الإسلام ، فشرط علي (والنصح لكل مسلم) . فبايعته على هذا ، ورب هذا المسجد إني لناصح لكم ، ثم استغفروا نزل . (البخاري ص 58 - رقم 2704)

أبو ذر الغفاري رضي الله عنه قال أبو ذر لغلامه : لم أرسلت الشاه على علف الفرس أي تأكل من طعام الفرس ؟ قال : أردت أن أغيظك قال أبو ذر : لأجمعن مع الغيظ أجرا ، أنت حر لوجه الله تعالى . (المستطرف للابشيبي 201)

قال معاوية رضي الله عنه : عليكم بالحلم والاحتمال حتى تمكنتكم الفرصة فإذا أمكنتكم فعليكم بالصفح والأفضال . (إحياء علوم الدين 3 / 184)

وقيل لأبي الدرداء رضي الله عنه : من أعز الناس ؟ فقال : الذين يعفون إذا قدروا فاعفوا يعزكم الله تعالى . (نهاية الأرب للنويري 6 / 58)

عن علي بن الحسين قال إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم أهل الفضل فيقوم ناس من الناس فيقال انطلقوا إلى الجنة فتلقاهم الملائكة فيقولون إلى أين فيقولون إلى الجنة قالوا قبل الحساب قالوا نعم قالوا من أنتم قالوا أهل الفضل قالوا وما كان فضلكم قالوا كنا إذا جهل علينا حلمنا وإذا ظلمنا صبرنا وإذا أسى علينا غفرنا قالوا ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين ثم يناد مناد ليقم أهل الصبر فيقوم ناس من الناس فيقال لهم انطلقوا إلى الجنة فتلقاهم الملائكة فيقال له مثل ذلك فيقولون نحن أهل الصبر قالوا ما كان صبركم قالوا صبرنا أنفسنا على طاعة الله وصبرناها عن معصية الله عز وجل قالوا ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين ثم ينادى مناد ليقم جيران الله في داره فيقوم ناس من الناس وهم قليل فيقال لهم انطلقوا إلى الجنة فتلقاهم الملائكة فيقال لهم مثل ذلك قالوا وبما جاورتهم الله في داره قالوا كنا نتزاور في الله عز وجل ونتجالس في الله وتبادل في الله قالوا ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين . (حلية الأولياء 3 / 139 رقم 3669)

عن الحسن قال : أفضل أخلاق المؤمن العفو . (الأداب الشرعية لابن مفلح / 1 / 71)

وقرأ الحسن البصري : هذه الآية (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) (النحل 90) ثم وقف فقال : إن الله جمع لكم الخير كله والشركه في أية واحدة ، فوالله ما ترك العدل والإحسان شيئا من طاعة الله عز وجل إلا جمعه ، ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغي من معصية الله شيئا إلا جمعه . (حلية الأولياء / 2 / 158)

قال الأحنف بن قيس : إياكم ورأي الأوغاد قالوا وما رأى الأوغاد ؟ قال الذين يرون الصفح والعفو عارا . (المستطرف للابشيبي / 1 / 419)

وعن عمر بن عبد العزيز قال : أحب الأمور إلى الله ثلاثة : العفو في القدرة ، والقصد في الجدة ، والرفق في العبادة ، وما رفق أحد بأحد في الدنيا إلا رفق الله به يوم القيامة . (روضة العقلاء / 167)

قال الفضيل بن عياض : إذا أتاك رجل يشكو إليك رجلا ، فقل : يا أخي اعف عنه فإن العفو أقرب للتقوى فإن قال لا يحتمل قلبي العفو ، ولكن أنتصر كما أمرني الله عز وجل قل فإن كنت تحسن تنتصر مثلا بمثل وإلا فارجع إلى باب العفو فإنه باب أوسع فإنه من عفا وأصلح فأجره على الله ، وصاحب العفو : ينام الليل على فراشه وصاحب الانتصار : يقرب الأمور . (حلية الأولياء / 8 / 112)

قال وهب بن كيسان سمعت عبد الله بن الزبير يقول على المنبر : (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) (الأعراف / 199) قال : والله ما أمر بها أن تؤخذ إلا من أخلاق الناس ، والله لأخذنها منهم ما صحبتهم . (الأدب المفرد للبخاري / 244)

عن خيثمة قال : كان قوم يؤذونه فقال : إن هؤلاء يؤذونني ولا والله ما طلبني أحد منهم بحاجة إلا قضيتها ولا أدخل على أحد منهم أذى فقابلته به ولأنا أبغض فيهم من الكلب الأسود ؛ ولم يرون ذلك ، إلا أنه والله ، لا يحب منافق مؤمنا أبدا . (حلية الأولياء / 4 / 116)

قال ابن حبان : توطين نفسه على لزوم العفو عن الناس كافة ، وترك الخروج لمجازاة الإساءة ؛ إذ لا سبب لتسكين الإساءة أحسن من الإحسان ولا سبب لنماء الإساءة وتهيجها أشد من الاستعمال بمثلها . (روضة العقلاء ، 131)

قال هشام : كان أبو السوار يعرض له الرجل فيشتمه فيقول : إن كنت كما قلت إني إذا لرجل سوء . (سير أعلام النبلاء / 11 / 351)

قال إبراهيم بن أدهم : كان قتادة يقول : أفضل الناس : أعظمهم عند الناس عفو ، وأسفهم له

صدرا . (حلية الأولياء 8 / 54)

قال سعيد بن المسيب : ما من شيء إلا والله يحب أن يعفى عنه ما لم يكن حدا .
(رواة مالك 2 / 843)

وقال إبراهيم النخعي : كان المؤمنون يكرهون أن يستدلوا ، وكانوا إذا قدروا عفوا .
(تفسير ابن كثير 7 / 210)

قال أيوب : لا ينبل الرجل حتى يكون فيه خصلتان : العفة عما في أيدي الناس والتجاوز عنهم .
(روضة العقلاء 167)

قال جعفر الصادق : لأن أندم على العفو عشرين مرة أحب إلي من أندم على العقوبة مرة واحدة .
(أدب المجالسة 116)

وقال المنصور لولده المهدي : لذة العفو أطيب من لذة التشفي . (نهاية الأرب للنويري 6 / 59)

وأسمع رجل ابن هبيرة فأعرض عنه فقال : إياك أعني فقال له : وعنك أعرض .
(أدب الدنيا والدين 253)

يقول ابن تيمية : ما جزيت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه . (مجموع الفتاوى 3 / 245)

قال ابن القيم : مفتاح حصول الرحمة الإحسان في عبادة الخالق والسعي في نفع عبيده .
(حادي الأرواح 66)

وقال أيضا : فإن الإحسان يفرح القلب ويشرح الصدر ويجلب النعم ويدفع النقم وتركه يوجب الضيم والضييق ويمنع وصول النعم إليه فالجبن ترك الإحسان بالبدن والبخل ترك الإحسان بالمال . (طريق الهجرتين 460) وقال أيضا : ومن منازل إياك نعبد وإياك نستعين منزلة الإحسان وهي لب الإيمان وروحه وكماله وهذه المنزلة تجمع جميع المنازل فجميعها منطوية فيها وكل ما قيل من أول الكتاب إلى هاهنا فهو من الإحسان . (مدارج السالكين 3 / 319)

قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ : (دِيْوَانُ الشَّافِعِيِّ 90)

إِذَا سَبَّيْتُ نَذْلُ تَرَايَدْتُ رِفْعَةً *** وَمَا أَلْعَيْبُ إِلَّا أَنْ أَكُونَ مَسَابِيَهُ

وَلَوْلَمْ تَكُنْ نَفْسِي عَلِي عَزِيْزَةً *** لِمَكْنَتِهَا مِنْ كُلِّ نَذْلٍ تُحَارِبُهُ

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه : ينفق على مسطح بن أثاثه لصلته قرابة منه وفقره وكان مسطح من الذين خاضوا في حادث الإفك ، وتكلم في عرض عائشة رضي الله عنها (الطاهرة المبرأة) فقال والله لا أنفق على مسطح شيئا بعدما قال لعائشة فأنزل الله تعالى : (وَلَا يَأْتِلْ أُولُو الْأَفْضَلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةَ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (النور 22) فقال أبو بكر بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي ، فرجع إلى مسطح الذي كان يجري عليه وقال : والله لا أنزعها منه أبدا . (البخاري رقم 3910 ص 1521)

وجلس ابن مسعود في السوق يبتاع طعاما فابتاع ، ثم طلب الدراهم وكانت في عمامته فوجدها قد حلت ، فقال : لقد جلست وانها لمعي ، فجعلوا يدعون على من أخذها ويقولون : اللهم اقطع يد السارق الذي أخذها ، اللهم افعل به كذا ، فقال عبد الله : اللهم إن كان حمله على أخذها حاجة فبارك له فيها ، وإن كان حملته جراءة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه . (إحياء علوم الدين 3 / 184)

عن مصعب بن الزبير أنه لما ولي العراق ، جلس يوما لعطاء الجند ، وأمر منادية فنادى ، أين عمرو بن جرموز؟ وهو الذي قتل أباه الزبير ، فقيل له : أيها الأمير ، إنه قد تباعد في الأرض . فقال : أويظن الجاهل أني أقيده أبي عبد الله ؟ فليظهر آمنا ليأخذ عطاءه موفرا . (أدب الدنيا والدين 311)

عن علي بن الحسين : إن رجلا سبه فرمى إليه بخميصة كانت عليه وأمر له بألف درهم ، فقال بعضهم : جمع له خمس خصال محمودة : الحلم وإسقاط الأذى وتخليص الرجل مما يبعده عن الله عز وجل وحمله على الندم والتوبة ، ورجوعه إلى مدح بعد الذم ، اشترى جميع ذلك بشيء من الدنيا يسير . (إحياء علوم الدين 4 / 310)

قال الحسن بن علي : لو أن رجلا شتمني في أذني هذه واعتذر في أذني الأخرى لقبلت عذره . (الآداب الشرعية 1 / 302)

وشتم رجل الحسن وأربي عليه فقال له : أما أنت فما أبقيت شيئا وما يعلم الله أكثر . (عيون الأخبار 1 / 285)

وشتم رجل الأحنف وجعل يتبعه حتى بلغ حيه فقال الأحنف : يا هذا إن كان بقي في نفسك شيء فهاته وانصرف ؛ لا يسمعك بعض سفهائنا فتلقى ما تكره . (عيون الأخبار 1 / 402)

وأكثر رجل من سب الأحنف وهو لا يجيبه فقال الساب : والله ما منع الاحنف من جوابي إلا هو اني عليه . (أدب الدنيا والدين 253)

عن الأصمعي قال : أتى المنصور برجل يعاقبه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، الانتقام عدل ، والتجاوز فضل ، ونحن نعيذ أمير المؤمنين بالله أن يرضى لنفسه بأوكس النصيبين دون أن يبلغ أرفع الدرجتين . فعفا عنه . (المجالسة وجواهر العلم 207/7)

وأتي عبد الملك بن مروان بأسارى ابن الأشعث ، فقال لرجاء بن حيوة : ماذا ترى ؟ قال : إن الله تعالى قد أعطاك ما تحب من الظفر فأعط الله ما يحب من العفو ، فعفا عنهم . (أدب الدنيا والدين 260)

الفضل بن الربيع زور رجل ورقة عن خط الفضل بن الربيع تتضمن أنه أطلق له ألف دينار ثم جاء بها إلى وكيل الفضل ، فلما وقف الوكيل عليها لم يشك أنها خط الفضل ، فشرع في أن يزن له الألف دينار ، وإذا بالفضل قد حضر ليتحدث مع وكيله في تلك الساعة في أمر مهم فلما جلس أخبره الوكيل بأمر الرجل ، وأوقفه على الورقة ؛ فنظر الفضل فيها ثم نظر في وجه الرجل فرآه كاد يموت من الوجع والخجل ، فأطرق الفضل بوجهه ، ثم قال للوكيل أتدري لم أتيتك في هذا الوقت ؟ قال لا قال جئت أستهمضك حتى تعجل لهذا الرجل إعطاء المبلغ الذي في هذه الورقة ، فأسرع عند ذلك الوكيل في وزن المال وناوله الرجل فقبضه وصار متحيرا في أمره فالتفت إليه الفضل وقال له طُب نفسا وامض إلى سبيلك آمنا على نفسك ، فقبل الرجل يده وقال له سترتني سترك الله في الدنيا والآخرة ، ثم أخذ المال ومضى . (ثمرات الأوراق للحموي 1 / 182)

ويحكي عن عنان بن خريم أنه دخل على المنصور وقد قدم بين يديه جماعة كانوا قد خرجوا عليه ليقتلهم فقال أحدهم : يا أمير المؤمنين من انتقم فقد شفى غيظه وأخذ حقه ومن شفى غيظه وأخذ حقه لم يجب شكره ولم يحسن في العالمين ذكره وإنك إن انتقمت فقد انتصفت وإذا عفوت فقد تفضلت على أن إقالتك عثار عباد الله موجبة لإقالته عثرتك وعفوك عنهم موصول بعفوه عنك ، فقبل قوله ، وعفا عنهم . (غرر الخصائص الواضحة 503)

ميمون بن مهران ، جاءت جارية ميمون بن مهران ذات يوم بصفحة وعاء فيها مرقة حارة وعنده أضياف ، فعثرت ، فصبت المرقة عليه فأراد ميمون أن يضرها ، فقالت الجارية : يا مولاي استعمل قول الله تعالى : (والكاظمين الغيظ) قال لها : قد فعلت فقالت : أعمل بما بعده (والعاقين عن الناس) فقال : قد عفوت عنك : ، فقالت الجارية : (والله يحب المحسنين) قال ميمون : قد أحسنت إليك ، فأنت حرة لوجه الله تعالى . (تفسير القرطبي 207 / 4)

76- باب احتمال الأذى

قَالَ اللهُ تَعَالَى : وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ [آل عمران : 134] ،
وقال تَعَالَى : وَلَكِنْ صَبَرَوْا وَعَفَّوْا إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ [الشورى : 43] . وفي الباب الأحاديث
السابقة في الباب قبله .

648- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال : يا رسول الله إن لي قرابةً أصلهم وَيَقْطَعُونِي ،
وَأَحْسَنُ إِلَيْهِمْ وَيُسَيِّئُونَ إِلَيَّ ، وَأَحْلَمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ ، فقال : « لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم
الملك ولا يزال معك من الله تعالى ظهيرٌ عليهم ما دمت على ذلك » رواه مسلم . وقد سبق شرحه في
باب صلة الأرحام .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية :

سبق بيانها قبل ذلك :

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال رجل لأبي بكر الصديق رضي الله عنه : والله لأسبئك سباً يدخل معك فبرك فقال أبو بكر : بل
يدخل معك لا معي . (أدب الحوار ص 29)

وسب رجل أبا بكر رضي الله عنه فقال ما ستر الله عنك أكثر . (إحياء علوم الدين 3 / 171)

قال عمر بن الخطاب : من اتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله لم يفعل ما يشاء ولولا يوم
القيامة لكان غير ما ترون . (إحياء علوم الدين 3 / 176)

قال عمر بن الخطاب : إذا سمعت الكلمة تؤذيك فطأطأ لها حتى تتخطاك .
(العقد الفريد 1 / 180)

قال حذيفة بن اليمان : رب فاجر في دينه ، أخرج في معيشته ، يدخل الجنة بسماحته .
(التذكرة الحمدونية 1 / 225)

قال عمر بن عبد العزيز : قد أفلح من عصم من : المرء ، والغضب ، والطمع . (الحلية 5 / 290)

قال مورك العجلي : إني لقليل الغضب ، ولقلما غضبت ، فأقول في غضبي شيئاً ، ندمت عليه إذا
رضيت ؛ فقال رجل : إني أشكو إليك قسوة قلبي ، لا أستطيع الصوم ، ولا أصلي ؛ فقال له مورك :

- إن ضعفت عن الخير، فأضعف عن الشر؛ فإني أفرح بالنومة أنامها . (حلية الأولياء 2 / 235)
- وقال أيضا : تعلمت الصمت في عشرين سنين وما قلت شيئا قط إذا غضبت أندم عليه إذا ذهب عني الغضب . (حلية الأولياء 2 / 235)
- قال بشر بن الحارث : إذا أراد الله أن يتحف (أي يعطيه هديه) العبد سلط عليه من يؤذيه . (شعب الإيمان للبيهقي 3 / 423)
- وقال بشر بن الحارث : من لم يتحمل الفم والأذى لم يدخل فيما يحب . (شعب الإيمان 3 / 423)
- قال سفیان الثوري : لا يذوق العبد حلاوة الإيمان حتى يأتيه البلاء من كل مكان . (تهذيب تاريخ دمشق 3 / 293)
- وقال سفیان الثوري : لا خير فيمن لا يؤذي . (تهذيب تاريخ دمشق 3 / 293)
- عن عبد الله بن عون أنه كان لا يغضب فإذا أغضبه الرجل قال : بارك الله فيك . (الحلية 3 / 39)
- قال الشافعي : من استغضب فلم يغضب : فهو حمار ومن غضب فاسترضي ، فلم يرضى : فهو حمار . (حلية الأولياء 9 / 143)
- قال بكر بن عبد الله : لا يكون الرجل تقيا ، حتى يكون بطيء الطمع ، بطيء الغضب . (حلية الأولياء 2 / 225)
- قال سلمان لما شتم : إن خفت موازيتي فأنا شر مما تقول وإن ثقلت موازيتي لم يضرنني ما تقول . (إحياء علوم الدين 3 / 171)
- قال وهب : احتمال الذل خير من انتصار يزيد صاحبه قماءة (حقارة وذلة) . (السير 8 / 125)
- قال هشام بن عروة : قال أبي : رب كلمة ذل احتملتها أورتتني عزا طويلا . (البداية والنهاية 9 / 103)
- قال الغزالي : حسن الخلق معهن واحتمال الأذى منهن ، ترحما عليهن ، لقصور عقلمن قال الله تعالى : (وعاشروهن بالمعروف) : وقال في تعظيم حقهن : (وأخذن منكم ميثاقا غليظا) (النساء 21) وقال تعالى : (والصاحب بالجنب) (النساء 36) ، قيل : هي المرأة . ثم قال : وأعلم أنه ليس حسن الخلق معها كف الأذى عنها بل احتمال الأذى منها ، والحلم عند طيشها وغضبها ، اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد كانت أزواجه تراجعنه الكلام ، وتهجره الواحدة منهن يوما إلى الليل ، وراجعت امرأة عمر عمر رضي الله عنه فقال : أتراجعيني ؟ فقالت : إن أزواج رسول

الله صلى الله عليه وسلم يراجعنه ، وهو خير منك . (إحياء علوم الدين - كتاب آداب النكاح -
الباب الثالث ص 55)

قال الغزالي : وأعلم أنه ليس حق الجواركف الأذى فقط بل احتمال الأذى فإن الجار أيضا قد كف
أذاه فليس في ذلك قضاء حق ولا يكفي احتمال الأذى بل لا بد من الرفق وإسداء الخير والمعروف إذ
يقال إن الجار الفقير يتعلق بجاره الغني يوم القيامة فيقول يا رب سل هذا لم منعني معرفه وسد
بابه دوني . (إحياء علوم الدين 2 / 213)

قال ابن تيمية : الهجر الجميل هجر بلا أذى والصفح الجميل صفح بلا عتاب والصبر الجميل صبر
بلا شكوى . (الفتاوى جزء 10)

وقال ابن تيمية : وقد يهجر الرجل عقوبة وتعزيرا ، والمقصود بذلك ردعه وردع أمثاله ، للرحمة
والإحسان ، لا للتشفي والانتقام . (منهاج السنة النبوية 5 / 239)

قال ابن القيم : وفي الصفح والعفو والحلم من الحلاوة والطمأنينة والسكينة ، وشرف النفس
وعزها ورفعتها عن تشفيها بالانتقام ما ليس شيء منه في المقابلة والانتقام .
(مدارج السالكين 2 / 319)

وقال أيضا : فما انتقم أحد لنفسه قط إلا أعقبه ذلك ندامة . (مدارج السالكين 2 / 303)

قَالَ الْعَرَجِيُّ : (الْكُشْفُ وَالْبَيَانُ لِلتَّغْلِيهِ 3 / 166)

وَإِذَا غَضِبْتَ فَكُنْ وَقُورًا كَاطِمًا *** لِلْغَيْظِ تُبْصِرُ مَا تَقُولُ وَتَسْمَعُ

فَكَفَى بِهِ شَرْفًا تَصْبُرُ سَاعَةً *** يَرْضَى بِهَا عَنْكَ الْإِلَهَ وَتَرْفَعُ

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّالِفِ :

قال مالك بن أوس غضب عمر على رجل وأمر بضربه فقلت يا أمير المؤمنين (خذ العفو وأمر
بالعرف وأعرض عن الجاهلين) فكان عمر يقول (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين)
فكان يتأمل في الآية وكان وقافا عند كتاب الله مهما تلي عليه كثير التدبير فيه فتدبر فيه وخلي الرجل
(إحياء علوم الدين / 171) .

تضجر عمر بن عبد العزيز من كلام رجل فقال شرطي على رأسه : قم فقد أذيت أمير المؤمنين ؛
فقال عمر : أنت والله أشد أذى بكلامك هذا منه . (ربيع الأبرار 1 / 96)

قام عمر بن عبد العزيز يصلي الليل في مسجد بني أمية ، وكان السراج قد انطفأ ، فاصطدمت قدماه برجل نائم فقام النائم وقال : أحمار الذي وطأني ؟ قال عمر : لا أنا عمر بن عبد العزيز ولست حمارا . (سيرة عمر لابن الجوزي 208)

وأمر عمر بن عبد العزيز بضرب رجل ثم قرأ قوله تعالى (والكاظمين الغيظ) فقال لغلامه خل عنه . (إحياء علوم الدين 3 / 171) .

قال سفيان الثوري : كان ابن عياش النتوف يقع في عمر بن ذرويشتمه ، فلقيه عمر فقال : يا هذا لا تفرط في شتمنا ، وابق للصلح موضعا فأنا لا نكأني من عصي الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه . (سير أعلام النبلاء 6 / 389)

قالت امرأة عبد الله بن مطيع له : ما رأيت الأم من أصحابك إذا أيسرت لزموك وإن أعسرت تركوك فقال : هذا من كرمهم يغشوننا في حال القوة منا عليهم ، ويفارقوننا في حال العجز منا عنهم . (الصداقة والصديق لابوحيان التوحيدي 1 / 42) .

شتم رجل الربيع بن خثيم فقال يا هذا قد سمع الله كلامك وإن دون الجنة عقبة إن قطعها لم يضرني ما تقول وإن لم أقطعها فأنا شر مما تقول . (إحياء علوم الدين 3 / 171)

زاحم رجل سالم بن عبد الله في الطواف وضيق عليه ثم قال له : أنت رجل سوء فقال سالم : ما عرفني إلا أنت ! . (العقد الفريد لابن عبد ربه 2 / 237)

عن أبي رزين قال : جاء رجل إلى الفضيل بن بزوان ، فقال : إن فلانا يقع فيك . فقال : لأغيطان من أمره ، يغفر الله لي وله . قيل : من أمره ؟ قال : الشيطان . (الزهد لابن المبارك 1 / 234)

77- باب الغضب إذا انتهكت حرمة الشرع والانتصار لدين الله تعالى

قَالَ اللهُ تَعَالَى : وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ [الحج : 30] ، وقال تَعَالَى : إِنَّ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ [محمد : 7] .

649- وعن أبي مسعود عقبة بن عمرو البدری رضي الله عنه قال : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال : إِنِّي لَأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ مِنْ أَجْلِ فُلَانٍ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا ، فَمَا رَأَيْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَضِبَ فِي مَوْعِظَةٍ قَطُّ أَشَدَّ مِمَّا غَضِبَ يَوْمَئِذٍ ، فقال : يَا أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّ مِنْكُمْ مُتَفَرِّينَ . فَايُكُمُ أُمَّ النَّاسِ فليُوجِزْ ، فَإِنَّ مِنْ ورائِهِ الْكَبِيرَ وَالصَّغِيرَ وَذَا الْحَاجَةَ « متفق عليه .

650- وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ سَفَرٍ ، وَقَدْ سَارَتْ سَهْوَةً لِي بِقِرَامٍ فِيهِ تَمَائِيلٌ ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَتَكَهُ وَتَلَوْنَ وَجْهَهُ وَقَالَ : « يَا عَائِشَةُ : أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ » متفق عليه

« السَّهْوَةُ » : كَالصَّفَةِ تَكُونُ بَيْنَ يَدَيِ الْبَيْتِ وَ « الْقِرَامِ » بِكَسْرِ الْقَافِ : سِتْرٌ رَقِيقٌ ، وَ « هَتَكَهُ » : أَفْسَدَ الصُّورَةَ الَّتِي فِيهِ .

651- وَعِنَّمَا أَنْ قَرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرَاةِ الْمَخْزُومِيَةِ الَّتِي سَرَقَتْ فَقَالُوا : مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَقَالُوا : مَنْ يَجْتَرِيءُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حُبُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَتَشْفَعُ فِي حِدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ تَعَالَى ؟ » ثُمَّ قَامَ فَاحْتَطَبَ ثُمَّ قَالَ : « إِنَّمَا أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَإِنَّمَا اللَّهُ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتَ يَدَهَا » متفق عليه .

652- وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى نُخَامَةً فِي الْقِبْلَةِ . فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ حَتَّى رَوَى فِي وَجْهِهِ ، فَقَامَ فَحَكَّهُ بِيَدِهِ فَقَالَ : « إِنْ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلَاتِهِ فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ ، وَإِنَّ رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ ، فَلَا يُزْفَنَنَّ أَحَدُكُمْ قِبَلَ الْقِبْلَةِ ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ » ثُمَّ أَخَذَ طَرْفَ رِدَائِهِ فَبَصَقَ فِيهِ ، ثُمَّ رَدَّ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَقَالَ : « أَوْ يَفْعَلُ هَكَذَا » متفق عليه . وَالْأَمْرُ بِالْبُصَاقِ عَنْ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ هُوَ فِيمَا إِذَا كَانَ فِي غَيْرِ الْمَسْجِدِ ، فَأَمَّا فِي الْمَسْجِدِ فَلَا يَبْصُقُ إِلَّا فِي ثَوْبِهِ .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

قال مجاهد في قوله : ذلك ومن يعظم حرمات الله . قال : الحرمه : مكة والحج والعمرة وما نهى الله عنه من معاصيه كلها . (تفسير الطبري 18 / 618)

قال ابن مسعود: في تفسير قوله تعالى (ومن يرد فيه بإلحاد بظلم) لو أن رجلاً أراد بإلحاد فيه بظلم وهو بعدن آيين لإذاعة الله من العذاب الأليم. (تفسير أضواء البيان 5/95)

عن قتادة : إن تنصروا الله ينصركم قال : حق على الله أن يعطي من سأله وأن ينصر من نصره . (تفسير الدر المنثور 13 / 361)

قال قطرب : إن تنصروا نبي الله ينصركم ويثبت أقدامكم أي : عند القتال وتثبيت الأقدام عبارة عن النصر والمعونة في مواطن الحرب وقيل : على الإسلام وقيل : على الصراط .

(فتح القدير 1 / 1373)

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قال أبو بكر رضي الله عنه لسلمان الفارسي وقد طلب منه الوصية : يا سلمان اتق الله وأعلم أنه سيكون فتوح فلأعرفن ما كان حظك منها ما جعلته في بطنك أو ألقىته على ظهرك وأعلم أنه من صلى الخمس فإنه يصبح في ذمة الله ويمسي في ذمة الله فلا تقتلن أحدا من أهل ذمة الله فتخفر الله في ذمته فيكيبك الله في النار على وجهك . (تاريخ الخلفاء الراشدين 9695)

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : يا أهل مكة ، اتقوا الله في حرمكم هذا . أتدرون من كان ساكن حرمكم هذا من قبلكم ؟ كان فيه بنو فلان فأحلوا حرمة فهلكوا ، وبنو فلان فأحلوا حرمة فهلكوا حتى عد ما شاء الله ثم قال : والله لأن أعمل عشر خطايا بغيره أحب إلي من أن أعمل واحدة بمكة . (شعب الإيمان 567/7)

عن أبي بن كعب : ما من عبد ترك شيئا لله إلا أبدله الله به ما هو خير منه من حيث لا يحتسب ، ولا تهاون به عبد فأخذ من حيث لا يصلح إلا أتاه الله بما هو أشد عليه . (الزهد لوكيع 2 / 635)

قال ابن الجوزي : بقدر إجلال العبد لله يجعله الله عز وجل وبقدر تعظيمه قدره واحترامه يعظم قدر العبد وحرمة . وكم من رجل أنفق عمره في العلم حتى كبرت سنة ، ثم تعدى الحدود فهان عند الخلق ، ولم يلتفتوا إليه مع غزارة علمه وقوة مجاهدته ، وأما من راقب الله عز وجل في صботه . فقد يكون قاصر الباع بالنسبة للصنف الأول ، ومع ذلك عظم الله قدره في القلوب حتى علقته النفوس ، ووصفته بما يزيد على ما فيه من الخير . (صيد الخاطر 194)

قال يحيى بن معاذ الرازي : عجبت من ذي عقل يقول في دعائه : اللهم لا تشمت بي الأعداء ، ثم هو يشمت بنفسه كل عدو له قيل : وكيف ذلك ؟ قال : يعصي الله ويشمت به في القيامة كل عدو . (الداء والدواء 60)

قال القاضي أبو يعلى : إن بغى البغاة على أهل العدل قاتلهم على بغيم إذا لم يمكن ردهم عن البغي إلا بالقتال لأن قتال أهل البغي من حقوق الله التي لا يجوز أن تضاع فكوتها محفوظة في حرمة الله أولى من أن تكون مضاعة فيه . (الأحكام السلطانية 193 - 194)

ما جاء عن الإمام مالك قال : دخلت على المنصور - يعني على أبي جعفر المنصور - وكان يدخل عليه الهاشميون ، فيقبلون يده ورجله ، قال مالك : عصمتي الله من ذلك . (سير أعلام النبلاء 8 / 67)

يَقُولُ الشَّاعِرُ الصُّوفِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ سَعَادٌ :

لَمَّا رَأَيْتَ إِلَى أَنْوَارِهِ سَطَعَتْ وَضَعَتْ *** مِنْ خِيفَتِي كَفَى عَلَى بَصْرِي
خَوْفًا عَلَى بَصْرَمَنْ حَسَنَ صُورَتَهُ *** فَلَسْتُ أَنْظُرُهُ إِلَّا عَلَى قَدْرِي
رُوحٍ مِنَ النُّورِ فِي جِسْمٍ مِنَ الْقَمَرِ *** كَحُلَّةٍ نَسَجَتْ مِنْ أَنْجُمِ الزَّهْرِ
فَقُلْتُ هَذَا الَّذِي قَدْ حَازَ أَفْضَلَ مَا *** قَدْ حَازَهُ الْعَبْدُ مِنْ جُنٍّ وَمَنْ بَشَّرَ
حَمَدَتْ مَوْلَايَ فِي رُؤْيَاكَ يَا أَمَلِي **** هَذَا الْمُنَى غَايَتَهَا سَيِّدَ الْبَشَرِ

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

عن السائب بن يزيد رضي الله عنه قال : كنت قائما في المسجد فحصبني رجل ، فنظرت فإذا عمر بن الخطاب فقال : اذهب فاتني بهذين فجننته بهما قال : من أنتما أو من أين أنتما ؟ قال : من أهل الطائف . قال : لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما (أي ضربا) ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . (الآداب الشرعية 3 / 382)

مرابن عمر براهب ، فقيل : إن هذا سب النبي صلى الله عليه وسلم فقال : لو سمعته لضربت عنقه ، أنا لم نعطهم العهد على أن يسبوا نبينا صلى الله عليه وسلم . (مسند الحارث 2 / 561)

قال حسان بن ثابت : وهو يهجو المشركين دفاعا عن النبي صلى الله عليه وسلم والذي قال له النبي صلى الله عليه وسلم إن روح القدس لا يزال يؤيدك ، ما نافحت عن الله ورسوله . هجوت محمدا فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء هجوت محمدا برا حنيفا رسول الله شيمته الوفاء فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء تكلت بنيتي إن لم تروها تثير النقع من كنفني كداء (تكلت يعني فقدت) يبارين الأعنة مصعدات على أكتافها الأسل الظمأ (يبارين أي يضاھين) تظل جيانا متمطرات تلطمهن بالخمير النساء (أي : تظل خيولنا مسرعات يسبق بعضها بعضا) فإن أعرضتمو عنا اعتمرنا وكان الفتح وانكشف الغطاء وإلا فاصبروا لضراب يوم يعز الله فيه من يشاء وقال الله : قد أرسلت عبدا يقول الحق ليس به خفاء وقال الله : قد يسرت جندا هم الأنصار عرضتها اللقاء لنا في كل يوم من معد سباب أو قتال أو هجاء فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء وجبريل رسول الله فينا وروح القدس ليس له كفاء . (رواه مسلم 2490)

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان منا رجل من بني النجار قد قرأ البقرة وآل عمران وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق هاربا حتى لحق بأهل الكتاب . قال : فرفعوه . قالوا

: هذا قد كان يكتب لمحمد فأعجبوا به فما لبث أن قصم الله عنقه فيهم ، فحفروا له فواروه . فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها . ثم عادوا فحفروا له فواروه فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها ، ثم عادوا فحفروا له فواروه ، فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها فتركوه منبوذا . (مسلم رقم 2781)

قال جبير بن نفير رضي الله عنه : لما فتحت قبرص فرق بين أهلها فيكي بعضهم إلى بعض ، فرأيت أبا الدرداء جالسا وحده يبكي . فقلت : يا أبا الدرداء ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله ؟ فقال : ويحك يا جبير ما أهون الخلق على الله عز وجل إذا أضاعوا أمره بينما هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى . (الداء والدواء 47 - 48)

عن عثمان الشحام قال : كنت أقود رجلا أعمى ، فانتهيت إلى عكرمة فأنشأ يحدثنا قال : حدثني ابن عباس أن أعمى كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت له أم ولد ، وكان له منها ابنان ، وكانت تكثر الوقيعه برسول الله صلى الله عليه وسلم وتسبه ، فيزجرها فلا تزجر ، وينهاها فلا تنتهي ، فلما كان ذات ليلة ذكرت النبي صلى الله عليه وسلم فوقع في ، فلم أصبر أن قمت إلى المغول ، فوضعت في بطنها ، فاتكأت عليه ، فقتلتها فأصبحت قتيلة ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فجمع الناس ، وقال : أنشد الله رجلا لي عليه حق فعل ما فعل إلا قام . فأقبل الأعمى يتدللد فقال : يا رسول الله ، أنا صاحبها كانت أم ولدي وكانت بي لطيفة رفيقة ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين ولكنها كانت تكثر الوقيعه فيك وتشتتمك ، فأنهاها فلا تنتهي ، وأزجرها فلا تزجر فلما كانت البارحة ذكرتك فوقع فيك فقتلتها فوضعت في بطنها فاتكأت عليه ، فقتلتها . فقال النبي ألا اشهدوا أن دمها هدر . (النسائي 7 / 107)

يقول أبو معمر القطيعي رحمه الله : لما أحضرنا إلى دار السلطان أيام المحنة ، وكان أحمد بن حنبل قد أحضر فلما رأى الناس يجيبون ، وكان رجلا لينا ، فانتفخت أوداجه ، واحمرت عيناه ، وذهب ذلك اللين . فقلت : إنه قد غضب لله ، فقلت : أبشر ، قال أبي سلمه ، : كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من إذا أريد على شيء من أمر دينه ، رأيت حماليق عينيه في رأسه تدور كأنه مجنون . يعني من شدة الغضب غيرة على حرمان الله تبارك وتعالى . (سير أعلام النبلاء 11 / 238)

هذا رجل شاعر يقال له العكوك قال قصيدة يمدح بها أحد الأمراء . يقول : كل من في الأرض من عرب بين بادية إلى حضره مستعير منك مكرمة يكتسبها يوم مفتخرة ويقول : أنت الذي تنزل الأيام منزلها وتنقل الدهر من حال إلى حال وما مددت مدى طرف إلى أحد إلا قضيت بأرزاق وأجال بالغ في مدحه جدا . فالأموال أخذته الحمية والغيرة ، فقال : اطلبوه ، فطلبوه قلم يقدروا عليه ؛ لأنه كان

مقيما بالجبل ففر إلى الجزيرة ثم إلى الشامات ، فظفروا به ، فحمل مقيدا إلى المأمون فقال : يا ابن اللخناء ، أنت القائل وذكر البيت ، جعلتنا نستعير منه المكارم ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، أنتم أهل بيت لا يقاس بكم يعني أنتم خارجون عن هذا الوصف لا أقصدكم قال : والله ما أبقيت أحدا ، وإنما أستحل دمك بكفرك حيث تقول : أنت الذي تنزل الأيام منزلها . إلخ . وذاك هو الله أخرجوا لسانه من قفاه ففعلوا به فمات . (سير أعلام النبلاء 8/332)

78- باب أمر ولاة الأمور بالرفق برعاياهم ونصيحتهم والشفقة عليهم والنهي عن

غشهم والتشديد عليهم وإهمال مصالحهم والغفلة عنهم وعن حوائجهم

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : وَاحْفَظْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ [الشعراء : 215] وقال تَعَالَى : إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ [النحل : 90] .

653- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « كَلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ : الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » متفقٌ عليه .

654- وعن أَبِي يَعْلَى مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رضي الله عنه قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً ، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ ، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ » متفقٌ عليه . وفي رواية : « فَلَمْ يَحْطَهَا بِنُصْحِهِ لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ » .

وفي رواية لمسلم : « مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ لَا يَجْهَدُ لَهُمْ وَيَنْصَحُ لَهُمْ ، إِلَّا لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الْجَنَّةَ »

655- وعن عائشة رضي الله عنها قالت : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي بَيْتِي هَذَا : « اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أُمَّرَأَتِي شَيْئاً فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أُمَّرَأَتِي شَيْئاً فَفَرَّقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ » رواه مسلم

656- وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ ، وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي ، وَسَيَكُونُ بَعْدِي خُلَفَاءُ فَيَكْتُمُونَ » قالوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا تَأْمُرُنَا ؟ قال : « أَوْفُوا بِبَيْعَةِ الْأَوَّلِ فَلِأَوَّلٍ ، ثُمَّ أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ ، وَاسْأَلُوا

الله الذي لكم ، فَإِنَّ اللَّهَ سَأَلَهُمْ عَمَّا اسْتَرَعَاهُمْ « متفق عليه .

657- وعن عائذ بن عمرو رضي الله عنه أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ ، فَقَالَ لَهُ : أَيُّ بُيْتِي ، إِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِنَّ شَرَّ الرِّعَاءِ الحُطْمَةُ » فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ ، متفقٌ عليه .

658- وعن أبي مريم الأزدِي رضي الله عنه ، أَنَّهُ قَالَ لِمُعَاوِيَةَ رضي الله عنه : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مِنْ وِلَاةِ اللَّهِ شَيْئًا مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ فَاحْتَجَبَ دُونَ حَاجَتِهِمْ وَخَلَّتِهِمْ وَفَقَرِهِمْ ، احْتَجَبَ اللَّهُ دُونَ حَاجَتِهِ وَخَلَّتِهِ وَفَقَرِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » فَجَعَلَ مُعَاوِيَةُ رَجُلًا عَلَى حَوَائِجِ النَّاسِ . رواه أبو داود ، والترمذي .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

عن ابن عباس في قوله : إن الله يأمر بالعدل . قال : شهادة أن لا إله إلا الله ، والإحسان . قال : أداء الفرائض ، وإيتاء ذي القربى . قال : إعطاء ذوي الأرحام الحق الذي أوجبه الله عليك بسبب القرابة والرحم وينهى عن الفحشاء . قال : الزنى والمنكر . قال : الشرك والبغي . قال : الكبر والظلم يعظكم . قال : يوصيكم لعلكم تذكرون . عن ابن مسعود قال : أعظم آية في كتاب الله : الله لا إله إلا هو الحي القيوم (البقرة 255) . وأجمع آية في كتاب الله للخير والشر الآية التي في النحل : إن الله يأمر بالعدل والإحسان . وأكثر آية في كتاب الله تفويضا : ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب (الطلاق 2 - 3) . وأشد آية في كتاب الله رجاء : يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم الآية (الزمر 53) عن الكلبي عن أبيه قال : مر علي بن أبي طالب يقوم يتحدثون فقال : فيم أنتم ؟ فقالوا : نتذاكر المروءة . فقال : أو ما كفاكم الله عز وجل ذلك في كتابه إذ يقول : إن الله يأمر بالعدل والإحسان ؟ فالعدل الإنصاف ، والإحسان التفضل ، فما بقي بعد هذا ؟ . عن محمد بن كعب القرظي قال : دعاني عمر بن عبد العزيز فقال : صف لي العدل . فقلت : يخ ، سألت عن أمر جسيم ؛ كن لصغير الناس أبا ، ولكبيرهم ابنا ، وللمثل منهم أبا ، وللنساء كذلك ، وعاقب الناس على قدر ذنوبهم وعلى قدر أجسادهم ولا تضرين لغضبك سوطا واحدا فتعدى فتكون من العاديين . عن الشعبي قال : قال عيسى ابن مريم : إنما الإحسان أن تحسن إلى من أساء إليك ، ليس الإحسان أن تحسن إلى من أحسن إليك . (تفسير الدر المنثور 9/ 103 - 104)

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

عن أبي بكر رضي الله عنه في حديثه للأحمسية لما سألته : ما بقاء هذا الأمر الصالح الذي جاء الله به بعد الجاهلية ؟ قال : ما استقامت بكم أئمتكم . (فتح الباري 147/7)

وعن الأحنف بن قيس وكان أحد ولاية عمر رضي الله عنه قال : قدمت على عمر بن الخطاب رضوان الله عليه فاحتبسي عنده حولاً ، فقال : يا أحنف قد بلوتك وخبرتك ، فرأيت أن علانيتك حسنة ، وأنا أرجو أن تكون سريرتك مثل علانيتك ، وأنا كنا لنحدث : إنما يهلك هذه الأمة كل منافق عليم . (الطبقات الكبرى 94 / 7)

وحمل مرة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه مال عظيم من الخمس فقال : إن قوما أدوا الأمانة في هذه لأمناء فقال له بعض الحاضرين : إنك أديت الأمانة إلى الله تعالى فأدوا إليك الأمانة ولو رتعت لرتعت . (السياسة الشرعية لابن تيمية 47 / 1)

كان عمر بن الخطاب يحلف على إيمان ثلاث يقول : والله ما أحد أحق بهذا المال من أحد وما أنا بأحق به من أحد والله ما من المسلمين أحد إلا وله في هذا المال نصيب إلا عبداً مملوكاً ولكننا على منازلنا من كتاب الله تعالى وقسمنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فالرجل وبلائه في الإسلام والرجل وقدمه في الإسلام والرجل وغناؤه في الإسلام والرجل وحاجته والله لئن بقيت لهم ليأتين الراعي بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو يرعى مكانه . (مسند أحمد حديث 284)

قال عمر بن الخطاب : وأنه ليس شيء أحب إلى الله وأعم نفعاً أيتها الرعية أن لنا عليكم حقا النصيحة بالغيب والمعاونة على الخير من حلم إمام ورفقه وليس شيء أبغض إلى الله من جهل إمام وخرقه . (السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية 16)

قال رجل لعمل بن الخطاب : يا أمير المؤمنين لو وسعت على نفسك في النفقة من مال الله تعالى فقال له عمر : أتدري ما مثلي ومثل هؤلاء ؟ كمثل قوم كانوا في سفر فجمعوا منه مالا وسلموه إلى واحد ينفقه عليهم فهل يحل لذلك الرجل أن يستأثر عنهم من أموالهم ؟ . (السياسة الشرعية 47)

عن سالم بن عبد الله عن أبيه قال : كان عمر إذا أراد أن ينهي الناس عن شيء تقدم لأهله فقال : لا أعلمن أحدا وقع في شيء مما نهيت عنه إلا أضعفت له العقوبة . (الطبقات الكبرى 3 / 289)

وقال أيضا : من ولي من أمر المسلمين شيئا فولى رجلا لمودة أو قرابة بينهما فقد خان الله ورسوله والمسلمين . (السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية لابن تيمية 7) وقال أيضا : لوماتت شاه على شط الفرات ضائعة لظننت أن الله عزوجل سائلي عنها يوم القيامة . (حلية الأولياء 1 / 53)

قال عمر بن الخطاب : من استعمل فاجرا وهو يعلم أنه فاجر فهو مثله .
(مناقب عمر لابن الجوزي 78)

قال عمر بن الخطاب : إن الناس لم يزالوا مستقيمين ما استقامت لهم أئمتهم وهداتهم .
(طبقات ابن سعد 3 / 292)

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذا بلغه أن بعض نوابه ظلم يقول : اللهم إني لم أمرهم أن يظلموا خلقك أو يتركوا حقك . (السياسة الشرعية لابن تيمية 1 / 47)

وينبغي أن يعرف أن أولي الأمر كالسوق ما نفق فيه جلب إليه هكذا قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فإن نفق فيه الصدق والبر والعدل والأمانة جلب إليه ذلك وإن نفق فيه الكذب والفجور والجور والخيانة جلب إليه ذلك والذي على ولي الأمر أن يأخذ المال من حله ويضعه في حقه ولا يمنعه من مستحقه . (السياسة الشرعية 1 / 47)

قال ابن كثير : وقال الصباح بن سواده الكندي : سمعت عمر بن عبد العزيز يخطب وهو يقول : (الذين إن مكناهم في الأرض) الآية (الحج 41) ثم قال ألا أنها ليست على الوالي وحده ولكنها على الوالي والموالي عليه ألا أنبئكم بما لكم على الوالي من ذلك : وبما للوالي عليكم منه ؟ إن لكم على الوالي من ذلكم أن يؤاخذكم بحقوق الله عليكم وأن يهديكم إلى التي هي أقوم ما استطاع وإن عليكم من ذلك الطاعة غير المزورة ولا المستكرهة ولا المخالف سرها علانيتها .
(تفسير ابن كثير 5 / 434)

قال عبد الله بن المبارك : صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس وإذا فسدا فسد الناس ، قيل من هم ؟ قال الملوك والعلماء . (إعلام الموقعين 10 / 1)

وقال ابن تيمية : الرعية مؤدية إلى الأمام ما أدى الإمام إلى الله ، فإن رتع الإمام رتعوا .
(طبقات ابن سعد 3 / 292)

الآثار العملية في حياة السلف :

قال زيد بن وهب : خرج عمر رضي الله عنه ويدها في أذنيه وهو يقول : يا لبيكاه يا لبيكاه ، قال الناس : ما له ؟ قال : جاءه يريد من بعض أمرائه أن نهرا حال بينهم وبين العبور ولم يجدوا سفنا ، فقال أميرهم : اطلبوا لنا رجلا يعلم غور الماء . فأتى بشيخ فقال : إني أخاف البرد وذاك في البرد ، فأكرهه فأدخله ، فلم يلبثه البرد ، فجعل ينادي : يا عمراه يا عمراه ! فغرق ، فكتب إليه فأقبل فمكث أياما معرضا عنه وكان إذا وجد على أحد منهم فعل به ذلك ثم قال : ما فعل الرجل الذي قتلته ؟ قال : يا أمير المؤمنين ما تعمدت قتله ، لم نجد شيئا يعبر فيه وأردنا أن نعلم غور الماء ، ففتحنا كذا وكذا ، وأصبنا كذا وكذا فقال عمر رضي الله عنه : لرجل مسلم أحب إلي من كل شيء جئت به ، لولا أن تكون سنة لضربت عنقك ، اذهب فأعط أهله ديته ، واخرج فلا أراك . (السنن الكبرى 8 / 559)

قال الواعظ أبا عثمان المنتخب ابن أبي محمد الواسطي - وكان من كبار الصالحين - أنشد نور الدين محمود زكي أبياتا يعظه فيها ومن جملة ما قال :

مَثَلٌ وَقُوفَكَ أَهْمًا الْمَغْرُورُ	***	يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاءُ تَمُورُ
إِنْ قِيلَ: نُورَ الدِّينِ رُحْتَ مُسَلِّمًا	***	فَاخْذُرْ بَانَ تَبْقَى وَمَا لَكَ نُورُ
مَاذَا تَقُولُ إِذَا نُقِلْتَ إِلَى الْبَلَى	***	فَرْدًا وَجَاءَكَ مُنْكَرٌ وَنَكِيرُ
مَاذَا تَقُولُ إِذَا وَقَفْتَ بِمَوْقِفٍ	***	فَرْدًا ذَلِيلًا وَالْحِسَابُ عَسِيرُ
وَتَعَلَّقْتَ فِيكَ الْخُصُومُ وَأَنْتَ	***	فِي يَوْمِ الْحِسَابِ مُسَلْسَلٌ مَجْرُورُ
وَوَدِدْتَ أَنَّكَ مَا وَلِيْتَ وَوَلَايَةٌ	***	يَوْمًا وَلَا قَالَ الْأَنَامُ: أَمِيرُ
أَرْضِيَّتَ أَنْ تَحْيَا وَقَلْبُكَ دَارِسٌ	***	عَافِي الْخَرَابِ وَجِسْمُكَ الْمَعْمُورُ
مَهْدٌ لِنَفْسِكَ حُجَّةٌ تَنْجُو بِهَا	***	يَوْمَ الْمَعَادِ وَيَوْمَ تَبْدُو الْعُورُ

فَلَمَّا سَمِعَ نُورَ الدِّينِ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ بَكَى بُكَاءً شَدِيدًا . (الْبِدَايَةُ وَالنَّهْيَةُ 12 / 282)

79- باب الوالي العادل

قَالَ اللهُ تَعَالَى: إِنَّ اللهُ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ [النحل: 90] الآية، وقال تَعَالَى: وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللهُ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ [الحجرات: 9].

659- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى، وَرَجُلٌ مَعَلَّقٌ قَلْبَهُ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرِجَالٌ تَحَابُّوا فِي اللهِ، اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ، وَتَفَرَّقُوا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهُ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ، فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهُ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» متفقٌ عليه.

660- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورِ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وُلُّوا» رواه مسلم

661- وعن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «خِيَارُ أُمَّتِكُمْ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ، وَشِرَارُ أُمَّتِكُمْ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ» قال: «لا ما أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ لَا مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ» مسلم. قوله: «تُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ»: تَدْعُونَ لَهُمْ.

662- وعن عبيد بن جمار رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «أَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيبٌ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ» رواه مسلم.

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ:

عن السدي: كانت امرأة من الأنصار يقال لها أم زيد تحت رجل وكان بينها وبين زوجها شيء فرقي بها إلى عليّة وحبسها فبلغ ذلك قومها فجاءوا وجاء قومها فافتتلوا بالأيدي والنعال فأنزل الله عز وجل: وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما. بالدعاء إلى حكم كتاب الله والرضا بما فيه لهما وعليهما. فإن بغت إحداهما. تعدت إحداهما. على الأخرى. وأبت الإجابة إلى حكم كتاب الله. (فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء) ترجع (إلى أمر الله) في كتابه (فإن فاءت) رجعت إلى الحق (فأصلحوا بينهما بالعدل) بحملهما على الإنصاف والرضا بحكم الله (وأقسطوا) اعدلوا. (إن الله يحب المقسطين). إن الله يحب المقسطين أي العادلين قال أبو مالك: في القول والفعل.

(تفسير الماوردي 5 / 331)

أَثَارُ الْوَارِدَةِ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

عن علي بن أبي طالب : إنه قسم ما في بيت المال على سبعة أسباع ثم وجد رغيفا فكسره سبع كسر ثم دعا أمراء الأجناد ، فأقرع بينهم . (حلية الأولياء 7 / 300)

قال عمرو بن العاص : لا سلطان إلا بالرجال ولا رجال إلا بمال ولا مال إلا بعمارة ولا عمارة إلا بعدل . (العقد الفريد لابن عبد ربه 1 / 33) .

كتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لما ولي الخلافة إلى الحسن البصري أن يكتب إليه بصفة الإمام العادل فكتب إليه الحسن رحمه الله : أعلم يا أمير المؤمنين أن الله جعل الإمام العادل قوام كل مائل وقصد كل جائر ، وصلاح كل فاسد ، وقوة كل ضعيف ، ونصفه كل مظلوم ، ومفزع كل ملهوف . والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالراعي الشفيق على إبله الرفيق بها ، الذي يرتاد لها أطيب المرعى ، وينودها عن مراتع الهلكة ، ويحميها من السباع ، ويكفيها من أذى الحر والقر . والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأب الحاني على ولده ، يسعى لهم صغارا ويعلمهم كبارا ، يكتسب لهم في حياته ويدخلهم بعد مماته . والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأم الشفيقة البرة الرفيقة بولدها ، حملته كرها ووضعتة كرها ، وربته طفلا ، تسهر بسهره ، وتسكن بسكونه ، ترضعه تارة وتقطمه أخرى ، وتفرح بعافيته وتغتم بشكايته . والإمام العادل يا أمير المؤمنين ، وصي اليتامى ، وخازن المساكين ، يربي صغيروهم ، ويمون كبيرهم . والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجوارح تصلح الجوارح بصلاحه وتفسد بفساده . والإمام العادل يا أمير المؤمنين ، هو القائم بين الله وبين عباده ، يسمع كلام الله ويسمعهم ، وينظر إلى الله ويربهم ، وينقاد إلى الله ويقودهم فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملكك الله عز وجل كعبد انتمنه سيده واستحفظه ماله وعياله ، فبدد المال وشرد العيال فأفقر أهله وفرق ماله . واعلم يا أمير المؤمنين أن الله أنزل الحدود ليزجر بها عن الخيائث والفواحش ، فكيف إذا أتاهما من يلها ؟ وأن الله أنزل القصاص حياة لعباده ، فكيف إذا قتلهم من يقتص لهم . (العقد الفريد 1 / 33)

قال جعونة : كتب عمر بن عبد العزيز إلى أهل الموسم : أما بعد ، فإني أشهد الله ، وأبرأ إليه ، في الشهر الحرام ، والبلد الحرام ، ويوم الحج الأكبر : إني بريء من ظلم من ظلمكم ، وعدوان من اعتدى عليكم : أن أكون أمرت بذلك ، أو رضيت به ، أو تعمدته ؛ إلا أن يكون وهما مني ، أو أمرا خفي علي ، لم أتعمده ؛ وأرجو أن يكون ذلك موضوعا عني ، مغفورا لي ، إذا علم مني الحرص والاجتهاد ؛ ألا وأنه لا إذن على مظلوم دوني ، وأنا معول كل مظلوم ؛ ألا وأي عامل من عمالي رغب عن الحق ،

ولم يعمل بالكتاب والسنة ، فلا طاعة له عليكم ، وقد صيرت أمره إليكم ، حتى يراجع الحق وهو ذميم ؛ ألا وأنه لا دولة بين أغنيائكم ، ولا أثره على فقراءكم في شيء من فينكم ؛ ألا وأيما وارد ورد في أمر يصلح الله به ، خاصا أو عاما من هذا الدين ؛ فله ما بين مائتي دينار ، إلى ثلاث مائة دينار ، على قدر ما نوى من الحسنه ، وتجشم من المشقة ؛ رحم الله امرأ لم يتعاضمه سفر ، يحيي الله به حقا لمن وراءه ، ولولا أن أشغلكم عن مناسككم ، لرسمت لكم أمورا من الحق أحيها الله لكم ، وأمورا من الباطل أماتها الله عنكم ؛ وكان الله هو المتوحد بذلك ، فلا تحمدوا غيره ، فإنه لو وكلني إلى نفسي : كنت كغيري ؛ والسلام عليكم . (حلية الأولياء 5 / 292 - 293)

قال ميمون بن مهران : سمعت عمر بن عبد العزيز يقول : لو أقمت فيكم خمسين عاما ما استكملت فيكم العدل ، إني لأريد الأمر وأخاف أن لا تحمله قلوبكم فأخرج معه طمعا من الدنيا فإن أنكرت قلوبكم هذا سكنت إلى هذا . (تاريخ دمشق 181/45)

قال عمر بن مهاجر : قال عمر بن عبد العزيز : إذا رأيتني قد ملت عن الحق ، فضع يدك في تلبابي ، ثم هزني ، يا عمر ، ما تصنع ؟ . (حلية الأولياء 5 / 29)

عن عمر بن عبد العزيز : أن رجلا أتاه فقال : زرعت زرعا فمر به جيش من أهل الشام فأفسده ؛ فعوضه عشرة آلاف درهم . (حلية الأولياء 5 / 235)

وخطب سعيد بن سويد بحمص فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس إن للإسلام حائطا منيعا ، وبابا وثيقا ، فحائط الإسلام الحق وبابه العدل ولا يزال الإسلام منيعا ما اشتد السلطان وليست شدة السلطان قتلا بالسيف ولا ضربا بالسوط ولكن قضاء بالحق وأخذنا بالعدل . (العقد الفريد 1 / 27)

قال إبراهيم بن أدهم : كل ملك لا يكون عادلا فهو واللص سواء وكل عالم لا يكون تقيا فهو والذئب سواء وكل من ذل لغير الله فهو والكلب سواء . (سير أعلام النبلاء 7 / 394)

وقال عبد الملك بن مروان لبنيه : كلكم يترشح لهذا الأمر ، ولا يصلح له منكم إلا من كان له سيف مسلول ، ومال مبدول ، وعدل تطمئن إليه القلوب . (العقد الفريد لابن عبد ربه 1 / 23)

قال ابن عبد ربه : قالت الحكماء : مما يجب على السلطان العدل في ظاهر أفعاله لإقامة أمر سلطانه ، وفي باطن ضميره لإقامة أمر دينه ؛ فإذا فسدت السياسة ذهب السلطان . ومدار السياسة كلها على العدل والإنصاف ، لا يقوم سلطان لأهل الكفر والإيمان إلا بهما ولا يدور إلا عليهما ، مع ترتيب الأمور مراتبها وإنزالها منازلها . (العقد الفريد لابن عبد ربه 1 / 23)

قال ابن الوردي في لأميته : جانب السلطان واحذر بطشه لا تعاند من إذا قال فعل الأثار العملية في حياة السلف : عن الشعبي قال : اشترى عمر فرسا من رجل على أن ينظر إليه ، فأخذ الفرس ، فسار به ، فعطب ؛ فقال لصاحب الفرس : خذ فرسك ؛ فقال : لا ؛ قال : فاجعل بيبي وبينك حكما ؛ قال الرجل : شريح ؛ قال : ومن شريح ؟ قال : شريح العراقي ؛ قال : فانطلقا إليه ، فقصبا عليه القصة فقال : يا أمير المؤمنين رد كما أخذته ، أو خذ بما ابتعته ؛ فقال عمر : وهل القضاء إلا هذا ؟ سر إلى الكوفة فإنه لأول يوم عرفة يومئذ . (حلية الأولياء 4 / 135)

عن إبراهيم بن يزيد التيمي عن أبيه قال : وجد علي بن أبي طالب درعا له عند يهودي ، التقطها ، فعرفها ؛ فقال : درعي سقطت عن جمل لي أورك ، فقال اليهودي : درعي ، وفي يدي ؛ ثم قال له اليهودي : بيبي وبينك قاضي المسلمين ، فأتوا شريحا ؛ فلما رأى عليا قد أقبل : تحرف عن موضعه ، وجلس على فيه ؛ ثم قال علي : لو كان خصمي من المسلمين ، لساويته في المجلس ؛ ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تساووه في المجلس ، والجوؤهم إلى أضيق الطرق ، فإن سبوكم ، فاضربوهم ؛ وإن ضربوكم ، فاقتلوهم ثم قال شريح : ما تشاء يا أمير المؤمنين ؟ قال : درعي سقطت عن جمل لي أورك ، والتقطها هذا اليهودي ؛ فقال شريح : ما تقول يا يهودي ؟ قال : درعي ، وفي يدي ؛ فقال شريح : صدقت والله يا أمير المؤمنين ، إنها لدرعك ، ولكن : لا بد من شاهدين ؛ فدعا قنبرا مولاه ، والحسن بن علي ، وشهدا أنها لدرعه ؛ فقال شريح : أما شهادة مولاك ، فقد أجزناها ، وأما شهادة ابنك لك ، فلا نجيزها ؛ فقال علي : ثكلتك أمك ، أما سمعت عمر بن الخطاب يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ؛ قال : اللهم نعم ؛ قال : أفلا تجيز شهادة سيد شباب أهل الجنة ؟ والله ، لأوجهنك إلى بانقيا ، تقضي بين أهلها أربعين يوما ؛ ثم قال لليهودي : خذ الدرع ؛ فقال اليهودي : أمير المؤمنين ، جاء معي إلى قاضي المسلمين ، فقضى عليه ، ورضي ؛ صدقت والله يا أمير المؤمنين ، إنها لدرعك ، سقطت عن جمل لك ، التقطتها ؛ أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ؛ فوهيها له علي ، وأجازه بتسعمائة ؛ وقتل معه يوم صفين . (حلية الأولياء 4 / 139 - 140)

قال وهيب بن الورد : اجتمع بنو مروان على باب عمر بن عبد العزيز وجاء عبد الملك بن عمر ليدخل على أبيه فقالوا له : إما أن تستأذن لنا وإما أن تبلغ أمير المؤمنين عنا الرسالة قال : قولوا ، قالوا : إن من كان قبله من الخلفاء كان يعطينا ويعرف لنا موضعنا وإن أباك قد حرمتنا ما في يديه قال : فدخل على أبيه فأخبره عنهم فقال له عمر : قل لهم : إن أبي يقول لكم : (إنني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم) (الأنعام 15) . (حلية الأولياء 5 / 267)

عن جسر القصاب قال : كنت أحلب الغنم في خلافة عمر بن عبد العزيز ، فمررت براع ، وفي غنمه

نحو من ثلاثين ذنبا ، فحسبتها كلابا ، ولم أكن رأيت الذناب قبل ذلك ، فقلت : يا راع ، ما ترجو بهذه الكلاب كلها ، فقال : يا بني ، إنها ليست كلابا ، إنما هي ذناب ، فقلت : سبحان الله ، ذناب في غنم لا تضرها فقال : يا بني إذا صلح الرأس فليس على الجسد بأس ، وكان ذلك في خلافة عمر بن عبد العزيز . (حلية الأولياء / 5 / 255)

80 - باب وجوب طاعة ولاية الأمور في غير معصية وتحريم طاعتهم في المعصية

قَالَ اللهُ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ [النساء : 59] .

663- وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةَ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ فَإِذَا أُمرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ » متفق عليه .

664- وعنه قال : كُنَّا إِذَا بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ يَقُولُ لَنَا : « فِيمَا اسْتَطَعْتُمْ » متفق عليه .

665- وعنه قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةِ لَقِيَ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا حُجَّةَ لَهُ ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً » رواه مسلم

وفي رواية له : « وَمَنْ مَاتَ وَهُوَ مُفَارِقٌ لِلْجَمَاعَةِ ، فَإِنَّهُ يَمُوتُ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً » . « الْمِيتَةُ » بكسر الميم

666- وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا ، وَإِنْ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ ، كَأَنَّ رَأْسَهُ زَيْبَةٌ » رواه البخاري

667- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « عَلَيْكَ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِي عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ وَمَنْشَطِكَ وَمَكْرَهِكَ وَأَثَرَةٍ عَلَيْكَ » رواه مسلم .

668- وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ ، فَتَزَلْنَا مَزَلًا ، فَمِنَّا مَنْ يُصَلِّحُ خِبَاءَهُ ، وَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُ ، وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَسْرِهِ ، إِذْ نَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ . فَاجْتَمَعْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِمَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ ، وَيُنذِرَهُمْ شَرًّا مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا ، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بِلَاءٌ وَأُمُورٌ تُنْكَرُونَهَا ، وَتَجِيءُ فِتْنٌ يَرِيقُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ : هَذِهِ مُهْلِكَتِي ، ثُمَّ تَنْكَشِفُ ، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ : هَذِهِ هَذِهِ ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُرْخِزَ عَنِ النَّارِ ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ ، فَلْتَأْتِهِ مِيتَتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَلِيَأْتِيَ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ وَمَنْ بَاعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةً يَدِهِ ، وَثَمَرَةَ

قَلْبِهِ . فَلْيُطْعُهُ إِنْ اسْتَطَاعَ ، فَإِنْ جَاءَ آخَرَ يَنَازِعُهُ ، فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخِرِ » رواه مسلم . قَوْلُهُ : « يَنْتَضِلُّ » أَي : يُسَابِقُ بِالرَّمْيِ بِالنَّبْلِ وَالنُّشَابِ . « وَالْجَشْرُ » بَفَتْحِ الْجِيمِ وَالشَّيْنِ الْمَعْجَمَةِ وَبِالرَّاءِ : وَهِيَ الدَّوَابُّ الَّتِي تَرْمِي وَتَبِيْتُ مَكَاتِمَهَا . وَقَوْلُهُ : « يُرْفِقُ بَعْضُهَا بَعْضًا » أَي : يُصَيِّرُ بَعْضُهَا بَعْضًا رَقِيقًا ، أَي : خَفِيفًا لِعِظَمِ مَا بَعْدَهُ ، فَالثَّانِي يُرْفِقُ الْأَوَّلَ . وَقِيلَ : مَعْنَاهُ : يُسَوِّقُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ بِتَحْسِينِهَا وَتَسْوِيلِهَا وَقِيلَ : يُشَبِّهُ بَعْضُهَا بَعْضًا .

669- وَعَنْ أَبِي هُنَيْدَةَ وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَأَلَ سَلْمَةَ بْنَ يَزِيدَ الْجُعْفِيَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، أَرَأَيْتَ إِنْ قَامَتِ عَلَيْنَا أُمْرَاءُ يَسْأَلُونَا حَقَّهُمْ ، وَيَمْنَعُونَا حَقَّنَا ، فَمَا تَأْمُرُنَا ؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ ، ثُمَّ سَأَلَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا ، فَإِنَّمَا عَلِمْتُمْ مَا حُمِلُوا وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِلْتُمْ » رواه مسلم .

670- وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْهَا سَتَكُونُ بَعْدِي آثَرَةٌ ، وَأُمُورٌ تُنْكَرُونَهَا ، » قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَيْفَ تَأْمُرُ مَنْ أَدْرَكَ مِنَّا ذَلِكَ ؟ قَالَ : « تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ ، وَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الَّذِي لَكُمْ » متفقٌ عليه .

671- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ ، وَمَنْ يُطِيعِ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي ، وَمَنْ يَعْصِ الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي » متفقٌ عليه .

672- وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شَبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً » متفقٌ عليه .

673- وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَنْ أَهَانَ السُّلْطَانَ أَهَانَهُ اللَّهُ » رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

وفي الباب أحاديث كثيرة في الصحيح ، وقد سبق بعضها في أبواب .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

عن السدي : أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم . قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية عليها خالد بن الوليد ، وفيها عمار بن ياسر ، فساروا قبل القوم الذين يريدون ، فلما بلغوا قريبا منهم عرسوا ، وأتاهم ذو العيينتين فأخبرهم ، فأصبحوا قد هربوا غير رجل . فأمر أهله فجمعوا متاعهم ثم أقبل يمشي في ظلمة الليل ، حتى أتى عسكر خالد ، فسأل عن عمار بن ياسر ،

فأتاه فقال : يا أبا اليقظان ، إني قد أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن قومي لما سمعوا بكم هربوا ، وإني بقيت ، فهل إسلامي نافعي غدا ، وإلا هربت ؟ قال عمار : بل هوينفعك ، فأقم . فأقام ، فلما أصبحوا أغار خالد فلم يجد أحدا غير الرجل ، فأخذه وأخذ ماله . فبلغ عمارا الخبر ، فأتى خالد فقال : خل عن الرجل ، فإنه قد أسلم ، وأنه في أمان مني . فقال خالد : وفيم أنت تجير ؟ فاستبأ وارتفعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأجاز أمان عمار ، ونهاه أن يجير الثانية على أمير . فاستبأ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال خالد : يا رسول الله ، أتترك هذا العبد الأجدع يسبني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يا خالد ، لا تسب عمارا ، فإنه من يسب عمارا يسبه الله ، ومن يبغضه يبغضه الله ومن يلعن عمارا يلعنه الله " فغضب عمار فقام ، فقبعه خالد حتى أخذ بثوبه فاعتذر إليه ، فرضي عنه ، فأنزل الله عز وجل قوله : أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم . (تفسير بن كثير 2 / 345)

عن ابن عباس في قوله : وأولي الأمر منكم يعني : أهل الفقه والدين وأهل طاعة الله الذين يعلمون الناس معاني دينهم ، ويأمرونهم بالمعروف ، وينهونهم عن المنكر فأوجب الله طاعتهم على العباد . (تفسير الدر المنثور 4 / 505)

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قال أبي بكر الصديق رضي الله عنه بعد أن بايعه الناس بالخلافة ، ميينا سنة هذه الأمة في تحقيق العدل وترسيخه ، وإزالة الظلم والطغيان : أما بعد أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني الصدق أمانة ، والكذب خيانة والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله ، والقوى فيكم ضعيف عندي حتى أخذ الحق منه إن شاء الله لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء ، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله ، فلا طاعة لي عليكم ، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله . (السيرة النبوية لابن هشام 4 / 240)

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه تلا قوله تعالى : (يا أيها الناس عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) فقال : أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية فتضعونها في غير موضعها وإني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيرونه أوشك أن يعمهم بعقابه . وقد ورد أن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقابه منه . (تفسير بن كثير 3 / 213)

عن محمد بن سيرين قال : كان أبو بكر وعمر يعلمان الرجل إذا دخل في الإسلام يقولان : تعبد الله ،

ولا تشرك به شيئا ، وتصلي الصلاة التي افترضها الله عز وجل عليك لميقاتها ؛ فإن في تفريطها الهلكة ، وتؤدي الزكاة طيبة بها نفسك ، وتصوم رمضان ، وتسمع وتطيع لمن ولاه الله الأمر . قال وقد قال لرجل وتعمل لله ، ولا تعمل للناس . (الإيمان للعدنى 1 / 80)

قال سويد بن غفلة: قال لي عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعلك تخلف بعدي فأطع الإمام وإن كان عبدا حبشيا وإن ضربك فاصبر وإن حرمك فاصبر وإن دعاك إلى أمر منقصة من دنياك فقل سمعا وطاعة دمي دون ديني . (الشريعة للاجرى 1 / 38)

قال على بن أبي طالب : لا يصلح الناس إلا أمير بر كان أو فاجر قالوا يا أمير المؤمنين : هذا البر فكيف بالفاجر ؟ ! قال : إن الفاجر يؤمن الله عز وجل به السبل ويجاهد به العدو ويحيى به الفياء وتقام به الحدود ويحج به البيت ويعبد الله فيه المسلم آمنا حتى يأتيه أجله . (شعب الإيمان 10 / 15)

قال عمرو بن العاص لابنه : سلطان عادل خير من مطر وابل وأسد حطوم خير من أمام ظلوم وسلطان غشوم ظلوم خير من فتنة تدوم . (تاريخ دمشق 46 / 184)

قال عبد الله بن مسعود : إذا كان الإمام عادلا فله الأجر وعليك الشكر وإذا كان جائرا فعليه الوزر وعليك الصبر . (عيون الأخبار لابن قتيبة 49 / 1)

قال أبو الدرداء : إن أول نفاق المرء طعنة على إمامة . (التمهيد 21 / 287)

وجاء عنه أنه قال : إياكم ولعن الولاة فإن لعنهم الحالقة وبغضهم العاقرة . قيل : يا أبا الدرداء فكيف نضنع إذا رأينا منهم ما لا نحب ؟ قال : اصبروا ، فإن الله إذا رأى ذلك منهم حبسهم عنكم بالموت . (السنة لابن أبي عاصم حديث 846 - 2 / 488)

قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه : ما مشى قوم إلى سلطان الله في الأرض ليزلوه إلا أذلهم الله قبل أن يموتوا . (شرح السنة للبيغوى 10 / 54)

قال أنس بن مالك : نهانا كبرأؤنا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تسبوا أمراءكم ولا تغشوهم ، ولا تبغضوهم واتقوا الله واصبروا فإن الأمر قريب . (أخرجه بن أبي عاصم في السنة 2 / 488)

قال معاذ بن جبل : الأمير من أمر الله عز وجل فمن طعن في الأمير فإنما يطعن في أمر الله عز وجل . (السنن الواردة في الفتن للداني 1 / 404 رقم 147)

عن هلال بن أبي حميد قال : سمعت عبد الله بن عكيم يقول : لا أعين على دم خليفة أبدا بعد

عثمان فيقال له : يا أبا معبد أو أعنت على دمه ؟ ! فيقول : أني أعد ذكر مساوية عوننا على دمه .
(الطبقات الكبرى 6 / 115)

قال أبي إسحاق السبيعي: ما سب قوم أميرهم ، إلا حرموا خيرهم . (التمهيد 21 / 287)

قال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله وقد قيل له : متى يعلم الرجل أنه على السنة والجماعة ؟ قال إذا عرف من نفسه عشر خصال : لا يترك الجماعة ، ولا يسب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولا يخرج على هذه الأمة بالسيف ولا يكذب بالقدور ولا يشك في الإيمان ، ولا يماري في الدين ، ولا يترك الصلاة على من يموت من أهل القبلة بالذنب ، ولا يترك المسح على الخفين ، ولا يترك الجماعة خلف كل وال جار أو عدل . (شرح الاعتقاد للالكائي 183 / 1)

وقال سهل بن عبد الله التستري : لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء فإن عظموا هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم وإن استخفوا بهذين أفسدوا دنياهم وأخراهم .
(تفسير القرطبي 5 / 260 - 261)

قال عبد الله بن المبارك : لولا الأئمة لم يأمن لنا سبل وكان أضعفنا نهبا لا قوانا .
(غذاء الألباب 1 / 231)

عن الزبيرقان قال : كنت عند أبي وائل شقيق بن سلمه فجعلت أسب الحجاج ، وأذكر مساوية قال : لا تسبه وما يدريك لعله يقول : اللهم اغفر لي فغفر له . (الزهد لهناد 1 / 464)

وقيل أن الحسن البصري سمع رجلا يدعو على الحجاج فقال : لا تفعل رحمك الله إنهم من أنفسكم أوتيتم إنما أخاف أن عزل الحجاج أو مات أن تليكم القردة والخنزير .
(آداب الحسن البصري 119)

الحجاج بن يوسف الثقفي عذاب الله : قال عنه الحسن البصري : إن الحجاج عذاب الله ، فلا تدفعوا عذاب الله بأيديكم ، ولكن عليكم بالاستكانة والتضرع ، فإنه تعالى يقول : (ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لهم وما يتضرعون) (المؤمنون 76) . (الطبقات الكبرى 7 / 164)

بإسناد صحيح . قال الحسن في الأمراء : هم الذين يلون من أمورنا خمسا : الجمعة والجماعة والعيد والثغور والحدود والله لا يستقيم الدين إلا بهم وإن جاروا وظلموا والله لما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون من أن طاعتهم والله لغبطة وأن فرقهم لكفر . (جامع العلوم والحكم 2 / 117)

جاء عن إدريس الخولاني في زمان عبد الملك يقول : إياكم والطعن على الأئمة فإن الطعن عليهم هي

الحالقة حالقه الدين ليس حالقه الشعر ألا إن الطعانين هم الخائبون وشرار الأشرار .
(الأموال 1 / 80)

قال أبي مجلز: سب الإمام الحالقة لا أقول: حالقه الشعر ولكن حالقه الدين . (الأموال 1 / 78)
قال الثوري: يا شعيب لا ينفك ما كتبت حتى ترى الصلاة خلف كل بروفاجر والجهاد ماض إلى
يوم القيامة والصبر تحت لواء السلطان جار أم عدل . (شرح أصول اعتقاد أهل السنة 1 / 172)
وقال الفضيل: لو كانت لي دعوة مستجابة لم أجعلها إلا في إمام لأنه إذا صلح الإمام أمن البلاد
والعباد . (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة 1 / 172 - 176)

قال مالك بن دينار: جاء في بعض كتب الله أنه قال: أنا الله مالك الملك قلوب الملوك بيدي فمن
أطاعني جعلتهم عليه رحمة ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة ، فلا تشغلوا أنفسكم بسب الملوك ،
ولكن توبوا أعظفهم عليكم . (شرح العقيدة الطحاوية 368)

عن محمد بن المنكدر قال: لما بويع يزيد بن معاوية ذكر ذلك لابن عمرو فقال: إن كان خيرا رضينا
وإن كان شرا صبرنا . (أصول السنة لابن أبي زمنين 240)

قال كعب الأحبار: السلطان ظل الله في الأرض ، فإذا عمل بطاعة الله ، كان له الأجر وعليكم الشكر
، وإذا عمل بمعصية الله ، كان عليه الوزر وعليكم الصبر ، ولا يحملنك حبة على أن تدخل في
معصية الله ولا بغضه على أن تخرج من طاعته . (النصيحة للراعي والرعية للتبريزي 241)

عن عمر بن يزيد العبيدي قال: سمعت الحسن أيام يزيد بن المهلب قال: وأناه رهط فأمرهم أن
يلزموا بيوتهم ، ويغلقوا أبوابهم ثم قال: والله لو أن الناس إذا ابتلوا من قبل سلطانهم صبروا ما
لبثوا أن يرفع عنهم ، وذلك أنهم يفزعون إلى السيف فيوكلون إليه ، والله ما جاؤوا بيوم خير قط
، ثم تلا قوله تعالى (وتمت كلمت ربك الحسنی على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع
فرعون وقومه وما كانوا يعرشون) (الأعراف 137) . (الشريعة للاجری 1 / 373 - 374 رقم: 62)

قال أبو الحسن الأشعري وأجمعوا على السمع والطاعة لأئمة المسلمين . من بروفاجر لا يلزم
الخروج عليهم بالسيف جار أو عدل . (رسالة إلى أهل الثغر 296)

قال أبو مالك: كان الحسن إذا قيل له: ألا تخرج فتغير، قال: يقول: إن الله إنما يغير بالتوبة ، ولا
يغير بالسيف . (الطبقات الكبرى لابن سعد 9 / 172) وقال النووي: أجمع العلماء على وجوب
طاعة الأمير في غير معصية ، وعلى تحريمها في المعصية . (شرح مسلم - 12 / 222)

أقوال أصحاب المذاهب الأربعة في وجوب طاعة الحاكم المتغلب :

1 - الحنفية : قال الحصكفي الحنفي (ت 1088 هـ) في الدر المختار : وتصح سلطنة متغلب للضرورة .

وقال ابن عابدين الحنفي (ت 1252 هـ) في حاشيته (4 / 450) : الإمام يصير إماما بالمبايعة أو بالاستخلاف ممن قبله . قوله : (يصير إماما بالمبايعة) وكذا باستخلاف إمام قبله ، وكذا بالتغلب والقهر كما في شرح المقاصد .

2 - المالكية : قال ابن أبي زيد القيرواني المالكي (ت 386 هـ) ويلقب بـ " مالك الصغير " ، قال : في رسالته المعروفة " مقدمة ابن أبي زيد القيرواني " : فمما أجمعت عليه الأمة من أمور الديانة ، ومن السنن التي خلافها بدعة وضلالة ثم قال : والسمع والطاعة لأئمة المسلمين ، وكل من ولي من أمر المسلمين عن رضا أو عن غلبة ، فاشتدت وطأته من برأ أو فاجر ، فلا يخرج عليه جار أم عدل ثم قال : وكل ما قدمنا ذكره فهو قول أهل السنة وأئمة الناس في الفقه والحديث على ما بيناه ، وكله قول الإمام مالك فمنه منصوص من قوله ومن معلوم من مذهبه . وهذا كلام يحيى بن يحيى المالكي تلميذ مالك وراوي الموطأ في " الاعتصام " للشاطبي " أن يحيى بن يحيى قيل له : البيعة مكروهة ؟ قال : لا . قيل له : فإن كانوا أئمة جور ، فقال : قد بايع ابن عمر لعبد الملك بن مروان وبالسيف أخذوا الملك ، أخبرني بذلك مالك عنه ، أنه كتب إليه : أقرله بالسمع والطاعة على كتاب الله وسنة نبيه . قال يحيى بن يحيى : والبيعة خير من الفرقة .

وقال الدردير المالكي (ت 1201 هـ) في شرح الكبير (4 / 298) : اعلم أن الإمامة العظمية تثبت بأحد أمور ثلاثة إما بإيضاء الخليفة الأول لمتأهل لها وإما بالتغلب على الناس لأن من اشتدت وطأته بالتغلب وجبت طاعته ولا يراعى في هذا شروط الإمامة إذ المدار على درء المفسد وارتكاب أخف الضررين .

3 - الشافعية : قال الإمام الشافعي (ت 204 هـ) : كل من غلب على الخلافة بالسيف حتى يسمى خليفة ويجمع الناس عليه فهو خليفة . (رواه البيهقي في مناقب الشافعي (1 / 449) باب ما يؤثر عنه في قتال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أهل القبلة)

وقال ابن حجر الهيتمي الشافعي (ت 973 هـ) في " تحفة المحتاج في شرح المنهاج " : المتغلب يصير كالحاكم لدفع المفسد المتولدة بالفتن لمخالفته .

4 - الحنابلة : قال الإمام أحمد بن حنبل : من خرج على إمام من أئمة المسلمين وقد كان الناس

اجتمعوا عليه وأقروا له بالخلافة بأي وجه كان بالرضا أو بالغلبة فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين وخالف الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطريق . (طبقات الحنابلة 1 / 241 - 246)

الإمام أحمد قال عن الإمام : وإني لأدعو له بالتسديد والتوفيق في الليل والنهار ، والتأييد ، وأرى ذلك واجبا علي . وقال : لئن حدث به حدث ؛ لتنظرن ما يحل بالإسلام . (السنة للخلال 1 /)

قال الإمام أحمد : لا يتعرض للسلطان فإن سيفه مسلول وعصاة . (الآداب الشرعية 1 / 196)

قال أحمد بن حنبل في ولاية الواثق : اجتمع فقهاء بغداد إلى أبي عبد الله أبو بكر بن عبيد وإبراهيم بن علي المطبخي وفضل بن عاصم فجاءوا إلى أبي عبد الله فاستأذنت لهم فقالوا : يا أبا عبد الله هذا الأمر قد تفاقم وفشا يعنون إظهاره لخلق القرآن وغير ذلك فقال لهم أبو عبد الله : فما تريدون ؟ قالوا : إن نشاورك في أنا لسنا نرضى بإمرته ولا سلطانه فناظرهم أبو عبد الله ساعة وقال لهم : عليكم بالنكرة بقلوبكم ولا تخلعوا يدا من طاعة ولا تشقوا عصا المسلمين ولا تسفكوا دماءكم ودماء المسلمين معكم انظروا في عاقبة أمركم واصبروا حتى يستريح برأ ويستريح من فاجر ودار في ذلك كلام كثير لم أحفظه ومضوا ودخلت أنا وأبي على أبي عبد الله بعدما مضوا فقال أبي لأبي عبد الله : نسأل الله السلامة لنا ولأمة محمد وما أحب لأحد أن يفعل هذا وقال أبي : يا أبا عبد الله هذا عندك صواب قال : لا هذا خلاف الآثار التي أمرنا فيها بالصبر . (السنة للخلال حديث 1 / 133 - 134) وقال أيضا : ومن غلب عليهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين ، فلا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إماما برا كان أو فاجرا . (الأحكام السلطانية لأبي يعلى 23 - فصول في الإمامة)

وسئل رحمه الله : في الإمام يخرج عليه من يطلب الملك ، فيفتتن الناس فيكون مع هذا قوم ومع هذا قوم ، مع من تكون الجمعة ؟ قال : مع من غلب . (الأحكام السلطانية لأبي يعلى ص 23)

وقال ابن قدامة الحنبلي (ت 621 هـ) في المغني (5 / 9) :

وجملة الأمر أن من اتفق المسلمون على إمامته ، وبيعته ، ثبتت إمامته ووجبت معونته لما ذكرنا من الحديث والإجماع ، وفي معناه من ثبتت إمامته بعهد النبي أو بعده إمام قبله إليه فإن أبا بكر ثبتت إمامته بإجماع الصحابة على بيعته ، وعمر ثبتت إمامته بعهد أبي بكر إليه ، وأجمع الصحابة على قبوله ، ولو خرج رجل على الإمام فقهروه وغلب الناس بسيفه حتى أقروا له وأذعنوا بطاعته وتابعوه

صار إماما يحرم قتاله والخروج عليه ، فإن عبد الملك بن مروان خرج على ابن الزبير ، فقتله واستولى على البلاد وأهلها حتى بايعوه طوعا وكرها ، فصار إماما يحرم . قال الحسن البرهاري : من خرج على إمام من أئمة المسلمين فهو خارجي قد شق عصا المسلمين وخالف الآثار وميئته ميتة جاهلية ، ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه وإن جار وذلك لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي ذر الغفاري اصبر وإن كان عبدا حبشيا وقوله للأَنْصار اصبروا حتى تلقوني على الحوض وليس من السنة قتال السلطان فإن فيه فساد الدنيا والدين ، ويحل قتال الخوارج إذا عرضوا للمسلمين في أموالهم وأنفسهم وأهلهم وليس له إذا فارقه أن يظلمهم ولا يجهز على جريحهم ولا يأخذ فيهم ولا يقتل أسيرهم ولا يتبع مدبرهم وأعلم أنه لا طاعة لبشر في معصية الله عزوجل . (شرح السنة 29)

قال البرهاري رحمه الله : إذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى ، وإذا سمعت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله . (شرح السنة 113)

قال الطحاوي : ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا ولا ندعوا عليهم ولا ننزع يدا من طاعتهم ونرى طاعتهم من طاعة الله عزوجل فريضة ما لم يأمرنا بمعصية وندعوا لهم بالصلاح والمعافاة . (متن العقيدة الطحاوية 47)

وقال الأجري : من أمر عليك من عربي أو غيره ، أسود أو أبيض ، أو أعجمي ، فأطعه فيما ليس لله عزوجل فيه معصية ، وإن ظلمك حقا لك ، وإن ضربك ظلما ، وانتك عرضك وأخذ مالك ، فلا يحملك ذلك على أنه يخرج عليه سيفك حتى تقتله ، ولا تخرج مع خارجي حتى تقتله ، ولا تحرض غيرك على الخروج عليه ، ولكن اصبر عليه وقال الطحاوي في عقيدة أهل السنة : ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا ، وإن جاروا ، ولا ندعوا عليهم ، ولا ننزع يدا من طاعتهم ، ونرى طاعتهم من طاعة الله عزوجل فريضة ، ما لم يأمرنا بمعصية ، وندعوا لهم بالصلاح والمعافاة . (الشريعة للأجري 40)

قال الشوكاني رحمه الله : ثم إذا لم يثبت على ذلك كان عليهم أمره بما هو معروف ونهيه عما هو منكرولا يجوز لهم أن يطيعوه في معصية الله ولا يجوز لهم أيضا الخروج عليه ومحاكمته إلى السيف فإن الأحاديث المتواترة قد دلت على ذلك دلالة أوضح من شمس النهار . (السيل الجرار 4 / 509)

وقال الإمام المزني والطاعة لأولي الأمر فيما كان عند الله عزوجل مرضيا واجتتاب ما كان عند الله مسخطا وترك الخروج عند تعديهم وجورهم والتوبة إلى الله عزوجل كيما يعطف بهم على رعيته . (شرح السنة للمزني 86 - 87)

قال ابن رجب : وأما السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين ففيها سعادة الدنيا وبها تنظيم مصالح العباد في معاشهم وبها يستعينون على إظهار دينهم وطاعة ربهم . (جامع العلوم والحكم 2 / 117)

قال ابن تيمية رحمه الله : أمر النبي عليه السلام بالصبر على جور الأئمة ونهى عن قتالهم ما أقاموا الصلاة وقال : أدوا إليهم حقوقهم وسلوا الله حقوقكم ولهذا كان من أصول السنة والجماعة لزوم الجماعة وترك قتال الأئمة وترك القتال في الفتنة . (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر 20)

وقال أيضا : الصبر على جور الأئمة أصل من أصول أهل السنة والجماعة . (الفتاوى 28 / 179)

قال ابن تيمية : ولهذا روي أن السلطان ظل الله في الأرض ويقال : ستون سنة من أمام جائر أصلح من ليلة واحدة بلا سلطان ، والتجربة تبين ذلك . فالواجب اتخاذ الإمارة دينا وقربة يتقرب بها إلى الله ، فإن التقرب إليه فيها بطاعته وطاعة رسوله من أفضل القربات ، وإنما يفسد فيها حال أكثر الناس لابتغاء الرياسة أو المال . (مجموع الفتاوى ج 28 / 290 - 291)

ويقول أيضا : أن المشهور من مذهب أهل السنة أنهم لا يرون الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف وإن كان فيهم ظلم لأن الفساد في القتال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال ولا فتنة فيدفع أعظم الفسادين بالتزام الأدنى . (منهج السنة 2 / 87)

قال النووي : قوله صلى الله عليه وسلم إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان هكذا هو لمعظم الرواة وفي معظم النسخ بواحا بالواو وفي بعضها بواحا والباء مفتوحة فيهما ومعناها كفرا ظاهرا والمراد بالكفر هنا المعاصي ومعنى عندكم من الله فيه برهان أي تعلمونه من دين الله تعالى ومعنى الحديث لا تنازعوا ولاية الأمور في ولايتهم ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكرا محققا تعلمونه من قواعد الإسلام فإذا رأيتم ذلك فأنكروه عليهم وقولوا بالحق حيث ما كنتم وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين وإن كانوا فسقة ظالمين وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته وأجمع أهل السنة أنه لا ينعزل السلطان بالفسق . (شرح النووي على مسلم 12 / 228) .

أدله القائلين بالجواز:

وقال العلائي رحمه الله في (المجموع المذهب في قواعد المذهب) :

الإمام الأعظم إذا طرأ فسقه ، فيه ثلاثة أوجه : أحدها : إنه ينعزل ، وصححه في البيان . الثاني : لا ينعزل وصححه كثيرون ، لما في إبطال ولايته من اضطراب الأحوال . الثالث : إن أمكن استتابته أو

تقويم أوده ، لم يخلع ، وإن لم يمكن ذلك ، خلع . (العواصم والقواصم لليمانى 8 / 15)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من نبي بعثه الله قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل . (صحيح مسلم رقم 188)

قال ابن رجب معلق على هذا الحديث : وهذا يدل على جهاد الأمراء باليد . (جامع العلوم 304)

مذهب سيد الفقهاء أبي حنيفة رحمه الله : فالمشهور من مذهبه جواز قتال حكام الجور والظلمة ، والقول بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالسيف . (أحكام القرآن للجصاص 61)

ولقد أيد الإمام أبو حنيفة وساعد كل من خرج على أئمة الجور في عصره ، كزيد بن علي في خروجه على الخليفة الأموي فقد أمده أبو حنيفة بالمال ، وكان ينصح الناس ويأمرهم بالوقوف إلى جانبه ، وهذا ما ذكره الجصاص في هذه المسألة : وقضيته في أمر زيد بن علي مشهورة وفي حملة المال إليه وفتياه الناس سرا في وجوب نصرته والقتال معه . (أحكام القرآن للجصاص 61)

أما نجم العلماء ومفتي المدينة الإمام مالك فقد روى ابن جرير عنه أنه أفتى الناس بمبايعة محمد بن عبد الله بن الحسن الذي خرج سنة 145 هـ ، فقيل له : فإن في أعناقنا بيعة للمنصور ، فقال : إنما كنتم مكرهين وليس لمكره بيعة ، فبايعة الناس عند ذلك عن قول مالك ولزم مالك بيته . (الدولة الإسلامية لبشير أحمد نقلا عن البداية والنهاية لابن كثير)

وقد أفتى الإمام مالك للناس بمبايعة محمد بن عبد الله بن حسن عندما خلع الخليفة المنصور ، حتى قال الناس لمالك : في أعناقنا بيعة للمنصور ، قال : إنما كنتم مكرهين ، وليس لمكره بيعة ، فبايع الناس محمد بن عبد الله بن حسن عملا بفتوى الإمام مالك . (البداية والنهاية 10 / 48)

وقد ذكر ابن أبي يعلى في ذيل طبقات الحنابلة عن الإمام أحمد في رواية : من دعا منهم إلى بدعة فلا تجيبوه ولا كرامة وأن قدرتم على خلعه فافعلوا . (طبقات الحنابلة 2 / 305)

وقد ذكر ابن العربي أقوال علماء المالكية : إنما يقاتل مع الإمام العدل سواء كان الأول أو الخارج عليه فإن لم يكونا عدلين فأمسك عنهما إلا أن تراء بنفسك أو مالك أو ظلم المسلمين فادفع ذلك . (أحكام القرآن لابن العربي)

وكذلك قال ابن العربي : وقد روى ابن القاسم عن مالك : إذا خرج على الإمام العدل ، خارج وجب

الدفع عنه ، مثل عمر بن عبد العزيز ، فأما غيره فدعه ينتقم الله من ظالم بمثله ثم ينتقم الله من كليهما قال الله تعالى : (فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا) (الإسراء 5) قال مالك : إذا بويع للإمام فقام عليه إخوانه قوتلوا إن كان الأول عدلا فأما هؤلاء فلا بيعة لهم ، إذا كان بويع لهم على الخوف . (أحكام القرآن لابن العربي)

قال ابن حزم : والواجب أن وقع شيء من الجور وإن قل أن يكلم الإمام في ذلك ويمنع منه ، فإن امتنع وراجع الحق ، وأذعن للقيود من البشرة ، أو من الأعضاء ، ولإقامة حد الزنا والقذف والخمر عليه فلا سبيل إلى خلعه وهو إمام كما كان لا يحل خلعه . فإن امتنع من إنفاذ شيء من هذه الواجبات عليه ولم يراجع وجب خلعه وإقامة غيره ، ممن يقوم بالحق لقوله تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى ؟ ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب) (المائدة 2) ولا يجوز تضييع شيء من واجبات الشرائع . وبالله التوفيق . (الفصل في الملل والأهواء والنحل 3 / 100 - 106)

قال الحافظ ابن حجر في ترجمة الحسن بن صالح بن حي رحمه الله : وقولهم : كان يرى السيف يعني كان يرى الخروج بالسيف على أئمة الجور وهذا مذهب للسلف قديم لكن استقر الأمر على ترك ذلك لما رأوه قد أفضى إلى أشد منه . (التهذيب 2 / 288)

قال الشوكاني : نقل ابن التين عن الداودي قال الذي عليه العلماء في أمراء الجور أنه إن قدر على خلعه بغير فتنة ولا ظلم وجب وإلا فالواجب الصبر وعن بعضهم لا يجوز عقد الولاية لفاسق ابتداء فإن أحدث جورا بعد أن كان عدلا فاختلفوا في جواز الخروج عليه والصحيح المنع إلا أن يكفر فيجب الخروج عليه . (نيل الأوطار 7 / 175)

وكذلك ذكر الجصاص أن كبار التابعين قد نابذوا الحجاج بالسيف ، حيث قال : " وقد كان الحسن وسعيد بن جبيرة والشعبي وسائر التابعين يأخذون أرزاقهم من أيدي هؤلاء الظلمة ، لا على أنهم كانوا يتولونهم ولا يرون إمامتهم ، وإنما كانوا يأخذونها على أنها حقوق لهم في أيدي قوم فجرة . وكيف يكون ذلك على وجه موالاتهم وقد ضربوا وجه الحجاج بالسيف ، وخرج عليه من القراء أربعة آلاف رجل هم خيار التابعين وفقهاؤهم فقاتلوه مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بالأهواز ثم بالبصرة ثم بدير الجماجم من ناحية الفرات بقرب الكوفة وهم خالعون لعبد الملك بن مروان لاعتنوا لهم متبرنون منهم . (الخلافة والملك للمودودي نقلا عن الطبري)

كذلك حين ثار عبد الرحمن بن الأشعث على الدولة الأموية في زمن ولاية الحجاج الظالمة وقف إلى

جانبه آنذاك أكابر الفقهاء أمثال سعيد بن جبيرة والشعبي وابن أبي ليلى وأبي البخري ، ويذكر ابن كثير أن فرقة عسكرية من القراء (يعني العلماء والفقهاء) وقفت معه ولم يقل واحد من العلماء الذين قعدوا عن القيام معه أن خروجه هذا غير جائز ، والخطب التي ألقاها هؤلاء الفقهاء أمام جيش بن الأشعث تترجم نظريتهم ترجمة أمينة ، قال ابن أبي ليلى : أيها المؤمنون إنه من رأى عدوانا يعمل به ومنكرا يدعى إليه فأنكره بقلبه فقد سلم وبرئ ، ومن أنكره بلسانه فقد أجر وهو أفضل من صاحبه ، ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الظالمين السفلى فذلك الذي أصاب سبيل الهدى ونور في قلبه اليقين ، فقاتلوا هؤلاء المحلين المحدثين المبتدعين الذين قد جهلوا الحق فلا يعرفونه وعملوا بالعدوان فلا ينكرونه . وقال الشعبي : يا أهل الإسلام قاتلوهم ولا يأخذكم حرج في قتالهم ، فوالله ما أعلم قوما على بساط الأرض أعمل بظلم ولا أجور منهم في الحكم ، فليكن بهم البدار . وقال سعيد بن جبيرة : قاتلوهم ولا تأثموا من قتالهم بنية ويقين ، وعلى آثامهم قاتلوهم على جورهم في الحكم وتجبرهم في الدين واستذلّ لهم الضعفاء وإما تهم الصلاة . (الخلافة والملك للمودودي نقلا عن الطبري)

ثالثا : وجوب الخروج على الحاكم الكافر أو الذي صدر منه كفر بواح بلا خلاف : لاخلاف بين العلماء قديما وحديثا على الخروج على الحاكم الكافر أو الحاكم الذي صدر منه كفر حتى وإن لم يتعين تكفيره ونقل الإجماع كثير ومنهم : ابن حجر : وإذا وقع من السلطان الكفر الصريح فلا تجوز طاعته في ذلك بل تجب مجاهدته لمن قدر عليها كما في الحديث . يعني حديث عبادة الأنف الذكر . (فتح الباري 7 / 13)

وقال في موضع آخر : (إنه - أي الحاكم - ينعزل بالكفر إجماعا ، فيجب على كل مسلم القيام في ذلك ، فمن قوي على ذلك فله الثواب ، ومن داهن فعله الإثم ، ومن عجز وجبت عليه الهجرة من تلك الأرض) . (فتح الباري 13 / 123) .

رد بعض أهل العلم على من ادعى الإجماع على عدم الخروج على الحاكم الجائر : كثير من العلماء رد عليهم ومنهم :

قال الإمام ابن حزم رحمه الله : ورأيت لبعض من نصب نفسه للإمامة والكلام في الدين ، فصولا ذكر فيها الإجماع ، فأتى فيها بكلام ، لو سكت عنه ، لكان أسلم له في أخراه ، بل الخرس كان أسلم له ، وهو ابن مجاهد البصري المتكلم الطائي ، لا المقرئ ، فإنه ادعى فيه الإجماع أنهم أجمعوا على أنه لا يخرج على أئمة الجور ، فاستعظمت ذلك ولعمري إنه لعظيم أن يكون قد علم أن مخالف الإجماع كافر ، فيلقي هذا إلى الناس ، وقد علم أن أفاضل الصحابة وبقية السلف يوم الحرة

خرجوا على يزيد بن معاوية ، وأن ابن الزبير ومن تابعة من خيار الناس خرجوا عليه ، وأن الحسين بن علي ومن تابعة من خيار المسلمين خرجوا عليه أيضا ، رضي الله عن الخارجين عليه ، ولعن قتلهم ، وأن الحسن البصري وأكابر التابعين خرجوا على الحجاج بسيفهم ، أترى هؤلاء كفروا ؟ بل والله من كفرهم ، فهو أحق بالكفر منهم ، ولعمري لو كان اختلافا - يخفى - لعذرناه ، ولكنه مشهور يعرفه أكثر من في الأسواق والمخدرات في خدورهن لاشتهاره ، ولكن يحق على المرء أن يخطم كلامه ويزمه إلا بعد تحقيق وميز ويعلم أن الله تعالى بالمرصاد ، وأن كلام المرء محسوب مكتوب مسؤول عنه يوم القيامة مقلدا أجر من اتبعه عليه أو وزره . (مراتب الإجماع ص 166)

والقاضي عياض رحمه الله : وذكر دعوى ابن مجاهد للإجماع .

قال القاضي عياض : ورد عليه هذا بعضهم بقيام الحسين بن علي رضي الله عنه وابن الزبير ، وأهل المدينة على بني أمية وقيام جماعة عظيمة من التابعين والصدر الأول على الحجاج مع ابن الأشعث وتأول هذا القائل قوله : (أن لا تنازع الأمر أهله) على أئمة العدل قال عياض : وحجة الجمهور : أن قيامهم على الحجاج ليس لمجرد الفسق بل لما غير من الشرع ، وأظهر من الكفر . (إكمال المعلم للقاضي عياض 6 / 128) . (شرح النووي لصحيح مسلم 12 / 229)

نقول بعض العلماء الإجماع على وجوب الخروج على الحاكم إن غير الشرع أو ترك قاعدة من قواعد الدين أو دعا لبدعة : نقل الإجماع كثير من العلماء ومنهم : وقال القاضي عياض : أجمع العلماء على أن الإمامة لا تنعقد لكافر وعلى أنه لو طرأ عليه كفر ، أو تغيير للشرع أو بدعة خرج عن حكم الولاية ، وسقطت طاعته ، ووجب على المسلمين القيام عليه ونصب إمام عادل إن أمكنهم ذلك ، فإن لم يقع ذلك إلا لطائفة ، وجب عليهم القيام بخلع الكافر ، ولا يجب على المبتدع القيام إلا إذا ظنوا القدرة عليه ، فإن تحققوا العجز ، لم يجب القيام ، ولهباجر المسلم عن أرضه إلى غيرها ويفر بدينه . وقال بعضهم : يجب خلعه إلا أن يترتب عليه فتنة وحرب . (صحيح مسلم شرح النووي 12 / 229) . (العواصم والقواصم الجزء 8 ص 12)

وقال الإمام السفاسقي رحمه الله : أجمعوا على أن الخليفة إذا دعا إلى كفر أو بدعة يثار عليه . (إرشاد الساري بشرح صحيح البخاري 10 / 217)

وقال الإمام القرطبي : قوله : (على المرء المسلم السمع والطاعة) ظاهر في وجوب السمع والطاعة للأئمة والأمراء ، والقضاة . ولا خلاف فيه إذا لم يأمر بمعصية . فإن أمر بمعصية فلا تجوز طاعته في تلك المعصية قولاً واحداً ، ثم إن كانت تلك المعصية كفراً : وجب خلعها على المسلمين كلهم . وكذلك : لو ترك إقامة قاعدة من قواعد الدين : كإقام الصلاة ، وصوم رمضان ، وإقامة الحدود ،

ومنع من ذلك . وكذلك لو أباح شرب الخمر ، والزنى ، ولم يمنع منهما ، لا يختلف في وجوب خلعه .
(المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم 98 / 12)

العلامة بن عطية المالكي الأندلسي : حيث نقل عنه القرطبي في تفسيره قوله : (الشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام من لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب هذا ما لا خلاف فيه .

خلاصة القول : مسألة الخروج على الحاكم الجائر خلافية والراجح فيها : الخروج فيه تفصيل فقال الإمام الداودي البغدادي رحمه الله : الذي عليه العلماء في أمراء الجور أنه إن قدر على خلعه بغير فتنة ولا ظلم وجب وإلا فالواجب الصبر . (فتح الباري 8 / 13) يعنى الضابط هو القدرة وأن ينصب مكانه إمام عادل .

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

قال أبي جمرة الضبعي : لما بلغني تحريق البيت خرجت على مكة واختلفت إلى ابن عباس حتى عرفني واستأنس بي فسببت الحجاج عند ابن العباس فقال : لا تكن عوناً للشيطان .
(التاريخ الكبير 8 / 104)

قال طاووس : ذكرت الأمراء عند ابن عباس ، فانبرك فيهم رجل (أي اجتهد في ذمهم) فتناول حتى ما رأى في البيت أطول منه فسمعت ابن عباس يقول : لا تجعل نفسك فتنة للقوم الظالمين فتفاصر حتى ما أرى في البيت أقصر منه . (مصنف بن أبي شيبة 15 / 75)

عن نافع قال جاء عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن مطيع حين كان من أمر الحرة ما كان زمن يزيد بن معاوية فقال اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة فقال إني لم أتك لأجلس أيتك لأحدثك حديثاً سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية . (مسلم رقم 1851 - 1478 / 3)

قال زياد بن كسيب العدوي : كنت مع أبي بكر تحت منبر ابن عامر وهو يخطب وعليه ثياب رقاق فقال أبو بلال : انظروا إلى أميرنا يلبس ثياب الفساق . فقال أبو بكر : اسكت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله . (سنن الترمذي 7 / 149)

أراد المنصور خراب المدينة لإطباق أهلها على حربه مع محمد بن عبد الله بن حسن ، فقال له جعفر بن محمد : يا أمير المؤمنين أن سليمان أعطي فشكر ، وإن أيوب عليه السلام ابتلي فصبر وإن يوسف عليه السلام قدر فغفر وقد جعلك الله عز وجل من نسل الذي يعفون ويصفحون فطفئ

غضبه وسكت . (الآداب الشرعية لابن مفلح / 1 / 248)

81- باب النهي عن سؤال الإمارة واختيار ترك الولايات

إذا لم يتعين عليه أو تدع حاجة إليه

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ [القصص : 83] .

674- وعن أبي سعيد عبد الرحمن بن سُمْرَةَ رضي الله عنه ، قال : قال لي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سُمْرَةَ : لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ ، فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيَتْهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعْنَتَ عَلَيْهَا ، وَإِنْ أُعْطِيَتْهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وَكَلَّتْ إِلَيْهَا ، وَإِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ ، فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا ، فَأَتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ ، وَكْفِرْ عَنِ يَمِينِكَ » متفقٌ عليه .

675- وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا أَبَا ذَرٍّ أَرَأَيْتَ ضَعِيفًا ، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي ، لَا تَأْمُرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ وَلَا تَوَلِّينَنَّ مَالَ يَتِيمٍ » رواه مسلم .

676- وعنه قال : قلت : يا رسول الله ألا تستعملني ؟ فضرب بيده على منكبي ثم قال : « يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِزْبِي وَنَدَامَةٌ ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا ، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا » رواه مسلم .

677- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « إِنَّكُمْ سَتَحْرِصُونَ عَلَى الْإِمَارَةِ ، وَسَتَكُونُ نَدَامَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ » رواه البخاري .

أَثَارُ الْوَارِدَةِ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

عن مسلم البطين : تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا . قال : العلو : التكبر في الحق ، والفساد : الأخذ بغير الحق . (تفسير الطبري / 19 / 638)

أَثَارُ الْوَارِدَةِ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قال علي بن أبي طالب : (لا يصلح الناس إلا أمير بر أو فاجر) قالوا : يا أمير المؤمنين هذا البر فكيف بالفاجر ؟ قال : إن الفاجر يؤمن الله عز وجل به السبل ويجاهد به العدو ويحيي به الفيء وتقام به الحدود ويحج به البيت ويعبد الله فيه المسلم أمنا حتى يأتيه أجله . (شعب الإيمان رقم 7249)

قال ابوهريرة : من طلب قضاء المسلمين حتى يناله ثم غلب عدله جوره فله الجنة ومن غلب جوره عدله فله النار والجمع بينهما أنه لا يلزم من كونه لا يعان بسبب طلبه أن لا يحصل منه العدل إذا ولي . (فتح الباري 13 / 124)

وصف شداد بن أوس رضي الله عنه لها بالشهوة الخفية حين قال محذرا : يا بقايا العرب يا بقايا العرب إن أخوف ما أخاف عليكم الرياء ، والشهوة الخفية . (مجموع فتاوى ابن تيمية 16 / 346)
عن أنس : من طلب القضاء واستعان عليه بالشفعاء وكل إلى نفسه ومن أكره عليه أنزل الله له ملكا يسدده . (فتح الباري 13 / 124)

قال عوف بن مالك : الإمارة : أولها ملامة وثانيها ندامة ، وثالثها عذاب يوم القيامة إلا من عدل . (فتح الباري 13 / 125)

قال سفيان الثوري : إياك وحب الرياسة فإن الرجل تكون الرياسة أحب إليه من الذهب والفضة وهو باب غامض لا يبصره إلا البصير من العلماء السماسرة ، فتفقد نفسك واعمل بنية . (تهذيب الحلية 2 / 367)

قال سفيان الثوري : من طلب الرياسة قبل مجيئها فرت منه . (العوائق لمحمد الراشد 88)

قال سفيان الثوري : ما رأيت الزاهد في شيء أقل منه في الرياسة ، ترى الرجل يزهده في المطعم والمشرب والمال والثياب ، فإذا نوزع في الرياسة حامى عليها وعادى . (حلية الأولياء 7 / 39)

قال الفضيل بن عياض : ما أحب أحد الرياسة إلا أحب ذكر الناس بالنقائص والعيوب ليمتيزه بالكمال ، ويكره أن يذكر الناس أحدا عنده بخير ، ومن عشق الرياسة فقد تودع من صلاحه . (العوائق لمحمد الراشد 88)

قال المهلب : الحرص على الولاية هو السبب في اقتتال الناس عليها حتى سفكت الدماء واستبيحت الأموال والفروج وعظم الفساد في الأرض بذلك . (فتح الباري 13 / 126)

قال إسحاق بن خلف : الزهد في الرياسة أشد من الزهد في الذهب والفضة لأنهما يبذلان في طلب الرياسة . (مدارج السالكين 2 / 24)

رأى عمر بن هبيرة أن يولي المسيب بن رافع الأسدي القضاء فقال : ما يسرني وأن سوارى مسجدكم لي ذهباً . (سير أعلام النبلاء 5 / 103)

وكان أبو الشعثاء يقول : لو ابتليت بالقضاء لركبت راحلي وهربت . (سير أعلام النبلاء 4 / 483)
قال ابن تيمية : إن أكثر الناس تفسد أحوالهم في الإمارة بسبب ابتغاء الرئاسة والمال بها . فقال :
وإنما يفسد فيها حال أكثر الناس لابتغاء الرئاسة والمال بها . (مجموع الفتاوى 28 / 392 - 393)
فقال ابن تيمية معقبا : فهي خفية تخفي عن الناس وكثيرا ما تخفي على صاحبها .
(مجموع الفتاوى 16 / 346)

قال الشوكاني بعد أن ذكر أحاديث الإمارة في السفر : فيها دليل على أنه يشرع لكل عدد بلغ ثلاثة فصاعدا أن يأمروا عليه أحدهم لأن في ذلك السلامة من الخلاف الذي يؤدي إلى التلاف ، فمع عدم التأمير يستبد كل واحد برأيه ويفعل ما يطابق هواه فيهلكون ، ومع التأمير يقل الاختلاف وتجتمع الكلمة ، وإذا شرع هذا لثلاثة يكونون في فلاة من الأرض أو يسافرون فشرعيته لعدد أكثر يسكنون القرى والأمصار ويحتاجون لدفع التظالم وفصل الخصام أولى وأحرى .
(نيل الأوطار 8 / 256)

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

روى أن عليا رضي الله تعالى عنه بعث إلى ابن عمر رضي الله عنهما فقال : يا أبا عبد الرحمن ، أنك رجل مطاع في أهل الشام فسر فقد أمرتك ، فقال ابن عمر : أذكرك الله وقرابتي من رسول الله ، وصحبتني إياه إلا ما أعفيتني ، فأبى علي ، يقول ابن عمر رضي الله عنهما : فاستعنت عليه بحفصة ، يعني أن تشفع له ، فأبى ، يقول : فخرجت ليلا إلى مكة ، فقيل لعلي رضي الله عنه : إنه قد خرج إلى الشام ، فبعث في أثري ، فجعل الرجل يأتي المرید فيخطم بعيره بعمامته ليدركني بمعنى أنه يأتي المرید وهو محبس الإبل ، فمن العجلة ليدرك ابن عمر لا يتمكن من وضع الخطام للإسراع الشديد فيخطم بعيره بعمامته ؛ ليدرك ابن عمر ، يعني أن عليا خشي أن ابن عمر يلحق بأهل الشام ، يلحق بمعاوية لما أراد أن يكرهه على الإمارة ، يقول : فأرسلت حفصة أنه لم يخرج إلى الشام ، وإنما خرج إلى مكة ، فسكن على رضي الله عنه . (سير أعلام النبلاء 3 / 224)

ولما ولي يزيد بن المهلب خرسان قال : دلوني على رجل كامل في خصال الخير ، فدل علي أبي بردة الأشعري - أي أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ، فلما جاءه رأه رجلا فائقا ، يعني على الوصف الذي ذكر ، فلما كلمة رأى من مخبرته أفضل من مرآته ، يعني الآن رأي هيئة في غاية السمات والوقار ، فلما تكلم معه رأى عقلا وحسن نظري في الأمور أعظم مما رأى في صورته الظاهرة ، فلما تكلم معه وجد أن خصاله وأخلاقه وعقله أفضل ، فقال : إني وليتك كذا ، وكذا من عمل ، فاستغفاه ، فأبى

أن يعفيه ، فقال : أيها الأمير ، ألا أخبرك بشيء حدثني أبي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وذكر له حديثا ، إلى أن قال : وأنا أشهد أنني لست بأهل لما دعوتني إليه ، فقال : ما زدت على أن حرصتنا على نفسك ، يعني : ما دام أنك بهذا الزهد في الولايات هذا الذي نريد ورجبتنا فيك ، فاخرج إلى عهدك فإني غير معفيك ، فخرج ما شاء الله أن يقيم ، فاستأذن في القدوم عليه ، فأذن له ، فقال أيها الأمير : ألا أحدثك بشيء حدثني أبي ؟ وذكر له حديثا ، وقال في السؤال بوجه الله تبارك وتعالى وإني سائلك بوجه الله إلا ما أعفيتني أيها الأمير من عملك ، فأعفاه . (السير 4/ 345)

هذا الأوزاعي الإمام الكبير طلب منه يزيد بن الوليد أن يلي القضاء ، فجلس مجلسا واحدا ، ثم استعفى (طلب الإعفاء) فأعفى . (تاريخ دمشق لابن عساكر 68 / 45)

82- باب حثّ السلطان والقاضي وغيرهما من ولاية الأمور

على اتخاذ وزير صالح وتحذيرهم من قرناء السوء والقبول منهم

قَالَ اللهُ تَعَالَى : **الْأَخْلَاءُ يُؤْمِنُذِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوًّا لِلْمُتَّقِينَ** [الزخرف : 67] .

678- عن أبي سعيدٍ وأبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ ، وَلَا اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ إِلَّا كَانَتْ لَهُ بَطَانَتَانِ : بَطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَحْضُرُهُ عَلَيْهِ ، وَبَطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحْضُرُهُ عَلَيْهِ وَالْمَعْصُومُ مِنْ عَصَمَ اللهُ » رواه البخاري .

679- وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا أَرَادَ اللهُ بِالْأَمِيرِ خَيْرًا ، جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ صِدْقٍ ، إِنْ نَسِيَ ذِكْرَهُ ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ ، وَإِذَا أَرَادَ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ سُوءٍ ، إِنْ نَسِيَ لَمْ يُذَكِّرْهُ ، وَإِنْ ذَكَرَ لَمْ يُعْنَهُ » . رواه أبو داود بإسناد جيدٍ على شرط مسلم .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

عن ابن عباس قوله : الإخلاء يؤمنذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين . فكل خلة هي عداوة إلا خلة المتقين . عن أبي إسحاق ، أن عليا رضي الله عنه قال : خليلان مؤمنان ، وخليلان كافران ، فمات أحد المؤمنين فقال : يا رب إن فلانا كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك ، ويأمرني بالخير وينهاني عن الشر ويخبرني أي ملائكتك يا رب فلا تضله بعدي واهده كما هديتني وأكرمه كما أكرمتني فإذا مات خليله المؤمن جمع بينهما فيقول : ليئن أحدكما على صاحبه فيقول : يا رب إنه كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك ، ويأمرني بالخير ، وينهاني عن الشر ، ويخبرني أي ملائكتك ، فيقول : نعم الخليل ونعم الأخ ونعم صاحب ؛ قال : ويموت أحد الكافرين فيقول : يا رب إن فلانا كان ينهاني عن

طاعتك وطاعة رسولك ويأمرني بالشر وينهاني عن الخير ويخبرني أنني غير ملائمة فيقول : بئس الأخ
وبئس الخليل وبئس الصاحب . (تفسير الطبري 21 / 638)

قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم . قال ابن عباس رضي الله عنهما : كان
رجال من المسلمين يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصدقة والحلف والجوار والرضاع ،
فأنزل الله تعالى هذه الآية ينهاهم عن مبايعتهم خوف الفتنة عليهم . (تفسير البغوي 2 / 96)

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا) . (سورة آل عمران 119) يقول
تبارك وتعالى ناهيا عباده المؤمنين عن اتخاذ المنافقين بطانة ، أي : يطلعونهم على سرائرهم وما
يضمرونه لأعدائهم ، والمنافقون بجهدهم وطاقاتهم لا يألون المؤمنين خبالا أي : يسعون في مخالفتهم
وما يضرهم بكل ممكن ، وبما يستطيعونه من المكر والخديعة ، ويودون ما يعنت المؤمنين
ويخرجهم ويشق عليهم . وبطانة الرجل هم : خاصة أهله الذين يطلعون على داخله أمره .
(تفسير ابن كثير 2 / 107)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إذا رأيتم القارئ يحب الأغنياء فهو صاحب دنيا وإذا رأيتموه
يلزم السلطان فهو لص . (البداية والنهاية 9 / 310)

وقال أبو ذر لسلمة : يا سلمة لا تغش أبواب السلاطين فإنك لا تصيب من دنياهم شيئا إلا أصابوا
من دينك أفضل منه . (إحياء علوم الدين 2 / 142)

قال ابن عباس : كان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولا كانوا أو شبابا . (فتح الباري 355)

قال ابن مسعود رضي الله عنه : إن على أبواب السلطان فتنا كمبارك الإبل ، والذي نفسي بيده لا
تصيبوا من دنياهم شيئا إلا أصابوا من دينكم مثليه . (حلية الأولياء 4 / 30)

قال حذيفة بن اليمان : إياكم ومواقف الفتن . قيل : وما مواقف الفتن يا أبا عبد الله ؟ قال :
أبواب الأمراء يدخلها أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب ويقول له ما ليس فيه .
(مختصر منهاج القاصدين 93)

كتب سفيان الثوري إلى عباد بن عباد : إياك والأمراء أن تدنومهم أو تخالطهم في شيء من الأشياء
وإياك أن تخذع ويقال لك لتشفع وتدرأ عن مظلوم أو ترد مظلمة فإن ذلك خديعة إبليس وإنما
اتخذها فجار القراء سلما وما كفتت عن المسألة والفتيا فاغتتم ذلك ولا تنافسهم وإياك أن تكون

ممن يجب أن يعمل بقوله أو ينشر قوله أو يسمع قوله فإذا ترك ذلك منه عرف فيه وإياك وحب الرياسة فإن الرجل يكون حب الرياسة أحب إليه من الذهب والفضة وهو باب غامض لا يبصره إلا البصير من العلماء السماسرة ، فتفقد بقلب واعمل بنية وأعلم أنه قد دنا من الناس أمر يشتهي الرجل أن يموت والسلام . (جامع بيان العلم / 1 / 179)

قال سفيان الثوري : كان خيار الناس وأشر أفعالهم والمنظور إليهم في الدين الذين يقومون إلى هؤلاء فيأمرؤهم وينهونهم - يعني : الأمراء - وكان آخرون يلزمون بيوتهم ليس عندهم ذلك فكانوا لا ينتفع بهم ولا يذكرون ، ثم بقينا حتى صار الذين يأتونهم فيأمرؤهم شرار الناس والذين لزموا بيوتهم ولم يأتوهم خيار الناس . (جامع بيان العلم وفضله / 1 / 330)

وقال محمد بن سحنون : كان لبعض أهل العلم أخ يأتي القاضي والوالي بالليل يسلم عليهما ، فكتب له أخوه كتابا فقال : أما بعد : فإن الذي يراك بالتهار يراك بالليل ، وهذا آخر كتاب أكتبه إليك . قال ابن سحنون : لما قرأ ذلك فأعجبه قال : ما أسمع العالم أن يؤتى إليه في حلقة فلا يوجد ، فيسأل الناس : أين العالم ؟ فيقولون : عند الأمير أو عند السلطان . والمعنى : ما أسمع هذا العالم ، وما أغباه ، وما أحمقه أن يترك هذه المساجد ويذهب ويرتع هنا وهناك جمعا للدنيا والمال والحطام والكراسي والمناصب والرئاسة وغيرها . قال سحنون : إذا أتى الرجل مجلس القاضي ثلاثة أيام متوالية بلا حاجة ولا عذر؛ فينبغي ألا تقبل شهادته . (جامع بيان العلم وفضله / 1 / 332)

قال ميمون بن مهران : ثلاث لا تبلون نفسك بهن لا تدخل على سلطان وإن قلت أمره بطاعة الله ولا تدخل على امرأة وإن قلت أعلمها كتاب الله ، ولا تصغين بسمعك إلى ذي هوى فإنك لا تدري ما يعلق بقلبك من هواة . (حلية الأولياء / 4 / 85)

قال وهب بن منبه : إن جمع المال وغشيان السلطان لا يبقيان من حسنات المرء إلا كما يبقى ذئبان جائعان ضاريان سقطا في حظيرة غنم فباتا يجوسان حتى أصبحا . (جامع بيان العلم حديث 724)
قال ابن المبارك : من بخل بالعلم ابتلي بثلاث أما موت يذهب علمه وإما ينسى وإما يلزم السلطان فيذهب علمه . (سير أعلام النبلاء / 8 / 398)

وقال أبو حازم سلمه بن دينار : إن خير الأمراء من أحب العلماء وأن شر العلماء من أحب الأمراء . (سير أعلام النبلاء / 6 / 101)

قيل للإمام مالك : أنك تدخل على السلطان وهم يظلمون ويجورون ؟ فقال يرحمك الله فأين الملكم بالحق . (الجرح والتعديل / 1 / 30)

قال الفضيل بن عياض : كنا نتعلم اجتناب السلطان كما نتعلم السورة من القرآن .
(شعب الإيمان 8970)

وقال ابن حزم وهو ينصح العالم في رسالته (مراتب العلوم) : وأن ابتلي بصحبة سلطان فقد ابتلي بعظيم البلايا وعرض للخطر الشنيع في ذهاب دينه وذهاب نفسه وشغل باله وترادف همومه .
(مجموعة رسائل ابن حزم 4 / 76)

الآثار العملية في حياة السلف :

عن أبي موسى الأشعري قال : قلت لعمر رضي الله عنه : لي كاتب نصراني ، قال : ما لك قاتلك الله ؟ ! أما سمعت الله يقول : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض) (المائدة 51) ؟ ! ألا اتخذت حنيفا ؟ ! قال : قلت : يا أمير المؤمنين ، لي كتابته وله دينه ، قال : لا أكرمهم إذ أهانهم الله ، ولا أعزهم إذ أذلهم الله ، ولا أدنهم وقد أقصاهم الله .
(أخرجه البيهقي 20196)

قال عبيد الله بن الخيار: أتيت أسامة بن زيد فقلت : ألا تنصح عثمان بن عفان ليقيم الحد على الوليد ؟ فقال أسامة : هل تظن أي لا أناصحه إلا أمامكم ؟ والله لقد نصحته فيما بيني وبينه ولم أكن لأفتح بابا للشراكون أنا أول من فتحه . (رواه الشيخان)

قال عمر بن حبيب : حضرت مجلس هارون الرشيد ، فجرت مسألة تنازعها الحضور ، وعلت أصواتهم ، فاحتج أحدهم بحديث رواه أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدفع بعضهم الحديث ، وزادت المدافعة والخصومة ، حين قال قائلون منهم : لا يقبل هذا الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لأن أبا هريرة متهم فيما يرويه ، وصرحوا بتكذيبه ، ورأيت الرشيد قد نحا نحوهم ، ونصر قولهم ، فقلت أنا : هذا الحديث صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو هريرة صحيح النقل ، صدوق فيما يرويه عن النبي صلى الله عليه وسلم وغيره ، فنظر إلي الرشيد نظر مغضب ، وقمت من المجلس فانصرفت إلى منزلي ، فلم البث حتى قيل صاحب البريد بالباب ، فدخل فقال لي : أجب أمير المؤمنين إجابة مقتول وتحنط وتكفن ، فقلت : اللهم إنك تعلم أنني دفعت عن صاحب نبيك وأجللت نبيك أن يطعن على أصحابه فسلمني منه ، فأدخلت على الرشيد وهو جالس على كرسي من ذهب ، حاسر عن ذراعيه بيده والسيف ، وبين يديه النطع ، فلما بصري قال لي : يا عمر بن حبيب ، ما تلقاني أحد من الرد والدفح لقولي بمثل ما تلقيتني به ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، أن الذي قلته وجادلت عنه فيه ازدرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم

، وعلى ما جاء به ، إذا كان أصحابه كذابين ، فالشريعة باطلة والفرائض والأحكام في الصيام والصلاة والطلاق والنكاح والحدود كله مردود غير مقبول ، فرجع إلى نفسه ثم قال : أحييتني يا عمر بن حبيب أحياك الله ، وأمر لي بعشرة آلاف درهم . (تهذيب الكمال 2 / 1004 - 1005)

فقد روي أن رجلا سأل عبد الملك أن يخلو به فأمر عبد الملك من عنده بالانصراف فلما خلا به ، وأراد الرجل أن يتكلم قال له عبد الملك : احذر من كلامك ثلاثا : إياك أن تمدحني فإني أعلم بنفسي منك أو تكذبني فإنه لا رأي لكذوب أو تسعى إلى بأحد من الرعية فإنهم إلى عدلي وعتوي أقرب منهم إلى جورِي وظلمي وإن شئت أقلتك . فقال الرجل : أقلني . فأقاله . (تاريخ دمشق 37 / 142)

ولما ولي عمر بن هبيرة الفزاري العراق وأضيفت إليه خراسان ، وذلك في أيام يزيد بن عبد الملك ، استدعى الحسن البصري ومحمد بن سيرين والشعبي وذلك في سنة ثلاث ومائة ، فقال لهم : أن يزيد خليفة الله استخلفه على عبادته ، وأخذ عليهم الميثاق بطاعته ، وأخذ عهدنا بالسمع والطاعة ، وقد ولاني ما ترون فيكتب إلى بالأمر من أمره فأقلده ما تقلده من ذلك الأمر ، فما ترون فقال ابن سيرين والشعبي قولاً فيه تقية فقال ابن هبيرة : ما تقول يا حسن فقال : يا ابن هبيرة خف الله في يزيد ولا تخف يزيد في الله ، إن الله يمنعك من يزيد وأن يزيد لا يمنعك من الله وأوشك أن يبعث إليك ملكاً فيزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرِك إلى ضيق قبرِك ثم لا ينجيك إلا عملك يا ابن هبيرة إن تعص الله فإنما جعل الله هذا السلطان ناصراً لدين الله وعباده فلا تركب دين الله وعباده بسلطان الله ، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . (وفيات الأعيان 2 / 71)

محمد بن شهاب الزهري فقد دخل على خلفاء بني أمية ومع دخوله لم يعط الدنية لدينه فيها هو يقف كالجبل أمام الخليفة هشام بن عبد الملك قال له : من الذي تولى كبره منهم ؟ فقال : هو عبد الله بن أبي قال : كذبت هو علي بن أبي طالب فقال الزهري : أنا أكذب (لا أبا لك) فوالله لو نادى مناد من السماء إن الله أحل الكذب ما كذبت حدثي سعيد وعروة وعبيد وعلقمة بن وقاص عن عائشة أن الذي تولى كبره عبد الله بن أبي . (سير أعلام النبلاء 5 / 340)

أحمد بن محمد الخراساني النوري صاحب الجنيد كان إذا رأى منكراً غيره ولو كان فيه تلفه نزل يوماً فرأى زورقاً فيه ثلاثون دناً فقال للملاح : ما هذا ؟ قال : ما يلزمك ؟ فألح عليه ، قالت أنت والله صوفي كثير الفضول هذا خمر للمعتضد الخليفة العباسي قال : أعطني ذلك المدري فاغتاط وقال لأجيرهِ : ناوله حتى أبصر ما يصنع فأخذه ونزل فكسرهما كلها فأدخل على المعتضد فقال : من أنت ويلك ؟ قال : محتسب قال : ومن ولاك الحسبة ؟ قال : الذي ولاك الإمامة يا أمير المؤمنين ! فأطرق وقال : ما حملك على فعلك ؟ قال : شفقة مني عليك ! فتركه وأخلاء سبيل .

(سير أعلام النبلاء 13 / 76)

ابن العلقمي وزير المستعصم آخر خلفاء الدولة العباسية ، كان له أثره البالغ في انهيار الخلافة ، ومقتل أهل بغداد على بكرة أبيهم ، وزوال الملايين من الكتب الشرعية والعلمية نتيجة إغراقها في النهر ، وما ذلك إلا لتعاونه مع التتار الغزاة فضلا عن مشوراته الفاسدة التي قللت عدد الجيش من مائة ألف مقاتل إلى عشرة آلاف ، ونهيه الناس أن يقاتلوا التتار ، وغيرها من قراراته الهادمة .
(البداية والنهاية 13 / 234)

83- باب النهي عن تولية الإمارة والقضاء وغيرها

من الولايات لمن سألها أو حرص عليها فعرض بها

680- عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا وَرَجُلَانِ مِنْ بَنِي عَمِّي ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمَرْنَا عَلَى بَعْضِ مَا وَلَاكَ اللَّهُ ، عَزَّوَجَلَّ ، وَقَالَ الْآخَرُ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَقَالَ : « إِنَّا وَاللَّهِ لَا نُؤَيِّي هَذَا الْعَمَلَ أَحَدًا سَأَلَهُ ، أَوْ أَحَدًا حَرَّصَ عَلَيْهِ » .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قال علي بن أبي طالب : لو يعلم الناس ما في القضاء ما قضوا في ثمن بعة ! ولكن لا بد للناس من القضاء ومن إمرة برة أو فاجرة . (أخبار القضاة الملقب لو كيع ص 21)

قال ابن مسعود : لأن أجلس قاضيا بين اثنين أحب إلي من عبادة سبعين سنة . (المغني 11 / 376)

عن أبي الحسن علي بن القاسم القاضي قال : سمعت أبي يقول : كان موسى بن إسحاق لا يرى متبسما قط . فقالت له امرأة : أيها القاضي لا يحل لك أن تحكم بين الناس فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا يحل للقاضي أن يحكم بين اثنين وهو غضبان فتبسم . (تاريخ بغداد 13 / 53)

قال إبراهيم بن مهدي : سمعت حفص بن غياث ، وهو قاض بالشرقية يقول لرجل يسأل عن مسائل القضاء : لعلك تريد أن تكون قاضيا ، لأن يدخل الرجل أصبعه في عينه فيقتلعها فيرمي بها خير له من أن يكون قاضيا . (تاريخ بغداد 8 / 190)

لما تقلد أحمد بن بديل القضاء قال : خذلت على كبر السن خذلت على كبر السن مع عفته وصيانيته . (تاريخ بغداد 4 / 49)

قال مكحول : لأن أقدم فتضرب عنقي أحب إلي من أن إلى القضاء . (أخبار القضاة ص 24)

قال الفضيل بن عياض : إذا ولي الرجل القضاء فليجعل للقضاء يوماً وللبكاء يوماً .
(أخبار القضاة ص 24)

قال ابن شبرمة : لا تجترى على القضاء حتى تجرأ على السيف . (أخبار القضاة ص 24)

قال ابن تيمية : الواجب اتخاذ الإمارة ديناً وقرية يتقرب بها إلى الله ، فإن التقرب إليه فيما بطاعته وطاعة رسوله من أفضل القربات ، وإنما يفسد فيها حال كثير من الناس لابتغاء الرياسة أو المال بها . (السياسة الشرعية 186 - 189)

وقال أيضاً: إذا كان المقصود بالسلطان والمال هو التقرب إلى الله وإقامة دينه ، وإنفاق ذلك في سبيله كان ذلك صلاح الدين والدنيا . (السياسة الشرعية 186 - 189)

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

وأبو حنيفة رحمه الله : ضرب على القضاء فأبى أن يكون قاضياً وكان ذلك أكثر من مرة وطلب منه أبو جعفر المنصور أن يلي القضاء وحلف عليه فحلف أبو حنيفة أنه لا يفعل فقال له الحاجب : ترى أمير المؤمنين يحلف وأنت تحلف قال : أمير المؤمنين على كفارة يمينه أقدر مني فأمر به أبو جعفر المنصور فحبس فمات فيه ببغداد . (سير أعلام النبلاء 6 / 401)

عن عبيد الله بن عمرو الرقي قال : كلم بن هبيرة أبا حنيفة أن يلي له قضاء الكوفة ، فأبى عليه فضربه مائة سوط وعشرة أسواط في كل يوم عشرة أسواط ، وهو على الامتناع فلما رأى ذلك خلى سبيله . (تاريخ بغداد 13 / 326)

بعث كان أمير المؤمنين الرشيد إلى عبيد الله بن عمر العمري ، فقدم عليه ببغداد فولاه قضاء المدينة ، فاستعفاه فلم يعفه فعرض ليحيى بن خالد فقال : لا والله ما أحسن القضاء فإن كنت صادقاً فما يسعكم أن تولوا من لا يحسن وإن كنت كاذباً فلا يحل لكم أن تولوا من يكذب فأعفي من القضاء وكان أمراً صالحاً . (تاريخ بغداد 10 / 310)

عن حميد بن الربيع قال : لما جيء بعبد الله بن إدريس وحفص بن غياث ووكيع بن الجراح إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد ليوليم القضاء دخلوا عليه ، فأما ابن إدريس فقال : السلام عليكم ، وطرح نفسه كأنه مفلوج ، فقال هارون : خذوا بيد الشيخ لا فضل في هذا ، وأما وكيع فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أبصرت بها منذ سنة ، ووضع أصبعه على عينة وعنى أصبعه فأعفاه ، وأما حفص بن غياث فقال : لولا غلبة الدين والعيال ما وليت . (تاريخ بغداد 8 / 189)

عن الفضل بن الربيع قال : دعاه أمير المؤمنين المهدي إلى قضاء المدينة , فلم أرى رجلا قط كان أصح استعفاء منه , قال لأمر المؤمنين : إني كنت وليت ولاية , فخشيت أن لا أكون سلمت منها , وأعطيت الله عهدا أن لا إلى ولاية أبدا , وأنا أعيد أمير المؤمنين بالله ونفسي أن لا يحملني على أن أخيس بعهد الله , قال له المهدي : فوالله لقد أعطيت هذا من نفسك قبل أن أدعوك , قال : والله لقد أعطيت هذا من نفسي قبل أن تدعوني , قال : فقد أعفيتك . (تاريخ بغداد 13 / 244)

عن محمد بن عبد الله بن علاثة أنه كان يقال له قاضي الجن وذلك أن بئرا كانت بين حران وحصن مسلمة فكان من يشرب منها خبطته الجن قال : فوقف عليها فقال : أيها الجن أنا قد قضينا بينكم وبين الأنس فلهم النهار ولكم الليل قال : فكان الرجل إذا استسقى منها بالنهار لم يصبه شيء . (تاريخ بغداد 5 / 389)

عبد الله بن محمد الخرقى قلد القضاء فلم يقبله واختفى ولما صار صالح بن أحمد بن حنبل إلى أصبهان ولي القضاء هناك , وقرئ عهده بالجامع يعني خطاب توليه القضاء فبكى كثيرا وبكى بعض الشيوخ فلما فرغ جعلوا يدعون له ويقولون ما ببلدنا إلا من يحب أباك يعني الإمام أحمد قال : أبكاني أي ذكرته ويراني في هذه الحال يعني يقول : لو رأني أي لم يقبل ولم يرض يقول : كان أبي يبعث خلفي إذا جاءه رجل زاهد أو متقشف لأنظر إليه يحب أن أكون مثله يعني الإمام أحمد يربي ابنه صالحا منذ الصغر إذا جاءه أحد من الزهاد يستدعي ولده لينظر إليه لعله يتأثر به ويستفيد مما يشاهد . (سير أعلام النبلاء 12 / 530)

عن المعلى بن روبة قال : قال لي رجاء بن حيوة : ولي الأمير اليوم عبد الله بن موهب القضاء ولو اخترت بين أن أحمل إلى حفرتي وبين ما ولي ابن موهب : لاخترت أن أحمل إلى حفرتي فقلت له : فإن الناس يتحدثون أنك أنت أشرت به قال : صدقوا لأنني نظرت للعامه ولم أنظر له . (أخبار القضاة ص 23 - 24)

وكتب الخليفة إلى ابن وهب في قضاء مصر فجنن نفسه ولزم البيت , فاطلع عليه رشدين بن سعد - وهو أحد رواة الحديث أيضا - , فقال : يا أبا محمد , ألا تخرج إلى الناس فتحكم بينهم كما أمر الله ورسوله ؟ قد جننت نفسك ولزمت البيت , إلى هاهنا انتهى عقلك ؟ . (سير أعلام النبلاء 14 / 424)

ووقع في ذهن المنصور أن أبا ميسرة أحمد بن نزار المالكي لا يرى الخروج عليه فأراد له ليوليه القضاء فقال : كيف يلي القضاء رجل أعشى يبول تحته ! هو يتحدث عن نفسه ثم قال : اللهم إنك تعلم أنني انقطعت إليك وأنا شاب فلا تمكهم مني فما جاءت العصر إلا وهو من أهل الآخرة . (سير أعلام النبلاء 15 / 396)

وبعث المستعين بالله الخليفة إلى نصر بن علي يوليه القضاء فاستدعاه عبد الملك أمير البصرة وأمره بذلك ، فقال : أرجع وأستخير الله تعالى فرجع إلى بيته نصف النهار فصلى ركعتين وقال : اللهم إن كان لي عندك خير فاقبضني فنام فأنهوه فإذا هو ميت . (سير أعلام النبلاء 12 / 136)

عن الخطيب قال : استقضى عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي على سمرقند فأبى فالح عليه السلطان حتى تقلده وقضى قضية واحدة ثم استعفى فأعفى . (تاريخ بغداد 10 / 29)

عن العباس بن مصعب قال : أكره - عبد الرحمن بن علقمة - على قضاء سرخس ، أخرج مكرها ، فلما خرج إلى سرخس أقام بها أياما ثم هرب منها فلم يظهر إلى أن عزل الذي ولاه أو مات أو أعفى . (تاريخ بغداد 10 / 255)

وذكروا أن ثابت بن حزم الأندلسي عرض عليه القضاء في بلده فأبى فأراد أبوه أن يلزمه بذلك فسأله أنظاره ثلاثا ، فتوفي فيها ، فكانوا يرون أنه دعا على نفسه بالموت ، وكان معروفا بإجابة الدعوة . (سير أعلام النبلاء 14 / 563)

وعرض على ابن وهب القضاء فجنن نفسه ، ولزم بيته يعني تظاهر بالجنون ولزم بيته . (سير أعلام النبلاء 9 / 233)

عن علي بن سراج قال : بعض شيوخنا قال : استأذن ابن علثة على سفيان الثوري بعد أن ولي القضاء ، فدخل عمار بن محمد بن أخت سفيان يستأذن له علي سفيان ، فلم يأذن له وكان سفيان يعجن كسبا للشاة ، فلم يزل به عمار حتى أذن له ، فدخل ابن علثة فلم يحول سفيان وجه إليه ، ثم قال له : ابن علثة ألهذا كتبت العلم ؟ لو اشتريت صيدا بدرهم - يعني سميا - ثم درت في سكك الكوفة لكان خيرا من هذا . (تاريخ بغداد 5 / 389)

وأكره أبو علي الحسين بن محمد على القضاء فتولاه في بعض بلاد الأندلس ثم اختفى حتى أعفى . (سير أعلام النبلاء 19 / 377)

كتاب الأدب

84- باب الحياء وفضله والحث على التخلق به

681- عن ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَهُوَ يَعْطُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « دَعَا فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ » متفق عليه .

682- وعن عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ، رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ » متفق عليه . وفي رواية لمسلم : « الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ » أَوْ قَالَ : « الْحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ » .

683- وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ ، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً ، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ » متفق عليه .

« الْبِضْعُ » : بكسر الباء . ويجوز فتحها ، وَهُوَ مِنَ الثَّلَاثَةِ إِلَى الْعَشْرَةِ . « وَالشُّعْبَةُ » : الْقِطْعَةُ وَالْحِصْلَةُ . « وَالْإِمَاطَةُ » : الْإِزَالَةُ « وَالْأَذَى » : مَا يُؤْذِي كَحَجَرٍ وَشَوْكٍ وَطَبْنٍ وَرَمَادٍ وَقَدْرٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ .

684- وعن أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه ، قال : كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَدْرَاءِ فِي خَدْرِهَا ، فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ . متفق عليه .

قال العلماء : حَقِيقَةُ الْحَيَاءِ خُلُقٌ يَبْعَثُ عَلَى تَرْكِ الْقَبِيحِ ، وَيَمْنَعُ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي حَقِّ ذِي الْحَقِّ . وَرَوَيْنَا عَنْ أَبِي الْقَاسِمِ الْجَنْبِيْدِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ : الْحَيَاءُ رُؤْيَةُ الْآلَاءِ أَي : النِّعَمِ وَرُؤْيَةُ التَّقْصِيرِ . فَيَتَوَلَّدُ بَيْنَهُمَا حَالَةٌ تُسَمَّى حَيَاءً .

الْأَنْوَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

عن سفيان ابن عيينة قال : قال لقمان : خير الناس : الحيي ، الغني ؛ قيل : الغني في المال ؟ قال : لا ، ولكن : الذي إذا احتيج إليه نفع ، وإذا استغنى عنه نفع ؛ قيل : فمن شر الناس ؟ قال : من لا يبالي أن يراه الناس مسينا . (حلية الأولياء / 7 / 307)

عن عروة بن الزبير عن أبيه : أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه خطب الناس فقال : يا معشر المسلمين استحيوا من الله عزوجل فولذي نفسي بيده إني لأظلم حين أذهب إلى الغائط في الفضاء متقنعا بثوبي استحياء من ربي عزوجل . (حلية الأولياء 34/1)

قال عمر رضي الله عنه : إن الحياء ليدل على هنات ذات ألوان من استحيا استخفى ومن استخفى اتقى ومن اتقى وفي . (مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا رقم حديث 90)

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : من قل حياؤه قل ورعه ، ومن قل ورعه مات قلبه . (شعب الإيمان للبيهقي 59 / 7)

قال ابن عباس : الحياء والإيمان في طلق : فإذا انتزع أحدهما من العبد اتبعه الآخر . (شعب الإيمان للبيهقي 10 / 165 - 7329)

قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : رأس مكارم الأخلاق الحياء . (مكارم الأخلاق ص 16)

قال عبد الله بن مسعود : ألام خلق المؤمن ، الفحش . (الصمت لابن أبي الدنيا 89)

ورأى أبو الدرداء امرأة سليطة اللسان ، فقال : لو كانت هذه خرساء ، كان خيرا لها . (الصمت 184)

عن زاذان عن سلمان رضي الله عنه قال : إن الله تعالى إذا أراد بعبد شراء ، أو هلكة : نزع منه الحياء ، فلم تلقه إلا مقيتا ممقتا : فإذا كان مقيتا ممقتا ، نزعت منه الرحمة ؛ فلم تلقه إلا فظا غليظا ، فإذا كان كذلك ، نزعت منه الأمانة ، فلم تلقه إلا خائنا مخونا ؛ فإذا كان كذلك ، نزعت ربة الإسلام من عنقه ، فكان لعينا ملعنا . (حلية الأولياء 1 / 204)

وعن محمد بن حاتم قال : قال الفضيل : لو خيرت بين أن أبعث فأدخل الجنة ، وبين أن لا أبعث ؛ لاخترت أن لا أبعث قلت لمحمد بن حاتم : هذا من الحياء ؟ قال : نعم هذا من طريق الحياء من الله عزوجل . (حلية الأولياء 8 / 84)

قال الفضيل بن عياض : خمس من علامات الشقوة : قسوة القلب جمود العين قلة الحياء الرغبة في الدنيا طول الأمل . (شعب الإيمان للبيهقي 10 / 182)

قال الفضيل بن عياض : أدركت أقواما يستحيون من الله سواد الليل من طول الهجعة ، إنما هو على الجنب ، فإذا تحرك قال : ليس هذا لك ، قومي خذي حظك من الآخرة . (الحلية 8 / 108)

قال عبد الله بن أبي الهذيل : أدركنا أقواما وإن أحدهم يستحي من الله تعالى في سواد الليل . قال سفيان : يعني التكشف . (حلية الأولياء 4 / 359)

قال أحمد بن عاصم الأنطاكي : أحب أن لا أموت حتى أعرف مولاي , وليس معرفته الإقرار به , لكن المعرفة إذا عرفته استحيت منه . (حلية الأولياء 9 / 282)

قال أبو عبيدة الناجي : سمعت الحسن يقول : الحياء والتكرم خصلتان من خصال الخير , لم يكونا في عبد إلا رفعه الله عز وجل بهما . (مكارم الأخلاق 1 / 43)

قال ذو النون : الحياء وجود الهيبة في القلب مع وحشة ما سبق منك إلى ربك والحب ينطق والحياء يسكت والخوف يقلق . (مدارج السالكين 2 / 249)

وعن عون بن عبد الله قال : ألا إن الفحش والبذاء من النفاق , وهن مما يزدن في الدنيا , وينقصن في الآخرة , وما ينقصن في الآخرة أكثر مما يزدن في الدنيا . (الصمت لابن أبي الدنيا 186)

قال إبراهيم بن ميسرة : يقال : الفاحش المتفحش يوم القيامة , في صورة كلب , أو في جوف كلب . (الصمت لابن أبي الدنيا 185)

قال السري : إن الحياء والأنس يطرقان القلب . فإن وجدوا فيه الزهد والورع والإحلا . (مدارج السالكين 2 / 249)

قال الأحنف بن قيس : أولا أخبركم بأدواء الداء : اللسان البيذيء , والخلق الدنيء . (الصمت 186)

عن أبي سليمان الداراني قال : إذا استحي العبد من ربه عز وجل , فقد استكمل الإيمان . (حلية الأولياء 9 / 257)

قال مجاهد : إن المسلم , لو لم يصب من أخيه إلا حياء منه يمنعه من المعاصي , لكفاه . (حلية الأولياء 3 / 280)

عن عبيد بن عمير قال : أثروا الحياء من الله , على الحياء من الناس . (الحلية 3 / 268)

وقال ابن عطاء : العلم الأكبر : الهيبة والحياء ؛ فإذا ذهب الهيبة والحياء لم يبق فيه خير . (الرسالة القشيرية 1 / 98)

وقال أبو عثمان : من تكلم في الحياء ولا يستحي من الله عز وجل فيما يتكلم به , فهو مستدرج . (الرسالة القشيرية 1 / 98)

قال يحيى بن معاذ : من استحيا من الله مطيعا استحيا الله منه وهو مذنب .
(مدارج السالكين 2 / 249)

وقال ربيط بنى إسرائيل: زين المرأة الحياء وزين الحكيم الصمت . (الصمت ص 263)

قال الأصمعي سمعت أعرابيا يقول : من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه .
(الآداب الشرعية 2 / 227)

قال المحاسبي : المراقبة علم القلب بقرب الرب , كلما قويت المعرفة بالله قوي الحياء من قربه ونظره . (التوحيد لابن رجب 73)

قال أبو حاتم : إن المرء إذا اشتد حياؤه صان عرضه ودفن مساوية ونشر محاسنه ومن ذهب حياؤه ذهب سروره ومن ذهب سروره هان على الناس ومقت ومن مقت أودي ومن أودي حزن ومن حزن فقد عقله ومن أصيب في عقله كان أكثر قوله عليه لاله ولا دواء لمن لا حياء له ولا حياء لمن لا وفاء له ولا وفاء لمن لا إياء له ومن قل حياؤه صنع ما شاء وقال ما أحب . (روضة العقلاء 1 / 58)

قال ابن القيم في حقيقة الحياء : قال صاحب المنازل : الحياء : من أول مدارج أهل الخصوص ، يتولد من تعظيم منوط بود . إنما جعل الحياء من أول مدارج أهل الخصوص : لما فيه من ملاحظة حضور من يستحي منه ، وأول سلوك أهل الخصوص : أن يروا الحق سبحانه حاضرا معهم ، وعليه بناء سلوكهم . وقوله : إنه يتولد من تعظيم منوط بود . يعني : أن الحياء حالة حاصلة من امتزاج التعظيم بالمودة ، فإذا اقتربنا تولد بينهما الحياء ، والجنيذ يقول : إن تولده من مشاهدة النعم ورؤية التقصير ، ومنهم من يقول : تولده من شعور القلب بما يستحي منه ، فيتولد من هذا الشعور والنفرة ، حالة تسمى : الحياء ، ولا تنافي بين هذه الأقوال ، فإن للحياء عدة أسباب .
(مدارج السالكين 2 / 253)

قال ابن القيم : ومن وافق الله في صفة من صفاته قاداته تلك الصفة إليه بزمامه وأدخلته على ربه وأدنته منه وقربته من رحمته وصيرته محبوبا فإنه سبحانه رحيم يحب الرحماء كريم يحب الكرماء عليم يحب العلماء ، قوي يحب المؤمن القوي وهو أحب إليه من المؤمن الضعيف حتى يحب أهل الحياء ، جميل يحب أهل الجمال وترى أحب أهل الوتر . (الجواب الكافي 67)

قَالَ الشَّاعِرُ: (أَدَبُ الدُّنْيَا وَالِدِينِ لَلْمَأْوُودِي 2 / 103)

إِذَا لَمْ تَخْشَ عَاقِبَةَ اللَّيَالِي *** وَلَمْ تَسْتَحْ فَاصْنَعْ مَا تَشَاءُ

فَلَا وَاللَّهِ مَا فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ *** وَلَا الدُّنْيَا إِذَا ذَهَبَ الْحَيَاءُ

يَعِيشُ الْمَرْءُ مَا اسْتَحْيَا بِخَيْرٍ *** وَيَبْقَى الْعُودُ مَا بَقِيَ اللَّحَاءُ

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

عن الشعبي ، قال : سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه امرأة تقول : دعطني النفس بعد خروج عمرو إلى اللذات تطلع اطلاعا فقلت لها عجلت فلن تطاعي ولو طالمت إقامته رباعا أحاذر أن أطيعك سب نفسي ومخزاة تحللني قناعا فقال لها عمر : ما الذي منعك من ذلك ؟ قالت : الحياء وإكرام زوجي . فقال عمر : إن في الحياء لهنات (أي أشياء) . ذات ألوان من أستحيي اختفى ومن اختفى اتقى ومن اتقى وقي . (محاسبة النفس لابن أبي الدنيا 113)

قال مالك بن أنس : قسم بيت عائشة باثنين : قسم كان فيه القبر ، وقسم كان تكون فيه عائشة ، وبينهما حائط ، فكانت عائشة ربما دخلت حيث القبر فضلا ، فلما دفن عمر لم تدخله ألا وهي جامعة عليها ثيابها . (الطبقات الكبرى لابن سعد 2 / 294)

وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه لم يكن يدخل الحمام إلا وحدة ، وعليه ثوب صفيق (أي غليظ) ويقول : إني لأستحي من الله أن يراني في الحمام متجردا . (سير أعلام النبلاء 3 / 355)

عن الحسن قال : وذكر عثمان رضي الله عنه ، وشدة حياءه : إن كان ليكون في البيت ، والباب عليه مغلق ، فما يضع عنه الثوب ليفيض عليه الماء ، يمنعه الحياء أن يقيم صلبه . (الحلية 1 / 56)

جاء عن أبي موسى الأشعري : أنه كان إذا نام لبس تبانا (سراويل قصيرة إلى الركبة أو ما فوقها تستر العورة) مخافة أن تنكشف عورته . (سير أعلام النبلاء 2 / 399)

قال ابوموسى الأشعري : إني لأدخل البيت المظلم أغتسل فيه من الجنابة فأحني فيه ظهري إذا أخذت ثوبي حياء من ربي . (سير أعلام النبلاء 2 / 401)

وخرج زيد بن ثابت : يريد المسجد فاستقبل الناس راجعين ، وجد الناس قد خرجوا من الصلاة فدخل دارا ، يعني توارى عنهم فقيل له : لماذا فعلت ذلك ؟ قال : إنه لا يستحي من الناس من لا يستحي من الله . (تاريخ دمشق لابن عساكر 19 / 332)

وكان الأسود بن يزيد النخعي يجتهد في العبادة ويصوم حتى يخضر ويصفّر ، فلما احتضر بكى ، فقيل له : ما هذا الجزع ؟ فقال : مالي لا أجزع ، والله لو أتيت بالمغفرة من الله لأهمني الحياء منه

مما قد صنعت ، إن الرجل ليكون بينه وبين آخر الذنب الصغير فيعفو عنه ، فلا يزال مستحيا منه . (سير أعلام النبلاء 4 / 52)

ويقول أبو العباس الأزهري : سمعت خادمة محمد بن يحيى وهو على السرير يغسل - يعني مات - تقول : خدمته ثلاثين سنة ، وكنت أضغ له الماء - يعني ليغتسل - فما رأيت ساقه قط وأنا ملك له . (سير أعلام النبلاء 12 / 279)

وروى أن عمرو بن عتبة بن فرقد كان يصلي ذات ليلة ، فسمعوا صوت الأسد ، فهرب من كان حوله ، وهو قائم يصلي فلم ينصرف ، فقالوا له : أما خفت الأسد ؟ فقال : " إني لأستحي من الله أن أخاف شيئا سواه . (حلية الأولياء 2 / 40)

وقال جعفر الصانع : كان في جيران أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ، رجل ممن يمارس المعاصي والقاذورات ، فجاء يوما إلى مجلس أحمد يسلم عليه ، فكان أحمد لم يرد عليه ردا تاما وانقبض منه ، فقال له : يا أبا عبد الله ! لم تنقبض مني ؟ فإني قد انتقلت عما كنت تعهدني برؤيا رأيتها . قال : وأي شيء رأيت ؟ قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم كأنه على علو من الأرض ، وناس كثير أسفل جلوس ، قال : فيقوم رجل رجل منهم إليه ، فيقول : ادع لي ! فيدعوله حتى لم يبق من القوم غيري ، قال : فأردت أن أقوم فاستحييت من قبيح ما كنت عليه ، قال لي : يا فلان ! لم لا تقوم إلى فتسألني أدعوك ؟ قال : قلت : يا رسول الله ! يقطعني الحياء لقبيح ما أنا عليه . فقال : إن كان يقطعك الحياء فقم فسألني أدع لك فإنك لا تسب أحدا من أصحابي . قال : فقامت ، فدعاني ، فانتبهت وقد بغض الله إلى ما كنت عليه . قال : فقال لنا أبو عبد الله : يا جعفر ، يا فلان ، حدثوا بهذا واحفظوه فإنه ينفع . (التوايين لابن قدامه 152)

جاء عن الحسين بن محمد بن خسرو قال : جاء أبو بكر بن ميمون فدق الباب على الحميدي - صاحب المسند الإمام المعروف - ، وظن أنه أذن له ، فدخل ، فوجدته مكشوف الفخذ ، فبكي الحميدي وقال : والله لقد نظرت إلى موضع لم ينظره أحد منذ عقلت . (السير 19 / 122)

قال الجراح بن عبد الله الحكمي : تركت الذنوب حياء أربعين سنة ، ثم أدركني الورع . (سير أعلام النبلاء 5 / 190)

85- باب حفظ السر

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا [الإسراء: 34].

685- وعن أبي سعيد الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَزَلَّةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلُ يُفْضِي إِلَى الْمَرْأَةِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا» رواه مسلم .

686- وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن عمر رضي الله عنه حين تَأَيَّمَتْ بِنْتُهُ حَفْصَةُ قَالَ: لَقِيتُ عَثْمَانَ بْنَ عَمْرٍاءَ رضي الله عنه ، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْ كَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ؟ قَالَ: سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي فَلَبِثْتُ لَيْالِي ، ثُمَّ لَقِيتُ ، فَقَالَ: قد بدا لي أن لا أَتَزَوَّجَ يَوْمِي هَذَا ، فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رضي الله عنه . فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْ كَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ ، فَصَمْتُ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه ، فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا ، فَكُنْتُ عَلَيْهِ أَوْجَدَ مِنِّي عَلَى عَثْمَانَ ، فَلَبِثْتُ لَيْالِي ، ثُمَّ خَطَبَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَنْكَحَهُمَا إِيَّاهُ ، فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلِيَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلِيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ شَيْئًا؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ . قَالَ: فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ عَلِيَّ إِلَّا أَنِّي كُنْتُ عِلْمْتُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَهَا ، فَلَمْ أَكُنْ لِأَفْئِي سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَوْ تَرَكَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَبَلْتُهَا ، رواه البخاري .

687- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كُنَّ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَهُ ، فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ رضي الله عنها تَمْشِي . مَا تَخْطِيءُ مِشْيَتُهَا مِنْ مِشْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا ، فَلَمَّا رَأَاهَا رَحَّبَ بِهَا وَقَالَ: «مَرْحَبًا بِابْنَتِي» ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ . ثُمَّ سَارَهَا فَبَكَتْ بُكَاءً شَدِيدًا ، فَلَمَّا رَأَى جَزَعَهَا سَارَهَا الثَّانِيَةَ فَضَحِكَتْ ، فَقُلْتُ لَهَا: خَصَّكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ بِالسَّرَارِ ، ثُمَّ أَنْتِ تَبْكِينَ؟ فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلْتُهَا: مَا قَالَ لِكَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأَفْشِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِرَّهُ . فَلَمَّا تُوَفِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَلْتُ: عَزَمْتُ عَلَيْكَ بِمَا لِي عَلَيْكَ مِنَ الْحَقِّ ، لِمَا حَدَّثْتَنِي مَا قَالَ لِكَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَتْ: أَمَّا الْآنَ فَنَعَمْ ، أَمَا حِينَ سَارْتَنِي فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى فَأَخْبَرَنِي «أَنَّ جَبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ، وَأَنَّهُ عَارِضُهُ الْآنَ مَرَّتَيْنِ ، وَإِنِّي لَا أَرَى الْأَجَلَ إِلَّا قَدِ اقْتَرَبَ ، فَاتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي ، فَإِنَّهُ نِعْمَ السَّلْفُ أَنَا لِكَ» فَبَكَتْ بُكَائِي الَّذِي رَأَيْتُ فَلَمَّا رَأَى جَزَعِي سَارْتَنِي الثَّانِيَةَ ، فَقَالَ: «يَا فَاطِمَةُ أَمَا تَرْضِينَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ؟» فَضَحِكْتُ ضَحِكِي الَّذِي رَأَيْتُ ، مَتَّفِقٌ عَلَيْهِ . وهذا لفظ مسلم .

688- وعن ثابتٍ عن أنس ، رضي الله عنه قال : أتى عليَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنا أَلْعَبُ مع الْعِلْمَانِ ، فَسَلَّمَ عَلَيْنَا ، فَبَعَثَنِي فِي حَاجَةٍ ، فَأَبْطَأْتُ عَلَى أُمِّي ، فَلَمَّا جِئْتُ قَالَتْ : مَا حَبَسَكَ ؟ فَقُلْتُ : بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَاجَةٍ ، قَالَتْ : مَا حَاجَتُهُ ؟ قُلْتُ : إِنَّهَا سُرٌّ . قَالَتْ : لَا تُخْبِرَنَّ بِسِرِّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدًا . قَالَ أَنَسٌ : وَاللَّهِ لَوْ حَدَّثْتُ بِهِ أَحَدًا لَحَدَّثْتُكَ بِهِ يَا ثَابِتُ . رواه مسلم . وروى البخاري بَعْضَهُ مُخْتَصِرًا .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

قال أبي جعفر الطبري : (وأوفوا بالعهد) أنها العقود التي تنعقد بين متعاقدين يلزمهم الوفاء بها . (تفسير الماوردي 3 / 242)

قال السدي : (إن العهد كان مسئولا) كان مطلوبا وقيل : العهد يسأل عن صاحب العهد فيقال : فيما نقضت كالمؤودة تسأل فيم قتلت ؟ . (تفسير البغوي 5 / 93)

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قال العباس لابنه عبد الله : إني أرى هذا الرجل (يعني عمر بن الخطاب) يقدمك على الأشياخ فاحفظ عني خمسا : لا تفضين له سرا ، ولا تغتابن عنده أحدا ولا تجرين عليه كذبا ولا تعصين له أمرا ولا يطلعن منك على خيانة . قال الشعبي : كل كلمة من هذه الخمس خير من ألف فقال : (نعم ومن عشرة آلاف) . (إحياء علوم الدين 2 / 195)

قال علي بن أبي طالب : سرك أسيرك ، فإن تكلمت به ، صرت أسيره . (أدب الدنيا والدين 306)

قال عمرو بن العاص : عجبت من الرجل يفر من القدر ، وهو مو اقع ! ويرى القذاة في عين أخيه ، ويدع الجذع في عينه ويخرج الضغن من نفس أخيه . ويدع الضغن في نفسه وما وضعت سري عند أحد فلمته على إفشاءه ، وكيف ألومه وقد ضقت به ذراعا ؟ . (الأدب المفرد للبخاري 886)

قال معاوية : ما أفشيت سري إلى أحد إلا أعقبني طول الندم وشدة الأسف ولا أودعته جوانح صدري فحكمته بين أضلاعي ، إلا أكسبني مجدا وذكرا ، وسناء ورفعة . فقيل : ولا ابن العاص . قال : ولا ابن العاص . وكان يقول : ما كنت كاتمة من عدوك فلا تظهر عليه صديقك . (المحاسن والأضداد 42)

قال الحسن : إن من الخيانة أن تحدث بسر أخيك . (إحياء علوم الدين 3 / 132)

وقال أكتم بن صيفي: إن سرّك من دمك فانظر أين تريقه. (الأداب الشرعية 174/2)

وقال الأعمش: يضيق صدر أحدهم بسرّه حتى يحدث به ثم يقول: أكتمه علي .
(روضة العقلاء 191)

وقال عمر بن عبد العزيز: القلوب أوعية الأسرار، والشفاة أقفالها، والألسن مفاتيحها، فليحفظ كل امرئ مفتاح سرّه. (أدب الدنيا والدين للماوردي 308)

وقال سعيد بن المسيب: كتب إلى بعض إخواني من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن ضع أمر أخيك على أحسنه ما لم يأتك ما يغلبك، ولا تظنن بكلمة خرجت من امرئ مسلم شرا وأنت تجد لها في الخير محملا، ومن عرض نفسه للتهم فلا يلومن إلا نفسه، ومن كتم سرّه كانت الخيرة في يده وما كافات من عصى الله تعالى فيك بمثل أن تطيع الله فيه .
(شعب الإيمان 6/323 رقم 8345)

وقال ذو النون المصري: لا خير في صحبة من لا يحب أن يراك إلا معصوما، ومن أفشى السر عند الغضب فهو اللئيم؛ لأن إخفاءه عند الرضا تقتضيه الطباع السليمة كلها. (الإحياء 2/195)

قال الثوري: إذا أردت أن تؤاخي رجلا فأغضبه، ثم دس عليه من يسأله عنك وعن أسرارك؛ فإن قال خيرا وكتم سرّك فاصحبه. (إحياء علوم الدين 2/195)

قال أبو حاتم: الإفراط في الاسترسال بالأسرار عجز وما كتّمه المرء من عدوه، فلا يجب أن يظهره لصديقه، وكفى بذوي الألباب عبرا ما جربوا، ومن استودع حديثا فليستره، ولا يكن مهتاكا ولا مشياعا لأن السر إنما سمي سرا؛ لأنه لا يفشى. (روضة العقلاء للبيهقي 255)

قال أبو حاتم: من حصن بالكتمان سرّه تم له تدييره وكان له الظفر بما يريد والسلامة من العيب والضرر، وإن أخطأه التمكن والظفر والحازم يجعل سرّه في وعاء، ويكتّمه عن كل مستودع، فإن اضطره الأمر وغلبه، أودعه العاقل الناصح له؛ لأن السر أمانة، وإفشاؤه خيانة، والقلب له وعائه، فمن الأوعية ما يضيق بما يودع، ومنها ما يتسع لما استودع. (روضة العقلاء للبيهقي 189)

وقال الأبيشيبي: اعلم أن أمناء الأسرار أقل وجودا من أمناء الأموال، وحفظ الأموال أيسر من كتمان الأسرار لأن إحراز الأموال منيعة بالأبواب والأقفال وإحراز الأسرار بارزة يذيعها لسان ناطق، ويشيعها كلام سابق وحمل الأسرار أثقل من حمل الأموال. (المستطرف للأبيشيبي 1/296)

وقال الماوردي : وكم من إظهار سر أراق دم صاحبه ، ومنع من نيل مطالبه ، ولو كتبه كان من سطوته أمنا ، وفي عواقبه سالما ، ولنجاح حوائجه راجيا . (أدب الدنيا والدين 307)

وقال أيضا : وإظهار الرجل سر غيره أقبح من إظهاره سر نفسه ؛ لأنه يبوء بإحدى وصمتين : الخيانة إن كان مؤتمنا ، أو النميمية إن كان مستودعا ، فأما الضرر فربما استويا فيه وتفاضلا . وكلاهما مذموم ، وهو فیهما ملوم . (أدب الدنيا والدين 307)

قال ابن الجوزي : رأيت أكثر الناس لا يتمالكون من إفشاء سرهم ، فإذا ظهر ، عاتبوا من أخبروا به . فوا عجبا ! كيف ضاقوا بحبسه ذرعا ، ثم لاموا من أفشاه ؟ . (صيد الخاطر 273)

قال الغزالي : أفشى بعضهم سرا له إلى أخيه ثم قال له : هل حفظت ؟ قال : بل نسيت . (إحياء علوم الدين 2 / 195)

قال الراغب الأصفهاني : إذاعة السر من قلة الصبر ، وضيق الصدر ، وتوصف به ضعفه الرجال والصبيان والنساء . (الذريعة إلى مكارم الشريعة 214)

قال السفاريني : يروى أن أصبر الناس من لا يفشي سره إلى صديقه ؛ مخافة التقلب يوما ما . (غذاء الألباب 1 / 117)

وقيل لعدي بن حاتم : أي الأشياء أوضع للرجال ؟ قال : كثرة الكلام ، وإضاعة السر ، والثقة بكل أحد . (لباب الآداب 243)

وقال الجاحظ : والسر - أبقاك الله - إذا تجاوز صدر صاحبه ، وأقلت من لسانه إلى أذن واحدة ، فليس حينئذ بسر ، بل ذلك أولى بالإذاعة ، ومفتاح النشر والشهرة . وإنما بينه وبين أن يشيع ويستطير أن يدفع إلى أذن ثانية . وهو مع قلة المأمونين عليه ، وكرب الكتمان ، حري بالانتقال إليها في طرفة عين . (الرسائل الأدبية للجاحظ 92) وكان المنصور يقول : الملك يحتمل كل شيء من أصحابه إلا ثلاثا : إفشاء السر ، والتعرض للحرم ، والقدح في الملك . (المحاسن والأضداد 45)

وَقَالَ قَيْسُ بْنُ الْخَطِيمِ : (الْحَيَوَانُ لِلْجَاحِظِ 5 / 102)

وَإِنْ ضَبَعَ الْإِخْوَانَ سِرًّا فَإِنِّي *** كَتُومٌ لِأَسْرَارِ الْعَشِيرِ أَمِينٌ

يَكُونُ لَهُ عِنْدِي إِذَا مَا إِتَمَّتْهُ *** مَكَانَ بِسَوْدَاءِ الْفُؤَادِ مَكِينٌ

وَقَالَ الْمُتَنَصِّرُ بْنُ بِلَالٍ الْأَنْصَارِيُّ : (رَوْضَةُ الْعُقَلَاءِ 189)

سَأَكْتُمُهُ سِرِّي وَأَكْتُمُ سِرَّهُ وَلَا *** غَرَّتِي أَنِّي عَلَيْهِ كَرِيمٌ حَلِيمٌ
فَيُفْشِي أَوْ جَهَوْلٌ يُذِيعُهُ *** وَمَا النَّاسُ إِلَّا جَاهِلٌ وَحَلِيمٌ

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ:

لما ولي عمر بن الخطاب قدامة بن مظنون بدل المغيرة أمره ألا يخبر أحدا فلم يكن له زاد فتوجهت امرأته إلى دار المغيرة وقالت لهم أقرضونا زادا لراكب فإن أمير المؤمنين ولي زوجي الكوفة فأخبرت امرأة المغيرة زوجها فجاء عمر واستأذن عليه وقال له : ولت قدامة الكوفة وهو رجل قوي وأمين فقال : ومن أخبرك ؟ قال : نساء المدينة يتحدثن به فقال : اذهب وخذ منه العهد . (محاضرات الأدباء للأصفهاني)

كان حذيفة بن اليمان صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فعن علقمة قال : قدمت الشام فصليت ركعتين ، ثم قلت : اللهم يسر لي جليسا صالحا ، فأتيت قوما فجلست إليهم ، فإذا شيخ قد جاء حتى جلس إلى جنبي ، قلت : من هذا ؟ قالوا : أبو الدرداء فقلت : إني دعوت الله أن يسر لي جليسا صالحا ، فيسرك لي قال : ممن أنت ؟ قلت : من أهل الكوفة قال : أو ليس عندكم ابن أم عبد صاحب النعلين والوساد والمطهرة ، وفيكم الذي أجاره الله من الشيطان يعني على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم أو ليس فيكم صاحب سر النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا يعلمه أحد غيره ؟ يعني حذيفة ابن اليمان . (رواه البخاري 3742)

وأسر معاوية إلى الوليد بن عتبة حديثا ، فقال لأبيه : يا أبت ، أن أمير المؤمنين أسر إلى حديثا ، وما أراه يطوي عنك ما بسطه إلى غيرك . قال : فلا تحدثني به فإن من كتم سره كان الخيار له ، ومن أفشاه كان الخيار عليه قال : قلت : يا أبت وإن هذا ليدخل بين الرجل وبين أبيه ؟ قال : لا والله يا بني ولكن أحب أن لا تذلل لسانك بأحاديث السرفأتيت معاوية رضي الله عنه فحدثته ، فقال : يا وليد ، أعتقك أخي من رق الخطأ . (الصمت 214)

وشكا هشام بن عبد الملك ما يجد من فقد الأنيس المأمون على سره ، فقال : أكلت الحامض والحلو حتى ما أجد لهما طعما ، وأتيت النساء حتى ما أبالي امرأة لقيت أم حائطا ، فما بقيت لي لذة إلا وجود أخ ؛ أضع بيبي وبينه مؤونة التحفظ . (الرسائل الأدبية للجاحظ 92)

86- باب الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا [الإسراء: 34]، وقال تَعَالَى: وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ اللَّهُ إِذَا عَاهَدْتُمْ [النحل: 91]، وقال تَعَالَى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ [المائدة: 1]، وقال تَعَالَى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ [الصف: 2-3].

689- عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ » متفقٌ عليه . زاد في روايةٍ لمسلم : « وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ » .

690- وعن عبدِ اللهِ بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « أَرْبَعٌ مِنْ كُنْ فِيهِ كَانُ مُنَافِقًا خَالِصًا . وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا : إِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ » متفقٌ عليه .

691- وعن جابر رضي الله عنه قال : قال لي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَوْ قَدَّ جَاءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ أُعْطَيْتُكَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا » فَلَمْ يَجِيءْ مَالُ الْبَحْرَيْنِ حَتَّى قُبِضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا جَاءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ أَمَرَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه فَنَادَى : مَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِدَّةٌ أَوْ دَيْنٌ فَلْيَأْتِنَا . فَأَتَيْتُهُ وَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِي كَذَا ، فَحَتَّى لِي حَتِيَّةٌ ، فَعَدَدْتُهَا ، فَإِذَا هِيَ خَمْسُمِائَةٍ ، فَقَالَ لِي : خُذْ مِثْلَهَا . متفقٌ عليه .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

عن بريدة ، قوله : وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم . قال : أنزلت هذه الآية في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم ، كان من أسلم بايع على الإسلام ، فقالوا . وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم . هذه البيعة التي بايعتم على الإسلام . ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها . البيعة ، فلا يحملكم قلة محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكثرة المشركين أن تنقضوا البيعة التي بايعتم على الإسلام وإن كان فيهم قلة والمشركون فيهم كثرة . (تفسير الطبري 17 / 282)

عن ابن عباس قوله : أوفوا بالعقود ، يعني : بالعهود . عن ابن عباس قوله : أوفوا بالعقود . يعني : ما أحل وما حرم ، وما فرض ، وما حد في القرآن كله ، فلا تغدروا ولا تنكثوا . ثم شدد ذلك فقال : (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) إلى قوله (سوء الدار) (سورة الرعد 35) . (تفسير الطبري 9 / 450 - 452)

عن قتادة في قوله . : أوفوا بالعقود . أي بعقد الجاهلية ، ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : أوفوا بعقد الجاهلية ، ولا تحدثوا عقدا في الإسلام . عن عبد الله بن عبيدة قال : العقود خمس : عقدة الأيمان وعقدة النكاح وعقدة البيع وعقدة العهد وعقدة الحلف . (تفسير الدر المنثور 5 / 160)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال علي بن أبي طالب . مات الوفاء فلا رقد ولا طمع في الناس لم يبق إلا اليأس والجزع فاصبر على ثقة بالله وارض به فالله أكرم من يرجى ويتبع . (مجمع الحكم والأمثال لأحمد نجيب 163)

عن ابن مسعود : كان يقول أصحابه أنه إذا وعد فقال إن شاء الله لم يخلف . (البخاري كتاب الشهادات 74)

قال الأحنف : لا صديق للملوك ولا وفاء لكذوب ولا راحة لحسود ولا مروءة لبخيل ولا سوؤدد لسيئ الخلق . (عيون الأخبار 1 / 146)

قال ابن حزم : إن من حميد الغرائز وكريم الشيم وفاضل الأخلاق الوفاء وإنه لمن أقوى الدلائل وأوضح البراهين على طيب الأصل وشرف العنصر وهو يتفاضل بالتفاضل اللازم للمخلوقات وأول مراتب الوفاء أن يفي الإنسان لمن يفي له وهذا فرض لازم وحق واجب لا يحول عنه إلا خبيث المحتد لا خلاق له ولا خير عنده . (طوق الحمامة ص 205)

وقال أيضا : الوفاء مركب من العدل ، والجود ، والنجدة ؛ لأن الوفي رأى من الجور أن لا يقارض من وثق به أو من أحسن إليه ؛ فعدل في ذلك ورأى أن يسمح بعاجل يقتضيه له عدم الوفاء من الحظ فجاد في ذلك ورأى أن يتجلد لما يتوقع من عاقبة الوفاء ؛ فشجع في ذلك . (الأخلاق والسير 145)

قال الحريري : تعامل القرن الأول فيما بينهم بالدين زمانا طويلا حتى رق الدين ثم تعامل القرن الثاني بالوفاء حتى ذهب الوفاء ثم تعامل القرن الثالث بالمروءة حتى ذهبت المروءة ثم تعامل القرن الرابع بالحياء حتى ذهب الحياء ثم صار الناس يتعاملون بالرغبة والرغبة . (آداب الصحبة للسلمي 73)

قال أبو العالية : ست خصال في المنافقين ، إذا كانت فيهم الظهرة على الناس أظهروا هذه الخصال : إذا حدثوا كذبوا ، وإذا وعدوا أخلفوا ، وإذا انتمنوا خانوا ، ونقضوا عهد الله من بعد ميثاقه ،

وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل ، و أفسدوا في الأرض ، وإذا كانت الظهره عليهم أظهروا الخصال
الثلاث : إذا حدثوا كذبوا ، وإذا وعدوا أخلفوا ، وإذا ائتمنوا خانوا . (تفسير ابن كثير 1 / 211)

قال شعبة بن الحجاج : ما وعدت أيوب السخثياني موعدا قط إلا قال حين يفارقي ليس بيبي
وبينك موعد فإذا جئته وجدته قد سبقني . (سير أعلام النبلاء 6 / 19)

وجاء عن بشر بن الحارث : كان المعافي يحفظ الحديث والمسائل ، سألته عن الرجل يقول للرجل :
اقعد هنا ولا تبرح ، قال : يجلس حتى يأتي وقت صلاة ثم يقوم . (سير أعلام النبلاء 9 / 82)

عن الحسن بن عبيد الله النخعي قال قلت لإبراهيم النخعي يواعد الرجل الميعاد ولا يجيء قال
لينتظره ما بينه وبين أن يدخل وقت الصلاة التي تجيء . (التماس السعد في الوفاء بالعهد 8 / 1)

قال الأصمعي : إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل ووفاء عهده ، فانظر إلى حنينه إلى أوطانه ، وتشوقه
إلى إخوانه ، وبكائه على ما مضى من زمانه . (الآداب الشرعية 292)

قال ابن مفلح : كان يقال : كما يتوخي للوديعة ، أهل الأمانة والثقة ، كذلك ينبغي أن يتوخي
بالمعروف ، أهل الوفاء والشكر . (الآداب الشرعية لابن مفلح 292)

وعن عوف بن النعمان الشيباني أنه قال في الجاهلية الجهلاء : لأن أموت عطشا ، أحب إلي من
أكون مخالفا للموعدة . (الأمثال لأبي عبيد بن سلام 71)

قال أبو سعيد الخزاز : علامة العبودية ثلاث : الوفاء لله على الحقيقة ، والمتابعة للرسول صلى الله
عليه وسلم في الشريعة ، والنصيحة لجميع الأمة . (الزهد للبيهقي ص 287 رقم 745)

قال الجريري : ما نجا من نجا إلا بمراعاة الوفاء ؛ قال الله تعالى : (الذين يوفون بعهد الله ولا
ينقضون الميثاق) (الرعد) . (الرسالة القشيرية 1 / 232)

قال الفضل بن سهل لرجل سأله حاجة : أعدك اليوم ، وأحبوك غدا بالإنجاز : لتذوق حلاوة الأمل
، وأتزين بثبوت الوفاء . (أدب الدنيا والدين للماوردي 196)

قال أبو طالب المكي : الاستقامة على التوبة : من الوفاء بالعهد وتعددي الحدود من نقض الميثاق
وقلة الصدق . (قوت القلوب 1 / 91)

قال علي بن أحمد بن حزم : الوفاء مركب من العدل والجود والنجدة . (الأخلاق والسير في مداواة
النفوس 60)

قال عبد الواحد بن زيد : الصدق : الوفاء لله عزوجل بالعمل . (الرسالة القشيرية 2 / 232)

قال الراغب الأصفهاني : الوفاء : صدق اللسان والفعل معا . (الذريعة إلى مكارم الشريعة 209)

قال عوف الكلي: أفة المروءة خلف الموعد . (الأمثال لأبي عبيدبن سلام 71)

قال أبو حاتم الرازي : لا خير في الصدق إلا مع الوفاء كما لا خير في الفقه إلا مع الورع .
(روضة العقلاء 89)

وقال الحارث بن عمرو بن حجر الكندي : أنجز حر ما وعد . (الأمثال لأبي عبيدبن سلام 71)

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : (دِيْوَانُ الْإِمَامِ عَلِيٍّ 64)

مات الوفاء فلا رفدٌ ولا طمع في النَّاسِ *** لم يبقَ إلا اليأسُ والجزعُ

فاصبرْ على ثقةٍ باللهِ وارضَ به *** فاللهُ أكرمُ مَنْ يُرْجَى وَيُتَّبَعُ

وَقَالَ الرَّيَّانِيُّ : (أَلْعَقْدُ الْقَرِيدُ 2 / 191)

إذا ذَهَبَ التَّكْرُمُ والوَفَاءُ *** وبادِ رِجَالَهُ وَبَقِيَ الْعُنَاءُ

وَأَسْلَمَنِي الزَّمَانُ إلى رِجَالٍ *** كأَمْثَالِ الدَّنَابِ لَهَا عَوَاءُ

صَدِيقٌ كُلَّمَا اسْتَعْنَيْتَ عَنْهُمْ *** وَأَعْدَاءٌ إِذَا جَهَدَ النَّبَاءُ

إذا ما جِئْتَهُمْ يَتَدَا فَعَوْنِي *** كأَنِّي أُجْرِبُ أَذَاهُ دَاءُ

أَقُولُ وَلَا أَلَامُ عَلَى مَقَالٍ *** عَلَى الْإِخْوَانِ كُلِّهِمُ الْعَفَاءُ

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

قال قيس ابن أبي حازم : دخلت على أبي بكر الصديق في مرضه وأسماء بنت عميس تروحه وهي زوجته . فقال لأبي : يا أبا حازم ، قد أجزت لك فرسك ، وفي رواية قال : قد أجزت لك فرسيك ، وكان وعدني ووعد أبي فرسا . (تاريخ دمشق 49 / 458)

وهذا عبد الله بن عمرو بن العاص : لما حضرته الوفاة قال : انظروا فلانا لرجل من قريش فإني قلت له في ابنتي قولاً كشبيهه العدة (يعني كأنه وعده أن يزوجه) وما أحب أن ألقى الله تعالى بثالث النفاق وأشهدكم أنني قد زوجته . (سير أعلام النبلاء 8 / 396)

قال ابن عبد ربه القصاب واعدت محمد بن سيرين أن اشترى له أضحى فنسيت مواعده لشغل ثم ذكرت بعد فأتيته قريبا من نصف النهار وإذا محمد ينتظرنى فسلمت عليه فرفع رأسه فقال أما أنه قد يقبل أهون ذنب منك فقلت شغلت وعنفني أصحابي في المجيء إليك وقالوا قد ذهب ولم يقعد إلى الساعة فقال لولم تجئ حتى تغرب الشمس ما قمت من مقعدي هذا إلا للصلاة أو حاجة لا بد منها . (التماس السعد في الوفاء بالعهد 1 / 8)

87- باب الأمر بالمحافظة على ما اعتاده من الخير

قَالَ اللهُ تَعَالَى : إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ [الرعد : 11] ، وقال تَعَالَى : وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا [النحل : 92] . وَ(الأنكاثُ) : جَمْعُ نَكَثٍ ، وَهُوَ الْغَزْلُ الْمُنْقُوضُ . وقال تَعَالَى : وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ [الحديد : 16] ، وقال تَعَالَى : فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا [الحديد : 27] .

692- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال لي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يا عَبْدَ اللهِ ، لَا تَكُنْ مِثْلَ فُلَانٍ ، كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ ، « متفق عليه .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية :

عن ابن عباس : إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . لا يغير ما بهم من النعمة حتى يعملوا بالمعاصي فيرفع الله عنهم النعم . عن إبراهيم قال : أوحى الله إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل أن قل لقومك إنه ليس من أهل قرية ولا أهل بيت يكونون على طاعة الله فيتحولون إلى معصية الله إلا تحول الله مما يحبون إلى ما يكرهون ثم قال : إن تصديق ذلك في كتاب الله تعالى . إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . (تفسير الدر المنثور 8 / 394)

عن ابن عباس قال : كانت ملوك بعد عيسى بدلت التوراة والإنجيل ، فكان منهم مؤمنون يقرءون التوراة والإنجيل ، فقليل ملوكهم : ما نجد شيئا أشد من شتم يشتمنا هؤلاء ، أنهم يقرءون : ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون (المائدة 44 - 47) مع ما يعيبوننا به من أعمالنا في قراءتهم ، فادعهم فليقرءوا كما نقرأ ، وليؤمنوا كما آمننا ، فدعاهم فجمعهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل ، إلا ما بدلوا منها ، فقالوا : ما تريدون إلى ذلك ؟ دعونا ، فقالت طائفة منهم : ابنوا لنا أسطوانة ، ثم ارفعونا إليها ، ثم أعطونا شيئا نرفع به طعامنا وشرابنا ، ولا نرد عليكم ، وقالت طائفة : دعونا نسيح في الأرض ونهيم ، ونأكل مما تأكل منه الوحوش ، ونشرب

كما تشرب ، فإن قدرتم علينا في أرضكم فاقتلوننا ، وقالت طائفة : ابنوا لنا دورا في الفيافي ، ونحترق الآبار ، ونحرث البقول ، فلا نرد عليكم ، ولا نمر بكم ، وليس أحد من القبائل إلا له حميم فيهم ، ففعلوا ذلك ، فأنزله الله : ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها قال : والآخرون ممن تعبد من أهل الشرك ، وفي من قد فني منهم ، قالوا : نتعبد كما تعبد فلان ، ونسيح كما سح فلان ، ونتخذ دورا كما اتخذ فلان ، وهم على شركهم لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا بهم ، فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم إلا القليل انحط صاحب الصومعة من صومعته ، وجاء السائح من سياحته ، وصاحب الدير من ديره ، فأمنوا به وصدقوه ، فقال الله تعالى : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته أجرين : بإيمانهم بعبس ، ونصب أنفسهم ، والتوراة والإنجيل ، وإيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتصديقهم : ويجعل لكم نورا تمشون به : القرآن واتباعهم النبي صلى الله عليه وسلم .
(تفسير الدر المنثور 14 / 291)

أَثَارُ الْوَارِدَةِ فِي عَوَانِ الْبَابِ :

قال الحسن البصري : يا ابن آدم ، عملك عملك ، فإنما هو لحملك ودمك ، فانظر على أي حال تلقى عملك ؟ إن لأهل التقوى علامات ، يعرفون بها صدق الحديث ، والوفاء بالعهد ، وصلة الرحم ، ورحمة الضعفاء ، وقلة الفخر والخيلاء ، وبذل المعروف ، وقلة المباهاة للناس ، وحسن الخلق ، وسعة الخلق مما يقرب إلى الله عز وجل ؛ يا ابن آدم ، إنك ناظر إلى عملك ، يوزن خيره وشره ، فلا تحقرن من الخير شيئا ، وإن هو صغر ، فإنك إذا رأيت : سرك مكانه ؛ ولا تحقرن من الشر شيئا ، فإنك إذا رأيت : ساءك مكانه ؛ فرحم الله رجلا : كسب طيبا ، وأنفق قصدا ، وقدم فضلا ليوم فقره وفاقته ؛ هيات هيات ، ذهبت الدنيا بحالتي مآلها ، وبقيت الأعمال قلاند في أعناقكم ، أنتم تسوقون الناس ، والساعة تسوقكم ، وقد أسرع بخياركم ، فما تنتظرون المعاينة ، فكان قد . إنه لا كتاب بعد كتابكم ، ولا نبي بعد نبيكم ؛ يا ابن آدم ، بع دنياك بأخرتك تربحهما جميعا ولا تبيعن أخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا . (حلية الأولياء 2 / 143)

قال شقيق ابن إبراهيم : استتمام صلاح عمل العبد ، بست خصال : تضرع دائم ، وخوف من وعيده ؛ والثاني : حسن ظنه بالمسلمين ؛ والثالث : اشتغاله بعبه ، لا يتفرغ لعيوب الناس ؛ والرابع : يستر على أخيه عيبه ، ولا يفشي في الناس عيبه ، رجاء رجوعه عن المعصية ، واستصلاح ما أفسده من قبل ؛ والخامس : ما اطلع عليه من خسة عملها ، استعظمها ، رجاء أن يرغب في الاستزادة منها ؛ والسادسة : أن يكون صاحبه عنده مصيب . (حلية الأولياء 8 / 66)

قال أبي سليمان الداراني : إذا فاتك شيء من التطوع ، فاقض فهو أحرى أن لا تعود إلى تركه .
(حلية الأولياء 261 / 9)

وعنه أيضا قال : ليس العجب ممن لم يجد لذة الطاعة إنما العجب ممن وجد لذتها ثم تركها كيف صبر عنها ؟ . (حلية الأولياء 262 / 9)

سئل الإمام مالك : عن رجل يختم القرآن كل ليلة فقال : ما أحسن هذا ، القرآن أمام كل خير .
(البرهان في علوم القرآن 102 / 2)

عن مجاهد : قال سمعت رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال لابنه أدركت الصلاة معنا ؟ أدركت التكبيرة الأولى ؟ قال لا قال : لما فاتك منها خير من مائة ناقة كلها سود العين .
(مصنف عبد الرزاق 1 / 528)

قال سعيد بن جبير : إن من ثواب الحسنة حسنة بعدها ومن جزاء السيئة سيئة بعدها . فمن رحمه الله بالعبد أن يوفقه للعمل الصالح ثم يوفقه للمدوامه عليها والمحافظة . وهذه علامة القبول . (التحفة العراقية لابن تيمية 6)

قال عمر بن عبد العزيز : عليك بالذي يبقى لك عند الله ؛ فإن ما بقي عند الله بقي عند الناس ، وما لم يبق عند الله لم يبق عند الناس . (الزهد لابن المبارك 190)

عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه كان يحمل وهو مريض إلى المسجد . (المصنف 1 / 350)

قال محمد بن المبارك : كان سعيد بن عبد العزيز إذا فاتته صلاة الجماعة بكى . (الحلية 6 / 126)

قال الشوكاني وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يقضون ما فاتهم من أذكاهم التي كانوا يفعلونها في أوقات مخصوصة . (تحفه الذاكرين بعدة الحصن الحصين 51)

قال ابن كثير : لقد أجرى الله الكريم عادته بكرمه أن من عاش على شيء مات عليه ومن مات على شيء بعث عليه . (تفسير ابن كثير - آل عمران 102)

قال ابن القيم : سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول : من واطب على ياحى ياقيوم لا آلة إلا أنت كل يوم بين سنة الفجرو صلاة الفجر أربعين مرة أحياء الله بها قلبه . (مدارج السالكين 1 / 446)

وقال ابن القيم كذلك عن شيخه ابن تيمية : كان يدني منه حتى يجلسني إلى جانبه ، وكنت أسمع ما يتلو وما يذكر حينئذ ، فرأيتة يقرأ الفاتحة ويكررها ، ويقطع ذلك الوقت كله أعني من الفجر إلى

ارتفاع الشمس في تكرير تلاوتها ، ففكرت في ذلك ، لم قد لزم هذه السورة دون غيرها ؟ .
(الأعلام العليا 4 / 594 - 595)

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

كان عثمان أعلم الصحابة بالمناسك وبعده ابن عمر وكان يحيى الليل فيختم القرآن في ركعة قالت امرأة عثمان حين قتل : لقد قتلتموه وإنه ليحيى الليل كله بالقرآن في ركعة وعن عطاء ابن أبي رباح : إن عثمان بن عفان صلى بالناس ثم قام خلف المقام ، فجمع كتاب الله في ركعة كانت وتره فسميت بالبتيراء . (تعليق التعليق لابن حجر 937)

على ابن أبي طالب : علمه النبي أذكار النوم فيقول على والله ماتركته بعد . فقال له رجل كان في نفسه حاجة من على ولا ليلة صفين قال علي ولا ليلة صفين . (البخاري 6318)

سيدنا بلال بن أبي رباح : أرحى عمل عمله أنه لم يتطهر في ساعة من ليل أو نهار الأصلي بذلك الطهور ما كتب له أن يصلي . (البخاري 4 / 322)

قال عثمان النهدي : تضيفت أبا هريرة أي : نزلت عليه ضيفا سبعة أيام ، فكان هو وزوجته وخادمته - أي : أمته يقتسمون الليل ثلاثا تصلي الزوجة ثلاثا وتصلي الأمة ثلاثا ، ويصلي أبو هريرة ثلاثا . (كتاب الزهد لأحمد - البخاري)

قال القاسم بن محمد : وكانت عائشة إذا عملت العمل لزمته . (صحيح مسلم 783)

عن سعيد بن المسيب قال : ما لقيت الناس منصرفين من الصلاة منذ أربعين سنة .
(التهجد للاشبيلي ص 55 رقم 204 - حلية الأولياء 2 / 162)

قال الحافظ ابن عبد البر : إن عبد الله العمري العابد كتب إلى مالك يحضه على الانفراد والعمل فكتب إليه مالك : إن الله قسم الأعمال كما قسم الأزواق ، فرب رجل فتح له في الصلاة ولم يفتح له في الصوم ، وآخر فتح له في الصدقة ولم يفتح له في الصوم ، وآخر فتح له في الجهاد ، فنشر العلم من أفضل أعمال البر وقد رضيت بما فتح لي فيه ، وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر . (سير أعلام النبلاء 8 / 114)

عن عثمان بن أبي العاتكة قال : كان من أمر أبي مسلم الخولاني : أن علق سوطا في مسجده ويقول : أنا أولى بالسواط من الدواب ، فإذا دخلته فترة مشق ساقه سوطا أو سوطين وكان يقول : لو

رأيت الجنة عيانا ما كان عندي مستزاد ، ولو رأيت النار عيانا ، ما كان عندي مستزاد .
(حلية الأولياء 2 / 127)

قال عبد الرحمن : سألت ابن مهدي عن الرجل يبني بأهله أيترك الجماعة ؟ قال : لا ولا صلاة واحدة وحضرته صبيحة بني علي ابنته فخرج ثم مشى إلى باهما فقال للجارية : قولي لهما يخرجان إلى الصلاة فخرج النساء والجواري فقلن : سبحان الله أي شيء هذا ؟ فقال : لا أبرح حتى يخرجنا إلى الصلاة . (سير أعلام النبلاء 9 / 204)

عن عنسة بن الأزهر قال : تزوج الحارث بن حسان وكانت له صحبة فقيل له : أتخرج وإنما بنيت بأهلك في هذه الليلة ؟ فقال : والله إن امرأة تمنعني من صلاة الغداة في جمع لامرأة سوء . (مجمع الزوائد للهيثمي 6 / 41)

وقال سلمه بن شبيب : كان خالد بن معدان يسيح في اليوم أربعين ألف تسبيحة سوى ما يقرأ من القرآن فلما مات فوضع على سريره ليغسل جعل بأصبعه كذا يحركها : يعني بالتسبيح . (سير أعلام النبلاء 4 / 541)

عن مصعب قال : سمع عامر بن عبد الله المؤذن وهو يجود بنفسه فقال : خذوا بيدي فقيل إنك عليل قال : أسمع داعي الله فلا أجيبه ، فأخذوا بيده فدخل مع الإمام في المغرب ، فركعة ركعة ثم مات . (سير أعلام النبلاء 5 / 220)

عن أبي حيان عن أبيه قال أصاب الربيع بن خثيم الفالج فكان يحمل إلى الصلاة فقيل له : إنه قد رخص لك ، قال : قد علمت ولكني أسمع النداء بالفلاح . (الزهد لأحمد / 408)

كان بشر بن الحسن يلقب (بالصفى) لأنه كان يلزم الصف الأول في مسجد البصرة خمسين سنة . (تهذيب التهذيب 1 / 447)

88- باب استحباب طيب الكلام وطلاقة الوجه عند اللقاء

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ [الحجر : 88] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا لَاقْتَضَى الْقَلْبُ لَانْفِضُوا مِنْ حَوْلِكَ [آل عمران : 159] .

693- عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فِكَلِمَةً طَيِّبَةً » متفق عليه .

694- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : **والكلمة الطيبة صدقة** « متفقٌ عليه . وهو بعض حديث تقدم بطوله .

695- وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **« لا تحقرنَّ منَّ المعروفِ شيئاً ، ولو أن تلقى أخاك بوجهٍ طليقٍ »** رواه مسلم .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية :

عن قتادة : ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، أي والله لظهره الله من الفضافة والغلظة وجعله قريبا رحيفا بالمؤمنين رؤوفا وذكر لنا أن نعت محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة : ليس بفظ ولا غليظ ولا صخوب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة مثلها ولكن يعفو ويصفح . (تفسير الطبري 7 / 342)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال لقمان لابنه : خصلتان يزينانك : أعلم أنه لا يطأ بساطك إلا راغب فيك ، أوراها منك . فأما الراهب منك فادن مجلسه ، وتهلل في وجهه ، وإياك والغمز من ورائه . وأما الراهب فيك ، فابذل له البشاشة ، وابدأه بالنوال قبل السؤال ، فإنك متى تلجئه إلى مسألتك تأخذ من حروجه ضعفي ما تعطيه . (الجليس الصالح والأنيس الناصح 1 / 449)

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : إذا التقى المسلمان فتصافحا وسلم كل واحد منهما على صاحبه ، كان أحبهما إلى الله أحسنهما بشرا بصاحبه ونزلت بينهما مائة رحمة ، للبيدائ تسعون ، وللمصافح عشر . (مدارة الناس لابن أبي الدنيا 1 / 69)

عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : (ألم تركيب ضرب الله مثلا كلمة طيبة) (إبراهيم 24) قال : كلمة طيبة شهادة أن لا إله إلا الله كشجرة طيبة وهو المؤمن . (تفسير الطبري 12 / 135)

قال ابن عباس رضي الله عنهما : (الكلم الطيب) ذكر الله . (فتح الباري 13 / 427)

قال ابن عمر : إن البرشيء هين وجه طليق ولسان لين . (مدارة الناس 1 / 116)

كان ابن عمر : من أمزح الناس واضحكه . (مدارة الناس لابن أبي الدنيا 1 / 70)

وعن عكرمة رضي الله عنه في قوله تعالى : (كشجرة طيبة) قال : هي النخلة لا يزال فيها شيء ينتفع بهيأما ثمرة وإما حطب قال : وكذلك الكلمة الطيبة تنفع صاحبها في الدنيا والآخرة .
(تفسير الدر المنثور 5/ 23)

عن أبي هريرة رضي الله عنه في قوله تعالى : (إليه يصعد الكلم الطيب) قال : الكلم الطيب ذكر الله . (والعمل الصالح يرفعه) قال : أداء الفرائض فمن ذكر الله في أداء فرائضه حمل عمله ذكر الله فصعد به إلى الله ومن ذكر الله ولم يؤد فرائضه حمل كلامه على عمله وكان عمله أولى به .
(تفسير الدر المنثور 7/ 9)

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه : إن المسلمين إذا التقيا ، فضحك كل واحد منهما في وجه صاحبه ، ثم أخذ بيده ، تحاتت ذنوبهما كتحات ورق الشجر . (التذكرة الحمدونية 2/ 228)
تذاكروا عند الأحنف بن قيس أيما أفضل الصمت أو النطق ؟ فقال قوم الصمت أفضل فقال الأحنف النطق أفضل لأن فضل الصمت لا يعدو صاحبه والمنطق الحسن ينتفع به من سمعه .
(غذاء الألباب 1/ 74)

قال الأحنف : رأس المروءة : طلاقة الوجه ، والتودد إلى الناس . (التذكرة الحمدونية 1/ 204)

قال منصور: كان محمد بن سيرين يضحك حتى تدمع عيناه . (مدارة الناس 1/ 74)

كان محمد بن سيرين ينشد الشعر ويضحك حتى يميل فإذا جاء الحديث من السنة كلج .
(مدارة الناس لابن أبي الدنيا 1/ 76)

قال هشام بن عروة عن أبيه : مكتوب في الحكمة ليكن وجهك بسطا وكلمتك طيبة تكن أحب إلى الناس من الذي يعطيهم العطاء . (شعب الإيمان 6/ 254 - 8057)

قال سعيد بن عبد الرحمن الزبيدي : إنه ليعجبي من القراء كل سهل طلق مضحاك ، فأما من تلقاه بالبشر ويلقاك بالعبوس كأنه يمن عليك فلا أكثر الله في القراء مثله . (مدارة الناس 1/ 71)

قال أبو جعفر المنصور: إن أحببت أن يكثر الثناء الجميل عليك من الناس بغير نائل ، فالقهم ببشر حسن . (عين الأدب والسياسة لعلي بن هذيل 154)

قال بلال بن سعد : كانوا يشتدون بين الأغراض ويضحك بعضهم إلى بعض فإذا جاء الليل كانوا رهباناً . (مدارة الناس لابن أبي الدنيا 1/ 78)

قيل للأوزاعي رحمه الله : ما كرامة الضيف ؟ قال : طلاقة الوجه وطيب الحديث . (الإحياء 2 / 18)

قال ميمون بن مهران : المروءة : طلاقة الوجه ، والتودد إلى الناس ، وقضاء الحوائج .
(تاريخ دمشق 61 / 363)

قال إبراهيم التيمي : أخبرني من صحب الربيع بن خثيم عشرين عاما ما سمع منه كلمة تعاب .
(صفة الصفوة 2 / 35)

قال ابن المنكدر : يمكنكم من دخول الجنة إطعام الطعام وطيب الكلام . (مدارة الناس 1 / 110)

قال أبو حاتم : البشاشة أدام العلماء ، وسجية الحكماء لأن البشر يطفئ نار المعاندة ويحرق هيجان المباغضة ، وفيه تحصين من الباغي ، ومنجاة من الساعي ومن بش للناس وجها لم يكن عندهم بدون الباذل لهم ما يملك . (روضة العقلاء 1 / 75)

وقال أيضا : لا يجب للسلطان أن يفرط البشاشة والهشاشة للناس ، ولا أن يقل منهما ؛ فإن الإكثار منهما يؤدي إلى الخفة والسخف ، والإقلال منهما يؤدي إلى العجب والكبر .
(روضة العقلاء 1 / 269)

قال الحارث المحاسبي : ثلاثة أشياء عزيزة أو معدومة : حسن الوجه مع الصيانة ، وحسن الخلق مع الديانة ، وحسن الإخاء مع الأمانة . (غداء الألباب شرح منظومة الآداب للسفاري 1 / 284)

قال ابن القيم : وكذلك طلاقة الوجه ، والبشر المحمود ؛ فإنه وسط بين التعيبس والتقطيب وتصعير الخد ، وطى البشر عن البشر ، وبين الاسترسال بذلك مع كل أحد ، بحيث يذهب الهيبة ، ويزيل الوقار ، ويطمع في الجانب ، كما أن الانحراف الأول يوقع الوحشة والبغضة ، والنفرة في قلوب الخلق . وصاحب الخلق الوسط : مهيب محبوب ، عزيز جانبه ، حبيب لقاؤه . وفي صفة نبينا صلى الله عليه وسلم من رآه بديهة هابه . ومن خالطه عشرة أحبه والله أعلم .
(مدارج السالكين 2 / 311)

قال النووي : بلغنا أن قس بن ساعدة وأكثم بن صيفي اجتمعا فقال أحدهما لصاحبه : كم وجدت في ابن آدم من العيوب ؟ فقال : هي أكثر من أن تحصى والذي أحصيته ثمانية آلاف عيب فوجدت خصلة إن استعملتها سترت العيوب كلها قال : ما هي ؟ قال : حفظ اللسان .
(الأذكار للنووي 287)

89 - استحباب بيان الكلام وإيضاحه للمخاطب وتكريره ليفهم إذا لم يفهم إلا بذلك

696- عن أنس رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ ، وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلَاثًا . رواه البخاري .

697- وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان كلامُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلاماً فصلاً يفهمه كلُّ مَنْ يَسْمَعُهُ . رواه أبو داود .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : من كثر كلامه كثرت سقطته ومن كثرت سقطته كثرت ذنوبه ، ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به . (جامع العلوم والحكم 161)

كتب عمر بن الخطاب إلى ابوموسى الأشعري رضي الله عنهما أما بعد فتفقهوا في السنة وتفقهوا في العربية وأعربوا القرآن فإنه عربي . (اقتضاء الصراط المستقيم 2 / 207)

قال عمر بن الخطاب : تعلموا العربية ؛ فإنها تنبت العقل وتزيد المروءة . (شعب الإيمان 2 / 257)

وقال أيضا : تعلموا العربية فإنها من دينكم وتعلموا الفرائض فإنها من دينكم . (اقتضاء الصراط المستقيم 2 / 207)

قالت عائشة : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد سردكم هذا ولكن كان يتكلم بكلام بين فصل يحفظه من جلس إليه وكان كثيرا ما يعيد الكلام ثلاثا ليعقل عنه وكان إذا سلم سلم ثلاثا . وكان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة ، يفتح الكلام ويختتمه بأشداقه ، ويتكلم بجوامع الكلام فصل لا فضول ولا تقصير وكان لا يتكلم فيما لا يعنيه ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه وإذا كره الشيء عرف في وجهه ولم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا وكان جل ضحكه التبسم بل كله التبسم فكان نهاية ضحكه أن تبدو نواجذه . (زاد المعاد 1 / 175)

وسئل معاوية عمرو بن العاص من أبلغ الناس ؟ قال : أقلهم لفظا وأسهلهم معنى وأحسنهم بديهة . (المستطرف للأبشيبي 1 / 94)

قال عمرو بن العاص : دع ما لست منه في شيء ولا تنطق فيما لا يعينك واخزن لسانك كما تخزن ورقك . (إحياء علوم الدين 3 / 223)

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : أنذرتكم فضول الكلام ، بحسب أحدكم ما بلغ حاجته .
(الصمت لابن أبي الدنيا 239)

قال عبد العزيز بن أبي رواد : قال رجل لسلمان رضي الله عنه : أوصني قال : لا تكلم قال : وكيف يصبر رجل على ألا يتكلم ؟ قال : فإن كنت لا تصبر على الكلام فلا تتكلم إلا بخير أو أصمت .
(الصمت 215)

قال عبد الملك بن مروان : أن الكلام قاض يحكم بين الخصوم وضيء يجلو الظلم حاجة الناس إلى مواده كحاجتهم إلى مواد الأغذية . (غرر الخصائص الواضحة للوطواط 1 / 73)

قال الحسن : لسان العاقل من وراء قلبه . فإذا أراد الكلام رجع إليه فإن كان له تكلم به وإلا تركه ولسان الجاهل أمام قلبه يتكلم بما عرض له . وقيل : من لم يخف الكلام تكلم ، ومن خافه تبكم .
(محاضرات الأدباء للأصفهاني 1 / 27)

عن الحسن : من علامة إعراض الله تعالى عن العبد أن يجعل شعلة فيما لا يعنيه .
(جامع العلوم والحكم 294)

قال ابن سيرين : ما رأيت على رجل أحسن من فصاحة ولا على امرأة أحسن من شحم .
(عيون الأخبار 2 / 554)

قال الأوزاعي : كتب إلينا عمر بن عبد العزيز برسالة لم يحفظها غيري وغير مكحول ، قال فيها : أما بعد : فإنه من أكثر ذكر الموت ، رضي من الدنيا باليسير ومن عد كلامه من عمله ، قل كلامه إلا فيما يعنيه . (إحياء علوم الدين 3 / 112)

وقال يحيى بن معاذ الرازي : أحسن شيء كلام صحيح من لسان رجل فصيح ، في وجه صبيح ، كلام رقيق يستخرج من بحر عميق ، على لسان رجل رقيق . (تاريخ بغداد 14 / 209)

وقال يحيى بن خالد : ما رأيت رجلا قط إلا هبته حتى يتكلم فإن كان فصيحاً عظم في صدري وإن قصر سقط من عيني . (المستطرف في كل فن مستظرف 1 / 96)

قال عبد الرحمن بن مهدي : ما ندمت على شيء ندامتي أني لم أنظر في العربية .
(روضة العقلاء 221)

قال محمد بن المنكدر : لأن أسمع أحب إلي من أن أنطق ، لأن المستمع يتقى ويتوقى .
(محاضرات الأدباء 1 / 27)

قول ابن المعتز: البيان ترجمان القلوب وصيقل العقول . (غرر الخصائص الواضحة 1 / 73)

وقال سهل بن هرون : البيان ترجمان اللسان وروض القلوب . (غرر الخصائص الواضحة 1 / 73)

قال خالد ابن صفوان : ما الإنسان لولا اللسان إلا صورة ممثلة أو بهيمة مرسله أو حالة مهملة .
(غرر الخصائص الواضحة للوطواط 1 / 73)

قال الشافعي لصاحبه الربيع : يا ربيع لا تتكلم فيما لا يعنك فإنك إذا تكلمت بالكلمة ملكتك ولم تملكها . (المستطرف للأبشيبي 186)

قال أبو حاتم ألبستي : ليست الفصاحة إلا إصابة المعنى والقصد ولا البلاغة إلا تصحيح الأقسام واختيار الكلام ومن أحمد الفصاحة الاقتدار عند البداهة والغزارة عند الإطالة . وأحسن البلاغة وضوح الدلالة وحسن الإشارة . ولقد سمعت محمد بن نصر بن نوفل المروزي يقول : سمعت أبا داود السنجي يقول : سمعت الأصمعي يقول : ليست البلاغة بخفة اللسان ولا كثرة الهذيان ولكن بإصابة المعنى والقصد إلى الحاجة وأن أبلغ الكلام ما لم يكن بالقروي المجدع ولا البدوي المعرب .
(روضة العقلاء 222)

وقال أبو حاتم : الكلام مثل اللؤلؤ الأزهر والزبرجد الأخضر والياقوت الأحمر إلا أن بعضه أفضل من بعض ومنه ما يكون مثل الخزف والحجر والتراب والمدر . (الخطابة لمحمد أبي زهرة 223)

وقال أيضا : الفصاحة أحسن لباس يلبسه الرجل ، وأحسن إزار يترزبه العاقل ، والأدب صاحب في الغربية ، ومؤنس في القلة ، وزين في المحافل ، وزيادة في العقل ، ودليل على المروءة ، ومن استفاد الأدب في حديثه انتفع به في كبره ، لأن من غرس فسيلا يوشك أن يأكل رطبها ، وما يستوي عند أولي النهى ، ولا يكون سيان عند ذوي الحجي : رجلان أحدهما يلحن والآخر لا يلحن .
(روضة العقلاء 220)

وقال أيضا : أحوج الناس إلى لزوم الأدب وتعلم الفصاحة أهل العلم ، لكثرة قراءتهم الأحاديث وخوضهم أنواع العلوم . (روضة العقلاء 223)

قال ابن تيمية : اللغة العربية من الدين ومعرفتها فرض واجب فإن فهم الكتاب والسنة فرض ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .
(اقتضاء الصراط المستقيم 2 / 207)

قال حسان بن ثابت في ابن عباس : (الأوراق قسم أخبار الشعراء للصولي 2 / 78)

إِذْ قَالَ لَمْ يَتْرُكْ مَقَالًا لِقَائِلِ *** بِمُنْتَضِمَاتٍ لَا تَرَى بَيْنَهَا فَصْلًا

كَفَى وَشَفَى مَا فِي النُّفُوسِ فَلَمْ يَدَعْ *** لِذِي إِرْبِهِ فِي الْقَوْلِ جِدًّا وَلَا هَزْلًا

الآثار العملية في حياة السلف :

وقال عبد الملك لرجل حدثني فقال : يا أمير المؤمنين افتتح فإن الحديث يفتح بعضه بعضا وقال الهيثم ابن صالح لابنه : يا بني إذا أقللت من الكلام أكثرت من الصواب قال يا أبت فإن أنا أكثرت وأكثرت يعني كلاما وصوابا قال : يا بني ما رأيت موعوظا أحق بأن يكون واعظا منك . (المستطرف للأبشيبي 1 / 96)

دخل الحسن بن الفضل على بعض الخلفاء وعنده كثير من أهل العلم فأحب الحسن أن يتكلم فزجره وقال : يا صبي تتكلم في هذا المقام ؟ فقال : يا أمير المؤمنين إن كنت صبيا فليست بأصغر من هدهد سليمان ، ولا أنت بأكبر من سليمان عليه السلام حين قال : أحطت بما لم تحط به (النمل 22) ثم قال : ألم تر أن الله فهم الحكم سليمان ولو كان الأمر بالكبر لكان داود أولى . (المستطرف للأبشيبي 56)

كان أعرابي يجالس الشعبي فأطال الصمت فسأله عن ذلك فقال : أسمع فأعلم ، وأسكت فأسلم وقيل لأعرابي : لم لا تتكلم ؟ فقال : حظ لسان الرجل لغيره وحظ سمعه له . (محاضرات الأدباء 1 / 27)

90 - إصغاء الجليس لحديث جليسه الذي ليس بحرام

وَاسْتَنْصَاتِ الْعَالِمَ وَالْوَاعِظَ حَاضِرِي مَجْلِسِهِ

698 - عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حِجَّةِ الْوُدَاعِ : « اسْتَنْصَتِ النَّاسُ » ثُمَّ قَالَ : « لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

الآثار الواردة في عنوان الباب :

عن مجاهد قال لقمان لابنه : إياك إذا سئل غيرك أن تكون أنت المجيب كأنك أصبت غنيمة أو ظفرت بعطية فإنك إن فعلت ذلك أزريت بالمسئول وعنفت السائل ودلت السفهاء على سفاهة

حلمك وسوء أدبك يا بني ليشتد حرصك على الثناء من الأكفاء والأدب النافع والإخوان الصالحين .
(الآداب الشرعية 2 / 171)

قال عمر بن الخطاب : إذا سمعت الكلمة تؤذيك فطأطأ لها حتى تتخطاك . !
(العقد الفريد 1 / 180)

قال ابن عباس : لجليسي علي ثلاث : إن أرميه بطرفي إذا أقبل وأن أوسع له في المجلس إذا جلس وأن أصغي إليه إذا تحدث . (عيون الأخبار 1 / 307)

وقال أيضا : أكرم الناس علي جليسي الذي يتخطى رقاب الناس إلي . لو استطعت أن لا يقع الذباب على وجهه لفعلت ! ، وفي رواية : أن الذباب ليقع عليه فيؤذي . ! (تاريخ دمشق 73 / 214)

قال عمرو بن العاص : ثلاثة لا أملكهم جليسي ما فهم عني وثوبني ما سترني ودابتي ما حملت رحلي .
(عيون الأخبار 1 / 306)

وقال الحسن البصري : إذا جالست فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول وتعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن القول ولا تقطع على أحد حديثه . (المنتقى من مكارم الأخلاق 72)

قال معاذ بن سعد الأعور : كنت جالسا عند عطاء بن أبي رباح ، فحدث رجل بحديث فعرض رجل من القوم في حديثه وقال ما هذه الطباع ؟ ! إني لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم به فأريه كأني لا أحسن شيئا . (روضة العقلاء 72)

قال المدائني : أوصي خالد بن يحيى ابنه فقال : يا بني ، إذا حدثك جليسك حديثا فأقبل عليه ، واصغ إليه ، ولا تقل : قد سمعته وإن كنت أحفظ منه ، فإن ذلك يكسبك المحبة والميل إليك .
(بهجة المجالس 1 / 43)

قال ابن المقفع : إذا رأيت رجلا يحدث حديثا قد علمته ، أو يخبر خبرا قد سمعته فلا تشارك فيه ولا تتعقبه عليه حرصا على أن يعلم الناس أنك قد علمته ، فإن ذلك خفة وسوء أدب وسخف .
(الأدب الصغير والكبير 136)

قال ابن عبد البر رحمه الله : ومن سوء الأدب في المجالسة أن تقطع على جليسك حديثه ، وأن تبتره إلى تمام ما ابتدأ به منه خبرا كان أو شعرا تتم له البيت الذي بدأ به ؛ تريه أنك أحفظ له منه ، فهذا غاية في سوء المجالسة ، بل يجب أن تصغي إليه كأنك لم تسمعه قط إلا منه .
(بهجة المجالس 1 / 162)

عن إبراهيم بن الجنيد : قال حكيم لابنه : تعلم حسن الاستماع ، كما تتعلم حسن الكلام فإن حسن الاستماع إمهالك للمتكلم حتى يفضي إليك بحديثه ، والإقبال بالوجه والنظر وترك المشاركة له في حديث أنت تعرفه . (الفقيه والمتفقه 2 / 32)

وقال سعيد بن العاص : لجليسي علي ثلاث : إذا أقبل وسعت له ، وإذا جلس أقبلت إليه ، وإذا حدث سمعت منه . (المنتقى من مكارم الأخلاق للخرائطي 54)

وقال أبو عباد : للمحدث على جليسه السامع لحديثه أن يجمع له باله ، ويصغي إلى حديثه ، ويكتم عليه سره ، ويبسط له عذره . (زهر الآداب وثمر الألباب 1 / 195)

عن خالد بن صفوان قال : إذا رأيت محدثا يحدث حديثا قد سمعته ، أو يخبر بخبر قد علمته ، فلا تشاركه فيه حرصا على أن يعلم من حضره أنك قد علمته ، فإن ذلك خفة فيك وسوء أدب . (الآداب الشرعية 2 / 264)

قال ابن الجوزي : وإذا روى المحدث حديثا قد عرفه السامع فلا ينبغي أن يداخله فيه . (الآداب الشرعية 2 / 170)

عن الهيثم بن عدي قال قالت الحكماء : من الأخلاق السيئة على كل حال مغالبة الرجل على كلامه والاعتراض فيه لقطع حديثه . (الآداب الشرعية 2 / 171)

قال ابن بطة : كنت عند أبي عمر الزاهد فسئل عن مسألة فبادرت أنا فأجبت السائل فالتفت إلي فقال لي : تعرف الفضوليات المنتقبات يعني : أنت فضولي فأخجلني . (الآداب الشرعية 2 / 171)

قَالَ أَبُو تَمَامٍ : (الْمُسْتَطْرَفَ لِلْأَبْشِيهِ 1 / 266)

وَتَرَاهُ يُصْغِي لِلْحَدِيثِ بِطَرَفِهِ *** وَبِقَلْبِهِ وَلَعَلَّهُ أَدْرِي بِهِ

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

قال عطاء بن أبي رباح : إن الشاب ليحدثني بحديث فأستمع له كأني لم أسمعه ولقد سمعته قبل أن يولد . (سير أعلام النبلاء 5 / 68)

قال ابن وهب : إني لأسمع من الرجل الحديث قد سمعته قبل أن يجتمع أبواه ، فأنصت له كأني لم أسمعه . (الآداب الشرعية 2 / 170)

عن عطاء ثم قال : سمعت أبا علي الحسن بن عبد الله جليس أبي أحمد الفقيه البغدادي يقول :
يروى عن سفيان الثوري أنه تراه يعجب من حديث ، ولعله أدري به . (الآداب الشرعية 2 / 170)

91- الوعظ والاقتصاد فيه

قَالَ اللهُ تَعَالَى : ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ [النحل: 125] .

699- عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال : كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُدَكِّرُنَا فِي كُلِّ حَمِيسٍ مَرَّةً ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ لَوَدِدْتُ أَنَّكَ ذَكَّرْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ ، فَقَالَ : أَمَا إِنَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَمْلِكُمْ وَإِنِّي أَنْخَوْلُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ ، كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَوَّلُنَا بِهَا مَخَافَةَ السَّامَةِ عَلَيْنَا . متفقٌ عليه . « يَتَخَوَّلُنَا » يَتَعَهَّدُنَا .

700- عن أبي اليقظان عمّار بن ياسر رضي الله عنهما قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ ، وَقِصْرَ خُطْبَتِهِ ، مِثْنَةٌ مِنْ فِقْهِهِ . فَأَطِيبُوا الصَّلَاةَ ، وَأَقْصِرُوا الْخُطْبَةَ » رواه مسلم .

« مِثْنَةٌ » بميم مفتوحة ، ثم همزة مكسورة ، ثم نون مشددة ، أي : علامة دالة على فقهه .

701- عن معاوية بن الحكم السُّلَمِيِّ رضي الله عنه قال : « بَيْنَمَا أَنَا أَصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ : بِرَحْمَتِكَ اللهُ ، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ ، فَقُلْتُ :

وَأَتَكَلَّمُ مَا شَأْنَكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ ؟ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَادِهِمْ فَلَمَّا رَأَيْتَهُمْ يُصَمِتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُ ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَبَابِي هُوَ وَأُمِّي ، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ ، فَوَاللَّهِ مَا كَهْرَنِي وَلَا ضَرْبَنِي وَلَا شَتَمَنِي ، قَالَ : « إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ ، إِنَّمَا هِيَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ ، وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ » أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قلت : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنِّي حَدِيثٌ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ ، وَقَدْ جَاءَ اللهُ بِالْإِسْلَامِ ، وَإِنَّ مِنَّا رَجُلًا يَأْتُونَ الْكُفْرَانَ ؟ قَالَ : « فَلَا تَأْتِهِمْ » قلت : وَمِمَّنَّا رَجُلٌ يَتَطَيَّرُونَ ؟ قَالَ : « ذَلِكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ ، فَلَا يَصُدُّهُمْ » رواه مسلم .

« التُّكُلُّ » بضم الثاءِ المثلثة : الْمُصِيبَةُ وَالْفَجِيعَةُ . « مَا كَهْرَنِي » أَي مَا نَهْرَنِي .

702- وعن العزيباض بن سارية رضي الله عنه قال : وَعَظَّنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً وَجَلَّتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ . وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَذَكَرَ الْحَدِيثَ ، وَقَدْ سَبَقَ بِكَمَالِهِ فِي بَابِ الْأَمْرِ بِالْمُحَافَظَةِ عَلَى السُّنَّةِ ، وَذَكَرْنَا أَنَّ التِّرْمِذِيَّ قَالَ إِنَّهُ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

عن أبي ليلى الأشعري ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : تمسكوا بطاعة أئمتكم ولا تخالفوهم ، فإن طاعتهم طاعة الله ، ومعصيتهم معصية الله ، فإن الله إنما بعثني أدعو إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة ، فمن خالفني في ذلك فهو من الهالكين ، وقد برأت منه ذمة الله وذمة رسوله ، ومن ولي من أمركم شيئاً فعمل بغير ذلك ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . (تفسير الدر المنثور 9/134)

(ادع إلى سبيل ربك بالحكمة) بالقرآن (والموعظة الحسنة) يعني مواعظ القرآن . (تفسير البغوي 5/53)

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

عن ابن عباس قال : حدث الناس كل جمعة مرة ، فإن أبيت فمرتين فإن أكثرت فثلاث مرار ، ولا تمل الناس هذا القرآن ، ولا ألفينك تأتي القوم وهم في حديث من حديثهم ، فتقص عليهم ، فتقطع عليهم حديثهم فتملمهم ولكن أنصت فإذا أمروك فحدثهم وهم يشتهونه ، فانظر السجع من الدعاء فاجتنبه فإني عهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك يعني لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب . (صحيح البخاري رقم 6337)

عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : حدث القوم ما حدجوك بأبصارهم (أي وجهوها نحوك) وأقبلت عليك قلوبهم ؛ فإذا انصرفت عنك قلوبهم ، فلا تحدثهم . قيل وما علامة ذلك ؟ قال : إذا التفت بعضهم إلى بعض ، ورأيهم يتشاءبون فلا تحدثهم . (شرح السنة للبغوي 1/314)

عن ابن مسعود رضي الله عنه قوله : إن للقلوب لنشاطاً وإقبالاً ، وأن لها لتولية وإدباراً ؛ فحدثوا الناس ما أقبلوا عليكم . (سنن الدارمي 454 - الجامع للخطيب البغدادي 742)

قال أبا العالية : حدث الناس ما حملوا . قال : قلت ما حملوا ؟ قال : ما نشطوا . (الجامع للبغدادي 743)

قال الإمام أحمد رحمه الله : يأمر بالرفق والخضوع فإن اسمعوه ما يكره لا يغضب فيكون يريد ينتصر لنفسه . (جامع العلوم والحكم 2/456)

قال مكحول : أتاه رجل ، فقال : يا أبا عبد الله ، قوله عز وجل : (عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) (المائدة 105) قال : يا ابن أخي ، لم يأت تأويل هذه بعد إذا هاب الواعظ وأنكر

الموعوظ ، فعليك حينئذ نفسك لا يضررك من ضل إذا اهتديت يا أخي الآن نعظ ويسمع منا .
(حلية الأولياء 5 / 179)

وعن ذر أنه قال لأبيه عمر بن ذر: ما بال المتكلمين يتكلمون فلا يبكي أحد ؛ فإذا تكلمت يا أبت :
سمعت البكاء من هاهنا وهاهنا فقال : يا بني ليست النائحة المستأجرة كالنايحة الثكلى .
(حلية الأولياء 5 / 110 - 111)

قال أبي السليل : قال لي غنم بن قيس : كنا نتواعظ في أول الإسلام بأربع : اعمل في فراغك لشغلك ،
وأعمل في صحتك لسقمك ، وأعمل في شبابك لكبرك وأعمل في حياتك لموتك . (الحلية 6 / 200)
قال جرير : كنا نجلس إلى صالح المري : فكان أول ما يبتدئ ، فيقول : الحمد لله ، فإن أعين الناس
قد سألت . (حلية الأولياء 6 / 168)

قال عبد الواحد بن زيد : طريق بين القلبين منخرقة لا يحجز المار فيها شيء خروج الموعظة من قلب
المتكلم تقع في قلب المستمع ، كما خرجت من قلب الواعظ لا يغيرها شيء . (حلية الأولياء 6 / 157)
قال الأوزاعي : بلغني أنه : ما وعظ رجل قوما لا يريد به وجه الله إلا زالت عنه القلوب ، كما زال الماء
من الصفا . (حلية الأولياء 6 / 142)

قال مغيرة بن مقسم : إني لأحتسب في منعي الحديث كما تحتسبون في بذله . (السير 6 / 12)

قال رجل لابن المبارك : هل بقي من ينصح ؟ قال : فهل تعرف من يقبل ؟ (صفة الصفوة 2 / 329)
قال عبد العزيز بن أبي الرواد : من لم يتعظ بثلاثم يتعظ : بالإسلام والقرآن والشيب .
(حلية الأولياء 8 / 194)

قال محمد بن تمام : الموعظة جند من جنود الله تعالى ، ومثلها مثل الطين يضرب به الحائط ؛ إن
استمسك نفع ، وإن وقع إثر . (المستطرف للأبشيبي ص 73)

قال مسروق : لا تنشر برك (أي حديثك) إلا عند من يبتغيه . (الجامع لأخلاق الراوي 727)

قال ابن تيمية : فإن أعظم ما عبد الله به نصيحة خلقه . (الفتاوى 28 / 615)

قال ابن القيم : ليس كل موعظة حسنة . (مدارج السالكين 3 / 157)

قال أبو سهيل النيلي :

أُوصِيكَ فِي نُظْمِ الْكَلَامِ بِخَمْسَةِ *** إِنَّ كُنْتَ لِلْمُوصِي الشَّفِيقِ مُطِيعًا

لَا تَعْمَلَنَّ سَبَبُ الْكَلَامِ وَوَقْتِهِ *** وَالْكَيفِ وَالْكَمَّ وَالْمَكَانَ جَمِيعًا

الْأَثَارَ الْعَمَلِيَّةَ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

عن عبيد بن أبي الجعد ، عن رجل من أشجع ، قال : سمع الناس بالمدائن : أن سلمان في المسجد ؛ فأتوه ، فجعلوا يثوبون إليه ، حتى اجتمع إليه نحو من ألف ؛ قال : فقام ؛ فجعل يقول : اجلسوا ، اجلسوا ؛ فلما جلسوا : فتح سورة يوسف يقرأها ، فجعلوا يتصدعون ويذهبون حتى بقي في نحو من مائة فغضب وقال: الزخرف من القول أردتم ثم قرأت عليكم كتاب الله فذهبتهم. (الحلية/1/203) تصدى رجل للرشيد فقال : إني أريد أن أغلظ عليك في المقال ، فهل أنت محتمل ؟ قال : لا لأن الله تعالى أرسل من هو خير منك إلى من كان شرا مني وأمره باللين فقال تعالى : (فقولوا له قولاً لنا لعله يتذكر أو يخشى) وقالوا : واجب من يعظ أن لا يعنف ومن يوعظ أن لا يأنف . (الذخائر والعبقریات 2 / 96)

عن إبراهيم بن الأشعث قال : كنا إذا خرجنا مع الفضيل بن عياض في جنازة ، لا يزال يعظ ويذكر ويبكي ، حتى لكانه يودع أصحابه ذاهب إلى الآخرة ، حتى يبلغ المقابر ، فيجلس ، فكانه بين الموتى جلس ، من الحزن والبكاء ، حتى يقوم ، ولكانه رجع من الآخرة يخبر عنها . (حلية الأولياء 8 / 84)

قال هلال بن خباب : خرجنا مع سعيد بن جبيرة في جنازة قال : فكان يحدثنا في الطريق ويذكرنا حتى بلغ ، فلما بلغ جلس فلم يزل يحدثنا حتى قمنا فرجعنا وكان كثير الذكر لله عز وجل . (حلية الأولياء 4 / 280)

قال إبراهيم : كان علقمة إذا رأى من القوم أشاشا (نشاطا) ذكرهم في الأيام . (الحلية 2 / 100)

92- باب الوقار والسكينة

قَالَ اللهُ تَعَالَى : وَعِبَادُ الرَّحْمَانِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا

[الفرقان : 63]

703- وعن عائشة رضي الله عنها قالت : مَا زَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْتَجْمِعًا قَطُّ ضَاحِكًا حَتَّى تُرَى مِنْهُ لَهَوَاتُهُ ، إِتْمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ . متفقٌ عليه .

« اللَّهَوَاتُ » جَمْعُ لَهَاتٍ : وَهِيَ اللَّحْمَةُ الَّتِي فِي أَفْصَى سَقْفِ الْفَمِ .

الآثار الواردة في آيات القرآن :

عن ابن عباس في قوله : (وعباد الرحمن) قال : هم المؤمنون (الذين يمشون على الأرض هونا) قال : بالطاعة والعفاف والتواضع . عن ابن عباس في قوله : يمشون على الأرض هونا قال : علماء حلماء عن عمر بن الخطاب ، أنه رأى غلاما يتبختر في مشيته فقال له : إن البخترية مشية تكره إلا في سبيل الله ، وقد مدح الله أقواما فقال : وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا فاقصد في مشيتك . عن قتادة في قوله : يمشون على الأرض هونا قال : تواضعا لله ، لعظمته ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال : كانوا لا يجاهلون أهل الجهل . عن الحسن : يمشون على الأرض هونا الآية . قال : يمشون حلماء متواضعين ، لا يجهلون على أحد ، وإن جهل عليهم جاهل لم يجهلوا ، هذا نهارهم إذا انتشروا في الناس ، والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما قال : هذا ليلهم إذا خلوا بينهم وبين ربهم . (تفسير الدر المنثور 11 / 204 - 206)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال عمر بن الخطاب : تعلموا العلم ، وعلموه الناس ، وتعلموا له الوقار والسكينة ، وتواضعوا لمن يعلمكم عند العلم ، وتواضعوا لمن تعلموه العلم ، ولا تكونوا جبابرة العلماء ، فلا يقوم علمكم بجهلكم . (شعب الإيمان للبيهقي 2 / 287)

قال عمر بن الخطاب : تعلموا العلم ، وتعلموا للعلم السكينة والحلم . (شعب الإيمان 2 / 287)

قال علي بن أبي طالب : كنا نتحدث أن السكينة تنطق على لسان عمر وقلبه . (تاريخ دمشق 44 / 108)

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : كنا نتحدث أن السكينة تنطق على لسان عمر وقلبه . (تاريخ دمشق 44 / 108)

قال ابن عباس : كل سكينة في القرآن هي الطمأنينة إلا التي في سورة البقرة . (مدارج السالكين 2 / 472)

قال ذو النون : ثلاثة من أعلام الوقار : تعظيم الكبير والترحم على الصغير والتعلم على الوضيع . (شعب الإيمان للبيهقي 13 / 360)

قال الحسن في قوله تعالى : (فاسعوا إلى ذكر الله) أما والله ما هو بالسعي على الأقدام وقد نهوا أن يأتوا الصلاة إلا وعليكم السكينة والوقار ولكن بالقلوب والثبات والخشوع . (ابن كثير 8 / 121)

قال حمزة النيسابوري : أن صاحب الدين تفكر فعلته السكينة وسكن فتواضع ورضي فلم يهتم وخلي الدنيا فنجا من الشر وتفرد فكفى الأحزان وترك الشهوات فصار حرا وترك الحسد فظهرت له المحبة وسخت نفسه عن كل فإن فاستكمل العقل . (العظمة للاصبهاني 1 / 221)

قال البغدادي : يا أبا أيوب (أي سليمان بن حرب) كنت إذا نظرت في وجهه (أي إسماعيل بن عليّة) رأيت ذاك الوقار وإذا نظرت إلى قفاه رأيت الخشوع . (تاريخ بغداد 6 / 239)

قال أبي إدريس الخولاني : ما تقلد امرؤ قلادة أفضل من سكينة وما زاد الله . (حلية الأولياء 5 / 123)
قال قتادة : السكينة : الوقار والصبر . (تفسير الطبري 513)

قال ابن القيم : السكينة إذا نزلت على القلب اطمأن بها ، وسكنت إليها الجوارح ، وخشعت ، واكتسبت الوقار ، وأنطقت اللسان بالصواب والحكمة ، وحالت بينه وبين قول الخنا والفحش واللغو والهجر وكل باطل . وفي صفة رسول الله في الكتب المتقدمة : إني باعث نبيا أميا ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب في الأسواق ، ولا متزين بالفحش ، ولا قوال للخنا . أسدده لكل جميل ، وأهب له كل خلق كريم ، ثم اجعل السكينة لباسه ، والبر شعاره ، والتقوى ضميره ، والحكمة معقولة ، والصدق والوفاء طبيعته ، والعفو والمعروف خلقه ، والعدل سيرته ، والحق شريعته ، والهدى إمامه ، والإسلام ملته ، وأحمد اسمه . (مدارج السالكين 2 / 504)

قال النووي : الفرق بين السكينة والوقار : أن السكينة هي التأنى في الحركات واجتناب العبث والوقار في الهيئة كغض البصر وخفض الصوت وعدم الالتفات . (شرح النووي على مسلم 5 / 100)

قال الشاعر : (موارد الظمان 3 / 40)

مِنْ أَكْثَرِ الْمَزَاحِ قَلَّتْ هَيْبَتُهُ وَمِنْ جَنَى الْوَقَارِ عَزَّتْ قِيَمَتُهُ
مِنْ سَالِمِ النَّاسِ جَنَى أَسْلَامَةٍ وَمِنْ تَعَدَى أَحْرَزَ النَّدَامَةِ

93- باب الندب إلى إتيان الصلاة والعلم ونحوهما من العبادات بالسكينة والوقار

قَالَ اللهُ تَعَالَى : وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ [الحج : 32] .

704- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : « إذا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ ، فَلَا تَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَسْعَوْنَ ، وَأَتُوهَا وَأَنْتُمْ تَمْشُونَ ، وَعَلَيْكُمْ السَّكِينَةُ ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ

فَصَلُّوا ، وَمَا فَاتَكُمْ فَاتَمُّوا « متفقٌ عليه . زاد مسلم في رواية له : « فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا كَانَ يَعْمِدُ إِلَى الصَّلَاةِ فَهُوَ فِي صَلَاةٍ » .

705- وعن ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّهُ دَفَعَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ عَرَفَةَ فَسَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَأَاهُ زَجْرًا شَدِيدًا وَضَرْبًا وَصَوْتًا لِلإِبِلِ ، فَأَشَارَ بِسَوْطِهِ إِلَيْهِمْ وَقَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ فَإِنَّ الْبِرَّ لَيْسَ بِالإِضْغَاعِ » رواه البخاري ، وروى مسلم بعضه .

« الْبِرُّ » : الطَّاعَةُ . « وَالإِضْغَاعُ » بِضَادٍ مَعْجَمَةٍ قَلْبِهَا يَاءٌ وَهَمْزَةٌ مَكْسُورَةٌ ، وَهُوَ : الإِسْرَاعُ .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ :

عن ابن عباس في قوله : ذلك ومن يعظم شعائر الله قال : الاستسمان والاستحسان والاستعظام وفي قوله : لكم فيها منافع إلى أجل مسمى قال : إلى أن تسمى بدنا . عن محمد بن أبي موسى في قوله : ذلك ومن يعظم شعائر الله قال : الوقوف بعرفة من شعائر الله وجمع من شعائر الله والبدن من شعائر الله ورمي الجمار من شعائر الله والحلق من شعائر الله فمن يعظمها : فإنها من تقوى القلوب لكم فيها منافع إلى أجل مسمى قال : لكم في كل مشعر منها منافع إلى أن تخرجوا منه إلى غيره : ثم محلها إلى البيت العتيق قال : محل هذه الشعائر كلها الطواف بالبيت العتيق . (تفسير الدر المنثور 10 / 491 - 492)

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

عن عثمان بن أبي سودة في قوله تعالى : (والسابقون السابقون . أولئك المقربون) (الواقعة 10 - 11) . قال : أولهم رواحا إلى المسجد ، وأولهم خروجا في سبيل الله . (حلية الأولياء 6 / 109)

عن سفيان الثوري ، في قوله : (لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) (النور 37) الآية . قال : كانوا يشترون ويبيعون ، ولا يدعون الصلوات المكتوبات في الجماعة . (حلية الأولياء 7 / 15)

قال الأوزاعي: كتب عمر إلى عمالة : اجتنبوا الاشتغال عند حضرة الصلاة : فمن أضعافها ، فهو لما سواها من شعائر الإسلام أشد تضييعا . (حلية الأولياء 5 / 316)

قال أبي بحرية : دخلت مسجد حمص فسمعت معاذ بن جبل يقول : من سره أن يأتي الله عز وجل آمن فليأت هذه الصلوات الخمس حيث ينادي بهن فإنهن من سنن الهدى ومما سنه لكم نبيكم صلى الله عليه وسلم ولا يقل : إن لي مصلى في بيتي فأصلي فيه فإنكم إن فعلتم ذلك : تركتم سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم صلى الله عليه وسلم لضللتكم . (حلية الأولياء 1 / 235)

عن ابن شوذب قال : ربما مشينا مع ثابت فإذا عدنا مريضاً بدأ بالمسجد الذي في بيت المريض فركع فيه ثم يأتي المريض . (حلية الأولياء 2 / 321)

وقد حث سفيان بن عيينة على السير إلى الصلاة حتى قبل النداء فقال : لا تكن مثل عبد السوء لا يأتي حتى يدعى ائت الصلاة قبل النداء . (التبصرة 1 / 137)

وهذا إبراهيم بن ميمون المروزي ، وكانت مهنته الصياغة وطرق الذهب والفضة ، قال ابن معين : كان إذا رفع المطرقة فسمع النداء لم يردّها . (تهذيب التهذيب 1 / 151)

قال مالك بن أنس للمهدي وقد استدعاه لولديه يعلمهما : العلم أولى أن يوقرو ويؤتى ، وفي رواية : العلم يزار ولا يزور ويؤتى ولا يأتي . (آداب العلماء والمتعلمين 1 / 1)

قال الشافعي : ليس العلم ما حفظ ، العلم ما نفع ، وعليه بدوام السكينة والوقار والخشوع والورع والتواضع والخضوع . (آداب العلماء والمتعلمين - الحسين بن المنصور اليماني 1 / 1)

عن وكيع بن الجراح قال : من لم يأخذ أهبة الصلاة قبل وقتها ، لم يكن وقرها . وقال وكيع : من تهاون بالتكبيرة الأولى ، فاعسل يديك منه . (حلية الأولياء 8 / 370)

قال أبي إدريس الخولاني : ليعقبن الله الذين يمشون إلى المساجد في الظلم : نورا تاما يوم القيامة . (حلية الأولياء 5 / 125)

94- باب إكرام الضيف

قَالَ اللهُ تَعَالَى : هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ فَرَأَى إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ [الذاريات : 24-27] وقال تَعَالَى : وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمَنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هُوَ لَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ [هود : 78] .

706- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحْمَتَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقِلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصُمَّتْ » متفقٌ عليه .

707- وعن أبي شُرَيْحٍ خُوَيْلِدِ بْنِ عَمْرِو الخُزَاعِيِّ رضي الله عنه قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتُهُ » قالوا : وما جَائِزَتُهُ يا رَسُولَ

الله؟ قال: «يَوْمُهُ وَلَيْلَتُهُ. وَالضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ» متفقٌ عليه. وفي روايةٍ لمسلم: «لَا يَجُلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُقِيمَ عِنْدَ أَخِيهِ حَتَّى يُؤْتَمَّهُ» قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ. وَكَيْفَ يُؤْتَمُّهُ؟ قال: «يُقِيمُ عِنْدَهُ وَلَا سَيَّءَ لَهُ يَفْرِيهِ بِهِ».

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

عن ابن عباس: سماهم مكرمين لأنهم جاءوا غير مدعويين. وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه. إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون. أي: غرباء لا تعرفكم قال ابن عباس: قال في نفسه هؤلاء قوم لا نعرفهم. وقيل: إنما أنكروا أمرهم لأنهم دخلوا عليه من غير استئذان. وقال أبو العالية: أنكروا سلامهم في ذلك الزمان وفي تلك الأرض. فراغ. فعدل ومال. إلى أهله فجاء بعجل سمين. مشوي. (تفسير البغوي 377/7)

عن مجاهد في قوله: هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرميين. قال: خدمته إياهم بنفسه. وقال أيضا: أكرمهم إبراهيم بالعجل. عن قتادة في قوله: فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين. قال: كان عامة مال إبراهيم البقر. (تفسير الدر المنثور 681/13)

عن ابن عباس في قوله: وجاءه قومه يهرعون إليه. قال: يسرعون. ومن قبل كانوا يعملون السيئات. قال: يأتون الرجال. عن ابن عباس في قوله: قال يا قوم هؤلاء بناتي. قال: ما عرض لوط عليه السلام بناته على قومه لا سفاحا ولا نكاحا إنما قال: هؤلاء بناتي نسأؤكم لأن النبي إذا كان بين ظهري قوم فهو أبوهم قال الله في القرآن (وأزواجه أمهاتهم). عن حذيفة بن اليمان قال: عرض عليهم بناته تزويجا وأراد أن يقي أضيافه بتزويج بناته. عن السدي: ولا تخزون في ضيفي. يقول: ولا تفضحوني. عن ابن عباس: أليس منكم رجل رشيد. قال: رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. قال ابن عباس: لما سمعت الفسقة بأضياف لوط جاءوا إلى باب لوط فأغلق لوط عليهم الباب دونهم ثم اطلع عليهم فقال: هؤلاء بناتي. يعرض عليهم بناته بالنكاح والتزويج ولم يعرضها عليهم للفاحشة وكانوا كفارا وبناته مسلمات فلما رأى البلاء وخاف الفضيحة عرض عليهم التزويج وكان اسم ابنتيه إحداهما رعوثا والأخرى رميثا ويقال زبوثا إلى قوله: أليس منكم رجل رشيد (أي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فلما لم يتناهاوا ولم يردهم قوله ولم يقبلوا شيئا مما عرض عليهم من أمر بناته قال: لو أن لي بكم قوة أو أوي إلى ركن شديد. يعني عشيرة أو شيعة تنصروني. لحت بينكم وبين هذا فكسروا الباب ودخلوا عليه وتحول جبريل في صورته التي يكون فيها في السماء ثم قال: يا لوط لا تخف نحن الملائكة لن يصلوا إليك وأمرنا بعدائهم، فقال لوط: يا جبريل الآن تعذبهم - وهو شديد الأسف عليهم - قال جبريل: موعدهم الصبح أليس الصبح

بقريب قال ابن عباس : إن الله يعي العذاب في أول الليل إذا أراد أن يعذب قوما ثم يعذبهم في وجه الصبح قال : فهيات الحجارة لقوم لوط في أول الليل لترسل عليهم غدوه وكذلك عذبت الأمم عاد وثمود بالغداة فلما كان عند وجه الصبح عمد جبريل إلى قرى لوط بما فيها من رجالها ونساءها وثمارها وطيرها فحواها وطواها ثم قلعتها من تخوم الثرى ثم احتملها من تحت جناحه ثم رفعها إلى السماء الدنيا فسمع سكان السماء الدنيا أصوات الكلاب والطيور والرجال والنساء من تحت جناح جبريل ثم أرسلها منكوسة ثم أتبعها بالحجارة وكانت الحجارة للرعاة والتجار ومن كان خارجا عن مدائنهم . (تفسير الدر المنثور 8 / 108 - 110)

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

عن علي قال : لأن أجمع إخوان على صالح طعام أحب إلى من أن أعتق رقبة ، وكان الصحابة يقولون : الاجتماع على الطعام من مكارم الأخلاق . (إحياء علوم الدين 2 / 9)

روى أن عليا رضي الله عنه دعا رجل فقال : أجيبك على ثلاث شرائط لا تدخل من السوق شيئا ولا تدخل في البيت ولا تجحف عيالك . (إحياء علوم الدين 2 / 11)

قال ابن عباس رضي الله عنهما : من أفضل الحسنات إكرام الجلساء بالإفطار والإفطار عبادة بهذه النية وحسن خلق فتوا به فوق ثواب الصوم . (إحياء علوم الدين 2 / 14)

وقال أيضا : إن من السنة إذا دعوت أحدا إلى منزلك أن تخرج معه حتى يخرج . (الآداب الشرعية 2 / 238)

رجاء بن حيوة يحدث عبد العزيز عن أبيه عن عمر بن عبد العزيز ، يقول : ما أكمل مروءة أبيك ! كامل المروءة ، ليس من مروءة الرجل استخدام ضيفه ، إذا جاء الضيف ليس من المروءة أن يخدمك في دارك . (سير أعلام النبلاء 5 / 136)

ويقول يحيى بن زكريا بن حيوية : قدم إلينا محمد بن طريف البجلي رطباً ، فسألنا أن نأكل ، فأبيت عليه ، قال : سمعت حفص بن غياث يقول : من لم يأكل طعامنا لم نحدثه . (سير أعلام النبلاء 9 / 27)

قال شقيق البلخي : ليس شيء أحب إلي من الضيف لأن رزقه على الله ، وأجره لي . (السير 9 / 315)

قال محمد بن عباد : إن المأمون قال لي : بلغني أنه لا يقدم أحد البصرة إلا أضفته ، فقلت : منع الجود سوء ظن بالمعبود . (سير أعلام النبلاء 10 / 190)

وسئل مالك عن قول النبي صلى الله عليه وسلم جائزته يوم وليلة ؟ فقال : يكرمه ويتحفه ويخصه ويحفظه يوما وليلة وثلاثة أيام ضيافة . (سنن أبي داود 3 / 342)

وقيل للأوزاعي رحمه الله : ما إكرام الضيف ؟ قال : طلاقة الوجه ، وطيب الكلام . (روضة العقلاء 261)

قال الثوري : إذا زارك أخوك فلا تقل له أأأكل ؟ أو أقدم إليك ؟ ولكن قدم فإن أكل وإلا فارفع . (إحياء علوم الدين 12 / 2)

وقال الأحنف : لو جلست إلى مائة لأحببت أن التمس رضى كل واحد منهم . (بهجة المجالس 1 / 3)

وقال يزيد بن أبي زياد ما دخلت على عبد الرحمن بن أبي ليلى إلا حدثنا حديثا حسنا وأطعمنا طعاما حسنا . (حلية الأولياء 18 / 2)

كان محمد بن سيرين يقول : لا تكرم أخاك بما يشق عليه ؛ ورواه البيهقي في (الشعب) بلفظ : لا تكرم أخاك بما يكره . (أي تأتيه بحاضر ما عندك ، ولا تحبسه فعسى أن يشق ذلك عليه فيكرهه) . (حلية الأولياء 2 / 264 - شعب الإيمان 8526)

عن ميمون بن مهران : إذا نزل بك ضيف فلا تكلف له ما لا تطيق وأطعمه من طعام أهلك وألقه بوجه طلق فإنك إن تكلفت له ما لا تطيق أوشك أن تلقاه بوجه يكرهه . (شعب الإيمان 9610)

وقال بكر بن عبد الله المزني : إذا أتاك ضيف فلا تنتظر به ما ليس عندك وتمنعه ما عندك ، قدم إليه ما حضروا انتظر به ما بعد ذلك ما تريد من إكرامه . (شعب الإيمان للبيهقي 9605)

قال ابن حبان : إني لأستحب للعاقل المداومة على إطعام الطعام والمواظبة على قرى الضيف لأن إطعام الطعام من أشرف أركان الندى ومن أعظم مراتب ذوي الحجي ومن أحسن خصال أولى النهى ومن عرف بإطعام الطعام شرف عند الشاهد والغائب وقصده الراضي والعاتب وقرى الضيف يرفع المرء وإن رق نسبة إلى منتهى بغيته ونهاية محبته ويشرفه برفيع الذكر وكمال الذخر . (روضة العقلاء 258)

يقول الإمام ابن حبان : كل من ساد في الجاهلية والإسلام حتى عرف بالسؤدد وانقاد له قومه ورحل إليه القريب والقاصي لم يكن كمال سؤدده إلا بإطعام الطعام وإكرام الضيف ، والعرب لم تكن تعد الجود إلا قرى الضيف وإطعام الطعام ولا تعد السخي من لم يكن فيه ذلك ، حتى إن أحدهم ربما سار في طلب الضيف الميل والميلين . (روضة العقلاء 259)

وقال ابن حبان : ومن إكرام الضيف طيب الكلام ، وطلاقة الوجه ، والخدمة بالنفس فإنه لا يذل من خدم أضيافه ، كما لا يعز من استخدمهم ، أو طلب لقراه أجرا . (روضة العقلاء 261)

يقول الإمام الخطابي : يريد أنه يتكلف له في اليوم الأول بما اتسع له من بر وألطف ويقدم له في اليوم الثاني والثالث ما كان بحضرته ولا يزيد على عادته وما كان بعد الثلاث فهو صدقة ومعروف إن شاء فعل وإن شاء ترك . (معالم السنن 4 / 238)

يقول الإمام ابن الجوزي : وكرامته - أي الضيف - أن يكرمه لوجه الله وتكون ضيافته من حلال وأما من أنفق على ضيفه من حرام فإنه لا ثواب له . (بستان الواعظين ورياض السامعين 60)

قال ابن بطال : ومن إكرام الضيف أن تأكل معه ولا توحشه بأن يأكل وحده . (شرح البخاري 4 / 118) ولقد تحدث الإمام الغزالي في آداب المائدة وحسن تنظيمها فقال : إن من الأوفق تقديم الفاكهة لأنها أسرع اشتماله وهي أوفق في الطب إذا واقعت في أسفل المعدة ثم بعدها اللحم لأن الله قال : (وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون) . (الإحياء 2 / 11)

قال علي بن أبي طالب :

إِذَا جَادَتْ الدُّنْيَا عَلَيْكَ فَجُدْ بِهَا *** عَلَى النَّاسِ طُرًّا إِنَّهَا تَتَقَلَّبُ

فَلَا الْجُودُ يَفْنِمُهَا إِذَا هِيَ أَقْبَلَتْ *** وَلَا الْبُخْلُ يُبْقِمُهَا إِذَا هِيَ تَذَهَبُ

الآثار العملية في حياة السلف :

لما قدم أبو أيوب الأنصاري على ابن عباس حينما كان أميراً على البصرة لعلي رضي الله عنه بالغ ابن عباس في إكرام أبي أيوب الأنصاري رضي الله عن الجميع وقال : لأجزينك على إنزالك النبي عندك عليه الصلاة والسلام . فوصله ابن عباس بكل ما في المنزل ، فبلغ ذلك أربعين ألفاً ، يعني : من الدنانير ، وهذا مبلغ يعتبر كبيراً جداً ، وقال له : كم عليك ؟ يعني من الدين ، قال : عشرون ألفاً ، فأعطاه أربعين ألفاً ، وعشرين مملوكاً ، ومتاع البيت . (شعب الإيمان للبيهقي 13 / 311)

ويقول أبو جمره : كنت أقعد مع ابن عباس ، وكان يجلسني معه على سريره ، فقال : أقم عندي حتى أجعل لك سهماً من مالي ، فأقمت معه شهرين . وجاء عن الحسن رحمه الله كما يقول عبد الله بن عون : والله لقد أتيت منزله في يوم حار ، وليس هو في منزله ، فنمت على سريره ، فلقد انتهت وإنه ليروحي . (سير أعلام النبلاء 6 / 366)

عن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد عن أبيه قال : دخلت على بن سيرين في يوم حار ، فرأى في وجهي اللغب ؛ فقال : جارية ، هات لحبيب غداء ، هات هات ، حتى قال ذلك مرارا ؛ قلت : لا أريده ؛ قال : هات ، فلما جاءت به ، قلت : لا أريده ؛ قال : كل لقمة ، وأنت بالخيار فلما أكلت لقمة نشطت فأكلت حتى شبعت . (حلية الأولياء 2 / 269)

قال أبو عبيد القاسم بن سلام زرت أحمد بن حنبل فلما دخلت عليه بيته قام فاعتنقني وأجلسني في صدر مجلسه فقلت يا أبا عبد الله أليس يقال صاحب البيت والمجلس أحق بصدر بيته أو مجلسه قال نعم يقعد ، ويقعد من يريد قال قلت في نفسي خذ يا أبا عبيد إليك فائدة . ثم قلت يا أبا عبد الله لو كنت أتيك على حق ما تستحق لأتيتك كل يوم فقال لا تقل ذلك فإن لي إخوانا ما ألقاهم في كل سنة إلا مرة أنا أوثق في مودتهم ممن ألقى كل يوم قلت هذه أخرى يا أبا عبيد فلما أردت القيام قام معي قلت : لا تفعل يا أبا عبد الله قال : فقال قال الشعبي من تمام زيارة الزائر أن تمثي معه إلى باب الدار وتأخذ بركابه قال قلت يا أبا عبد الله من عن الشعبي ؟ قال ابن زائدة عن مجالد عن الشعبي قال قلت يا أبا عبيد هذه الثالثة . (الأداب الشرعية 3 / 238)

ويقول ابن عون : قلت عند الحسن يعني : نام في القيلولة ومحمد يعني : ابن سيرين فكلاهما لم يزالا قائمين على أرجلهما حتى فرش لي . (سير أعلام النبلاء 6 / 375)

ويقول غسان بن سليمان : كنا نختلف إلى إبراهيم بن طهمان إلى القرية فكان لا يرضى منا حتى يطعمنا وكان شيخا واسع القلب . (سير أعلام النبلاء 7 / 382)

كان القعقاع بن شور إذا جالسه رجل فعرفه بالقصد إليه جعل له نصيبا من ماله وأعانه على عدوة وشفع له في حاجته ، وغدا إليه بعد المجالسة شاكرا . (عيون الأخبار لابن قتيبة 1 / 129)

عن محمد بن عباد قال : نزل ضيف بأعرابية فقدمت إليه خبزا يابسا ولبنا حامضا ولم تكن تملك غيرهما فلامها ، فقالت :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَرْءَ مِنْ ضَيْقِ عَيْشِهِ *** يُلَامُ عَلَى مَعْرُوفِهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ

وما كان من بخلٍ ولا من ضراعةٍ *** ولكن كما يزمر له الدهر يزفنُ

(يُزْفَنَ هُوَ الرَّقْصُ وَاللَّعِبُ وَالْمُرَادُ إِنَّ وَسَّعَ عَلَيْهِ عَمَلٌ بِذَلِكَ) . (شَعْبُ الْإِيمَانِ لِلْبَيْهَقِيِّ 9612)

95- باب استحباب التبشير والتهنئة بالخير

قَالَ اللهُ تَعَالَى: فَبَشِّرْ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ [الزمر: 17-18] ، وقال تَعَالَى : يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ [التوبة: 21] ، وقال تَعَالَى : وَأَنْبَشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ [فصلت: 30] ، وقال تَعَالَى : فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ [الصفات: 101] ، وقال تَعَالَى : وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى [هود: 69] ، وقال تَعَالَى : وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشِّرْنَاَهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ [هود: 71] ، وقال تَعَالَى : فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى [آل عمران: 39] ، وقال تَعَالَى : إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ [آل عمران: 45] الآية ، والآيات في الباب كثيرة معلومة .

وأما الأحاديث فكثيرة جداً وهي مشهورة في الصحيح. منها:

708- عن أبي إبراهيم وَيُقَالُ أَبُو مُحَمَّدٍ وَيُقَالُ أَبُو مُعَاوِيَةَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أُوفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَشَّرَ خَدِيجَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ ، لِاصْحَابٍ فِيهِ وَلَا نَصَبٍ . متفقٌ عليه . « الْقَصَبُ » هُنَا : اللُّؤْلُؤُ الْمُجَوَّفُ . « وَالصَّخْبُ » الصِّبَاخُ وَاللَّغَطُ . « وَالنَّصَبُ » : التَّعْبُ .

709- وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، أَنَّهُ تَوَضَّأَ فِي بَيْتِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: لِأَلْزَمَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا كُؤُنَنَّ مَعَهُ يَوْمِي هَذَا ، فَجَاءَ الْمَسْجِدَ ، فَسَأَلَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: وَجَّهْ هُنَا ، قَالَ : فَخَرَجْتُ عَلَى أَثَرِهِ أَسْأَلُ عَنْهُ ، حَتَّى دَخَلَ بَنُو أَرِيْسٍ فَجَلَسْتُ عِنْدَ الْبَابِ حَتَّى قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاجَتَهُ وَتَوَضَّأَ ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ ، فَإِذَا هُوَ قَدْ جَلَسَ عَلَى بَنِي أَرِيْسٍ ، وَتَوَسَّطَ قَفْمًا ، وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ وَدَلَاهِمَا فِي الْبَيْتِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ انصرفت . فَجَلَسْتُ عِنْدَ الْبَابِ فَقُلْتُ : لِأَكُونَنَّ بَوَّابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْيَوْمَ . فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَدَفَعَ الْبَابَ فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : أَبُو بَكْرٍ ، فَقُلْتُ : عَلَى رِسْلِكَ ، ثُمَّ ذَهَبْتُ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ ، فَقَالَ: « ائذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ » فَأَقْبَلْتُ حَتَّى قُلْتُ لِأَبِي بَكْرٍ: ادْخُلْ وَرَسُولُ اللَّهِ يُبَشِّرُكَ بِالْجَنَّةِ ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى جَلَسَ عَنِ يَمِينِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهُ فِي الْقَفِّ ، وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي الْبَيْرِ كَمَا صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ ، ثُمَّ رَجَعْتُ وَجَلَسْتُ ، وَقَدْ تَرَكْتُ أُخِي يَتَوَضَّأُ وَيُلْحَقُنِي ، فَقُلْتُ : إِنْ يُرِدُ اللَّهُ بِفُلَانٍ يَرِيدُ أَخَاهُ خَيْرًا يَأْتِ بِهِ . فَإِذَا إِنْسَانٌ يَحْرُكُ الْبَابَ ، فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ ، ثُمَّ جِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ : هَذَا عُمَرُ يَسْتَأْذِنُ ؟ فَقَالَ: « ائذَنْ لَهُ

وَبَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ « فَجِئْتُ عَمْرَ ، فَقُلْتُ : أَذِنَ أُدْخِلُ وَيُبَشِّرُكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجَنَّةِ ، فَدَخَلَ فَجَلَسَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْقَفِّ عَنْ يَسَارِهِ وَذَلَّى رِجْلَيْهِ فِي الْبَيْتِ ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ فَقُلْتُ : إِنْ يُرِيدُ اللَّهُ بِفُلَانٍ خَيْرًا يَعْنِي أَخَاهُ يَأْتِ بِهِ . فَجَاءَ إِنْسَانٌ فَحَرَكَ الْبَابَ فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : عُمَانُ بْنُ عَفَانَ . فَقُلْتُ : عَلَى رِسْلِكَ ، وَجِئْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ : « ائْذِنَ لَهُ وَبَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ مَعَ بَلْوَى تُصِيبُهُ » فَجِئْتُ فَقُلْتُ : ادْخُلْ وَبَشِّرْكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجَنَّةِ مَعَ بَلْوَى تُصِيبُكَ ، فَدَخَلَ فَوَجَدَ الْقَفَّ قَدْ مَلِئَ ، فَجَلَسَ وَجَاهَهُمْ مِنَ الشَّقِّ الْأَخْرِي . قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ : فَأَوْلَتْهَا قُبُورَهُمْ . متفقٌ عليه .

وزاد في رواية : « وأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ الباب وفيها : أَنَّ عُمَانَ حِينَ بَشَّرَهُ حَمِدَ اللَّهُ تَعَالَى ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

قوله : « وَجَهَ » بفتح الواو وتشديد الجيم ، أَي : تَوَجَّهَ . وقوله : « بئر أريسي » : هو بفتح الهمزة وكسر الراء ، وبعدها ياء مثناةٌ من تحت ساكنة ، ثُمَّ سِينٌ مَهْمَلَةٌ ، وهو مصروفٌ ، ومنهم من منع صرفه . « وَالْقَفُّ » بضم القاف وتشديد الفاء : هُوَ الْمَبْنِيُّ حَوْلَ الْبَيْتِ . قوله : « عَلَى رِسْلِكَ » بكسر الراء على المشهور ، وقيل بفتحها ، أَي : ارْفُقُ .

710- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كُنَّا نَقْعُودُ حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَعَنَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي نَفَرٍ ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا وَخَشِينَا أَنْ يُقْتَطَعَ دُونَنَا وَفِرْعَانَا فَقُمْنَا ، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَرَعَ . فَخَرَجْتُ أَبْتَغِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَتَّى أَتَيْتُ حَائِطًا لِلأَنْصَارِ لِبَنِي النَّجَّارِ ، فَذَرْتُ بِهِ هَلْ أَجِدُ لَهُ بَابًا ؟ فَلَمْ أَجِدْ ، فَإِذَا رِبِيعٌ يَدْخُلُ فِي جُوفِ حَائِطٍ مِنْ بَيْتٍ خَارِجِهِ وَالرَّبِيعُ : الْجَدُولُ الصَّغِيرُ فَاحْتَفَزْتُ ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فقال : « أَبُو هُرَيْرَةَ ؟ » فَقُلْتُ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : « مَا شَأْنُكَ » قلتُ : كُنْتُ بَيْنَ ظَهْرَيْنَا فَقُمْتُ فَأَبْطَأَتْ عَلَيْنَا ، فَخَشِينَا أَنْ تُقْتَطَعَ دُونَنَا ، فَفَرَعْنَا ، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَرَعَ فَأَتَيْتُ هَذَا الْحَائِطَ ، فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ ، وَهَوْلَاءِ النَّاسِ وَرَائِي . فَقَالَ : « يَا أبا هُرَيْرَةَ » وَأَعْطَانِي نَعْلَيْهِ فَقَالَ : « أَذْهَبَ بِنَعْلَيْ هَاتَيْنِ ، فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ ، فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ » وَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطَوِيلِهِ ، رواه مسلم

« الرَّبِيعُ » النَّهْرُ الصَّغِيرُ ، وَهُوَ الْجَدُولُ بفتح الجيم كَمَا فَسَّرَهُ فِي الْحَدِيثِ . وقوله : « احْتَفَزْتُ » روي بالراء وبالزاي ، ومعناه بالزاي : تَضَامَمْتُ وَتَصَاغَرْتُ حَتَّى أَمَكَّنْتِي الدُّخُولَ .

711- وعن ابن شماسَةَ قَالَ : حَضَرْنَا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَهُوَ فِي سِيَّاقَةِ الْمَوْتِ فَبَكَى طَوِيلًا ، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الْجِدَارِ ، فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ : يَا أَبَتَاهُ ، أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ بَكْدَا ؟ أَمَا بِشْرِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَكْدَا ؟ فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ فَقَالَ : إِنَّ أَفْضَلَ مَا نُعِدُّ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ إِلَيَّ قَدْ كُنْتُ عَلَى أَطْبَاقِ ثَلَاثٍ : لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ بُغْضًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنِّي ، وَلَا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكُونَ قَدِ اسْتَمَكَنْتُ مِنْهُ فَقَتَلْتُهُ ، فَلَوْ مِتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ : ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلَأُبَايِعَكَ ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ فَقَبَضْتُ يَدِي ، فَقَالَ : « مَا لَكَ يَا عَمْرُو ؟ » قُلْتُ : « أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ قَالَ : « تَشْتَرِطُ مَاذَا ؟ » قُلْتُ أَنْ يُغْفَرَ لِي قَالَ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِيكُمْ مَا كَانَ قَبْلَهُ ، وَأَنَّ الْهَجْرَةَ تَهْدِيكُمْ مَا كَانَ قَبْلَهَا ، وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِيكُمْ مَا كَانَ قَبْلَهُ ؟ » وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا أَجَلَ فِي عَيْنِي مِنْهُ ، وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنِي مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ ، لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنِي مِنْهُ وَلَوْ مِتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ . ثُمَّ وُلِّينَا أَشْيَاءَ مَا أُدْرِي مَا حَالِي فِيهَا ؟ فَإِذَا أَنَا مِتُّ فَلَا تَصْحَبَنِي نَائِحَةٌ وَلَا نَارٌ ، فَإِذَا دَفَنْتُمُونِي ، فَشَنُّوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَنًّا ، ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرًا مَا تُنَحَّرُ جَزُورٌ ، وَيَقْسَمُ لَحْمُهَا ، حَتَّى اسْتَأْنِسَ بِكُمْ ، وَانظُرُوا مَا أَرَا جُعَ بِهِ رَسُولُ رَبِّي . رواه مسلم .

قوله : « شَنُّوا » رُوي بالشين المعجمة وبالمهملة ، أي : صَبُّوه قليلاً قليلاً . والله سبحانه أعلم .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

وقال عطاء عن ابن عباس : أمن أبو بكر بالنبي صلى الله عليه وسلم فجاءه عثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة ، والزبير ، وسعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد ، فسألوه فأخبرهم بإيمانه فأمنوا ، فنزلت فيهم : فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه . (تفسير البغوي 7 / 113)

عن جابر بن عبد الله قال : لما نزلت : لها سبعة أبواب الآية ، أتى رجل من الأنصار النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إن لي سبعة ممالك وإني أعتقت لكل باب منها مملوكا ، فنزلت هذه الآية . فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه . (تفسير الدر المنثور 12 / 642)

عن جابر بن عبد الله قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة ، قال الله سبحانه : أعطيتكم أفضل من هذا ؟ فيقولون : ربنا ، أي شيء أفضل من هذا ؟ قال : رضواني . (تفسير الطبري 14 / 174)

عن السدي : وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون . في الدنيا . (تفسير الطبري 21 / 467)

عن قتادة : فبشرناه بغلام حليم . بشر بإسحاق قال : لم يثن بالحلم على أحد غير إسحاق وإبراهيم (تفسير الطبري 21 / 73)

عن القاسم في قوله : فبشرناه بغلام حلیم قال : قال ابن عباس : هو إسماعيل وكان ذلك بمثي وقال كعب:هو إسحاق وكان ذلك ببیت المقدس . (تفسير الدر المنثور 12 / 428)

عن عثمان بن محصن في ضيف إبراهيم قال كانوا أربعة جبريل وميكائيل وإسر افيل ورفائيل . (تفسير الدر المنثور)

عن مجاهد : وامرأته قائمة . قال : في خدمة أضياف إبراهيم عليه السلام عن قتادة قال : لما أوجس إبراهيم خيفة في نفسه حدثوه عند ذلك بما جاءوا فيه فضحكت امرأته تعجبا مما فيه قوم لوط من الغفلة ومما أتاهم من العذاب عن ابن عباس . فضحكت . قال : فحاضت وهي بنت ثمان وتسعين سنة . عن الضحاك قال : كان اسم سارة يساره فلما قال لها جبريل عليه السلام : يا سارة ، قالت : إن اسمي يساره فكيف تسميني سارة قال الضحاك : يساره العاقر التي لا تلد وسارة الطالق الرحم التي تلد ، فقال لها جبريل عليه السلام : كنت يساره لا تحملين فصرت سارة تحملين الولد وترضعينه ، فقالت سارة : يا جبريل نقصت اسمي قال جبريل : إن الله قد وعدك بأن يجعل هذا الحرف في اسم ولد من ولدك في آخر الزمان وذلك أن اسمه عند الله حيا فسماه يحيى . فقال ابن عباس : فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب . قال : ولد الولد . (تفسير الدر المنثور 8 / 100 - 102)

عن قتادة قوله : أن الله يبشرك بيحيى قال : عبد أحياء الله بالإيمان . عن الربيع قوله : أن الله يبشرك بيحيى قال : سمى الله يحيى . (تفسير ابن أبي حاتم 2 / 642)

عن ابن عباس في قوله : إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه . قال : عيسى هو الكلمة من الله . (تفسير الطبري 6 / 412)

عن قتادة في قوله : إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك . قال : شافهتها الملائكة بذلك . (تفسير الدر المنثور 3 / 545)

عن ابن عباس قال : لما وهب الله لذكريا يحيى وبلغ ثلاث سنين ، بشر الله مريم بعيسى ، فبينما هي في المحراب إذ قالت الملائكة ، وهو جبريل وحده : يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك من الفاحشة ، واصطفاك يعني : واختارك ، على نساء العالمين : عالم أمتها ، يا مريم اقنتي لربك . يعني : صلي لربك . يقول : اركدي لربك في الصلاة بطول القيام ، فكانت تقوم حتى ورمت قدمها ، واسجدي واركعي مع الراكعين . يعني : مع المصلين مع قراء بيت المقدس . يقول الله لتبنيه صلى الله عليه وسلم : ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك . يعني : بالخبر الغيب في قصة زكريا ويحيى ومريم ، وما كنت لديهم .

يعني : عندهم ، إذ يلقون أقلامهم : في كفالة مريم . ثم قال : يا محمد يخبر بقصة عيسى : إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجهاً في الدنيا . يعني : مكيثا عند الله في الدنيا ، من المقربين في الآخرة ، ويكلم الناس في المهدي . يعني : في الخرق وكهلا . ويكلمهم كهلا إذا اجتمع قبل أن يرفع إلى السماء ومن الصالحين . يعني : من المرسلين . (تفسير الدر المنثور 3 / 545)

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قال مسلم بن يسار: كان أحدهم إذا برىء ، قيل : لهئك الطهر . (حلية الأولياء 2 / 294)

روى أن ابن عمر : كان يقول للحاج إذا قدم تقبل الله نسكك وأعظم أجرك وأخلف نفقتك . (مصنف بن أبي شيبة 15814)

قال أبي نضرة : كان أصحاب النبي إذا رأوا على أحدهم الثوب الجديد قالوا : تبلي ويخلف الله عليك . (مصنف ابن أبي شيبة 6 / 60)

وسئل مالك رحمه الله : أيكره للرجل أن يقول لأخيه إذا انصرف من العيد : تقبل الله منا ومنك ، وغفر الله لنا ولك ويرد عليه أخوه مثل ذلك ؟ قال : لا يكره . (المنتقى 1 / 322)

قال علي بن ثابت سألت مالكا عن قول الناس في العيد تقبل الله منا ومنك فقال : مازال الأمر عندنا كذلك . (الحاوي 1 / 82)

قال الإمام أحمد قوله : ولا بأس أن يقول الرجل للرجل يوم العيد : تقبل الله منا ومنك . وقال حرب : سئل أحمد عن قول الناس : تقبل الله منا ومنكم ؟ قال : لا بأس يرويه أهل الشام عن أبي إمامة قيل : ووائله ابن الأسقع ؟ قال : نعم قيل : فلا تكره أن يقال هذا يوم العيد ؟ قال : لا . (المغنى 3 / 294)

قال أبو داود سمعت أحمد سئل عن قوم قيل لهم يوم العيد تقبل الله منا ومنكم قال أرجو أن لا يكون به بأس . (سؤالات أبي داود 61)

سئل سفيان بن عيينة عن البشارة تكون في المكروه ؟ فقال : ألم تسمع قوله : (بشر الذين كفروا بعذاب أليم) . (فتح القدير - للشوكاني - 2 / 484)

روى أن أيوب السخيتاني كان إذا هنا رجلا بمولود قال : جعله الله تعالى مباركا عليك وعلى أمة محمد . (حلية الأولياء 3 / 8)

قال الإمام مالك بن أنس: عن هذه التهنئة لم يزل يعرف هذا بالمدينة . (المغني 2/259)

قال ابن القيم : استحباب تهنئة من تجددت له نعمة دينية ، والقيام إليه إذا أقبل ومصافحته ، فهذه سنة مستحبة ، وهو جائز لمن تجددت له نعمة دنيوية . وأن الأولى أن يقال : يهنك بما أعطاك الله ، وما من الله به عليك ، ونحو هذا الكلام ، فإن فيه تولية النعمة ربهما ، والدعاء لمن نالها بالتهني بها . ولا ريب أن بلوغ شهر رمضان وإدراكه نعمة دينية ، فبي أولى وأحرى بأن يهنأ المسلم على بلوغها ، كيف وقد أترعن السلف أنهم كانوا يسألون الله عز وجل ستة أشهر أن يبلغهم رمضان وفي الستة الأخرى يسألونه القبول ؟ ونحن نرى العشرات ، ونسمع عن أضعافهم ممن يموتون قبل بلوغهم الشهر . (زاد المعاد 3 / 585)

قال ابن القيم : استحباب للمسلم أن يبادر إلى مسرة أخيه وإعلامه بما يفرحه . (تحفه المودود 45)

أَثَارُ الْعَمَلِيَّةِ فِي حَيَاةِ السَّالِفِ :

وقال ابن عباس : أنا أول من أتى عمر حين طعن ، فقال : احفظ عني ثلاثا ، فإني أخاف أن لا يدركني الناس ، أما أنا فلم أقض في الكلالة قضاء ، ولم استخلف على الناس خليفة ، وكل مملوك له عتيق ، فقال له الناس : استخلف ، فقال : أي ذلك أفعل فقد فعله من هو خير مني : أن أدع إلى الناس أمرهم فقد تركه نبي الله صلى الله عليه وسلم وأن استخلف فقد استخلف من هو خير مني ، أبو بكر ، فقلت له : أبشر بالجنة ، صاحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطلت صحبته ، ووليت أمر المؤمنين فقويت وأديت الأمانة ، فقال : أما تبشريك إياي بالجنة فوالله لو أن لي ، قال عفان : فلا والله الذي لا إله إلا هو لو أن لي الدنيا بما فيها لافتديت به من هول ما أمامي قبل أن أعلم الخبر ، وأما قولك في أمر المؤمنين فوالله لوددت أن ذلك كفافا لا لي ولا علي وأما ما ذكرت من صحبة نبي الله صلى الله عليه وسلم فذلك . (أخرجه أحمد في المسند 1 / 408)

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابنه : يا عبد الله بن عمر ، اذهب إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، فقل : يقرأ عمر بن الخطاب عليك السلام ، ثم سلها ، أن أدفن مع صاحبي ، قالت : كنت أريده لنفسه فلاوترنه اليوم على نفسي ، فلما أقبل ، قال له : ما لديك ؟ قال : أذنت لك يا أمير المؤمنين ، قال : ما كان شيء أهم إلي من ذلك المضحج ، فإذا قبضت فاحملوني ، ثم سلموا ، ثم قل : يستأذن عمر بن الخطاب ، فإن أذنت لي ، فادفنتوني ، وإلا فردوني إلى مقابر المسلمين ، إني لا أعلم أحدا أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ، فمن استخلفوا بعدي فهو الخليفة فاسمعوا له وأطيعوا ، فسمى عثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وولج عليه شاب من الأنصار ، فقال : أبشريا أمير

المؤمنين ببشرى الله ، كان لك من القدم في الإسلام ما قد علمت ، ثم استخلفت فعدلت ، ثم الشهادة بعد هذا كله ، فقال : ليتني يا ابن أخي وذلك كفافا لا علي ولا لي ، أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين خيرا ، أن يعرف لهم حقهم ، وأن يحفظ لهم حرمتهم ، وأوصيه بالأنصار خيرا الذين تبوؤوا الدار والإيمان أن يقبل من محسنهم ، ويعفى عن مسيئهم ، وأوصيه بذمة الله ، وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم أن يوفي لهم بعهدهم ، وأن يقاتل من ورائهم وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم . (تاريخ دمشق 44 / 448 - البخاري 2 / 103 - 104 رقم 1392) .

روى أن رجلا ممن كان يجالس الحسن ولد له ابن فهناه رجل فقال : يهنيك الفارس فقال الحسن : وما يهنيك الفارس ؟ لعله أن يكون بقارا أو حمارا ولكن قل : شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب وبلغ أشده ورزقت بره . (الكامل لابن عدى 7 / 101)

لما ولد جعفر بن المأمون المعروف بابن بخه دخل المهنتون على المأمون ، فهنوه بصنوف من التهاني ، وكان فيمن دخل العباس بن الأحنف ، فمثل قائما بين يديه ، ثم أنشأ يقول : مد لك الله الحياة مدا حتى يريك ابنك هذا جدا ثم يفدي مثل ما تفدي كأنه أنت إذا تبدأ أشبه منك قامة وقد مؤزرا بمجده مردي فأمرله المأمون بعشرة آلاف درهم . (تاريخ بغداد 10 / 189)

96- باب وداع الصاحب ووصيته عند فراقه لسفر

وغيره والدعاء له وطلب الدعاء منه

قَالَ اللهُ تَعَالَى : وَوَصَّيْ بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ [البقرة : 132-133]

وأما الأحاديث:

712- فمنها حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه الذي سبق في باب إكرام أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا وسلم فينا خطيباً ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ووعظ وذكر ثم قال : أَمَا بَعْدُ ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأَجِيبْ ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ تَقْلِينَ : أَوْلَهُمَا : كتاب الله ، فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب الله ، واستمسكوا به « فحث على كتاب الله ورغب فيه ، ثم قال : « وَأَهْلُ بَيْتِي ، أَدْرِكُكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي » رواه مسلم . وَقَدْ سَبَقَ بِطُولِهِ .

713- وعن أبي سُلَيْمَانَ مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ شَبِيهُ مُتَقَارِبُونَ ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عَشْرِينَ لَيْلَةً ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحِيمًا رَفِيقًا ، فَظَنَّ أَنَّا قَدِ اشْتَقْنَا أَهْلَنَا . فَسَأَلْنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا مِنْ أَهْلِنَا ، فَأَخْبَرَنَا ، فَقَالَ : « ازْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ فَأَقِيمُوا فِيهِمْ ، وَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ ، وَصَلُّوا صَلَاةَ كَذَا فِي حِينَ كَذَا ، وَصَلُّوا كَذَا فِي حِينَ كَذَا ، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَدِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ ، وَلْيُؤَمِّكُمْ أَكْبَرَكُمْ » متفقٌ عليه . زاد البخاري في رواية له : « وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أَصَلِّي » . قوله : « رَحِيمًا رَفِيقًا » رَوَى بَفَاءٍ وَقَافٍ ، وَرَوَى بِقَافِينَ

714- وعن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : اسْتَأْذَنْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْعُمْرَةِ ، فَأَذِنَ ، وَقَالَ : « لَا تُسْنَأْ يَا أَخِي مِنْ دُعَائِكَ » فَقَالَ كَلِمَةً مَا يَسُرُّنِي أَنْ لِي بِهَا الدُّنْيَا .

وفي رواية قال : « أَشْرِكْنَا يَا أَخِي فِي دُعَائِكَ » رواه أبو داود والترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

715- وعن سالم بن عبد الله بن عمر أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان يقول للرجل إذا أراد سفراً : اذن مني حتى أودعك كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يودعنا فيقول : أستودع الله دينك ، وأمانتك ، وخواتيم عملك ، رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح .

716- وعن عبد الله بن يزيد الخطبي الصحابي رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يودع الجيش قال : « أستودع الله دينكم ، وأمانتكم ، وخواتيم أعمالكم » . حديث صحيح ، رواه أبو داود وغيره بإسناد صحيح .

717- وعن أنس رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إني أريد سفراً ، فزودني ، فقال : « زودك الله التقوى » . قال : زدني ، قال : « وغفر ذنبك » قال : زدني ، قال : « ويسر لك الخير حيثما كنت » رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية :

عن ابن عباس : ووصى بها إبراهيم بنيه وصاهم بالإسلام ووصى يعقوب بمثل ذلك . (تفسير الدر المنثور / 1 / 720)

قال الكلبي ومقاتل : يعني بكلمة الإخلاص لا إله إلا الله . قال ابن عباس : أي وصى إبراهيم بنيه الثمانية إسماعيل وأمه هاجر القبطية ، وإسحاق وأمه سارة ، وستة أمهم قنطورة بنت يقطن الكنعانية تزوجها إبراهيم بعد وفاة سارة ويعقوب ، سمي بذلك لأنه والعيص كانا توأمين فتقدم عيص في الخروج من بطن أمه وخرج يعقوب على أثره أخذا بعقبه . (تفسير البغوي / 1 / 154)

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

عن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه : سمي السفر سفرا لأنه يسفر عن وجوه المسافرين وأخلاقهم فيظهر ما كان خافيا منها . (خلاصة البدر المنير 2 / 436)

قال مطرف بن عبد الله بن الشخير : لابنه : الحسنه بين السيئتين وخير الأمور أوسطها وشر السير الحقيقه . (أي السير بسرعة فائقة) . (العقد الفريد 1 / 209)

جاء رجل إلى هشام أخي ذي الرمة ، فقال له : إني أريد السفر فأوصني ، قال صل الصلاة لوقتها ، فإنك مصلها لا محالة ، فصلها وهي تنفعك ، وإياك أن تكون كلب رفقتك فإن لكل رفقة كلبا ينبع دونهم ، فإن كان خيرا شركوه فيه ، وإن كان عارا تقلده دونهم . (الزهد لابن حنبل 1 / 368)

وقال ابن علان : وهذا لما ورد أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد سفرا أتى أصحابه فسلم عليهم وإذا قدم من سفر أتوا إليه فسلموا عليه قال : وإنما كان هو المودع لأنه المفارق والتوديع منه والقادم يؤتى إليه لهنا بالسلامة . (شرح الأذكار 5 / 112 - 113)

قال ابن الهمام : يودع المسافر أهله وإخوانه ويستحلهم ويطلب دعاءهم ويأتي إليهم لذلك وهم يأتون إليه إذا قدم . (فتح القدير 2 / 319)

قال ابن عبد البر : إذا خرج أحدكم إلى سفر فليودع إخوانه فإن الله جاعل في دعائهم بركة . (الآداب الشرعية 1 / 450)

قال صدقة بن محمد : يقال إن السفر ميزان القوم . (الجامع لأخلاق الراوي 1730) عن بشر أنه قال لجلسائه : سيحوا فإن الماء إذا ساح طاب ، وإذا وقف تغير واصفر . (تاريخ بغداد 14 / 204)

قال الشاعر :

يَا عَيْنَ فِي سَاعَةِ التَّوْدِيْعِ يَشْغَلُكَ *** أَلْبُكَاءُ عَن لَدَّةِ التَّوْدِيْعِ وَالنَّظَرِ؟!

خُذِي بِحِظِّكَ مِنْهُمْ قَبْلَ بَيْنِهِمْ *** فَفِي غَدٍ تَفْرُغِي لِلدَّمْعِ وَالسَّهْرِ!

قَالَ الْبُحْثَرِيُّ :

اللَّهُ جَارُكَ فِي إِنْطِلَاقِكَ *** تَلْقَاءَ شَامِكَ أَوْ عِرْاقِكَ

لَا تَعْدَلِي فِي مَسِيرِي *** يَوْمَ سِرْتُ وَلَمْ أَلَاقِكَ

إِنِّي خَشِيتُ مَوَاقِفًا	***	لِلْبَيْنِ تَسْفَحُ غَرْبَ مَاقِكِ
وَعَلِمْتُ أَنَّ بُكَاءَنَا	***	حَسَبَ إِشْتِيَاقِي وَإِشْتِيَاقِكَ
وَذَكَرْتُ مَا يَجِدُ الْمُودِعُ	***	عِنْدَ ضَمِّكَ وَإِعْتِنَاكِ
فَتَرَكْتُ ذَلِكَ تَعَمُّفًا	***	وَخَرَجْتُ أَهْرَبُ مِنْ فِرَاقِكَ

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّالِفِ :

قال بعضهم صحبت عبد الله بن عمر رضي الله عنهما من مكة إلى المدينة حرسها الله فلما أردت أن أفارقه شيعتي وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال لقمان إن الله تعالى إذا أستودع شيئاً حفظه وإني أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك . (إحياء 2 / 253)

وقال موسى بن وردان أتيت أبا هريرة رضي الله عنه أودعه لسفر أردته فقال ألا أعلمك يا ابن أخي شيئاً علمنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الوداع فقلت بلى قال قل أستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه . (إحياء علوم الدين 2 / 253)

97- باب الإستخارة والمشاورة

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ [آل عمران : 159] ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ [الشورى : 38] أَي : يَتَشَاوَرُونَ بَيْنَهُمْ فِيهِ .

718- عن جابر رضي الله عنه قال : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُنَا الْإِسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا كَالسُّورَةِ مِنَ الْقُرْآنِ ، يَقُولُ إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ ، فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ ثُمَّ لِيَقُلْ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ . اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي « أَوْ قَالَ : « عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ ، فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي ، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي « أَوْ قَالَ : « عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ ، فَاصْرِفْهُ عَنِّي ، وَاصْرِفْني عَنْهُ ، وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ، ثُمَّ رَضِي بِهِ » قَالَ : وَيَسِّي حاجته . رواه البخاري.

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

عَنِ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ : وَشَاوِرُهُمْ فِي الْأَمْرِ قَالَ : قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ لَيْسَ بِهِ إِلَهُمْ حَاجَةٌ ، وَلَكِنْ أَرَادَ أَنْ يَسْتَنَّ بِهِ مَنْ بَعْدَهُ . عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : وَشَاوِرُهُمْ فِي الْأَمْرِ قَالَ : أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ أَنْ يُشَاوِرَ أَصْحَابَهُ فِي الْأُمُورِ ، وَهُوَ يَأْتِيهِ الْوَحْيُ مِنَ السَّمَاءِ ، لِأَنَّهُ أَطِيبٌ لِأَنْفُسِهِمْ ، وَأَنَّ الْقَوْمَ إِذَا شَاوَرُوا بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَأَرَادُوا بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ ، عَزَمَ اللَّهُ لَهُمْ عَلَى أَرْشَدِهِ . عَنِ الضَّحَّاكِ ، قَالَ : مَا أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ بِالْمُشَاوَرَةِ إِلَّا لِمَا عَلِمَ فِيمَا مِنَ الْفَضْلِ وَالْبِرْكَةِ . عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ : وَشَاوِرُهُمْ فِي الْأَمْرِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَمَا إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَغَنِيَانِ عِنَّا ، وَلَكِنَّ اللَّهَ جَعَلَهَا رَحْمَةً لِأُمَّتِي ، فَمَنْ اسْتَشَارَ مِنْهُمْ لَمْ يَعْزَمْ رُشْدًا ، وَمَنْ تَرَكَهَا لَمْ يَعْزَمْ غِيًّا . (تفسير الدر المنثور 4 / 88)

وأمرهم شورى بينهم فيه أربع أوجه : أحدها : أنهم كانوا قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم إليهم إذا أرادوا أمرا تشاوروا فيه ثم عملوا عليه فمدحهم الله تعالى به ، قاله النقاش . الثاني : يعني أنهم لانقيادهم إلى الرأي في أمورهم متفقون لا يختلفون فمدحوا على اتفاق كلمتهم . قال الحسن : ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمورهم . الثالث : هو تشاورهم حين سمعوا بظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم وورود النقباء إليهم حتى اجتمع رأيهم في دار أبي أيوب على الإيمان به والنصرة له ، قاله الضحاك . الرابع : أنهم يتشاورون فيما يعرض لهم فلا يستأثر بعضهم بخير دون بعض . (تفسير الماوردى 5 / 206)

عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَالضَّحَّاكِ قَالَا : مَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ بِالْمُشَاوَرَةِ لِحَاجَةِ مِنْهُ إِلَى رَأْيِهِمْ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَعْلَمَهُمْ مَا فِي الْمُشَاوَرَةِ مِنَ الْفَضْلِ ، وَلِتَقْتَدِيَ بِهِ أُمَّتُهُ مِنْ بَعْدِهِ . وَفِي قِرَاءَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ : (وَشَاوِرُهُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ) . (تفسير القرطبي 2 / 159 - 161)

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قَالَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا رَبِّ أَيُّ عِبَادِكَ أَبْغَضُ إِلَيْكَ؟ قَالَ : عَبْدٌ اسْتَخَارَنِي فِي أَمْرٍ فَخَرْتُ لَهُ فَلَمْ يَرْضَ بِهِ . (حليه الاولياء 4 / 55)

وَقَالَ لُقْمَانُ الْحَكِيمُ لِابْنِهِ : شَاوِرْ مَنْ جَرَبَ الْأُمُورَ فَإِنَّهُ يُعْطِيكَ مِنْ رَأْيِهِ مَا قَامَ عَلَيْهِ بِالْغَلَاءِ وَ أَنْتَ تَأْخُذُهُ مَجَانًا . (أدب الدنيا والدين 303)

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : الرَّجَالُ ثَلَاثَةٌ : رَجُلٌ تَرَدُّ عَلَيْهِ الْأُمُورُ فَيَسِدِّدُهَا بِرَأْيِهِ ، وَرَجُلٌ يُشَاوِرُ فِيمَا أَشْكَلَ عَلَيْهِ وَيَنْزِلُ حَيْثُ يَأْمُرُهُ أَهْلُ الرَّأْيِ ، وَرَجُلٌ حَانِرٌ بِأَمْرِهِ لَا يَأْتِمُرُ رُشْدًا وَلَا يُطِيعُ مُرْشِدًا . (أدب الدنيا والدين 260)

وقال أيضا : لا خير في أمر أبرم من غير شورى . وقال شاور في أمرك من يخاف الله .
(عمر بن الخطاب للصلابي ص 90)

وقد استشار ابنته حفصة في المدة التي ينبغي أن تحدد لابتعاد الرجل عن زوجة في المهام الجهادية ونحوها وقد عين الشفاء من بني عدي مستشارة له .

وعن يوسف بن الماجشون قال : قال لي ابن شهاب ، ولأخ لي ، ولابن عم لي ، ونحن صبيان : لا تستحقروا أنفسكم لحدائث أسنانكم . فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا أعياه الأمر المعضل دعا الأحداث ، أي الشباب ، فاستشارهم لحدّة عقولهم ، وكان يشاور النساء .

(ابن الجوزي تاريخ عمر بن الخطاب ص 101)

قال عمر رضي الله عنه : صاحب الحاجة أبله لا يرشد إلى الصواب فلقنوا أحاكم وسددوا صاحبكم . (محاضرات الأدباء 1 / 45)

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : الإِسْتِشَارَةُ عَيْنُ الْهِدَايَةِ وَقَدْ خَاطَرَ مَنْ اسْتَعْنَى بِرَأْيِهِ .

(أدب الدنيا والدين 303)

وقال أيضا : نِعَمَ الْمُؤَاوَزَةُ الْمُشَاوِرَةُ وَيَسَسَ الْإِسْتِعْدَادُ الْإِسْتِئْذَانُ . (أدب الدنيا والدين 260)

قال ابن عباس رضي الله عنهما : لا يزال الرجل يزداد في صحة رأيه ما نصح لمستشيريه ، فإذا غشه سلبه الله نصحه ورأيه . (الذريعة إلى مكارم الشريعة للأصفهاني 211)

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : لَمَّا تُوِّفِّي رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ بِالْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَلْحَدُ وَآخَرُ يَضْرُحُ ، فَقَالُوا : نَسْتَخِيرُ رَبَّنَا وَنَبْعَثُ إِلَيْهِمَا فَأَيُّهُمَا سَبَقَ تَرْكَنَاهُ ، فَأُرْسِلَ إِلَيْهِمَا ، فَسَبَقَ صَاحِبُ اللَّحْدِ ، فَلَحَدُوا لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . (البخاري الفتح 11 - 6382)

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : إِنَّ الْمَشُورَةَ وَالْمُنَاطَرَةَ بَابَا رَحْمَةٍ وَمِفْتَاحَا بَرَكَةٍ ، لَا يَضِلُّ مَعَهُمَا رَأْيٌ وَلَا يُفْقَدُ مَعَهُمَا حَزْمٌ . (أدب الدنيا والدين 260)

عَنِ الْحَسَنِ قَالَ : وَاللَّهِ مَا اسْتَشَارَ قَوْمٌ قَطُّ إِلَّا هُدُوا لِأَفْضَلِ مَا بَحَضَرَتْهُمْ ، ثُمَّ تَلَا (وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ) . (فضل الله الصمد في شرح الأدب المفرد 258)

عَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ ؛ قَالَ : نَظَرَ بَعْضُ الْمُلُوكِ إِلَى الْعُدْرِيِّ النَّاسِبِ ، فِي عَبَاءَةٍ ، فَازْدَرَاهُ ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّ الْعَبَاءَةَ لَا تُكَلِّمُكَ ، وَاتِّمَّا يُكَلِّمُكَ مَنْ فِيهَا . (المجالسة وجواهر العلم 2 / 240)

وقال العتبي لرجل من عبس: ما أكثر صوابكم! فقال: نحن ألف رجل وفينا حازم واحد، فنحن نشاوره فكأننا ألف حازم. وسئل بعض الحكماء: أيّ الأمور أشدّ تأييدا للعقل، وأيّها أشدّ إضرارا به؟ فقال: أشدها تأييدا له ثلاثة أشياء: مشاورة العلماء، وتجربة الأمور، وحسن التثبّت، وأشدّها إضرارا به ثلاثة أشياء: الاستبداد، والتهاون، والعجلة. (العقد الفريد (ج 1 ص 25)

قال عبد الملك بن مروان: لأن أخطئ وقد استشرت أحب إليّ من أن أصيب من غير مشورة.

(بهجه المجالس و انس المجالس 99)

قال قتيبة بن مسلم: الخطأ مع الجماعة خيرٌ من الصواب مع الفرقة، وإن كانت الجماعة لا تخطئ، والفرقة لا تصيب. (بهجه المجالس و انس المجالس 99)

قال المأمون: ثلاثٌ لا يعدم المرء الرشدهنّ: مشاورة ناصح، ومداراة حاسد، والتحبب إلى الناس. (بهجه المجالس و انس المجالس 99).

قال عبد الملك: اللحن هجنة الشريف، والعجب آفة الرأي. (بهجه المجالس و انس المجالس 99)

قال قتيبة بن مسلم: من أعجب برأيه، لم يشاور كفيًا، ولم يوات نصيحًا. (بهجه المجالس و انس المجالس 99)

قال بزرجمهر: أفره الدّواب لاغنى به عن السّوط، وأعفّ النساء لاغنى بها عن الزواج، وأعقل الرجال لاغنى به عن المشورة. (بهجه المجالس و انس المجالس 99)

قال الأصمعي: لا تشاور صاحب حاجة يريد قضاءها ولا جائعا ولا حاقنا ولا حازقا ولا حاقبا. (المجالسة وجواهر العلم للدينوري 2/ 414)

قال ابن العربي: الشورى ألفة للجماعة ومسبار للعقول وسبب إلى الصواب وما تشاور قوم إلا هدوا. (تفسير القرطبي 16 / 25)

وقال قتادة: ما تشاور قوم يبتغون وجه الله إلا هدوء إلى أرشد أمرهم. (الوابل الصيب 247)

قال أكنم بن صفى: أول الحزم المشورة، والمشورة مادة الرأي. (أنساب الأشراف 4 / 221)

قال الجاحظ: المشورة لقاح العقول. (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 18 / 93)

قال ابن المعتز: المشورة راحة لك وتعب لغيرك. (التمثيل والمحاضرة للثعالبي 1 / 86)

قال ابن قتيبة : قرأت في كتاب الهند : من التمس من الإخوان الرخصة عند المشورة ومن الأطباء عند المرض ومن الفقهاء عند الشبهة أخطأ الرأي وازداد مرضا وحمل الوزر .
(المجالسة وجواهر العلم 2 / 214)

كتب الحجاج إلى المهلب يستعجله في حرب الأزارقة ، فكتب إليه : إن من البلاء أن يكون الرأي لمن يملكه دون من يبصره . (المجالسة وجواهر العلم 2 / 413)

قال الشافعي : إنما يؤمر الحاكم بالمشورة لكون المشير ينهيه على ما يغفل عنه ، ويدله على ما لا يستحضره من الدليل لا ليقلد المشير فيما يقوله ، فإن الله لم يجعل هذا لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم . (فتح الباري : 13 / 354)

قال أبو الحسن المارودي الشافعي : ومن الحزم لكل ذي لب أن لا يرم أمرا ولا يمضي عزمًا إلا بمشورة ذي الرأي الناصح ومطالعة ذي العقل الراجح ؛ فإن الله أمر بالمشورة نبيه فقال (وشاورهم في الأمر) مع ما تكفل به من إرشاده وعونه وتأييده . (المدخل لابن الحاج 4 / 41)

قال القرطبي : والشورى مبنية على اختلاف الآراء والمستشير ينظر في ذلك الخلاف وينظر أقربها قولاً إلى الكتاب والسنة إن أمكنه فإذا أرشده الله تعالى إلى ما شاء منه عزم عليه وأنفذه متوكلاً عليه إذ هذه غاية الاجتهاد المطلوب . (تفسير القرطبي 2 / 162)

وقال : وصفة المستشار في أمور الدنيا أن يكون عاقلاً مجرباً وأداً في المستشار . (القرطبي 2 / 159)

قال ابن الحاج المالكي: والجمع بين الاستخارة والاستشارة من كمال الامتثال للسنة ، فينبغي للمكلف أن لا يقتصر على إحداهما . (المدخل لابن الحاج 4 / 40)

قال قيس لابنه : لا تشاورن مشغولاً ، وإن كان حازماً ، ولا جائعاً ، وإن كان فهيماً ، ولا مذعوراً ، وإن كان ناصحاً ، ولا مهموماً وإن كان فطنا . فالهم يعقل العقل (أي يقيد العقل) ولا يتولد منه رأي ولا تصدق منه روية . وقيل : لا تدخل في مشورتك بخيلاً فيقصربفعلك ، ولا جبانا فيخوفك ولا حريصاً فيعدك ما لا يرتجي ، فالجبين والبخل والحرص طبيعة واحدة يجمعها سوء الظن . وقيل : لا تشاور من ليس في بيته دقيق . وكان كسرى إذا أراد أن يستشير إنساناً بعث إليه بنفقة سنة ثم يستشير . وقيل لا تشيرن على معجب ولا متلون ، وخف الله من موافقة هوى المستشار .
(محاضرات الأدباء 1 / 45)

قال ابن الحاج المالكي : فإذا عزم على المشورة ارتاد لها من أهلها من استكملت فيه خمس خصال :
 الخصلة الأولى : عقل كامل مع تجربة سابقة ، فإن بكثرة التجارب تصح الروية . وقال عبد الله بن
 الحسن لابنه محمد : احذر مشورة الجاهل وإن كان ناصحاً كما تحذر عداوة العاقل إن كان عدواً ،
 فإنه يوشك أن يورطك بمشورته فيسبق إليك مكر العاقل وتوريط الجاهل وكان يقال : إياك
 ومشاورة رجلين : شاب معجب بنفسه قليل التجارب في غرة ، وكبير قد أخذ الدهر من عقله كما
 أخذ من جسمه ، وقيل في منشور الحكم : كل شيء محتاج إلى العقل ، والعقل محتاج إلى التجارب .
 وقال الشاعر : ألم تر أن العقل زين لأهله ولكن تمام العقل طول التجارب . الخصلة الثانية : أن
 يكون ذا دين وتقى فإن ذلك عماد كل صلاح وباب كل نجاح ومن غلب عليه الدين فهو مأمون
 السريرة موفق العزيمة . الخصلة الثالثة : أن يكون ناصحاً ودوداً فإن النصيحة والمودة يصدقان
 الفكرة ويمحصان الرأي . وقال بعض الحكماء : لا تشاور إلا الحازم غير الحسود ، واللبيب غير
 الحقود . الخصلة الرابعة : أن يكون سليم الفكر من هم قاطع وغم شاغل . فإن من عارضت
 فكرته شوائب الهموم لم يسلم له رأي ولم يستقم له خاطر . الخصلة الخامسة : أن لا يكون له في
 الأمر المستشار فيه غرض يتابعه ولا هوى يساعده ، فإن الأغراض جاذبة ، والهوى صاد ، والرأي
 إذا عارضه الهوى وجاذبته الأغراض فسد . (المدخل لابن الحاج 4 / 42 - 43)

يقول ابن تيمية رحمه الله : ما ندم من استخار الخالق وشاور المخلوقين وثبت في أمره وقد قال
 سبحانه وتعالى : (وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله) . (الوابل الصيب 247)

قال ابن القيم رحمه الله : فعوض رسول الله أمته بهذا الدعاء عما كان عليه أهل الجاهلية من زجر
 الطير والاستقسام بالأزلام الذي نظيره هذه القرعة التي كان يفعلها إخوان المشركين يطلبون بها
 علم ما قسم لهم في الغيب . والمقصود أن الاستخارة توكل على الله وتفويض إليه واستقسام
 بقدرته وعلمه وحسن اختياره لعبده وهي من لوازم الرضا به ربا الذي لا يذوق طعم الإيمان من لم
 يكن كذلك وإن رضي بالمقدور بعدها فذلك علامة سعادته . (زاد المعاد 2 / 443 - 445)

قال النووي : يستحب أن يستشير قبل الاستخارة من يعلم من حالة النصيحة والشفقة والخبرة ،
 ويثق بدينه ومعرفته وإذا استشار وظهر أنه مصلحة ، استخار الله في ذلك .
 (الموسوعة الكويتية 3 / 243)

وقال يحيى : لا تُشِيرَنَّ على عدوك وصديقك إلا بالنصيحة ، فالصديقُ تقضي بذلك حقه والعدوُّ
 يهايكُ إذا رأى صوابَ رأيك . (محاضرات الأدباء 1 / 7)

قال بشار بن برد : (أدب الدنيا والدين 263)

إِذَا بَلَغَ الرَّأْيُ الْمَشُورَةَ فَاسْتَعَنَّ *** بِرَأْيِ نَصِيحٍ أَوْ نَصِيحَةِ حَازِمٍ

وَلَا تَجْعَلُ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاضَةً *** فَإِنَّ الْخَوَافِي قُوَّةٌ لِلْقَوَادِمِ

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ:

عن ميمون بن مهران ، قال : كان أبو بكر الصديق إذا ورد عليه أمر نظر في كتاب الله ، فإن وجد فيه ما يقضي به قضى بينهم ، وأن علمه من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى به ، وإن لم يعلم خرج فسأل المسلمين عن السنة ، فإن أعياه ذلك دعا رؤوس المسلمين وعلماءهم واستشارهم . (فتح الباري لابن حجر 13 / 354) .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، خَرَجَ إِلَى الشَّامِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرْعَ لَقِيَهُ أَمْرَاءُ الْأَجْنَادِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَأَصْحَابُهُ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِأَرْضِ الشَّامِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: ادْعُ لِي الْمُهَاجِرِينَ الْأُولِينَ فَدَعَاهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّامِ فَاخْتَلَفُوا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَدْ خَرَجْتَ لِأَمْرٍ وَلَا نَرَى أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ مَعَكَ بِقِيَّةِ النَّاسِ وَأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا نَرَى أَنْ تُقَدِّمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ، فَقَالَ عُمَرُ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي الْأَنْصَارَ، فَدَعَوْهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ فَسَلَكُوا سَبِيلَ الْمُهَاجِرِينَ، وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلَافِهِمْ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هَاهُنَا مِنْ مَشِيخَةِ قُرَيْشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الْفَتْحِ، فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَخْتَلِفْ عَلَيْهِ مِنْهُمْ رَجُلَانِ، فَقَالُوا: نَرَى أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ، وَلَا تُقَدِّمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ، فَنَادَى عُمَرُ فِي النَّاسِ: إِنِّي مُصْبِحٌ عَلَى ظَهْرٍ فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: أفرارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ؟ فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ غَيْرَكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ؟ نَعَمْ نَفَرُ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ فَهَبَطْتَ وَادِيًا لَهُ عُدْوَتَانِ إِحْدَاهُمَا خَصْبَةٌ، وَالْأُخْرَى جَدْبَةٌ، أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الْخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ، وَإِنْ رَعَيْتَ الْجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ، فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَكَانَ غَائِبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ، فَقَالَ: إِنَّ عِنْدِي مِنْ هَذَا عِلْمًا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدِمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ»، قَالَ: فَحَمِدَ اللَّهُ عَمْرًا، ثُمَّ انْصَرَفَ . (موطأ ملك 2 / 894)

استخارت زينب بنت جحش لما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يتزوجها . قال النووي : فيه استحباب صلاة الاستخارة لمن هم بأمر سواء كان الأمر ظاهر الخير أم لا قال : ولعلها استخارت لخوفها من تقصيرها في حقه صلى الله عليه وسلم . (الآداب الشرعية 2 / 229)

عن عطاء : قال : لما احترق البيت زمن يزيد بن معاوية حين غزاها أهل الشام فكان من أمره ما كان ، تركه ابن الزبير حتى قدم الناس الموسم يريد أن يجزئهم أو يحرمهم على أهل الشام ، فلما صدر الناس قال : يا أيها الناس ، أشيروا علي في الكعبة أنقضها ثم ابني بنائها ، أو أصلح ما وهي منها ؟ قال ابن عباس : فإني قد فرق لي رأي فيها : أرى أن تصلح ما وهي منها وتدع بيتنا أسلم الناس عليه وأحجارا أسلم الناس عليها وبعث عليها النبي . فقال ابن الزبير : لو كان أحدكم احترق بيته ما رضي حتى يجده ، فكيف بيت ربكم ؟ ! إني مستخيري ثلاثا ثم عازم على أمري ، فلما مضى الثلاث أجمع رأيه على أن ينقضها ، فتحاماه الناس ، أن ينزل بأول الناس يصعد فيه أمر من السماء ! حتى صعد رجل فألقى منه حجارة ، فلما لم يره الناس أصابه شيء ، تتابعوا فنقضوه حتى بلغوا به الأرض ، فجعل ابن الزبير أعمدة فستر عليها الستور حتى ارتفع بناءه . (أخرجه مسلم 1333)

لما أصاب زيادا الطاعون في يده أحضر له الأطباء ، فدعا شريحا فقال له : لا صبر لي من شدته فلقد رأيت أن أقطعها ، فقال شريح : أتستشيرني في ذلك ؟ فقال : نعم ؛ قال : لا تقطعها ، فالرزق مقسوم والأجل معلوم ، وأنا أكره أن تقدم على ربك مقطوع اليد ، فإذا قال : لم قطعتما قلت : بغضا للقائك وفرارا من قضائك . فمات زياد من يومه ، فقال الناس لشريح : لم نهيتك عن قطعها ؟ فقال : استشارني والمستشار مؤتمن ، ولولا الأمانة لوددت أن أقطع يده يوما ورجله يوما . (التذكرة الحمدونية 3 / 182)

شاور المنصور سلم بن قتيبة في قتل أبي مسلم صاحب الدولة فقال : لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا ، فقال : عيشك . واستشار فيه آخر فقال : ولن يجمع السيفان ويحك في غمد . واستشار معاوية الأحنف في بيعة يزيد فقال الأحنف : أنت أعلم بليله ونهاره وسره وإجهاره ، فإن كنت تعلمه له أيضا وللأمة صلاحا فلا تشاور فيه أحدا ، وإن كنت تعلم غير ذلك فلا تزوده الدنيا وأنت صائر إلى الآخرة ، وإنما علينا أن نقول ، سمعنا وأطعنا . (محاضرات الأدباء 1 / 8)

استشار عبد الله بن علي عبد الله بن المقفع فيما كان بينه وبين المنصور فقال : لست أقود جيشا ، ولا أتقلد حربا ، ولا أشير بسفك دم ، وعترة الحرب لا تستقال ، وغيري أولى بالمشورة في هذا المكان . واستشار زياد رجلا فقال : حق المستشار أن يكون ذا عقل وافر واختبار متظاهر ، ولا أراني هناك . واجتمع رؤساء بني سعد إلى أكتف بن صيفي يستشيرونه فيما دهمهم من يوم الكلاب فقال : إن وهن الكبر قد فشا في بدني وليس معي الذهن ما ابتدء به الرأي ، ولكن اجتمعوا وقولوا فإني إذا مررت بالصواب عرفته . (محاضرات الأدباء 1 / 8)

98- باب استحباب الذهاب إلى صلاة العيد والرجوع من طريق آخر

- 719- عن جابر رضي الله عنه قال : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَانَ يَوْمَ عِيدٍ خَالَفَ الطَّرِيقَ . رواه البخاري . قوله : « خَالَفَ الطَّرِيقَ » يعني : ذَهَبَ فِي طَرِيقٍ وَرَجَعَ فِي طَرِيقٍ آخَرَ .
- 720- وعن ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَخْرُجُ مِنْ طَرِيقِ الشَّجَرَةِ وَيَدْخُلُ مِنْ طَرِيقِ الْمُعْرَسِ ، وَإِذَا دَخَلَ مَكَّةَ دَخَلَ مِنَ الثَّنِيَةِ الْعُلْيَا وَيَخْرُجُ مِنَ الثَّنِيَةِ السُّفْلَى . متفقٌ عليه .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

- قال أبو بكر الصديق : حق على كل ذات نطاق الخروج إلى العيدين . (مصنف بن أبي شيبة 2 / 182)
- عن علي رضي الله عنه أنه سئل عن الغسل فقال : يوم الجمعة ويوم عرفة ويوم الفطر ويوم الأضحى . (السنن الكبرى للبيهقي 3 / 278 برقم 6343)
- قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : من السنة أن تأتي العيد ماشيا ثم تركب إذا رجعت . (تحفه الأحوذى رقم 530 ص 58)
- وروى أن ابن عمر كان إذا غدا يوم الفطر ويوم الأضحى يجتهد بالتكبير حتى يأتي المصلى ثم يكبر حتى يخرج الإمام . (إرواء الغليل 2 / 121)
- كان ابن مسعود يكبر ويقول : الله أكبر كبيرا الله أكبر كبيرا الله أكبر وأجل الله أكبر والله الحمد . (مصنف بن أبي شيبة 2 / 167)
- وعن أم عطية رضي الله عنها قالت : أمرنا أن نخرج ، فنخرج الحيض والعواتق وذوات الخدور - أي المرأة التي لم تتزوج - فأما الحيض فيشهدن جماعة المسلمين ودعوتهم ، ويعتزلن مصلاهم . (البخاري 971 - ومسلم 890)
- محمد بن زياد قال : كنت مع أبي إمامة الباهلي وغيره من أصحاب النبي ، فكانوا إذا رجعوا يقول بعضهم لبعض : تقبل الله منا ومنك . (الجواهر النقي 3 / 320)
- قال جبير بن نفير : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا التقوا يوم العيد يقول بعضهم لبعض تقبل الله منا ومنك . (فتح الباري 2 / 446)

قال أبي عبد الرحمن السلمي : (كانوا في الفطر أشد منهم في الأضحى) قال وكيع يعني التكبير .
(إرواء الغليل 3 / 122)

قال الحسن البصري : كل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد كل يوم يقطعه المؤمن في طاعة مولاه
وذكره وشكره فهو له عيد . (لطائف المعارف 278)

رجع حسان بن أبي سنان من عيده فقالت امرأته : كم من امرأة حسناء قد رأيت ؟ فقال : ما
نظرت إلا في إبهامي منذ خرجت إلى أن رجعت ! . (التبصرة للجوزي 106)

قال وكيع : خرجنا مع سفيان الثوري في يوم عيد فقال إن أول ما نبدأ به في يومنا غض أبصارنا .
(الورع لابن أبي الدنيا 63)

عن الزهري: كان الناس يكبرون في العيد حين يخرجون من منازلهم حتى يأتوا المصلى وحتى يخرج
الإمام فإذا خرج الإمام سكتوا فإذا كبركبروا . (إرواء الغليل 2 / 121)

قال سعيد بن المسيب : سنة الفطر ثلاث المشي إلى المصلى والأكل قبل الخروج والاعتسال .
(رواه الفريابي 127 / 1 - 2)

قال أبو منصور الشيرازي : ليس العيد لمن غرف له إنما العيد لمن غفر له . (معجم السفر 302)

مر قوم براهب في دير فقالوا له : متى عيد أهل هذا الدير ؟ قال : يوم يغفر لأهله .
(لطائف المعارف 1 / 299)

قال ابن رجب : ليس العيد لمن لبس الجديد إنما العيد لمن طاعته تزيد ليس العيد لمن تجمل
باللباس والركوب إنما العيد لمن غفرت له الذنوب في ليلة العيد تفرق خلق العتق والمغفرة على
العبيد فمن ناله منها شيء فله عيد وإلا فهو مطرود بعيد . (لطائف المعارف 277)

قال ابن الجوزي : ليس العيد ثوبا يجر الخيلاء جره ، ولا تناول مطعم بكف شره لا يؤمن شره ،
إنما العيد لبس توبة عاص تائب يسر بقدم قلب غائب . (التبصرة 2 / 103)

قال أبو إسحاق الألبيري : (ديوان أبي إسحاق الألبيري 1 / 67)

مَا عَيْدُكَ الْفَخْمُ إِلَّا يَوْمٌ يَغْفِرُ *** لَكَ لَا أَنْ تَجْرِبَهُ مُسْتَكْبِرًا حُلِّكَ

كَمْ مِنْ جَدِيدٍ ثِيَابٍ دِينَهِ خَلَقَ *** تَكَادَ تَلْعَنُهُ الْأَقْطَارُ حَيْثُ سَلَكَ

وَمِنْ مَرْقِعِ الْأَطْمَارِذِيِّ وَرِعِ بَكْتٌ *** عَلَيْهِ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ حِينَ هَلَكَ

الْآثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

عن نافع: أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يغتسل يوم الفطر قبل أن يغدو إلى المصلى. (الموطأ 28)

كان ابن عمر يخرج من استطاع من أهله في العيدين. (مصنف بن أبي شيبة 4 / 232 برقم 5837)

روى أن ابن عمر أنه كان يلبس أحسن ثيابه في العيدين. (فتح الباري 2 / 51)

رأى وهيب بن الورد قوما يضحكون في يوم عيد فقال: إن كان هؤلاء تقبل منهم صيامهم فما هذا

فعل الشاكرين وإن كان لم يتقبل منهم صيامهم فما هذا فعل الخائفين. (لطائف المعارف 209)

قال عبيد الله بن أبي كثير: كان زاذان يخرج يوم العيد، يتخلل الطرق، ويبكي، ويذكر الله؛ حتى

يأتي المصلى. (حلية الأولياء 4 / 199)

99- باب استحباب تقديم اليمين في كل ما هو من باب التكريم

كالوضوءِ وَ الْعُسْلِ وَالتَّيْمُمِ ولبس الثوب والنعل والخف والسرراويل ودخول المسجد والسواك والاكتحال وتقليم الأظفار وقص الشارب ونتف الإبط وحلق الرأس والسلام من الصلاة والأكل والشرب والمصافحة واستلام الحجر الأسود والخروج من الخلاء والأخذ والعطاء وغير ذلك مما هو في معناه ويستحب تقديم اليسار في ضد ذلك كالامتخاط والبصاق عن اليسار ودخول الخلاء والخروج من المسجد وخلع الخف والنعل والسرراويل والثوب والاستنجاء وفعل المستقذرات وأشباه ذلك

قَالَ اللهُ تَعَالَى: فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُومُ أَقْرَأُوا كِتَابِيهِ [الحاقة: 19] الآيات ، وَقَالَ تَعَالَى: فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ [الواقعة: 8-9] .

721- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْجِبُهُ التَّيْمُنُ فِي شَأْنِهِ كُلِّهِ: فِي طُهُورِهِ ، وَتَرْجُلِهِ ، وَتَنَعُّلِهِ . متفقٌ عليه .

722- وعن عائشة قالت: كَانَتْ يَدُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، الَيْمْنَى لِطُهُورِهِ وَطَعَامِهِ ، وَكَانَتْ الَيْسْرَى لِخَلَائِهِ وَمَا كَانَ مِنْ أَدَى . حديث صحيح ، رواه أبو داود وغيره بإسناد صحيح .

723- وعن أم عطية رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهنَّ في غسلِ ابنتِهِ زَيْنَبَ رضي الله عنها: «ابدأنَّ بِمِيَامِنِهَا وَمَوَاضِعِ الْوُضُوءِ مِنْهَا» متفقٌ عليه .

724- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا انْتَعَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِالْيُمْنَى ، وَإِذَا نَزَعَ فَلْيَبْدَأْ بِالشِّمَالِ . لِتَكُنَّ الْيُمْنَى أَوْلَهُمَا تُنْعَلُ ، وَآخِرُهُمَا تُنْزَعُ» متفقٌ عليه

725- وعن حفصة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجعلُ يَمِينَهُ لَطَعَامِهِ وَشَرَّابِهِ وَثِيَابِهِ وَيَجْعَلُ يَسَارَهُ لِمَا سِوَى ذَلِكَ رواه أبو داود والترمذي وغيره .

726- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا لَبِسْتُمْ ، وَإِذَا تَوَضَّأْتُمْ ، فَاَبْدُؤُوا بِأَيَامِنِكُمْ» حديث صحيح . رواه أبو داود والترمذي بإسناد صحيح .

727- وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى مِئَى : فَأَتَى الْجَمْرَةَ فَرَمَاهَا ، ثُمَّ أَتَى مَنْزِلَهُ بِمِئَى ، وَنَحَرَ ، ثُمَّ قَالَ لِلْحَلَّاقِ « خُذْ » وَأَشَارَ إِلَى جَانِبِهِ الْأَيْمَنِ ، ثُمَّ الْأَيْسَرِ ثُمَّ جَعَلَ يُعْطِيهِ النَّاسَ . متفقٌ عليه .

وفي روايةٍ : لَمَّا رَمَى الْجَمْرَةَ ، وَنَحَرَ نُسُكَهُ وَحَلَّقَ : نَاولَ الْحَلَّاقَ شِقَّةَ الْأَيْمَنِ فَحَلَقَهُ ، ثُمَّ دَعَا أَبَا طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيَّ رضي الله عنه ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ ، ثُمَّ نَاولَهُ الشَّقَّ الْأَيْسَرَ فَقَالَ : « اِحْلِقْ » فَحَلَقَهُ فَأَعْطَاهُ أَبَا طَلْحَةَ فَقَالَ : « اقسِمْهُ بَيْنَ النَّاسِ » .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

عن عبد الله بن عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة قال : إن الله يقف عبده يوم القيامة ، فيبدي سيئاته في ظهر صحيفته ، فيقول له : أنت عملت هذا ؟ فيقول : نعم ، أي رب ، فيقول له : إني لم أفضحك به ، وإني قد غفرت لك ، فيقول عند ذلك : هاؤم اقرؤوا كتابيه إني ظننت أني ملاق حسابية حين نجا من فضيحة يوم القيامة . (تفسير الدر المنثور 14 / 676)

قال ابن زيد ، في قول الله : هاؤم اقرؤوا كتابيه . قال : تعالوا . عن ابن عباس ، قوله : إني ظننت أني ملاق حسابية . يقول : أيقنت . عن مجاهد قال : كل ظن في القرآن . إني ظننت . يقول : أي علمت . (تفسير الطبري 23 / 585)

عن الحسن في قوله : وكنتم أزواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون أولئك المقربون . إلى . ثلة من الأولين وثلة من الآخرين . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى بين أصحاب اليمين من الأمم السابقة ، وبين أصحاب

اليمن من هذه الأمة ، وكان السابقون من الأمم أكثر من سابقى هذه الأمة عن قتادة قوله : فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة : أي ماذا لهم وماذا أعد لهم ؟ وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة : أي ماذا لهم وماذا أعد لهم ؟ والسابقون السابقون : أي من كل أمة . (الطبري 23 / 96)

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قالت عائشة : كنا إذا أصاب إحدانا جنابة أخذت بيديها ثلاثا فوق رأسها ثم تأخذ بيدها على شقها الأيمن وبيدها على شقها الأيسر . (شرح البخاري 1 / 260)

جاء عن ابن مسعود أنه كان يصلي فوضع يده اليسرى على اليمنى ، فرآه النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ يده اليمنى وجعلها على اليسرى . (إلام الموقعين 2 / 290)

قال نعيم بن عبد الله المجرم : رأيت أبا هريرة يتوضأ فغسل وجهه فأسبغ الوضوء ثم غسل يده اليمنى حتى أشرع في العضد ثم يده اليسرى حتى أشرع في العضد ثم مسح رأسه ثم غسل رجله اليمنى ثم غسل رجله اليسرى حتى أشرع في الساق ثم قال : هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ . (مسلم 246) ورواه البخاري (136)

قال عبد خير : دخل علي الرحبة بعدما صلى الفجر قال فجلس في الرحبة ثم قال لسلام له ائتني بطهور قال فأتاه السلام بإناء فيه ماء وطست قال ونحن جلوس ننظر إليه فأدخل يده اليمنى فملاً فمه فمضمض واستنشق ونثر بيده اليسرى فعل هذا ثلاث مرات ثم قال من سره أن ينظر إلى ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا ظهوره . (سنن الدارمي 1 / 49)

التيامن في دخول المسجد : قال أنس ابن مالك رضي الله عنه : من السنة إذا دخلت المسجد أن تبدأ برجلك اليمنى وإذا خرجت أن تبدأ برجلك اليسرى . (أخرجه الحاكم 1 / 218)

التيامن في استلام الركنين في الطواف : عن نافع رحمه الله قال : رايت بن عمر يستلم الحجر بيده ثم قبل يده وقال ما تركته منذ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل . (أخرجه مسلم 2 / 927 - رقم 1286)

التيامن في النوم : قال سهيل : كان أبو صالح يأمرنا ، إذا أراد أحد أن ينام ، أن يضطجع على شقة الأيمن ثم يقول اللهم رب السموات والأرض ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء ، فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والإنجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته ، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت

الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين وأغننا عن الفقر. (شرح النووي على مسلم 2713)
 التيامن في المصافحة : وعن ابن الأسود قال : أن من تمام التحية المصافحة .
 (مصنف ابن أبي شيبة 13 / 186)

عن أبي داود قال لقيني البراء بن عازب فأخذ بيدي وصافحني وضحك في وجهي ثم قال : تدري لم أخذت بيدك ؟ قلت : لا إلا أنني ظننتك لم تفعله إلا لخير. فقال : إن النبي صلى الله عليه وسلم لقيني ففعل بي ذلك ثم قال : أتدري لم فعلت بك ذلك ؟ قلت : لا . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن المسلمين إذا التقيا وتصافحا وضحك كل واحد منهما في وجه صاحبه لا يفعلان ذلك إلا لله لم يتفرقا حتى يغفر لهما . (الآداب الشرعية للسفاريني 1 / 328)

قال الغزالي : ثم أحوجك من أعطاك اليدين إلى أعمال بعضها شريف كأخذ المصحف وبعضها خسيس كإزالة النجاسة فإذا أخذت المصحف باليسار وأزلت النجاسة باليمين فقد خصصت الشريف بما هو خسيس فغضضت من حقه وظلمته وعدلت عن العدل . (الإحياء 4 / 93)

قال الإمام النووي : قاعدة الشرع المستمرة أن كل ما كان من باب التكريم والتزيين استحباب فيه التيمن وما كان بضرها استحباب فيه التياسر. (شرح النووي على مسلم 3 / 160)

كتاب أدب الطعام

100 - باب التسمية في أوله والحمد في آخره

728- عن عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَمِّ اللهُ وَكُلْ بِيَمِينِكَ ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ». متفقٌ عليه.

729- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَذْكُرْ اسْمَ اللهِ تَعَالَى، فَإِنْ نَسِيَ أَنْ يَذْكُرَ اسْمَ اللهِ تَعَالَى فِي أَوَّلِهِ، فَلْيَقُلْ: بِسْمِ اللهِ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ». رواه أبو داود، والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

730- وعن جابرٍ، رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ يَقُولُ: «إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ اللهُ تَعَالَى عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ لِأَصْحَابِهِ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عِشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ، فَلَمْ يَذْكُرِ اللهُ تَعَالَى عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: أَذْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللهُ تَعَالَى عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ: أَذْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعِشَاءَ» رواه مسلم

731- وعن حُدَيْفَةَ رضي الله عنه قال: كُنَّا إِذَا حَضَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَعَامًا، لَمْ نَضَعْ أَيْدِينَا حَتَّى يَبْدَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَضَعُ يَدَهُ. وَإِنَّا حَضَرْنَا مَعَهُ مَرَّةً طَعَامًا، فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ كَأَنَّهَا تُدْفَعُ، فَذَهَبَتْ لِتَضَعَ يَدَهَا فِي الطَّعَامِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهَا، ثُمَّ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ كَأَنَّمَا يُدْفَعُ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَجِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لَا يَذْكُرَ اسْمَ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِ. وَإِنَّهُ جَاءَ بِهَذِهِ الْجَارِيَةَ لِيَسْتَجِلَّ بِهَا، فَأَخَذْتُ بِيَدِهَا، فَجَاءَ هَذَا الْأَعْرَابِيُّ لِيَسْتَجِلَّ بِهِ، فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ يَدَهُ فِي يَدِي مَعَ يَدَيْهِمَا» ثُمَّ ذَكَرَ اسْمَ اللهِ تَعَالَى وَأَكَلَ. رواه مسلم.

732- وعن أُمِّيَّةَ بِنِ مَخْبِيٍّ الصَّحَابِيِّ رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا، وَرَجُلٌ يَأْكُلُ، فَلَمْ يُسَمِّ اللهُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْ طَعَامِهِ لُقْمَةٌ، فَلَمَّا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ، قَالَ: بِسْمِ اللهِ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: «مَا زَالَ الشَّيْطَانُ يَأْكُلُ مَعَهُ، فَلَمَّا ذَكَرَ اسْمَ اللهِ اسْتَقَاءَ مَا فِي بَطْنِهِ». رواه أبو داود، والنسائي.

733- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ طَعَامًا فِي سِتَّةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ، فَأَكَلَهُ بِلُقْمَتَيْنِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَا إِنَّهُ لَوْ سَمَّى لَكَفَاكُمْ». رواه الترمذي، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ

734- وعن أبي أمامة رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا رَفَعَ مَائِدَتَهُ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، غَيْرَ مَكْفِيٍّ وَلَا مُسْتَعْنَى عَنْهُ رَبَّنَا» رواه البخاري .

735- وعن مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَكَلَ طَعَامًا فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا، وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» رواه أبو داود، والترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قوله : بسم الله الرحمن الرحيم : أني أعمله بأمره وله لا لي ولا أعمله باسمي مستقلا به على أني فلان . فكأنني أقول : إن هذا العمل لله لا لحظ نفسي . وفيه وجه آخر وهو : إن القدرة التي أنشأت بها العمل هي من الله تعالى ، فلولا ما منحني منها لم أعمل شيئا ، فلم يصدر عني هذا العمل إلا باسم الله ولم يكن باسمي ، إذ لولا ما أتاني من القوة عليه لم أستطع أن أتية . (تفسير المنار 1/ 36)

قوله . الرحمن الرحيم قال ابن عباس رضي الله عنهما : هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر . (تفسير البغوي 1/ 53)

عن ابن عباس قال : الحمد لله كلمة الشكر ، إذا قال العبد : الحمد لله . قال الله : شكرني عبدي . عن ابن عباس قال : قال عمر : قد علمنا سبحان الله ، ولا إله إلا الله ، فما الحمد لله ؟ فقال علي : كلمة رضيها الله لنفسه وأحب أن تقال . عن أنس : التوحيد ثمن الجنة ، والحمد وفاء شكر كل نعمة قال جعفر بن محمد : فقد أبي بغلته فقال : لأن ردها الله علي لأحمدنه بمحامد يرضاهها ، فما لبث أن أتى بها بسرجها ولجامها فركمها فلما استوى عليها رفع رأسه إلى السماء فقال : الحمد لله . لم يزد عليها فقيل له في ذلك ، فقال : وهل تركت شيئا أو : بقيت شيئا ؟ جعلت الحمد كله لله عز وجل . (تفسير الدر المنثور 1/ 53 - 56)

عن ابن أعبد قال : قال علي بن أبي طالب : يا ابن أعبد ما حق الطعام ؟ قلت : ما هو يا ابن أبي طالب ؟ قال : حق الطعام إذا وضع من بين يديك أن تقنع وتقول : بسم الله اللهم بارك لنا فيما رزقتنا يا ابن أعبد هل تدري ما شكر الطعام ؟ قلت : ما هو ؟ قال : شكر الطعام أن تقول إذا أطعمت : الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا . (شعب الإيمان للبيهقي 6040)

عن شهر بن حوشب قال : كان يقال : إذا جمع الطعام أربعا كمل كل شيء من شأنه : إذا كان أصله حلالا ، وذكر اسم الله عليه ، وكثرت عليه الأيدي ، وحمد الله حين يفرغ منه فقد كمل كل شيء من شأنه . (حلية الأولياء 2/ 483)

قال أبي الزاهرية : ما من أحد يأكل طعاما لا يحمد الله تعالى عليه إلا كأنما سرقه .
(حلية الأولياء / 6 / 100)

قال ابن تيمية : إذا قال عند الأكل بسم الله الرحمن الرحيم كان حسنا فإنه أكمل .
(الفتاوى الكبرى / 5 / 480)

قال ابن القيم : وللتسمية في أول الطعام والشراب وحمد الله في آخره تأثير عجيب في نفعه
واستمرائه ودفعة ضرة . (زاد المعاد / 4 / 213)

وقال النووي رحمه الله : من أهم ما ينبغي أن يعرف صفة التسمية .. والأفضل أن يقول : بسم الله
الرحمن الرحيم فإن قال : بسم الله كفاه وحصلت السنة . (الأذكار للنووي / 1 / 231)

ذهب الفقهاء إلى أن التسمية عند البدء في الأكل من السنن وصيغتها : بسم الله وبسم الله الرحمن
الرحيم . (الموسوعة الفقهية / 8 / 92)

قال القحطاني : (نونيه القحطاني للأندلسي : 1 - 40)

لَا تَحْشُ بَطْنَكَ بِالطَّعَامِ تَسْمَنًا	***	فَجَسُومُ أَهْلِ الْعِلْمِ غَيْرُ سِمَانٍ
لَا تَتَّبِعْ شَهَوَاتِ نَفْسِكَ مُسْرِفًا	***	فَاللَّهُ يَبْغِضُ عَابِدًا شَهَوَانِي
أَقَلُّ طَعَامِكَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّهُ	***	نَفْعُ الْجُسُومِ وَصِحَّةُ الْأَبْدَانِ
وَأَمْلِكُ هَوَاكَ بِضَبْطِ بَطْنِكَ إِنَّهُ	***	شَرُّ الرِّجَالِ الْعَاجِزُ الْبَطْنَانِ
وَمِنْ اسْتَدَلَّ لِفَرْجِهِ وَلِبَطْنِهِ	***	فَهَمًّا لَهُ مَعَ ذَا الْهَوَى بَطْنَانِ
حِصْنِ الدَّوَايِ الْمَجَاعَةِ وَالظَّمَا	***	وَهَمًّا لِفَكَ نَفُوسِنَا قَيْدَانِ
أَطْمَأْئِنَّاكَ تَرَوِّي فِي دَارِ الْعَلَا	***	يَوْمًا يَطُولُ تَلْهُفَ الْعَطْشَانِ
حَسَنَ الْغِدَاءِ يَتُوبُ عَن شَرْبِ	***	الدَّوَاءِ سَيِّمًا مَعَ التَّقْلِيلِ وَالْإِدْمَانِ

آلَانَارُ الْعَمَلِيَّةِ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

عن عبد الواحد بن زياد قال : سمعت مالك بن دينار يقول لحوشب : لا تبينن وأنت شبعان ودع
الطعام وأنت تشتهييه ؛ فقال حوشب : هذا وصف أطباء أهل الدنيا - قال : ومحمد بن واسع

يستمتع كلامهما . فقال محمد : نعم ، ووصف أطباء طريق الآخرة ؛ فقال مالك : يخ بخ للدين والدنيا . (حلية الأولياء / 2 / 351)

قال عطية بن عامر : رأيت سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه : أكره على طعام يأكله فقال : حسبي حسبي فأني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن أكثر الناس شبعاً في الدنيا أطولهم جوعاً في الآخرة يا سلمان إنما الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر . (الحلية / 1 / 198 - 199)

عن حمزة بن صهيب : أن صهيباً رضي الله تعالى عنه كان يطعم الطعام الكثير فقال له عمر : يا صهيب إنك تطعم الطعام الكثير وذلك سرف في المال فقال صهيب : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : خياركم : من أطعم الطعام ورد السلام فذلك الذي يحملني على أن أطعم الطعام . (حلية الأولياء / 1 / 153)

قالت امرأة شميظ بن عجلان : يا أبا همام ، إنما نعمل الشيء ونصنعه فنشتهي أن تأكل منه فلا تجيء : حتى يفسد ويبرد فقال : والله إن أبغض ساعاتي إلى : الساعة التي أكل فيها . (الحلية / 3 / 128)

101 - باب لا يعيب الطعام واستحباب مدحه

736- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «ما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاماً قط ، إن اشتهاه أكله ، وإن كرهه تركه» متفق عليه .

737- وعن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل أهله الأدم فقالوا: ما عندنا إلا خَلٌّ، فدعا به، فجعل يأكل ويقول: «نعم الأدم الخَلُّ نعم الأدم الخَلُّ» رواه مسلم.

أَثَارُ الْوَارِدَةِ فِي عَنَوَانِ الْبَابِ :

قال سعيد بن جبیر : صنعت لابن عباس وأصحابه ألواناً من الطعام والخبيص ، فقال لي : يا سعيد أنا قوم عرب فاصنع لنا مكان هذه الألوان الثريد ومكان هذه الأخبصة الحيس ولولا أنك رجل منا أهل البيت ما قلت لك . (الجوع ص 452)

وقال سليمان بن عبد الملك لسالم بن عبد الله ورآه حسن السحنة أي شيء تأكل ؟ قال : الخبز والزيت وإذا وجدت اللحم أكلته فقال له : أو تشتهيه ؟ قال : إذا لم أشتهه تركته حتى أشتهيه . (السير / 4 / 460)

قال النووي : من آداب الطعام المتأكدة عدم عيب الطعام كقوله : مالح قليل الملح حامض رقيق

غليظ غير ناضج . ونحو ذلك . (شرح مسلم 14 / 26)

قال ابن بطال : هذا من حسن الأدب لأن المرء قد لا يشتهي الشيء ويشتهي غيره وكل مأذون في أكله من قبل الشرع ليس فيه عيب . (شرح مسلم 14 / 26)

102 - باب ما يقوله من حضر الطعام وهو صائم إذا لم يفطر

738- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ، فَلْيُجِبْ، فَإِنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيُصَلِّ، وَإِنْ كَانَ مُفْطَرًا فَلْيَطْعَمْ» رواه مسلم.

قال العلماء: معنى «فَلْيُصَلِّ» فليدعُ ومعنى «فَلْيَطْعَمْ» فليأكل.

الآثار الواردة في عنوان الباب :

كان ابن عمر رضي الله عنه إذا دعي أجاب فإن كان مفطرا أكل وإن كان صائما دعا لهم وبارك ثم انصرف . (فتح الباري 9 / 247)

عن سعيد بن المسيب قال : رأيت أبا هريرة يطوف بالسوق ثم يأتي أهله ، فيقول : هل عندكم من شيء ؟ فإن قالوا : لا ، قال : فإني صائم . (حلية الأولياء 1 / 382)

عن إبراهيم بن أدهم أنه كان إذا دعي إلى طعام أكل وقد كان صائما ، ولا يقول : إني صائم . (حلية الأولياء 8 / 10)

وكان ابن المبارك يطعم إخوانه في السفر الألوان من الحلواء وغيرها وهو صائم . (لطائف المعارف 1 / 168)

وكان الحسن يطعم إخوانه وهو صائم تطوعا ، ويجلس يروحهم وهم يأكلون . وجاء سائل إلى الإمام أحمد فدفع إليه رغيفين كان يعدهما لفطره ثم طوى وأصبح صائما . (لطائف المعارف 1 / 168)

واشتهى بعض الصالحين من السلف طعاما وهو صائم ، فوضع بين يديه عند فطوره ، فسمع ، سائلا يقول : من يقرض الملي الوفي الغني ؟ فقال : عبده المعدم من الحسنات ، فقام ، فأخذ الصحيفة ، فخرج بها إليه ، وبات طاويا . (لطائف المعارف 1 / 168)

103 - باب ما يقوله من دعي إلى طعام فتبعه غيره

739- عن أبي مسعود البدرى رضي الله عنه قال: دعا رجلٌ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِطَعَامٍ صَنَعَهُ لَهُ خَامِسَ خَمْسَةٍ، فَتَبِعَهُمْ رَجُلٌ، فَلَمَّا بَلَغَ الْبَابَ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ هَذَا تَبِعَنَا، فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَأْذَنَ لَهُ، وَإِنْ شِئْتَ رَجَعْ» قال: بل أَدْنُ لَهُ يَا رَسُولَ اللهِ. متفقٌ عليه.

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عِنْوَانِ الْبَابِ :

قال أبا غادية اليمامي: أتيت المدينة فجاء رسول كثير بن الصلت فدعاهم فما قام إلا أبو هريرة وخمسة منهم أنا فذهبوا فاكلوا ثم جاء أبو هريرة ثم قال : والله يا أهل المسجد إنكم لعصاة لأبي القاسم صلى الله عليه وسلم . (مسند أحمد 2 / 289)

وقال بكر بن عبيد الله : أحق الناس بلطمة من أتى طعاما لم يدع إليه ؛ وأحق الناس بلطمتين من يقول له صاحب البيت اجلس ها هنا فيقول : لا ها هنا وأحق الناس بثلاث لطمات من دعي إلى طعام فقال لصاحب المنزل : ادع ربة البيت تأكل معنا . (العقد الفريد لابن عبد ربه 281 / 1)

قال ضمرة : صنع إبراهيم بن أدهم طعاما بصور ودعا إخوانه قال : ودعا رجلا يقال له : خلاد الصيقل قال : فأكل ثم قال : الحمد لله ؛ ثم قام ، فقال إبراهيم بن أدهم بعد أن قام : لقد ساء في خصلتين : لقد قام بغير إذن ولقد حشم أصحابه . (حلية الأولياء 7 / 391)

قال حسان بن عطية : ثلاثة ليس عليهم حساب في مطعمهم : الصائم حتى يفطر والصائم حتى يتسحروطعام الضيف . (حلية الأولياء 2 / 488)

قال سفيان الثوري : لا تجيبوا دعوة ، إلا دعوة من ترون أن قلوبكم تصلح على طعامه . (حلية الأولياء 6 / 380)

وقد نظم قاضي القضاة صدر الدين بن العز الحنفي اسامي الطعام فقال :

أسامي الطعام اثنان من بعد عشرة = أسردها مقرونة ببيان

وليمة عرس ثم خرس ولادة = عقيقة مولود، وكبرة بان

وضيمة ذي موت نقيعة قادم = عذير أو أعذار ليوم ختان

ومأدبة الخلان لا سبب لها = حذاق صبي يوم ختم قران

وعاشرها في النظم تحفة زائر = قرى الضيف مع نزل له بأمان

(فص الخواتم فيما قيل في الولايم لابن طولون الدمشقي 1/ 36)

وليمة عرس : النكاح - وليمة خرس : لسلامه المرأة من الطلق والنفاس - العقيقة : لولادة المولود في وتكون في اليوم السابع وحلق شعر رأسه . الوكيرة : بناء المساكن - الوضيمة : في حالة الوفاة - النقيعة : في حالة قدوم المسافر سالما - العذيرة : وليمة الختان - المأدبة : كل دعوة كانت لسبب أول غيره - الحداق : عند خيم القران للصبى أو إنبات أسنان الصغير - التحفة : طعام الزائر - القرى : وليمة الأضياف .

104 - باب الأكل مما يليه ووعظه وتأديبه من يسيء أكله

740- عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما قال: كُنْتُ غَلاماً في حَجْرِ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَتْ يَدَيَّ تَطْيِيشُ فِي الصَّحْفَةِ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا غَلامُ سَمَّ اللَّهُ تَعَالَى وَكُلَّ بِيَمِينِكَ وَكُلَّ مِمَّا يَلِيكَ» متفقٌ عليه.

قوله: «تَطْيِيشُ» بكسر الطاء وبعدها ياء مثناة من تحت، معناه: تتحرك وتمتد إلى نواحي الصحفة.

741- وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أن رجلاً أكل عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشماله فقال: «كُلَّ بِيَمِينِكَ» قال: لا أستطيع قال: «لا استطعت» ما منعه إلا الكبر فما رفعها إلى فيه. رواه مسلم.

أَثَارُ الْوَارِدَةِ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

عن نافع مولى بن عمرو عن عطاء قال لا تأكل بشمالك ولا تصدق بها . وقال عمر بن محمد بن زيد : كان نافع يزيد فيها : ولا تأخذن به ولا تعطين - يعني : الشمال . (شرح البخاري لابن بطال 9/ 461)
قال الغزالي : لا يسيءوا على الطعام فإن ذلك من سيرة العجم ولكن يتكلمون بالمعروف ويتحدثون بحكايات الصالحين في الأطعمة وغيرها . (إحياء علوم الدين 2/7)

أَثَارُ الْعَمَلِيَّةِ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

عن جعفر بن عبد الله قال : رأني الحكم بن عمرو الغفاري رضي الله عنه وأنا غلام أكل من هاهنا وهاهنا ، فقال لي : يا غلام ، لا تأكل هكذا كما يأكل الشيطان ، إن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أكل لم تعد أصابعه بين يديه . (صحيح الجامع 4683)

روى أن عمر بن الخطاب : رأى رجلا وقد ضرب بيده اليسرى ليأكل بها : قال : لا إلا أن تكون يدك علية أو معتلة . (مصنف بن أبي شيبة 24442)

وعن عائشة رضي الله عنها : أنها رأت امرأة تأكل بشمالها فنهتها . (مصنف بن أبي شيبة 24443)

105 - باب النهي عن القران بين تمرتين ونحوهما إذا أكل جماعة إلا ياذن رفقته

742- عن جبلة بن سحيم قال: أصابنا عام سنة مع ابن الزبير، فرزقنا تمرًا، وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يمر بنا ونحن نأكل، فيقول: لا تُقَارِنُوا، فإن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الإقران، ثم يقول: «إلا أن يستأذن الرجل أخاه» متفق عليه.

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال أبي هريرة : كنت في الصفة فبعث إلينا النبي صلى الله عليه وسلم عجوة ، فكنا نقرن الثنتين من الجوع ويقول لأصحابه إني قد قرنت فاقرنوا . (حلية الأولياء 1 / 399)

قال مالك : ليس بجميل أن يأكل أكثر من رفقته . (فتح الباري 9 / 572)

قال النووي : هذا النهي متفق عليه حتى يستأذنيهم ، فإذا أذنوا فلا بأس . واختلفوا في أن هذا النهي على التحريم أو على الكراهة والأدب ، فنقل القاضي عياض عن أهل الظاهر أنه للتحريم وعن غيرهم أنه للكراهة والأدب ، والصواب التفصيل ، فإن كان الطعام مشتركاً بينهم فالقران حرام إلا برضاهم ، ويحصل الرضا بتصريحهم به أو بما يقوم مقام التصريح من قرينة حال أو إدلال عليهم كلهم بحيث يعلم يقينا أو ظنا قويا أنهم يرضون به ، ومتى شك في رضاهم فهو حرام وإن كان الطعام لغيرهم أو لأحدهم اشترط رضاه وحده ، فإن قرن بغير رضاه فحرام ، ويستحب أن يستأذن الآكلين معه ولا يجب وإن كان الطعام لنفسه وقد ضيفهم به فلا يحرم عليه القرآن ، ثم إن كان في الطعام قلة فحسن أن لا يقرن لتساويهم ، وإن كان كثيرا بحيث يفضل عنهم فلا بأس بقرانه ، لكن الأدب مطلقا التآدب في الأكل وترك الشره إلا أن يكون مستعجلا ويريد الإسراع لشغل آخر . وقال الخطابي : إنما كان هذا في زمنهم وحين كان الطعام ضيقا ، فأما اليوم مع اتساع الحال فلا حاجة إلى الأذن ، وليس كما قال بل الصواب ما ذكرنا من التفصيل فإن الاعتبار لعموم اللفظ لا لخصوص السبب لو ثبت السبب كيف وهو غير ثابت . (شرح النووي على مسلم 13 / 229)

106 - باب ما يقوله ويفعله من يأكل ولا يشبع

743- عن وَحْشِيِّ بْنِ حَرْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا نَأْكُلُ وَلَا نَشْبَعُ؟ قَالَ: «فَلَعَلَّكُمْ تَفْتَرِقُونَ» قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: فَاجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ، وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، يُبَارِكْ لَكُمْ فِيهِ» رواه أبو داود.

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عَنَوَانِ الْبَابِ :

عن ثابت البناني رحمه الله ، قال : بلغني أن إبليس ظهر ليحيى بن زكريا عليه السلام فرأى عليه معاليق من كل شيء . فقال يحيى عليه السلام : يا إبليس ما هذه المعاليق التي أرى عليك ؟ قال : هذه الشهوات التي أصيب بهن ابن آدم ، قال : فهل لي فيها من شيء . قال : ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة وعن الذكر ، قال : هل غير ذلك ؟ قال : لا ! قال : لله على أن لا أملا بطني من طعام أبدا . قال إبليس : والله على أن لا أنصح مسلما أبدا . (الحلية تهذيبه 1 / 406)

قال عمر : ناصحا المسلمين ذات مرة في إحدى خطبه : إياكم والبطننة (امتلاء البطن) فإنها مكسلة عن الصلاة ، مؤذية للجسم . وعليكم بالقصد في قوتكم ، فإنه أبعد من الشرر ، وأصح للبدن ، وأقوى على العبادة . (الآداب الشرعية 3 / 201)

قال علي بن أبي طالب : أهلك ابن آدم الأجوفان : البطن والفرج . (الجوع 4 / 91)

قال عبادة بن الصامت : إنما البطن هات هات ، كفاكم ما سده عنكم . (موسوعة ابن أبي الدنيا 4 / 83)

قال ابن عمر : ما شبعت منذ أسلمت . (جامع العلوم والحكم 553)

دعا الحسن رحمه الله رجلا إلى طعامه فقال : قد أكلت ، ولست أقدر أن أعود ، قال : سبحان الله ! أو يأكل المؤمن حتى لا يستطيع أن يعود ؟ . (موسوعة ابن أبي الدنيا 7 / 483)

قال الحسن : يا ابن آدم كل في ثلث بطنك واشرب في ثلثه ودع ثلث بطنك يتنفس ويتفكر . (جامع العلوم والحكم 553)

قال الحسن : والله لقد أدركننا أقواما وصحبنا طوائف منهم ، ما أمر أحدهم في بيته بصنعة طعام له قط وما شبع أحدهم من طعام حتى مات ، ما عدا أن يقارب شبعه أمسك . (الجوع 4 / 94)

وقال أيضا : لقد كان المسلم يعار أن يقال له : إنك لبطين . (الجوع لابن أبي الدنيا 1 / 119)

وقال أيضا : إذا أردت حاجة من حوائج الدنيا والآخرة فلا تأكل حتى تقضيها فإن الأكل يغير العقل .
(موسوعة ابن أبي الدنيا 4 / 94)

قال أبو سليمان الداراني : لكل شيء صدا ، وصدا القلب الشبع . (السير تهذيبه 865 / 2)

قيل لإبراهيم بن أدهم : إن اللحم غلا ؛ قال : فأرخصوه . أي : لا تشتروه . (حلية الأولياء 8 / 32)

قال إبراهيم بن أدهم : أظب مطعمك ، ولا عليك ألا تقوم بالليل وتصوم بالنهار . (الحلية 8 / 381)

قال عبد المؤمن الصائغ : دعوت رياحا ذات ليلة إلى منزلي - ونحن بعبادان - فجاء في السحر ، فقربت إليه طعاما ، فأصاب منه شيئا ؛ فقلت : أزد ، فما أراك شبعت ؛ قال : فصاح صيحة أفرعني ، وقال : كيف أشبع في أيام الدنيا ، وشجرة الزقوم طعام الأثيم بين يدي ؟ قال : فرفعت الطعام من بين يديه ؛ فقلت أنت في شيء ، ونحن في شيء . (حلية الأولياء 6 / 194)

عن عمرو بن راشد ، قال : سمعت مالك بن دينار ، يقول : بلغني أن المتجوعين يحكمون يوم القيامة في ثمار الجنة ، فيأكلون ويطعمون والناس في الحساب . (الجوع لابن أبي الدنيا 226 / 1)

وقال مالك بن دينار : ما ينبغي للمؤمن أن يكون بطنه أكبر همه وأن تكون شهوته هي الغالبة عليه .
(الجوع لابن أبي الدنيا 161 / 1)

وقال مالك بن دينار : الجوع يطرد الأشر ، والشبع ينميه ويحييه . (الجوع لابن أبي الدنيا 194 / 1)

قال وهب بن منبه : أجمعت الأطباء أن رأس الطب الحمية وأجمعت الحكماء أن رأس الحكمة الصمت . (الصمت رقم 619)

قال القرطبي : من الإسراف الأكل بعد الشبع ، وكل ذلك محذور . وقال لقمان لابنه : يا بني لا تأكل شبعاً فوق شبع ، فإنك أن تنبذه للكلب خير من أن تأكله . (الجامع لأحكام القرآن 24)

سئل سهل التستري : الرجل يأكل في اليوم أكله ؟ قال أكل الصديقين : قيل له فأكلتيني ؟ قال : أكل المؤمنين : فقالوا فثلاثة ؟ قال : قل لأهله بينوا له معلفا . (الفوائد لابن القيم 179 - 180)

قال أبو الفتح ألبستي : . (أدب الدنيا والدين 550)

يَا خَادِمُ الْجِسْمِ كَمْ تَشَقَى بِخِدْمَتِهِ *** لِيَتَلَبَّبَ الرِّيحَ مِمَّا فِيهِ خُسْرَانُ
أَقْبَلَ عَلَى النَّفْسِ وَاسْتَكْمَلَ فَضَائِلَهَا *** فَأَنْتَ بِالنَّفْسِ لَا بِالْجِسْمِ إِنْسَانُ

قال السري بن نعم رحمه الله : كان يقال : ما تجوع عبد إلا أبدل الله مكان جوعه حكمة وورعا ، وكان يقال : الجوع شعار الأنبياء والصالحين . (موسوعة ابن أبي الدنيا 4 / 95)

قال وهيب بن الورد : لقي عالم عالما هو فوقه في العلم ، فقال : رحمك الله أخبرني عن هذا الطعام الذي نصيبه لا إسراف فيه ما هو ؟ قال : ما سد الجوع ، ودون الشبع . (موسوعة ابن أبي الدنيا 4 / 115)

قال أبي عبيدة الخواص : حتفك في شبعك ، وحفظك في جوعك ، إذا أنت شبعت ثقلت ، فنمت ، استمكن منك العدو ، فجثم عليك ، وإذا أنت تجوعت كنت للعدو بمرصد . (جامع العلوم والحكم حديث 47)

قال عبد الرحمن بن زيد رحمه الله : أول ما يعمل فيه العبد المؤمن بطنه ، فإن استقام له بطنه استقام له دينه ، وأن لم يستقم له بطنه لم يستقم له دينه . (موسوعة ابن أبي الدنيا 4 / 96)

قال الحسين بن عبد الرحمن : كان يقال : كثرة الطعام تميت القلب ، كما أن كثرة الماء تميت الزرع . (موسوعة ابن أبي الدنيا 4 / 96)

قال أبي سليمان : إذا جاع القلب وعطش ، صفا ورق ، وإذا شبع وروي ، عمي وبار . (حلية الأولياء 9 / 266)

عن الحسيني قال : من أراد : أن يغزر دمه ويرق قلبه فليأكل وليشرب في نصف بطنه . (حلية الأولياء 8 / 318)

قال الأعمش لرجل : ترى هذا البطن ؟ إن أهنته أكرمك وإن أكرمته أهانك . (موسوعة ابن أبي الدنيا 4 / 95)

عن الحسين بن عبد الرحمن : كان يقال : لا تسكن الحكمة معدة ملى . (موسوعة ابن أبي الدنيا 4 / 96)

قال صفوان بن سليم : ليأتين على الناس زمان تكون همة أحدهم فيه بطنه ودينه هواه . (موسوعة ابن أبي الدنيا 4 / 116)

قال سهل بن عبد الله رحمه الله : البيطنة أصل الغفلة . (تهذيبية الحلية 334 / 3)

وقال يوسف بن أسباط : الجوع يرق القلب . (موسوعة ابن أبي الدنيا 4 / 95)

قال الحارث بن كدة طبيب العرب : الحمية رأس الدواء والبطنة رأس الداء . (زاد المعاد 4 / 104)

قال أبي عمران الجوني : كان يقال : من أحب أن ينور قلبه فليقل طعمه . (الجوع رقم 143)

وقال محمد بن النضر الحارثي : الجوع يبعث على البر كما تبعث البطنة على الأشر .
(حلية الأولياء 8 / 222)

قال عبد العزيز بن أبي رواد : كان يقال : قلة الطعم عون على التسرع في الخيرات . (الجوع رقم 107)

قال سلمه بن سعيد : إن كان الرجل ليعير بالبطنة كما يعير بالذنب يعمله . (الجوع 1 / 119)

قال مجاهد رحمه الله : لو كنت أكل كل ما أشتهي ما ساويت حشفة . (الجوع حديث 311)

وقال مسعر : . (الجوع لابن أبي الدنيا 264 / 1)

وَجَدْتُ الْجُوعَ يَطْرُدُهُ زَغِيفُ *** وَمَلَأُ الْكَفَّ مِنْ مَاءِ الْفُرَاتِ

وَقَالَ الطَّعْمُ عَوْنٌ لِلْمُصَلِّي *** وَكَثُرَ الطَّعْمُ عَوْنٌ لِلْسُّبَاتِ

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّافِ :

عن أبي هريرة قال : كنت لا أكل الخمير ولا ألبس الحرير وألصق بطني من الجوع واستقري الرجل الآية من كتاب الله ، هي معي كي ينقلب بي ، فيطعمني وكان خير الناس للمساكين : جعفر بن أبي طالب ، وكان ينقلب بنا ، فيطعمنا ما كان في بيته ؛ إن كان ليخرج إلينا العكة ، فنشقها ، فنلحق ما فيها . (حلية الأولياء 1 / 117)

كان أبو هريرة يطوف بالبيت وهو يقول : ويل لي من بطني : إذا أشبعته : كظني وإن أجمعته : سبني .
(حلية الأولياء 1 / 382)

قال أبي هريرة : لقد رأيتني أصرع بين منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين حجرة عائشة رضي الله تعالى عنها ؛ فيقول الناس : إنه مجنون وما بي جنون ما بي إلا الجوع . (حلية الأولياء 1 / 378)

107 - باب الأمر بالأكل من جانب القصة والنهي عن الأكل من وسطها

744- عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْبِرْكَةُ تَنْزِلُ وَسَطَ الطَّعَامِ فَكُلُوا مِنْ حَافَتَيْهِ وَلَا تَأْكُلُوا مِنْ وَسَطِهِ» رواه أبو داود، والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

745- وعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه قال: كان للنبي صلى الله عليه وسلم قصعة يُقال لها: الْغَرَاءُ، يَحْمِلُهَا أَرْبَعَةُ رِجَالٍ، فَلَمَّا أَضْحَوْا وَسَجَدُوا الضُّحَى أُتِيَ بِتَلْكَ الْقِصْعَةِ، يَعْنِي وَقَدْ ثُرِدَ فِيهَا، فَالْتَفُوا عَلَيْهَا، فَلَمَّا كَثُرُوا جَنَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: مَا هَذِهِ الْجِلْسَةُ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ جَعَلَنِي عَبْدًا كَرِيمًا، وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَارًا عَنِيدًا، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُوا مِنْ حَوَالَيْهَا، وَدَعُوا ذِرْوَتَهَا يُبَارِكُ فِيهَا» رواه أبو داود بإسناد جيد. «ذِرْوَتَهَا» أَعْلَاهَا: بكسر الهمزة والواو.

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قال علي: إذا أكلتم الثريد فكلوا من جوانبه، فإن الذروة فيها البركة. (ربيع الأبرار 256 / 1)

قال جعفر بن عبد الله: رأيت الحكم بن عمرو الغفاري رضي الله عنه وأنا غلام أكل من هاهنا وهاهنا فقال لي: يا غلام لا تأكل هكذا كما يأكل الشيطان إن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أكل لم تعد أصابعه بين يديه. (صحيح الجامع 4683)

108 - باب كراهية الأكل متكئا

746- عن أبي جحيفة وهب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا أَكُلُ مُتَّكِنًا» رواه البخاري.

قال الخطابي: الْمُتَّكِنُ هُنَا: هُوَ الْجَالِسُ مُعْتَمِدًا عَلَى وَطْءٍ تَحْتَهُ، قَالَ: وَأَرَادَ أَنَّهُ لَا يَقْعُدُ عَلَى الْوِطْءِ وَالْوَسَائِدِ كَفَعْلٍ مَنْ يُرِيدُ الْإِكْتَارَ مِنَ الطَّعَامِ بَلْ يَقْعُدُ مُسْتَوْفِرًا لَا مُسْتَوْطِنًا، وَيَأْكُلُ بُلْغَةً. هَذَا كَلَامُ الْخَطَّابِيِّ، وَأَشَارَ غَيْرُهُ إِلَى أَنَّ الْمُتَّكِنَ هُوَ الْمَائِلُ عَلَى جَنْبِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

747- وعن أنس رضي الله عنه قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا مُقْعِيًا يَأْكُلُ تَمْرًا، رَوَاهُ مُسْلِمٌ. «الْمُقْعِي» هُوَ الَّذِي يُلْصِقُ أَلْيَتَيْهِ بِالْأَرْضِ، وَيُنْصَبُ سَاقَيْهِ .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قال إبراهيم النخعي : كانوا يكرهون أن يأكلوا اتكائه مخافة أن تعظم بطونهم .
(فتح الباري 12 / 321)

ذكر ابن حجر في فتح الباري : أن جبريل نهاه عن ذلك وهذا النهي محمول على الكراهية لأنه كان من أخلاق المتكبرين ويؤدي إلى الاستكثار من الطعام وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكره ذلك . قال النووي في شرح مسلم معناه : لا أكل أكل من يريد الاستكثار من الطعام ويقعد له متمكنا بل أقعد مستوفزا وأكل قليلا .

قال الخطابي : إن المتكئ هو الجالس معتمدا على وطاء (أي وسائد) تحته .

ذكر ابن القيم : للاتكاء ثلاث صور ، قال : كل ذلك اتكاء ، وذلك في كتابه زاد المعاد . الأولى : التربع ، هذا اتكاء ، والثانية : أن يجلس مائلا ، والثالثة : أن يعتمد على إحدى يديه ، فإذا اعتمد على الثنتين فهذا أبلغ في الاتكاء ، هذا كله اتكاء .

109- باب استحباب الأكل بثلاث أصابع واستحباب لعق الأصابع وكراهة مسحها قبل

لعقها واستحباب لعق القصة وأخذ اللقمة التي تسقط منه وأكلها وجواز مسحها بعد

اللعق بالساعد والقدم وغيرهما

748- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا، فَلَا يَمْسَحُ أَصَابِعَهُ حَتَّى يَلْعَقَهَا أَوْ يُلْعِقَهَا» متفق عليه.

749- وعن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ بِثَلَاثِ أَصَابِعٍ فَإِذَا فَرَّغَ لَعِقَهَا. رواه مسلم.

750- وعن جابر رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِلَعْقِ الْأَصَابِعِ وَالصَّحْفَةِ وَقَالَ: «إِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ فِي أَيِّ طَعَامِكُمُ الْبَرَكَةُ» رواه مسلم.

751- وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا وَقَعَتْ لُقْمَةٌ أَحَدِكُمْ، فَلْيَأْخُذْهَا فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَدَى وَلْيَأْكُلْهَا، وَلَا يَدْعُهَا لِلشَّيْطَانِ، وَلَا يَمْسَحَ يَدَهُ بِالْمُنْدِيلِ حَتَّى يَلْعَقَ أَصَابِعَهُ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ الْبَرَكَةُ» رواه مسلم.

752- وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَحْضُرُ أَحَدَكُمْ عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ

شَأْنِهِ، حَتَّى يَخْضُرُهُ عِنْدَ طَعَامِهِ، فَإِذَا سَقَطَتْ لُقْمَةٌ أَحَدِكُمْ فَلْيَأْخُذْهَا فَلْيَمِطْ مَا كَانَ مِنْهَا مِنْ أَدَى، ثُمَّ لِيَأْكُلْهَا وَلَا يَدْعُهَا لِلشَّيْطَانِ، فَإِذَا فَرَّغَ فَلْيَلْعَقْ أَصَابِعَهُ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ الْبِرْكََةُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

753- وَعَنْ أَنَسِ بْنِ رَضِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَكَلَ طَعَامًا، لَعِقَ أَصَابِعَهُ الثَّلَاثَ، وَقَالَ: «إِذَا سَقَطَتْ لُقْمَةٌ أَحَدِكُمْ فَلْيَأْخُذْهَا، وَلْيَمِطْ عَنْهَا الْأَدَى، وَلْيَأْكُلْهَا، وَلَا يَدْعُهَا لِلشَّيْطَانِ» وَأَمَرْنَا أَنْ نَسَلَتْ الْقَصْعَةَ وَقَالَ: إِنِّكُمْ لَا تَدْرُونَ فِي أَيِّ طَعَامِكُمُ الْبِرْكََةُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

754- وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْحَارِثِ أَنَّهُ سَأَلَ جَابِرًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ الْوَضُوءِ مِمَّا مَسَّتِ النَّارُ، فَقَالَ: لَا، قَدْ كُنَّا زَمَنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا نَجِدُ مِثْلَ ذَلِكَ الطَّعَامِ إِلَّا قَلِيلًا، فَإِذَا نَحْنُ وَجَدْنَاهُ، لَمْ يَكُنْ لَنَا مَنَادِيلٌ إِلَّا الْكُفَّاتُ وَسَوَاعِدُنَا وَأَقْدَامُنَا، ثُمَّ نَصَلِّي وَلَا نَتَوَضَّأُ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قال ابن عباس: إذا أكل أحدكم طعاما فلا يمسح يده حتى يلعقها أو يلعقها. (ربيع الأبرار 1/262)

وعن كعب بن مالك قال: رأيت رسول الله يلعق أصابعه الثلاث بعد الطعام. (ربيع الأبرار 1/262)

قال ابن القيم: فإن الأكل بأصبع أو أصبعين لا يستلذ به الأكل، ولا يمر به، ولا يشبعه إلا بعد طول، ولا تفرح آلات الطعام والمعدة بما ينالها في كل أكلة والأكل بالخمسة والراحة يوجب ازدحام الطعام على الآلة، وعلى المعدة، وربما انسدت الآلات فمات، وتغصب الآلات على دفعه، والمعدة على احتماله، ولا يجد له لذة ولا استمرار، فأنفع الأكل أكله صلى الله عليه وسلم، وأكل من اقتدى به بالأصابع الثلاث. (زاد المعاد 4/222)

قال النووي: وقوله صلى الله عليه وسلم: لا تدرن في أية البركة معناه - والله أعلم: أن الطعام الذي يحضره الإنسان فيه بركة، ولا يدري أن تلك البركة فيما أكله، أو فيما بقي على أصابعه، أو فيما بقي في أسفل القصعة، أو في اللقمة الساقطة، فينبغي أن يحافظ على هذا كله؛ لتحصل البركة، وأصل البركة: الزيادة، وثبوت الخير، والإمتناع به، والمراد هنا - والله أعلم - ما يحصل به التغذية، وتسلم عاقبته من أذى، ويقوى على طاعة الله تعالى وغير ذلك.

(شرح النووي لمسلم حديث 2033)

وقال النووي أيضا: استحباب أكل اللقمة الساقطة بعد مسح أذى يصبها، هذا إذا لم تقع على

موضع نجس فإن وقعت على موضع نجس تنجست ولا بد من غسلها إن أمكن فإن تعذر أظعمها حيوانا ولا يتركها للشيطان . (شرح النووي على مسلم)

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

كان معقل بن يسار رضي الله عنه يتعدى فسقطت لقمته فأخذها فأماط ما بها من أذى ثم أكلها فجعل أولئك الدهاقين يتغامزون به فقالوا له : ما ترى ما يقول هؤلاء الأعاجم يقولون : انظروا إلى ما بين يديه من الطعام وإلى ما يصنع بهذه اللقمة فقال : إني لم أكن لأدع ما سمعت لقول هؤلاء الأعاجم : إنا كنا نؤمر إذا سقطت من أحدنا لقمة أن يميط ما بها من الأذى يأكلها . (سنن الدارمي 2 / 132 رقم 2072)

110 - باب تكثير الأيدي على الطعام

755- عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « طَعَامُ الْإِثْنَيْنِ كَافِي الثَّلَاثَةِ ، وَطَعَامُ الثَّلَاثَةِ كَافِي الْأَرْبَعَةِ » متفقٌ عليه .

756- وعن جابر رضي الله عنه قال : سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « طَعَامُ الْوَاحِدِ يَكْفِي الْإِثْنَيْنِ ، وَطَعَامُ الْإِثْنَيْنِ يَكْفِي الْأَرْبَعَةَ ، وَطَعَامُ الْأَرْبَعَةِ يَكْفِي الثَّمَانِيَةَ » رواه مسلم .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قال علي : إذا طرقت إخوانك فلا تدخر عنهم ما في المنزل ، ولا تتكلف ما وراء الباب . (ربيع الأبرار 1 / 251)

قال أنس : من لقم أخاه لقمة حلواء صرف الله عنه مرارة الموقف يوم القيامة . (ربيع الأبرار 1 / 261)
قال جعفر بن محمد : أحب إخواني إلى أكثرهم أكلا وأعظمهم لقمة ، وأثقلهم علي من يحوجني إلى تعاوده في الأكل . (ربيع الأبرار للزمخشري 1 / 261)

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

قال معاوية : لرجل على مائدته : خذ الشعرة من لقمته فقال : وأنت تراعيني مراعاة من يرى الشعرة في لقمتي ؟ لا أكلت لك طعاما أبدا . ثم خرج وهو يقول : وللموت خير من زيارة باخل . يلاحظ أطراف الأكيل على عمد . (العقد الفريد 1 / 240)

وضع معاوية رضي الله عنه بين يدي الحسن رضي الله دجاجة ، ففكها الحسن فقال معاوية : هل بينك وبين أمها عداوة ؟ فقال الحسن : وهل بينك وبين أمها قرابة ؟ . (المستطرف 191)

وتذكر مثل هذه القصة في جدي مشوي فقال الخليفة للأكل كأن أمه نطحتك ؟ فقال الأكل أراك تشفق عليه كان أمة أَرْضَعْتِكَ ؟ . (المستطرف للابشيبي 191)

وعن إبراهيم بن هشام أمير المدينة أنه قال لأصحابه : تعالوا نفاجئ أبا عبيدة ، عسى أن يبخله ، فاستنزلهم ، فقالوا : إن كان شيء عاجل وإلا فلا ننزل . فجاءهم بسبعين كرشا فيها رؤوس . فعجب ابن هشام وقال : ترونه ذبح في ليلته عدد هذه الرؤوس ؟ كان الزهري إذا لم يأكل أحد من أصحابه من طعامه حلف لا يحدثه عشرة أيام . (ربيع الأبرار للزمخشري 1/263)

كان عبد العزيز بن مروان جوادا مضيافا ، فتغذي عنده أعرابي ، فلما كان من الغد رأى الناس على بابه كما رأهم بالأمس ، فقال : أفي كل يوم يطعم الأمير ؟ وأنشد : كل يوم كأنه يوم أضحى عند عبد العزيز أو يوم فطروله ألف جفنة مترعات كل يوم يمدها ألف قدر . (ربيع الأبرار 1/262)

قال الحجاج لأعربي يوما وهو على سماطه (ما يمد ليوضع عليه الطعام) أرفق بنفسك فقال : وأنت يا حجاج أغضض من بصرك . (المستطرف للابشيبي 191)

111- باب أدب الشرب واستحباب التنفس ثلاثا خارج الإناء وكراهة

التنفس في الإناء واستحباب إدارة الإناء على الأيمن فالأيمن بعد المبتدئ

757- عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَنَفَّسُ فِي الشَّرَابِ ثَلَاثًا. متفقٌ عليه. يعني: يَتَنَفَّسُ خَارِجَ الْإِنَاءِ.

758- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَشْرَبُوا وَاحِدًا كَشَرْبِ الْبَعِيرِ، وَلَكِنْ اشْرَبُوا مَتْنِي وَثَلَاثَ، وَسَمُّوا إِذَا أَنْتُمْ شَرِبْتُمْ، وَاحْمَدُوا إِذَا أَنْتُمْ رَفَعْتُمْ» رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

759- وعن أبي قتادة رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى أَنْ يُتَنَفَّسَ فِي الْإِنَاءِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. يعني: يُتَنَفَّسُ فِي نَفْسِ الْإِنَاءِ.

760- وعن أنس رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى بِلَبَنِ قَدِ شِيبَ بَمَاءٍ، وَعَنْ يَمِينِهِ أَعْرَابِي، وَعَنْ يَسَارِهِ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَشَرِبَ، ثُمَّ أَعْطَى الْأَعْرَابِيَّ وَقَالَ: «الْأَيْمَنُ

فَالْأَيْمَنَ « متفقٌ عليه. قوله: «شَيْب» أي: خُلِط.

761- وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُتِيَ بِشْرَابٍ، فَشَرِبَ مِنْهُ وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ، وَعَنْ يَسَارِهِ أَشْيَاخٌ، فَقَالَ لِلْغُلَامِ « أَتَأْتُنِي لِي أَنْ أُعْطِيَ هُؤَلَاءِ؟ » فَقَالَ الْغُلَامُ: لَا وَاللَّهِ، لَا أُؤْتِرُ بِنَصِيْبِي مِنْكَ أَحَدًا، فَتَلَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي يَدِهِ. متفقٌ عليه. قوله: «تَلَّهُ» أي: وَضَعَهُ، وَهَذَا الْغُلَامُ هُوَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

عن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتنفس في الشراب ثلاثا ويقول إنه أروى وأبرأ وأمرأ قال أنس فأنا أتتنفس في الشراب ثلاثا . (البخاري برقم (5631) ومسلم برقم (2028)

عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر قال : كنت عند ابن عباس رضي الله عنهما جالسا فجاءه رجل فقال : من أين جئت ؟ قال : من زمزم : قال : فشربت منها كما ينبغي ؟ قال : فكيف ؟ قال : إذا شربت منها فاستقبل الكعبة واذكر اسم الله تعالى ، وتنفس ثلاثا من زمزم ، وتضع منها ، فإذا فرغت فاحمد الله تعالى . (الموسوعة الفقهية الكويتية 15 / 24)

قال عمر بن عبد العزيز: إنما نهى عن التنفس داخل الإناء فأما من لم يتنفس فإن شاء فليشرب بنفس واحد . (فتح الباري 10 / 95)

قال الحافظ ابن حجر: وفي الحديث أن سنة الشرب العامة تقديم الأيمن في كل موطن ، وأن تقديم الذي على اليمين ليس معنى فيه ؛ بل معنى في جهة اليمين وهو فضلها على اليسار ، فيؤخذ منه أن ذلك ليس ترجيحا لمن هو على اليمين ، بل هو ترجيح لجهته . (فتح الباري 10 / 87)

قال ابن العربي: قال علماؤنا: هذا من مكارم الأخلاق ؛ لتلايق فيه من ريق النافع فيتنقذه غيره . ثم قال ابن العربي: بل هو حرام ؛ فإن الإضرار بالغير حرام ، فإن فعله في خاصة نفسه ثم ناوله لغيره فليعلمه به ؛ لأنه إن كتمه كان من باب الغش وهو حرام . (عارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذي 8 – 83)

قال حافظ بن أحمد الحكمي : (السبل السوية لفقه السنن المروية 1 / 63)

وَأَوَّلَ الشَّرَابِ سَمِيْنٌ وَفِيْ *** آخِرِهِ فَالْحَمْدُ قُلْ لَا يَنْتَفِي

سِنَّ بِأَنْفَاسٍ ثَلَاثَةٍ وَلَا *** يُنْفَسُ فِي الْإِنَاءِ نَهَى نَقْلًا

وَبِالْيَمِينِ مِنْ قُعُودِ قَدَمَيْ *** وَالْأَيْمَنِ الْأَيْمَنُ فِيهِ قَدَمٌ

وَلْيَكُنْ الْأَخْرَشُ رَبًّا مِنْ سَقَى *** وَيَكْرَهُ الشُّرْبُ مِنْ فَمِ السَّقَا

وَالنَّضْحُ فِي الْمَاءِ أَوْ الْإِنْيَاءِ *** وَلِلْقَذَاةِ أَهْرَقَ بِلَا أَمْتَرَاءِ

112 - باب كراهة الشرب من فم القربة ونحوها وبيان أنه كراهة تنزيه لا تحريم

762- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال نبي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اختناث الأُسْقِيَةِ . يعنى : أَنْ تُكْسَرَ أَفْوَاهُهَا ، وَيُشْرَبَ مِنْهَا . متفقٌ عليه .

763- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : نبي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُشْرَبَ مِنْ فِي السِّقَاءِ أَوْ الْقَرِيَةِ . متفقٌ عليه .

764- وعن أم ثابت كَبْشَةَ بِنْتِ ثَابِتِ أُخْتِ حَسَّانِ بْنِ ثَابِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَمَّا قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَشْرِبَ مِنْ فِي قَرِيَةٍ مُعَلَّقَةٍ قَائِمًا . فَقُمْتُ إِلَى فِيهَا فَقَطَعْتُهُ ، رواه الترمذي . وقال : حديث حسن صحيح .

وَإِنَّمَا قَطَعْتُمَا : لِتَحْفَظَ مَوْضِعَ فَمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَتَتَبَرَّكَ بِهِ ، وَتَصُونَهُ عَنِ الْإِبْتِدَالِ ، وَهَذَا الْحَدِيثُ مَحْمُولٌ عَلَى بَيَانِ الْجَوَازِ ، وَالْحَدِيثَانِ السَّابِقَانِ لِبَيَانِ الْأَفْضَلِ وَالْأَكْمَلِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

أَثَارُ الْوَارِدَةِ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

عن ابن عباس و ابن عمر قالوا : يكره أن يشرب من ثلثة القدح وأذن القدح . (مجمع الزوائد 78/5)

قال أيوب : فأنبئت أن رجلا شرب من في السقاء فخرجت حية . (البخاري رقم 5628)

وفي رواية : وأن رجلا قام من الليل إلى سقاء فاختنثه فخرجت عليه منه حية . (سنن ابن ماجه 3419)

قال ابن القيم : في هذا آداب عديدة ، منها : أن تردد أنفاس الشارب فيه يكسبه زهومة ورائحة كريهة يعاف لأجلها ومنها : أنه ربما غلب الداخل إلى جوفه من الماء ، فتضرربه . ومنها : أنه ربما كان فيه حيوان لا يشعر به ، فيؤذيه . ومنها : أن الماء ربما كان فيه قذاة أو غيرها لا يراها عند الشرب ، فتلج جوفه . ومنها : أن الشرب كذلك يملأ البطن من الهواء ، فيضيق عن أخذ حظه من الماء ، أو

يزاحمه ، أو يؤذيه ، ولغير ذلك من الحكم . (زاد المعاد 4 / 234)

113 - باب كراهة النفخ في الشراب

765- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنِ النَّفْخِ فِي الشَّرَابِ فَقَالَ رَجُلٌ : الْقَدَاةُ أَرَاهَا فِي الْإِنَاءِ ؟ فَقَالَ : « أَهْرِفَهَا » قَالَ : فَإِنِ لَا أُرَوِي مِنْ نَفْسٍ وَاحِدٍ ؟ قَالَ : « فَأَيْنَ الْقَدَحِ إِذَا عُنُ فِيكَ » رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

766- وعن ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى أَنْ يُتَنَفَّسَ فِي الْإِنَاءِ ، أَوْ يُنْفَخَ فِيهِ ، رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح

قال النَّوَوِيُّ : « وقوله صلى الله عليه وسلم : من الرِّيِّ ، أي : أكثر رِيًّا ، وأمرًا ، وأبرًا مهموزان ، ومعنى (أبرًا) أي (اروى) أبرًا من ألم العطش . وقيل : «أبرًا» ، أي : أسلم من مرض ، أو أذى ، يحصل بسبب الشرب في نفس واحد ، ومعنى : «أمرًا» ، أي : أجمل انسياغًا - والله أعلم

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قال الحافظ ابن حجر : يؤخذ من ذلك : أنه أقمع للعطش ، وأقوى على الهضم ، وأقل أثرًا في ضعف الأعضاء ، وبرد المعدة فإن شرب في نفس واحد جازله ذلك . (فتح الباري 10 / 94)

قال ابن القيم : معنى تنفسه في الشراب : أبانته القدح عن فيه ، وتنفسه خارجه ، ثم يعود إلى الشراب وفي هذا الشراب حكم جملة وفوائد مهمة وقد نبه صلى الله عليه وسلم على مجامعها بقوله : (إنه أروى ، وأمراء ، وأبراً) فأروى : أشد رياء وأبلغه وأنفعه وأبراً : من البرء وهو الشفاء أي : يبرىء من شدة العطش ودائه لتردده على المعدة الملهبة دفعات فتسكن الدفعة الثانية ما عجزت الأولى عن تسكينه والثالثة ما عجزت الثانية عنه وأيضاً فإنه أسلم لحرارة المعدة وأبقى عليها من أن يهجم عليها البارد وهلة واحدة ونهلة واحدة ؛ فإنه لا يروي لمصادفته لحرارة العطش لحظة ، ثم يقلع عنها ، ولما تكسر سورتها وحدتها ، وأن انكسرت لم تبطل بالكلية ، بخلاف كسرها على التمهيل والتدرج . وأيضاً فإنه أسلم عاقبة وآمن غائلة من تناول جميع ما يروي دفعة واحدة فإنه يخاف منه أن يطفئ الحرارة الغريزية بشدة برده وكثرة كميته أو يضعفها فيؤدي ذلك إلى فساد مزاج المعدة والكبد . (زاد المعاد 4 / 230)

114 - باب بيان جواز الشرب قائماً وبيان أن الأكل والأفضل الشرب قاعد

فيه حديث كبشة السابق (انظر الحديث رقم 761) .

767- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سَقَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ زَمْزَمَ ، فَشَرِبَ وَهُوَ قَائِمٌ . متفقٌ عليه .

768- وعن النَّزَّالِ بْنِ سَبْرَةَ رضي الله عنه قال : أتى علي رضي الله عنه باب الرَّحْبَةِ فَشَرِبَ قَائِمًا ، وقال : إني رأيتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعل كما رأيتُموني فعَلْتُ ، رواه البخاري .

769- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كُنَّا نَأْكُلُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ نَمْشِي ، وَنَشْرَبُ وَنَحْنُ قِيَامٌ . رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح .

770- وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال : رأيتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشربُ قائماً وقاعداً . رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

771- وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ نَهَى أَنْ يَشْرَبَ الرَّجُلُ قَائِمًا . قال قتادة : فقلنا لأس : فالأكل ؟ قال : ذلك أشْرُ أو أخبثُ . رواه مسلم .

وفي رواية له أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَجَرَ عَنِ الشُّرْبِ قَائِمًا .

772- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «لَا يَشْرَبَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ قَائِمًا ، فَمَنْ نَسِيَ فَلْيَسْتَقِيءْ» رواه مسلم .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

عن عمرو وعثمان وعلي وابن عمرو وابن الزبير أنهم كانوا يشربون قياماً وأن سعد بن أبي وقاص وعائشة لا يريان في ذلك بأساً . (الموطأ 2 / 925 - 926)

قال الحافظ ابن حجر: وثبت الشرب قائماً عن عمر بن الخطاب . (فتح الباري 10/ 84)

قال ابن عبد البر: الأصل الإباحة حتى يرد النهي من وجه لا معارض له فإذا تعارضت الآثار سقطت والأصل ثابت في الإباحة حتى يصح الأمر أو النهي بما لا مدفع فيه . (الاستذكار 26 - 281)

قال النووي في شرح صحيح مسلم : وليس في هذه الأحاديث بحمد الله تعالى إشكال ولا فيها ضعف، بل كلها صحيحة، والصواب فيها أن النهي فيها محمول على كراهة التنزيه، وأما شربه صلى

الله عليه وسلم قائما فبيان للجواز، فلا إشكال ولا تعارض، وهذا الذي ذكرناه يتعين المصير إليه.

115 - باب استحباب كون ساقى القوم آخرهم شرباً

773- عن أبي قتادة رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « سَاقَى الْقَوْمِ آخِرُهُمْ »
يعنى: شرباً. رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قال النووي : هذا أدب من آداب ساقى الماء واللبن ونحوهما وفي معناه من يفرق على الجماعة
مأكولا كلحم وفاكهة وغيرهما ، فليكن المفرق آخرهم تناولوا منه لنفسه . (عون المعبود 10 / 138)

قال أبو بكر محمد بن جعفر: سمعت ابن خزيمة وسئل من أين أوتيت هذا العلم؟ فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماء زمزم لما شرب له . وإني لما شربت ماء زمزم سألت الله علما
نافعا. اهـ [تذكرة الحفاظ للذهبي (2/ 721)]

116 - باب جواز الشرب من جميع الأواني الطاهرة غير الذهب والفضة وجواز

الكرع وهو الشرب بالفم من النهر وغيره بغير إناء ولا يد، وتحريم استعمال إناء

الذهب والفضة في الشرب والأكل والطهارة وسائر وجوه الاستعمال

774- عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : حَضَرَتِ الصَّلَاةُ ، فَقَامَ مَنْ كَانَ قَرِيبَ الدَّارِ إِلَى أَهْلِهِ ، وَبَقِيَ قَوْمٌ
فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِخْضَبٍ مِنْ حِجَارَةٍ ، فَصَغَرَ الْمِخْضَبُ أَنْ يَبْسُطَ فِيهِ كَفَّهُ ،
فَتَوَضَّأَ الْقَوْمُ كُلَّهُمْ . قَالُوا : كَمْ كُنْتُمْ ؟ قَالَ : ثَمَانِينَ وَزِيَادَةً . متفقٌ عليه . هذه رواية البخاري .

وفي رواية له ولمسلم : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا بِإِنَاءٍ مِنْ مَاءٍ ، فَأَتَى بِقَدْحٍ زَحْرَاحٍ فِيهِ شَيْءٌ
مِنْ مَاءٍ ، فَوَضَعَ أَصَابِعَهُ فِيهِ . قَالَ أَنَسٌ : فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَى الْمَاءِ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ ، فَحَزَزْتُ مَنْ
تَوَضَّأَ مَا بَيْنَ السَّبْعِينَ إِلَى الثَّمَانِينَ .

775- وعن عبد الله بن زيد رضي الله عنه قال : أَتَانَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخْرَجَنَا لَهُ مَاءً فِي
تَوْرٍ مِنْ صُفْرِ فَتَوَضَّأَ . رواه البخاري .

« الصُّفْرُ » بضم الصاد ويجوز كسرهما وهو النحاس « والثَّوْرُ » كالقدح وهو بالتاء المثناة من فوق.

776- وعن جابر رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ ،

ومعه صاحب له ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنْ كَانَ عِنْدَكَ مَاءٌ بَاتَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ فِي شَنَّةٍ وَالْأَكْرَعْنَا » رواه البخاري . « الشَّنُّ » : القِرْبَةُ

777- وعن حذيفة رضي الله عنه قال : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَانَا عَنِ الْحَرِيرِ وَالذَّبْيَاجِ وَالشُّرْبِ فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وقال : « هِيَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا ، وَهِيَ لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ » متفق عليه .

778- وعن أم سلمة رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « الَّذِي يَشْرَبُ فِي آنِيَةِ الْفِضَّةِ إِنَّمَا يُجْرَجِرُ فِي بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ » متفق عليه . وفي رواية لمسلم : « إِنَّ الَّذِي يَأْكُلُ أَوْ يَشْرَبُ فِي آنِيَةِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ » . وفي رواية له : « مَنْ شَرِبَ فِي إِنَاءٍ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ فَإِنَّمَا يُجْرَجِرُ فِي بَطْنِهِ نَارًا مِنْ جَهَنَّمَ .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

عن أم عمرو بنت عمرو قالت كانت عائشة تنهانا أن نتحلّى الذهب أو نضبب الآنية أو نحلّقها بالفضة فما برحنا حتى رخصت لنا وأذنت لنا أن نتحلّى الذهب وما أذنت لنا ولا رخصت لنا أن نحلّق الآنية أو نضببها بالفضة . (التمهيد لابن عبد البر 16 / 109)

عن ابن عمر أنه كان لا يشرب من قرح فيه حلقة فضة ولا ضبة فضة . (مصنف ابن أبي شيبة 5 / 519) وكان ابن عمر إذا سقي فيه كسرة . (مصنف عبد الرزاق 11 / 70)

قال ابن تيمية : يبين علة تحريم استعمال أواني الذهب والفضة : لأن ذلك مظنة السرف باستعمال النقيدين في غير ما خلقا له والله لا يحب المسرّفين ، ومظنة الخيلاء والكبر لما في ذلك من امتهانهما ومظنة الفخر وكسر قلوب الفقراء والله لا يحب كل مختال فخور . (شرح العمدة 1 / 115)

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : كنا مع حذيفة رضي الله عنه فسقاه علج في إناء من فضة فضرب به وجهه ثم اعتذر إلى القوم ، فقال : إني إنما فعلت هذا ؛ لأنني كنت نهيتهم مرارا كل ذلك لا ينتهي ، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تلبسوا الحرير والديباج ، فإنه لهم في الدنيا ، ولكم في الآخرة . (صحيح مسلم 3 / 1637 رقم 4)

قال أنس بن سيرين : كنت مع أنس بن مالك عند نفر من المجوس قال : فجيء بفالودج على إناء من فضة ، قال : فلم يأكله ، فقيل له : حوله ، قال : فحوله على إناء من خلج (شجر معروف) فجيء به ، فأكله . (السنن الكبرى 1 / 45 رقم 105)

كتاب اللباس

117- باب استحباب الثوب الأبيض وجواز الأحمر والأخضر

والأصفر والأسود وجوازه من قطن وكتان وشعر وصوف وغيرها إلا الحرير

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ [الأعراف : 26] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَجَعَلْ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ [النحل : 81]

779- وعن ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: اللَّبْسُوا مِنَ ثِيَابِكُمُ الْبَيَاضَ ، فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ ، وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ « رواه أبو داود ، والترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

780- وعن سمرّة رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللَّبْسُوا الْبَيَاضَ ، فَإِنَّهَا أَطْهَرُ وَأَطْيَبُ ، وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ » رواه النسائي ، والحاكم وقال : حديث صحيح .

781- وعن البراء رضي الله عنه قال : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرْبُوعًا وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ مَا رَأَيْتُ شَيْئًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ . مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

782- وعن أبي جحيفة وهب بن عبد الله رضي الله عنهما قال : رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ وَهُوَ بِالْأَبْطَحِ فِي قُبَّةٍ لَهُ حَمْرَاءَ مِنْ أَدَمٍ فَخَرَجَ بِلَالٌ بِوَضُونِهِ ، فَمِنْ نَاصِحٍ وَنَائِلٍ ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءَ ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِ سَاقِيهِ ، فَتَوَضُّأً وَأَذْنَ بِلَالٍ ، فَجَعَلْتُ أَتَّبِعُ فَاهُ هُنَا وَهُنَا ، يَقُولُ يَمِينًا وَشِمَالًا: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ . ثُمَّ رَكَزَتْ لَهُ عَنَزَةٌ ، فَتَقَدَّمَ فَصَلَّى يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ الْكَلْبُ وَالْحِمَارُ لَا يُمْنَعُ . مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ . « الْعَنَزَةُ » بفتح النون نحو العكازة .

783- وعن أبي رمثة رفاعة التميمي رضي الله عنه قال : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ ثوبان أخضران . رواه أبو داود ، والترمذي بإسناد صحيح .

784- وعن جابر رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سُودَاءَ . رواه مسلم

785- وعن أبي سعيد عمرو بن حُرَيْثٍ رضي الله عنه قال : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سُودَاءَ قَدْ أَرَخَى طَرَفَيْهَا بَيْنَ كَتْفَيْهِ . رواه مسلم .

وفي رواية له : أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ النَّاسَ ، وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ .

786- وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كُفِّنَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ بِيضٍ سَحُولِيَّةٍ مِنْ كُرْسُفٍ ، لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَلَا عِمَامَةٌ . متفقٌ عليه .

« السَّحُولِيَّةُ » بفتح السين وضمها وضم الحاء المهملتين : ثيابٌ تُنْسَبُ إِلَى سَحُولٍ : قَرِيَّةٍ بِالْيَمَنِ « وَالْكَرْسُفُ » : الْقُطْنُ

787- وعن عائشة قالت : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ غَدَاةٍ وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ مِنْ شَعْرٍ أَسْوَدٍ . رواه مسلم . « المِرْطُ » بكسر الميم : وهو كساءٌ . « والمُرَحَّلُ » بالأحاء المهملة : هو الذي فيه صورةُ رجالِ الإبلِ ، وَهِيَ الْأَكْوَارُ .

788- وعن المُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه قال : كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي مَسِيرٍ ، فَقَالَ لِي : « أَمَعَكَ مَاءٌ ؟ » قُلْتُ : نَعَمْ ، فَتَزَلَّ عَن رَاحِلَتِهِ فَمَشَى حَتَّى تَوَارَى فِي سَوَادِ اللَّيْلِ ثُمَّ جَاءَ فَأَفْرَعْتُ عَلَيْهِ مِنَ الْإِدَاوَةِ ، فَعَسَلَ وَجْهَهُ وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُخْرِجَ ذِرَاعِيهِ مِنْهَا حَتَّى أَخْرَجَهَا مِنْ أَسْفَلِ الْجُبَّةِ ، فَعَسَلَ ذِرَاعِيهِ وَمَسَحَ بِرَأْسِهِ ثُمَّ أَهْوَيْتُ لِأَنْزَعُ حُفْيَهُ فَقَالَ : « دَعِهْمَا فَإِنِّي أَدْخَلْتُهُمَا طَاهِرَتَيْنِ » وَمَسَحَ عَلَيَّهِمَا . متفقٌ عليه . وفي روايةٍ : وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ شَامِيَّةٌ ضَيْقَةُ الْكُمَيْنِ . وفي روايةٍ : أَنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ كَانَتْ فِي عَزْوَةِ نَبُوكَ .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ :

عن ابن عباس في قوله : وريشا . قال : المال واللباس والعيش والنعيم ، وفي قوله : ولباس التقوى . قال : الإيمان والعمل الصالح ذلك خير قال : الإيمان والعمل خير من الريش واللباس . عن ابن عباس في قوله : ولباس التقوى . قال : السميت الحسن في الوجه . عن عكرمة في قوله : قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم . قال : نزلت في الحمس من قريش ، ومن كان يأخذ مأخذها من قبائل العرب الأنصار ، الأوس والخزرج ، وخزاعة وثقيف ، وبني عامر بن صعصعة ، وبطنون كنانة بن بكر ، كانوا لا يأكلون اللحم ، ولا يأتون البيوت إلا من أدبارها ولا يضطربون وبراً ولا شعراً ، إنما يضطربون الأدم ويلبسون صبيانهم الرهاط ، وكانوا يطوفون عراة إلا قريشا ، فإذا قدموا طرحوا ثيابهم التي قدموا فيها وقالوا : هذه ثيابنا التي تطهرنا إلى ربنا فيها من الذنوب والخطايا ثم قالوا لقريش : من يعيرنا مؤزرا ؟ فإن لم يجدوا طافوا عراة فإذا فرغوا من طوافهم أخذوا ثيابهم التي كانوا وضعوا عن زيد بن علي في قوله : لباسا يواري سوآتكم . قال : لباس العامة وريشا قال : لباس الزينة ولباس التقوى . قال : الإسلام . (تفسير الدر المنثور 6 / 350 - 353)

عن ابن عباس في قوله : سرابيل تقيكم الحر . قال : يعني الثياب ، وسرابيل تقيكم بأسكم . قال : يعني الدروع والسلاح كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون . يعني : من الجراحات . (تفسير الدر المنثور 93 / 9)

عن قتادة : وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر . من القطن والكتان والصوف . عن قتادة : . وسرابيل تقيكم بأسكم . قال : هي سرابيل من حديد . (تفسير الطبري 17 / 270)

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إنه كان إذا رأى على الرجل ثوبا معصفرا (نبات معروف يصيب لوناً أحمر) جذبته وقال : دعوا هذا للنساء . (فتح الباري 10 / 377)

قال ابن عباس رضي الله عنه : يكره لبس الأحمر مطلقاً لقصد الزينة والشهرة ، ويجوز في البيوت والمهنة . (فتح الباري 10 / 319 - 5510)

قال الحسن : الحمرة من زينة الشيطان والشيطان يحب الحمرة . (فتح الباري 13 / 337)

قال ميمون بن مهران : شر الناس : العيابون ولا يلبس الكتان : إلا غني ، أو غوي . (الحلية 4 / 92)

عن مالك أنه بلغه أن عمر بن الخطاب قال : إني لأحب أن أنظر إلى القارئ أبيض الثياب .

(الاستذكار لابن عبد البر)

قال الشوكاني -رحمه الله :-وأما كونه أطيب ، فظاهر ، وأما كونه أظهر ، فلأن أدنى شيء يقع عليه يظهر ، فيغسل إذا كان من جنس النجاسة ، فيكون نقياً ، كما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم في دعائه : "ونقي من الخطايا ، كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس . (نيل الاوطار)

قال الشوكاني -رحمه الله :-ويدل على استحباب لبس الأخضر ، لأنه لباس أهل الجنة ، وهو أيضاً من أنفع الألوان للأبصار ، ومن أجملها في أعين الناظرين . قوله تعالى : (عَالِمُهُمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا) (الإنسان: 21)

قال شمس الدين بن العفيف التلمساني :

ثَلَاثَةٌ يُذْهِبْنَ عَنِ الْمَرْءِ الْحَزْنَ : *** الْمَاءُ وَالْخُضْرَةُ وَالْوَجْهُ الْحَسَنُ

قال النووي في شرح مسلم : فيه دليل لاستحباب لباس الحبرة ، وجواز لباس المخطط ، وهو مجمع

عليه. لباس الحبرة، وهي ثياب من كتان أو قطن محبرة أي مزينة، لأن التحبير هو: التزيين والتحسين.

- ذكر الحافظ بن حجر أن في لبس الثوب الأحمر سبعة مذاهب :

الأول : الجواز مطلقا : جاء عن علي وطلحة وعبد الله بن جعفر والبراء وغير واحد من الصحابة وعن سعيد بن المسيب والنخعي والشعبي وأبي قلابة وأبي وائل وطائفة من التابعين . جواز لبس الأحمر الثاني : المنع مطلقا ولم ينسبه الحافظ إلى قائل معين إنما ذكر أخبارا وأثارا يعرف بها من قال بذلك . الثالث : يكره لبس الثوب المشبع بالحمرة دون ما صبغه خفيفا جاء ذلك عن عطاء وطاوس ومجاهد . الرابع : يكره لبس الأحمر مطلقا لقصد الزينة والشهرة ويجوز في البيوت والمهنة قاله ابن عباس . الخامس : يجوز لبس ما كان صبغ غزله ثم نسج ويمنع ما صبغ بعد النسج جنح إلى ذلك الخطابي السادس : اختصاص النهي بما يصبغ بالعصفر ولم ينسبه إلى أحد . السابع : تخصيص المنع بالثوب الذي يصنع كله وأما ما فيه لون آخر غير أحمر فلا . (فتح الباري 10 / 318)

قال ابن خاتمة الأندلسي : دع التائق في لبس الثياب وكن لله لابس ثوب الخوف والندم لو كان للمرء في أثوابه شرف ما كان يخلع أسنانهن في الحرم لا يعجبن مضيفا بزته وهل يروق دفيننا جودة الكفن ؟ ! قال مصطفى الغلاييني : لا تحقرن فتى لثرت رداءه أو تكمرن فتى بدأ في سندس لا يخفض الإنسان أو يعلوبه خلق الثياب ولا جديد الملابس وقال أيضا : تحر من الأثواب أرفعها تنل أعزم محل ترتقي لالتماسه ولا تبغ في أمر اللباس تواضعا فعنوان نبيل المرء حسن لبسه آثار العملية في حياة السلف : عن أبي زرعه قال : قال له خالد بن دريك : يا أبا محيريز سمعت الناس يذكرن مقالة كرهتها سمعتم يقولون : إنما يدعو ابن محيريز إلى ثيابه : الذي يلبس القصد قال : وسمعت قائلا يقول : إنما يحمله عليها : البخل قال : فانطلق فاشترى له ثوبين وكان أحب الثياب إليه : القطن . فلبسهما . (حلية الأولياء 5 / 139)

دخل الصلت بن راشد على محمد بن سيرين وعلى الصلت جبة صوف وإزار صوف وعمامة صوف فاشمأز منه محمد وقال : أظن أن أقواما يلبسون الصوف ويقولون : قد لبسه عيسى ابن مريم وقد حدثني من لا أتهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد لبس الكتان والصوف والقطن وسنة نبينا أحق أن تتبع . (زاد المعاد 1 / 143)

- لبس صلى الله عليه وسلم القميص وهو : كالثياب المعروفة اليوم ، وفي بعض البلاد يسمى "الجلباب" أو "الجلابية"، وكان أحبَّ الثياب إليه ، وكان كُمُّه إلى الرُّسْغ . ولبس الجُبَّةَ وهي : ثوب سابغ ، واسع الكُمَّين ، مشقوق المقدم ، يلبس فوق الثياب ، يشبه في زماننا

الجبة في اللباس الأزهري المعروف . (المعجم الوسيط(1/104)

والفَرَّوَجُ ، وهو شبه القباء وهو : ثوب يلبس فوق الثياب ، ويتمنطق عليه (يلبس حزام) . (المعجم الوسيط(2/713)

والفرجية هي : ثوب واسع طويل الأكمام ، يتزيا به علماء الدين . (المعجم الوسي (2/679)

ولبس في السفر جُبة ضَبَيْقَةَ الكُمَيْنِ .

ولبس الإزار والرداء وهو : اللباس الذي يلبسه الناس في الإحرام اليوم . قال الواقدي : كان رداؤه وبرده طول ستة أذرع في ثلاثة وشبر ، وإزاره من نسج عُمان ، طول أربعة أذرع وشبر في عرض ذراعين وشبر . ولبس حُلّة حمراء ، والحلة : إزار ورداء ، ولا تكون الحُلّة إلا اسماً للثوبين معاً .

118 - باب استحباب القميص

789- عن أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها قالت : كان أَحَبَّ الثِّيَابِ إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القَمِيصُ . رواه أبو داود ، والترمذي وقال : حديث حسن .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قال محمد بن منصور الطوسي : رأني معروف الكرخي ومعني ثوب ؛ فقال لي : يا محمد ، ما تصنع بهذا ؟ قلت : أقطعه قميصا ؛ فقال : أقطعه قصيرا تريح فيه ثلاث خصال ؛ أولها : اللحوق بالسنة ، والثاني : يكون ثوبك نظيفا ، والثالث : تريح خرقة . (حلية الأولياء / 8 / 364)

119 - باب صفة طول القميص والكمّ والإزار وطرف العمامة

وتعريم إسبال شيء من ذلك على سبيل الخيلاء وكراهته من غير خيلاء

790- عن أسماء بنت يزيد الأنصاريّة رضي الله عنها قالت : كان كُمُّ قَمِيصِ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الرُّسُغِ . رواه أبو داود ، والترمذي وقال : حديث حسن

791- وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرْ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » فقال أبو بكر : يا رسول الله إن إزارى يَسْتَرُخِي إلا أنْ أُنْعَاهَدَهُ ، فقال له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّكَ لَسِتَ مِمَّنْ يَفْعَلُهُ خِيَلَاءَ » . رواه البخاري وروى مسلم بعضه .

792- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا يَنْظُرُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطْرًا » متفقٌ عليه .

793- وعنه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَا أَسْفَلَ مِنَ الْكُعْبِيِّنِ مِنَ الْإِزَارِ فِي النَّارِ » رواه البخاري

794- وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » قَالَ : فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ . قَالَ أَبُو ذَرٍّ : خَابُوا وَخَسِرُوا مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « الْمُسْبِلُ ، وَالْمَنَانُ وَالْمُنْفِقُ سَلَعَتَهُ بِالْخَلْفِ الْكَاذِبِ » رواه مسلم . وفي رواية له : « الْمُسْبِلُ إِزَارُهُ » .

795- وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « الْإِسْبَالُ فِي الْإِزَارِ ، وَالْقَمِيصِ ، وَالْعِمَامَةِ ، مَنْ جَرَّ شَيْئًا خِيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » رواه أبو داود ، والنسائي بإسنادٍ صحيح .

796- وعن أبي جُرَيْجٍ جَابِرِ بْنِ سُلَيْمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : رَأَيْتُ رَجُلًا يَصُدِّرُ النَّاسَ عَنْ رَأْيِهِ لَا يَقُولُ شَيْئًا إِلَّا صَدَرُوا عَنْهُ ، قُلْتُ : مِنْ هَذَا ؟ قَالُوا : رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قُلْتُ : عَلَيْكَ السَّلَامُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَرَّتَيْنِ قَالَ : « لَا تَقُلْ عَلَيْكَ السَّلَامُ ، عَلَيْكَ السَّلَامُ تَحِيَّةُ الْمَوْتَى قُلِي : السَّلَامُ عَلَيْكَ » قَالَ : قُلْتُ : أَنْتَ رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « أَنَا رَسُولَ اللَّهِ الَّذِي إِذَا أَصَابَكَ ضَرْفٌ فَدَعْوَتُهُ كَشَفَهُ عَنْكَ ، وَإِذَا أَصَابَكَ عَامٌ سَنَةٌ فَدَعْوَتُهُ أَنْبَتَهَا لَكَ ، وَإِذَا كُنْتَ بِأَرْضٍ قَفْرٍ أَوْ فَلَاحٍ ، فَضَلَّتْ رَاحِلَتُكَ ، فَدَعْوَتُهُ رَدَّتْهَا عَلَيْكَ » قَالَ : قُلْتُ : اعْبُدْ إِلَيَّ . قَالَ : « لَا تَسُبَّنْ أَحَدًا » قَالَ : فَمَا سَبَبْتُ بَعْدَهُ حُرًّا ، وَلَا عَبْدًا ، وَلَا بَعِيرًا ، وَلَا شَاةً « وَلَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا ، وَأَنْ تُكَلِّمَ أَحَاكَ وَأَنْتَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ وَجْهَكَ ، إِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْمَعْرُوفِ . وَارْفَعْ إِزَارَكَ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ ، فَإِنْ أَيْبَتَ فِإِلَى الْكَعْبِيِّنِ ، وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْإِزَارِ فَإِيَّتَهَا مِنَ الْمَخِيلَةِ وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ الْمَخِيلَةَ ، وَإِنْ أَمْرُؤُ شَتَمَكَ وَعَيْرَكَ بِمَا يَعْلَمُ فَيْكَ فَلَا تُعْبِرْهُ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ ، فَإِنَّمَا وَبَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ » رواه أبو داود والترمذي بإسنادٍ صحيح ، وقال الترمذي : حديثٌ حسن صحيح .

797- وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : بينما رجلٌ يُصَلِّي مُسْبِلٌ إِزَارَهُ ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اذْهَبْ فَتَوَضَّأْ » فَذَهَبَ فَتَوَضَّأَ ، ثُمَّ جَاءَ ، فَقَالَ : « اذْهَبْ فَتَوَضَّأْ » فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ . مَالِكٌ أَمْرَتُهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ ثُمَّ سَكَتَ عَنْهُ ؟ قَالَ : « إِنَّهُ كَانَ يُصَلِّي وَهُوَ مُسْبِلٌ إِزَارَهُ ، إِنْ اللَّهُ لَا يَقْبَلُ صَلَاةَ رَجُلٍ مُسْبِلٍ » . رواه أبو داود بإسنادٍ على شرط مسلم .

798- وعن قيس بن بشر التُّغَلَيْيِّ قال : أَخْبَرَنِي أَبِي وَكَانَ جَلِيْسًا لِأَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ : كَانَ بِدِمَشْقَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَالُ لَهُ سَهْلُ ابْنِ الْحَنْظَلِيَّةِ ، وَكَانَ رَجُلًا مُتَوَجِّدًا قَلَمًا يُجَالِسُ النَّاسَ ، إِنَّمَا هُوَ صَلَاةٌ ، فَإِذَا فَرَغَ فَإِنَّمَا هُوَ تَسْبِيحٌ وَتَكْبِيْرٌ حَتَّى يَأْتِيَ أَهْلُهُ ، فَمَرَبْنَا وَنَحْنُ عِنْدَ أَبِي الدَّرْدَاءِ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ : كَلِمَةٌ تَنْفَعُنَا وَلَا تَضُرُّكَ ، . قَالَ : بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرِيَّةً فَقَدِمَتْ ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَجَلَسَ فِي الْمَجْلِسِ الَّذِي يَجْلِسُ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لِرَجُلٍ إِلَى جَنْبِهِ : لَوْ رَأَيْنَا جِبْنَ التَّقِيْنَا نَحْنُ وَالْعَدُو ، فَحَمَلْ فَلَانُ فَطَعَنَ ، فَقَالَ : خُذْهَا مِنِّي . وَأَنَا الْعُلَامُ الْعِفَارِيُّ ، كَيْفَ تَرَى فِي قَوْلِهِ ؟ قَالَ : مَا أَرَاهُ إِلَّا قَدْ بَطَلَ أَجْرُهُ . فَسَمِعَ بِذَلِكَ أَخْرَفَ فَقَالَ : مَا أَرَى بِذَلِكَ بَأْسًا ، فَتَنَازَعَا حَتَّى سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « سُبْحَانَ اللَّهِ ؟ لَا بَأْسَ أَنْ يُوجَرَ وَيُحْمَدَ » فَرَأَيْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ سَرَّ بِذَلِكَ ، وَجَعَلَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَيْهِ وَيَقُولُ : أَنْتَ سَمِعْتَ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ ، فَمَا زَالَ يَعِيدُ عَلَيْهِ حَتَّى إِتَى لِأَقُولَ لِيَبْرِكَنَّ عَلَي رُكْبَتَيْهِ . قَالَ : فَمَرَبْنَا يَوْمًا آخَرَ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ : كَلِمَةٌ تَنْفَعُنَا وَلَا تَضُرُّكَ ، قَالَ : قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْمُنْفِقُ عَلَى الْخَيْلِ كَالْبَاسِطِ يَدَهُ بِالصَّدَقَةِ لَا يَقْبِضُهَا » . ثُمَّ مَرَبْنَا يَوْمًا آخَرَ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ : كَلِمَةٌ تَنْفَعُنَا وَلَا تَضُرُّكَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « نَعَمْ الرَّجُلُ حُرَيْمٌ الْأَسَدِيُّ ، لَوْلَا طُولُ جُمْتِهِ وَإِسْبَالُ إِزَارِهِ » فَبَلَغَ ذَلِكَ حُرَيْمًا ، فَجَعَلَ فَأَخَذَ شَفْرَةً فَقَطَعَ بِهَا جُمْتَهُ إِلَى أُذُنَيْهِ ، وَرَفَعَ إِزَارَهُ إِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ . ثُمَّ مَرَبْنَا يَوْمًا آخَرَ فَقَالَ لَهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ : كَلِمَةٌ تَنْفَعُنَا وَلَا تَضُرُّكَ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِنْ كُنْتُمْ قَادِمُونَ عَلَى إِخْوَانِكُمْ . فَأَصْلِحُوا رِحَالَكُمْ ، وَأَصْلِحُوا لِبَاسَكُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَأَنَّكُمْ شَامَةَ فِي النَّاسِ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُحْشَى وَلَا التَّفَحُّشَ » . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ حَسَنِ ، إِلَّا قَيْسَ بْنَ بَشْرٍ ، فَاخْتَلَفُوا فِي تَوْثِيْقِهِ وَتَضْعُفِيهِ . وَقَدْ رَوَى لَهُ مُسْلِمٌ .

799- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِزْرَةُ الْمُسْلِمِ إِلَى نَصْفِ السَّاقِ ، وَلَا حَرَجَ أَوْ لَا جُنَاحَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَعْبَيْنِ ، فَمَا كَانَ أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ فَهُوَ فِي النَّارِ ، وَمَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطْرًا لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ » . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ .

800- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : مَرَرْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي إِزَارِي اسْتِرْحَاءٌ . فَقَالَ : « يَا عَبْدَ اللَّهِ ، ازْفَعْ إِزَارَكَ » فَرَفَعْتُهُ ثُمَّ قَالَ : « زِدْ » ، فَزِدْتُ ، فَمَا زِلْتُ أَتَحَرَّاهَا بَعْدُ . فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ : إِلَى أَيْنَ ؟ فَقَالَ : إِلَى أَنْصَافِ السَّاقَيْنِ » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

801- وعنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلًا لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : فَكَيْفَ تَصْنَعُ النِّسَاءُ بِذُبُولِهِنَّ قَالَ : « يُرْخِيْنَ شِبْرًا » . قَالَتْ : إِذْ نَ تَنكَّشَفُ أَقْدَامَهُنَّ قَالَ : « فَيُرْخِيْنَهُ ذِرَاعًا لَا يَزِدُنَّ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ

صحيح .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أنه كان يكره فضول الثياب - يعني ما طال منها - ويقول فضول الثياب في النار . (الاستذكار لابن عبد البر 26 / 188)

عن علي أنه قال لعمر : يا أمير المؤمنين إن شرك أن تلحق بصاحبك فأقصر الأمل ، وكل دون الشبع ، وأنكس الإزار ، وأرقع القميص ، وأخصف النعل تلحق بهما . (تاريخ بغداد 5 / 216)
قال عمرو بن قيس : قيل لعلي : يا أمير المؤمنين لم ترقع قميصك ؟ قال : يخشع القلب ويقتدي به المؤمن . (حلية الأولياء 1 / 83)

ذكر الإمام ابن كثير رحمه الله عن علي بن أبي طالب أنه كان يقول : (البداية والنهاية 8 / 11)

أَجِدُ الثِّيَابَ إِذَا اِكْتَسَيْتُ فَإِنَّهَا *** زَيْنَ الرِّجَالِ بِهَا تَعَزُّوْكَرُمُ

وَدَعِ التَّوَاضُعَ فِي الثِّيَابِ تَخْشَعَا *** فَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَجْنِ وَتَكْتُمُ

فِرْيَاتُ ثَوْبِكَ لَا يَزِيدُكَ زَلْفَةً *** عِنْدَ الْإِلَهِ وَ أَنْتَ عَبْدٌ مُجْرِمُ

وَبِهَاءِ ثَوْبِكَ لَا يَضُرُّكَ بَعْدَ أَنْ *** تَخْسَى الْإِلَهِ وَتَتَّقِي مَا يَحْرُمُ

قال ابن عباس : كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك اثنتان سرف أو مخيله . (البخاري 5 / 2180)

عن ابن عمر وسأله رجل : ما ألبس من الثياب ؟ قال : ما لا يزدريك فيه السفهاء ، ولا يعتبك به الحلماء ؛ قال : ما هو ؟ قال : ما بين الخمسة والعشرين درهما . (حلية الأولياء 1 / 302)

قال مسلم بن يسار : إذا لبست ثوبا فظننت أنك في ذلك الثوب أفضل مما في غيره : فبئس الثوب هولك . (حلية الأولياء 2 / 293)

عن أبي إسحاق قال : رأيت عدة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد بن أرقم ، والبراء بن عازب ، وابن عمر يتزرون إلى أنصاف سوقهم . (حلية الأولياء 3 / 341)

قال أبي سليمان الداراني : الثياب ثلاثة : ثوب لله ، وثوب لنفسك ، وثوب للناس - وهو شر الثلاثة - ؛ فما كان لله : فهو أن تجد بثلاثين ، وتشتري بعشرين ، وتقدم عشرة ؛ وما كان لنفسك ، فهو : أن

تريد لينة على جسديك ؛ وما كان للناس : فهو أن تريد حسنة ، وقد تجمع في الثوب الواحد : لله ، ولنفسك . (حلية الأولياء 9 / 274 - 275)

سئل الإمام احمد عن لبسه يعني السراويل ، فقال : هو أستر من الأزرق ولباس القوم كان الأزرق . (غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب 2 / 240)

قال القرطبي : وقد اشترى تميم الداري حلة بألف درهم كان يصلي فيها ، وكان مالك بن دينار يلبس الثياب العدنية الجياد وكان ثوب أحمد بن حنبل يشترى بنحو الدينار . (تفسير القرطبي 7 / 196)

قال القرطبي : إن قال قائل : تجويد اللباس هو النفس وقد أمرنا بمجاهدتها وتزوين للخلق وقد أمرنا أن تكون أفعالنا لله لا للخلق ! فالجواب : ليس كل ما تمواه النفس يذم وليس كل ما يتزين به للناس يكره ، وإنما ينهى عن ذلك إذا كان الشرع قد نهى عنه ، أو على وجه الرياء في باب الدين . فإن الإنسان يجب أن يرى جميلا وذلك حظ للنفس لا يلام فيه ، ولهذا يسرح شعره ، وينظر في المرأة ويسوي عمامته ويلبس بطانة الثوب الخشنة إلى داخل ، وظهارته الحسنة إلى خارج ، وليس في شيء من هذا ما يكره ، ولا يذم . (تفسير القرطبي 7 / 197)

قال القرطبي : في قوله تعالى : (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) (الأعراف 32) دلت الآية على لباس الرفيع من الثياب والتجمل بها في الجمع والأعياد وعند لقاء الناس ومزاورة الإخوان . (تفسير القرطبي 7 / 196)

قال أبو الفرج ابن الجوزي : كان السلف يلبسون الثياب المتوسطة لا المترفعة ولا الدون ويتخيرون أجودها للجمعة والعيد ولللقاء الإخوان ، ولم يكن تخير الأجود عندهم قبيحا . (القرطبي 7 / 197)

قال الحافظ ابن حجر : والذي يجتمع من الأدلة أن من قصد بالملبوس الحسن إظهار نعمة الله عليه مستحضرا لها شاكرا عليها غير محتقر لمن ليس له مثله : لا يضره ما لبس من المباحات ولو كان في غاية النفاسة . (فتح الباري 10 / 259 - 260)

قال ابن تيمية : وتكره الشهرة من الثياب وهو المترفع الخارج عن العادة والمتخفخض الخارج عن العادة فإن السلف كانوا يكرهون الشهرتين المترفع والمتخفخض وفي الحديث من لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب مذلة وخيار الأمور أوساؤها . (الفتاوى 22 / 138)

وقال أيضا : والثوب الذي هو للشهرة : يحرم لبسه وهو الثوب الذي يقصد به الارتفاع عند الناس

وإظهار الترفع أو التواضع والزهد . (حاشية الروض المربع 1 / 529)

قال ابن تيمية : ومن امتنع عن نوع من الأنواع التي أباحها الله على وجه التقرب بتركها فهو مخطئ ضال . (الفتاوى 22 / 137)

وقال أيضا : وكذلك اللباس : فمن ترك جميل الثياب بخلا بالمال لم يكن له أجر ومن تركه متعبدا بتحريم المباحات كان آثما ومن تناول ما أباحه الله من الطعام واللباس مظهرا لنعمة الله مستعينا على طاعة الله كان مثابا على ذلك . (الفتاوى 22 / 137)

وقال أيضا : ومن ترك لبس الرفيع من الثياب تواضعا لله ، لا بخلا ، ولا التزاما للترك مطلقا : فإن الله يثيبه على ذلك ، ويكسوه من حلل الكرامة . (الفتاوى 22 / 138)

وقال ابن القيم : لبس الدنى من الثياب يذم في موضع ويحمد في موضع فيذم إذا كان شهرة وخيلاء ويمدح إذا كان تواضعا واستكانة كما أن لبس الرفيع من الثياب يذم إذا كان تكبرا وفخرا وخيلاء ، ويمدح إذا كان تجملا وإظهارا لنعمة الله . (زاد المعاد 1 / 146)

آثَارُ الْعَمَلِيَّةِ فِي حَيَاةِ السَّلَفِ :

عن عمر بن الخطاب : أنه كتب إلى جيشه بأذربيجان : إذا قدمتم من غزاتكم إن شاء الله تعالى فآلقوا السراويلات والأقبية ، والبسوا الأزروالأردية . (غذاء الألباب شرح منظومة الآداب 2 / 420)

قال عبد الله : أقبل رجل شاب يثني على عمر رضي الله عنه وقد طعن والناس يثنون عليه فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض فقال : يا ابن أخي ارفع إزارك فإنه أتقى لربك وأنقى لثوبك قال عبد الله : يرحم الله عمر لم يمنعه ما كان فيه أنه رأى حقا لله يتكلم فيه . (تاريخ المدينة لابن شبة ح 1493)

عن خرشة أن عمر دعا بشفرة فرفع إزار رجل عن كعبيه ثم قطع ما كان أسفل من ذلك . فكأنني أنظر إلى ذبذبه تسيل على عقبه . (مصنف بن أبي شيبة 24829)

الشاب الذي كان عليه حلة صنعانية يجرها سبلا فقال له ابن عمر رضي الله عنه : يا فتى هلم ! قال : ما حاجتك يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : ويحك أتحب أن ينظر الله إليك يوم القيامة ؟ قال : سبحان الله ! وما يمنعني أن لا أحب ذلك ؟ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة فلم ير ذلك الشاب إلا مشمرا حتى مات . (رواه أحمد 2 / 65)

عن أبي سعيد الأزدى وكان إماما من أئمة الأزد ؛ قال : رأيت عليا أتى السوق وقال : من عنده

قميص صالح بثلاثة دراهم ؟ فقال رجل : عندي ؛ فجاء به فأعجبه ، قال : لعله خير من ذلك ؟ قال : لا ذلك ثمنه ؛ قال : فرأيت عليا يقرض رباط الدراهم من ثوبه ، فأعطاه ، فلبسه ؛ فإذا هو يفضل عن أطراف أصابعه ، فأمر به فقطع ما فضل عن أطراف أصابعه . (حلية الأولياء 1 / 83)

120 - باب استحباب ترك الترفع في اللباس تواضعا

قد سبق في باب فضل الجوع وخشونة العيش جملٌ تتعلق بهذا الباب

802- وعن معاذ بن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ تَرَكَ اللَّبَاسَ تَوَاضِعًا لِلَّهِ ، وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ ، دَعَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنْ أَيِّ حُلِّيِ الْإِيمَانِ شَاءَ يَلْبَسُهَا » . رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

الْأَثَارُ الْعَمَلِيَّةُ فِي حَيَاةِ السَّالِفِ :

قال قراد أبي نوح : رأى على شعبة قميصا فقال : بكم اشتريت هذا ؟ فقلت : بثمانية دراهم قال : ويحك ، أما تتقي الله تلبس قميصا بثمانية دراهم ؟ ألا اشتريت قميصا بأربعة وتصدقت بأربعة كان خيرا لك قلت : يا أبا بسطام أنا مع قوم نتجمل لهم قال شعبة : إيش نتجمل لهم ؟ . (سير أعلام النبلاء 7 / 208)

قال أبي بكر بن عياش : رأيت الأعمش يلبس قميصا مقلوبا ؛ فيقول الناس : مجانين ، يلبسون الخشن مقابل جلودهم . (إحياء علوم الدين 5 / 51)

قال أبي العالية : زارني عبد الكريم أبو أمية وعليه ثياب صوف فقلت : هذا زي الرهبان إن المسلمين إذا تزاوروا تجملوا . (حلية الأولياء 2 / 217)

121 - باب استحباب التوسط في اللباس

ولا يقتصر على ما يزرى به لغير حاجة ولا مقصود شرعي

803- عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ أَنْ يُرَى أَثَرُ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ » . رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قال عمرو بن الأسود : لا ألبس مشهورا أبدا ، ولا أملاً جوفي من طعام بالنهار أبدا حتى ألقاه .

(حلية الأولياء / 5 / 156)

قال الشعبي : البس من الثياب : مالا يزيدريك فيه السفهاء ، ولا يعيبك عليه العلماء .

(حلية الأولياء / 4 / 318)

الآثار العمليّة في حياة السلف :

عن مطرف قال : سمعت مالك بن أنس يقول : قلت لأمي أذهب فأكتب العلم فقالت لي أمي تعال فألبس ثياب العلماء ثم اذهب فاكتب قال فأخذتني فألبستني ثيابا مشمرة ووضعت الطويلة على رأسي وعممتني فوقها ثم قالت : اذهب الآن فاكتب . (المحدث الفاصل للرامهرمزي ص 201)

قال أبي معمر : قال لي أبي كنت عند مسعرين كدام فرأى رجلا نبيلاً عليه ثياب خيار فقال له مسعر : أنت من أصحاب الحديث ؟ قال : نعم قال : لو كنت من أصحاب الحديث كنت مقنعا وكانت نعلك مخصوفة . (المحدث الفاصل للرمهرمزي 201)

122 - باب تحريم لباس الحرير على الرجال

وتحريم جلوسهم عليه واستنادهم إليه وجواز لبسه للنساء

804- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تلبسوا الحرير ، فإن من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة . » متفق عليه .

805- وعنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنما يلبس الحرير من لا خلاق له » متفق عليه . وفي رواية للبخاري : « من لا خلاق له في الآخرة » . قوله : « من لا خلاق له » ، أي : لا نصيب له .

806- وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة » متفق عليه .

807- وعن علي رضي الله عنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حريراً ، فجعله في يمينه ، وذهباً فجعله في شماله ، ثم قال : « إن هذين حرام على ذكور أمتي » . رواه أبو داود بإسناد حسن

808- وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « حرم لباس الحرير والذهب على ذكور أمتي ، وأحلّ لئنائهم » . رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح

809- وعن حُدَيْفَةَ رضي الله عنه قال : تَهَانَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نَشْرَبَ فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَأَنْ نَأْكُلَ فِيهَا ، وَعَنْ لُبْسِ الْحَرِيرِ وَالذَّبْيَانِ وَأَنْ نَجْلِسَ عَلَيْهِ . رواه البخاري .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قال قزعة : رأيت على ابن عمر ثيابا خشنة أو جشبة ، فقلت له : إني قد أتيتك بثوب لين مما يصنع بخراسان وتقرع عيناى أن أراه عليك قال : أرنيه ، فلمسة وقال : أحريه هذا ؟ قلت : لا إنه من قطن قال : إني أخاف أن ألبسه أخاف أكون مختالا فخورا والله لا يحب كل مختال فخور . (حلية الأولياء / 1 / 302)

قال ابن عباس : إنما نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الثوب المصمت من الحرير فأما العلم من الحرير وسدى الثوب فلا بأس به . (سنن أبوداود / 4 / 50 رقم 4055)
وعن أنس بن مالك أنه رأى على أم كلثوم بنت النبي صلى الله عليه وسلم برد حلة سبراء . (سنن ابن ماجه 5297)

قال ابن محيريز : لأن يكون في جلدي برص ، أحب إلي من أن ألبس ثوب حرير . (الحلية / 5 / 139)

قال النووي : وأما لبس الحرير والإستبرق والديباج والقسي (هو نوع من الحرير) فكله حرام على الرجال سواء لبسه للخيلاء أو غيرها إلا أن يلبسه للحكة ، فيجوز في السفر والحضر . وأما النساء فيباح لهن لبس الحرير وجميع أنواعه ، وخواتيم الذهب وسائر الحلبي منه . (شرح النووي على مسلم / 14 / 32)

اتفق الفقهاء على جواز افتراش النساء للحرير . أما بالنسبة للرجال فذهب جمهور المالكية والشافعية والحنابلة إلى تحريمه . (الموسوعة الفقهية / 5 / 278)

123 - باب جواز لبس الحرير لمن به حكة

810- عن أنس رضي الله عنه قال : رَخَّصَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلزَّيْرِ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رضي الله عنهما في لبس الحرير لحكة بهما . متفق عليه . وفي رواية : أنهما شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم القمل ، فرخص لهما في قمص الحرير في غزاة لهما .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قال الشافعي وموافقيه : أنه يجوز لبس الحرير للرجل إذا كانت به حكة لما فيه من البرودة ،

وكذلك للقلم ، وما في معنى ذلك وقال مالك : لا يجوز ، وهذا الحديث حجة عليه .
(شرح النووي على مسلم 14 / 53)

124 - باب النهي عن افتراش جلود النمرور والركوب عليها

811- عَنْ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا تَرْكَبُوا الْخَزْرَ وَلَا النَّمَارَ » . حديث حسن ، رواه أبو داود وغيره بإسنادٍ حسنٍ .

812- وَعَنْ أَبِي الْمَلِيحِ عَنْ أَبِيهِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ جُلُودِ السَّبَاعِ . رواه أبو داود ، والترمذي ، والنسائي بأسانيد صحاح . وفي رواية الترمذي : نَهَى عَنْ جُلُودِ السَّبَاعِ أَنْ تُفْتَرَشَ .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قال الإمام الشوكاني : يكره اتخاذ جلود النمرور واستصحابها في السفر وإدخالها البيوت لأن مفارقة الملائكة للرفقة التي فيها جلد نمر تدل على أنها لا تجامع جماعة أو منزلاً وجد فيه ذلك ولا يكون إلا لعدم جواز استعمالها كما ورد (أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه تصاوير) وجعل ذلك من أدلة تحريم التصاوير وجعلها في البيوت . (نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار 1 / 71)

125 - باب ما يقول إذا لبس ثوباً جديداً أو نعلًا أو نحوه

813- عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اسْتَجَدَّ ثَوْبًا سَمَّاهُ بِاسْمِهِ عِمَامَةً ، أَوْ قَمِيصًا ، أَوْ رِدَاءً يَقُولُ : « اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ ، أَسَأَلُكَ خَيْرَهُ وَخَيْرَ مَا صُنِعَ لَهُ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ » . رواه أبو داود ، والترمذي وقال : حديث حسن .

الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

عن أبي مطر أنه رأى علياً رضي الله عنه أتى غلاماً حدثاً فاشتري منه قميصاً بثلاثة دراهم ولبسه ما بين الرسغين إلى الكعبين ، يقول حين لبسه : الحمد لله الذي رزقني من الرياش ما أتجمل به في الناس وأوارني به عورتني ، فقيل هذا شيء ترويه عن نفسك أو عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : هذا شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند الكسوة : الحمد لله الذي رزقني من الرياش ما أتجمل به في الناس وأوارني به عورتني . (مسند الإمام أحمد 1 / 157 - 158)

قال الإمام أحمد : لبس أبو إمامة ثوبا جديدا ، فلما بلغ ترقوته ، قال : الحمد لله الذي كساني ما أوارني به عورتني ، وأتجمل به في حياتي ثم قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من استجد ثوبا فلبسه ، فقال حين يبلغ ترقوته : الحمد لله الذي كساني ما أوارني به عورتني ، وأتجمل به في حياتي ، ثم عمد إلى الثوب الخلق فتصدق به كان في ذمة الله ، وفي جوار الله ، وفي كنف الله حيا وميتا . (الترمذي في الدعوات باب 107 - وابن ماجه في اللباس باب 2) عن أبي نضرة قال : كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأوا على أحدهم الثوب الجديد قالوا : تبلي ويخلف الله عليك . (مصنف ابن أبي شيبة 29758)

روي عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب : شيخ مالك رضي الله عنهم أنه كان يلبس كساء خز بخمسين دينارا ، يلبسه في الشتاء فإذا كان في الصيف تصدق به أو باعه فتصدق بثمانه وكان يلبس في الصيف ثوبين من متاع مصر ممشقين ويقول : (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) (الأعراف 32) . (تفسير القرطبي 7 / 176)

قال ابن القيم : إن هديه صلى الله عليه وسلم في اللباس أن يلبس ما تيسر من اللباس من الصوف تارة والقطن تارة والكتان تارة . (زاد المعاد لابن القيم 1 / 143)

126 - باب استحباب الابتداء باليمين في اللباس

هذا الباب قد تقدم مقصوده وذكرنا الأحاديث الصحيحة فيه .

(انظر الباب التاسع والتسعون في استحباب تقديم اليمين في كل ما هو من باب التكريم)

أَثَارُ الْوَارِدَةِ فِي عُنْوَانِ الْبَابِ :

قالت عائشة : كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب التيامن في كل شيء حتى في الترجل والانتعال . (البخاري 1 / 165 (416) ومسلم 2688)

بِفَضْلِ اللَّهِ وَكَرَمِهِ إِنَّتَهَى الْجُزْءُ الْأَوَّلُ وَيَلِيهِ الْجُزْءُ الثَّانِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

الفهرس

رقم الصفحة	البيان	رقم الباب
4	مقدمة المؤلف	
	1- كتاب المقدمات	
19	باب الإخلاص وإحضار النية في جميع الأعمال والأقوال والأحوال البارزة	1
32	باب التوبة	2
44	باب الصبر	3
58	باب الصدق	4
62	باب المراقبة	5
73	باب التقوى	6
79	باب اليقين والتوكل	7
94	باب الاستقامة	8
97	باب في التفكير في عظيم مخلوقات الله تعالى وفناء الدنيا وأهوال الآخرة	9
105	باب في المبادرة إلى الخيرات وحث من توجه لخير على الإقبال عليه بالجد	10
111	باب المجاهدة	11
122	باب الحث على الازدياد من الخيري في أواخر العمر	12
130	باب في بيان كثرة طرق الخير	13
135	باب في الاقتصاد في العبادة	14
144	باب المحافظة على الأعمال	15

150	باب الأمر بالمحافظة على السنة وآدابها	16
160	باب في وجوب الانقياد لحكم الله تعالى وما يقوله من دعي إلى ذلك	17
165	باب النهي عن البدع ومحدثات الأمور	18
179	باب في من سن سنة حسنة أو سيئة	19
184	باب في الدلالة على خير والدعاء إلى هدى أو ضلال	20
190	باب التعاون على البر والتقوى	21
196	باب النصيحة	22
202	باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	23
214	باب تغليظ عقوبة من أمر بمعروف أو نهى عن منكر وخالف قوله فعله	24
217	باب الأمر بأداء الأمانة	25
224	باب تحريم الظلم والامر برد المظالم	26
232	باب تعظيم حرمت المسلمين وبيان حقوقهم والشفقة عليهم ورحمتهم	27
240	باب ستر عورات المسلمين والنهي عن إشاعتها لغير ضرورة	28
246	باب قضاء حوائج المسلمين	29
253	باب الشفاعة	30
257	باب الإصلاح بين الناس	31
262	باب فضل ضعفعة المسلمين والفقراء الخاملين	32
267	باب ملاطفة اليتيم والبنات وسائر الضعفة والمساكين والمنكسرين والإحسان	33
272	باب الوصية بالنساء	34
279	باب حق الزوج على المرأة	35

287	باب النفقة على العيال	36
291	باب الإنفاق مما يحب ومن الجيد	37
296	بيان وجوب أمره أهله وأولاده المميزين وسائر من في رعيته بطاعة الله تعالى	38
310	باب حق الجار والوصية به	39
316	باب بر الوالدين وصله الأرحام	40
329	باب تحريم العقوق وقطيعة الرحم	41
336	باب فضل بر أصدقاء الأب والأم والأقارب والزوجة وسائر من يندب إكرامه	42
338	باب إكرام أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان فضلهم	43
345	باب توقير العلماء والكبار وأهل الفضل وتقديمهم على غيرهم، ورفع،	44
353	باب زيارة أهل الخير ومجالستهم وصحبتهم ومحبتهم وطلب زيارتهم والدعاء	45
363	باب فضل الحب في الله والحث عليه وإعلام الرجل من يحبه أنه يحبه،	46
370	باب علامات حب الله تعالى للعبد والحث على التخلق بها والسعي في تحصيلها	47
375	باب التحذير من إيذاء الصالحين والضعفة والمساكين	48
377	باب إجراء أحكام الناس على الظاهر وسرائرهم إلى الله تعالى	49
381	باب الخوف	50
395	باب الرجاء	51
405	باب فضل الرجاء	52
408	باب الجمع بين الخوف والرجاء	53
412	باب فضل البكاء من خشية الله تعالى وشوقا إليه	54
421	باب فضل الزهد في الدنيا والحث على التقلل منها وفضل الفقر	55

447	باب فضل الجوع وخشونة العيش والاقْتِصَارِ عَلَى الْقَلِيلِ مِنَ الْمَأْكُولِ	56
461	باب القناعة والعفاف والاقْتِصَادِ فِي الْمَعِيشَةِ وَالْإِنْفَاقِ وَذَمِّ السُّؤَالِ مِنْ غَيْرِ	57
468	باب جواز الأخذ من غير مسألة ولا تطلع إليه	58
470	باب الحث على الأكل من عمل يده والتعفف به من السُّؤَالِ والتعرض	59
476	باب الكرم والجود والإنفاق في وجوه الخيرية بالله تعالى	60
486	باب النهي عن البخل والشح	61
491	باب الإيثار المواساة	62
497	باب التنافس في أمور الآخرة والاستكثار مما يتبرك فيه	63
501	باب فضل الغني الشاكر وهو من أخذ المال من وجهه وصرفه في وجوهه المأمور	64
507	باب ذكر الموت وقصر الأمل	65
522	باب استحباب زيارة القبور للرجال وما يقوله الزائر	66
527	باب كراهية تمني الموت بسبب ضرر نزل به ولا بأس به لخوف الفتنة في الدين	67
532	باب الورع وترك الشبهات	68
541	باب استحباب العزلة عند فساد الناس والزمان أو الخوف من فتنة في الدين	69
549	باب فضل الاختلاط بالناس	70
552	باب التواضع وخفض الجناح للمؤمنين	71
566	باب تحريم الكبر والإعجاب	72
575	باب حسن الخلق	73
583	باب الحلم والأناة والرفق	74
590	باب العفو والإعراض عن الجاهلين	75

598	باب احتمال الأذى	76
601	باب الغضب إذا انتهكت حرمت الشرع والانتصار لدين الله تعالى	77
606	باب أمر ولاة الأمور بالرفق برعاياهم ونصيحتهم والشفقة عليهم	78
611	باب الوالي العادل	79
615	باب وجوب طاعة ولاة الأمور في غير معصية وتحريم طاعتهم في المعصية	80
630	باب النهي عن سؤال الإمارة واختيار ترك الولايات إذا لم يتعين عليه أو تدع	81
633	باب حث السلطان والقاضي وغيرهما من ولاة الأمور على اتخاذ وزير صالح	82
638	باب النهي عن تولية الإمارة والقضاء وغيرهما من الولايات لمن سألها أو حرص	83
2-كتاب الأدب		
642	باب الحياء وفضله والحث على التخلق به	84
648	باب حفظ السر	85
653	باب الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد	86
657	باب الأمر بالمحافظة على ما اعتاده من الخير	87
661	باب استحباب طيب الكلام وطلاقة الوجه عند اللقاء	88
666	باب استحباب بيان الكلام وإيضاحه للمخاطب وتكريره ليفهم إذا لم يفهم	89
669	باب إصغاء المجلس لحديث جليسه الذي ليس بحرام واستنصات العالم	90
672	باب الوعظ والإقتصاد فيه	91
675	باب الوقار والسكينة	92
677	باب الندب إلى إتيان الصلاة والعلم ونحوهما من العبادات بالسكينة والوقار	93
679	باب إكرام الضيف	94

686	باب استحباب التبشير والتهنئة بالخير	95
692	باب وداع الصحاب ووصيته عند فراقه لسفر وغيره والدعاء له وطلب	96
695	باب الاستخارة والمشاورة	97
703	باب استحباب الذهاب إلى العيد وعبادة المريض والحج والغزو والجنابة	98
705	باب استحباب تقديم اليمين في كل ما هو من باب التكريم	99
3-كتاب أدب الطعام		
709	باب التسمية في أوله والحمد في آخره	100
712	باب لا يعيب الطعام واستحباب مدحه	101
713	باب ما يقوله من حضر الطعام وهو صائم إذا لم يفطر	102
714	باب ما يقوله من دعي إلى طعام فتبعه غيره	103
715	باب الأكل مما يليه ووعظه وتأديبه من يسيء أكله	104
716	باب النهي عن القران بين تمرتين ونحوهما إذا أكل جماعة إلا بإذن رفقته	105
717	باب ما يقوله ويفعله من يأكل ولا يشبع	106
721	باب الأمر بالأكل من جانب القصعة والنهي عن الأكل من وسطها	107
721	باب كراهية الأكل متكئا	108
722	باب استحباب الأكل بثلاث أصابع واستحباب لعق الأصابع	109
724	باب تكثير الأيدي على الطعام	110
725	باب أدب الشرب واستحباب التنفس ثلاثا خارج الإناء وكراهة التنفس في الإناء	111
727	باب كراهة الشرب من فم القربة ونحوها وبيان أنه كراهة تنزيه لا تحريم.	112
728	باب كراهة النفخ في الشراب	113

729	باب بيان جواز الشرب قائما وبيان أن الأكمل والأفضل الشرب قاعدا	114
730	باب استحباب كون ساقى القوم آخرهم شربا	115
730	باب جواز الشرب من جميع الأواني الطاهرة غير الذهب والفضة وجواز الكرع	116
4-كتاب اللباس		
732	باب استحباب الثوب الأبيض وجواز الأحمر والأخضر والأصفر والأسود	117
736	باب استحباب القميص	118
736	باب صفة طول القميص والكم والإزار وطرف العمامة	119
742	باب استحباب ترك الترفع في اللباس تواضعا	120
742	باب استحباب التوسط في اللباس ولا يقتصر على ما يزري به لغير حاجة	121
743	باب تحريم لباس الحرير على الرجال وتحريم جلوسهم عليه واستنادهم إليه	122
744	باب جواز لبس الحرير لمن به حكة	123
745	باب النهي عن افتراش جلود النمرور والركوب عليها	124
745	باب ما يقول إذا لبس ثوبا جديدا أو نعلأ أو نحوه	125
746	باب استحباب الابتداء باليمين في اللباس	126

أَشَارَ الرَّبُّ آتِيَيْنِ لِيَبَيِّنَ أَنْ وَأَرَادِي أَضَ الصَّالِحِينَ مِنْ كَلَامِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ